

الَّذِينَ كَفَرُوا عَنِ اللَّهِ بِأَشْرَاحِيكَ

الْأَعْمَى الْكَامِلَةَ

الْمَجْلِدُ السَّابِعُ

الدكتور عبد الله باسراحيل

الأعمال الكاملة

رقم الإيداع: 2024/22722

الترقيم الدولي: 978-977-9689-06-7

الناشر

دار منازل لتطوير حقوق الملكية الفكرية والنشر والتوزيع

تليفون: +٢٠١٠١٤٣٠٨٤٨٤

E.mail: DarManazel@gmail.com

شارع النيابة الإدارية – دمياط الجديدة – دمياط

المدير العام: د. أشرف الشحات

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

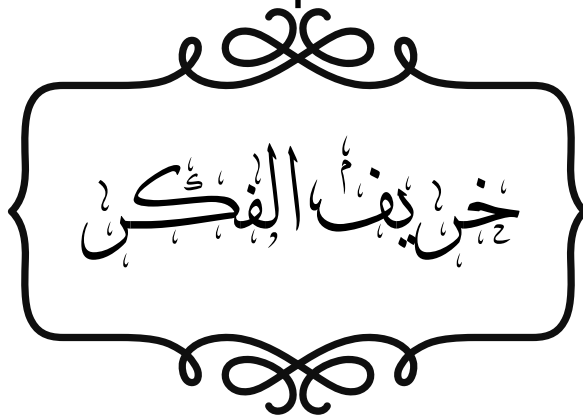
١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٤ م

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأيّة وسيلة تصويريّة أو إلكترونيّة أو ميكانيكيّة بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها، من دون إذن خطّي من المؤلف.

خَيْرُ يَوْمٍ الْقِيَامِ

شَتَّى لِرَاةٍ

صَنْدِيقِ الْعَصْرِ



وقفات



إهداء

إِلَى زَوْجَتِي السَّيِّدَةِ حَنَانِ مُصْطَفَى زَقْزُقٍ حَفِظَهَا اللَّهُ،
وَأَبْنَائِي الْأَعَزَّاءِ رَانِيَةَ وَصَالِحَ وَعَالِيَةَ
وَالْمُهَنْدِ وَمَرْيَمَ وَفَرَحَ، حَفِظَهُمُ اللَّهُ



اللُّغَةُ

اللُّغَةُ مُعْطَيَاتُ صَوْتِيَّةٌ تَكُونَتْ بِالْإِحْسَاسِ النَّفْسِيِّ وَالْإِدْرَاكِ الْعَقْلِيِّ، تَعْبِيرًا عَنِ الْأَمَلِ وَالْأَلَمِ اللَّذَيْنِ يَتَرَجَّمُهُمَا اللِّسَانُ لِيُنْظَمَ الْحَاجَةُ إِلَى الْفَهْمِ فِي التَّخَاطُبِ مَعَ الْآخَرِ، حِينَ أَفَادَتْ لُغَةً الْإِشَارَةَ الْبَدَائِيَّةَ كَوَسِيلَةٍ لِلْفَهْمِ وَتَقْنِينَ النَّغَمَاتِ الصَّوْتِيَّةَ لِإِبْدَاعِ اللُّغَاتِ؛ لَتَتَّخَذَ الشُّعُوبُ مِنْهَا أَدَاتَهَا لِلتَّخَاطُبِ مِنْ خِلَالِ عِلْمِ الْأَسْمَاءِ الَّذِي عَلَّمَهُ اللَّهُ أَبَانَا آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ)، وَنَفَذَتْ بِهَا إِلَى عَوَالِمِ التَّدْبِيرِ، وَالتَّبَصُّرِ، وَالتَّحْلِيلِ وَالِاسْتِثْنَاءِ لِلْمَادَّةِ وَالْمَعْلُومَةِ، فَكَانَتِ اللُّغَةُ هِيَ الْمُوَحَّدَةَ لِقَوْمِيَّةٍ تَفَرَّدَتْ بِخُصُوصِيَّةٍ مَعَاشِيَّةٍ خَاصَّةٍ لِتَأْثِيرَاتِ بَيْئَةٍ ذَاتِ طَبِيعَةٍ تَأَلَّفَ عَلَيْهَا مُجْتَمَعٌ مَا؛ لِخَلْقِ كَيْنُونَةٍ لُغَةً ذَاتِ سِمَةٍ مُمَيَّزَةٍ لِدَاكِ الْمُجْتَمَعِ الَّذِي تَكَاثَّرَ فِي النِّسْلِ؛ لِيشْكَلَ كَيَانًا مُسْتَقِلًّا مُتَسَلِّسًا يَتَوَارَثُ اللُّغَةُ، وَإِنْ تَبَايَنَ فِي الْمِيلَادِ، لَكِنَّهُ يَظَلُ فِي دَائِرَةِ مُتَّصِلَةٍ قَوَامُهَا الصَّوْتُ اللُّغَوِيُّ الْمُمَيَّزُ لِعِرْقٍ وَامَّةٍ وَشَعْبٍ. وَإِذَا سَلَّمْنَا بِحَقِيقَةِ أَنَّ الصَّوْتَ أَدَاةٌ لِاصْطِلَاحِ اللُّغَاتِ، فَنَحْنُ نَجْهَلُ اللُّغَةَ الَّتِي يَتِمُّ بِهَا التَّخَاطُبُ فِي مَا بَيْنَ أُمَمِ الْحَيَوَانِ وَالطَّيْرِ وَالْحَشَرَاتِ وَالْأَسْمَاكِ وَالنَّبَاتِ وَغَيْرِهَا، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْأَصْوَاتُ أَوْ الْاهْتِرَازَاتُ الْحَرَكَاتُ مُجَرَّدَةٌ مِنْ لُغَةٍ التَّخَاطُبِ فِي مَا بَيْنَ هَذِهِ الْكَائِنَاتِ، وَإِلَّا لَمَا ذَكَرَ الْقُرْآنُ تَعْلِيمَ النَّبِيِّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (مَنْطِقَ الطَّيْرِ)، وَمَنْطِقَ (الْجِنِّ وَالْعَفَارِيتِ)، وَلَكِنْ مُحَاوَلَةُ الْفَهْمِ لِللُّغَاتِ رَبَّمَا تُعْطِي الْبَصِيرَةَ النَّافِذَةَ الْقُدْرَةَ عَلَى تَحْلِيلِ تِلْكَ الْأَصْوَاتِ بِتَتَبُعِ نَغَمَاتِ الصَّوْتِ أَوْ الْاهْتِرَازِ فِي الْمَخْلُوقَاتِ الْآخَرَى. وَرَبَّمَا أَبْدَى لَنَا الْعِلْمُ الْحَدِيثُ مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الْمُخْتَرَعَاتِ الْمَذْهَلَةِ إِيحَاءَاتِ اللُّغَاتِ الْخَاصَّةِ بِهِذِهِ الْعَوَالِمِ مِنْ لَحْنِ الصَّوْتِ أَوْ الْحَرَكَةِ فِي الْحُزْنِ وَالْفَرَحِ وَالْغَضَبِ وَالْجُوعِ وَالْخَوْفِ وَالْمَرَضِ، لِيَنْشَأَ عِلْمٌ جَدِيدٌ يُؤَسِّسُ لِلُّغَاتِ تِلْكَ الْأُمَمِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، فَنَحْنُ عَلَّمْنَا الطَّيْرَ لُغَتَنَا وَلَمْ نَتَعَلَّمْ مَنْطِقَ الطَّيْرِ، بِمَا تُرَدِّدُهُ الْبَغَاوَاتُ مُحَاكَاةً لِللُّغَاتِ، أَمَّا لُغَةُ الْجِنِّ وَالْعَفَارِيتِ فَهِيَ أَيْضًا حَقِيقَةٌ نَجْهَلُهَا، وَإِنْ كَانَ الْقُرْآنُ قَدْ أَثْبَتَهَا فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى وُجُودِ لُغَةٍ لِلتَّخَاطُبِ فِي مَا بَيْنَهُمْ، وَلَا نُبَالِغُ إِذَا قُلْنَا إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ فِي هَذَا الْكَوْنِ لَهُ لُغَةٌ لِلتَّخَاطُبِ بِهَا مَعَ أَجْنَاسِهِ، وَدَلِيلُنَا قَوْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِغْ بِحَمْدِهِ، وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ).

وَنَحْنُ كَأَمَّةٌ عَرَبِيَّةٌ كَانَ مُصْطَلَحُ خَطَابِهَا اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ، وَقَدْ تَشَكَّلَتْ أَهْلِيَّتُهَا اللُّغَوِيَّةُ بَعْدَ تَوْحِيدِ لَهْجَاتِهَا الْمُتَوَارِثَةِ فِي لُغَةِ الْقُرْآنِ الَّذِي نَزَلَ عَلَيَّ نَبِيًّا الْعَرَبِيُّ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، كَمَا تَشَكَّلَتْ لُغَاتُ الْأَدْيَانِ الْأُخْرَى بِاللُّسَنَةِ اقْوَامِهَا، وَهِيَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ؛ حَتَّى تَنْتَفِي الْمَعَاذِيرُ وَالْعِلَلُ لِفَهْمِ الرِّسَالَاتِ السَّمَاوِيَّةِ الَّتِي جَاءَتْ عَلَى أَلْسِنَةِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ فِي الْبَلَاغِ لِلتَّشْرِيعِ الْإِلَهِيِّ وَتَنْظِيمِ سُلُوكِيَّاتِ الْبَشَرِ عَلَى مَنْهَجِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ، وَلِتَلَاقِحِ الْأَفْكَارَ وَالْإِسْتِدْلَالَ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ الْخَالِقِ بِحِكْمَةِ الْعَقْلِ الْمُوَصِّلِ إِلَى الْمَعْرِفَةِ الَّتِي أَفْرَزَتْهَا اللُّغَةُ الْمُنَشَّئَةُ لِلْحَرْفِ وَالْكَلِمَةِ وَالْمَعْنَى، لِنَاكِدِ حَقِيقَةَ الدَّلَالَاتِ الْكُوْنِيَّةِ، وَإِنْ اخْتَلَفَتْ طُرُقُ التَّعْبِيرِ، بِالْإِشَارَةِ وَالْكِتَابَةِ، وَالصُّورَةِ، فَكُلُّهَا تُوجِي لِلِاسْتِشْعَارِ بِأَسَالِبِ الْكَلَامِ الْمُتَحَوِّلِ إِلَى مَعَانٍ تَتَّحِدُ عَلَى فَهْمِهَا الْعُقُولُ الْبَشَرِيَّةُ كُلِّغَاتٍ تَنْدَثِرُ وَلَا تَمُوتُ، وَتَتَّبِعُ بِالْإِكْتِشَافَاتِ الْأَثَرِيَّةِ لِتُورِّخَ أَحْدَاثَ الْأُمَمِ الْغَابِرَةِ الَّتِي تَرَكَتْ بَصْمَاتِهَا عَلَى أَدِيمِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ.

وَإِنَّ مَفْهُومَ الْحَيَاةِ بِمُكُونَاتِهَا الْخَلْقِيَّةِ لُغَةٌ إِذَا قِسْنَا اللُّغَةَ فِي مُوَدَّاهَا بِأَنَّهَا اخْتِكَاكٌ بَيْنَ الْحَنْجَرَةِ وَالْأَوْتَارِ الصَّوْتِيَّةِ وَاللِّسَانِ وَالشَّفَتَيْنِ وَالْأَسْنَانَ وَاللِّهَاجَةِ... فَلَا اخْتِكَاكَ فِعْلٌ وَالْفِعْلُ حَرَكَةٌ وَالْحَرَكَةُ صَوْتُ وَالصَّوْتُ نَفْسٌ وَالنَّفْسُ نَبْضٌ وَالنَّبْضُ حَيَاةٌ.

وَلَأَمْرٌ يَعْلَمُهُ اللَّهُ لَمْ يَسْتَطِعِ الْبَاحِثُونَ أَوْ الْمُسْتَكْشِفُونَ الْوُصُولَ إِلَى مَعْرِفَةِ اللُّغَةِ الْأُمِّ الَّتِي كَانَتْ تَسُودُ بَدَايَةَ الْخَلْقِ مُنْذُ هُبُوطِ أَبِيْنَا آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْأَرْضِ، وَلَا لُغَةَ الْعُصُورِ الَّتِي تَوَالَتْ بَعْدَهُ، وَلَمْ تَسْتَطِعِ الْإِكْتِشَافَاتُ الْأَثَرِيَّةُ أَنْ تُعْطِيَ دَلَالَاتٍ عَلَى اللُّغَةِ الْأُولَى سِوَى بَعْضِ الْقِرَاءَاتِ الْأُسْطُورِيَّةِ الَّتِي تَزْعُمُ أَنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ هِيَ الْأَقْدَمُ تَارِيخِيًّا، وَإِلَّا لَأَمَكْنَ مَعْرِفَةَ عُمُرِ الْحَيَاةِ وَعُمُرِ الْأَرْضِ، بِرَغْمِ أَنَّ الْحَفَرِيَّاتِ الَّتِي ظَهَرَتْ أَكَدَتْ بِمَا لَا يَدْعُ مَجَالًا لِلشَّكِّ لُغَاتُ بَعْضِ الْأُمَمِ الْغَابِرَةِ مِثْلَ الْفَرَعُونِيَّةِ، وَالسُّومَرِيَّةِ وَالْفِينِيقِيَّةِ، وَالْحَمِيرِيَّةِ، وَالسَّبْيِيَّةِ، وَالرُّومَانِيَّةِ، وَالْفَارَسِيَّةِ، وَالْيُونَانِيَّةِ، وَالْقَبَانِيَّةِ، وَالْأَشُورِيَّةِ، وَالْكَلدَانِيَّةِ وَغَيْرِهَا. وَرُبَّمَا يُكْشَفُ أَيْضًا عَنْ حَضَارَاتٍ مَعْمُورَةٍ لِأَمَمٍ قَدِيمَةٍ مُنْذَرَةٍ لِاسْتِشْرَافِ اللُّغَةِ الَّتِي كَانَتْ تَتَحَدَّثُ بِهَا.

وَإِنَّ الْعَمَلَ الَّذِي قَامَ بِهِ عُلَمَاءُ الْآثَارِ بِإِكْتِشَافِ كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَاقِعِ الَّتِي عُثِرَ فِيهَا عَلَى آثَارٍ مُهِمَّةٍ قَدَمَتْ لِلْبَشَرِيَّةِ فَائِدَةٌ عِلْمِيَّةٌ وَتَارِيخِيَّةٌ كَانَتْ جُهْدًا مُثْمِرًا مَنْظُورًا وَمَلْمُوسًا، لَكِنَّ هَذِهِ الْإِكْتِشَافَاتِ لَمْ تُؤَكِّدْ تَارِيخَ وَجُودِ الْعِرْقِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي تَتَحَدَّثُ عَنْهُ الْكُتُبُ

الْقَدِيمَةُ وَالْأَسَاطِيرُ بَأَنَّ جُذُورَهُ تَنْحَدِرُ مِنْ سَامِ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، أَوْ التَّحَقُّقُ مِنَ الْأَصْوَاتِ اللُّغَوِيَّةِ الَّتِي انْتَبَهَتْ مِنْهَا اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ، وَهَذَا مَا يَدْعُو إِلَى الْإِهْتِمَامِ أَكْثَرَ بِالْحَفَرِيَّاتِ وَدِرَاسَةِ الْمُدُونَاتِ الْقَدِيمَةِ، لِاسْتِنطاقِ التَّارِيخِ وَمَعْرِفَةِ اللُّغَاتِ الْمُكُونَةِ لِلأُمِّ وَالْمُجْتَمَعَاتِ السَّابِقَةِ، لِتَظَلُّ الْأَثَارِ الْمَكْتُوبَةِ وَالْمَرْسُومَةِ عَبْرَ الْأَزْمِنَةِ هِيَ مَادَّةُ التَّوْثِيقِ وَالتَّوَاصُلِ لِمَعْرِفَةِ مَرَاكِزِ التَّطَوُّرِ وَالتَّأَثُّرِ وَالتَّأَثِيرِ الْحَضَارِيِّ لِلأُمِّ الْمُتَعاقِبَةِ عَبْرَ الْعُصُورِ. وَنَتِيجَةُ ذَلِكَ يَظَلُّ الْإِلْحَاحُ لِمَعْرِفَةِ اللُّغَاتِ الْقَدِيمَةِ عَبْرَ الْعُصُورِ يَشْغَفُ الْبَاحِثِينَ وَالْعُلَمَاءَ وَالْمُفَكِّرِينَ لِلْبَحْثِ وَالتَّنْقِيبِ، فَقَدَّمُوا دِرَاسَاتٍ مُهِمَّةً عَنِ اللُّغَاتِ الَّتِي أَكْثَرُ تَطَوُّرٍ كَثِيرٍ مِنَ اللُّغَاتِ، مِنْهَا الْجَزْمَانِيَّةُ وَالْعَرَبِيَّةُ وَاللَّاتِينِيَّةُ الْقَدِيمَةُ وَغَيْرُهَا، بِمَا طَرَأَ عَلَيْهَا مِنْ تَغْيِيرٍ لَا فِتَ بَيْنَ اللُّغَةِ الْأُمِّ وَاللُّغَةِ الْمُعَاصِرَةِ، وَلَكِنَّهَا تَظَلُّ ضِمْنَ الْمَوْرُوثَاتِ الْقَوْمِيَّةِ، تَتَطَوَّرُ بِقَدْرِ تَطَوُّرِ الْمَفَاهِيمِ الْحَضَارِيَّةِ وَتَأْثِيرِ الْعَوَامِلِ الْبَيْئَةِ، وَهِيَ بِذَلِكَ تُؤَسِّسُ لِقِيَمٍ جَدِيدَةٍ تَدْخُلُ ضِمْنَ الْمَوْرُوثَاتِ الْمُعَدَّلَةِ لِتَكْتَسِبَ صِفَاتٍ يَقْبَلُهَا الْمُجْتَمَعُ أَوْ الْأُمَّةُ أَوْ الشَّعْبُ، لِتَكُونَ تَرَانًا مُتَحَوِّلًا لِلأُمِّ الْمُتَعاقِبَةِ حِينَ فَتَحَتْ مَعَالِيْقَ الْمُمْكِنِ مِنَ الْأَسْرَارِ الْكُونِيَّةِ بِالْفِكْرِ الْمُبْدِعِ الْمُتَبَكِّرِ لِإِنْجَازَاتِهِ الْعِلْمِيَّةِ، لِكَشْفِ الْكَثِيرِ مِنَ الْحَقَائِقِ الْمَجْهُولَةِ، وَلَوْ لَا الْإِزْثُ اللَّغَوِيُّ الْمَتَّصِلُ عَبْرَ الرُّوَاةِ وَالْكِتَابَاتِ الْقَدِيمَةِ لَمَا تَحَقَّقَ التَّوَاصُلُ الْبَشَرِيُّ، وَلَمَا تَنَافَسَتِ الْعُقُولُ عَلَى الْإِرْتِقَاءِ بِالْعُلُومِ وَصُنْعِ الْحَضَارَاتِ، لَكِنِ تَتَوَاصَلُ الْبَشَرِيَّةُ بَعْضُهَا مَعَ بَعْضٍ تُتَرَجِّمُ أَحْدَانَهَا وَتَعْمَلُ عَلَى التَّأَثِيرِ وَالتَّأَثُّرِ بَيْنَ الشُّعُوبِ. وَفِي هَذَا السِّيَاقِ فَإِنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ لَمْ تَكُنْ جَامِدَةً، بَلْ تَطَوَّرَتْ كَبَقِيَّةِ اللُّغَاتِ مُنْذُ أَنْ تَأَسَّسَتْ مِنَ اللُّغَةِ الْحِمَيْرِيَّةِ الْأُولَى وَتَوَارَثَهَا اللِّسَانُ السَّبَبِيُّ وَدَرَجَتْ عَلَى السِّنَةِ بَاقِي الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، ثُمَّ اشْتَقَّتْ مِنْهَا اللَّهَجَاتُ الَّتِي تَمَيَّزَتْ بِهَا الْقَبَائِلُ الْعَرَبِيَّةُ آنَذَاكَ، وَلَوْ تَمَّ الْإِصْطِلَاحُ عَلَى لَهْجَةٍ مُوَحَّدَةٍ قَبْلَ الْإِسْلَامِ لَأَمَكَّنَ الْقَوْلُ بِتَطَوُّرِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مَرَحَلِيًّا، وَلَكِنْ تَطَوَّرَ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ لَمْ يَحْدُثْ إِلَّا بُزُولُ الْقُرْآنِ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَأَصْبَحَتِ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْفُصْحَى هِيَ الْخَطَابُ الْمُوَحَّدُ لِلأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي يَجْتَمِعُ عَلَيْهَا اللِّسَانُ الْعَرَبِيُّ مَعَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَهَذِهِ اللُّغَةُ نَشَأَتِ الْحَضَارَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي جَمِيعِ أَصْقَاعِ الْمَعْمُورَةِ، مِنْ خِلَالِ الْفُتُوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَمِنْ هَذِهِ اللُّغَةِ انْتَبَهَتْ الْعُلُومُ الْإِنْسَانِيَّةُ لِلْعُلَمَاءِ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ لَشَرْقِ عَلَى الْعُقُولِ الْمُظْلَمَةِ وَالْعَوَالِمِ الْمُتَأَخَّرَةِ بَعْدَ أَنْ رَاحَتْ تَعْبُ مِنْ مَعِينِ الْعُلَمَاءِ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَعَكَفُوا عَلَى دِرَاسَةِ آثَارِهِمُ الْفِكْرِيَّةِ بِشَقَائِهَا الْعِلْمِيَّ وَالنَّظَرِيَّ، وَتَوَاصَلُوا

مَعَ هَذِهِ الْعُلُومِ بِالْبَحْثِ وَالتَّجْرِبِ، حَتَّى رَأَيْنَا الْيَوْمَ هَذِهِ الْحَضَارَةَ الْعَرَبِيَّةَ الْأَمْرِيكِيَّةَ الْمُعْجَزَةَ، وَقَدْ اسْتَمَدَّتْ الْكَثِيرَ مِنْ عُلُومِهَا مِنْ عُلَمَاءٍ وَمُفَكِّرِي الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ الَّذِينَ تَرَكُوا لِلْعَالَمِ تَرَاثًا عِلْمِيًّا وَأَدَبِيًّا أَدَّى إِلَى الْمُسَاهَمَةِ فِي صُنْعِ الْحَضَارَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْمُعَاَصِرَةِ.

وَهَكَذَا اصْطَنَعَتِ اللُّغَاتُ أَوْطَانًا وَأُمَمًا وَشُعُوبًا وَتَرَاثًا وَقِيَمًا تَتَأَصَّلُ فِي النَّفْسِ مُنْذُ الْوِلَادَةِ فِي بَيْتَةٍ مُعَيَّنَةٍ يَكْتَسِبُ أَفْرَادُهَا بِالتَّدَاوُلِ مِيرَاثًا غَيْرَ قَابِلٍ لِلِإِسْلَاحِ مِنَ التَّرَكِّيَّةِ اللَّغَوِيَّةِ أَوِ الشَّكْلِيَّةِ أَوِ الْبَيْثِيَّةِ، وَهِيَ تُحَافِظُ عَلَى مَوَارِيثِهَا الْفِطْرِيَّةِ وَالْمُكْتَسَبَةِ.

لِذَلِكَ سَتَظَلُّ اللُّغَاتُ أَهَمَّ رَوَافِدِ الْحَيَاةِ لِلْأُمَّمِ، وَسَتَظَلُّ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ تَالِدَةً خَالِدَةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، مَا دَامَ فِينَا كِتَابُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَسُنَّةُ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، رَغْمَ الْمُحَاوَلَاتِ الْمُغْرَضَةِ الَّتِي تَسْعَى إِلَى هَدْمِ هَذِهِ اللُّغَةِ وَالتَّعْرِيزِ الْحَاقِدِ بِالْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ فِي شَخْصِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ، وَالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. وَلَكِنَّا نَقُولُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا)، وَسَيَاتِي الْيَوْمَ الَّذِي تَسُودُ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ عَلَى سَائِرِ اللُّغَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ، حِينَ يَضِيقُ الْإِنْسَانُ ذَرْعًا بِالْأَضَالِيلِ الَّتِي تُمَارَسُ بِاسْمِ الْأَدْيَانِ الَّتِي لَحَصَهَا اللَّهُ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ بِقَوْلِهِ: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)، وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى)، إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّنَا الْكَرِيمَ مُحَمَّدًا بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ بِرِسَالَةِ الْإِسْلَامِ الْخَالِدِ الَّذِي قَامَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ الْعَزِيزِ وَسُنَّةِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ فَكَانَ خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَكَانَ الْإِسْلَامُ خَاتَمَ الْأَدْيَانِ السَّمَاوِيَّةِ، وَقَدْ نَزَلَ بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ؛ لِيُؤَكِّدَ عَالَمِيَّةَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَوُجُوبَ تَعَلُّمِهَا لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَمَعْرِفَةِ أَحْكَامِهِ، وَبِهَذَا تَكْمُنُ مُعْجَزَةُ الْقُرْآنِ وَسِيَادَةُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ عَلَى سَائِرِ اللُّغَاتِ.

فَهَلْ نَكُونُ غَيْرَ مُتَجَاوِزِينَ إِذَا قُلْنَا إِنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ أُمُّ اللُّغَاتِ؟! وَهَلْ

نَكُونُ مُحَقِّقِينَ إِذَا قُلْنَا إِنَّ اللُّغَةَ هِيَ رُوحُ الْحَيَاةِ!؟

مِنْ شِعْرِي: قَصِيدَةُ «أَنْفَاسِ النَّايِ»،

دِيَوَانُ «الْمَرَايَا»

يَا صَاحِبِي كَذَبُوا	وَتَفَرَّقَ الْعَرَبُ
رَهْنُوا مَصَائِرِنَا	بِمَصِيرِهِمْ وَصَبُّوا
حَتَّى إِذَا وَهْنُوا	وَتَمَزَّقُوا هَرَبُوا
مِنْ رَوْضِنَا جَمَعُوا	بِالزَّيْفِ وَاسْتَلَبُوا
وَالْوَقْتُ يَنْظُرُهُمْ	لِيَحُوزَ مَا نَهَبُوا
رَسَمُوا الرَّدَى وَجْهًا	وَعُيُونُهُ حَرَبُ
وَتَحَلَّقُوا ذُمًّا	يَوْمًا وَقَدْ ذَهَبُوا
فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ	يَغْلُولُهُمْ صَخْبُ
وَالْيَوْمَ قَدْ صَمْتُوا	لِلْخَوْفِ وَارْتَهَبُوا
ظَمِئُوا وَلَيْتَهُمْ	مِمَّا سَقَوْا شَرِبُوا
غَضِبَ الزَّمَانُ فَمَا	لِلْقَوْمِ مَا غَضِبُوا
عَتَبَ الْأَسَى حَتَّى	مَلَأَ الثَّرَى عَتَبُ
وَمَوَاطِنُ طَفِقَتْ	بِالنَّاسِ تَلْتَهَبُ
لَمْ يَجِبْنِ الْعَرَبُ	لَكِنَّهُمْ نَكِبُوا
كَانُوا هُنَا وَمَضُوا	وَالدَّهْرُ يَنْقَلِبُ
مَنْ نَحْنُ بَعْدَهُمْ	وَلِمَنْ سَنَنْتَسِبُ
وَعَلَى مَصَائِبِنَا	أُمُّ قَضَتْ وَأَبُ
مَنْ سَوْفَ يُنْجِدُنَا	وَالْهَوْلُ يَفْتَرِبُ
أَوْ مَنْ سَيَسْمَعُنَا	وَالْحَقُّ يَنْتَحِبُ

قَالُوا بِأَنَّهُمْ	فِي عَصْرِنَا رَهْبٌ
وَتَحَالَفُوا زُمَرًا	فَتَهَدَّمَتْ حَقَبٌ
خَابَتْ مُنَى لَهُمْ	وَأَنْتَابَهَا الْعَطَبُ...
يَا رَجْعَ مَجْدِهِمْ	تَسْمُو بِهِ الْكُتُبُ
مَاتَتْ هُنَا سَبَا	وَتَفَرَّقَ الْعَرَبُ

المجدد

القارئ لتاريخ التطور العلمي للدول المتقدمة يدرك المراحل السابقة لهذا التطور المشهود، إذ سبقت ذلك حروب دامية أتت على الأخضر واليابس بين القوميات الواحدة، وبين الدول المجاورة، وبين الثقافات المتعددة، حتى خرجت تلك الدول والشعوب من تلك الصراعات الدموية بتجارب ومفاهيم أعطت الإشارة بدخول عوالم الإبداع عبر النظريات المتعاقبة للمبدعين الذين أعملوا الفكر الإنساني للخلق والابتكار، وجسدوا الأفكار إلى حقائق صانعة للحضارة البشرية أصبحت محل إنهار وفخر يمتد على أديم العصور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وسوف تظل ذاكرة التاريخ الإنساني حفية بهذه المنجزات العلمية، والنظرية، مريدة: (المجدد لهذا العصر المعجز).

لقد استفادت أوربا وروسيا وأمريكا والصين واليابان من المنجزات الفكرية، وساهمت في إثراء دوائر البحث والتجريب، وشجعت العقول المبدعة مادياً ومعنوياً، ودخلت في سباق مع الزمن ومع الأقران، وأشعلت شمعة في مجاهل التاريخ من خلال تحرير الفكر من عبودية القدم، ومن نمطية المؤلف، وأطلقت رسل العقل في كل حدب وصوب في سياحة تأملية، أثمرت اكتشافات عظيمة أثرت البشرية في مختلف الاتجاهات العلمية المتنوعة والمتعددة، سواء في الطب أو الهندسة أو الكهرباء أو الفضاء، والاتصالات وغيرها، وأعظمها العلوم الذرية التي باكتشافها فتح عصر التنوير العلمي على مضراغيه، وتفرغت من خلاله العلوم في تسلسل وتعاقب سريع استفادت منه أمريكا وهي حديثة الاكتشاف والكشف العلمي الذي جندت له العقول المختلفة في الهويات والثقافات، إذ استثمرت طاقاتها العقلية في البحث والتجريب والاكتشاف، رغم عمرها الزمني القصير، لكنها إذا ما قيست بالعمر العلمي فهي تؤرخ لأهم مراحل التنوير العلمي.

هذه العلوم التي استفاد بها الإنسان والحيوان والنبات هي استنطاق للفكر الذي جعل الخيال والافتراض والتأمل أولى أبجديات الدخول إلى عالم الحقائق العلمية، وسبر أغوار المجهول، فأضاء سديم المخفي بأضواء العقل الذي أفتح بإذن الله مغاليق الكون، وهذه العلوم والاكتشافات وإن أدت الصدف فيها دوراً إلا أن أعمال الأفكار

والتَّجَرُّبَ وَالبَحْثَ كَانَتْ مِنْ أَهَمِّ الْأَسْبَابِ لِبُلُوغِ الْأَهْدَافِ وَالنَّائِجِ فِي عُقُودِ مِنَ الزَّمَانِ
لَمْ تَكُنِ الظُّرُوفُ الْبَيْئَةُ وَالنَّفْسِيَّةُ مُتَاحًا لَهَا الْعَوَامِلُ الْمُسَاعِدَةُ بِقَدْرِ مَا هِيَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ،
وَلَكِنَّ الْإِلَهَامَ وَالْعَزَمَ، وَالْإِصْرَارَ، وَالصَّبْرَ، وَالْقُدْرَةَ، دَوَافِعَ صَانِعَةٍ لِلْخَوَارِقِ وَالْإِبْتِكَارِ.

وَالْيَوْمَ وَنَحْنُ نَرَى عَالَمَنَا الْعَرَبِيَّ يَتَنُّ مِنْ وَطْأَةِ الْحُرُوبِ وَالْكَوَارِثِ وَالتَّفْرِقَةِ بَيْنَ أَبْنَاءِ
الْجِنْسِ الْوَاحِدِ يُلْحِقُ سُؤَالَ مُهِمٍّ: هَلْ سَوْفَ نَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْمَخَاضِ بِتَجَارِبَ تُؤَسِّسُ
لِمَرْحَلَةٍ جَدِيدَةٍ تَعْلُنُ بِدَايَةِ انْطِلَاقِ الْعَقْلِ الْعَرَبِيِّ وَمِيلَادِ الْعُلَمَاءِ الْمُبْدِعِينَ؟ لِيَلْحَقُوا بِرُكْبِ
آبَائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ شَارَكُوا فِي صِنَاعَةِ التَّارِيخِ الْإِنْسَانِيِّ وَالَّذِينَ اسْتَفَادَتْ
مِنْ عُلُومِهِمُ الدُّوَلُ الْكُبْرَى الَّتِي تَسَنَّمَتْ ذُرَى الْمَجْدِ الْعِلْمِيِّ وَتَرَكْنَا فِي عِيَابَاتِ الْجَهْلِ
الْمُظْلِمِ، وَالْفَقْرِ الْمَطْبِقِ، وَالْمَرَضِ الْمُقْعَدِ، وَقَدْ رَاحَتْ تَقْدُمُ عُلُومُهَا إِلَيْنَا بِمَنْ وَاسْتَصْغَارِ
لِأَجْلِ الْإِسْتِفَادَةِ أَكْثَرَ مِنْ تَرَوَاتِنَا وَمَوَارِدِنَا الطَّبِيعِيَّةِ فِي نَهْيَةِ الْحَيَاةِ الْكَرِيمَةِ لِشُعُوبِهَا.

فَإِذَا كُنَّا تَلَامِيذَ أَفْذَا فَسَوْفَ نَسْتَفِيدُ مِنْ هَذِهِ الْمَحَنِ الْمَرِيرَةِ الَّتِي أَلَمَتْ بِنَا وَسَنَخْرُجُ
مُتَفَوِّقِينَ عَلَى جَرَاحَاتِنَا وَآلَامِنَا لِنَسْتَوْعِبَ الدُّرُوسَ. وَنُؤَسِّسُ لِبِنَاءِ وَقَعَ عَلَيْنِي وَفِكْرِي
جَدِيدٍ يَقُومُ عَلَى تَحْرِيكِ جُمُودِ الْعَقْلِ الْعَرَبِيِّ لِيَسْتَفِيْقَ مِنْ سُبَاتِهِ وَلِيَضَعَ بَصْمَاتِهِ الْفِكْرِيَّةَ
وَالْعِلْمِيَّةَ عَلَى الْأَدِيمِ الْأَرْضِيِّ، وَيَنْتَفِضَ مِنْ كُهُوفِ الْخِيَابِ الْعَدَمِيَّةِ لِيَتْرَكَ وَمِيْضُهُ عَلَى
مَنَايِرِ الْحَيَاةِ نُورًا يُشْرِقُ عَلَى الظُّلَامِ فَيُحِيلُهُ صَبَاحًا مُتَرَعًا بِالْأَمَالِ الْمُسْتَنْهَضَةِ لِلْهَمَمِ الَّتِي
تَبْنِي وَتَسْتَشْرِفُ الْجِهَادَ لَخَيْرِ الْحَيَاةِ، وَالَّتِي تَعِي حَقِيقَةَ خَلْقِ الْخَلْقِ لِإِعْمَارِ الْأَرْضِ،
لَا لِلْمَتْعَةِ وَالِاسْتِكَانَةِ وَالتَّقَوُّعِ وَالبُكَاءِ وَالْحُزْنِ وَالنَّدَمِ عَلَى الْمَاضِي، بَلْ إِلَى الْوُقُوفِ
وَشَدِّ السَّوَاعِدِ وَتَرْشِيدِ الْخَطَى وَتَحْكِيمِ الْعَقْلِ وَاسْتِلْهَامِهِ فِي الْإِبْدَاعِ وَالْإِبْتِكَارِ، نَنْطَلِقُ
مُسْتَفِيدِينَ مِمَّا أَنْتَهَى إِلَيْهِ السَّابِقُونَ الَّذِينَ أَنْتَصَرُوا بِالْعِلْمِ عَلَى الصُّعُوبَاتِ، وَنَفَضُوا
غُبَارَ الْمَلَلِ وَأَشْرَعُوا لِلْجُهْدِ وَالتَّعَبِ قُلُوعَ السَّفَرِ إِلَى مَوَانِيِ الظَّفَرِ وَالنَّجَاحِ، حَتَّى نَنْظُرَ
الْأَعْمَى إِلَيْهِمْ وَأَسْمَعَتْ حَضَارَتُهُمْ مَنْ بِهِ صَمَمٌ (مَعَ الْإِعْتِدَارِ لِلشَّاعِرِ الْكَبِيرِ الْمُتَبَيِّ).

وَهَا نَحْنُ الْيَوْمَ عَلَى أَعْتَابِ قَرْنٍ جَدِيدٍ وَمِيلَادِ عُمَرٍ مَجِيدٍ، تَحْدُونَا فِيهِ آمَالُ الْعَارِفِينَ
بِقَدْرِ الْبِنَاءِ وَالتَّطْوِيرِ، الْآخِذِينَ بِأَسْبَابِهِ، فَهَلْ نُوَقِّدُ الْعَزَائِمَ وَالْعُقُولَ بِضِيَاءِ الْمَعْرِفَةِ
وْخُصُوصًا أَنَّ الظُّرُوفَ وَالْإِمْكَانَاتِ الْمَالِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ وَالْبَيْئَةِ مَوْفُورَةٌ أَكْثَرَ مِمَّا مَضَى؟
لِنَقُومَ بِدَفْعِ عَجَلَةِ التَّطَوُّرِ فِي ظِلِّ هَذِهِ الْمُتَغَيِّرَاتِ التَّقْنِيَّةِ الْحَدِيثَةِ، وَنَنْظُرَ إِلَى الْعَالَمِ
الْمُتَقَدِّمِ نَظْرَةَ الدَّارِسِ وَالبَّاحِثِ وَالْمُتَلَقِّيِ خُصُوصًا وَنَحْنُ نَرَى هَذِهِ الْجَامِعَاتِ الْخَلَاقَةَ

وَهِيَ مَبْنُوتَةٌ فِي أَنْحَاءِ عَالَمِنَا الْعَرَبِيِّ، وَآخِرُهَا إِنْشَاءُ أَعْظَمِ جَامِعَةٍ وَهِيَ جَامِعَةُ الْمَلِكِ عَبْدِ اللَّهِ لِلْعُلُومِ وَالتَّقْنِيَةِ، فَهَلْ نُوْظَفُ مَدَارِكَنَا الْعَقْلِيَّةَ لِلْإِبْدَاعِ لَا لِلاتِّبَاعِ؟! وَنَسْتَفِيدُ مِنْ هَذَا الدَّعْمِ السَّخِيِّ الَّذِي يَحْيَاهُ كُلُّ مَنْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ، هَذِهِ الْأَسْئَلَةُ وَغَيْرُهَا لَنْ يُجِيبَ عَنْهَا إِلَّا الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ، الْعَامِلُونَ بِهِ وَلَهُ، الَّذِينَ نَذَرُوا حَيَاتَهُمْ لِلْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ، وَالَّذِينَ يَغْرِسُونَ بَذْرَةَ لِتُورِقَ طَلْعًا بِهِجًا مُخْتَلِفًا الْوَانَةُ يُؤْتِي أَكْلَهُ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَهُمْ مَنْ يَجْهَدُونَ لِتَحْقِيقِ الْأَمَالِ الْوَاعِدَةِ، وَالْأَحْلَامِ الصَّادِقَةِ.

نَحْنُ لَا نُرِيدُ خَرِيْجًا جَامِعِيًّا أَوْ أُسْتَاذًا جَامِعِيًّا هُمُ تَحْقِيقُ دَرَجَةِ عِلْمِيَّةٍ لِيَقِفَ عَنْ مُمَارَسَةِ الْبَحْثِ وَالْإِنْقِطَاعِ عَنِ التَّحْدِيثِ وَالْأَحْدَاثِ الْعِلْمِيَّةِ الْمُسْتَجِدَّةِ وَالْمُسْتَمِرَّةِ وَالْمُتَوَاصِلَةِ.

نُرِيدُ طَالِبَ عِلْمٍ لَا يَنْتَهِي مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ، وَنُرِيدُ نَفُوسًا تَعَشَقُ الْعِلْمَ لِلْعِلْمِ، وَتَتَنَافَسُ عَلَيْهِ، وَعُقُولًا تَتَسَابَقُ مَعَ الْعُقُولِ فِي مِيَادِينِ الْمَعْرِفَةِ، وَعُلُومًا تَتَصَارَعُ مَعَ الْعُلُومِ لِتَرْكُزَ وَتَرْتَفَعَ بِنَا لِلتَّمْيِيزِ وَالتَّبْرِيْزِ؛ لِتَرْتَقِيَ الْأَوْطَانُ بِإِنْسَانِهَا الْعَرَبِيِّ وَالْمُسْلِمِ، مِنْ دُونِ تَفْرِيقِ بَيْنَ لَوْنٍ وَلَوْنٍ أَوْ جِنْسٍ وَآخَرٍ إِلَّا بِالتَّقْوَى وَالْعِلْمِ. وَإِذَا لَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ هَذِهِ التَّقْنِيَّاتِ وَالْقُدْرَاتِ وَهَذَا التَّشْجِيعِ فَمَتَى يَا تَرَى نَسْتَفِيدُ؟ وَكَيْفَ نَسْتَفِيدُ؟

إِنَّ أَهَمَّ الْمَطَالِبِ الَّتِي نَطَالِبُ بِهَا دَوْلَنَا الْعَرَبِيَّةَ، وَبِخَاصَّةِ دَوْلَتِنَا الْحَبِيَّةِ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ فِي أَشْخَاصٍ قِيَادَتِهَا: الْإِهْتِمَامُ بِمَرَاكِزِ الْبَحْثِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْبَذْلِ السَّخِيِّ وَالتَّشْجِيعِ الْمُسْتَمِرِّ لَهَا، لَا لِلْإِبْدَاعِ وَالْإِبْتِكَارِ فَقَطْ وَلَكِنْ لِتَحْفِيزِ الْجُهِودِ نَحْوِ إِنْتَاجِ وَتَصْنِيعِ وَتَفْعِيلِ تِلْكَ الْإِبْدَاعَاتِ وَالْإِبْتِكَارَاتِ؛ لِوَضْعِ بَصْمَةِ الْعَقْلِ الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ عَلَيْهَا كَمُنْتَجٍ لِهَذِهِ الْعُقُولِ نُصَدِّرُهُ إِلَى الْعَالَمِ، وَيَتَصَدَّرُ قَائِمَةُ الْمُنتَجَاتِ الْعَالَمِيَّةِ، وَلَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مُسْتَحِيلًا إِذَا ارْتَفَعْنَا عَنِ الذَّاتِ وَعَمِلْنَا بِإِخْلَاصٍ، وَوَضَعْنَا الْقِيَمَةَ الْوُطَنِيَّةَ وَالْإِنْسَانِيَّةَ فَوْقَ الْإِعْتِبَارَاتِ الْمَادِيَّةِ السَّرِيعَةِ، حَتَّى نَكُونَ مِنْ أَوَائِلِ الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْأَخْذِ بِأَسْبَابِ الرُّقْيِ وَالتَّطَوُّرِ، نَظَرًا لَوُجُودِ الثَّرَوَاتِ الطَّبِيعِيَّةِ وَالْإِمْكَانَاتِ الْمُتَعَدِّدَةِ، سَوَاءً الْمَالِيَّةِ أَوِ الْبَشَرِيَّةِ، وَلَا ضَيْرَ فِي أَنْ تَتْرَكَ لِلِاسْتِثْمَارِ الْأَجْنَبِيِّ الْمُشَارَكَةَ لِلتَّصْنِيعِ وَالْإِنْتَاجِ، وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ). فَهَلْ نَحْنُ عَامِلُونَ؟

مِنْ شِعْرِي: قَصِيدَةُ «عَصْرُ النَّيِّهِ»

دِيَوَانُ «قَنَادِيلِ الرِّيحِ» (الأَعْمَالُ الشَّعْرِيَّةُ ج2)

وَبَيْنَ قَطْفِ السَّنَا نَارَ وَحْجَابُ
أَنْ يَلْتَقِي حُلْمَ فِينَا وَآرَابُ
وَبَعْضُهُ الظُّلْمُ: أَشْبَاحُ وَأَنْيَابُ
يُدِيرُهَا مِنْ عَتَاةِ الْكُفْرِ أَذْنَابُ
وَكُلُّهُمْ فِي زَمَانِ الضَّيْمِ أَغْرَابُ
وَصَوْتُهَا فِي مَهَبِّ الرِّيحِ جَوَابُ
وَعُمُرُهَا فِي زَمَانِ التَّيِّهِ أَوْصَابُ
لَكِنَّهَا فِي عُيُونِ الْجَهْلِ أَطْيَابُ
وَكَمْ يَسُودُ بِهَا فَدَمٌ وَنَهَابُ
وَمِنْ فُنُونِ الرَّدَى فَتْكٌ وَإِرْهَابُ
تُحِيطُنَا مِنْهُ أَهْوَالٌ وَأَعْطَابُ
وَنَحْنُ فِي لُجَجِ الْأَمْوَاجِ أَشْرَابُ
وَكَمْ يُخَاتِلُنَا فِي الْوَعْدِ كَذَّابُ
وَنَحْنُ فِي نَظَرِ الْأَعْدَاءِ أَسْلَابُ
وَلَا النَّصَارَى لَهُ خِلٌّ وَأَصْحَابُ
وَشَرْعَةُ الْغَابِ مَفْتُوحٌ لَهَا الْبَابُ
فَكَيْفَ يَشْقَى بِهِمْ دَهْرٌ وَأَحْبَابُ
وَنَحْنُ لِلْسَّيْفِ يَوْمَ النَّفْعِ أَرْبَابُ
وَفِيكُمْ لِرُؤُوسِهِ الْغَدْرُ أَتْرَابُ

يَا دُمِيَّةَ الْحُسْنِ بَيْنَ الْحَبِّ أَبْوَابُ
يَرُوقُ لِي إِنْ سَرَى طَيْفٌ بِخَاطِرَتِي
لَكِنَّنَا فِي زَمَانٍ بَعْضُهُ مِرْقُ
وَبَعْضُهُ الْمَوْتُ إِعْصَارٌ، وَقَارِعَةٌ
جَثَّتْ عَلَى الْوَهْنِ أَنْفَاسٌ مُحْطَمَةٌ
تَبِيعُ لِلْقَهْرِ أَسْمَالًا مُبَلَّلَةً
شَرَابُهَا مِنْ جُرُوحِ الصَّمْتِ تَنْهَلُهُ
تَرَى الدَّوَاهِي وَقَدْ سَاءَتْ مَلَامِسُهَا
عَصَائِبُ تَنْثُرُ الْأَفْكَارَ قَاتِلَةً
تُثِيرُ فِي عَظْفِهَا الدَّاهِي مَشَاعِرَنَا
عَلَى الْمَلَالَةِ دَهْرٌ كَمْ يُورِّقُنَا
يَقُودُنَا لِخِصَمٍ تَاهَ آخِرُهُ
مَاذَا جَنِينَا وَدَاعِي السَّلْمِ يَنْظُرُنَا
تَسْتَمِطِرُ النَّصْرَ فِي دُنْيَا مُعْرِبَةٍ
مَا صَانَ صِهْيُونُ لِلْإِسْلَامِ حُرْمَتَهُ
أَفْكَارُ مَا سُونَ تَحْيَا فِي ضَمَائِرِهِمْ
وَالْعَالَمُ الْيَوْمَ يَخْشَى مِنْ جَرَائِمِهِمْ
يَا قَوْمَ صِهْيُونِ مَا هَانَتْ عَزَائِمُنَا
أَضَلَّكُمْ مِثْلَمَا قَدْ ضَلَّ سَامِرُكُمْ

يَا لَيْتَ فِرْعَوْنَ قَدْ أَوْدَى بِسَيِّئِكُمْ
لَقَدْ تَسَاوَى بِكُمْ فِرْعَوْنُ مَنْزِلَةً
مَا أَخْطَأْتَكُمْ عُيُونُ الدَّهْرِ فِي حَذَرٍ
يَا قُدْسَنَا الطَّاهِرَ الشَّاوي عَلَى أَمَلٍ
يَوْمُ الْخَلَاصِ دَنَا وَالنَّارُ عَاصِفَةٌ
إِخْوَانُنَا فِي جَمِيعِ الْأَرْضِ مَا جَبُنُوا
نَسْتَلْهُمْ الصَّوْتُ مِنْ دَاعٍ يُجْمَعُنَا
لَمْ يَبْقَ عَهْدٌ وَمِيثَاقٌ نُؤْمَلُهُ
كَيْفَ السَّلَامُ مَعَ الْبَاغِي وَمَا رَغِمَتْ
كَيْفَ السَّلَامُ وَدَيْنُ اللَّهِ حُجَّتُنَا
كَيْفَ السَّلَامُ نَبِيِّ اللَّهِ حَذَرْنَا
فَشِرْعَةُ اللَّهِ عَدْلٌ فِي خَلَائِقِهِ
أَحْلَامُهُمْ أَنْ يَسُودُوا بَيْنَ أُمَّتِنَا
أَضْغَاثُ وَهْمٍ وَمَا لِلَّوْهَمِ آخِرَةٌ
قُلْ لِلْيَهُودِ وَقَدْ بَانَ تَعَالِيَهُمْ
يَا إِخْوَةَ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ وَحَدَّنَا
أَمَالُنَا فِي رِحَابِ الْخُلْدِ وَارِفَةٍ
أَرْضُ الْجَنَانِ وَقَدْ رَقَّتْ بَيَارِقُهَا
يَا أُمَّةَ الْحَقِّ رَأَيْتَ فَوْقَنَا لُجْجَ
يَا كَمْ تَأْجِجُ نَارٍ فِي مَدَائِنِنَا
مَا لِلْعُدَاةِ - وَقَدْ بَانَ دَخَائِلُهَا -
تَسْقِي فَشَرِبُ أَعْذَارًا مُنْمَقَةً

وَلَيْتَكُمْ مِنْ زَمَانِ التَّيِّهِ أَخْشَابُ
وَكُلُّكُمْ لِدَمَارِ الْخَلْقِ أَسْبَابُ
وَقَدْ تَنَادَى بِكُمْ لِلْغَدْرِ أَصْلَابُ
أَنْسَامُهُ لِلْفِدَا نَصْرٌ وَتَرْحَابُ
وَالْمُسْلِمُونَ عَنِ الثَّارَاتِ مَا غَابُوا
وَمَا تَوَارَى بِهِمْ حَقٌّ وَمَا عَابُوا
وَكُلُّنَا فِي سَبِيلِ الْحَقِّ طَلَابُ
كَمَا يُسَاوِمُنَا بِالْبَيْخِ «نَصَابُ»
مِنَّا النُّفُوسُ وَرَوْضُ الْمَوْتِ مِعْشَابُ
كَمْ يَمْكُرُونَ وَمَكْرُ اللَّهِ غَلَابُ
إِنَّ الْيَهُودَ بِنَبَذِ الْعَهْدِ قَدْ حَابُوا
وَشِرْعَةُ الظُّلْمِ يَرْوِي هَوْلَهَا الْغَابُ
يَقُودُهُمْ فِي طَرِيقِ الْوَهْمِ عَرَابُ
وَلَيْسَ يُجْدِي مَعَ الْجُهَالِ آدَابُ
نَحْنُ الْأَسْوَدُ وَلِلْهَيْجَاءِ خُطَابُ
لَا لَنْ يُفَرِّقَنَا فِي اللَّهِ أَحْسَابُ
وَنَحْنُ لِلْحَقِّ حُرَّاسُ وَنُؤَابُ
رِيَاضُهَا مُثْمِرَاتٌ وَهِيَ أَغْنَابُ
وَنَحْنُ فِي أَلْقِ الْإِسْلَامِ أَطْنَابُ
يُثِيرُهَا حَاقِدٌ فِينَا وَمُزْتَابُ
شَرَابُهَا مِنْ صُنُوفِ الشَّرِّ أَكْوَابُ
لَا الرُّشْدُ أَيْقَظُهُمْ يَوْمًا وَمَا ثَابُوا

تَحُوكُ مِنْ جَنْفِ الْأَرْزَاءِ مُحْتَنًا
يَهُولُنَا زَعْمُ أَفَّاكِ يُخَادِعُنَا
إِنَّ الْمَظَالِمَ مَا ضَلَّتْ مَصَائِرُنَا
يَغْتَالُنَا الصُّرْبُ مَا ضَجَّتْ جَوَانِحُنَا
مَا يَنْتَهِي أَلَمٌ إِلَّا عَلَى أَلَمٍ
كَمْ يَزْعُمُونَ بِنَانَا مِنْ صَنَائِعِهِمْ
عُرْبٌ وَلِلدَّهْرِ أَبْصَارٌ تُنَاطِرُنَا
كُلُّ الْعُرُوشِ تَهَاوَتْ فِي مَدَائِنِهَا
تَدْعُو إِلَى اللَّهِ أَبْصَارٌ وَأَفْسِدَةُ
مَوَاكِبٍ مِنْ شِدَادِ الْخَيْلِ تَحْمِلُهَا
سَادَ الزَّمَانُ بِنَا يَوْمًا عَلَى أُمِّ
تَضَوَّعَتْ مِنْ أَرِيحِ الدَّهْرِ هَامَتًا
يَا ضَيْعَةَ الرُّشْدِ إِنْ أَضَحَتْ رَغَائِبُنَا
أَوْ قَارَعَتْنَا عُقُولُ كُلِّهَا وَهَنْ
فَالدَّهْرُ لَا يَقْتَرِي وَجْهًا يُوَثِّمُهُ
قَدْ نَلْتَقِي أَمَلًا يَوْمًا يُظِلُّلُنَا
وَقَدْ يَعُودُ لَنَا مَجْدٌ نُبَارِكُهُ
مَتَى يَرِفُ السَّنَا طَيْفًا يُرَاوِدُنَا
وَجْهَ الْعُرُوبَةِ وَالْإِسْلَامِ رَائِدُهَا
جِئْنَا إِلَيْكَ إِلَهَ الْخَلْقِ فِي خَجَلٍ
لَا تَعْدِلُونِي إِذَا مَا صَحْتُ مِنْ أَلَمِي
غَدًا سَتُشْرِقُ بِالْأَفْرَاحِ أُمَّتُنَا

مِنْ كُلِّ زَيْفٍ لَهَا لَوْنٌ وَأَثْوَابُ
وَكُلُّ حِينٍ يُثِيرُ الْوُجْدَ قَصَابُ
وَمَا تَجَافَى عَنِ الثَّارَاتِ هَيَّابُ
وَمَا تَنَادَى إِلَى الشَّيْشَانِ غِيَابُ
وَالْجُرْحُ فِينَا، وَلِلْأَعْدَاءِ إِعْجَابُ
وَأَنَّنَا فِي عُيُونِ الْحَقِّدِ أَغْرَابُ
وَنَحْنُ فِي قِمَمِ التَّارِيخِ أَقْطَابُ
وَأَشْرَقَتْ بِضِيَاءِ الْحَقِّ أَلْبَابُ
وَكُوْنُزُ الْعَدْلِ بِالإِسْلَامِ يَنْسَابُ
وَفَارِسُ فِي وَجْهِهِ الْكُفْرِ وَثَابُ
آثَارُهُ لِلرُّؤْيَى وَرَدُّ وَلَبْلَابُ
وَصَوَّحَتْ مِنْ لَهَيْبِ الْوُجْدِ أَجْنَابُ
وَأَدَّ الطُّمُوحُ وَعُمُرُ السَّبَقِ أَوْشَابُ
أَوْ سَاوَرْتُنَا بِكُثْرِ الظَّنِّ أَحْبَابُ
وَلَا يَرُومُ النَّدَى فَخْرٌ وَأَنْسَابُ
وَتَرْتَقِي فِي رِحَابِ الْعُمْرِ أَعْتَابُ
يُضِيئُنَا فِي رِحَابِ الْقُدْسِ مِحْرَابُ
وَتَسْتَرِيحُ مِنَ الْأَوْهَامِ أَغْصَابُ؟
وَسُنَّةُ الْمُصْطَفَى هَدْيٌ وَإِخْصَابُ
وَأَنْتَ يَا رَبَّ حَنَّانُ وَتَوَّابُ
فَإِنَّكُمْ لَجُفُونِ الْعَيْنِ أَهْدَابُ
إِنْ جَمَعْتُنَا عَلَى الْإِخْلَاصِ أَسْبَابُ

سَيِّبَنِي الْفِكْرُ أَجْيَالًا مَعَاظِلَهَا
وَيَسْحَقُ الْهَوْلُ إِنْ جَدْتُ عَزَائِمَنَا
فَمَا يَجُوسُ دِيَارَ الْعُرْبِ مُحْتَقَرُ
لَا نَزْطِي الذَّلَّ حَتَّى لَوْ يُجَشِّمَنَا
يَا فَارِسَ الْحَقِّ خَيْلُ النَّصْرِ وَاقِفَةٌ
قَدْ شَفَّنَا الصَّبْرُ أَعْوَامًا وَأَزْمِنَةً
سَنَنْهَلُ الْحَبَّ أَقْدَاحًا مُعْتَقَةً
وَإِنْ تَخَابَثَ مِنْهُمْ كُلُّ ذِي حِيلٍ
يَا دُمِيَّةَ الْحُسْنِ لَا تَأْتِي مُغَاضِبَةً
لِلَّهِ نَضْرَعُ أَنْ يُعْلِي مَنَائِرَنَا

خَيْلٌ وَجُنْدٌ وَأَسْيَافٌ وَأَنْشَابُ
حَقْدِ الطُّغَاةِ وَلَيْلُ الظُّلَمِ يَنْجَابُ
وَلَا يُغَيِّرُ عَلَى الْأَوْطَانِ نَهَابُ
خَوْضِ الْمَنَايَا وَمَا أَلَوَى بَنَا الصَّابِ
وَأَنْنَا لِبُلُوغِ الشَّأْوِ رُكَّابُ
فَهَلْ يُعِيدُ «صَلَاةَ الدِّينِ» أَنْجَابُ؟
وَالْأَرْضُ يَغْنَى بِهَا طَيْرٌ وَأَعْشَابُ
مَا اسْتَعْلَقَتْ بَيْنَنَا لِلْفِكْرِ أَبْوَابُ
قَدْ يَلْتَقِي فِي شَتَاتِ الْعَصْرِ أَحْبَابُ
وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ بِالْخَيْرِ وَهَّابُ

التَّحْلِيلُ الْإِفْتِرَاضِيُّ لِلْعَقْلِ الْعَرَبِيِّ

دَرَجَتِ الْمَدَارِسُ الْفَلَسَفِيَّةُ مِنْذُ أَفْلَاطُونٍ وَأَرِسْطُو عَلَى الْفَلَسَفَةِ النَّظَرِيَّةِ الْمُتَأَتِيَةِ بِالتَّأَمُّلِ وَالِاسْتِقْرَاءِ وَالْبَحْثِ، فَكَانَتْ تِلْكَ الْمَدَارِسُ تَهْتَمُّ بِالصُّورَةِ الْمَرْتَبَةِ بِالنَّظَرِ وَالْخِيَالِ وَالْحِسِّ وَالتَّقْرِيبِ الْإِفْتِرَاضِيِّ لِلْمَاهِيَّاتِ الْمُحَدَّثَةِ لِمُكَوِّنَاتِ الْمَعْرِفَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، بِمَا أَسَّسَهُ عِلْمُ الْفَلَسَفَةِ ابْتِدَاءً، حِينَمَا كَانَ يَنْطَلِقُ مِنَ الرُّؤْيِ الدِّيْنِيَّةِ الَّتِي تُهَيِّمُنْ عَلَيْهَا الْكَنِيسَةُ اللَّاهُوتِيَّةُ عَبْرَ الْحَقِّبِ الزَّمْنِيَّةِ، وَقَدْ تَأَثَّرَ بِهَا الْمُفَكِّرُونَ الْأَوْرَبِيُّونَ بِصِفَةٍ خَاصَّةٍ مِثْلَ: كَانَتْ، وَدِيكَارْتِ، وَبِيكُونِ، وَسَبِيئُورَا، وَبُومْبُونَاتَرِي، وَمُونْتِنِ، وَمَكِيَاْفِيلِي، وَجَالِيلِيُو، وَجِرْبِرِي، وَبَطْلِيمُوسَ، وَكُوسَا، وَلُوتَرِ، وَزِرْنِكَلِي، وَكَالْفَنِّ، وَتِلِسِيُو، وَلِيُونَارْدُو دَاْفِينْشِي، وَكِلَرِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ مُنْظَرِي الْفَلَسَفَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ لِعَصْرِ النُّهْضَةِ الَّذِي اسْتَوْعَبَتْهُ إِيطَالِيَا بِاتِّجَاهَاتِهِ الْمُجْتَمِعَةِ فِي التَّارِيخِ وَالْفَلَسَفَةِ وَالْفَنِّ لِارْتِبَاطِهَا بِالْعَالَمِ الْإِغْرِيقِيِّ، فَكَانَتْ مَرْكَزًا لِاجْتِنَابِ الْقُدْرَاتِ الْفَكْرِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ وَالْأَدْبِيَّةِ، بِمَا صَاحَبَ ذَلِكَ مِنْ تَحَرُّرٍ فِكْرِيٍّ أُعْطِيَ الْمَوْشَرُّ لِلْخُرُوجِ مِنْ هَيْمَنَةِ الْكَنِيسَةِ الضَّارِبَةِ عَلَى تَحَرُّرِ الْأَفْكَارِ وَشَلِّ حَرَكَةِ الْعَقْلِ، حَتَّى لَا يَكُونَ أَدَاةً لِلْمَعْرِفَةِ لِدِرَاسَةِ الْمَفَاهِيمِ الْكُونِيَّةِ بِأَتَارِهَا الْأَخْلَاقِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ أَوْرُوبًا تَعِيشُ عَصْرَ التَّخَلُّفِ الْعِلْمِيِّ فِي الْعَصْرِ الْوُسْطَى، مِمَّا جَعَلَ لِلْعُلَمَاءِ الْفَلَسَفَةِ دَوْرًا مُهِمًّا وَخَلَاقًا فِي تَطَوُّرِ الْفِكْرِ الْإِنْسَانِيِّ وَتَعَاقِبِهِ، وَالْإِفَادَةِ مِنْ مُعْطَيَاتِ الْفَلَسَفَةِ وَاخْتِلَافِ مَدَارِسِهَا وَرُؤَاهَا الْفَكْرِيَّةِ، لِنُصَبِّ فِي خَيْرِ الْإِنْسَانِيَّةِ بِإِشْعَالِ مَوَاقِدِ الْأَذْهَانِ نَحْوَ الْبَحْثِ وَالتَّأَمُّلِ، وَالِاسْتِقْصَاءِ وَالتَّجْرِبِ وَالتَّحْلِيلِ، حَتَّى أَثْمَرَتْ هَذِهِ النُّتَاجُ الْعِلْمِيَّةُ مَعْرِفَةً بَعْضُ أَسْرَارِ الْكُونِ الْمُحْتَجِبَةِ عَنِ الْعَقْلِ الْإِنْسَانِيِّ طَوَالَ ذُهُورِ مَرَّتٍ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي عَصُورِ الْجُمُودِ الْفِكْرِيِّ إِنْ صَحَّتْ تَسْمِيَّتُهَا بِهَذِهِ التَّسْمِيَةِ، نَظَرًا لِأَنَّ التَّارِيخَ الْإِنْسَانِيَّ لَمْ يَتْرُكْ آثَارًا مُحَقَّقَةً لَتَطَوُّرِ الْفِكْرِ الْفَلَسَفِيِّ قَبْلَ مَدَارِسِ الْفَلَسَفَةِ الْيُونَانِيَّةِ، وَكَانَتْ مَادَّتُهُ الْأُولَى قَائِمَةً عَلَى الدِّينِ وَأَحْكَامِ الْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ دُونَ إِعْمَالِ الْعَقْلِ لِلتَّفَكِيرِ وَالتَّدَبُّرِ فِي مَلَكُوتِ التَّكْوِينِ الْإِلَهِيِّ الْمَنْظُورِ وَالْمَخْفِيِّ، وَالْمُمْكِنِ وَالْمُسْتَحِيلِ وَالْمُعْتَبِ عَنِ الْبَصَائِرِ وَالْعُيُونِ، حَتَّى تَفْتَقَ الْعَقْلُ الْإِنْسَانِيُّ بِهَذِهِ الْقُدْرَاتِ الْعِلْمِيَّةِ فِي اسْتِفْتَاكِ مَغَالِيْقِ الْمُمْكِنِ وَالْمُحْتَمَلِ وَالْمَسْمُوحِ، فَأَمَكَّنَهُ التَّحَدُّثُ بِعَظَمَةِ الْفِكْرِ الْإِنْسَانِيِّ فِي تَطَوُّرِ الْبَشَرِيَّةِ، لِيُمَثِّلَ الْحَقَائِقَ الْمَلْمُوسَةَ وَالْمَرْتَبَةَ وَالْمَحْسُوسَةَ وَالْمَقْرُوءَةَ وَالْمَكْتُوبَةَ

عَلَى صَفَحَاتِ كِتَابِ الْإِعْجَازِ الْإِلَهِيِّ لِلخَلْقِ وَالتَّكْوِينِ، وَنَحْنُ حِينَ قَدَمْنَا نِمَازِجَ الْفِكْرِ الْفَلَسَفِيِّ الْأُورُبِّيِّ قَدَمْنَاهَا كَفِكْرٍ إِحْيَائِيٍّ تَسْلُسُلِيٍّ لَمْ يَنْقَطِعْ تَوَاتُرُ عُلَمَائِهِ وَمُفَكِّرِيهِ وَتَلَافُحُ تِلْكَ الْأَفْكَارِ مَعَ مُفَكِّرِي الشَّرْقِ الْعَرَبِيِّ مِثْلَ ابْنِ سِينَا، وَابْنِ خَلْدُونٍ، وَالْفَارَابِيِّ، وَابْنِ رُشْدٍ، وَالْغَزَالِيِّ، وَالْخَوَارِزْمِيِّ وَجَابِرِ بْنِ حَيَّانٍ، وَابْنِ الطُّفَيْلِ، وَالْكَوَاكِبِيِّ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ تَرَكُوا بَصِمَاتِهِمُ الْعِلْمِيَّةَ وَالْفِكْرِيَّةَ عَلَى الْفِكْرِ الْعَالَمِيِّ، غَيْرَ أَنَّنَا نُنِيرُ إِلَى أَنَّ عَصْرَ النَّهْضَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ اعْتَمَدَ عُلَمَاؤُهُ عَلَى التَّكْوِينِ الْعِلْمِيِّ الْفَرْدِيِّ كَمَدَارِسَ مُتَخَصِّصَةٍ بِعُلُومِهَا وَمَنَاهِجَهَا وَطَرِيقَةِ تَفْكِيرِهَا وَاسْتِنْتَاجَاتِهَا، وَمَا تَلَاهَ حَتَّى عَصْرِ الْإِحْيَاءِ الْمُتَمَثِّلِ فِي كَوَكْبَةٍ مِنَ الْمُفَكِّرِينَ وَالْعُلَمَاءِ الْعَرَبِ مِثْلَ مُحَمَّدٍ عَبْدُهُ، وَالْعُقَادِ، وَد. زَكِي نَجِيبٍ مَحْمُودٍ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بَدَوِيِّ وَغَيْرِهِمْ، ثُمَّ انْقَطَعَتْ جُذُورُ التَّوَاصُلِ مَعَ أَفْكَارِ وَعُلُومِ الْعُلَمَاءِ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ عَنِ التَّوَاتُرِ وَالِاسْتِمْرَارِ مَعَ مُعْطَيَاتِ السَّلَفِ، سِوَى بَعْضِ الْإِرْهَاصَاتِ الْفِكْرِيَّةِ، ثُمَّ لَا تَلَبُّثُ أَنْ تَوَادَّ فِي عَقْلِ الْإِنْسَانِ الْعَرَبِيِّ، مِمَّا أُحْدِثَ جُمُودًا فِي الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ اسْتَدْرَكَهُ عُلَمَاءُ الْعَرْبِ فَعَكَّفُوا عَلَى مُوَاصَلَةِ الْبَحْثِ وَالتَّنْقِيبِ وَالدَّرْسِ لِلْآثَارِ الْفِكْرِيَّةِ السَّابِقَةِ وَطَوَّرُوهَا مِنْ خِلَالِ النُّظَرِيَّاتِ، وَأَعْمَلُوا الْفِكْرَ فِي حَرَكَةِ التَّنْوِيرِ الْإِنْسَانِيِّ لِيُحْدِثُوا هَذِهِ الثَّقَلَةَ الْمُتَجَاوِزَةَ فِي الْإِعْجَازِ الْفِكْرِيِّ وَالْعِلْمِيِّ، وَلَمْ يَكُنِ الْعَقْلُ الْعَرَبِيُّ قَابِلًا لِلتَّطَوُّرِ إِلَّا عَنْ طَرِيقِ الْفِكْرِ الْفَرْدِيِّ، عَلَى عَكْسِ الْعَقْلِ الْأُورُبِّيِّ الَّذِي يَتَطَوَّرُ مِنْ دَاخِلِ الْفِكْرِ الْجَمْعِيِّ التَّعَاقُبِيِّ، ذَلِكَ مَا أَدَّى إِلَى حَيَاتِهِ وَمَوَاتِ الْفِكْرِ الْفَلَسَفِيِّ الْعَرَبِيِّ الْإِسْلَامِيِّ.

وَلَا بُدَّ لَنَا مِنَ الْإِشَارَةِ إِلَى الْعَوَامِلِ الَّتِي قَعَدَتْ بِالْفِكْرِ الْفَلَسَفِيِّ الْعَرَبِيِّ عَنِ الْإِبْدَاعِ وَمُوَاصَلَةِ انْبِثَاقَاتِهِ الْفِكْرِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ الَّتِي تَمَثَّلَتْ فِي حَالَاتِ الضَّعْفِ الَّذِي صَاحَبَ أَفْوَلاً مَجْدِ الْإِمْبِرَاطُورِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي آخِرِ مَعَاوِلِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْأَنْدَلُسِ، حِينَ تَقَسَّمَتْ تِلْكَ الْإِمْبِرَاطُورِيَّةُ إِلَى دُوِّيَلَاتٍ تَخْضَعُ لِلْأَحْكَامِ الْعَشَائِرِيَّةِ وَالْقَبَلِيَّةِ وَالْعَصَبِيَّةِ الْعِرْقِيَّةِ وَالْإِنْتِمَاءِ إِلَى الْفَرْدِ وَالْوُقُوعِ تَحْتَ تَأْثِيرِ الْإِفْتِتَانِ بِالثَّرْوَةِ وَالْمَنْصِبِ وَالْجَاهِ الْمَوْقُوتِ، دُونَ تَحْقِيقِ مُوَاصَلَةِ الرِّيَادَةِ الْعِلْمِيَّةِ، وَالِاسْتِكَانَةِ إِلَى الدَّعَةِ، وَالْخُلُودِ إِلَى الْمُتَعَةِ، وَالتَّزَوُّعِ إِلَى التَّصَابِيِ وَالْوَلَعِ بِالْغَانِيَّاتِ وَالْوُلْدَانِ، وَالِاجْتِمَاعِ عَلَى تَعَاطِيِ الْخُمُورِ، وَالتَّفَنُّنِ فِي التَّفَاقِ وَتَالِيهِ الْحَاكِمِ وَالرَّئِيسِ فِي الْقَبِيلَةِ وَالْعَشِيرَةِ، وَوُقُوعِهِمْ تَحْتَ اسْتِعْبَادِ الْبَذَخِ وَالتَّرَفِ، غَيْرَ مُلَمِّينَ

بِخُطُورَةِ الْإِنْحِطَاطِ الْفِكْرِيِّ الَّذِي اُمْتَدَّ تَأْثِيرُهُ عَلَى الْأَجْيَالِ حَتَّى وَصَلَ بِهِدِهِ الْأُمَّةُ إِلَى أَدْنَى مُسْتَوَيَاتِ الضَّعْفِ لِلْإِنْسَانِ الْعَرَبِيِّ وَالْمُسْلِمِ، وَتَرَكَ آثَارَهُ عَلَى هَذِهِ الْأَجْيَالِ الْمُعَاصِرَةِ. وَمِنْ هُنَا نَلْمُسُ الْفَارَقَ بَيْنَ الْفِكْرِ الْمُنْتَمِي لِلْمَجْمُوعِ وَالْمَجْمُوعِ الْمُنْتَمِي لِلْفِكْرِ الْفَرْدِيِّ الَّذِي عَاشَ مُنْبَتَّ الصَّلَاتِ الْفِكْرِيَّةِ مَعَ الْأَجْيَالِ الْمَاضِيَةِ، إِلَّا مَا نَدَّرَ مِنْ بَعْضِ الْمُحَاوَلَاتِ الْفِكْرِيَّةِ الَّتِي لَا تَلْبِثُ أَنْ تَخْبُو خَلْفَ سُدُودِ النَّسْيَانِ وَالْإِحْبَاطِ الَّذِي أَوْجَدَ أُمَّةً مُتَكَلِّةً عَاجِزَةً، أَنَّهُكَهَا التَّرَفُّ وَالنَّعِيمُ الْمُمَرِّضُ لِلْعَزَائِمِ الَّتِي مِنَ الْمُفْتَرَضِ أَنْ تَكُونَ صَانِعَةً لِمُقَدَّرَاتِهَا وَأَقْدَارِهَا، غَيْرَ رَاضِيَةٍ بِالْمَذَلَّةِ وَالْخُنُوعِ وَالضَّيَاعِ وَالْعُوزِ وَالْفَقْرِ وَالتَّسْوُلِ عَلَى مَوَارِدِ الْعُلُومِ وَالْأَفْكَارِ الْغَرْبِيَّةِ، لَتَفْشَعَ تِلْكَ الشَّجَفُ السُّودَاءُ وَغِلَاظِلُ الظَّلَامِ وَالْبُؤْسِ وَالتَّشَرُّدِ عَنْ قُلُوبِهَا، وَتَرْفَعَ غِطَاءُ الْجَهْلِ عَنْ عِيُونِهَا، لَا أَنْ تَسْتَسْلِمَ رَاضِيَةً لِلْمَوْتِ الْفِكْرِيِّ. وَهَذَا نَحْنُ الْيَوْمَ فِي الْقَرْنِ الْوَاحِدِ وَالْعِشْرِينَ نَمُوجُ فِي لَيْلٍ دَامِسٍ، وَنَحْتَقِبُ الْآلَامَ، وَنُخْفِي وَجُوهَنَا مِثْلَ النَّعَامِ فِي الثَّرَى خَشْيَةَ الْعَارِ الَّذِي يَلْحِقُنَا مِنْ جَرَاءِ فَقْدَانِ الْوَسَائِلِ الَّتِي نَتَوَخَّاهَا لِنُخْرِجَنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَلَا نَجِدُهَا وَكَانَهَا ضَاعَتْ مِثْلَمَا أَضَاعَ السَّامِرِيُّ قَوْمَهُ، وَلَيْتَنَا مِثْلَهُمْ قَضَيْنَا فِي التَّيِّهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَقَطْ، وَلَكِنَّهَا دُهِوْرٌ وَحَقْبٌ وَسُنُونَ وَأَيَّامٌ وَسَاعَاتٌ وَثَوَانٌ مُحْسُوبَةٌ عَلَيْنَا مِنْ أَعْمَارِنَا وَضِدَّ أَعْمَالِنَا، وَلَعَلَّنَا نَكُونُ مُتَفَائِلِينَ رَغْمًا عَنَّا بَغِيَّةِ إِحْيَاءِ الْعَزَائِمِ لِلْأَجْيَالِ الْقَادِمَةِ، بِأَنْ تُمِيطَ الْحُجُبَ عَنْ وَجُوهِهَا وَتَرْفَعَ عَنْ كَوَاهِلِ الزَّمَانِ هَذَا الْعَنَتَ وَهَذَا الرَّهَقَ وَهَذَا الْإِسْتِسْلَامَ، لِنَعْرُكَ جُفُونَ عِيُونِهَا مِنْ جَدِيدٍ عَلَى صُبْحٍ قَادِمٍ بِإِشْرَاقِ الْجُهْدِ وَالتَّعَبِ، لِنَحْقِيقَ الْعُلُوَّ وَالتَّسَامِيَّ وَطَرْدَ الْيَأْسِ وَإِشْعَالَ أَنْوَارِ الْعِلْمِ، لَعَلَّنَا نُشْرِقَ مِنْ جَدِيدٍ أُمَّةً عَرَبِيَّةً مُسْلِمَةً تَسْتَعِيدُ مَكَانَتَهَا فِي عَوَالِمِ الْأَرْضِ، وَتُعِيدُ إِلَى الْأَذْهَانِ قِيَمَتَهَا الْمُسْلُوبَةَ وَالْمَفْقُودَةَ، مِنْ خِلَالِ التَّنْظِيرِ الْوَاعِيِّ؛ لِنَدَارِكَ مَا يُمَكِّنُ تَدَارُكُهُ، لِنَلَّا يَسْتَبْدَّ بِنَا التَّيِّهِ وَالضَّيَاعُ مَدَى الْحَيَاةِ، وَنَكْتُبَ عَلَى أَنْفُسِنَا سُخْرِيَةَ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ.

مِنْ شِعْرِي

يَا أُمَّةً تَعْرِفُ الْأَعْدَاءَ رَفَعَتْهَا
لَا النُّورُ يُشْرِقُ حَقًّا فِي مَدَائِنِنَا
الظُّلُمُ سَادَ، وَمَنْ يَدْرِي عَوَاقِبُهُ؟
فَلَنُوقِظِ الْعَصْرَ مِنْ أَحْلَامِ غَفْوَتِهِ
يَا أُمَّتِي، أُمَّةَ الْإِسْلَامِ قَاطِبَةً
وَاسْتَنْفِرِي الْعِزَّمَ وَثَابًا إِلَى قِمَمِ
فَمَا الْعُرُوبَةُ أَحْقَادًا وَتَفْرِقَةً
تَوَشَّحَ الدَّهْرُ مِنْهَا أَيَّ تَوَشِيحِ
وَمَوْلِدُ النُّورِ فِي أَفْيَائِنَا مُوَحِ
إِذَا اسْتَشَاطَ بِمَقْهُورٍ وَمَقْمُوحِ
نَسْتَنْقِذُ الْعُمَرَ أَوْ نَحْطِي بِتَسْرِيحِ
سُوقِي إِلَى النَّصْرِ فَتَحًا غَيْرَ مَفْتُوحِ
تَسْتَمِطِرُ الشَّمْسُ أَقْمَارًا عَلَى الرِّيحِ
إِنَّ الْعُرُوبَةَ وَضَلَّ الرُّوحُ بِالرُّوحِ

الفكر

إِذَا اغْتَامَ الْأَوْطَانُ الظَّلَامَ لَا يُضِيئُهَا إِلَّا شَمْسُ الْعِلْمِ، الَّتِي بِإِشْرَاقِهَا تَهْتَدِي الْبَصَائِرُ، لَتَسْتَفْتَحَ مَعَالِيكَ الْكَوْنِ لِاسْتِجْلَاءِ حَقَائِقِ الْمَكْنُونِ الَّذِي شَاءَ لَهُ اللَّهُ أَنْ يَظْهَرَ؛ لِيَرَى الْإِنْسَانُ قُدْرَةَ الْخَالِقِ، وَمُعْجَزَةَ التَّكْوِينِ، وَمَاهِيَةَ الْأَسْمَاءِ وَالْأَشْيَاءِ الَّتِي عَلَّمَهَا لِابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ)، حِينَ جَهَلَهَا الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَمِنْ هُنَا يَبْدَأُ فَتْحُ أَبْوَابِ الْمَعْرِفَةِ لِلْعَقْلِ، لِيَبْدَأَ عَمَلَ الشَّرِيطِ الذَّهْنِيِّ بِالتَّسْجِيلِ فِي بُورَةِ الشُّعُورِ لِابْتِجَادِيَّاتِ الْعِلْمِ الْكُونِيِّ، لِيَتَّخِذَ الْعَقْلُ أَدَوَاتِهِ بِالْحِسِّ وَاللَّمْسِ وَالنَّظَرِ لِأَعْمَالِ مَكَامِنِ التَّفَكِيرِ وَإِنْتِاجِ الْمَعْرِفَةِ الْمُتَحَقِّقَةِ بِالتَّبَادُلِ بَيْنَ الْأَفْكَارِ، وَتَفْسِيرِ الْمَعْنَى الْمَشْمُولِ بِالتَّأثيرِ وَالتَّأثيرِ الصَّوْتِيِّ وَالْبَصَرِيِّ وَاللَّمْسِيِّ الَّتِي بِهَا أَوْ بِأَحَدِهَا يَتِمُّشَلُ الْإِدْرَاكُ لِلْمَرْتَبَاتِ وَالْمَحْسُوسَاتِ وَالْمَوْجُودَاتِ، حِينَ تَنْطَلِقُ مِنَ الْأَلْسِنَةِ الْفَاطِ وَمَعَانٍ وَعِبَارَاتٍ تُجَسِّدُ وَقَائِعَ الْأَشْيَاءِ يَحْفَظُهَا الشُّعُورُ أَوْ تُسَجِّلُهَا الْأَفْلامُ عَلَى الْأَوْرَاقِ، لِيَتِمَّكَنَ الْفِكْرُ الْمُتَلَقِّي مِنَ الْحَوَارِ لِإثْبَاتِ الْحَقَائِقِ، لِلتَّفَاعُلِ مَعَ الضَّرُورِيِّ، وَالِاسْتِثْنَائِيِّ، وَالتَّقْرِيبِيِّ، وَالْمُتَبَاعِدِ حِينَ تَخْرُجُ مِنْ مَعَامِلِ التَّحَالِيلِ الْفِكْرِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْوَاعِيَةِ وَالْمُدْرَكَةِ لِمَوْجِبَاتِ التَّلَافُحِ بَيْنَ الْأَفْكَارِ الْمُؤَثِّرَةِ الْمُلهِمَةِ وَالْمُلهِمَةِ، لَا الْأَفْكَارِ الْعَامِيَّةِ التَّابِعَةِ الْمُتَلَقِّيَةِ وَالتَّأثيرِ، وَهَذَا الْإِخْتِلَافُ فِي خَلَايَا الْعُقُولِ هُوَ الَّذِي يُمَثِّلُ الْفَارِقَ بَيْنَ النُّصُوجِ وَالِارْتِفَاعِ فِي الْقُدْرَةِ وَالتَّقْدِيرِ لِلتَّمَايزِ بَيْنَ قِيَمَةِ الْفِكْرِ وَالْفِكْرِ الْآخِرِ ارْتِفَاعًا وَانْخِفَاضًا فِي الذِّكَا الْفُطْرِيِّ وَاسْتِعْمَالَاتِهِ فِي تَحْدِيدِ الْخُصُوصِيَّةِ الْفَرْدِيَّةِ، لِنَشْأِ التَّكَامُلِيَّةِ النَّوعِيَّةِ فِي الْمَجْمُوعِ الْعَاقِلِ الْمُفَكِّرِ الَّذِي لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا اسْتَقْرَاهَا وَقَرَأَ مَدْلُولَاتِهَا لِيَسْتَفْرِعَهَا عِلْمًا مُخْتَلَفًا أَنْوَاعُهُ وَأَشْكَالُهُ وَأَهْدَافُهُ، فَيَصُبُّهُ فِي وَعَاءِ الْمَعْرِفَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ لِيَنْهَلُ مِنْهُ كُلُّ إِنْسَانٍ قَدَرَ حَاجَتِهِ وَاسْتَطَاعَتِهِ وَمُيُولِهِ وَرَغْبَاتِهِ وَتَخَصُّصَاتِهِ.

فَالْخَلَايَا الذَّهْنِيَّةُ مِنْ مَكُونَاتِ الْعَقْلِ فِي الْمَخْلُوقِ الْإِنْسَانِيِّ وَالْحَيَوَانِيِّ لِاسْتِمْرَارِ الْحَيَاةِ الْجِسْمِيَّةِ عَنْ طَرِيقِ الدَّوْرَةِ الدَّمَوِيَّةِ الْمُقَدَّرَةِ لِبَثِّ النَّبْضِ وَالْحَرَكَةِ، أَمَّا الْإِخْتِلَافُ فِي دَرَجَاتِ الْفِكْرِ وَمَقَائِيسِ التَّفَكِيرِ الَّتِي تَتَبَّأْنُ فِي الْإِنْسَانِ فَقَطْ، وَتَخْتَلِفُ مِنْ شَخْصٍ لِآخَرَ، حِينَ تَكُونُ نِسْبَةُ الذِّكَا عَالِيَةً أَوْ مُتَدَنِيَّةً، لِيَبْدُوَ لِلْعَيْنِ الْإِنْدَاعُ الَّذِي يَصْطَنِعُ التَّفَوُّقَ الْعَامِلِ الْمُنْجَزَ لِعِطَاءَاتِ الْفِكْرِ الَّذِي يَفْتُنُّ خَوَارِقَ الْأَمَالِ وَالْأَعْمَالِ، وَيُؤَكِّدُ مُعْجَزَةَ

الفكر في ابتكارات الأساليب والطرق، للازديقاء بالنوع الإنساني والبيئة المحيطة به، أو توجيه الفكر للعبث أو المخاطرة أو الهدم، تبعاً لسيطرة الأنا الخيرة أو الأنا الشريرة. وإذا عرفنا أن الفكر هو تفعيل وانفعال مع الأحداث والأشياء ينبعث من قناعات أمرية لتنفيذ تلك الأفعال المسؤولة وغير المسؤولة، النافعة والضارة، على سبيل أن افتراضية خيرية الفكر ومنفعته هي الفطرة، وما تنشده النفوس السيئة والأخلاق المظلمة لحياة البشر، الذي دعا إليه الرسل والأنبياء والفلاسفة والمفكرون وكلُّ محبٍّ للحياة، إلا أن الفكر استطاع أن يبدع في الشر كما أبدع في الخير، يستمدُّ تحولاته من القدرة العالمة المجربة الناجحة في اصطناع المواد الشريرة أو القوة المدمرة مثل القدرة المضطعة للمواد النافعة، والاختلاف يكمن في توظيف القدرة بقناعات الفكر المبدع في التدبير والهدم، حين تكون الدوافع إما فطرية أو انتقامية أو مكتسبة لغرض تحقيق الذات البطولية أو المترفة الثرية، أو لمجرد خلل في خلايا المخ يكون سبباً للأمراض النفسية، وهنا تتمثل القناعات المسيطرة غير المسؤولة في إحداث الأثر السلبي الذي ربّما يتماثل للشفاء بالعلاج الإكلينيكي.

أما الفكر الذي يفطر على الشر، وهو قادر على ابتكار الأساليب المحدثّة لآثاره الإجرامية؛ فهو فكرٌ مسؤولٌ عن تصرفاته، ولا يمكن علاجه لطبيعة التركيبات الكيميائية أو الجينية الموجودة فيه ميراثاً أو خلقاً، وهذا هو الفكر العدواني الذي تكون الطبيعة المتوحشة مسكونة في تصرفاته وتكون خطورته أبلغ وأشدَّ عنفاً لفقدانه للعاطفة المفترضة في الإنسان، لتحل القسوة والجبروت والظلم بدلاً منها، ولا يكون للفقر أو الغنى تأثيرهما على هذا الفكر المستقبل والمهيأ للمرتكبات بالفعل المألوف، ولا تكون العقوبة واردة على فكره لثقتة المفرطة بذكائه الذي يفتح له آفاقاً واسعة لإخفاء تبعات أفعاله الشريرة، وتتأكد تلك الثقة وتتجدد عندما ينجح في التنفيذ ويفلح في الهروب من المساءلة والعقوبة لتزداد ثقته بذكائه ويكرر أفعاله حتى يقع بعد عدة محاولات في يد العدالة، فإذا وقع كان إحساسه متبدلاً؛ لطبيعة القسوة التي فطرت نفسه عليها وأقنعه بها فكره، ولو أنه توفّر على العاطفة الفطرية لأحاطه الندم والمرارة وتمنى العفو والصفح، ولكنه يعرف مسبقاً قدراته الفكرية فيثق بأنه لن يقع فريسة ظلمه أو جرمه، فيصبح كل شيء هيناً حتى ساعة لقاءه مصيره الذي ربّما يصل إلى إعدامه وهو يستعسر الثقة بالنجاة وأنه لن

يَمُوتَ نَتِيجَةً لِمَا ارْتَكَبَهُ. وَهَذِهِ نَفْسِيَّ خَطَرَةٌ وَصَعْبَةٌ وَفَكْرٌ مُعَقَّدُ التَّرْكِيبِ، يَنْتَهِي بِصَاحِبِهِ إِلَى الْمَوْتِ، إِمَّا مِنْ خِلَالِ فِكْرِهِ الَّذِي أَوْهَمَهُ بِاصْطِنَاعِ الْمُرْتَكَبَاتِ الْخَارِجَةِ عَنِ النَّائِمُوسِ الْأَخْلَاقِيِّ بِاخْتِرَافِ الْجَرِيْمَةِ ضِدَّ الْآخَرِينَ، حِينَ يَخْتَارُ تَدْمِيرَ نَفْسِهِ مَعَ تَدْمِيرِ الْأَبْرِيَاءِ، أَوْ نَتِيجَةً افْتِضَاحِهِ أَوْ تَعَثُّرِهِ فِي تَخْطِيطِهِ، فَتَسْبِقُهُ الْمَنِيَّةُ فَيَكُونُ ضَحِيَّةً غَيْرَ مَأْسُوفٍ عَلَيْهِ. وَالْفِكْرُ الَّذِي يُمَكِّنُ إِصْلَاحَهُ هُوَ الْفِكْرُ الَّذِي يَنْدَرِجُ تَحْتَ طَائِلَةِ الْفَاقَةِ وَالْعُوزِ وَالْفَقْرِ، فَهُوَ يُغَرِّى بِارْتِكَابِ الْجَرِيْمَةِ إِمَّا لِسَدِّ حَاجَتِهِ أَوْ لِلْإِثْرَاءِ السَّرِيعِ، وَمِنْ ثَمَّ يَضَعُ فِي اعْتِبَارِهِ التَّوْبَةَ وَالرَّجُوعَ عَنْ تِلْكَ الْأَفْعَالِ إِذَا مَا كُتِبَ لَهُ النِّجَاحُ لِيَعِيشَ بَعْدَ ذَلِكَ بَعِيدًا عَنْ تِلْكَ الْآثَارِ، مُحَاوِلًا اسْتِعَادَةَ إِنْسَانِيَّتِهِ مِنْ وَحْشِيَّتِهَا الْمَدْفُوعَةِ الثَّمَنِ، لِيَعُودَ فِكْرًا مُنْتَجِبًا لَصَنَائِعِ الْخَيْرِ. غَيْرَ أَنَّ النُّقْطَةَ السُّودَاءَ تَظَلُّ سِرًّا فِي حَيَاتِهِ، وَرُبَّمَا لَوْ أَحْوَجَتْهُ الظُّرُوفُ يَعُودُ إِلَى سَابِقِ عَهْدِهِ فِكْرًا فَاسِدًا مُحَرِّبًا، فَاذَا وَقَعَ تَحْتَ طَائِلَةِ الْعُقُوبَةِ عَاوَدَهُ النَّدَمُ، وَهَذَا الْفِكْرُ يَتِمَازُ لِلشِّفَاءِ بِالْعِلَاجِ السَّالِبِ لِلْحُرِّيَّةِ لِمُدَّةٍ أَطْوَلَ تَكُونُ فِيهَا قُدْرَاتُهُ الْجِسْمِيَّةُ قَدْ أَهْنَكَتْ نَتِيجَةً لِكِبَرِ السِّنِّ وَالتَّفَكِيرِ الْجَادِّ فِي الْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ لَهُ.

وَعِنْدَمَا نُقَدِّمُ هَذَا التَّحْلِيلَ النَّظَرِيَّ عَنْ رَأْيِنَا الَّذِي بَنَيْنَاهُ عَلَى رُؤْيَيْنَا الْخَاصَّةِ الَّتِي تَدْرَجُنَا بِهَا مِنْ قِيَمَةِ الْفِكْرِ الْخَلَاقِ إِلَى الْفِكْرِ الْمَرِيضِ، انْتِهَاءً بِالْفِكْرِ الْمَفْطُورِ عَلَى اخْتِرَافِ الْجَرِيْمَةِ وَالشَّرِّ بِمَسْئُولِيَّةٍ مُكْتَمَلَةِ الْأَدَاءِ وَالشُّرُوطِ، تَظَلُّ الْأَفْكَارُ الْمُعَالِجَةُ تَتَوَخَّى التَّأْثِيرَاتِ الْمُقْلَلَةَ لِلنَّسَبِ الْمُتَزَايِدَةِ لِرُكُوبِ مَرَائِبِ الشُّرُورِ وَالْأَضْرَارِ بِالْأُمَمِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ، وَسَوْفَ تَنْجَحُ الْأَفْكَارُ الْوَاعِيَةُ السَّاعِيَةُ إِلَى سَلَامِ النَّفْسِ لِخَيْرِيَّةِ الْحَيَاةِ مِنْ خِلَالِ التَّنَشِئَةِ وَالتَّرْبِيَةِ الَّتِي تَبْدَأُ مِنَ الْمَنْزِلِ ثُمَّ الْمَدْرَسَةِ فِي تَبْنِيِ النَّظَرِيَّاتِ الْحَدِيثَةِ وَالدرَاسَاتِ الْعِلْمِيَّةِ الْمُطَبَّقَةِ فِي اسْتِخْلَاصِ النَّتَاجِ الْمُحَقَّقَةِ لِلْأَهْدَافِ الَّتِي تَبْنِيِ الْفِكْرَ الْمُتَجَاوِزَ فِي النُّبُوغِ وَالْفَنَاطَةِ وَتَوْجِيهِهِ بَلْ وَاسْتِغْلَالِهِ، لِيَكُونَ مُمَيَّزًا بِتَوْظِيْفِهِ فِي إِشْعَالِ مَوَاقِدِ الْفِكْرِيَّةِ فِي الْإِبْدَاعِ الْمُنتَجِ، لَا تَرْهِيْبِهِ بَلْ تَرْغِيْبِهِ بِالْحَوَافِزِ وَالْجَوَائِزِ وَالْبَدَلِ لِسَدِّ اخْتِيَاجَاتِهِ لِيَقْتَدِيَ بِهِ الْكَثِيرُ وَيَشْعُرُوا بِأَنَّ الْمُجْتَمَعَ وَالْأُمَّةَ تَدْفَعُ بِهِمْ لِلطُّمُوحِ وَالتَّبَرُّيزِ؛ لِيَكُونُوا أَغْضَاءً نَافِعِينَ مُبْدِعِينَ مُبْتَكِرِينَ فِي أُمَمِهِمْ وَوَطَنِهِمْ، بِجَانِبِ إِحَاطَتِهِمْ بِالشَّجْعِ وَالتَّوَجُّهِ وَالْمُتَابَعَةِ وَالْإِهْتِمَامِ وَغَرَسِ الثِّقَةِ فِيهِمْ لَا سَلْبِهَا بِالْإِحْتِقَارِ وَالتَّوْبِيخِ، وَخُصُوصًا وَنَحْنُ نَرَى وَنَلْمِسُ التَّأْثِيرَاتِ الدَّخِيلَةَ عَلَى الْأُمَّةِ لِتَبْدِيلِ الْقِيَمِ مِنْ خِلَالِ الْإِعْلَامِ الْمُغْرَضِ أَوْ الْمُسْتَحْدَثَاتِ التَّقْنِيَّةِ الَّتِي يَتَعَامَلُ مَعَهَا الْإِنْسَانُ ابْتِدَاءً مِنْ سِنِّ الطُّفُولَةِ إِلَى سِنِّ الشَّبَابِ

الَّذِي يَكُونُ فِي أَوْجِ حِمَاسَتِهِ وَشِدَّةِ انْدِفَاعِهِ نَحْوَ الْمُقَارَنَةِ وَالتَّائُرِ بِالْأَفْكَارِ الْوَافِدَةِ عَبْرَ قَنَوَاتِهَا، لِاجْتِدَابِهِ إِلَى الْعَبَثِ وَالْإِنْحِلَالِ وَالتَّضْلِيلِ وَإِلَى انْتِهَاجِ الْفِكْرِ الْمُغْرَقِ فِي التَّفْسِيخِ بَتَهْيَةِ الْفَضَائِلِ الْمُغْرِبَةِ لِلِاتِّبَاعِ لَا لِلِإِبْدَاعِ، لِإِشْغَالِهِ عَنْ مُوََاكِبَةِ التَّطَوُّرِ الْعِلْمِيِّ، لِجَلِّ الْفِكْرِ الدَّاعِي لِلِانْحِرَافِ وَالتَّشْرِدِ وَالتَّشْتُّتِ وَالِاغْتِرَابِ وَالضِّيَاعِ فِي ظُلُمَاتِ التِّيهِ، وَيَكُونُ مُحَقَّقًا لِأَهْدَافِهِ وَأَعْرَاضِهِ الْهَدَامَةِ.

وَلَكِنْ يَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ عَلَى أَبْنَائِنَا الشَّبَابِ، وَسَيَكُونُ الْوَازِعُ الدِّينِيُّ حَائِلًا دُونَ تَحْقِيقِ أَعْرَاضِ الْمُغْرَضِينَ وَالْحَاقِدِينَ وَالْحَاسِدِينَ لِأَمَّةِ الْإِسْلَامِ، لِأَنَّ الْفِكْرَ الْإِسْلَامِيَّ هُوَ الْفِكْرُ الْقَائِمُ عَلَى عَدَالَةِ السَّمَاءِ وَعَلَى أَمَانِ النَّفْسِ وَعَلَى الْمَحَبَّةِ وَعَلَى الْإِيثَارِ، وَسَتَظَلُّ رِسَالَةُ الْهُدَى وَالتَّقْوَى وَالتَّوْحِيدِ لِلَّهِ وَالْخُلُوصِ لَهُ مِنَ الشَّرِكِ هِيَ مَثَارُ فَخْرِنَا وَانْتِصَارِنَا، وَسَيَظَلُّ الْفِكْرُ الْإِسْلَامِيَّ حَامِيًا لِلْأَمَّةِ عَنِ التَّضْلِيلِ وَالتَّكْفِيرِ وَالتَّغْرِيبِ، مُتَّجِهًا إِلَى إِذْكَاءِ رُوحِ الْعِلْمِ لِلْبِنَاءِ وَالرَّفْعَةِ وَالْعُلَا، وَإِلَى اقْتِفَاءِ الْأَسْبَابِ لَوْضَعِ بَصْمَةِ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ الْخَلَاقِ، وَالسُّعُودِيِّ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ، حَتَّى نُنْشِئَ لِكُلِّ مُشَكِّكٍ أَنَّ الْفِكْرَ الْإِسْلَامِيَّ هُوَ فِكْرُ الْحَضَارَةِ الْقَادِمَةِ لِكُلِّ إِنْسَانٍ يَنْشُدُ الْحَقَّ وَالْعَدْلَ وَالْمُسَاوَاةَ.

مِنْ شِعْرِي: قَصِيدَةُ «السَّيْفَانِ»،

دِيْوَانُ «الْمَرَايَا»

لَا أَرَى سَيْفَكَ أَوْ سَيْفِي قَطَعُ
وَضَوَارِي الْغَابِ فِي أَوْطَانِنَا
أَرْضُنَا مَا عَادَتْ الْأَرْضُ لَنَا
ضَاعَتِ الدُّورُ الَّتِي نَسْكُنُهَا
لَمْ نَعُدْ نَدْرِي تُرَى كَانَتْ هُنَا
كُلُّ شَيْءٍ صَارَ فِي أَبْصَارِنَا
مَنْ أَنَا؟ مَنْ أَنْتَ؟ مَنْ نَحْنُ؟ وَمَنْ
غَيْرُنَا عَاشَ، فَمَنْ نَحْنُ إِذَا؟
لَمْ نَعُدْ نَذْكُرْ إِلَّا أَنَّهُ
عِنْدَمَا نَقْرَأُ عَنْ أَعْمَارِنَا
صَدِئِ السَّيْفَانِ وَالنَّقْعُ اتَّسَعُ
جُوعُهَا مَا عَادَ جُوعًا بَلْ وَلَعُ
نَحْنُ حُرَّاسُ لِأَصْحَابِ الْمُتَعِ
وَتَوَلَّتْ هَدْمَهَا رِيحُ الْجَشَعِ
أُمَّةٌ عَاشَتْ وَأَزْدَاهَا الْهَلَعُ!
صُورًا خَرَسَاءَ مِنْ فَرْطِ الْجَزَعِ
ذَلِكَ الْقَادِمُ مِنْ أَرْضِ الْوَجَعِ؟
رُبَّمَا كُنَّا خِيَالًا وَانْقَطَعُ
بَعْضُ نَسِيَانٍ دَهَانًا وَابْتَلَعُ
سَنَرَى مَنْ نَحْنُ أَوْ مَاذَا وَقَعَ

الإشباع رُوح الإقتناع

الاستشعار بالسرعة الحركية للعصر لم يعد ظاهرة كونية بقدر ما هو حقيقة واقعية لها أسبابها ومدلولاتها الحسية والملموسة، من خلال التقنيات العلمية المتتابعة والمسرعة التي ازدحمت بها أقطار المعمورة. واعتمرت العقول والنفس بهذه المستحدثات المذهلة التي تبعت على الدهشة والإنبهار والإكبار لمبدعي هذا العصر الذين غيروا مسارات الحضارات الإنسانية تغييراً لم يترك مقارنة بين الماضي والحاضر، إذ إن المستحدثات الجديدة قلبت كل التصورات والمقاييس عبر الزمن والمسموع، والملموس، حتى يصح أن نسمي عصرنا بعصر الخوارق، أو عصر العبقريات العقلية، لما نراه ونلمسه من تقنيات علمية أشبه ما تكون بالسحر في استنطاق الصامت والجامد، وتقريب البعيد، وفتح أسرار المخفي، والدخول إلى عوالم المجهول الفضائي والأرضي.

إن هذه المنجزات العلمية السريعة التي تركت آثارها على العقول والنفس وهي تموج بين الحيرة والذهول، أصابت بالإحباط من لم يمتزجوا سريعاً مع هذه الثورة الانقلابية لهذه التقنيات، حينما كانت درجة الاستيعاب بطيئة في بعض المستقبلين لهذا التطور السريع، وأصبح الإنسان المعاصر يعيش حالات من الرعب، والضجر، والقلق النفسي، لما صاحب هذه المستحدثات من تأثيرات تدور حول الإنسان، حتى أفقدته توازنه كأنه هو الذي يدور حول نفسه، وهو يقف بين الحقيقة والخيال فلا يدري من هو؟ وأين هو؟ وماذا يريد؟ وكيف يعبر إلى الأمان؟ وماذا سيكون عليه المستقبل؟

وأحياناً يعيش الحقائق، وكأنها أضغاث أحلام، من خلال الصراع النفسي والعقلي الذي من آثاره الخوف من المصير حين أصبح هماً يرمي بأحمال يقال على الفكر الذي لم يعد يستطيع أن يستبين الحقيقة من الوهم، وعندما شعر الإنسان بوطأة تلك الأحمال النفسية وعجزت طاقته الافتراضية عن القدرة أمثالاً للمبالاة، وترك العنان للأفعال بلا تقدير للعقل، وضاعت الحكمة، وانتهت أمام ناظره الصور، وتضاربت المعايير المنطقية، وتلاشت القناعات، فتساوى لديه الصدق والكذب، والحق والباطل، وأصبحت تتمثل لديه حقيقة واحدة هي حقيقة الإشباع النفسي، الذي يقف حائلاً دونه

الْفَقْرُ الَّذِي تَوَهَّمَهُ يُجِيزُ لَهُ انْتِهَاكَ كُلِّ الْقَوَانِينِ وَالشَّرَائِعِ لَيْسَدَ رَمَقِ الْجُوعِ وَضُرُورِيَّاتِ الْحَيَاةِ، فَبَرَزَتْكَبُ الْجَرَائِمِ وَلَا يُبَالِي بِالْعَوَاقِبِ أَوْ الْعُقُوبَاتِ فِي هَذَا الْخَضَمِ الزَّاهِرِ بِمَلَايِينِ الْمُدَقِّعِينَ، فَهُوَ يُشَرِّعُ قَانُونَ الْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ الَّذِي لَا يَلْبَثُ أَنْ يَكُونَ اخْتِرَافًا يَجْتَمِعُ لَهُ الْمُتَشَابِهُونَ فِي الْحَالَاتِ وَالْمَصِيرِ، لِيَتَشَكَّلَ مِنْ خِلَالِهِمُ الْعِصَابَاتُ، وَالْخَلَايَا، وَيَتِمَّ تَوْجِيهٌ مِنْ خِلَالِ الْعُقُولِ الْقَادِرَةِ عَلَى الْإِشْبَاعِ الْجَسَدِيِّ وَالْإِشْبَاعِ الرُّوحِيِّ بِتَعَالِيمِ تَحْكُمُهَا الْإِنْتِهَازِيَّةُ لِتَكْوِينَ بُورَ الْفُسَادِ وَالْإِرْهَابِ وَالْجَرِيْمَةِ، لِأَنَّ الْفَارِقَ الَّذِي أَحْدَثَهُ الْوَاقِعُ الْإِنْسَانِي بَيْنَ الْغِنَى وَالْفَقْرِ لَيْسَ فِيهِ دَرَجَةُ الْوَسْطِ، فَأَصْبَحَتِ الْهُوَّةُ سَحِيقَةً بَيْنَ الْفَقْرِ وَالْغِنَى وَلَمْ تَعُدْ هُنَاكَ مَعَايِيرُ أَخْلَاقِيَّةٍ تَنْظُرُ إِلَى دَرَجَةِ الْفَقْرِ الْمُتَحَقِّقِ فِي الْغَالِبِيَّةِ الْعُظْمَى مِنَ الْبَشَرِ، الْأَمْرُ الَّذِي أَدَّى إِلَى التَّطَرُّفِ وَتَبَدُّدِ السَّائِدِ وَالْمَالُوفِ إِلَى الْفَقْرِ عَلَى حَوَاجِرِ الْمَحْظُورِ وَالْمُعَاوَرَةِ غَيْرِ الْمَحْسُوبَةِ لِلْحَيَاةِ أَوْ الْمَوْتِ، وَتَلَاشَتْ حِسَابَاتُ الْمُخَاطَرَةِ بِشُيُوعِ الْقَتْلِ وَالسَّرِقَةِ وَالْإِعْتِصَابِ وَانْتِهَاكَ الْحُرْمَاتِ وَالْإِضْرَارِ بِالْأَوْطَانِ وَالْإِنْسَانِ، بُغْيَةً إِشْبَاعِ الْحِرْزِ الَّذِي خَلَفَهُ الصَّرْفُ غَيْرِ الْمَنْطِقِيِّ عَلَى التَّقْنِيَّاتِ غَيْرِ اللَّازِمَةِ الَّتِي كَانَتْ مِنَ الْمُفْتَرَضِ أَنْ تُصَرَّفَ عَلَى تَنْمِيَةِ الْإِنْسَانِ، وَالْإِهْتِمَامِ بِالصَّحَّةِ وَالْغِذَاءِ وَالتَّعْلِيمِ، لَا أَنْ تُصَرَّفَ عَلَى الْمُسْتَحْدَثَاتِ الْحَرْبِيَّةِ الَّتِي تَتَطَلَّبُ الْبُلَايِينَ عَلَى تَصْنِيعِهَا، وَالَّتِي تَسْعَى إِلَى تَدْمِيرِ الْإِنْسَانِ لَا تَأْمِينِهِ، وَهُوَ مَا نَشْهَدُهُ فِي هَذَا الْعَصْرِ الَّذِي أَهْدَرَ دَمَ الْإِنْسَانِ فِي كُلِّ قُطْرٍ وَمَكَانٍ مِنْ أَنْحَاءِ الْمَعْمُورَةِ، وَأَصْبَحَتِ الدُّوَلُ الْمُسْتَضْعَفَةُ مَقْصُورَةً عَلَى شِرَاءِ تِلْكَ الْأَسْلِحَةِ لِلدِّفَاعِ عَنْ شُعُوبِهَا وَأَوْطَانِهَا، وَتَعْتَمِدُ الْمِيزَانِيَّاتِ الضَّخْمَةَ لِذَلِكَ سَدًّا لِلذَّرَائِعِ، وَصَارَتِ الثَّرَوَاتُ الْقَوْمِيَّةُ فِي تَنَاقُصٍ، مِمَّا أَثَّرَ عَلَى دَخْلِ الْفَرْدِ فِي جَمِيعِ أَوْطَانِ الْعَالَمِ، وَغَمَّ غَلَاءُ الْمَعِيشَةِ بَحِثَ تَجَاوَزِ الْقُدْرَةِ عَلَى بِنَاءِ الْإِنْسَانِ الْبِنَاءَ السَّلِيمِ فِي ظِلِّ الْمُتَغَيَّرَاتِ الْحَضَارِيَّةِ الْجَدِيدَةِ، وَأَصْبَحَتِ النَّظَرَةُ الْمُسْتَقْبَلِيَّةُ لَا تُبَشِّرُ بِخَيْرٍ، مِنْ خِلَالِ التَّوَجُّهَاتِ السِّيَاسِيَّةِ لِلْأَقْوَى لِيُحَقِّقَ أَهْدَافَهُ وَنَظَرِيَّاتِهِ فِي الْهَيْمَنَةِ، وَإِحْكَامِ قَبْضَتِهِ عَلَى الشُّعُوبِ مِنْ خِلَالِ إِحْكَامِ الْقَبْضَةِ عَلَى أَقْوَانِهِمْ وَحَاجَاتِهِمْ الضَّرُورِيَّةِ وَالْكَمَالِيَّةِ، وَهُوَ مَا نَجَحَ فِيهِ الْأَقْوَى وَأَصْبَحَتْ يَدُهُ مُتَغَلِّغَةً فِي جَمِيعِ بِلَادِ الْعَالَمِ، يُسَوِّغُ مَا شَاءَ وَيَمْنَعُ مَا شَاءَ وَيَمْنَعُ مَنْ شَاءَ بِشَكْلِ يُنَظِّمُ الشُّعُوبَ ضِمْنَ إِرَادَتِهِ وَحَسَبِ هَوَاهُ، اعْتِدَادًا بِقُوَّتِهِ الَّتِي لَا يَقِفُ أَمَامَهَا شَيْءٌ إِلَّا حَاطَمَتُهُ، حِينَ أَنْسَتِ الشُّعُوبُ بِالرَّفَاهِيَةِ، وَتَلَذَّذَتْ بِهَا، وَقَعَدَتْ عَنِ الْمُشَارَكَةِ فِي إِبْدَاعِهَا وَالنَّظَرِ إِلَى الْأَخْطَارِ الْمُحِيطَةِ بِهَا.

لذلك وجب على الشعوب اليوم إعلان حالة التقشف، ومحاولة تقنين سبل المعيشة، في المقام الأول، إضافة إلى بث روح الوعي الإنساني بضرورة التعاون بين الأفراد والدولة، بما يحقق الإحساس بمصائر المغوزين والمرضى والضعفاء والمساكين، ومعالجة أوضاعهم ومشاكلهم بما يسد الحاجة ويعين على الاكتفاء في مقابل ارتفاع المعيشة، ولكن بشكل مقنن ومدروس وغير متروك للسوانح والظروف والطلب، في جميع الأحوال المفترضة للصحة والغذاء والإسكان التي تعتبر من أهم مقومات العيش الكريم للإنسان في حالاته الضرورية، بعيداً عن متطلبات الرفاهية التي تخضع للميول الخاصة وتكون تبعاتها على الشخص وحده.

كل ذلك سيعيد إلى النفوس الطمأنينة، ويزيل عنها كوابيس الخوف من المصير الذي يحتقب خلايا العقول، وسوف يكون العلاج الناجع لدرء المخاطر التي ينتهجها البعض ضد حياة وأمن الإنسان، ويؤخذ اتخاذ القرارات المتضادة، ويؤدي إلى الحفاظ على الثروات الوطنية، وإلى إحساس المواطن بالمشاركة والمسؤولية الوطنية التي تستوجب العمل بكل إتقان، ويقلل من مستوى الجريمة، ويعيد الثقة للنفوس المتطلعة إلى العمل المخلص الذي يرفع معاناتها المعيشية والنفسية، ويزيل المؤثرات التي تفقدها عن العمل؛ وبذلك ينشأ المواطن معافى صحيحاً عاملاً منضبطاً، أميناً على وطنه ومقدراته ومكتسباته، مدافعاً عن القيم الخلقة ضد ما يريد المساس بها، عندما يصل حد الكفاية والاكتفاء الذي يرفعه عن مذلة السؤال والحاجة، ويأمن على مستقبله ومستقبل أبنائه، عندها تنتفي الأعذار والعلل للعمل الجاد نحو بناء العقول المبدعة، وتسخير الأيدي المنتجة التي تستطيع أن تحقق الاكتفاء الذاتي للإنسان والأوطان في جميع أقطار العالم وتتحقق أدوار الندادة في مواجهة العالم المتقدم وفرض الشخصية الحقيقية التي تكتسب حقوقها في المحافل الدولية؛ لتستطيع أن تشارك وتؤثر في القرارات الدولية وفي صناعة التاريخ الإنساني دون استهانة بحقوقها وأقدارها، وتكون الدول وشعوبها صانعة لأقدارها ومقدراتها بالشكل الأخلاقي حين يبنى على مبدأ الاحترام والتعاون، وينظم وحدة الهدف الذي يقوم على تبادل المنافع لكل ما يرتقي بالحق والعدل والعلم والجمال.

مِنْ شِعْرِي: فَصِيدَةُ «الْمَالِ»،

دِيَوَانُ «الْمَرَايَا»

قَدْ حَوَى الْمَالُ غِنِيَّ وَحَوَى الْمَالُ فَقِيرَ
فَهُوَ مَعْرُوفٌ لَدَى النَّاسِ هُوَ الْعَالِي الْأَمِيرُ
شَهْوَةُ الْمَالِ تُرِي الْأَعْمَى إِذَا ضَلَّ الْمَسِيرُ
كَمْ تَمَنَّا نَبِيلٌ وَتَشَهَّاهُ حَقِيرُ
إِنَّمَا الْمَالُ هَنَاءٌ أَوْ شَقَاءٌ أَوْ نَذِيرُ
إِنْ تَكُنْ بِالْبَعْضِ تَغْنَى فَلِمَ الْمَالُ الْوَفِيرُ؟
أَنْتَ لَسْتَ الْمَالِكُ الْأَوْحَدُ فِي الْكَوْنِ الْكَبِيرُ
فَابْذُلِ الْمَالِ الَّذِي أُعْطِيتَ تَنْعَمَ بِالْكَثِيرِ
فَلَيْنَ جُودَتْ بِبَعْضٍ مِنْهُ قُلُ مَاذَا يَضِيرُ؟
سَوْفَ تَسْمُوبِينَ كُلَّ النَّاسِ بِالصَّيْتِ الْمُثِيرِ
وَعَدًا تَمْضِي إِلَيَّ حَيْثُ تُوَارِيكَ الْقُبُورُ
فَجَمِيلُ الْعُمْرِ أَنْ نُعْطِيَ وَلَوْ نَزَرًا يَسِيرُ

الفلاسفة والشعراء والحكماء

هُؤْلَاءَ جَمِيعُهُمْ يَسْتَنْبِتُونَ غِرَاسَ السَّلَامِ فِي الْقُلُوبِ، وَهُمْ يَرَوْنَ دَخَائِلَ النُّفُوسِ مُجَدَّبَةً قَاحِلَةً لَا يَنْبُتُ فِيهَا إِلَّا الشُّوْكَ وَالْحَنْظَلُ، وَلَكِنَّهُمْ بَعْدَ بَحْثٍ مُضْنٍ عَثَرُوا عَلَى بَذْرَةِ الْقَنَاعَةِ فَرَاخُوا يَغْرِسُونَهَا حَتَّى أَوْرَقَتْ وَاتَّمَرَتْ أَغْصَانُهَا قِيمَ الْحَيَاةِ، يُطْعَمُونَهَا لِحَافِلِ الْبَشَرِ، لِيُخَفِّفُوا مِنْ حِدَّةِ الْعَدَاءِ وَهَوْلِ الْعَنَاءِ بِقَدْرِ اسْتِطَاعَتِهِمْ، فَكَانُوا رُسُلًا لِلْفُضِيلَةِ، وَإِنْ جَنَحُوا فِي آرَائِهِمْ فَعَذِيرُهُمْ أَنَّهُمْ أَخْلَصُوا لِأَهْدَافِهِمْ حِينَمَا أَرَادُوا خَلَاصَ الْأَرْضِ مِنَ الْأَلَامِ وَتَطْهِيرَ النُّفُوسِ مِنْ أَدْرَانِ الشَّقَاءِ، إِنَّهُمْ الْفَلَاسِفَةُ وَالشُّعْرَاءُ وَالْحُكَمَاءُ.

الفلاسفة: هُمْ مَنْ يَسْتَغْلُونَ بِالْحَسِّ الْفِكْرِيِّ النَّظَرِيَّ وَالِاسْتِدْلَالِيَّ الْبَاحِثَ عَنِ النَّتَائِجِ الْمُتَطَابِقَةِ مَعَ الرُّؤْيَةِ الْمُحَلَّلَةِ لِلشَّكْلِ الْإِفْتِرَاضِيِّ لِاسْتِنطَاقِ الْمَاهِيَةِ مِنْ خِلَالِ الْإِرَادَةِ الْمُتَغَلِّغَةِ فِي الْأَشْيَاءِ، وَلَا تَعْمَلُ الْفَلَسَفَةُ بِالْإِيحَاءِ، وَلَا بِالتَّسْلِيمِ لِلْحُظَّةِ فِي كَيْتُونَتِهَا، بَلْ إِنَّ الْفَيْلَسُوفَ يَتَمَاهَى مَعَهَا لِلِإِذْلَالِ عَلَيْهَا وَمَعْرِفَةِ ذَاتِهَا وَصِفَاتِهَا وَحَرَكَتِ أَفْعَالِهَا وَمَا تُحْدِثُهُ مِنْ تَأْثِيرٍ خَلَقَ مُضَادًّا أَوْ مُقَاوِمًا أَوْ مُسَاعِدًا أَوْ مُحَقِّقًا لِصِرْوَرَةِ الزَّمَانِ ضِمْنَ إِطَارِهَا الْكُوْنِيِّ مِنْ بَدَايَةِ مَعْرِفَةِ نُشْوءِ الذَّرَّةِ وَالْكَتْلَةِ وَالْجِسْمِ وَالْمَادَّةِ وَالْمَحْسُوسِ غَيْرِ الْمُرِّيِّ وَالْبَعِيدِ الْمَنْظُورِ وَالْمَدْفُونِ وَالسَّابِحِ جَوًّا وَبَحْرًا وَالثَّرْوَةِ وَالْحَرَارَةِ وَالْجَامِدِ وَالنَّابِضِ وَالْمُظْلَمِ وَالْمُضِيِّ وَالصَّوْتِ وَالصَّمْتِ وَالْمُسْتَقِيمِ وَالْمُتَعَرِّجِ وَالْمُسْتَدِيرِ وَالْمُمَثِّلِ وَالْقَائِمِ وَالطَّعْمِ وَالرَّائِحَةِ وَاللَّوْنِ. وَتَعَجُّزُ الْفَلَسَفَةِ عَنِ الْعُيُوبِ الَّذِي تَجُوبُ أَنْحَاءُهُ فَتَتَخَرَّصُ وَلَا تَقِفُ عِنْدَ حَدٍّ مَانِعٍ أَوْ قَاطِعٍ تُحَاوِلُ إِيجَادَ مَعْنَى أَوْ صِفَةٍ أَوْ دَلِيلٍ أَوْ قَرِينَةٍ تُثَبِّتُ حَقِيقَةً مَا يُمَكِّنُ مَعْرِفَتَهُ، غَيْرَ أَنَّ الْفِكْرَ الْفَلَسَفِيَّ يَمْضِي دُونَ الْإِعْتِرَافِ بِالْمُسْتَحِيلِ تَارِكًا لِلْفِكْرِ بَعْدَهُ فِي التَّسَلُّقِ إِلَى هَيْوَلَى الْخِيَالِ سَلْبًا وَإِيجَابًا، حَتَّى وَإِنْ خَرَجَ بِالْفُرْضِيَّةِ وَلَمْ يَحَقِّقِ النَّتِيجَةَ، لَكِنْ فِي الْجَانِبِ الْآخِرِ تَكُونُ مَادَّةُ الْفَلَسَفَةِ قَدْ حَقَّقَتْ هَذَا الْإِنْبَاقَ الْعِلْمِيَّ، وَاصْطَنَعَتْ نَظَرِيَّاتَهَا دَوَافِعَ الْخَلْقِ وَالْإِبْتِكَارِ الْمَشْهُودِ فِي مَحَاضِنِ الْإِنْتِاجِ التَّقْنِيِّ، لِذَلِكَ فَالْفَلَسَفَةُ هِيَ الشُّكُّ الْبَاحِثُ عَنِ الْحَقِيقَةِ، وَلَا تَقُومُ عَلَى الْإِلْهَامِ بِقَدْرِ مَا تَكُونُ قَائِمَةً عَلَى الْإِكْتِسَابِ وَالدرَاسَةِ وَالْبَحْثِ وَالْمُتَابَعَةِ وَالْمُقَارَنَةِ وَالتَّجَرُّبَةِ، وَلَا تَرْتَكِنُ لِلْيَاسِ وَلَا الْإِحْبَاطِ وَلَا الْمَلَلِ وَلَا الْمَوَازِنِ الطَّبِيعِيَّةِ أَوْ الْأَخْلَاقِيَّةِ أَوْ الدِّينِيَّةِ، بَلْ هِيَ تَسْتَمِدُّ شَرْعِيَّتَهَا مِنْ حُرِّيَّةِ الْفِكْرِ لِيَجُوسَ أَنْحَاءُ الْكُونِ مُتَجًّا لِلْحَقَائِقِ بِالِاسْتِقْصَاءِ اللَّانْهَائِيِّ، فَلَا يَقِفُ عِنْدَهَا الْعَقْلُ بِرَغْمِ

خَطًا فَرَضِيَّاتَهَا فِي أَسْرَارِ كَوْنِيَّةِ مُسْتَحِيلَةِ الْكَشْفِ وَمُنْهَمَةِ التَّعْرِيفِ وَالْمَعْرِفَةِ، غَيْرَ أَنَّهَا تَقْتَضِي الْأَثَرِ فِي الْفِعْلِ وَالْمَفْعُولِ حَتَّى إِنْ لَمْ تَكْتَشِفْ لَوْنُ الرِّيحِ أَوْ الْهَوَاءِ أَوْ سِرُّ الْمَاءِ لِلْحَيَاةِ أَوْ سِرُّ الْمَوْتِ وَتَحْلُلِ الْأَجْسَامِ فِي التُّرَابِ، أَوْ مَعْرِفَةِ الْعَدَمِيَّةِ بَانْطِفَاءِ الشُّمُوسِ وَنُشُوءِ الظَّلَامِ الْأَبَدِيِّ، أَوْ مَعْرِفَةِ مَاهِيَةِ الضُّوءِ وَالظَّلَامِ، لَكِنَّ الْفِكْرَ الْفَلَسْفِيَّ نَجَحَ فِي فَكِّ رُمُوزِ كَانَتْ مُسْتَغْلِقَةً عَلَى الْعُقُولِ وَالْفُهُومِ بِتَوْجِيهِ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ إِلَى اسْتِجْلَاءِ حَقَائِقِ الْمُمْكِنِ وَالْمَخْبُوءِ فِي عَوَالِمِ الْكُمُونِ الْمُهِيًّا بِالْإِرَادَةِ الْإِلَهِيَّةِ لِتَحْدِيدِ الْفِعْلِ (الشَّيْءِ) الَّذِي أَعْرَى الْفَاعِلِ (الْعَقْلُ) بِمَعْرِفَةِ الْمَفْعُولِ (الْأَثَرِ). وَإِذَا كَانَ لِلْفَلَسَفَةِ آثَارٌ رَائِدَةٌ فِي الْفِكْرِ الْإِنْسَانِيِّ فَإِنَّ آثَارَهَا عَلَى الْأَدْيَانِ بِأَعَادِهَا الْفِكْرِيَّةِ الْمُتَجَاوِزَةِ وَاللَّامْتِنَاهِيَّةِ تَتَصَادَمُ مَعَ التَّشْرِيعَاتِ السَّمَاوِيَّةِ الْمُتَقَادِمَةِ، وَتَضْطَرُّ مَعَ رِجَالِ الدِّينِ فِي إِطْلَاقِ الْمُبَاحِ وَغَيْرِ الْمُبَاحِ لِلْفِكْرِ بِالْخُرُوجِ عَنْ ضَوَائِطِ الْمَفْهُومِ الْعَقْدِيِّ، بِحَيْثُ تُحَرِّمُ أَنْ تَكُونَ الْإِرَادَةُ الْحُرَّةُ لِلْفِكْرِ مُقَدَّمَةً عَلَى إِرَادَةِ الرِّسَالَاتِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَخُصُوصًا فِي الْعُصُورِ اللَّاحِقَةِ عَلَى عَصْرِ الْفَلَسَفَةِ الْيُونَانِيَّةِ مُنْذُ أَفْلَاطُونِ الَّذِي أَقَامَ فَلَسَفَتَهُ عَلَى الْبَوَاعِثِ الدِّينِيَّةِ، ثُمَّ انْتَضَمَتْ فِي أَفْكَارِ تَلَامِيذِهِ حَتَّى نَحَا بِهَا جَانِبًا أَرِسْطُو طَالِيسَ، وَبَدَأَتْ الْإِخْتِرَاقَاتُ الْفِكْرِيَّةُ تُحْكِمُهَا مَدَارِسُ أَعْطَتْ لِلْعَقْلِ صِفَةَ الْإِلَوهِيَّةِ وَالتَّقْدِيسَ لِسَدِّ فَرَغَاتِ الْجَهْلِ الْكَامِنِ فِي نُفُوسِ الْبُسطَاءِ فِي الْعُصُورِ السَّابِقَةِ، وَإِنْ كَانَ التَّشْرِيعُ الْإِسْلَامِيُّ قَدْ قَنَنَ مُوَدَى الْفِكْرِ الْفَلَسْفِيِّ فِي اجْتِهَادِ الْعُلَمَاءِ، مُبْتَعِدًا عَنْ إِدْخَالِ مَادَّةِ الْفَلَسَفَةِ كَمَنْهَجِ اسْتِقْرَائِيٍّ مُوَوَّلٍ لِلآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ، بَعْدَ عَصْرِ تَشَكَّلَتْ فِيهِ جَمَاعَاتُ الْمُعْتَزَلَةِ، وَالْمُرْجِيَّةِ، وَالصَّابِيَّةِ، وَالْقَدْرِيَّةِ، وَالْجَهْمِيَّةِ وَغَيْرَهَا مِنَ الْفِرَقِ الَّتِي غَلَبَ عَلَيْهَا الْبُعْدُ الْفَلَسْفِيُّ دُونَ تَوْظِيفِ الْمُسَمَّى، بَلْ قَامَتْ بِتَوْظِيفِ الْفِكْرِ الْمُسْتَغْلِ بِالْفَلَسَفَةِ وَعَبَّرُوا عَنْهَا بِالْأَرَاءِ الْجَدَلِيَّةِ الَّتِي تَعَاوَرَهَا الشُّطْطُ وَمُجَانِبَةُ صَوَابِ الْمَفْهُومِ الْحَقِيقِيِّ لِمَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَقَدْ تَنَازَعُوا آرَاءَهُمْ بَيْنَهُمْ فِرْقًا وَشَيْعًا فِي جَدَلِيَّاتٍ عَقِيمَةٍ كَانَ هُمُّهَا التَّعَرُّضُ لِلثَّوَابِتِ، مِمَّا أَدَّى بِهِمْ إِلَى التَّطَرُّفِ وَإِلَى الْخُرُوجِ عَنِ الْمِلَّةِ أَوْ الدِّسِّ لِلْإِسْلَامِ لِمُحَاوَلَةِ خَلْخَلَةِ بُنْيَانِ أَرْكَانِهِ، كَمَا فَعَلَ دَهَاقَةُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الْمُنْفَتِحُونَ عَلَى الْفَلَسَفَةِ الْمُتَأَثِّرَةِ بِالْمَلَا حِدَةِ، وَالرَّافِضُونَ وَالْمُشَكِّكُونَ وَالْحَاقِدُونَ عَلَى الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ. وَإِنِّي مَعَ قِرَاءَتِي لِفَلَسَفَةِ الْيُونَانِ وَمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ، مِثْلَ كَانْتُ، وَفَرُويد، وَدَارُون، وَشوينهاور، وَغُوتِه، وَكُورْفِي، وَلُوكَاكش، وَتِشْمِيرْلِين، وَشِنْغَلِر، وَنِيْتِشِه، وَهَائِدْغِر، وَكَلَاغِس، وَيَاسْبِرْز، وَسَارْتِر، وَهِيْغَل، وَسِبِيُوزَا، وَلِينِن،

وَمَارَكْس، وَمَاوْنِسِي تُونغ، وَابْنِ رُشْد، وَالْفَارَابِي، وَابْنِ سِينَا، وَابْنِ خَلْدُون وَغَيْرِهِمْ، إِلَّا أَنِّي أَرَى أَنَّ جَمِيعَ الْفَلَسَفَةِ الَّذِينَ اسْتَنْبَطُوا النُّظَرِيَّاتِ وَالْأَرَاءَ وَالْجَدَلِيَّاتِ الْوُجُودِيَّةَ لَمْ يُحَقِّقُوا فِي اسْتِفْرَاءِ اتِّهَمِ إِلَّا الْجُمُودَ فِي النَّوَاحِي الدِّينِيَّةِ الْغَيْبِيَّةِ، وَإِذَا جَاَزَ لَنَا أَنْ نُقَدِّرَ تِلْكَ الْجُهُودَ فَهِيَ تَتَمَثَّلُ فِي الْفِكْرِ الْعِلْمِيِّ الَّذِي حَقَّقَ طُمُوحَاتِ الْعَقْلِ الْإِنْسَانِيِّ فِي الْإِهْتِمَامِ بِالْجَوَانِبِ الْإِنْسَانِيَّةِ الصَّرُورِيَّةِ الْمُلْحَةِ لِحَاجَةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَتَوْسِيعِ الْأَمْدَاءِ لِلْفَلَسَفَةِ الْفِكْرِيَّةِ لَتَطْوِيرِ الْقُدْرَةِ الْبَشَرِيَّةِ لِلدَّفْعِ بِاتِّجَاهِ الْارْتِقَاءِ بِالْقِيَمِ الْمُوَسَّسَةِ لِتَدْرُجِ الْمَفْهُومَ الْحَقِيقِيَّ الْأَكْثَرَ تَتَبُّعًا لِحَفْزِ عَوَامِلِ التَّقْنِيَّةِ الْإِبْدَاعِيَّةِ الَّتِي سَاهَمَتْ إِلَى حَدٍّ كَبِيرٍ فِي تَعَدُّدِ مَقَوِّمَاتِ الْإِنْتِاجِ بِجَمِيعِ أَشْكَالِهِ وَأَنْوَاعِهِ الْخَلَاقَةِ الَّتِي آدَتْ إِلَى نَشْوءِ هَذِهِ الْحَضَارَةِ الْمُعَاصِرَةِ.

الشُّعْرَاءُ: هُمْ الْمُؤَكَّلُونَ بِلُغَةِ الشُّعُورِ وَالْمَعْرُوفُونَ بِإِنْفِعَالَاتِهِمْ مَعَ الْخِيَالِ وَتَصَوُّيرِهِمْ لِلْمَرِئِيَّاتِ وَالْمَاهِيَّاتِ وَانْشِغَالِهِمْ بِالْبَحْثِ فِي دَوَاحِلِ الْإِنْسَانِ وَالْمَخْلُوقَاتِ وَمُحَاوَلَةِ تَخْفِيفِ وَطْأَةِ الْحَيَاةِ وَخَلْقِ السَّلْوَى الطَّارِدَةِ لِلْهُمُومِ الَّتِي يَعِيشُهَا الْإِنْسَانُ، مِنْ خِلَالِ الْإِيْحَاءِ الشُّعْرِيِّ الَّذِي يَتَوَلَّدُ مِنَ الْإِلْهَامِ الْمُؤَلَّدِ لِلُّغَةِ الْبَلَاغَةِ الشُّعْرِيَّةِ فِي إِطَارِ الْجُرْسِ الْمَوْسِيقِيِّ وَالْخِيَالِ الْمُحَلَّقِ وَالصُّوَرِ الْمُعْبَّرَةِ عَنِ الْإِنْفِعَالِ الْمُشِيرِ لِلْإِحْسَاسِ الْمُتَبَكِّرِ لِلْمَعْنَى وَالْأَدَاءِ الشُّعْرِيِّ الَّذِي تَتَشَكَّلُ مُعْطِيَاتُهُ فِي مَوَاضِعِ الْغَزْلِ، وَالْمَدِيحِ، وَالرِّثَاءِ، وَالْوُجْدَانِيَّاتِ، وَالْوَصْفِ، وَالْحَمَاسَةِ، وَالْهَجْوِ، وَالْحِكْمَةِ.

وَكَذَلِكَ يَجْتَمِعُ مَعَ الشُّعْرِ مُخْتَلِفُ الْفُنُونِ الْأَدَبِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ كَالرَّسْمِ وَالنَّحْتِ، وَالْقِصَّةِ وَالرَّوَايَةِ، وَالْمَقَالَةِ الْأَدَبِيَّةِ وَغَيْرِهَا.

وَالشُّعْرُ يُعَدُّ رَأْسَ الْفُنُونِ لِمَا يَتَوَقَّرُ عَلَيْهِ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْفَلَسَفَةِ، فَالشُّعْرُ يَحْوِي كُلَّ هَذِهِ الْأَبْوَابِ؛ لِقُدْرَةِ الشَّاعِرِ عَلَى تَجْسِيدِ الْوَاقِعِ وَتَوْظِيفِ لُغَةِ الْحِكْمَةِ وَلُغَةِ الْفَلَسَفَةِ فِي الْقَصِيدَةِ، بِمَا يَتَطَلَّبُهُ الْحَدَثُ وَالْإِنْفِعَالُ الشُّعْرِيُّ الْمُلهِمُ، وَالِاسْتِعْدَادُ الَّذِي يَتَوَافَرُ لِلشَّاعِرِ الْمُتَمَكِّنِ مِنْ اسْتِنطَاقِ اللُّغَةِ لِتَشْكِيلِ الرُّؤْيَا الْخَيَالِيَّةِ الْمُحَقَّقَةِ لِأَهْدَافِ وَشُرُوطِ نَظْمِ الشُّعْرِ، بِرَغْمِ بَعْضِ الْأَرَاءِ الَّتِي تَفْصِلُ الشُّعْرَ عَنِ الْفَلَسَفَةِ.

الْحُكَمَاءُ: هُمْ السَّاعُونَ إِلَى نَشْرِ الْفَضِيلَةِ وَالْمَعْرُوفُونَ بِتَتَبُّعِهِمْ لِمَكَارِهِ الْحَيَاةِ وَنَبَذِهِمْ لِلظُّلْمِ وَالْفَسَادِ وَإِعْلَاءِ شَأْنِ الْقِيَمِ، وَهُمْ الَّذِينَ يَدُورُونَ فِي فَلَكَ الزُّهْدِ وَيَسْعَوْنَ إِلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ، وَيَحْتَفُونَ بِتَمْجِيدِ الْأَخْلَاقِ الرَّفِيعَةِ وَالِدَّعْوَةِ إِلَيْهَا بِعُدِّ فِكْرِهِمْ وَرَجَاحَةِ عَقْلِهِمْ وَسَعَةِ ثَقَافَتِهِمْ. وَالْحِكْمَةُ هِيَ مَوْهَبَةٌ يَمُنُّ بِهَا اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ،

وَقَدْ آتَى الْحِكْمَةَ لِلْأَنْبِيَاءِ وَأُولِي الْعِزْمِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. وَهُنَاكَ مَنْ يَنْسِبُ الْحِكْمَةَ وَالْفَلَسَفَةَ إِلَى الْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ وَعَلِيَّةِ الْقَوْمِ، مِثْلُ (الْفَارَابِيِّ)، وَنَحْنُ لَا نُؤَيِّدُ هَذَا الرَّأْيَ وَنَرَى أَنَّهُ أَمْرٌ نَسْبِيٌّ يَخْضَعُ لِمَعَايِيرِ ذَهْنِيَّةٍ مُتَّصِلَةٍ بِالْإِلَهَامِ الْإِلَهِيِّ، وَتَخْتَلِفُ الْقُدْرَةُ وَالتَّقْدِيرُ صُعُودًا وَنُزُولًا بَيْنَ الْقَلَّةِ مِنَ الْبَشَرِ.

وَالْحِكْمَةُ تَأْتِي فِي مَوَاضِعَ وَأَحْدَاثَ تُصَاغُ فِي لُغَةٍ بَيَانِيَّةٍ فِيهَا مِنْ سِحْرِ الْقَوْلِ وَالْبَلَاغَةِ مَا يُضْفِي عَلَيْهَا شَاعِرِيَّةَ الشُّعُورِ، وَأَعْظَمُ الْحِكْمِ مَا وَرَدَ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ، ثُمَّ مَا جَاءَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ فِي خُطَابَاتِ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ، وَمَنْ يَقْرَأُ نَهْجَ الْبَلَاغَةِ لِسَيِّدِنَا عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ يَجِدُ مِنَ الْحِكْمِ السَّيِّدَةِ فِي لُغَةٍ بَلَاغِيَّةٍ مُحْكَمَةِ النَّسْجِ فِي الْمَعْنَى وَالْمَبْنَى.

كَمَا أَنَّ الْحِكْمَةَ لَهَا عَلاَقَةٌ وَثِيقَةٌ بِالشُّعْرِ تُرَدِّدُهَا الْأَلْسُنُ عَلَى مَرِّ التَّارِيخِ الْإِنْسَانِيِّ، وَقَدْ وَصَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الشُّعْرَ وَصْفًا دَقِيقًا بِقَوْلِهِ «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لِسِحْرًا، وَإِنَّ مِنَ الشُّعْرِ لِحِكْمَةً»، وَلَوْلَا الْحِكْمَةُ لَضَاعَتِ الْفُضَيْلَةُ وَالنُّصْحُ وَالرُّشْدُ وَالْإِرْشَادُ، وَآلَتِ النُّفُوسُ إِلَى الْهَوَى وَالضَّلَالَةِ وَالْفِتَنِ الْغَيِّ وَالْفَسَادِ.

فَالْحِكْمَةُ احْتِكَاكٌ إِلَى الْحَقِّ وَالْعَدْلِ، وَابْتِعَادٌ عَنِ الظُّلْمِ وَأَسْبَابِهِ وَطَرِيقِهِ، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَمَنْ يُوْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا).

وَإِذَا عَرَفْنَا أَنَّ الْفَلَسَفَةَ وَالشُّعْرَاءَ وَالْحُكَمَاءَ رُسُلٌ لِخَيْرِ الْأَرْضِ وَسَلَامِ النَّفْسِ وَعَافِيَةِ الْجِنْسِ يَمْلَأُونَ عُقُولَهُمْ بِرِسَالَاتِ الْخَالِقِ الَّتِي جَاءَتْ عَلَى لِسَانِ أَنْبِيَائِهِ وَيَسْتَخْلِصُونَ مِنْهَا مُوجِبَاتِ الْعَمَلِ، لِتَحْقِيقِ السَّعَادَةِ الْوَقْتِيَّةِ بِتَنْظِيمِ الْأَفْكَارِ وَالْأَهْدَافِ لِبلُوغِ النَّتَائِجِ الْمَفْضِيَّةِ إِلَى الرَّاحَةِ الْمُنْقُوصَةِ فِي الدُّنْيَا، وَإِلَى الرَّاحَةِ الْأَبَدِيَّةِ الْكَامِلَةِ فِي دَارِ الْخُلُودِ فِي الْآخِرَةِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُؤُلَاءِ الْعُلَمَاءُ وَجُودٌ فِي الدُّنْيَا، فَلَنَتَّصَرَّوْا كَيْفَ سَتَكُونُ فَوْضَى الْعُقُولِ وَشَقَاءَ الْبَشَرِ وَظِلَامَ النُّفُوسِ!! إِنَّهُمْ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَدُعَاةُ الْخَيْرِ تَحْتَ سَمَائِهِ.

مِنْ شِعْرِي: قَصِيدَةُ «نَشِيدُ الْإِنْسَادِ»، دِيَوَانُ «فَنَادِيلِ الرِّيحِ» (الْأَعْمَالُ الشَّعْرِيَّةُ)

زَيْتُونَةٌ عَنَبًا وَاسِقِ الشَّرَى دَمْنَا
بِهِ الْمَوَاجِدُ صَارَتْ مَيْتَةً بَدْنَا
تَنْدَى فَيُشْرِقُ مِنْ عَيْنِ السَّهِيدِ سَنَا
لِلنَّارِ وَالطِّينِ تُذَكِّيهِمَا الرِّيحُ هُنَا
(يَا إِيْلُ) عَطْفَكَ إِنِّي قَدْ ظَمِئْتُ أَنَا
وَجَمْرَةٌ أَوْقَدْتُ أَنْفَاسَنَا زَمَنَا؟
وَلْتَحْتَسِي.. أَيُّ مَاءٍ بَعْدَ مَا أَسْنَا؟
أَوْ تَصْبِرِينَ أَحْذَرِي أَنْ تَشْتَكِي وَهَنَا
وَرِيْقَاتُ الْأَمَانِي أُطْعِمَتْ رَسْنَا
مَدِينَةٌ تَقْتَرِي الْأَزْهَارَ وَالْمُدُنَا
وَأَنْزَاحَ هَوْلٍ تَرَامِي وَالنَّسِيمُ دَنَا
لَا خِيفَةً مِنْهُ بَلْ خَوْفًا يَرُومُ ضَنَى
وَاعْشَوْشَبَ الْجَدْبُ الْوَأْنَا وَطَلَعَ مُنَى
قَدْ انْطَفَأْنَا شُمُوسًا فَاشْعَلِي غَدْنَا
أَيْنَ الْمَوَاطِنُ بَعْدِي تَسْكُنُ الْوَطْنَا؟

قُمْ خَدِّرِ الْمَوْتَ وَاقْطِفْ مَا تَشَاءُ جَنَى
الظِّلُّ وَالطَّلُّ الْبَالِي اغْتِسَافُ مَدَى
تَنَامُ حَوْلَ فَرَاشَاتِ تُوَانِسُهَا
الْعَصْفُ وَالرِّيحُ وَالطُّوفَانُ مُعْتَرِكُ
تَسَاءَلْتُ خُطْوَةً فِي لَيْلٍ مُنْقِذَهَا
أَقْطَرَةٌ بَخِلَتْ حَتَّى عَلَى أَلَمِ
هَذَا النَّجِيعِ رَمَادُ الْمَوْتِ فَاغْتَرَفِي
أَوْ دُونَكَ الْبَحْرَ عُبِّي مِنْ أُجَاجَتِهِ
مَنْ تَسْأَلِينَ وَوَجْهَهُ اللَّيْلُ مُقْتَنَصُ؟
لَيْلٌ تَطَاوَلَ وَالصُّبْحُ الْبَهِيْجُ سَلَا
قَالَتْ سَاتِي إِذَا سِيمَ الطُّغَاةُ شَقَا
أَضْمُكُمْ وَوَلِيدُ الْأُمِّ تَحْضِنُهُ
تَغَرَّبْتُ فِي كَلِينَا رَمْلَةً، زَهْرُ
إِذَا التَّقِينَا فَهَلَّا نَلْتَقِي قَبَسَا
الْمَوْطِنُ الْحُبُّ أَنْتُمْ أَيْنَ غَائِبُكُمْ؟

الْعَمَلُ بِالتَّخَصُّصِ تَرْشِيدٌ وَإِنْصَافٌ

مِنْ مَهَامِ الْجَامِعَاتِ فِي مُخْتَلَفِ بِلَادِ الْعَالَمِ أَنْ تَبْنِيَ الْعُقُولَ بِالدَّرْسِ وَالتَّحْصِيلِ الْعِلْمِيِّ وَالنَّظَرِيِّ مِنْ خِلَالِ الْكُلِّيَّاتِ الْمُتَنَوِّعَةِ، لِتَقْدِّمَ الشَّبَابَ بَعْدَ التَّخَرُّجِ، لِيَمَارِسُوا تَخَصُّصَاتِهِمْ الَّتِي حَرَّصُوا عَلَى تَلْقَى مَوَادِّهَا وَالَّتِي مِنَ الْمُفْتَرَضِ أَنْ تُكَلَّلَ بِالْعَمَلِ لِاِكْتِسَابِ الْخِبْرَةِ وَالْمَهَارَةِ، لِيَكُونُوا مُنْتَجِينَ فِي مَجَالَاتِهِمْ وَاخْتِصَاصَاتِهِمْ.

وَفِي وَطَنِنَا الْعَرَبِيِّ تَقُومُ الْجَامِعَاتُ بِأَدَاءِ أَدْوَارِهَا، غَيْرَ أَنَّ الْخَرِيجَ يَصْطَلِدُ بِأَوَّلِ الْمُحِبِّطَاتِ بَعْدَ تَخَرُّجِهِ عِنْدَمَا يَشْغُلُ عَمَلًا لَا يُمِثُّ إِلَى تَخَصُّصِهِ بِصِلَةٍ، وَيَرَى مِنْ أَقْرَانِهِ وَزُمَلَانِهِ مَنْ تُسَعِّفُهُمُ الْحُظُوظُ فَيَتَسَسَّمُونَ عَمَلًا مُتَوَافِقًا مَعَ تَخَصُّصَاتِهِمْ، أَوْ يَوْضَعُونَ فِي مَكَانَةٍ عَالِيَةٍ وَمَنْصِبٍ أَعْلَى مِنْ قُدْرَاتِهِمْ، فَلَا يُعَوَّلُ عَلَى طَبِيعَةِ التَّخَصُّصِ، مِمَّا يَتْرُكُ آثَارَهُ السَّلْبِيَّةَ عَلَى الْوَطَنِ وَالْأُمَّةِ، وَيُشِيعُ الْإِحْبَاطَ فِي النُّفُوسِ الْمَحْذُولَةِ الَّتِي كَانَتْ نَعْتَقْدُ أَنَّ وَسِيلَتَهَا الشَّهَادَةُ الْجَامِعِيَّةُ الَّتِي تُعْطِي مِفْتَاحَ الدُّخُولِ إِلَى الْحَيَاةِ الْعَمَلِيَّةِ، حَسَبَ تَخَصُّصِهَا، فَتَصَابُ بِخِيْبَةِ الْأَمَلِ وَالِاسْتِسْلَامِ لِلْيَاسِ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى عَدَمِ الْاِكْتِرَافِ بِالْأَدَاءِ الْمُتَقَنِّ وَالْجُهْدِ الْمُخْلِصِ، وَيَعْمَلُ عَلَى تَرْسِيخِ دَوَاعِي الْبُيُورُوقْرَاطِيَّةِ، وَالِاسْتِهْوَائَةِ بِحُقُوقِ الْمَوَاطِنِينَ وَمَصَالِحِهِمْ، وَإِذَا تَقَدَّمَ صَاحِبُ الْمَصْلَحَةِ بِالشُّكُوفِ لِلْمَسْئُولِ الْأَعْلَى حِينَ يُحْسِنُ بِالظُّلْمِ الَّذِي يَقَعُ عَلَيْهِ مِنْ دُونِيَّةِ الْمُوظَّفِ أَوْ الْمَسْئُولِ الَّذِي يَعْمَلُ وَفَقًا لِأَهْوَاؤِهِ؛ يَتَعَرَّضُ لِلْإِهْمَاقِ وَالْمَذَلَّةِ وَإِلَى التَّسْوِيفِ وَالْمُطَاطَلَةِ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ عُقُوبَةً لَهُ، وَفِي النِّهَايَةِ يُرْمَى بِالْكَذِبِ وَالْكِدِّ فِي شِكْوَاهُ، وَيُطَالَبُ بِالْإِثْبَاتِ وَتَقْدِيمِ الدَّلِيلِ عَلَى تَعْطِيلِهِ، وَهَيْهَاتَ لَهُ أَنْ يُقَدَّمَ الدَّلِيلُ الَّذِي يُدِينُ حِينَمَا يَكُونُ مُتَخَفِّيًا دَاخِلَ الضَّمِيرِ الْإِنْتِهَازِيِّ الَّذِي صَنَعَتْهُ عَوَامِلُ الْإِقْصَاءِ الْحَائِلِ عَنِ التَّمَيُّزِ وَتَحْقِيقِ الذَّاتِ الْفَاعِلَةِ، لِذَا يَتَجَّهُ الْمَوَاطِنُ إِلَى الْأَسَالِيبِ غَيْرِ الصَّحِيحَةِ، وَهِيَ سُلُوكِيَّاتٌ لَا يُمَكِّنُ تَعْمِيمُهَا، وَرَبَّمَا تَأْتِي بِعَكْسِهَا إِذَا مَا أَرَادَ صَاحِبُ الْمَصْلَحَةِ أَنْ يَرْكَبَ عَلَى النِّظَامِ بِكُسرِ قَوَاعِدِهِ الْمُنْتَظِمَةِ لَهُ، فَيَنْتَشِرُ الظُّلْمُ وَيَعْدُو الْفَسَادُ أَسْلُوبًا وَمَسْلَكًا، وَبِهَذَا يَحُلُّ الْخَرَابُ بِالْأُمَمِ وَالْأَوْطَانِ، وَيَكُونُ الْإِصْلَاحُ بَاهِظَ الثَّمَنِ عِنْدَمَا تَتَحَرَّفُ النُّفُوسُ عَنْ جَادَّةِ الصَّوَابِ، لِلْإِخْلَالِ بِالنُّظُمِ التَّشْرِيعِيَّةِ وَتَضَارُبِ الرُّؤْيِ الْمُؤَيَّدَةِ أَوْ الرِّافِضَةِ، أَوْ الْمُتَعَسِّفَةِ فِي اتِّخَاذِ الْقَرَارَاتِ، وَعِنْدَمَا يَنْعَدِمُ الْإِحْسَاسُ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالْمَسَاوَاةِ يَتَحَقَّقُ انْهِيَارُ الْمُثُلِ وَالْقِيَمِ وَتَتَحَجَّرُ الْقُلُوبُ، وَيَكْثُرُ

الظُّلْمَ حِينَ يَنْعَدِمُ الرَّقِيبُ الْأَخْلَاقِيَّ أَوْ يُعَيِّبُ، عِنْدَهَا لَا يُجْدِي الدَّوَاءُ وَقَدْ اسْتَفْحَلَ الدَّاءُ، لِيُصِيبَ الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ وَالْبَرِيَّ وَالْجَانِيَّ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ، وَتَكُونُ الْمَصَائِبُ شَامِلَةً، وَالْجَرَائِمُ حَاصِدَةً، وَالْأَلَامُ مُوجِعَةً، لِأَنَّا لَمْ نَسْتَعْمِلِ الْعِلَاجَ فِي حِينِهِ، لِيَكُونَ آخِرُ الْعِلَاجِ الْكَيِّ، وَالْكَيُّ مُحْرِقٌ وَمُؤْلِمٌ، وَمَنْ قَرَأَ التَّارِيخَ وَأَنْعَمَ النَّظَرَ يَخْرُجُ بِالْعِظَاتِ، وَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ النَّبَوِيَّةَ وَعَمِلَ بِهِمَا يَهْنَأُ فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَمَاتِ، فَاللَّهُ بِعِزَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ أَوْجَدَ الْكَوْنَ وَأَوْجَدَنَا فِيهِ لِلْامْتِحَانِ وَالْإِبْتِلَاءِ، لِيَعْلَمَ الصَّادِقِينَ مِنَّا وَالْكَاذِبِينَ، وَلِتَعْمَلَ النَّارُ عَمَلَهَا وَالْجَنَّةُ عَمَلَهَا الَّذِي أَرَادَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَهُمَا مُنْذُ الْأَزَلِ، فَمَنْ يُرِدْ شِرَاءَ النَّارِ بِظُلْمِهِ لِنَفْسِهِ فَلْيَعْمَلْ، وَمَنْ يُرِدْ شِرَاءَ الْجَنَّةِ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ فَلْيَعْمَلْ، وَكَمْ يَتَرَاءَى الْأَمَلُ الْخَادِعُ كَالسَّرَابِ يَحْسِبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا، وَكَمْ يُفْنِعُ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ بِغُفْرَانِ اللَّهِ وَيَنْسَى عِقَابَهُ، وَكَمْ يَبْدُو الْإِنْسَانُ جَاهِلًا عِنْدَمَا يَكُونُ أَوَّلَ عَدُوٍّ لِنَفْسِهِ بَارْتِكَابِهِ الْمُؤَبَّقَاتِ وَالْمُظَالِمِ حِينَ تُسَوِّغُ لَهُ نَفْسُهُ الْأَمَارَةَ بِالسُّوءِ الْفَنَاعَةَ وَتَسْتَعْمِلُهُ فِي طَاعَةِ الْهَوَى لِيَتَكُونَ الْجَحِيمُ هِيَ الْمَأْوَى!

فَمَنْ مِنَّا يَجْهَلُ أَنَّنَا نَعِيشُ أَسْوَأَ حَالَاتِ التَّرَدِّي الْأَخْلَاقِي فِي هَذَا الْعَصْرِ الْقَبِيحِ الْمُعْرِى بِقُبْحِهِ؟ وَمَنْ مِنَّا يُنْكِرُ أَنَّ الْعَالَمَ يَمُوجُ فِي لَيْلٍ مِنَ الضَّلَالِ وَالْكَذِبِ وَالنَّفَاقِ وَالزَّيْفِ وَالْخِدَاعِ لِيَتَحَقِّقَ مَا رَبِّ نَفْعَةٍ خَاصَّةٍ؟ وَمَنْ مِنَّا مَنْ عَاتَبَ نَفْسَهُ وَزَجَرَهَا عَنْ سُلُوكِ طَرِيقِ الرِّذِيلَةِ وَالْفُسَادِ لِيَرْتَقِيَ إِلَى مَكَانَةِ الْقُدُورَةِ الصَّالِحَةِ؟ وَمَنْ مِنَّا فَكَّرَ فِي النَّهَايَةِ وَفِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ الَّذِي سَوْفَ يَتَوَي فِيهِ وَيَلْفُهُ الظَّلَامُ وَتُطْبِقُ عَلَيْهِ الرَّجَامُ؟ وَمَنْ مِنَّا فَكَّرَ لِمَرَّةٍ وَاحِدَةٍ كَيْفَ يَسْتَعِينُ بِالْبَاطِلِ لِيَسْتَبِيحَ حَقَّ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ وَهَدَرَ مَالَهُ وَعَرَضَهُ؟ وَمَنْ مِنَّا تَخَيَّلَ الْأَلَمَ وَالظُّلْمَ الَّذِي يَصْنَعُهُ بِالْآخِرِ لَوْ وَضَعَ نَفْسَهُ مَكَانَ الْمَوْجُوعِ وَالْمَظْلُومِ كَيْفَ سَيَحْتَمِلُ وَقَعَهُ عَلَيْهِ؟! أَسْئَلُهُ كَثِيرَةً وَالْجَوَابُ عَنْهَا فِي مَا قَالَهُ رَسُولُنَا الْعَظِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:

«أَلَا إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ».

فَعَلَيْنَا، كِبَارًا وَصِغَارًا، أَنْ نُعِيدَ حِسَابَاتِنَا مَعَ أَنْفُسِنَا، وَنَبْدَأَ قَبْلَ الْمُطَالَبَةِ بِإِصْلَاحِ الْأَوْطَانِ بِإِصْلَاحِ فُسَادِ الْقُلُوبِ، فَلَا وَطَانَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا بِصْلَاحِ إِنْسَانِهَا إِذَا نَظَرَ النَّابِئُ وَالْوَاعِي لِلْحَالِ وَالْمَالِ الَّذِي سَوْفَ يَعِيشُهُ أَبْنَاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَفَكَرَ فِي مَصِيرِ الْأَجْيَالِ

الْقَادِمَةِ، كَيْفَ يَهَيِّئُ لَهُمُ الْحَيَاةَ الْكَرِيمَةَ؟ فَلِلْإِنْسَانِ سَيَظِلُّ مَرْفُوضًا وَمَمْقُوتًا حِينَ يَكُونُ هَمُّهُ تَحْقِيقَ الذَّاتِ دُونَ النَّظَرِ إِلَى بَقِيَّةِ الدَّوَاتِ، وَحِينَ يَجْعَلُ مَصْلَحَتَهُ مَعْيَارًا وَمَقْيَاسًا لِلتَّقَافَرِ عَلَى الْحُقُوقِ وَالْكَفَاءَاتِ وَالتَّخَصُّصَاتِ وَتَهْمِيشِ الْآخَرِينَ وَالتَّغَافُلِ عَنِ ابْسَاطِ حُقُوقِهِمْ فِي الْمُشَارَكَةِ بِالْفِكْرِ وَالْعَمَلِ وَفَتْحِ أَبْوَابِ الرِّزْقِ لِسَدِّ الْحَاجَاتِ الضَّرُورِيَّةِ لِمَعَاشِهِمْ. لِذَلِكَ إِذَا أَرَدْنَا الْحِفَاطَ عَلَى ثَبَاتِ الْقِيَمِ وَالْمُكْتَسَبَاتِ فَعَلَيْنَا أَنْ نَعْمَلَ أَسْوَةً بِالذُّوَلِ الَّتِي نَوَعَتْ مَجَالَاتِ التَّخَصُّصِ، وَأَعْطَتْ الْكَفَاءَاتِ حَقَّهَا وَنَصَبَتْهَا فِي مَوَاقِعِهَا الَّتِي تَسْتَحِقُّ مِنْ خِلَالِ مَنْهَجِ مَدْرُوسٍ يُوزَعُ الطَّاقَاتِ الْمُؤَهَّلَةِ، حَسَبَ التَّخَصُّصِ النَّوْعِيِّ فِي شَتَّى مَيَادِينِ الْعَمَلِ لِلْقَضَاءِ عَلَى الْبَطَالَةِ، وَإِحْلَالِهِمْ فِي وِظَائِفٍ تَسْتَوْعِبُ تِلْكَ الْأَعْدَادَ وَالْقُدْرَاتِ لِيُوضَعَ الْإِنْسَانُ الْمُنَاسِبُ فِي الْمَكَانِ الْمُنَاسِبِ، بَعِيدًا عَنِ الْمُجَامَلَاتِ عَلَى حَسَابِ الْأَكْفَاءِ، بِمَا لَا يُوَدِّي إِلَى غَمَطِ حُقُوقِهِمُ الْمُكْتَسَبَةِ بِالْجُهْدِ وَالْمُكَابَدَةِ وَالدَّرْسِ وَالتَّحْصِيلِ، فَكُلُّ لَهُ حُقُوقٌ يَأْخُذُهَا وَعَلَيْهِ حُقُوقٌ يُودِّيَهَا، وَبِذَلِكَ تَصْلُحُ الْأَوْطَانُ وَتَصْلُحُ الْأُمَمُ وَيَسُودُ الْعَدْلُ وَتَرْتَفِعُ الْقِيَمُ وَتُبْدِعُ الْعُقُولُ وَتَرْدَهُرُ مَعَاقِلُ الْإِنْتِاجِ، وَيُصْبِحُ الْإِنْتِقَانُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْمُثَابَرَةُ حَوَافِرَ صَانِعَةٍ لِلْأَمَالِ وَالْأَعْمَالِ وَالنَّجَاحِ، وَهَذَا مِنْ أَهَمِّ مَقُومَاتِ الْإِصْلَاحِ لِمَنْ أَرَادَ الْإِصْلَاحَ (وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ).

من شعري: قصيدة «المتاجر في قتل الأوطان»،
ديوان «أبدية قلب»

تَلُجُ فِي فَضْلِ الْأَحْزَانِ
يَتَسَاقَطُ كَالْقُطُنِ
كَبَيَاضِ قُلُوبِ الْأَطْفَالِ
تَلْهُو، تَرْمِي بِكَرَاتِ الثَّلْجِ
وَتَحْفَرُ حُفْرًا تَدْخُلُ فِيهَا
وَتُغَطِّيهَا
وَتَعُودُ أَيَادِيهَا تَحْفَرُهَا
تَتَعَوَّدُ حَبْسَ الْأَنْفَاسِ
لِتَعْرِفَ قُوَّتَهَا فِي الصَّبْرِ
جِيلٌ يَسْتَنْبِتُ سَيْفَ الثَّأْرِ،
فَمِنْهُمْ فِي أَحْضَانِ الْأَسْرِ
وَمِنْهُمْ تَحْتَ جِدَارِ الْفَقْرِ
وَبَعْضُ آخِرِ مَخْلُوقٍ مِنْ مَاءِ الزَّهْرِ
لِلْقَيْظِ شَبَابٌ يُوَلِّدُ بَيْنَ كُهُوفِ الْجَهْلِ،
وَيَدْرُسُ فِي الطَّرِيقَاتِ الْقَهْرُ
عَلَّمَهُ الْقَيْظُ السَّاكِنُ فِي الْأَمَلِ الْمَخْدُوعِ
بِأَنَّ يَتَنَاعَ الْكُوكَائِينَ أَوْ الْهَرَوِينَ
لِيَكْسِبَ مِنْهَا بَعْضُ الْأَجْرِ
وَيَعِيشَ بِقُوَّةٍ بَخْسٍ
وَيُطِلُّ عَلَيْهِ النَّحْسُ

مُسْكِينٌ هُوَ فِي سِنِّ الْعِشْرِينَ
يَسْأَلُهُ الْخَوْفُ عَنِ الرَّحْلَةِ فِي طُرُقِ الشَّوْكِ
وَعَنْ جَبَلٍ وَعَرٍ مَحْفُوفٍ بِالنَّارِ
قَالَ أبيعُ أَنَا الْأَخْطَارَ
لَا تَسْأَلْنِي يَا خَوْفِي مِثْلِي آلَافٌ
وَالْخَوْفُ يَقُولُ هِيَ الْأَعْدَارُ
وَيُجِيبُ بَلِ التَّشْرِيدُ الْبَاحِثُ عَنْ كَسْبِ الْقُوْتِ
لَيْسَدَ الرَّمَقَ الْجَانِعَ
لَكِنَّ الْأَمَلَ الضَّائِعَ مُنْذُ سِنِينَ
يَنْتَظِرُ (التَّعْيِينَ)

صَدَرَ (التَّعْيِينَ)
فِي الرَّبْعِ الْخَالِي
هَيْهَاتَ فَعُرْبَةٌ أَيَّامِي وَفَرَاعِي سَيَّانٍ
أَدْمَنْتُ وَضَاعَتْ أَخْلَامِي
لَا يُوَلِّدُ مِثْلِي إِلَّا كَيْ يَبْتَاعَ السُّقْمَ
قَدْ كُنْتُ أَشْمُ الْوَرْدِ
وَصِرْتُ أَشْمُ السُّمِّ
لَا تَسْأَلْ عَنِّي بَعْدَ الْيَوْمِ
إِنْ كُنْتُ تَرَانِي فِي عَيْنَيْكَ كَرِيهٍ
فَاسْتَرْجِعْنِي صُورَةَ إِنْسَانٍ
مَوْلُودٍ فِي وَقْتِ الرَّهْبَةِ وَالْتِيهِ

وَلْتَسْأَلْ مِنْ بَعْدِي الرَّمْلَ وَتَسْأَلْ أَطْلَالَ الْعَفْلَةِ
عَنِّي عَنْ أَمْثَالِي الْعِمْيَانِ
كَمْ جَفَّتْ أَنْمَارٌ فَوْقَ الْأَغْصَانِ
وَكَمْ اِغْمَاءٌ فِي أَعْمَاقِ الْوَهْنِ
فَمَنْ يَسْأَلُ عَنْ مَنْ؟
وَمَنْ سَلَّمَنا لِهَوَى الشَّيْطَانِ
تَوَلَّدَ لَا نَعْرِفُ
مَنْ سَيْرَبَيْنَا: الذُّلُّ أَمْ التَّغْرِيزُ
نَكْبَرُ، نَتَعَلَّمُ عَرَسَ النَّحْلِ وَنَنْضَجُ بِالْأَشْجَانِ
وَنَعُودُ بِخَيْبَتِنَا فَلَا مَلْ لَهُ أَسْمَانِ
أَمَلٌ يَغْتَنِمُ رَبِيعَ الرُّوضِ
وَأَخَرٌ تُخْفِيهِ الْأَحْزَانُ
فَلْيَنْعِ النَّاعِي فِتْيَانًا فِي عُمُرِ الْوَرْدِ الرَّيَّانِ
قَدْ مَاتُوا دُونَ عَزَاءٍ
أَوْ دُونَ سُؤَالِ الْقَاتِلِ كَيْفَ يُتَاجَرُ
فِي قَتْلِ الْأَوْطَانِ

كُنْتُ كَالْوُرُودِ وَالطُّيُورِ وَالْفَرَاشَاتِ أَقْصَرَ عُمْرًا

مَرَّ عَامٌ أَتَيْتُهَا الْحَبِيبَةُ وَأَنْتِ فِي رِحْلَةِ الْغُيُوبِ، وَنَحْنُ نَعِيشُ عَلَى رَجْعِ ضِيَاءِ وَجْهِهِ الْمَحْبُوبِ، وَرَبِيعِ عُمْرِكَ النَّدِيِّ الطُّرُوبِ، كَأَنَّكَ اخْتَصَرْتَ مَسَافَاتِ الزَّمَانِ بِالسَّفَرِ لِلْخُلُودِ، فَكُنْتُ كَالْوُرُودِ وَالطُّيُورِ وَالْفَرَاشَاتِ أَقْصَرَ عُمْرًا، وَأَجْمَلَ خَلْقًا، وَأَبْهَجَ نَفْسًا، رَحَلْتَ وَكَأَنَّ دُنْيَانَا لَمْ تَرْكُكِ أَوْ لَمْ تَكُنْ بِقَدْرِ حُلْمِكَ النَّضِيرِ وَأَمْلِكِ الْكَبِيرِ، عِنْدَمَا رَأَيْتِ سَوَادَ الْوَقْتِ وَقَتَامَةَ الدَّخَائِلِ وَخَدَائِعِ النُّفُوسِ الْمُثْقَلَةِ بِأَعْبَاءِ الْعَدَاوَاتِ وَالْأَحْقَادِ وَالْحَسَدِ، فَأَبَيْتِ لِنَفْسِكَ الطَّاهِرَةِ أَنْ تَعِيشَ فِي مُسْتَنْقَعِ الْكُذْبِ وَالنِّفَاقِ وَصِرَاعِ الْإِنْسَانِ لِلْإِنْسَانِ عَلَى عَدَاوَةٍ وَجَفَاءٍ وَتَفَاهَةِ الْأَشْيَاءِ وَوَضَاعَةِ الْأَغْرَاءِ، أَوْ لَعَلَّكَ أَنْسَتِ عَوَالِمَ الْحُبِّ وَالْجَمَالِ، وَالسَّلْوَةِ وَالْإِنْبَهَارِ، وَالْحَقِيقَةَ لِلاِغْتِرَارِ، فَاتَّزَتْ الرَّحِيلُ إِلَى مَدَائِنِ الْفَرَحِ وَالسُّعُودِ، فِي رَحَابِ الْخَالِقِ الْمَعْبُودِ، فَعِنْدَهُ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أَذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ. مِنْ عَامٍ أَتَيْتُهَا التَّقِيَّةَ النَّفِيَّةَ، وَنَحْنُ إِلَى طَيْفِكَ نَظِرُونَ، وَلِرَجْعِ هَمْسِكَ ذَاكِرُونَ، كَأَنَّكَ مَا غَبْتَ إِلَّا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ، نَزَاكَ فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ، وَفِي الْغَدُوِّ وَالرَّوَّاحِ، حِينَ تَذْهَبِينَ إِلَى الْجَامِعَةِ، وَكَأَنَّنا نَنْتَظِرُ عَوْدَتِكَ بَعْدَ الظَّهِيرَةِ لَتَنَاوِلَ طَعَامَ الْغَدَاءِ، فَكَمْ كُنْتُ نَعُودِينَ مُجْهِدَةً وَقَدْ سَدَدْتَ رَمَقَ جُوعِكَ بِسُنْدُوتِشِ سَرِيعٍ وَأَنْتِ عَائِدَةٌ مِنَ الْجَامِعَةِ مِنْ جُدَّةٍ لَتَخْلُدِي قَلِيلًا إِلَى النَّوْمِ، ثُمَّ نَزَاكَ فِي الْمَسَاءِ عَلَى مَائِدَةِ الْعِشَاءِ.

مَرَّ عَامٌ، وَصَبَاحُنَا كَالشَّمْسِ تُشْرِقُ عَلَيْنَا أَيْنَمَا رُحْنَا وَحَيْثُ حَلَلْنَا وَأَنْتِ جِئْنَا، لَمْ يَتَغَيَّرْ فِينَا أَوْ عَلَيْنَا شَيْءٌ أَتَيْتُهَا الْحَبِيبَةُ سِوَى أَنَّكَ لَسْتَ مَعَنَا جِسْمًا وَلَكِنَّكَ مَعَنَا ذِكْرًا تَطُوفُ عَلَيْنَا بِطُيُوفِ الْوَدَاعَةِ وَالرِّقَّةِ وَالصَّمْتِ وَالْخَجَلِ وَالْبَسْمَةِ وَالْعُدُوبَةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالصَّدْقِ وَالْكَرَامَةِ، فَنَحْنُ كَمَا نَعْهَدِينَ يَجْمَعُنَا الْحُبُّ الْكَبِيرُ الَّذِي أَلْفَتَهُ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِيكَ وَأُمِّكَ وَإِخْوَتِكَ، وَبِرَغْمِ حُزْنِنَا الْعَمِيقِ وَانْكِسَارِ نَفُوسِنَا عَلَى فِرَاقِكَ نَبْتَسِمُ وَنَأْكُلُ وَنَشْرَبُ وَنَتَرَوَّحُ وَنَاتِي، وَكُلُّ مَنْ فِينَا يُخْفِي أَلَمَهُ وَيُحَاوِلُ إِلَى السُّلُوانِ سَبِيلًا، وَهَيْهَاتَ لَوْ لَا رَحْمَةُ اللَّهِ بِنَا لِاسْتِطَارِ الْعَقْلِ وَتَمَادِي بِنَا إِلَهُمُّ وَالْعَدْلُ، فَمُصِيبَتُنَا فَيْكَ أَتَيْتُهَا الْحَبِيبَةُ تَجْتَرِحُ كُلَّ مَعَانِي الصَّبْرِ وَأَيَّامِ الدَّهْرِ، وَمَا يُطْمَئِنُّ نَفُوسَنَا إِلَّا أَنَّكَ فِي رَحَابِ الْكَرِيمِ الَّذِي يَمُنُّ عَلَيْكَ بِالْغُفْرَانِ، وَيَحْفُكُ

بِالْأَمَانِ، وَيَهَبُكَ جَنَّةَ الرُّضْوَانِ، جَزَاءً وَفَاقًا لِحُبِّكَ لِلدِّيَانِ، وَلِبَرِّكَ بِالْوَالِدَيْنِ وَالْأَهْلِ وَالْإِخْوَانِ وَالْخِلَانِ، فَطُوبَى لِكَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ، وَالْعَيْشِ الْكَرِيمِ، وَالْهَنَاءِ الْعَمِيمِ، لَدَى السَّمِيعِ الْعَلِيمِ.
مَرَّ عَامٌ، كُنْتُ فِيهِ عَلَى مَشَارِفِ الْعَشْرِينَ مِنْ سَنَوَاتِ عُمْرِكَ الْقَصِيرِ، يَزِينُكَ الصَّبَا وَالْفُتُونُ وَخَضِرُ الْعُيُونِ وَيَبَاضُ الثَّلَجُ الْمَكُونُ، أَلَمَحْ صُورَتَكَ الْأَبْهَى كُلَّ يَوْمٍ، وَتَأْخُذْنِي الْعَبْرَةُ وَأَتَخَيَّلُكَ تَهَمِّسِينَ بِالنَّظَرَةِ وَحَدِيثِ النَّجْوَى بَيْنَ الْعَمِّ وَابْنَةِ أَخِيهِ، وَأَنَا أُنَادِيكَ لِتُصْلِحِي لِي الْكُمُيُوتَرَ الَّذِي كُنْتُ بَارِعَةً فِيهِ، أَوْ أَنْ تَكْتُبِي لِي مَا أُرِيدُهُ فَتَاتِينِي مُسْرِعَةً قَائِلَةً «نَعَمْ يَا عُمُو عَبْدَ اللَّهِ»، وَتَعْمَلِينَ لِي مَا أطلبُهُ مِنْكَ بِكُلِّ حُبٍّ وَلُطْفٍ وَأَدَبٍ وَخُلُقٍ كَرِيمٍ، وَحَتَّى عِنْدَمَا أَدَاعِبُكَ كُنْتُ تَرُدِّينَ بِبِسْمَةِ خَجُولَةٍ تَفْتُرُ عَلَى مُحَيَّاكَ الْجَمِيلِ.
مَرَّ عَامٌ أَيُّهَا الْحَبِيبَةُ وَأَنَا وَأَبُوكَ وَأُمُّكَ وَجَمِيعُ أَهْلِكَ يَلُوعُنَا الْبُعْدُ وَالْفِرَاقُ، نَنْظَاهُرُ بِالْفَرَحِ وَلَا نَفْرَحُ، وَنَتَشَاغَلُ بِالْأَحَادِيثِ الَّتِي تَسْنَحُ، فَأَنْتِ فِيْنَا مَحَلَّ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْفُؤَادِ، فِي أَعْمَاقِ الرُّوحِ تَسْكُنِينَ وَلَا تَبْرَحِينَ حَتَّى نَلْتَقِيَ فِي دَارِ الْكَرَامَةِ، وَفِي مُسْتَقَرِّ الرَّحْمَةِ، وَفِي جَنَّةِ الْخُلُودِ، لِنُكْمِلَ مَعًا مَشُورَ الْأَمَلِ وَالْحُبِّ وَالْوَفَاءِ، وَنَسْتَمْتِعَ وَإِيَّاكَ، وَوَالِدَاكَ وَوَالِدَانَا وَأَهْلَنَا وَأَحِبَّتَنَا وَالْمُسْلِمُونَ فِي جَنَّةِ عَرْضِهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ. يَوْمَهَا نَفْرَحُ بِالْفَوْزِ الْكَرِيمِ بِلِقَاءِ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ، وَنَلْتَقِيَ لِقَاءً لَا فِرَاقَ بَعْدَهُ، وَنَحْيَا حَيَاةً لَا مَوْتَ فِيهَا، بَلْ سَلَامٌ وَوَنَامٌ وَعَطَاءٌ وَإِنْعَامٌ مِنْ لَدُنْ غَرِيزٍ رَحِيمٍ.

مَرَّ عَامٌ، وَهَا هِيَ مَرْيَمُ ابْنَةُ عَمِّكَ رَغَمَ جُرُوحِهَا وَكُسُورِهَا مِنْ ذَلِكَ الْحَادِثِ الْمَشْهُومِ تَدَاوُمٌ بِادِّكَارِكَ لَا تَكُلْ وَلَا تَمَلْ، فَهِيَ تَغْفُو وَتَضْحُو عَلَى اسْمِكَ وَرَسْمِكَ، وَعَلَى حَدِيثِهَا عَنْكَ وَرَوَايَا فِي مَنَامِهَا لَكَ، وَكَأَنَّكَ مَا افْتَرَقْتَ عَنْهَا وَلَمْ تُغَادِرِي نَفْسَهَا وَحَيَاتِهَا، كَأَنَّكَ تَوَهُمُهَا أَوْ أُخْتُهَا الَّتِي لَمْ تَلِدْكَ أُمُّهَا، وَلَكِنْ هَذِهِ سُنَّةُ التَّكْوِينِ الْإِلَهِيِّ؛ يُفَارِقُ كُلُّ مَنْأٍ أَحِبَّاءَهُ عَلَى قَدَرٍ مَقْدُورٍ وَأَجَلٍ مَكْتُوبٍ، وَيُظَلُّ الشُّوقُ وَالذِّكْرَى وَالْأَمَلُ عَزَاءً الْأَخِلَاءِ حَتَّى يَوْمَ اللِّقَاءِ.

مَرَّ عَامٌ وَكَأَنَّهُ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ، فَحِينَ يَذْكُرُ أَحَدُ اسْمِ صَبَاحٍ أَنْسَى أَنَّكَ ارْتَحَلْتَ وَأَكَادُ أَقُولُ: أَيْنَ صَبَاحُ؟ لَمْ أَرَهَا الْيَوْمَ! وَحَتَّى هَذِهِ اللَّحْظَةُ يَا حَبَّةَ الْفُؤَادِ لَا أَصَدِّقُ أَنَّكَ انْتَقَلْتَ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى تَشْدِيدِينَ رَحْمَتَهُ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَكَمْ نَجُولُ بِالْفِكْرِ نَتَلَمَّسُ بَارِقَةَ أَمَلٍ تَطْمُنُّ قُلُوبَنَا عَلَيْكَ وَنَحْنُ نَتَشَوَّفُ إِلَيْكَ وَأَنْتِ تَطُوفِينَ بِالرُّؤْيَى فِي الْمَنَامِ فَتَاتِينَ فِي جَلَالٍ وَوَقَارٍ وَابْتِسَامٍ، نَرَاكَ فِي رِيَاضٍ بِهِجٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ رَفِيعٍ، نَرَاكَ فِي حُبُورٍ

وَسُرُورٍ فَنَقُولُ إِنَّهَا الْبُشْرَى عَنْكَ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، نَقُولُ إِنَّهَا السَّعَادَةُ الَّتِي يَهْبِهَا الْمَوْلَى لِحَاصَّتِهِ مِنْ عِبَادِهِ وَأَوْلِيَائِهِ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، فَتَهْدَأُ قُلُوبُنَا وَتَزْتَاحُ نَفُوسُنَا وَيَسْكُنُ رُوعُنَا.

مَرَّ عَامٌ، وَلَمْ يَمُرَّ يَوْمٌ فِيهِ إِلَّا وَتَتَّصِلُ بِأَبْوَيْكَ زُمَلَاؤُكَ وَأَصْدِقَاؤُكَ وَمُحِبُّوكَ مِنْ رُفَقَاءِ جَامِعَتِكَ وَأَسَاتِذَتِهَا الْكِرَامِ، وَمَا زَالَتْ الْكِتَابَاتُ عَنْكَ فِي مَوَاقِعِ الْإِنْتِزَاحِ تَنْهَالُ بِالدُّعَاءِ مِنَ الْأَخْيَارِ لِرَبِّ الْعِبَادِ بِالرَّحْمَةِ وَالْغُفْرَانِ وَالْجَنَّةِ لَكَ إِلَى الَّذِي لَا يَخِيبُ لَدَيْهِ سُؤَالُ السَّائِلِينَ، وَلَا يَضِيقُ بِرَجَاءِ الرَّاجِينَ وَهُوَ الْمُجِيبُ لِمَنْ دَعَاهُ، وَعَظَاؤُهُ جَزِيلٌ، وَرِفْدُهُ كَثِيرٌ وَفَضْلُهُ وَفِيرٌ، فَانْعَمِي بِعَطَائِهِ الَّذِي لَا يَنْفَدُ، وَمَنْ غَيْرُ اللَّهِ أَهْلٌ لِلْعَطَاءِ وَالْمَرْحَمَةِ؟ مَنْ غَيْرُهُ الَّذِي يَجْزِي عَلَى الرِّضَا بِأَقْدَارِهِ؟ وَمَنْ غَيْرُهُ الَّذِي يُلَطِّفُ بِعِبَادِهِ؟ وَهُوَ يَعْلَمُ ضَعْفَنَا وَقَلَّةَ حِيلَتِنَا وَذُلَّنَا وَخُضُوعَنَا لَهُ فَلَا يَتْرُكُ عِبِيدَهُ وَإِمَاءَهُ هَمَلًا، وَهُوَ مُسَبِّبُ الْأَسْبَابِ وَمُقَدِّرُ الْأَقْدَارِ مَا لَكَ الْمُلْكُ لَا شَرِيكَ لَهُ، رُؤُوفٌ بِخَلْقِهِ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ سُبْحَانَهُ لَهُ الْحَمْدُ وَالْمَجْدُ وَالثَنَاءُ وَالْعِزَّةُ، وَلَهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ.

مَرَّ عَامٌ، أَتَيْتُهَا الْغَالِيَةَ، وَنَكَادُ نَقْتَرِبُ مِنَ اللَّقَاءِ، وَهَذَا نَحْنُ نَعِدُ الْعُدَّةَ لِلْسَّفَرِ وَنُجَهِّزُ أَنْفُسَنَا لِلرَّحِيلِ، نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكَ وَلِلْمُسْلِمِينَ الثَّبَاتَ عَلَى الشَّهَادَةِ وَالْإِيمَانِ، وَالْأَيُّزِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَأَنْ يَجْعَلَ خَيْرَ أَعْمَالِنَا خَوَاتِمَهَا وَخَيْرَ أَيَّامِنَا يَوْمَ لِقَائِهِ، وَأَنْ يُورِثَنَا وَأَبْوَيْكَ وَأَبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَأَزْوَاجَنَا وَالْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ، وَأَلَّا يَكِلَنَا إِلَى أَنْفُسِنَا وَلَا إِلَى أَعْمَالِنَا وَلَا إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَنْ يَغْفِرَ لَنَا وَلَكَ وَوَالِدَيْكَ وَوَالِدَيْنَا وَالْمُسْلِمِينَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذُنُوبِنَا وَمَا تَأَخَّرَ، وَأَنْ يَجْمَعَنَا بِكَ وَبِوَالِدَيْنَا وَأَبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا الْأَوَّلِينَ فِي الْفَرْدَوْسِ الْأَعْلَى مِنَ الْجَنَّةِ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، يُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَاهُ، وَنَحْنُ نَدْعُوهُ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا بِالطَّاعَةِ لَهُ، وَأَنْ يَسْتَقْبِلَنَا وَإِيَّاكَ وَالْمُسْلِمِينَ بِمَا يُرِضِيهِ وَمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ، إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ وَإِنَّهُ نِعَمُ الْمَوْلَى وَنِعْمُ النَّصِيرِ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ صَلَاةً دَائِمَةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

مِنْ شِعْرِي: قَصِيدَةُ «صَبَاح»، دِيْوَانُ «صَبَاح»

إِنَّ هَوْلَ الْمُصَابِ هَمٌّ ثَقِيلُ
وَتَيْنُ الْجِرَاحِ وَهْيَ شُكُولُ
مَا لَنَا حِيلَةٌ وَلَا تَبْدِيلُ
ثُمَّ تَمْضِي وَقَدْ دَهَتْهَا الْحُمُولُ
يَعْتَرِينَا مِنَ الْبَلَاءِ ذُهُولُ
وَسَنَّاكَ الْبَهِيُّ قَطْرٌ هَطُولُ
فِي فَمِ الدَّهْرِ بِالثَّنَاءِ يَطُولُ
وَجَمَالًا يَشُوقُ وَهُوَ خَجُولُ
ذِكْرِيَّاتٍ تَدَاوَلَتْهَا الْفُصُولُ
وَصَبَاكَ الْبَرِيِّءِ فِينَا يَجُولُ
طَبَّتْ نَفْسًا لَهَا التُّقَى إِكْلِيلُ
إِنَّ قَدَرَ الشَّهِيدِ سَامٌ جَلِيلُ
مِنْ رِيَاضٍ نَمِيرُهَا سَلَسِيلُ
خَالِدًا فِي مَدَى الزَّمَانِ يَدُولُ
شَفَهَا الْوَجْدُ وَالْدُّمُوعُ تَسِيلُ
وَأَبُوكَ احْتَوَاهُ صَبْرٌ جَمِيلُ
وَقَضَاءُ الْقَدِيرِ لَيْسَ يَحُولُ
كُلَّ حَيٍّ إِلَى الَّذِي لَا يَزُولُ
خَطُّهُ اللَّهُ وَالْفَنَاءُ سَبِيلُ
وَعْدُهُ الْحَقُّ وَالْعَطَاءُ جَزِيلُ

قَدَرٌ قَادِرٌ فَصَبْرٌ جَمِيلُ
كَمْ تَحُطُّ الْكُرُوبُ وَهْيَ جَسَامُ
وَتَظَلُّ الدُّمُوعُ سَلَوَى أَسَانَا
كُلُّ نَفْسٍ عَلَى الْمَكَارِهِ تَحْيَا
عَظُمَ الْخَطْبُ يَا (صَبَاحُ) وَإِنَّا
كُنْتِ مِلءَ الْعُيُونِ، كُنْتِ مُنَانَا
صِرْتِ يَا حَبَّةَ الْفُؤَادِ حَدِيثًا
أَنْتِ أَشْرَقْتَ كَالشُّمُوسِ ضِيَاءُ
أَمْسَكَ الرَّاحِلُ الْوَدِيعُ تَرَاءَى
طَيْفُكَ الْمَاثِلُ النَّدِيُّ تَهَادَى
يَا رَحِيقَ الْعَفَافِ، وَالطُّهْرُ يَنْدَى
أَنْتِ مَا مُتَّ بَلْ تَسَامَيْتِ قَدْرًا
قَدْ تَبَدَّلْتَ بِالشَّهَادَةِ رَوْضًا
حُزَّتْ فِي النَّاسِ بِالْمَكَارِمِ حُبًّا
وَبَكَتْ فَقْدَكَ الْأَلِيمَ جُمُوعُ
أُمُّكَ الْيَوْمَ مِنْ فِرَاقِكَ ثَكْلَى
إِنَّ فَقْدَ الْبَنِينَ مُرٌّ أَلِيمُ
رَحْمَةُ اللَّهِ بِالْخَلَائِقِ نَجْوَى
إِنَّمَا الْمَوْتُ فِي الْأَنَامِ كِتَابُ
وَهُوَ بِالْفَضْلِ وَالنَّوَالِ كَرِيمُ

يَا لِبُشْرَاكِ أَيُّ مُلْكٍ عَظِيمٍ
فَاهْنِئِي يَا (صَبَاحُ) ثُمَّ اسْتَزِيدِي
أَنْتِ فِي رَحْمَةِ الْوُدُودِ كَفَانَا
قَدْ رَأَيْنَاكَ وَالْمَحَامِدُ تَتَرَى
فَاسْكُنِي فِي الْجَنَانِ يُهْنِيكَ رَبُّ
إِنْ فَقَدْنَاكَ يَا (صَبَاحُ) فَفِينَا
رَبُّ أَنْتَ الَّذِي تُمِيتُ وَتُحْيِي
وَأَسْكِنِ الرُّوْعَ فَالْقُلُوبُ تَكَالَى
وَأُخِذِ الصَّفْحَ رَبَّنَا وَأَنْلَهَا
نَحْنُ فِي غَمْرَةِ الشَّقَاءِ فَسُحْقًا

لَكَ يَهْفُو وَفِيهِ ظِلٌّ ظَلِيلُ!
وَأَسْعِدِي بِالرِّضَا فِيهِ الْقَبُولُ
أَنْ تَنَالِي الْوِدَادَ مِمَّنْ يُنِيلُ
كَوَكْبًا تَهْتَدِي إِلَيْهِ الْعُقُولُ
وَأَنْهَلِي الْخَيْرَ قَدْ دَعَاكَ الْجَلِيلُ
عِظَةُ الْمَوْتِ حِينَ مَاتَ الرَّسُولُ
فَاجْبُرِ الْكَسْرَ فَالْمُصَابُ يَهُولُ
وَأَقْرِهَاكُمْ إِلَيْكَ يَرْزُو النَّزِيلُ
جَنَّةَ الْخُلْدِ فَهِيَ عُمْرُ نَبِيلُ
لِحَيَاةٍ أَحَبُّ مِنْهَا الرَّحِيلُ

القنّوات الإِعلاميّة والكُتّاب

المُتَابِعُ لِلْوَاسِئِلِ الإِعلاميّةِ يَرى هَذَا الكَمَّ التَّراكُميّ مِنْ الإِسْتِكتَابِ اليَوْميّ لِأَعْدَادِ تَفُوقِ الحَصَرِ وَالْعَدِّ مِنَ الكُتّابِ، الَّذِينَ يَرِيدُونَ أَنْ يُشْبِعُوا رَغْبَاتِهِمُ النّفسِيّةَ لِيَرَوْا أَسْمَاءَهُمْ وَصُورَهُمْ عَلَى صَفَحَاتِ الجَرَائِدِ والقَنّواتِ الفَضائيّةِ، وَهُمْ غَيْرُ مُكْتَسِبِينَ لِمَوْهَبَةِ البَلَاغَةِ الكَلَاميّةِ وَالكِتَابيّةِ، وَلَا تَرى فِي مَا يُقَدِّمُونَهُ هَدفاً وَلَا أُسْلُوباً وَلَا قِيَمَةً تَحْمِلُ عَلَى الإِهْتِمَامِ، بَلْ إِنَّ فِي قِرَاءَةِ مَضَامِينِهِمْ إِضَاعَةً لَوْقَتِ القَارِئِ والمُشَاهِدِ، لِتَدْنِي المُستَوَى الفِكْرِيَّ واللُّغَوِيَّ وَالأسْلُوبِيَّ، وَلَوْ أَرَدْتُ أَنْ تُحْصِيَ مِنَ الكُتّابِ والمُتَحاورِينَ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ هَدفاً وَأُسْلُوباً وفِكراً تَنْويرياً فِي وَسائِلِ الأعلامِ فَقَدْ لَا تَرِيدُ النّسْبَةَ عَلَى وَاحِدٍ فِي المِائَةِ مِنَ المُتَقَفِينَ الَّذِينَ يَحْتَرِمُونَ عُقُولَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ، أَمَّا البَقِيّةُ الباقِيّةُ فَقَدْ أَدْرَكْتَهُمْ عَدْوَى الشُّهُرَةِ وأمراضُ الأنا التي مِنْ أَسبابِها الفَراغُ الذّهنيُّ والوَقْتيُّ وَزَهَادَةُ سِعرِ الأَقلامِ والورقِ، وَلَيْتَهُمْ ائْتَلَوْا بِالْمَعْرِفَةِ الَّتِي تَتْرَكَ لَهُمْ خَلْفِيّةٌ ثقافيّةٌ تُؤَهِّلُهُمْ لِلكِتَابَةِ الجادّةِ المُفيدَةِ، الَّتِي تَبْنِي العُقُولَ وَتَرْتَفِعُ بالقَارِئِ والمُشَاهِدِ لِتُضِيفَ إِلَيْهِ مَعْلُومَةً جَدِيدَةً أَوْ فِكْرَةً مُبْدَعَةً تَجْعَلُ لِأَفْكارِهِمْ قِيَمَةً أَوْ تُحَدِّثُ اثراً فِي نَفْسِ المُتَلَقِّي، دُونَ الإِعْتِمَادِ عَلَى تَوْظِيفِ الفَضائِحِ والكَوَارِثِ والمَصائبِ الَّتِي تَجتاحُ النَّاسَ وإِطلاقِ أبواقِ الشّماتَةِ عَلَى مَنْ يُصَابُ بِبَلَاءٍ أَوْ ابْتِلَاءٍ، سَوَاءٌ كَانَ قَدراً مَقْدُوراً أَوْ شَقَاءً وَثُبُوراً كَتَبَهُ الإنسانُ عَلَى نَفْسِهِ بِجَهْلِهِ بِعَوَاقِبِ الأَعْمَالِ والأَفْعَالِ المُنتِجَةِ لِلآثارِ الوَحيمَةِ، فَتَجِدُ أَنَّ أُسْلُوبَ المُعالِجَةِ يَقُومُ عَلَى التَّشْفِيّ والحَقْدِ لَا عَلَى الإِسْتِناسِ بِالْحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ، أَوْ الإِتْكَاءِ عَلَى مَعْرِفَةٍ ثقافيّةٍ أَوْ أدبيّةٍ أَوْ عِلْميّةٍ، أَوْ الجُرْأَةِ فِي قَوْلِ الحَقِّ دُونَ مُوَارَاةٍ أَوْ مُوَارَبَةٍ فِيهِ أَوْ عَلَيْهِ أَوْ لَهُ، فَهَنَّاكَ الكَثِيرُ الَّذِينَ يُفَحِّمُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي كُلِّ قَضِيّةٍ دُونَ رُؤْيِ تَحْمِيلِ عَلَى الإِحْتِرَامِ والتَّقْدِيرِ لِمَوَاضِعِهِمْ، فَرى مَنْ يَكْتُبُ عَنِ الثَّقَافَةِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ قِيَمَةَ الثَّقَافَةِ، وَيَتَحَدَّثُ فِي السِّيَاسَةِ وَلَيْسَ لَدَيْهِ الخَبِيرَةُ السِّيَاسيّةُ، وَيَكْتُبُ عَنِ الأدبِ وَهُوَ لَمْ يَقْرَأْ لِأَسَاطِينِ الأدبِ، وَيَتَحَدَّثُ عَنِ الفقهِ الدِّينيِّ وَلَا تَجِدُ لَدَيْهِ أَجْجِدِيّاتِ الفقهِ الدِّينيِّ، وَيَكْتُبُ عَنِ الإِدارَةِ وَهُوَ غَيْرُ مُطَّلِعٍ عَلَى كُتُبِ الإِدارَةِ الحَدِيثَةِ، وَيَكْتُبُ فِي النّقْدِ الإِجْتِماعِيِّ بِأُسْلُوبِ التَّلْمِيزِ فِي الصِّفِّ الأَبْتَدائيِّ، وَيَتَحَدَّثُ عَنِ الفَنِّ وَلَيْسَ لَدَيْهِ أَدْنَى إِمَامٍ بِمَدَارِسِ الفُنُونِ وَأَنْواعِها، أَوْ عَنِ الرِّياضَةِ وَلَا يَعْرِفُ مِنْهَا إِلَّا كُرَةَ القَدَمِ.. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْواعٍ وَأَشْكالٍ

القضايا الملحة للتناول، وهو في كل ما يكتب تجده مقتنعا في قرارة نفسه بأنه قال ما لم تقله الأوائل، وأنه أحدث الأثر والتأثير، لذلك يكون هؤلاء الأذعياء سببا في تضليل الشعوب وتأخيرهم، بل وفي سفك دماء العلم والمعرفة والثقافة، ليكونوا عوامل هدم لتطلعات المجتمعات، وعنوانا لتخلف الفكر في الأمة، وجناية عليها من أشخاص كل همهم تحقيق الذات الواهمة بالقيمة والقدرة لإغراء البسطاء بأنهم القدوة الرائدة، والحكمة البالغة، والإرادة النافذة للدفاع والتصدي لما يمس مصلحة الأفراد والوطن، دون تعميق الرؤية ومناقشتها من جذورها كحالات عامة ينبغي دراسة مشاكلها وعلاجها بشكل موضوعي، ودون إلمام واسع بخصائص الأطروحات الهادفة القائمة على النزاهة والاستنتاج المُنفع والأسلوب المرتفع باللغة والفكرة، للارتقاء بثقافة القارئ والنأي عن الضحالة والفسولة والسقوط في مستنقعات الغرور والترهيب الفكري، واستغلال القلم والكلمة لتحقيق مصالح شخصية تتعارض مع أخلاق المهنة الإعلامية التي من أهم أهدافها السمو بالإنسان والأوطان بعيدا عن كل مبتذل ورخيص تدعو إليه النفس المريضة بعِلل نفسية، يجب معالجتها حتى تكون سوية قبل أن يترك لها المجال لكي تكون معديّة للآخرين بما تبثه من أفكار هدامة للنُفوس البريئة المفطورة على الحب والإيثار والإخلاص والحق، حينما تنحو بها عن جادة الصواب باستعمال معاول الهدم لا البناء، وهنا يجب التنبه للأقلام والأفكار المغرضة التي تسعى إلى الدس لمحو القيم الإسلامية والأخلاقية، بدعاوى التحرر والتقدم والحداثة والعولمة التي لو تمكنت من الأمة لاصابت الإسلام والمسلمين في مقتل، ولسعى دعائها إلى الإفساد في الأرض، وأشاعوا الرذيلة بحجة حرية الرأي حين تضطدّم بثواب الدين التي لا تقبل المساس أو التعريض بها لأنها مسلمات، مثل الحياة والموت والجنة والنار.

ويرى البعض أن الكتابة خبرة وخبر، ونراها أنها قدرة وموهبة وعلم، لذا فالعقل يزدهم كل يوم بما تطالعه العين من كتابات «لا تسمن ولا تغني من جوع» إلا ما ندر، وهذه الكتابات والأحاديث والموضوعات التي تضح بها القنوات الإعلامية المختلفة والمتعددة تخلق تضاربا يؤدي إلى خلخلة الفكر وانعدام الثقة وإشاعة القوضى، وإلى زيادة حالات الأمراض النفسية بتلك العبثية القائمة على معلومة مخطوءة، أو اجتihad فردي لا يقوم على حُجج أو براهين مقنعة، مما يجعل النفس في قلق وتوتر وخيرة تؤثر

عَلَى الْجِهَازِ الْعَصَبِيِّ لِلْإِنْسَانِ، وَهُنَا يَكْمُنُ الْخَطَرُ عَلَى النَّفْسِيَّاتِ الْمُتَلَقِّيَّةِ وَتَكُونُ مِنْ دَوَاعِي تَقْلِبَاتِ النُّفُوسِ، وَزَعَزَعَةِ الثِّقَةِ بِسَلَامَةِ الْأَفْكَارِ، إِضَافَةً إِلَى تَبَنِّي الصَّحَافَةِ لِنَقْلِ وَنَشْرِ الْأَخْبَارِ الْجَنَائِيَّةِ وَالْإِجْرَامِيَّةِ بُغْيَةً زِيَادَةَ تَوَزِيعِ الصَّحِيفَةِ وَالْمُنَافَسَةِ غَيْرِ الْأَخْلَاقِيَّةِ بِاسْتِثْمَارِ تِلْكَ الْجَرَائِمِ وَالْفَضَائِحِ وَنَشْرِهَا بَيْنَ النَّاسِ، دُونَ وَعْيٍ لِمَا تُحْدِثُهُ تِلْكَ الْأَخْبَارُ مِنْ تَرْوِيعٍ وَتَأْزِيمٍ لِلْقُلُوبِ، لِبَسَاعَةِ الْأَفْعَالِ الْإِجْرَامِيَّةِ وَمَا تَتْرُكُهُ مِنْ آثَارِ الْيَمَةِ عَلَى النَّاشِئَةِ وَالشَّبَابِ مِنْ كَلَالِ الْجِنْسَيْنِ، بِإِيصَالِهِمْ إِلَى احْتِرَافِ الْجَرِيمَةِ وَإِذْكَاءِ رُوحِ الْمُغَامَرَةِ فِي الشَّبَابِ أَوْ الْأَطْفَالِ، بِتَفْتِيحِ أَذْهَانِهِمْ عَلَى السُّلُوكِيَّاتِ الْإِجْرَامِيَّةِ الَّتِي تُؤَثِّرُ عَلَى هَؤُلَاءِ الْبُسْطَاءِ أَوْ الدَّهْمَاءِ أَوْ الْأَغْرَارِ بِدَفْعِهِمْ لِلْمُحَاوَلَةِ وَالتَّقْلِيدِ وَالْمُنَافَسَةِ، أَوْ تَشْجِيعِ الْمُعْدِمِينَ عَلَى انْتِهَاجِ مَسَالِكِ الْجَرِيمَةِ مَا دَامُوا يَفْرُوُونَ وَيُشَاهِدُونَ جَرَائِمَ مُتَعَدِّدَةً، لِيَقُومَ الْفِكْرُ الضَّالُّ بِالِاقْتِدَاءِ وَالِابْتِكَارِ لِأَشْكَالِ إِجْرَامِيَّةٍ غَيْرِ مَسْبُوقَةٍ، فَالْكَاتِبُ الصَّحْفِيُّ الَّذِي لَمْ يَكْتَمِلْ فِيهِ الْوَعْيُ الْفِكْرِيُّ يُسْهِمُ إِلَى حَدٍّ كَبِيرٍ فِي التَّأثيرِ الَّذِي يُلْحِقُ الْأَذَى بِالْمُجْتَمَعَاتِ وَالْأَوْطَانِ، كَمَا أَنَّ الصَّحِيفَةَ الَّتِي هَمُّهَا تَحْقِيقُ أَعْلَى قَدْرٍ مِنَ الرَّبْحَةِ عَلَى حِسَابِ الْإِنْسَانِ تُشَارِكُ فِي دُيُوعِ الضَّرَرِ وَانْتِشَارِهِ بِأَشْكَالٍ لَا يَقْبَلُهَا الشَّرْعُ الْحَنِيفُ الَّذِي يَدْعُو إِلَى (دَرْءِ الْحُدُودِ بِالشُّبُهَاتِ) أَوْ إِلَى مَقُولَةِ (إِنَّ الْمُتَهَمَّ بَرِيءٌ حَتَّى تَبْتَ إِدَانَتُهُ) أَوْ إِلَى قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «الْفِتْنَةُ نَاعِمَةٌ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ يُوقِظُهَا»، أَوْ إِلَى الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا).

وَيَقُولُ رَسُولُنَا ﷺ: «وَهَلْ يَكُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ السِّنَنِ». نَخْلُصُ مِنْ ذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْكَلِمَةَ أَمَانَةٌ وَرِسَالَةٌ مَنُهِجُهَا الصَّدْقُ وَالْحَقُّ وَالْخَيْرُ، لِذَلِكَ فَعَلَى الْإِعْلَامِ وَالْكِتَابِ مَسْئُولِيَّةٌ عَظْمَى وَهِيَ إِشَاعَةُ الْفَضِيلَةِ وَالْبُشْرَى وَمَا يُذْهَبُ الْحُزْنَ وَالْأَلَمُ وَالْإِكْتِتَابُ عَنِ النُّفُوسِ، فَالْعَصْرُ الَّذِي نَعِيشُهُ عَصْرُ مَازُومٍ بِالْكَثِيرِ مِنَ الْمَشَاكِلِ وَالْهُمُومِ الَّتِي كَانَ رَدُّ فِعْلِهَا عَلَى الْإِنْسَانِ شَدِيدًا بِمَا نَلْحَظُهُ مِنْ تَفَكُّكِ أَسْرِيٍّ وَانْجِلَالِ أَخْلَاقِيٍّ وَبُعْدِ إِيْمَانِيٍّ، لِمَا يُدْسُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ مِنْ دَسَائِسٍ حَاقِدَةٍ تَسْعَى إِلَى تَدْمِيرِهَا فِكْرِيًّا وَجِسْمِيًّا لِيَقْتُلُوا الرُّوحَ الْعَقَائِدِيَّةَ، وَرُوحَ الْإِنْتِمَاءِ إِلَى الْوَطَنِ، وَيُشِيعُوا عَوَامِلَ الْفُرْقَةِ وَتَوَطِّنَ الْجَهْلَ فِي الْعُقُولِ لِتَحْقِيقِ نَزَعَاتِهِمُ السِّيَاسِيَّةِ لِسَحْقِ الْعُقُولِ النَّاصِجَةِ الْوَاعِيَةِ الْمُبْدِعَةِ، لِثَنِيهَا عَنِ الْمُشَارَكَةِ فِي تَحْضُرِ الْإِنْسَانِ وَرَقِيَّتِهِ، وَتَرْكُهَا نَهْبًا لِلْأَمْرَاضِ وَالتَّشَتُّتِ وَالْفُرْقَةِ، وَهُوَ مَا يَسْتَدْعِي النَّظَرَ لِحَقِيقَةِ التَّوَجُّهِ الْفِكْرِيِّ لِحَمَلَةِ الْأَقْلَامِ وَالْأَفْكَارِ الَّذِينَ

يَدْعُونَ الْمَعْرِفَةَ وَيَخُوضُونَ دُونَ إِدْرَاكِ فِي جَدَلِيَّاتٍ عَقِيمَةٍ لِإِشْبَاعِ غُرُورِهِمْ، حَتَّى لَوْ
كَانَ فِي مَا يَقْدُمُونَهُ أَضْرَارٌ لَا تُحْمَدُ عُقْبَاهَا بِالْإِنْسَانِ وَالْأَوْطَانِ، وَهَذِهِ لَيْسَتْ دَعْوَةٌ
لِتَقْوِيضِ حُرِّيَةِ الْكِتَابَةِ وَالْقَوْلِ بِقَدْرِ مَا هِيَ دَعْوَةٌ لَتَرْشِيدِ الْأَقْوَالِ وَالْأَقْلَامِ، وَخُصُوصًا
أَنَّ فُسْحَةَ إِبْدَاءِ الرَّأْيِ وَالنَّقْدِ وَالْمُنَاقَشَةِ أَصْبَحَتْ حَقًّا مُكْتَسَبًا لَا خِلَافَ عَلَيْهِ ضَمَنَ
مَنْظُومَةِ الْقِيَمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ الَّتِي بَعَكْسِهَا تَكُونُ رَدَّاتُ الْفِعْلِ الْمُؤَثِّرَةُ سَلْبًا، وَالَّتِي يَنْبَغِي مَعَهَا
النَّظَرُ لِتَصْحِيحِ مَسَارِ الصَّحَافَةِ وَالْقَنَوَاتِ الْإِعْلَامِيَّةِ، وَإِلَى دِرَاسَةِ وَتَقْنِينِ وَاقِعِ إِعْلَامِيٍّ
يَأْخُذُ فِي الْإِعْتِبَارِ الْعَوَامِلَ الْمُنتَجَةِ لِلْآثَارِ السَّلْبِيَّةِ وَالْإِيجَابِيَّةِ وَالتَّوْفِيقَ بَيْنَ تَعَارُضِ الْآرَاءِ
لِتَصَبُّ فِي الْمَصْلَحَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْوَطَنِيَّةِ. وَمَا يَنْسَحِبُ عَلَى الصَّحَافَةِ الْوَرَقِيَّةِ يَنْسَحِبُ عَلَى
كُلِّ وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ الْعَرَبِيَّةِ، لَتَكُونَ حَائِلًا بَيْنَ مَا يُبَثُّ مِنَ الْقَنَوَاتِ الْمُتَفَسِّخَةِ وَالْمُنْحَلَةِ
أَخْلَاقِيًّا وَبَيْنَ الطَّرْحِ السَّلِيمِ الَّذِي يَرْتَفِعُ بِالْقِيَمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ وَالْحَضَارِيَّةِ، وَيَنْبِذُ كُلَّ فِكْرٍ شَاذٍ
يَسْعَى إِلَى الْهَدْمِ لَا الْبِنَاءِ.

مِنْ شِعْرِي: قَصِيدَةُ «لَنَا»، دِيْوَانُ «أَبْجَدِيَّةِ قَلْبٍ»

غُرْبَتُنَا هُنَاكَ أَوْ هُنَا
فَكَيْفَ يَهْتَدِي إِلَى الطَّرِيقِ مَنْ أَضَاعَ عُمْرَهُ سُدًى؟
وَمَنْ سَلَ مَوَاطِنَ الظَّمَا
وَالشَّوْقُ مَا رَعَى الْحَنِينَ لِلْسَّنَا
لِبَهْجَةِ الْأَطْفَالِ فِي خَمَائِلِ الرِّضَا
وَمَنْظَرِ النَّدَى
نَسَائِمُ تَطُوفُ
بِالرَّبِيعِ قَبْلَنَا وَيَعْدُنَا
تَنْفَسُ النَّهَارُ وَرَدَّةً
تَفُوحُ بِالشَّدَى
تَعَطَّرَ الْمَكَانُ
وَالْخَرِيفُ قَدْ دَنَا
وَالْأَرْضُ تَزْكُمُ الْأَنْوُفَ
مِنْ جِيفَةٍ يَفُوحُ نَتْنُهَا، يُخِيفُ شَكْلُهَا
تَبَدَّلَتْ مِنْ غَيْمَةٍ تُظِلُّنَا
وَفِتْنَةٍ تَرَفُّ بِالْجَمَالِ أَصْبَحَتْ
كَمَنْظَرِ الْأَشْبَاحِ فِي عُيُونِنَا
تُخِيفُنَا
فَمَنْ أَثَارَ جُرْحَنَا؟
وَقَدْ تَفَرَّقَتْ سَبَا

قَدْ حَطَّتِ النُّسُورُ
 حَوْلَنَا وَفَوْقَنَا
 وَالْخَوْفُ وَالْهَجِيرُ فِي غِيَابِ الْمَصِيرِ
 إِذْ نَهَيْمُ فِي مَطَالِعِ الْبُكُورِ كَالطُّيُورِ
 حِينَ أَسْلَمْتَ لِهَجْرَةِ الْفُصُولِ عُمْرَهَا
 تَنَوَّءُ فِي أَحْمَالِهَا وَتَرْتَضِي مُكْرَهَةً مَالَهَا
 تَبْتُ كُلَّ هَمِّهَا وَوَجَدَهَا وَجَرَحَهَا
 كَأَنَّهَا تُعَاتِبُ الدُّنَا
 وَصَمَّتُهَا يَقُولُ لِلزَّمَانِ
 أَنْتَ مَنْ أَتَى بِنَا
 أَغْرَيْتَنَا
 فَكَيْفَ نَهْتَدِي الدُّرُوبَ
 وَالْدُّجَى أَضَلَّنَا
 فَذَلَّلَنَا

الْأَصَالَةُ وَالْحَدَاثَةُ

لَمْ أَكْ يَوْمًا مِنَ الْمُتَبَذِّلِينَ الَّذِينَ يَعْمِدُونَ فِي كِتَابَاتِهِمْ إِلَى تَضْمِينِ آرَاءِ وَمَقُولَاتِ الْمُفَكِّرِينَ أَوْ الْأَدَبَاءِ الْغَرَبِيِّينَ وَإِفْحَامِهِمْ فِي الشَّانِ الثَّقَافِيِّ الْعَرَبِيِّ، لَكِنِّي يُغْرَوْنَا بِأَنَّهُمْ مُسْتَقْبِلُونَ، وَحَضَارِيُّونَ، وَأَنَّهُمْ قَدْ قَرَأُوا الثَّرَاثَ الْعَرَبِيَّ وَامْتَلَأُوا حَتَّى التُّخْمَةَ بِأَفْكَارِ الْجُرْجَانِيِّ، وَالْفَرَاهِيدِيِّ، وَابْنِ طَبَاطَبَا، وَالْمَقْرِيزِيِّ، وَابْنِ سَلَامِ الْجَمَحِيِّ، وَابْنِ الْأَسْوَدِ الدُّوَلِيِّ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَالنَّقْدِ، فَهَؤُلَاءِ فِي نَظَرِهِمْ كَلَّاسِيكِيُّونَ، (تَقْلِيدِيُّونَ) رَجَعِيُونَ، لِذَلِكَ فَهُمْ يُسْنِدُونَ آرَاءَهُمْ حَتَّى فِي أَبْسَطِ الْمَوَاضِعِ إِلَى ذِكْرِ دِي سُوْسِير، وَبُودَلِير، وَبَاشَلَار، وَفُولْتِير، وَرَاسِين، وَتِ سِ الْيُوث، وَغَيْرِهِمْ، وَمَا كُنْتُ مُعْتَرِضًا بَلْ مُؤَيِّدٌ لَتَلَاوُحِ الثَّقَافَاتِ بَيْنَ الْأُمَمِ، وَإِلَى أَهَمِّيَّةِ ذَلِكَ التَّوَاصُلِ الْمَعْرِفِيِّ لِإِشْعَالِ مَوَاقِدِ الْأَفْكَارِ وَإِضَاءَةِ الْعُقُولِ بِإِضَافَاتٍ إِبْدَاعِيَّةٍ تَرْتَفِعُ بِالْفِكْرِ الْإِنْسَانِيَّ وَتَذْكِي دَوَافِعِ الْعَمَلِ الْبَحْثِيِّ عَلَى كَافَّةِ أُلُجُوهِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ، وَلَيْسَ مِنْ أَهْدَافِي التَّقْلِيلُ أَوْ الْإِسْتِهَانَةُ بِقِيَمَةِ الْفِكْرِ الْأَوْرَبِيِّ الَّذِي وَصَلَ فِي قُدْرَاتِهِ وَعَطَاءَاتِهِ إِلَى أَعْلَى مَرَاكِحِ التَّفَوُّقِ، وَقَدَّمَ نَمَازِجَ بَاهِرَةً لِلْعَقْلِ الْوَاعِي الْمُبْدِعِ فِي مَجَالَاتٍ تَفُوقُ الْحَضَرَ وَالْعَدَّ، حِينَ صَنَعَ لِلْحُرِّيَّةِ أَفْقًا غَيْرَ مَحْدُودٍ، وَسَطْحًا بِالتَّدَبُّرِ وَالتَّفَكُّرِ مَعْمُودًا وَمَمْدُودًا.

وَأَرَى أَنَّ الْإِسْتِنَادَ وَالْإِسْتِشْهَادَ إِنَّمَا يَأْتِي عَلَى أَوْجِهِ مَنْطِقِيَّةٍ تَسْتَدْعِيهَا الْبُحُوثُ الْعِلْمِيَّةُ وَالْأَفْكَارُ التَّنْظِيرِيَّةُ وَالْآرَاءُ النُّقْدِيَّةُ الَّتِي تَمُتُّ بِصِلَةٍ إِلَى أَطْرُوحَاتٍ فِكْرِيَّةٍ تَمَسُّ قَضِيَّةً بَعِيْنَهَا، تَتَطَلَّبُ تَسْلُسُلُ الْآرَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ حَوْلَهَا لِاسْتِخْلَاصِ نَتَائِجٍ تَكُونُ إِضَافَةً بَاعِثَةً عَلَى الْخَلْقِ وَالْإِبْتِكَارِ، لَا أَنْ تَسْعَى إِلَى التَّغْرِيبِ وَإِيْهَامِ الْمُتَلَقِّي بِزَيْفِ النُّصُوجِ الْفِكْرِيِّ الَّذِي يَعْمِدُ إِلَيْهِ ثَلَاثَةٌ مِنْ حَمَلَةِ الْأَفْلَامِ الْبَيْضَاءِ وَالصُّفْرَاءِ الَّتِي تُحَاوِلُ تَعْمِيَةَ الْمَعَانِي خَلْفَ السُّطُورِ، وَفَبَرَكَةِ النُّصُوصِ لِلتَّصْفِيْقِ لِمَصَافَقَاتِهِمْ الَّتِي لَا يَحْتَمِلُهَا الْوَاقِعُ الْمُعَاصِرُ، وَكَأَنَّ قَدَرَنَا مَرَهُوْنٌ بِأَفْكَارِ الْعُزْبِ لِلْإِعْتِرَافِ بِهَيُوءَةِ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ بِمَنْحِنَا شَهَادَاتٍ تُثَبِّتُ أَنَّ تَقْدِمِيَّوْنَ وَلِيْبِرَالِيَّوْنَ، وَغَيْرَهَا مِنْ الْكَلِمَاتِ وَالتَّعَابِيرِ (السُّوْبَرْمَانِيَّةِ)، لَذَا يَحِقُّ لَنَا أَنْ نَقُولَ إِنَّ مِنْ أَذْهَى دَوَاهِي الْعَقْلِ الْعَرَبِيِّ التَّقْلِيدَ وَالِاتِّبَاعَ دُونَ إِعْمَالِ الْعَقْلِ بِالْبَحْثِ وَالتَّمَحِيصِ وَالتَّجْرِبِ وَالِدَّرْسِ وَالتَّحْصِيلِ، فَإِذَا قَالُوا حَدَاثَةٌ فَنَحْنُ مَعَ الْحَدَاثَةِ، وَإِنْ قَالُوا عَوْلَمَةٌ فَنَحْنُ مَعَ الْعَوْلَمَةِ، وَغَدًا يَأْتُونَنَا بِمُصْطَلَحٍ جَدِيدٍ رُبَّمَا يَكُونُ عُنْوَانُهُ (لَا دِينَ) فَتَجِدُ

لَهُ قَوْمًا لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ يُؤَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. أَقُولُ: هَذِهِ مَفَاهِيمُ كَارِثِيَّةٍ مُضَلِّلَةٍ وَمُضَلِّلَةٍ تَخْرُجُ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ لِعِبَادَةِ الْأَفْكَارِ الْغَرْبِيَّةِ، وَتَدِينُ لَهَا بِالْوَلَاءِ وَالطَّاعَةِ فَقَطْ، لِيَرْضَى عَنْهُمْ دَهَاقَتُهُ الْغَرْبِ وَيُعْطُوهُمْ الْقِيَمَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ الْمَفْقُودَةَ فِي ذَوَاتِهِمْ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْفِكْرَ الْأَوْرَبِيَّ عِنْدَمَا أَخَذَ بِتَعَالِيمِ وَأَفْكَارِ وَآرَاءِ وَنَظَرِيَّاتِ عُلَمَائِنَا الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ الْأَوَائِلِ لَمْ يَأْخُذْهَا عَلَى عِلَاتِهَا، وَإِنَّمَا أَشْبَعُوهَا بَحْثًا وَاسْتَفْرَاءً وَقِرَاءَةً، وَأَدْخَلُوهَا مَعَامِلَهُمْ وَمُخْتَبِرَاتِهِمْ الْعَقْلِيَّةَ بِالْبَحْثِ وَالتَّطْبِيقِ، حَتَّى اقْتَنَعُوا وَاسْتَفَادُوا وَأَفَادُوا مِنْ تِلْكَ الْأَفْكَارِ فِي اصْطِنَاعِ الْوَاقِعِ الْحَضَارِيِّ الْمَشْهُودِ.

وَإِنَّ الَّذِي دَعَانِي إِلَى تَدْيِيجِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ مَا قَرَأْتُهُ فِي صَحِيفَةِ الْوَطَنِ يَوْمَ الْأَحَدِ الْمَوْافِقِ 7 ربيع الأول 1431 هـ، الْعَدَدُ (3432)، بِالصَّفْحَةِ الثَّقَافِيَّةِ تَحْتَ عُنْوَانِ «قَصِيدَةُ النَّشْرِ الْهَيْبَةِ الْمَفْقُودَةِ وَالْجَدَلُ الَّذِي لَمْ يُحْسَمْ»، فِي الْحِوَارِ الَّذِي أَعَدَّهُ الْأُسْتَاذَةُ نَادِيَةُ الْفَوْازِ، الْمُسْتَمِلَ عَلَى عِدَّةِ آرَاءِ نَحَرْتُمَهَا فِي مُجْمَلِهَا، وَلَنَا حَقٌّ مُنَاقَشَتِهَا بِأُسْلُوبِ الْحِوَارِ الْهَادِفِ بِمَنْطِقٍ يُعْطِي لِلْفِكْرِ الْقُدْرَةَ فِي تَنَاوُلِ مُعْطَيَاتِهِ الْقَابِلَةِ لِلِاخْتِلَافِ الَّذِي لَا يُفْسِدُ لِلوُدِّ قَضِيَّةً. فَلَقَدْ اسْتَكْتَبَتِ الْأُسْتَاذَةُ نَادِيَةُ الْفَوْازِ الْأَسَاتِذَةَ الْمُعْنِيَيْنَ بِمُحَاوَرَةٍ مَا يُسَمَّى قَصِيدَةَ النَّشْرِ. أَذْكَرُ خُلَاصَةَ آرَائِهِمُ الَّتِي قَالُوا بِهَا وَأَبْدَأُ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُ مُعَدَّةَ الْحِوَارِ بِالذُّكُورِ فَوَازِ اللَّعْبُونِ، وَالْخُصَّ رَأْيَهُ الَّذِي يَتَضَمَّنُ أَنَّ الْأَشْكَالِيَّةَ تَقَعُ فِي مُحَاوَلَةٍ تَجْنِيسٍ وَمُزَاوَجَةٍ أَنْوَاعِ الْفَنِّ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، وَهُوَ يَرَى أَنَّ تَنْطَلِقَ جَمِيعُ الْفُنُونِ ضِمْنَ أُطْرُهَا، وَلَا يَجُوزُ إِفْحَامُ مَا يُسَمَّى قَصِيدَةَ النَّشْرِ فِي مَفْهُومِ الشُّعْرِ الْمُتَعَارَفِ عَلَيْهِ، وَهَذَا رَأْيِي مَنْطِقِي وَعَقْلَانِي وَصَاحِبُهُ يَمْلِكُ رُؤْيَا عَمِيقَةً تُسَجِّلُ لَهُ حُضُورًا وَخُصُوصِيَّةً فِكْرِيَّةً تُجَسِّدُ الْإِسْتِقْلَالِيَّةَ الْمُؤَثَّرَةَ لَا الْمُتَأَثَّرَةَ بِمَقُولَاتٍ وَمَزَاجٍ تَفْرُضُهَا آرَاءُ تُحَاوِلُ الْهَيْمَنَةَ عَلَى الْعُقُولِ، لِتَضْطَهِمَ بِجُسُورِ الرُّفْضِ الْقَائِمِ عَلَى الْقِرَاءَةِ وَالتَّحْلِيلِ وَالِاسْتِنْبَاطِ وَالِاخْتِكَامِ إِلَى التُّرَاثِ، لِيَكُونَ التَّجْدِيدُ ضِمْنَ مَعَايِيرِ عَقْلِيَّةٍ لَا تَخْرُجُ عَنْ أَخْلَاقِيَّاتِ الْمِلَكِيَّاتِ الْفِكْرِيَّةِ لِحُقُوقِ تَعَارُفَتْ عَلَيْهَا الْأُمَمُ بِأَنَّهَا حُقُوقٌ مُكْتَسَبَةٌ لِمَنْ أَبْدَعَ ذَاتَهَا وَمُسَمِّيَاتِهَا الَّتِي تَوَارَثَهَا الْجِنْسُ الْعَرَبِيُّ الْمُعَاصِرُ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ يَدٌ فِي اصْطِنَاعِهَا أَوْ تَسْمِيَّتِهَا، لِذَلِكَ فَمُجَرَّدُ الْمَسَاسِ بِشُرُوطِ وَقَفِيَّتِهَا يُعَدُّ عَبَثًا يُؤَاخَذُ عَلَيْهِ كُلُّ مُبْتَدِعٍ فِي صَكِّ مِلْكِيَّةٍ تِلْكَ الْحُقُوقِ، فَالشُّعْرُ مُصْطَلَحٌ خَاصٌّ لِأُمَّةٍ أَوْرَثَتْ لِأَجْيَالِهَا الْمُتَعَاقِبَةِ هَذَا الْمُسَمَّى «الشُّعْرُ»، وَهِيَ الَّتِي قَنَنْتْ مَفَاهِيمَهُ وَأَشْكَالَهُ، فَبِأَيِّ حَقٍّ يَجُوزُ تَغْيِيرُ مَنْهَجِهِ الْقَائِمِ عَلَيْهِ؟ وَنَصِمُ الشُّعْرَ الْعَرَبِيَّ الْفَصِيحَ بِمَا يُسَمَّى قَصِيدَةَ النَّشْرِ.

ثُمَّ نَأْتِي عَلَى الرَّأْيِ الثَّانِي لِلْأُسْتَاذَةِ تُرْكِيَّةِ الْعَمَرِيِّ الَّتِي قَدِمَتْ رَأْيُهَا الْخَاصَّ لِمَفْهُومِ الشُّعْرِ الْمَبْنِيِّ عَلَى الطُّقُوسِ الْمُسْتَفْرَغَةِ لِلْحَالَةِ الشُّعْرِيَّةِ، تَارِكَةً لِلْمُتَلَقِّي حُرِّيَّةَ التَّأْوِيلِ، غَيْرَ أَنَّهَا لَمْ تُبْدِ رَأْيًا صَرِيحًا حَوْلَ قَصِيدَةِ النَّثْرِ، وَكَأَنَّهَا تَرَكَتْ رَأْيَهَا عُرْضَةً لِلتَّأْوِيلِ لَا لِلْحُسْمِ.

وَالرَّأْيُ الثَّالِثُ بَالِغٌ فِي التَّطَرُّفِ النَّقْدِيِّ الْمُنْحَازِ لِحِجَّةٍ مَا يُسَمَّى قَصِيدَةَ النَّثْرِ بِرَغْمِ حُسْنِ ظَنِّي بِصَاحِبِهِ، وَهُوَ الدُّكْتُورُ سَعْدُ الْبَارِزِيِّ الَّذِي يَقُولُ: «إِنَّ مَا يُسَمَّى قَصِيدَةَ النَّثْرِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْتَرَضَ عَلَيْهَا مِنْ نَاحِيَةِ الشَّكْلِ»، لَيْسَوْغُ مَشْرُوعِيَّةً مَا يُسَمَّى قَصِيدَةَ النَّثْرِ، لِنُعْطِيهَا صِفَةَ الشُّعْرِ حَتَّى عِنْدَمَا تَفْتَقِدُ الْأَسْسَ الْمِيعَارِيَّةَ الدَّقِيقَةَ لِمَعْرِفَةِ مَفْهُومِ الشُّعْرِ، وَيَنْطَلِقُ الدُّكْتُورُ الْبَارِزِيُّ مِنْ حَسِّنِ الْكَاتِبِ لَا مِنْ حَسِّنِ الشَّاعِرِ الَّذِي يَعْرِفُ قِيَمَةَ الْإِلَهَامِ، وَكَيْفَ تُصَاغُ الْقَصِيدَةُ بِأَدَوَاتِهَا الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى (اللُّغَةِ وَالْفِكْرِ وَالْجَرَسِ الْمَوْسِقِيِّ)، بِاعْتِبَارِ هَذِهِ الْأَدَوَاتِ مِنْ أَهَمِّ مَكُونَاتِ الشُّعْرِ، وَلَمْ يَتَكَبَّدِ الْمَعَانَاةَ، وَإِلَّا لَمَّا أَلْقَى الْكَلَامَ عَلَى عَوَاهِنِهِ، وَبِرَغْمِ ذَلِكَ فَإِنِّي أَضْعُ بَيْنَ نَازِرَتِهِ وَفِكْرِهِ عِلَاقَةً سَبَبِيَّةً لِقِيَامِ قَصِيدَةِ الشُّعْرِ لَا تَتَوَفَّرُ عَلَيْهَا تِلْكَ الْمَزَاجُ الْمُؤَيَّدَةُ لِمَا يُسَمَّى قَصِيدَةَ النَّثْرِ، وَأَضَعُهُ بَيْنَ مَفْهُومَيْنِ مُتَنَاقِضَيْنِ فِي هَذِهِ التَّسْمِيَةِ، فَإِذَا قُلْنَا «قَصِيدَةُ النَّثْرِ» فَقَصِيدَةُ تَعْنِي شِعْرًا، وَالنَّثَرُ يَعْنِي الْكَلَامَ الْمُرْسَلُ الَّذِي لَا يَتَطَلَّبُ الْوِزْنَ وَرُبَّمَا تَدْخُلُهُ الْمَحْسَنَاتُ الْبَدِيعِيَّةُ؛ مِنْ جِنَاسٍ وَمُقَابَلَةٍ وَطِبَاقٍ، لِأَنِّي نَثَرًا بَلِيغًا رُبَّمَا يَتَفَوَّقُ عَلَى بَعْضِ الْقَصَائِدِ الشُّعْرِيَّةِ، كَنَثْرِ قُسِّ بْنِ سَاعِدَةَ وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ، وَمُصْطَفَى صَادِقِ الرَّافِعِيِّ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَهُوَ فَنٌّ قَائِمٌ بِذَاتِهِ وَلَهُ أَرْبَابُهُ، فَكَيْفَ نُحْمَلُ الْمَعَانِي أَكْثَرَ مِمَّا تَحْتَمِلُ؟ وَكَيْفَ نَجُوزُ هَذَا الْأِسْقَاطَ لِلْعُغْيِ الْمُضَادِّ بَعْضُهُ لِبَعْضٍ؟ وَلِمَذَا لَا تُسَمَّى تِلْكَ الْكِتَابَاتُ بِالنَّثَرِ الْمُبْدَعِ أَوْ النَّثْرِ الْمُصَوَّرِ أَوْ النَّثْرِ الْخَارِقِ؟ وَيَذْهَبُ الدُّكْتُورُ الْبَارِزِيُّ وَيُبْحِرُ أَعْمَقَ حِينَ قَرَّرَ قَرَارًا لَا أَدْرِي مِنْ أَيِّ مَصْدَرٍ اسْتَقَاهُ حِينَمَا قَالَ: إِنَّ الشُّعْرَ لَيْسَ مُرْتَبِطًا بِالْوِزْنِ، وَهَذِهِ ثَالِثَةُ الْأَثَافِي الَّتِي وَقَعَ فِيهَا أَوْقَعَ نَفْسُهُ فِيهَا دُونَ مَرَجِعِيَّةٍ، فَهُوَ فِي الْبَدَايَةِ يُنْكَرُ الشَّكْلَ فَسَلَّمْنَا لَهُ، وَالْآنَ يُنْكَرُ الْوِزْنَ، إِذَنْ؛ فَإِنَّ الشُّعْرَ يَا دُكْتُورُنَا الْعَزِيزُ؟ لَقَدْ أَسْقَطْتَ كُلَّ شُرُوطِ الشُّعْرِ وَهَدَمْتَ أَرْكَانَهُ، لِنَسْوِيغَ مَا يُسَمَّى قَصِيدَةَ النَّثْرِ، لَا يَا دُكْتُورُ فَإِنِّي أُعِيدُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُجَامِلِينَ، فَخُذْ مَسْئُولُونَ أَمَامَ اللَّهِ وَأَمَامَ أُمَّتِنَا وَأَمَامَ نِعْمَةِ الْعَقْلِ الَّذِي وَهَبَنَا اللَّهُ إِيَّاهُ، وَهَذِهِ الْأَجْيَالُ أَمَانَةٌ فِي أَعْنَاقِ الْعَارِفِينَ وَالْعَالِمِينَ لِنَبْصِرِهِمْ بِحَقَائِقِ لَوْ أَغْفَلْنَاهَا رُبَّمَا تُؤَدِّي بِهِمْ إِلَى الضَّيَاعِ وَالتَّيِّهِ فِي مَجَاهِلِ التَّغْرِيبِ وَالتَّغْرِيبِ.

ثُمَّ نَسْتَعْرِضُ الرَّأْيَ الرَّابِعَ لِلْأُسْتَاذِ الدُّكْتُورِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُعْطَانِيِّ الشَّاعِرِ الْمُتَمِّهِمِ وَالنَّاقِدِ الْحَصِيفِ الَّذِي اسْتَطَاعَ أَنْ يَضَعَ النِّقَاطَ عَلَى الْحُرُوفِ، وَأَنْ يُقَدِّمَ لَنَا رَأْيًا عِلْمِيًّا جَدِيرًا بِالتَّقْدِيرِ وَالْاحْتِرَامِ، لَا لِأَنَّهُ وَافَقَ رَأْيَنَا، وَلَكِنْ لِأَنَّهُ يَعْرِفُ أَنَّ الشُّعْرَ الْمُتَمَقِّقَ عَلَيْهِ عَبْرَ عَصُورِهِ وَأَجْيَالِهِ هُوَ مَا عَنَاهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي سُورَةِ الشُّعْرَاءِ لِعَدَمِ وُجُودِ شِعْرِ تَفْعِيلَةٍ أَوْ مَا يُسَمَّى قَصِيدَةِ النَّثْرِ، وَعِنْدَمَا وَقَفَ الشُّعْرُ أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ هُوَ الشُّعْرُ الْعَرَبِيُّ الْعُمُودِيُّ الْفَصِيحُ لِلشَّاعِرِ الْفَحْلِ كَعَبِ بْنِ زُهَيْرٍ، وَعِنْدَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ لِحَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «اهْجُهُمْ وَرُوحَ الْقُدُسِ مَعَكَ» كَانَ يَقْصِدُ الشُّعْرَ الْمُؤَزَّوْنَ الْمُقَفَّى الْفَصِيحَ، فَكَيْفَ يَجُوزُ لَنَا بَجَرَّةٍ قَلَمٌ أَنْ نَمْسَحَ تَرَاتُ أُمَّةٍ نَحْنُ نَنْتَمِي إِلَيْهَا وَنَحْمِلُ هُويَّهَا؟! لِنَذُوبٍ فِي هُويِّهِ أُخْرَى حَتَّى يُقَالَ عَنَّا إِنَّا تَقَدِّمِيُونَ وَمُسْتَقْبِلِيُونَ لِأَنَّا أَخَذْنَا بِأَفْكَارِهِمُ الْحَدَائِثِ أَوْ الْعَوْلَمِيَّةِ، وَنَحْنُ لَمْ نَكُنْ مِنْ صُنَاعِ هَذِهِ الْأَرَءِ أَوْ النَّظَرِيَّاتِ أَوْ الْأَفْكَارِ، وَرَحْنَا نُدَافِعُ عَنْهَا بَتَفَانٍ وَإِخْلَاصٍ، لِنَكُونَ أَذْيَالًا لِلْعَادِي لِيَسْهُلَ عَلَيْهِ ابْتِلَاعُنَا فِي أَيِّ وَقْتٍ، ثُمَّ لِمَاذَا أَخَذْنَا الْحَدَاثَةَ وَطَبَقْنَاهَا فَقَطْ عَلَى الشُّعْرِ؟ وَالْحَدَاثَةُ كَتَنَظِيرٍ فِكْرِيٍّ تَأْخُذُ بِالْإِتْجَاهَاتِ الْعِلْمِيَّةِ وَالنَّظَرِيَّةِ، لِذَلِكَ فَأَنَا مُتَمَقِّقٌ مَعَ رَأْيِ الدُّكْتُورِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُعْطَانِيِّ وَرَأْيِ الدُّكْتُورِ فَوَّازِ اللَّعْبُونِ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا، وَأَقُولُ لَهُمَا: لَقَدْ آنَ الْأَوَانُ لِكَيْ نَرْفَعَ الْحُجْبَ عَنْ أَعْيُنِ أَجْيَالِنَا لِنَبْصِرَهُمْ بِمَا يُحَاكُ فِي الْخَفَاءِ لِنَهْدِيهِمْ أَرْكَانَ قِيَمِنَا وَأَثَارِنَا وَمُورُوثَاتِنَا الْعَرَبِيَّةِ، وَأَنْ نَكْشِفَ عَوَارِ مَنْ يَتَسَنَّوْنَ وَسَائِلَ الْإِعْلَامِ الْمَرْيِيَّ وَالْمَقْرُوءِ وَالْمَسْمُوعِ، الَّذِينَ يُحْكِمُونَ قَبْضَاتِهِمْ عَلَيْنَا وَيَنْشُرُونَ الْهَزِيلَ مِنَ الشُّعْرِ، لِيُؤَكِّدُوا زَيْفَهُمْ بِدَسَائِسِهِمْ بِأَنَّ الشُّعْرَ الْعُمُودِيَّ مُسْتَهْلَكٌ، وَقَدِيمٌ، وَرَجْعِيٌّ، وَلَا يُعْبَرُ عَنْ آمَالِ الشَّعْبِ وَالْعَصْرِ، وَهُمْ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ حِينَ يَتَنَصَّلُونَ مِنْ تَرَاثِهِمْ وَيُعَبِّرُونَ عَنْ عَجْزِهِمْ، وَيُحَاوِلُونَ الْإِلْتِصَاقَ بِتَرَاثِ الْغَرْبِ الَّذِي لَا يَرَاهُمْ وَلَا يَسْمَعُهُمْ وَلَا يَهْتَمُّ بِهِمْ. وَإِذَا عَرَفْنَا حَقِيقَةَ الشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ فِي الْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ بِأَمَانَةٍ وَتَزَاهَةٍ وَشَرَفٍ نَعْرِفُ الَّذِينَ يُمَثِّلُونَ الْحَدَاثَةَ الْعَصْرِيَّةَ؛ هَلْ هُمْ شُعْرَاءُ الْوُزْنِ وَالْقَافِيَةِ أَمْ شُعْرَاءُ قَصِيدَةِ النَّثْرِ؟ لِأَنَّا نَحْنُ شُعْرَاءُ قَضِيَّةِ الشُّعْرِ قَضِيَّةٌ وَأَحْدَاثٌ وَانْفِعَالَاتٌ تُصَاغُ لِنَتَجَّعِ الشُّعْرَ الَّذِي يَكُونُ جَدِيرًا أَنْ يُقَالَ لَهُ شِعْرٌ.

أَمَّا الرَّأْيُ الْخَامِسُ الَّذِي أَوْرَدَهُ الْأُسْتَاذُ مُحَمَّدٌ خَضِرٌ فَقَدْ وَضَعَ إصْبَعَهُ عَلَى الْمَشْكَالَةِ الَّتِي تُفَرِّغُ مَا يُسَمَّى قَصِيدَةِ النَّثْرِ مِنْ مَعْنَاهَا وَمَضْمُونِهَا وَقِيَمَتِهَا حِينَ يَقُولُ: «رَبِّمَا بَقِيَتْ مُشْكَلَتُهَا الْوَحِيدَةُ فِي شُيُوعِهَا بِكَثْرَةِ خِلَالِ عَقْدٍ مَضَى وَفِي كَثِيرٍ مِنْ حَالَاتٍ

الاستسْهال اللاواعية»، وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه بتفاهة مفهوم ما يسمى قصيدة النثر التي تصدر عن عقليات لاواعية تريد أن تسجل اسمها على صفحات مملكة الشعراء الحقيقيين؛ لفقدانهم ملكة الشعر وعجزهم عن مجارة الشعراء الملهمين، ولو أردنا تعريتهم أكثر وفصح جهالاتهم فسنبطل منهم أن ينظموا بيتاً واحداً من الشعر العمودي الفصيح، وعندها سنكتشف عجزهم وجهلهم وعباءهم أيضاً، وبالإحالة أيضاً إلى أكبر نقاد الحداثة، وهو الدكتور محيي الدين اللاذقاني الذي وصفهم بـ «شعراء السردين»، في مقاله المنشور بجريدة الشرق الأوسط، مضيفاً أن «جميعهم يكتبون نصاً واحداً لا تستطيع أن تفرق أو تميز بين نص وآخر»، كما أن معجمهم اللغوي لا يخرج عن الحبيبة والرفيقة والكأس والنبيذ، كالذي يقول: «حبيبتني جدار الأسمنت» «والريشة التي أغرقت البحر» وغيره من الهلوسات، فسلام على الشعراء الملهمين من شعراء العربية الأفذاذ الذين خلدتهم الزمان والمكان، منذ الشعر الجاهلي إلى وقتنا المعاصر، وسلام على السائرين على نهجهم ليكتبوا بحروف النور سفر الخلود.

مِنْ شِعْرِي: قَصِيدَةُ «فَضَاءِ الْعُقُولِ»

دِيَوَانُ «وَحْشَةِ الرُّوحِ»

يَا جَوَابًا يَحَارُ فِيهِ السُّؤَالُ
وَضَلَامٌ يُشَدُّ عَنْهُ الرَّحَالُ
قَدْ أَضَلَّتْ زَمَانَهَا الْأَزْدَالُ
كَانَ يَبْنِي فَعْيَبَتُهُ الرِّمَالُ
قَبْلَ أَنْ يَرْتَدِّي الْغَبَاءُ الْخَبَالُ
وَعُصُورٍ شَكَا أَسَاهَا الزَّوَالُ
وَرِيَّاحٌ وَفِتْنَةٌ وَاحْتِيَالُ
وَحَيَاةٌ تَرُودُهَا الْأَجْيَالُ
وَقَدِيرٌ مُسَوِّدٌ وَامْتِثَالُ
حِينَ تَرْقَى بِفِكْرِهِ الْأَمَالُ
بَيْنَمَا قُوَّةُ الْأَنْبَامِ اقْتِتَالُ
وَدِمَاءٌ عَلَى الثَّرَى تَنْثَالُ
أَنْتَ أَقْوَى وَأَنْتَ فِيكَ الْهُزَالُ
وَقِرَاعٌ وَغَدْرَةٌ وَاحْتِيَالُ
وَنَفُوسٌ يَسُومُهَا الْإِغْتِيَالُ
وَأَمَانُ النُّفُوسِ لَيْسَ يُطَالُ
دُونَ رَيْبٍ وَلَا يُنَالُ الْكَمَالُ
رَدَدْتُهَا عَلَى الْمَدَى الْأَطْلَالُ؟

يَا فَضَاءَ الْعُقُولِ أَيْنَ الْمَالُ؟
قَبَسٌ رَاحَ فِي النَّوَابِغِ يَخْبُو
هَكَذَا وَالْمَدَى شَيَاطِينُ أَنْسِ
مَا هَوَى الرُّشْدُ بَلْ تَهَاوَى رَشِيدُ
قِصَّةٌ لِلزَّمَانِ مُذْ كَانَ غَضًّا
قِصَّةٌ مِنْ رُؤَاةِ عَهْدٍ قَدِيمِ
أُمِّمْ قَدْ تَنَاسَلَتْ فَهِيَ تَتَرَى
يَا زَمَانًا طَوَى الْعُصُورَ مَهِيًّا
قِيمٌ لِلْأَنْبَامِ فِي كُلِّ أَرْضِ
الْقَوِيُّ الَّذِي اسْتَطَاعَ مُطَاعُ
الْقَوِيُّ الْحَكِيمُ عِلْمًا وَعَزْمًا
سُنَّةُ الْأَرْضِ بِالْعَدَاوَةِ تَبْقَى
أَيُّهَا الشَّرُّ وَالْقُلُوبُ أُسَارَى
ظُلْمَةٌ أَنْتَ فِي صَبَاحِ الْحَيَارَى
أَيُّهَا الشَّرُّ وَالرَّدَى مُسْتَدِيمِ
أَيُّهَا الشَّرُّ أَنْتَ أَصْلُ الرِّزَايَا
كُلُّ نَفْسٍ لَهَا مَكَارُهُ عَيْبِ
أَوَلَيْسَ الْإِنْسَانُ أَطْلَالٌ ذِكْرَى

رَفَقًا بِالْقَوَارِيرِ

إِنَّ مَا نَلَحْظُهُ فِي وَقْتِنَا الْحَاضِرِ مِنَ التَّشْتُّ وَالْتَفَرُّقِ الْأَسْرِيِّ مِنْ جَرَاءِ الطَّلَاقِ الَّذِي يَقْطَعُ الْأَوَاصِرَ، وَيَذْمُرُ الْمُجْتَمَعَاتِ، سَوْفَ يَتْرُكُ آثَارَهُ السَّيِّئَةَ عَلَى الْأُمَّةِ وَيُسْجَعُ دَوَافِعُ الْجَرِيمَةِ وَشُيُوعُ الرِّذِيلَةِ بِمَا يُؤَدِّي إِلَى تَشَرُّدِ الْأَبْنَاءِ، وَافْتِقَادِهِمْ لِلرَّعَايَةِ السَّلِيمَةِ، لِعَدَمِ وُجُودِ الْأَبِ وَعَدَمِ قُدْرَةِ الْأُمِّ عَلَى سَدِّ احْتِيَاجَاتِهِمْ الضَّرُورِيَّةِ وَالصَّرْفِ عَلَيْهِمْ حَتَّى لَا يَتْرَكُوا نَهَبًا لِرَفَقَاءِ السُّوءِ وَيَكُونُوا تَرْبَةً خِصْبَةً لِلْفَسَادِ وَمُكُونَاتِهِ.

وَإِذَا عَلِمْنَا بِأَنَّ نِسْبَةَ الطَّلَاقِ لَدَيْنَا فِي الْمَمْلَكَةِ رُبَّمَا تَتَجَاوَزُ الْأَرْبَعِينَ فِي الْمِائَةِ لَوْجَدْنَا أَنَّ هَذِهِ النِّسْبَةَ هِيَ نِسْبَةٌ عَالِيَّةٌ فِي دَوْلَةٍ مُحَافِظَةٌ لَهَا قِيمُهَا وَعَادَاتُهَا الْمُسْتَقَامَةُ مِنَ التَّعَالِيمِ الْإِسْلَامِيَّةِ الدَّاعِيَةِ إِلَى بِنَاءِ مُجْتَمَعٍ صَالِحٍ مِنْ خِلَالِ الْعَلَقَاتِ الْأُسْرِيَّةِ، تَأْسِيسًا عَلَى رَوَابِطِ الزَّوْاجِ، وَمَا يُثْمِرُ مِنْ إِنْجَابٍ لِلْأَبْنَاءِ وَهُمْ فَلَذَاتُ الْقُلُوبِ وَالْأَكْبَادِ لِكُلِّ أَبٍ وَأُمٍّ يَحْرُصَانِ عَلَى تَقْوِيمِهِمْ وَتَرْشِيدِهِمْ بِالْخُلُقِ الْكَرِيمِ، وَالْحِفَافِ عَلَى أَنْ يَكُونُوا نَبَاتًا صَالِحًا يَفْخَرُ بِهِمُ الْوَالِدَانِ، وَيَفْخَرُ بِهِمُ الْوَطَنُ وَالْأُمَّةُ فِي هَذَا الْعَصْرِ الْمُفْرِطِ فِي التَّفْسُخِ وَالتَّفَرُّجِ وَالْإِنْحِلَالِ بِمَا يَبْثُ عِبْرَ دَوَائِرِ الْفَضَائِلِ وَأَجْهَرَةِ الْكُمُيُوتِ، وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ أَعْدَاءُ الْفَضِيلَةِ وَالْأَخْلَاقِ بَدْعَوَاتٍ تَقُومُ عَلَى الضَّلَالِ يُغَرِّى بِهَا ضِعَافُ النُّفُوسِ، أَوْ مَنْ افْتَقَدَ الرَّاعِي وَالْمُعِيلَ، فَرَاغَ يَتَسَكَّعُ فِي دُرُوبِ الضِّيَاعِ لِتَقْتَنِصَهُ عُيُونُ الْمُحْتَرِفِينَ لِلْجَرِيمَةِ، فَتُصْبِحَ الْخَسَارَةُ عَلَى الْمُجْتَمَعَاتِ وَالْأَوْطَانِ فَادِحَةً وَالتَّنَاجُجُ كَارِثِيَّةً إِذَا مَا أَصَابَتْ صَمِيمَ الطُّفُولَةِ وَالشَّبَابِ فِي الْجَنَسَيْنِ، وَتَحَقُّقُ اللَّائِمَةِ بِالدرَجَةِ الْأُولَى عَلَى الْوَالِدَيْنِ وَعَلَى الْعُقَلَاءِ.

وَلَا بُدَّ لَنَا بَعْدَ هَذَا السَّرْدِ مِنَ الْإِشَارَةِ بِشَيْءٍ يَسِيرُ مِنَ التَّوْضِيحِ إِلَى الْأَسْبَابِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى هَذِهِ الْعَوَاقِبِ، عِنْدَمَا تَعْدُو قَلَّةُ ذَاتِ الْيَدِ فِي الزَّوْجِ أَحَدَ الدَّوَافِعِ الْمُسَبِّبَةِ لِانْتِهَارِ الْأُسْرَةِ، أَوْ التَّسَيُّبِ وَالْإِنْحِطَاطِ الْخُلُقِيِّ الَّذِي يَنْتَهِجُهُ رَبُّ الْأُسْرَةِ حِينَ يَغْدُو أَسِيرًا لِلتَّرَقُّ وَارْتِيَادِ مَعَاوِلِ الْخَبَاثَةِ وَالْفُسُوقِ وَتَكُونُ هَمَّةُ وَشْغَلُهُ الشَّغْلَ، ضَارِبًا صَفْحًا عَنْ أَبْنَائِهِ وَأُسْرَتِهِ، مُهْمَلًا لَهُمْ، مَاضِيًا فِي غِيَّهِ، سَادِرًا عَنْ وَاجِبَاتِهِ دُونَ وَازِعٍ مِنْ ضَمِيرٍ أَوْ خَوْفٍ مِنَ اللَّهِ، حَتَّى إِذَا عَادَ إِلَى بَيْتِهِ كَانَ فِي حَالَةٍ غَيْرِ إِنْسَانِيَّةٍ وَلَا طَبِيعِيَّةٍ، وَإِذَا اسْتَفَاقَ مِنْ غَيْبُوتِهِ أَوْ نَوْمِهِ تَسْتَفِيقٌ مَعَهُ شُرُورُ النَّفْسِ فَلَا يَجِدُ أَمَامَهُ إِلَّا الزَّوْجَةَ الضَّعِيفَةَ الْمُسْكِينَةَ

يَكِيلُ لَهَا السَّبَابَ وَالشَّاتِمَ بِسَبَبٍ أَوْ دُونَ سَبَبٍ، لِأَنَّ أَعْصَابَهُ أَتْلَفَهَا الْمُحَدَّرُ، أَوْ الْمُسْكِرُ، أَوْ إِذَا تَجَاوَزَ ذَلِكَ أَوْقَعَهُ الْجَهْلُ بِقِيَمَةِ الزَّوْجَةِ وَالْأَبْنَاءِ مَوْقِعَ الْخَطْلِ، وَتَكَابَّرَ فِي نَفْسِهِ وَتَعَاطَمَ بِقَوَامَتِهِ عَلَى الْمَرْأَةِ فَلَا يَجِدُ إِلَّا الْإِمْتِهَانَ وَالْإِذْلَالَ لَهَا، وَفِي أَكْثَرِ الْأَحْيَانِ يَعْمِدُ إِلَى ضَرْبِهَا بِغَيْرِ شَفَقَةٍ وَلَا رَحْمَةٍ، وَنَسِيَ أَوْ تَنَاسَى مَا أَمَرَ بِهِ اللَّهُ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ بِالرَّفْقِ بِالْمَرْأَةِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهَا، ثُمَّ إِذَا أَخَذَ بِهِ الْحُمُقُ وَاسْتَشَاطَ بِهِ الْغَضَبُ لَا يَجِدُ لَدَيْهِ سِوَى كَلِمَةِ «أَنْتَ طَالِقٌ» عُقُوبَةً يَتَّخِذُهَا إِشْفَاءً لِحُمُقِهِ وَغَضَبِهِ وَثَوْرَتِهِ، فَيَهْدِمُ أَسْرَتَهُ وَيُسَرِّدُ أَبْنَاءَهُ وَيُصِيبُهُمْ بِأَمْرَاضٍ نَفْسِيَّةٍ تَكُونُ تَأْثِيرَاتُهَا وَخِيمَةٌ عَلَيْهِمْ وَعَلَى الْمُجْتَمَعِ الَّذِي يُفْتَرَضُ أَنْ يَكُونُوا عَامِلِينَ بِهِ وَلَهُ وَمَعَهُ، وَقَدْ اِمْتَلَأُوا بِالْحَقْدِ وَالْبُغْضِ وَالْأَلَمِ فَيَتَعَامَلُونَ مَعَ الْآخَرِينَ تَعَامُلًا غَيْرَ سَوِيٍّ، وَيَنْظُرُونَ إِلَى الْحَيَاةِ بِمِنْظَارٍ أَسْوَدَ نِتَاجِ ظُلْمٍ وَالْدِّيْنِمْ لَهُمْ وَإِهْمَالِهِمْ، وَكَانَ الْوَالِدَيْنِ أَوْ أَحَدُهُمَا يَنْتَقِمُ مِنَ الْمُجْتَمَعِ فِي شَخْصِ زَوْجَتِهِ وَأَبْنَائِهِ، ثُمَّ إِذَا تَقَادَمَ بِهِ الْعُمُرُ وَرَأَى فَلَذَاتِ أَكْبَادِهِ وَهُمْ فِي غِيَاهِبِ الضِّيَاعِ وَالْإِنْكَسَارِ وَالْفَاقَةِ وَالْعُوزِ، أَوْ بَيْنَ جُدْرَانِ السُّجُونِ وَقَدْ اقْتَرَفُوا ذُنُوبًا، أَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِّهِ عَلَى مَا فَرَطَ، وَدَاهَمَهُ النَّدَمُ وَلَاتِ سَاعَةٌ مَنَدَمٍ، وَيَكُونُ قَدْ جَنَى عَلَى زَوْجَتِهِ الَّتِي رُبَّمَا تَكُونُ فِي رَيْعَانِ الشَّبَابِ وَجَعَلَهَا حَبِيسَةً شَكُوَاهَا وَهُمُومُهَا وَيَاسِهَا وَأَمْرَاضِهَا أَوْ انْحِرَافِهَا، لِيَكُونَ سَبَبًا مُبَاشِرًا فِي ذَلِكَ، وَمُبَدَّدًا لِأَحْلَامِ وَأَمَالِ أُسْرَةٍ كَانَتْ تَتَوَخَّى فِيهِ أَنْ يُحِيطَهَا بِدَفِئِ الْأَبْوَةِ وَالْحَنَانِ وَالرَّعَايَةِ، وَخُصُوصًا حِينَ يَتَزَوَّجُ الرَّجُلُ بِأَكْثَرِ مِنْ زَوْجَةٍ لِإِظْهَارِ فُحُولَتِهِ الْمُؤَهَّمَةِ، ثُمَّ يُنْجِبُ أَوْلَادًا يَتْرُكُهُمْ فِي مَهَبِّ رِيَاكِ الضَّلَالَاتِ تَقْدِفُ بِهِمْ يَمَنَةً وَيَسْرَةً، وَهُوَ غَيْرُ مُقْتَدِرٍ عَلَى الصَّرْفِ عَلَى هَؤُلَاءِ الزَّوْجَاتِ وَالْأَبْنَاءِ، مِمَّا يَجْعَلُهُمْ يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ طَلَبًا لِلْعَوْنِ وَالْمُسَاعَدَةِ فِي سَدِّ حَاجَتِهِمْ وَحَاجَاتِ أَبْنَائِهِمْ.

إِنَّ الْوَاقِعَ الْمَرِيرَ وَالْأَلِيمَ الَّذِي يَعِيشُهُ أَكْثَرُ النَّاسِ يَدْعُو إِلَى دِرَاسَةِ

هَذِهِ الظَّاهِرَةِ وَأَبْعَادِهَا السَّلْبِيَّةِ عَلَى الْوَطَنِ وَالْأُمَّةِ مِنْ قِبَلِ الْمَسْئُولِينَ الْمُخْتَصِّينَ فِي الدَّوْلَةِ، وَمِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ؛ لِلنَّظَرِ إِلَيْهَا نَظْرَةَ الْمُتَنَصِّرِ لَهُؤُلَاءِ الْمُطْلَقَاتِ الضَّعِيفَاتِ اللَّاتِي اسْتَبَدَّ بِهِنَّ ظُلْمُ الرَّجُلِ الْجَاهِلِ، الَّذِي انْتَزَعَتْ مِنْ عَقْلِهِ الْبَصِيرَةُ وَمِنْ قَلْبِهِ الرَّحْمَةُ، وَقَدْ أَدْمَى قَلْبَ امْرَأَةٍ وَفَتْ لَهُ وَأَحْبَبَتْهُ، وَتَرَكَتْ أَهْلَهَا مِنْ أَجْلِهِ لِكَيْ يَكُونَ سَدًّا وَعَوْنًا لَهَا عَلَى مُلِمَّاتِ الْحَيَاةِ، وَلَا سِتْمَرَارِ الْفِطْرَةِ فِي الْخُلُقِ.

لذلك، فإن الآيات والسنة النبوية التي تنظم حياة الزوج والزوجة والأسرة تحتاج إلى تدريس، وإلى غرس الوعي في نفوس المتقدمين على الزواج بأخذ دورات تثقيفية للإعداد للزواج، عن طريق أئمة المساجد والعلماء الأجلاء بالتواصي بالنساء خيراً، كما جاء في القرآن والسنة، ومعرفة كيف كان النبي صلوات الله وسلامه عليه يعامل زوجته ويحسن إليهن، ويخالقهن بخلق حسن.

وأطلب من الآباء قبل تزويج بناتهم أن يشترطوا مؤخر صداق لا يقل عن (مائة ألف ريال) في حالة الطلاق، وأن يتحرروا عن كفاية الشاب أو الرجل الذي يريد الزواج، وألا يتركوا بناتهم عرضة للبُخس، ليكون ذلك رادعاً لكل زوج مُستهتر بحقوق المرأة في حالة الطلاق، كما أنني أدعو سلطة التشريع في هذه البلاد المباركة إلى أن تتبنى مشروع قانون للأحوال الشخصية مُستمدّاً من الشريعة الإسلامية غير مُلتزم بمذهب، وإنما يتوخى ما يؤيده الدليل الصحيح، ويتفق مع الواقع. ويتضمن القانون أهم أحكام الأحوال الشخصية من نكاح وتفریق فيه كالطلاق والخلع والفسخ وغير ذلك من أمور الحضانة والنفقة والرعاية والعضل، وأن يُعطي النظام للمرأة الحق في أن تشترط عند عقد نكاحها مؤخرًا للصداق يُدفع لها عند تطليقها أو فسخها لا يقل عن خمسة أضعاف مقدّمه. وأتمنى من قضاتنا الأجلاء في جميع محاكم مملكتنا العالمة، أن ينظروا إلى مشكلة الطلاق نظرة ملؤها الحكمة والشفقة على المرأة المطلقة، وألا يقفوا أمام النصوص دون أعمال الاجتهاد الذي يسد الذرائع، ويرد المفاسد التي تقع من جراء نعسف الأزواج نحو المرأة، فكل إنسان ربّما يكون له بنت أو أخت يخشى عليها من الوقوع في ذمة من لا يُقدّرُها ولا يعطيها حقها ولا يعاملها معاملة إسلامية تقوم على حفظ كرامتها وإنسانيتها كزوجة وأم ومربية، وأني ألح بالطلب إلى قضاتنا الأماء على صلاح الأمة أن يولوا العناية الكبيرة بقضايا الزواج والطلاق، وأن يكفلوا حقوق المرأة كاملة من المستهينين بحقها، وأن يعيدوا النظر في الحضانة للأولاد ليكونوا تحت رعاية الأم حتى يبلغوا سن الزواج، لا تعدياً على النصوص الشرعية، وإنما أخذاً بما فيه صالح المجتمع، فضلاً عن أنه رأي بعض علمائنا المعاصرين الأجلاء كالشيخ محمد العثيمين رحمه الله (انظر «الشرح الممتع على زاد المستقنع» مجلد 13 ص 548 المضمن «ترجيحه بأن تكون الحضانة للأم حتى الزواج») درءاً لما قد يُعانيه الأطفال في سن السابعة أو التاسعة من

مَسَاوِي وَأَضْرَارٍ جَسْمِيَّةٍ وَنَفْسِيَّةٍ نَقَرُوهَا فِي الصُّحُفِ الْيَوْمِيَّةِ، وَمَا يَعْمِدُ إِلَيْهِ بَعْضُ الْأَبَاءِ
إِرْضَاءً لَزَوَاجَتِهِمُ الْآخِرِيَّاتِ فِي الْحَاقِ الْأَذَى بِالْأَبْنَاءِ، وَمَعْرُوفٌ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ مَنْ هُوَ
أَحَنُّ وَأَرْحَمُ بَعْدَ اللَّهِ مِنَ الْأُمِّ، وَأَنْ تَقْدِيمَ الْمَصْلَحَةِ عَلَى الْمَفْسَدَةِ مِنْ أَوْجِبِ الْوَاجِبَاتِ،
وَهَذَا سَوْفَ يَجْعَلُ الزَّوْجَ الْمُسْتَبِدَّ وَالْمَتَعَسِّفَ يَرْجِعُ عَنْ صِلَفِهِ وَعِنَادِهِ وَيُفَكِّرُ قَبْلَ الطَّلَاقِ
أَلْفَ مَرَّةٍ فِي مَصِيرِ أَوْبَانِهِ وَمَصِيرِ الْمَرْأَةِ، حِينَ يَعْرِفُ أَنَّ الْقَضَاءَ سَوْفَ يَكُونُ حَامِيًا لَهَا
مَا دَامَتْ تَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَتَجْتَنِبُ مَحَارِمَهُ وَهَدَفَهَا الْعَيْشُ الْكَرِيمُ، وَهَذَا لَا يَغْنِي أَنَّنَا
نُفْسِحُ الْمَجَالَ أَمَامَ الْمَرْأَةِ لِلْمُكَابَرَةِ وَالْعِصْيَانِ وَإِتْيَانِ الْبَاطِلِ، وَلَكِنْ هُوَ رَأْيٌ لَا نُرِيدُ مِنْهُ
إِلَّا الْإِصْلَاحَ، وَرَدَّعَ نَوَازِعَ الشَّرِّ الَّتِي يَتَعَمَّدُهَا بَعْضُ الْجَهْلَةِ مِنَ الْأَزْوَاجِ ضِدَّ الْمَرْأَةِ الَّتِي
أَوْصَى بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي قَوْلِهِ: «رَفَقًا بِالْقَوَارِيرِ».

مِنْ شِعْرِي: قَصِيدَةُ «رَحَلَ الْغَرَامُ»، دِيْوَانُ «قَنَادِيلِ الرِّيحِ» (الْأَعْمَالُ الشَّعْرِيَّةُ ج2)

رَحَلَ الْغَرَامُ وَلَمْ أَعُدْ بِكَ رَاغِبَةً
وَأَفْيِقُ مِنْ نَوْمِي بَدُوعٍ وَاثِبَةً
وَحَدِي بِلَا وَجْدٍ يُطِيلُ نَوَائِبَهُ
أَشْرَعْتُ تَرْحَالِي بِحَارِي الْغَاظِبَةِ
أَسْقَيْتُهَا عُمْرِي وَصَارَتْ نَاضِبَةً
وَجَدَائِلِي وَالْأُمْنِيَّاتِ الْكَاذِبَةِ
خَادَعْتَنِي مُذْ كُنْتُ يَوْمًا وَاهِبَةً
بَعْضَ الزَّمَانِ فَقَدْ أَطَالَ غَوَارِبَهُ
أَحْلَى النَّسَاءِ، وَمِنْ جُنُونِكَ هَارِبَةً
لَيْلَ الْقُنُوطِ إِذَا اسْتَبَانَ كَوَاكِبَهُ
أَوْ كَانَ حَظِّي مِنْ زَمَانِي الْكَاسِبَةِ
كُوَخَ الْهُدُوءِ، أَعِيشُ أَجْمَلَ رَاهِبَةً

دَعْنِي فَمَا أَنَا مِنْ جِرَاحِكَ عَاتِبَةٌ
كَمْ تَجَلَّدُ الذِّكْرَى عُيُونِي فِي الْكُرَى
أَتَحَسَّسُ الْأَشْيَاءَ هَلْ حَقًّا أَنَا
يَا أَيُّهَا الْجَلَّادُ مُذْ هَانَ الْهَوَى
وَجَمَعْتُ أَوْرَادِي وَأَعْطَارِي الَّتِي
وَضِيَاءُ أَيَّامِي وَأَحْلَامُ الصُّبَا
وَحَدِيثُكَ الْجَذَابَ وَالْهَمْسَ الَّذِي
دَعْنِي الْمَلِمُ مِنْ بَقَايَا حَيْرَتِي
مَا زَالَ فِي وَجْهِهِ الرِّبْعُ وَلَمْ أَزَلْ
أَطْفَأْتُ فِي قَلْبِي هَوَاكَ، فَلَا أَرَى
إِنْ لَمْ أَكُنْ فَجَرَ ابْتِسَامَاتِ الْمُنَى
سَأَرِيحُ تَسْهِيدَ الْجُفُونِ وَأَبْتَنِي

جَدَلِيَّةُ النَّفْسِ وَالْحَيَاةِ

الْخَيَالُ السَّابِغُ عَلَى مُتُونِ الرِّيحِ يَتَجَسَّدُ فِي الْأَشْيَاءِ، وَيَتِمَاهِي مَعَ الْأَطْيَافِ وَيُسَافِرُ بِالْفِكْرِ إِلَى عَالَمِ الْمَكُونِ يُضِيءُ مَرَّاحِلَ النَّظَرِ؛ لِيَبْقَى شَاهِدًا عَلَى انْبِثَاقَاتِ الْقُدْرَةِ لِلتَّفْرِيعِ مِنْ امْتِلَاءِ الْعَقْلِ بِشَخَنَاتِ الْأَسْئَلَةِ الْمُتَعَبَةِ مِنْ تَفَاعُلَاتِ وَانْفِعَالَاتِ النَّفْسِ الْمُنتَصِرَةِ حِينًا، وَالْمَهْزُومَةِ أحيانًا، فَلَا تَلْبَثُ أَنْ تُحَاصِرَكَ الْأَسْمَاءُ وَالْأَشْيَاءُ وَيَدْفَعَكَ الْأَغْرَاءُ وَيُرِيكَ اللَّقَاءَ فِي زَحْمَةِ التَّضَادِّ حِينَ تَكُونُ أَنْتَ أَحَدَ الْمُخْتَلِقِينَ لِقَوَافِلِ التَّمَرُّدِ الْخَلَاقِ عَلَى مَدِّ شَوَاسِعِ الْفِكْرِ الْمُتَفَقِّهِ فِي عِلْمِ الْكَوْنِ، وَحِينَ تَتَوَّءُ بِالْعَجْزِ وَتَنْبَهُمُ عَلَيْكَ الرُّؤْيُ يُخَالِجُكَ الْخِذْلَانُ فَيَزْدَادُ شُعُورُكَ بِالْيَاسِ وَالْقُنُوطِ وَتَنْتَفِضُ رَغَبَاتُكَ بَعْدَمِ الرِّضَا، وَتَتَعَيَّرُ قَسَمَاتُ وَجْهِكَ، فَتَبْدُو مُنْقَبِضَ السَّمَاتِ وَتَزْدَادُ نَبْضَاتُ قَلْبِكَ، إِذْ يَتَسَارَعُ تَدْفُقُ الدَّمِ إِلَى الْمَخِّ وَتَزْتَجِفُ أَعْضَاؤُكَ، وَيُخَيِّمُ عَلَيْكَ إِحْسَاسٌ بِالتَّوَتُّرِ وَالْإِنْفِعَالِ الَّذِي يُصِيبُ بِالْهَمِّ وَالْغَمِّ أَوِ الْكَآبَةِ كَالْغَيْمِ الْجَهَامِ، أَوْ كَالْغَيْظِ الْمَكْظُومِ فِي الْفُؤَادِ، حَتَّى تَسِحَّ عِبْرَاتُ الْقَطْرِ فَتَخْصِبَ جَدْبَ نَفْسِكَ، وَتُحَسَّ بِالْأَمْنِ يَهْمُسُ إِلَيْكَ بِأَنَّكَ نَزِيلُ الرَّاحَةِ وَقَدْ ذَهَبَ عَنْكَ الْكَدْرُ، وَهَذَا أَنْتَ تَنْعَمُ مِنْ جَدِيدٍ بِطَرْدِ الْيَاسِ لِتُعَاوِدَ الْإِمْتِلَاءَ بِالسَّعَادَةِ، فَتَبْتَسِمُ بَعْدَ التَّجَهُمِ وَالْحُزْنِ لِتُعَوِّدَ إِلَى الْأَلْفَةِ وَالْأَنْسِ، كَأَنَّ بُوْسَكَ كَانَ هَالَةً دُخَانٍ تَلَاشَتْ فِي غِيَابَاتِ الْقُصَاةِ، وَعِنْدَمَا يُخَيِّلُ إِلَيْكَ أَنَّكَ اسْتَعَدْتَ حَيَوِيَّةَ الْعُمُرِ مِنْ جَدِيدٍ يُعَاوِدُكَ الشَّجَنُ يَزْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ تُحَاوِلُ أَنْ تَتَفَلَّتَ مِنْهُ، تُحَاوِلُ أَنْ تَهْرُبَ مِنْ ذَاتِكَ لِتَدْخُلَ إِلَى ذَاتِ أُخْرَى تَرَى عَلَيْهَا أَسَارِيرَ الْبَهْجَةِ فَتَظُنُّ أَنَّهَا مَا مَرَّ بِهَا الْهَمُّ وَمَا اسْتَرْقَ قَلْبُهَا الْغَمُّ، فَلَا تَسْتَطِيعُ النَّفَادَ أَوْ تَبْدِيلَ نَفْسِكَ بِنَفْسٍ أُخْرَى، وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تَحْمِلَ وَجْدَكَ وَهَمَّكَ وَتَعَبَكَ وَالْمَلَمَّ وَحَدَكَ، وَلَنْ يَسْتَطِيعَ أَحَدٌ أَنْ يُبَادَلَكَ فَرْحُهُ أَوْ تَرَحُّهُ؛ لِأَنَّ لِلْإِحْسَاسِ خُصُوصِيَّةَ التَّفَرُّدِ بِنَوْعِيَّةِ الْكَبَدِ الَّذِي لَا يُغَادِرُ نَفْسًا إِلَّا تَفَنَّنَ فِي تَبْرِيحِهَا وَتَقْرِيحِهَا وَتَجْرِيحِهَا.

لَقَدْ عَرَفْتُ فِي دَهْرِي أَنَّ النُّفُوسَ طَرَائِدَ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، صَيَادُهَا الْهَمُّ، وَسُلُوانُهَا يَكُونُ فِي هَجْعَةِ الْمَنَامِ الَّذِي يُنْسِي لِفَتْرَةٍ هَوْلَ الْفَجَائِعِ النَّفْسِيَّةِ، ثُمَّ تَصْحُو عَلَى قَدَرٍ مَقْدُورٍ، وَعُمُرٍ مَأْسُورٍ، مَا بَيْنَ أَثْرَاجٍ وَسُرُورٍ. فَلَا يُوجَدُ مَنْ أَحْصَى حَالَاتِ الْفَرْحِ أَوْ التَّرَجِّحِ فِي حَيَاتِهِ، وَلَا مَنْ عَرَفَ تَفُوقَ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ لِاسْتِحَالَةِ الْقُدْرَةِ وَالتَّقْدِيرِ، وَامْتِنَاعِ الْعَقْلِ عَنِ التَّذَكُّرِ وَالتَّذْكِيرِ بِمَا يُلْمُ بِالْقَلْبِ مِنْ حَالَاتِ الْعُبُوسِ وَالتَّكْدِيرِ، وَلَحَظَاتِ الْبَهْجَةِ

وَالْتَيْسِيرِ، فَحَاوِلْ أَنْ تَكْتُبَ فِي يَوْمِكَ مَا اعْتَزَّصَكَ فِي الْحَالَيْنِ بِدَقَّةٍ، وَدَاوِمَ عَلَيْهِ إِذَا اسْتَطَعْتَ لِكُلِّ سِنِي عُمْرِكَ، تَجِدْ نَفْسَكَ عَاجِزًا عَنِ التَّدْوِينِ لِسُرْعَةِ انْقِضَاصِ الْأَحْدَاثِ عَلَى الْأَحَاسِيْسِ، وَتَبَائِنِ أَوْقَاتِهَا وَخُرُوفِهَا وَظُرُوفِهَا وَأَسْبَابِهَا وَاشْتِعَالِهَا وَانْطِفَائِهَا وَثَوَرَتِهَا وَخَفَوَتِهَا، فَاسْكُنْ لِلْعَجَبِ وَتَوَسَّلْ بِالصَّبْرِ عَلَى احْتِمَالِ الرَّهَبِ وَغَلَبَةِ التَّعَبِ، وَخُذْ دُنْيَاكَ عَلَى عِلَاتِهَا، وَأَسْلِمْ لَهَا قِيَادَكَ، وَاسْتَسْلِمْ لِفَطْرَتِهَا، وَاعْمَلْ عَلَى الْمُجَاهَدَةِ لِلنَّوَالِ لِإِشْبَاعِ جُوعِكَ وَارِوَاءِ عَطَشِكَ، وَتَسْكِينِ رَوْعِكَ، وَإِلَّا انْقَلَبَتْ عَلَيْكَ دُنْيَاكَ وَيَلَاتٍ وَحَسَرَاتٍ. لَا تَقُلْ: كَيْفَ انْهَزَمْتُ؟ إِذَا كَانَ قَدْرُكَ الْهَرِيمَةَ، وَلَا كَيْفَ انْتَصَرْتُ؟ إِذَا مَا حَالَفَكَ النَّصْرُ، وَلَا كَيْفَ افْتَقَرْتُ؟ إِذَا كُتِبَ عَلَيْكَ الْفَقْرُ، وَلَا كَيْفَ اغْتَنَيْتُ؟ إِذَا صَاحَبَكَ الْغِنَى. حَاوِلْ أَنْ تَكُونَ قَارِئًا لَصَفَحَاتِ كِتَابِ قَدْرِكَ، تَعِيَسًا أَوْ سَعِيدًا، وَلَا يَحْزُنُكَ أَنَّكَ تَسْتَتِبُ الْمَثَلَ وَالْقِيمَ وَالْكَفَاءَةَ، ثُمَّ تَصْطَلِمُ بِالْخَبِيَةِ، وَتَمْتَلِي بِاللَّدَمِ وَالْأَسَفِ حِينَ تَأْتِي التَّوَقُّعَاتُ عَلَى عَكْسِ مَا كُنْتَ تَأْمَلُ، لِتَرَى الْأَسْبَابَ رَافِعَةً لِمَنْ لَيْسَ أَهْلًا لِلرَّفْعَةِ، وَلَكِنَّهُ يَغْنَصِبُ بِالْقُوَّةِ سَوَانِحَ الْعُقْلَةِ، وَيَحْتَالُ بِالْوَسَائِلِ حَتَّى يَبْلُغَ السَّيْفَيْنِ وَالنَّحْلَةَ، لِيَكُونَ فِيهِ الْقَادِرُ وَالْقُدْرَةُ، وَالْفَطِينُ وَالْفِطْنَةُ، وَالْمَكِينُ وَالْمُكْنَةُ، فَلَا تَبْتَنِسْ عِنْدَمَا تَرَى الْحَقِيرَ وَالْجَهُولَ وَالنَّهْوَمَ وَهُمْ قَوْلُكَ يَعْتَلِي بِهِمُ الشَّانُ، وَيَحْفَلُ بِهِمُ الزَّمَانُ وَالْمَكَانُ، وَيَعْدُو لَهُمْ عَلَيْكَ سُلْطَانٌ، بَلْ ابْتَسِمَ بِسَمَةِ السَّاحِرِ مِنَ الْبُهْتَانِ، وَأَطْلَقَ الْعِنَانَ لُخْيُولَ فِكْرِكَ لِتَجُوبَ مَدَائِنَ الْهُوَانِ، فَسَتَجِدُ فِيهَا مِنْ كُلِّ عَذَابٍ وَشَقَاءٍ وَظُلْمٍ وَبَاسٍ وَآلَامٍ وَأَشْجَانٍ، أَشْكَالًا وَأَلْوَانًا تُعْزِيكَ عَنْ بَلْوَاكَ، وَتُغْنِيكَ عَنْ شُكْوَاكَ، لِتَتَغَلَّبَ بِالسُّلْوَانِ عَلَى دُنْيَاكَ.

حَازِرِ النِّقْمَةِ وَالْإِنْتِقَامِ مِنَ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ لِأَنَّهُ كَفَرَ بِالرِّضَا وَخَسَارَةَ مُضَاعَفَةً، فَإِذَا ضَاعَتِ الدُّنْيَا فَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى، فَأَنْتَ لَا تَدْرِي خَيْرَكَ فِي أَيِّ الدَّارَيْنِ، وَحِينَ يَتَمَلَّكَ الْيَأْسُ وَالضُّجُرُ تَذَكَّرِ الْعَافِيَةَ فَلَيْسَ يَعْدِلُهَا شَيْءٌ مَهْمَا عَلَا وَغَلَا، فَبِالصَّحَّةِ أَنْتَ الْغَانِي عَنِ السُّوَالِ، وَأَنْتَ الْغَنِيُّ بِالْعَمَلِ وَالنَّوَالِ، وَإِذَا اخْتَكَمْتَ إِلَى الْحِكْمَةِ تَرَى أَنَّكَ وَأَغْنَى الْأَغْنِيَاءِ سَوَاءٌ. فَالْغَنِيُّ لَا يَزِيدُ عَلَيْكَ إِلَّا بِقَدْرِ الْوَهْمِ، وَالْأَمْوَالُ مَا هِيَ إِلَّا أَرْقَامٌ مُودَعَةٌ فِي الْبُنُوكِ؛ مِنْهَا الْحَرَامُ الَّذِي يَجْلِبُ الشَّقَاءَ وَالْعَذَابَ فِي الدُّنْيَا وَالْهَلَكَ فِي الْآخِرَةِ، وَمِنْهَا الرِّزْقُ الْحَلَالُ الَّذِي قَسَمَهُ الرَّزَّاقُ، فَاعْمَلْ وَلَا تَكِلْ وَلَا تَمَلَّ وَلَا تَكْسَلْ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَعَشْ هَانِي النَّفْسِ مُرْتَاحَ الْبَالِ وَالضَّمِيرِ، وَلَا تَعُدْ عَيْنَاكَ إِلَى نَصِيبِ الْآخَرِينَ فَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ أَيْعِيشُونَ سُعُودًا أَمْ نُحُوسًا؟ وَلَا تَخْذَعُكَ الْمَظَاهِرُ عَنِ الدَّخَائِلِ،

فَرُبَّمَا تَكُونُ أَنْتَ فِي حَالٍ تُحَسِّدُ عَلَيْهَا بِسَلَامَةِ نَفْسِكَ، وَسَلَامَةِ أَبْنَائِكَ، وَسَلَامَةِ دِينِكَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ وَتَكُونُ مِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ.

اشْغَلِ النَّفْسَ بِالطَّاعَةِ وَالْعَمَلِ، حَتَّى لَا يَكُونَ الْفَرَاغُ سَبَبًا لِدَائِكَ، وَلَا تَنْسَ أَنْ تَكْتُبَ اسْمَكَ فِي كِتَابِ الزَّمَانِ بِمَا يَنْزِلُ لَكَ حُسْنُ الذِّكْرِ وَفَخْرُ الْأَبْنَاءِ وَالنَّسْلِ وَالْإِخْوَانِ، وَارْسُمِ عَلَى صَفَحَاتِ الْحَيَاةِ صُورَةَ مَجْدِكَ بِمَا يُبْدِعُهُ فِكْرُكَ، وَكُنْ رَقْمًا وَلَا تَكُنْ صِفْرًا وَكَأَنَّكَ دَخَلْتَ وَخَرَجْتَ فَلَمْ تُحْدِثْ أَثَرًا يَشْهَدُ لَكَ بِهِ الزَّمَانُ وَالْمَكَانُ.

امْدُدْ يَدَكَ بِالْخَيْرِ وَالْكَرَمِ، وَلَا تَضِنَّ بِهَا عَلَى الْمَحْرُومِ وَالْمَعْسُورِ، وَابْذُلْ لِلضَّعِيفِ وَالْفَقِيرِ وَالْمُسْكِينِ، فَإِنَّ سَعَادَتَكَ تَكْمُنُ فِي إِقَالَةِ عَثَرَاتِهِمْ، وَاصْنَعِ الْبَسْمَةَ عَلَى شِفَاهِ الْحَيَارَى وَالْمَكْلُومِينَ وَالْمَحْزُونِينَ تَعِشْ عَزِيزًا مَا حَيَّيْتَ.

وَأَسْمَعْ مَا قَالَتْهُ الْحَيَاةُ حِينَ سَأَلْتَهَا: كَيْفَ تُبَدِّلُ الْمُحِبِّينَ؟ وَكَيْفَ تُغَيِّرُ النُّفُوسَ؟ أَجَابَتْنِي: لَقَدْ أَحْسَنْتَ الظَّنَّ بِي أَيُّهَا الطَّيِّبُ الْبَرِيُّ، وَلَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ أَنَّي أَقْلَبُ الْقُلُوبَ، وَأَجْلِبُ الْخُطُوبَ، وَأُنَكِّبُ الدُّرُوبَ، فَإِذَا خَابَ ظَنُّكَ بِي الْيَوْمَ فَإِنَّ طَبْعِي أَنْ أُخَيِّبَ ظَنَّ الطَّالِبِ الدُّوُوبَ، وَحِينَ يُخَيِّلُ إِلَيْكَ أَنِّي أَبْتَسِمُ فَعَلَيْكَ أَنْ تَحْتَدِرَ فَإِنِّي أَكْثَرُ عَنْ نُبُوبِي لَكِي أَفْتَرَسَ وَالْتَهَمَ، وَعِنْدَمَا أُعْطِيَ فَاعْلَمْ أَنَّنِي أَسْتَرُدُّ مَا أُعْطِيتُ، فَلَا وَفَاءَ لِي وَلَا حُبَّ عِنْدِي، وَلَا شَفَقَةَ لَدَيَّ، فَكَانَ ذَنْبُكَ أَنَّكَ لَمْ تَعْرِفْنِي فَوَقَعْتَ بِحُسْنِ ظَنِّكَ فِي سُوءِ فِعْلِي، وَلَيْسَ لَكَ إِلَّا أَنْ تُسَايِرَنِي فَإِنِّي أَنَا الدُّنْيَا لَا أَمَانُ لِي وَلَا عَهْدُ عِنْدِي، فِيمَا أَنْ تَتَعَلَّلَ بِالصَّبْرِ وَالْأَحْمَلَتِكَ إِلَى أَعْمَاقِ الْقَبْرِ، أَنَا هَكَذَا فَلَعَلَّكَ عَرَفْتَنِي وَعَرَفْتَ فِطْرَتِي، فَتَعَزَّ بِالْوَحْدَةِ، وَاسْتَأْنَسَ بِالنَّجْوَى، وَازْهَدْ فِي الشَّهْوَةِ وَالْمُتَمَتَّةِ، وَتَجَلَّدْ عَلَى الْبَأْسِ بِالْحَمْدِ، وَتَوَقَّعِ الْغُرْبَةَ وَالْفُرْقَةَ، فَلَا تَغْرُكِ الدُّهُورُ فَإِنَّا نَزَّاعَةُ السُّرُورِ، وَهَدَامَةُ الدُّورِ، وَقَصَامَةُ الظُّهُورِ، فَإِنْ أَقْتَرَبْتَ مِنِّي أَذْقْتُكَ الثُّبُورَ وَعَظَائِمَ الْأُمُورِ، فَلَا تُصَدِّقْ أَنَّي أَزْصِي الْحُبَّ، أَوِ الرَّفْقَ أَوِ الصَّدْقَ، فَمَا تَرَاهُ الْيَوْمَ هُوَ حَقِيقَتِي الَّتِي غَفَلْتَ عَنْهَا، فَإِنَّا الشَّقْوَةُ، وَالنُّزْوَةُ وَالْقَسْوَةُ.

أَمَّا إِذَا اتَّبَعْتَ هَوَايَ فَأَكُونُ لَكَ الْغَانِيَةَ الْجَمِيلَةَ، وَإِنْ اعْتَنَقْتَ ضَلَالَاتِي أَحْفَكَ بِالرِّذِيلَةِ، حَتَّى إِذَا اسْتَمْتَعْتَ بِاللَّذَّةِ وَأَمِنْتَ لِلْحِظَّةِ أَخَذْتُكَ غِيلَةً، وَأَسْكَنْتُكَ قَبْرًا مُظْلِمًا لَا خَلَ فِيهِ وَلَا خَلِيلَةَ، فَاحْذَرْ مِنِّي وَصُدَّ عَنِّي تَأْمَنُ نِقَمَتِي، وَتَنْجُ مِنْ فِتْنَتِي، وَتَكُنْ لِلْجَنَّةِ خَيْرَ مُبْتَنٍ.

مِنْ شِعْرِي

إِنْسَانُ هَذَا الْعَصْرِ ذَنْبٌ كَاشِرٌ
يَا هَذِهِ الدُّنْيَا أَتَيْتُكَ عَاتِبًا
يَا هَذِهِ الدُّنْيَا حَسِبْتُكَ مَرْكَبًا
يَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَنَحْتُكَ صَادِقًا
يَسْمُو الْوَضِيعُ إِلَى ذُرَاكِ بَجْهَلِهِ
يَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَلِلْتُكَ سَاخِرًا
فَدَعَيْ سَبِيلِي إِنَّمَا أَنَا رَا حِلُّ
وَحُذِي نَعِيمِكَ، إِنْ تَكُنْ بِي رَغْبَةً
عَنْ نَابِهِ، مُتَوَحِّشٌ لَا يَرْحَمُ
فِيكَ الْوَفَاءُ مُطَارِدٌ وَمُحَرَّمٌ
لِلْأَتَقِيَاءِ فَخَابَ مَا أَتَوَسَّمُ
وُدِّي فَمَا أَجْفُو وَلَا أَتَبَرَّمُ
وَالطَّيِّبُ الشَّهْمُ النَّبِيلُ يُهْدَمُ
وَمَلِلْتُ أَيَّامًا تُذِلُّ وَتُسْقِمُ
لِلضُّفَّةِ الْآخِرَى أَتَوْقُ وَأَحْلُمُ
فِيمَا لَدَيْكَ فَإِنَّ زُهْدِي أَعْظَمُ

التقارب العربي التركي

من اللافت حقاً أن تقوم وكالة أنباء الأناضول والصُحف التركية بالاهتمام وإفراد مساحات في نشراتها اليومية للإشادة بالدور الذي يلعبه المنتدى الثقافي للشيخ محمد صالح باسراجيل (رحمه الله) في إذكاء روح التواصل الإنساني وتنمية العلاقات بين دول الجوار لخلق التقارب البناء الذي يسعى إلى الارتقاء بالأهداف السامية بين الأوطان والشُعوب، حين احتفى بأحد رموز الفكر العربي التركي وهو المفكر النابه الدكتور محمد العادل، التونسي الأصل التركي الجنسية، وقد قدم الدكتور محمد العادل محاضرة قيّمة قدم لها الأخ الشاعر الدكتور صالح الزهراني تقديمًا أضاف على المحاضرة بُعدًا تاريخيًا وزادًا فكريًا مشبعًا وممتعًا ترك أثرًا علميًا وقدرًا فائقة على إدارة الأمسية.

ثم جاء دور المحاضر الدكتور محمد العادل الذي نفث في محاضرته نفثة مكلوم وزفرة مفؤود على واقع هذه الأمة التي تناهبها أيدي سبا فعادت أشلاء ممرقة وأوطانًا مفرقة وآمالًا محطمة سقطت في قيعان الإحباط والبؤس والتشرد، وكان المحاضر يحاول ترميم بعض الأطلال العربية المهذمة أملًا منه في بعث هذه الأمة من جديد، داعيًا إلى تبني الدور التركي الهادف إلى تعزيز عرى الصداقة والتعاون في أشكاله المتنوعة والمتعددة لتحقيق آمال الشعوب، في ظل واقع سياسي ينظر إلى الإنسان وحقوقه المفروضة والواجبات التي عليه كقدرة فاعلة منتجة تستفيد وتفيد في صنع ماهيتها وقيمتها للمشاركة في الحضارة الإنسانية، وقد بين المحاضر ما لتركيا من قوة ذات تأثير على المستوى السياسي والاقتصادي الذي يشمل الصناعة والزراعة والمياه والبناء، إضافة إلى موقع تركيا السياسي على مستوى العالم وتأثيرها في القرارات الدولية كقوة عسكرية وقدره صناعية، ووقوعها جغرافيًا بين دول منطقة الشرق الأوسط، وهو ما يجعل لها أهمية كبيرة لها حساباتها في المعادلات السياسية الدولية لا تستطيع السياسة العالمية تجاوزها، كما أنها معيار لتحقيق توازن القوى في مواجهة الدول المتطرفة في المنطقة، ويمكن أن تكون قوة رادعة لمحاولات صراعات الهيمنة التي تخطط لها بعض الدول المجاورة.

وَإِنْ كَانَ الدُّكْتُورُ مُصْطَفَى عَبْدَ الْوَاحِدِ قَدْ أَبْدَى خِيفَةً أَنْ يَعُودَ الدَّوْرُ التُّرْكِيُّ
الِاسْتِعْمَارِيُّ وَفَرَضَ سَيْطَرَتِهِ عَلَى الْمَنْطِقَةِ، لَكِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ مُسْتَبْعَدٌ؛ لِأَنَّ لُغَةَ الْإِسْتِعْمَارِ
الْعُسْكَرِيِّ لَيْسَتْ ضِمْنًا مِنْهُجِيَّةِ الْمَصَالِحِ الْمُحَقَّقَةِ لِأَهْدَافِ الدَّوْلِ الْكُبْرَى فِي هَذَا
الْعَصْرِ، نَظَرًا لِكُلْفَةِ هَذِهِ الْأَعْمَالِ عُسْكَرِيًّا وَإِنْسَانِيًّا، وَمَخَاطِرِهَا عَلَى الدَّوْلِ الْمُتَفَوِّقَةِ تَقْنِيًّا،
وَالْمِثَالُ الْحَيُّ هُوَ حَرْبُ الْخَلِيجِ وَأَفْغَانِسْتَانِ وَفَشْلُ الْهَيْمَنَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ عَلَيْهِمَا، وَتَحْمُلُهَا
لِأَثْمَانٍ بَاهِظَةٍ فِي الْمَالِ وَالْجُنْدِ وَالْعَتَادِ، وَهُوَ مَا لَا تُفَكِّرُ فِيهِ أَيُّ دَوْلَةٍ مُتَحَضِّرَةٍ، وَإِنَّمَا
اللُّغَةُ الْجَدِيدَةُ فِي الْإِسْتِعْمَارِ تَتَشَكَّلُ فِي الْإِسْتِعْمَارِ الْاِقْتِصَادِيِّ، وَقَضَايَا الدِّفَاعِ الْمُشْتَرَكِ
بَيْنَ الدَّوْلِ الصَّغِيرَةِ وَالْكَبِيرَةِ وَاسْتِجَارِ الْحِمَايَةِ ضِمْنَ صَفَقَاتٍ مَدْفُوعَةِ الثَّمَنِ، إِضَافَةً إِلَى
الْمَبَالِغِ الْعَالِيَةِ الَّتِي تُدْفَعُ لِتَسْلِيحِ الدَّوْلِ الضَّعِيفَةِ لِدَرْءِ الْمَخَاطِرِ عَنْهَا وَرَدِّعِ الْمُعْتَدِينَ عَلَى
كَيْفَانِهَا الْقَوْمِيَّ وَالسِّيَاسِيَّ، وَهَذَا يُرْهِقُ خَزَائِنَ الدَّوْلِ كَثِيرًا، وَتَسْتَطِيعُ الدَّوْلُ تَخْفِيفَ تِلْكَ
الْمَصَارِيفِ الْعَالِيَةِ بِاتِّفَاقِيَّاتِ الدِّفَاعِ الْمُشْتَرَكِ مَعَ دَوْلَةٍ كَثُرَ كَيْفَا؛ لِقُرْبِهَا مِنَ الدَّوْلِ الضَّعِيفَةِ
وَلِمَعْرِفَةِ تَارِيخِهَا وَبَيْتِهَا لِتَكُونَ الْكُلْفَةُ أَقَلَّ، كَمَا يُمَكِّنُ الْإِسْتِفَادَةَ وَالْمُشَارَكَةَ الْفِعْلِيَّةَ فِي
تَشْيِيدِ الْمَصَانِعِ وَتَشْجِيعِ الصَّنَاعَاتِ وَتَطْوِيرِهَا بِإِنْشَاءِ مَرَاكِزٍ لِلْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ وَتَمَكِينِ
الْقُدْرَاتِ الْإِنْتِاجِيَّةِ عَلَى الْعَمَلِ لِسَدِّ الْإِحْتِيَاجَاتِ الضَّرُورِيَّةِ وَالْكَمَالِيَّةِ، وَالْإِسْتِفَادَةَ مِنَ
التَّقْنِيَةِ الْحَيَوِيَّةِ فِي مَجَالِ الطَّاقَةِ لِتَخْفِيفِ ارْتِفَاعِ أَسْعَارِ الْكَهْرُبَاءِ وَالْمَاءِ، وَالْإِهْتِمَامَ
بِالزَّرَاعَةِ لِخَفْضِ مُسْتَوَى الْفَقْرِ وَالْفُقَرَاءِ، وَمَا يَتْرُكُهُ ذَلِكَ التَّأْثِيرُ مِنْ اِزْدِيَادٍ فِي نِسْبِ الْجَرِيمَةِ
وَالْخَرَابِ الَّذِي يُؤَثِّرُ عَلَى الْإِنْسَانِ وَالْأَوْطَانِ.

إِنَّ التَّقَارُبَ الْعَرَبِيَّ التُّرْكِيَّ ضَرُورَةٌ مُلِحَّةٌ يَتَطَلَّبُهَا الْوَاقِعُ الْمُعَاصِرُ، إِذَا حَرَصَتْ عَلَى
حُسْنِ الْجَوَارِ وَاحْتِرَامِ سِيَادَةِ الدَّوْلِ عَلَى أَرَاضِيهَا وَعَدَمِ التَّدْخُلِ فِي شُؤْنِهَا الدَّاخِلِيَّةِ، وَإِذَا
كَانَتِ النَّوَايَا تَتَّجِهْ إِلَى الْمُشَارَكَةِ الْحَقِيقِيَّةِ فِي بِنَاءِ جِسْرِ التَّوَاصُلِ الْمُؤَدِّي إِلَى الْمُشَارَكَةِ
الصَّادِقَةِ وَالْمُنَبِّئَةِ عَلَى مَا يَأْخُذُ بِتَقْدُمِ الْمَوَاطِنِ الْعَرَبِيِّ وَالتُّرْكِيِّ، وَيَسْعَى إِلَى رَفْعِ مُقَدَّرَاتِهِ
الْعِلْمِيَّةِ وَالْمَعَاشِيَّةِ، لِيَنَعَمَ بِحَيَاةٍ كَرِيمَةٍ مَلُوءًا بِالْأَمَانِ وَالْاِكْتِفَاءِ بِمَا يَسُدُّ ذَرَائِعَ الْحَاجَةِ،
وَيَرْفَعُ مِنْ مُعَانَاتِهِ الْحَيَاتِيَّةِ، وَبِذَلِكَ يَتَحَقَّقُ مَبْدَأُ التَّعَاوُنِ بَيْنَ دَوْلِ الْجَوَارِ وَالْإِحْسَاسِ
بِالْمَصِيرِ الْمُشْتَرَكِ وَالْمُسَاهَمَةِ فِي إِشَادَةِ لِبْنَاتِ التَّكَامُلِ بَيْنَ دَوْلِ الْجَوَارِ فِي إِطَارِ الْمَصَالِحِ
الْعَادِلَةِ فِي مَا بَيْنَهُمْ، وَهَذَا مَا تَأْمَلُهُ الشُّعُوبُ الدَّاعِيَةُ إِلَى السَّلَامِ وَالِدَّاعِمَةُ لِلْسَّلَامِ.

مِنْ شِعْرِي: قَصِيدَةُ «أَرْدُوغَانُ»، دِيْوَانُ «صَبَاحُ»

مِنْ صَوْتِ غَضْبَةٍ (أَرْدُوغَانُ)
وَتَارَ مِنْ ظُلْمِ الدَّوَانِ
يَعْصَى عَلَى وَصْفِ اللِّسَانِ
مَا عَادَ يَرْتَفِعُ الْأَذَانُ
وَهُوَ الَّذِي سَنَّ الْحِرَانَ
أَحْفَادُ نَسْلِ الْأَفْعَوَانِ
عَهْدِ كَرِيمٍ لَا يُصَانُ
وَالشَّرُّ وَالْقَتْلُ الْجَبَانُ
ظُلْمًا وَدَاسُوا الْأَقْحَوَانِ
وَجَهْ عُرُوبِي الْمَكَانِ
وَطَنُ الصَّهَائِنَةِ الزَّوَانِ
وَعَدًا قَطَعْتَ بِلَا ضَمَانِ
شَمْسُهَا أَلْقَى الْجُمَانِ
رَهْنًا اغْتِصَابٍ وَامْتِحَانِ
حَتَّى وَإِنْ عَظُمَ الرَّهَانُ
يَا مَنْ وَفَى وَالْبَعْضُ خَانَ
جَرَّدَ حُسَامَكَ وَالسَّنَانِ
وَيَا ابْنَ فُرْسَانَ الطَّعَانِ
سَادَتْ عَلَى حَقَبِ الزَّمَانِ
تُسْلِمُهُ لِلْحَرْبِ الْعَوَانِ

حَدَّقَ قَدْ انْتَفَضَ الزَّمَانُ
حِينَ انْبَرَى لِلْغَاصِبِينَ
فَلَقَدْ رَأَى الْهَوْلَ الَّذِي
هَدَمُوا مَسَاجِدَ غَزَّةَ
صِهْيُونَ قَدْ مَسَحَ الدُّنَا
تَبًّا لِسَفَّاحِينَ هُمْ
لَمْ يَحْفَظُوا عَهْدًا وَكَمْ
قَوْمُ الْخِيَانَةِ وَالْأَذَى
حَرَقُوا أَزَاهِيرَ الرُّبَى
هَذِي فَلَسْطِينُ سَمَتْ
هِيَ مَوْطِنُ الْإِسْلَامِ لَا
(بِلْفُورٍ) وَالْوَعْدُ اللَّطَى
أَقَطَعْتَ إِسْرَائِيلَ أَرْضًا
أَرْضُ الْعُرُوبَةِ إِنْ تَكُنْ
سَتَعُودُ مُشْرِقَةَ الدُّرَى
حُيِّتَ فَخْرًا (أَرْدُوغَانُ)
يَا فَارِسَ الْإِسْلَامِ قُمْ
يَا أَيُّهَا الشَّهْمُ الْكَمِي
آسَادُ تُرْكِيَا الَّتِي
كَانَتْ تَقُودُ الشَّرْقَ لَمْ

دُسْتُورَهَا الْقُرْآنُ وَالشُّـ
(يَا أَرْدُوغَانُ) الشَّرْقُ هَانُ
وَشُعُوبُنَا أَلِمَتْ أَسَى
مَكْرُيْدَبَرُ حَوْلَنَا
وَالْمُسْلِمُونَ تَفَرَّقُوا
فَمَذَاهِبٌ وَطَوَائِفُ
قَدْ ضَيَّعُوا دِينَ الْهُدَى
لَمْ يُعْمِلُوا الْعَقْلَ وَهَلْ
اِكْتَبَ بِسَيْفِكَ (أَرْدُوغَانُ)
فَمَذَابِخُ فِي غَزَّةٍ
حَيْلٌ لَأَمْرِيكََا غَدَتْ
تَخْتَالُ فِي ثَوْبِ الرَّدَى
يَا مَنْ يُوحِدُ خَطُونَا
نَسْتَأْفُ أَعْطَارَ الْمُنَى
وَتَظَلُّ أَصْوَاتُ الْمَلَا
مَا كَانَ فِعْلُ الْأَمْرِكَا
جَانِئِمُ أَمَّا أَنْ جَانِئِمُ أَمَّا أَنْ

بَيْنَ عَقْلِي وَقَلْبِي

أَتَعْرِفُ الْحُبَّ؟ (أَعْرِفُ حَرْفَيْنِ مِنْهُ)، أَتَعْرِفُ الْبُغْضَ؟ (نَعَمْ هُوَ كَثِيرٌ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ وَالْإِسْلَامِ)، مَا هِيَ اللَّيْبَرَالِيَّةُ؟ (لَا أَعْرِفُ، لِأَنِّي أَعْرِفُ الْحُرِّيَّةَ). اذْكُرْ لِي بَعْضَ حُرُوفِ الْعِلَّةِ؟ (عَ رَبُّ)، مَنْ أَنْتَ؟ (إِذَا عَاشَرْتَنِي تَعْرِفْنِي)، أَفْتَنِي فِي الصَّدَقِ؟ (فِي الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ لَا نَسْتَعْمِلُهُ)، كَمْ عَدَدُ الْأَذْكِيَاءِ؟ (أَعْرِفُ عَدَدَ الْأَغْبِيَاءِ). مَا هُوَ الْمُضْحَكُ؟ (التَّكْبُرُ). كَمْ عَدَدُ الْفُقَرَاءِ؟ (أَعْرِفُ عَدَدَ الْأَغْنِيَاءِ)، أَيْنَ تَجِدُ الشَّبَابَ؟ (فِي الشُّوَارِعِ وَالْأَسْوَاقِ). كَمْ نِسْبَةُ الْبَطَالَةِ؟ (أَسْأَلُ الْعَاطِلِينَ). تَحْلُمُ بِمَاذَا؟ (بِالنُّومِ). كَيْفَ تَرَى الْعَالَمَ الْعَرَبِيَّ؟ (لَا أَرَاهُ). هَلْ اسْتَطَاعَ الْعَرَبُ الْوُصُولَ إِلَى الْقِمَّةِ؟ (نَعَمْ حَتَّى إِنَّهُمْ سَقَطُوا مِنْهَا). مَتَى تُحِبُّ لِأَخِيكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ؟ (عِنْدَمَا يُقْتَلُ الْغُلَّ). مَا أَسْبَابُ الْفَقْرِ؟ (الْجَشَعُ). مَا هُوَ الْمَسْمُوحُ؟ (الْمَمْنُوعُ). مَتَى تُحِسُّ بِأَنَّكَ حُرٌّ؟ (فِي الْحَمَامِ). مَاذَا يَصْنَعُ الْمُعْدِمُ؟ (يَمُوتُ). مَتَى تُشْرِقُ شَمْسُ الْعَرَبِ؟ (عِنْدَ نُزُولِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ). مَنْ هُمُ الْعَرَبُ؟ (أَسْأَلُ عَنْهُمْ ابْنَ خَلْدُونِ). لِمَاذَا أَنْتَ مُتَشَائِمٌ؟ (لِأَنَّ التَّفَاوُلَ مَدْفُونٌ فِي قُبُورِ الْهُمُومِ). لِمَاذَا نَرَى هَذَا الْعَدَاءَ الْإِنْسَانِيَّ؟ (لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: اهْبِطُوا مِنْهَا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ). مَاذَا تَتَوَقَّعُ لِلْإِنْسَانِ بَعْدَ عِشْرِينَ عَامًا؟ (الْمَرَضَ وَالْبُؤْسَ وَالشُّرْدَ). مَا هِيَ الْمُتَعَةُ؟ (النَّسْيَانُ). مَا هِيَ الْأَسْمَاءُ الَّتِي تَسْتَهْوِيكَ؟ (اللَّهُ ثُمَّ مُحَمَّدٌ). هَلْ تَسْتَطِيعُ قَوْلَ الْحَقِّ؟ (عِنْدَمَا يَتِمُّ عِلَاجُ الصُّمِّ). مَا هُوَ جُنُونُ الْبَقَرِ؟ (بَعْضُ مَنْ جُنُونُ الْبَشَرِ). مَاذَا نَحْتَاجُ بَعْدَ عِشْرِ سَنَوَاتٍ؟ (إِلَى إِنْشَاءِ أَكْبَرِ قَدَرٍ مِنَ الْمَصْحَاحَاتِ الْعُقْلِيَّةِ). أَيْنَ تَجِدُ الصَّدَاقَةَ؟ (فِي الْمَصْلَحَةِ). مَا هِيَ عُيُوبُ الْعَقْلِ الْعَرَبِيِّ؟ (عَدَمُ التَّفَكِيرِ). يَقُولُونَ الصَّدَقُ مَنْجَاةٌ، فَمَا تَقُولُ؟ (أَمَّا فِي هَذَا الْعَصْرِ فَأَقُولُ إِنَّ الْكَذِبَ مَنْجَاةٌ). مَا هُوَ الَّذِي يَجْلِبُ الْحَقْدَ وَالْحَسَدَ؟ (أَنْ تُحِبَّ لِنَفْسِكَ كُلَّ مَا هُوَ لِعَينِكَ). مَتَى يَكُونُ قَوْلُ الْحَقِّ مَقْبُولًا؟ (عِنْدَمَا يَعُودُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ). مَاذَا سَيَصْنَعُ الْأَثْرِيَاءُ بِأَمْوَالِهِمْ إِذَا لَمْ يَسْتَعْمِلُوهَا فِي نَشْرِ الْخَيْرِ وَالْعَمَلِ إِلَيْهِ وَبِهِ وَلَهُ؟ (سَوْفَ يَدْفِنُونَ أَمْوَالَهُمْ مَعَهُمْ كَالْفَرَاعَةِ). كَيْفَ تَكُونُ النَّزَاهَةُ؟ (عِنْدَمَا تَخْرُجُ مِنَ الْوُظَيْفَةِ وَمَعَكَ أَكْثَرُ مِنْ مِائَةِ مِليون). مَتَى يَمُوتُ الظُّلْمُ؟ (عِنْدَمَا يُولَدُ الْعَدْلُ). مَا هِيَ الصَّنَاعَاتُ الْعَرَبِيَّةُ؟ (هِيَ الْخِلَافَاتُ الْعَرَبِيَّةُ). مَنْ سَوْفَ يَرَعَى لَنَا التَّقْيِيَةَ الْحَدِيثَةَ بَعْدَ

رَحِيلِ الْيَدِ الْعَامِلَةِ؟ (الصَّدا). مَا هُوَ الْإِبْدَاعُ الَّذِي حَقَّقْنَاهُ إِلَى الْآنَ؟ (الشَّعْرُ النَّبْطِيُّ).
مَا هِيَ الصِّفَاتُ الَّتِي نَمْتَازُ بِهَا عَنْ غَيْرِنَا؟ (الْخُصُومَةُ، وَالظُّلْمُ، وَتَعَدُّدُ الزُّوْجَاتِ، وَأَكْلُ
الْمُفْطَحَاتِ، وَالْغِنَاءُ وَالرَّقْصُ، وَالْفَخْرُ، وَالنَّمِيمَةُ وَالزَّيْفُ، وَالْكَذِبُ وَالنِّفَاقُ، وَالطَّلَاقُ،
وَالْعُنْصَرِيَّةُ، وَالْإِنْتِهَازِيَّةُ، وَالْوَسَاطَاتِ، وَعَدَمُ الْإِحْسَاسِ بِالْمَسْئُولِيَّةِ الْوَطَنِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ).
مَا هِيَ الْأَشْيَاءُ الَّتِي تَتَطَلَّبُ الْإِضْلَاحُ؟ (الْقُلُوبُ). كَيْفَ يَكُونُ عِلَاجُ السَّلَبِيَّاتِ؟
(بِعِلَاجِ أَمْرَاضِ الذَّاتِ). مَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْإِيثَارِ وَالِاسْتِثْنَاءِ؟ (الْإِيثَارُ أَنْ تُعْطِيَ وَتُصْحِيَ
لِلْغَيْرِ، وَالِاسْتِثْنَاءُ أَنْ تَجْمَعَ مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ وَأَنْ تَرَى الدُّنْيَا وَكَأَنَّهَا خُلِقَتْ لَكَ فَقَطْ).
أَيْنَ تَوْجَدُ الْفَوْضَى؟ (حَيْثُمَا يُوجَدُ الْإِنْسَانُ الْعَرَبِيُّ). مَتَى نَتَعَلَّمُ أَنْ نَحْتَرِمَ النِّظَامَ؟
(عِنْدَمَا نَكُونُ مُتَسَاوِينَ فِي الْحُقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ). كَيْفَ نَكُونُ أُمَّةً مُنْتَجَةً؟ (عِنْدَمَا يُوضَعُ
الْإِنْسَانُ الْمُنَاسِبُ فِي الْمَكَانِ الْمُنَاسِبِ). أَلَمْ يَحِنْ الْوَقْتُ لِلاتِّعَاطِ مِنْ جَرَائِرِ الزَّمَانِ قَبْلَ
أَنْ نَعِيشَ الدَّلَّ وَالْهَوَانَ؟ (ذَلِكَ يَتَحَقَّقُ عِنْدَمَا يُوَلَّدُ فِي النُّفُوسِ الْأَمَانُ وَيَرْحَلَ الْبُهْتَانُ
وَيُشْرِقُ الْإِخْلَاصُ وَالْإِتْقَانُ).

مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الصَّوْتِ وَالصَّمْتِ؟ (الصَّوْتُ لِمَنْ يَفْهَمُ، وَالصَّمْتُ عَمَّنْ لَا يَفْهَمُ).
مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْجَهْلِ وَالتَّجَاهُلِ؟ (الْجَهْلُ عَمَى الْقُلُوبِ وَالْعُقُولِ وَالْعُيُونِ، وَالتَّجَاهُلُ
غَلَبَةُ الْغُرُورِ عَلَى الْمَحْظُورِ)، كَيْفَ يَنْتَشِرُ الدَّاءُ؟ (إِذَا أَهْمِلَ نَعَاطِي الدَّوَاءِ). لِمَاذَا تُكْثِرُ
الشَّكْوَى؟ (لِأَنَّهُ عَصَرَ الْبُلُوَى). مَتَى يَكُونُ لِلصَّوْتِ تَأْثِيرُهُ؟ (إِذَا رَدَّدَهُ الصَّدَى). لِمَاذَا
نُعَلِّقُ آمَالَنَا عَلَى شِمَاعَةِ الْعَجْزِ؟ (لِأَنَّنَا أَلْفَنَّا الدَّعَاةَ وَالِاسْتِكَانَةَ وَالرِّضَى بِالْهَوَانَ). مَا هُوَ
عُنْوَانُ الْحَيَاةِ؟ (الْعَمَلُ). مَا الَّذِي تُرِيدُ تَحْقِيقَهُ لِحَيَاتِكَ؟ (الرِّضَا). أَيُّ الْأَشْيَاءِ أَثْمَنُ
لَدَيْكَ؟ (الْعَفْوُ وَالْعَافِيَةُ). أَلَسْتَ قَادِرًا عَلَى تَغْيِيرِ عَادَاتِكَ السَّيِّئَةِ؟ (أُحَاوِلُ، فَإِنْ نَجَحْتُ
فَسَأَكُونُ قَوِيًّا، وَإِلَّا كَانَتْ سَطْوَةُ الزَّمَانِ أَقْوَى). كَيْفَ تَخْرُجُ مِنَ الْحَيْرَةِ وَالضِّيْقِ وَالْكَابَةِ؟
(بِالْإِنْشَغَالِ بِالْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ). مَنْ هُوَ الَّذِي تَخَافُهُ؟ (اللَّهُ). وَمَا يُغْضِبُكَ؟ (الظُّلْمُ).
مَتَى تَشْعُرُ بِالْفَرَحِ؟ (عِنْدَمَا اسْتَطِيعَ أَنْ أَسْعِدَ الْآخَرِينَ). كَيْفَ تَرَى الْخِيَانَةَ؟ (أَكْبَرُ مِنْ
الْقَتْلِ). لِمَنْ تَبْتَسِمُ بِسِمَةِ الرِّضَا؟ (لِلطُّفُولَةِ). مَتَى تَحْزَنُ؟ (عِنْدَمَا أُجَارَى بِالسُّوءِ عَلَى
حُسْنِ الصَّنِيعِ). مَتَى تَبْكِي؟ (عِنْدَمَا لَا اسْتَطِيعُ أَنْ أُجَفِّفَ دَمْعَةَ مَكْلُومٍ). هَلْ تَدْعِي
الْمِثَالِيَّةَ؟ (لَا، فَإِنِّي عَبْدٌ خَطَاءٌ، وَلَكِنْ يَغْلِبُنِي النَّدَمُ فَأَعْذُرُ وَأَعْتَذِرُ وَأَغْضَبُ وَأَسَامِحُ،
وَلَكِنِّي مَا عَرَفْتُ الْحِقْدَ وَلَا الْحَسَدَ قَطْ. وَمِنْ عُيُوبِي سُرْعَةُ الْإِنْفِعَالِ لِكِنِّي أَعُودُ سَرِيعًا

إِلَى الصَّفَاءِ وَالْحِكْمَةِ). مَاذَا تَقُولُ لِمَنْ يُحْسِنُ الْإِسَاءَةَ إِلَى الْغَيْرِ؟ (أَقُولُ لَهُ: قَوْمٌ نَفْسَكَ فَلَعَلَّكَ تُسَاءُ يَوْمًا فَتَحْسُ كَيْفَ يَكُونُ أَلَمْ الْإِسَاءَةَ عَلَى مَنْ أَسَأْتَ إِلَيْهِ). هَلْ تَنْتَقِمُ مِمَّنْ أَضَرَّ بِكَ؟ (لَكُمْ أَضَرَّ بِي الْبَعْضُ وَجَاءَنِي الْفُرْصَةُ السَّانِحَةُ لِلْإِضْْرَارِ بِهِمْ، فَقُلْتُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ»)، بِمَاذَا تُفَسِّرُ ظَاهِرَةَ الْإِهْتِمَامِ بِالْمَرْأَةِ حَالِيًا فِي وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ وَدَوَائِرِ الْعَمَلِ؟ (هَذَا مُؤَشِّرٌ عَلَى فَاعِلِيَّةِ الْمَرْأَةِ وَمُصْدَقِيَّتِهَا أَكْثَرَ مِنَ الرَّجُلِ، وَإِلَى ضَرُورَةِ تَحْرِيرِهَا مِنْ عُبُودِيَّةِ الرَّجُلِ الْعَرَبِيِّ الْمُسْتَبَدِّ). هَلْ تُؤَيِّدُ زَوَاجَ الْمِسْيَارِ؟ (لَا، لِأَنَّهُ إِهَانَةٌ لِلْمَرْأَةِ، وَهَضْمٌ لِحُقُوقِهَا). مَتَى تَنْتَهِي الْعُنُوسَةُ؟ (إِذَا تَحَسَّنَتْ أَوْضَاعُ النَّاسِ الْمَالِيَّةُ). هَلْ تُؤَيِّدُ تَحْدِيدَ النَّسْلِ؟ (نَعَمْ، حَتَّى لَا تَكُونَ الطُّفُولَةُ غُرْضَةً لِلضِّيَاعِ). مَاذَا لَوْ وَصَلَ عَدَدُ السُّكَّانِ خَمْسِينَ مِليُونًا؟ (يَأْكُلُ بَعْضُنَا بَعْضًا). كَيْفَ يَتِمُّ تَرْشِيدُ الثَّرْوَةِ؟ (بِتَرْشِيدِ الْمَصْرُوفَاتِ عَلَى الضَّرُورِيَّاتِ وَتَشْجِيعِ الْإِسْتِثْمَارَاتِ الْوَطَنِيَّةِ وَتَوْزِيعِ الثَّرْوَةِ وَتَقْسِيمِهَا بِالْعَدْلِ وَالْمُسَاوَاةِ). مَا هِيَ حُقُوقُ الْمُوَاطِنِ الْعَرَبِيِّ؟ (الْعِلْمُ، الْعِلَاجُ، السَّكُنُ، إِيجَادُ الْعَمَلِ الْمُتَكَافِي مَعَ ارْتِفَاعِ الْمَعِيشَةِ). إِلَى مَاذَا سِيُودِّي عَدَمُ الْإِهْتِمَامِ بِالْإِنْسَانِ الْفَقِيرِ؟ (يُودِّي إِلَى دِمَارِ الْإِنْسَانِ وَالْأَوْطَانِ، وَزِيَادَةِ نِسْبِ الْجَرِيمَةِ، وَتَفْكَكِ عُرَى الْمَوَاطَنَةِ وَإِشْعَالِ مَوَاقِدِ الْأَحْقَادِ، حَتَّى يَكُونَ عِنَاوَانُ الْأَوْطَانِ الْخَرَابَ).

مِنْ شِعْرِي

مِنْ سَبَبٍ مَرَّ إِلَى سَبَبٍ
أَنْتَظِرُ الْحُبَّ مَتَى يَأْتِي
مَرْفُوضٌ مَحْضُودُ النَّبَتِ
تَطْغَى الْأَصْوَاتُ عَلَى صَوْتِي
زَهْرِي قَدْ جَفَّ بِلاَ مَوْتِ
صَاحِبْتُ حَيَاتِي فِي صَمْتِ
مَاذَا فِي النَّاسِ وَفِي الْوَقْتِ؟
غَدْرٌ مَشْبُوبٌ مُسْتَعْتِ
يَمْشِي بِالْجَهْلِ إِلَى الصَّيْتِ
يَتَعَاقِلُ فِينَا كَيْ يُفْتِي
عَنْ عَيْنٍ تَلْمَحُ بِالْمَقْتِ
غَيْرُ الْأَحْقَادِ إِلَى الْمَوْتِ

لَمْ يَأْتِ زَمَانِي لَمْ يَأْتِ
مَوْلُودٌ فِي زَمَنِ عَاتٍ
أَمْسِي مَطْوِيٌّ فِي يَوْمِي
مَخْبُوءٌ فِي الدَّهْرِ الْغَافِي
جُوعِي أَقْتَاتُ بِهِ وَدِّي
تَتَحَدَّثُ نَفْسِي فِي نَفْسِي
أُذْنِي أَقْفَلْتُ مَسَامِعَهَا
مَطْلُوبٌ فِي زَمَنِي هَذَا
مَطْلُوبٌ فَدُمُ مَخْبُولُ
يَتَبَاهَى مَرْهُوًّا يَمْشِي
يَهْدِي بِالسُّخْفِ وَلَا يَدْرِي
مَاذَا فِي النَّاسِ وَفِي الْوَقْتِ؟

الزُهَابُ: الْأَسْبَابُ وَالْعِلَاجُ

يَغْلُبُ عَلَى الْإِنْسَانِ طَبْعُ الثَّنَاءِ عَلَى الْفَضْلِ، فَيَمْتَدِّحُ صَاحِبَ نُبْلِ أَوْ صَاحِبَ قِيَمَةٍ عِلْمِيَّةٍ أَوْ صَاحِبَ مَسْئُولِيَّةٍ أَوْ مَنْصِبٍ أَوْ جَاهٍ أَوْ مَالٍ أَوْ سُلْطَةٍ، يَسْعَى لِخَيْرِيَّةِ الْحَيَاةِ، فَلَا يَكُونُ هَدَفُهُ مَبْنِيًّا عَلَى غَرَضٍ دُنْيَوِيٍّ بِقَدَرِ حَتِّهِ وَتَشْجِيعِهِ وَتَشْبِيهِهِ عَلَى مُوَاصَلَةِ صَنَائِعِ الْمَعْرُوفِ وَفِعْلِ الْخَيْرِ وَالنَّظَرِ إِلَى الْأَبْعَادِ الدَّاهِمَةِ الَّتِي تَتَرَبَّصُ بِالْوَطَنِ وَالْأُمَّةِ. وَقَبْلَ أَنْ نَلْجَأَ إِلَى فَحْوَى مَوْضُوعِنَا يَجِبُ أَنْ نَجْتَلِيَ الْحَقَائِقَ الْمُتَخَفِيَةَ فِي ظِلِّ نَوَازِعِ الْخُصُومِ وَالْحَسَادِ، أَوْ أَصْحَابِ الْأَفْكَارِ الْأَجِيرَةِ الَّتِي تُتَرْجَمُ سُلُوكِيَّاتٍ تَتَعَارَضُ مَعَ مَنَاهِجِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالْمُسَاوَاةِ، أَوْ الَّتِي تَسْعَى إِلَى بَثِّ الْأَفْكَارِ الْعَقَائِدِيَّةِ الْمُتَطَرِّفَةِ، لِمُحَاوَلَةِ فَضْلِ الدِّينِ عَنِ السِّيَاسَةِ لِإِصَابَةِ الْأُمَّةِ بِحَالَاتٍ مِنَ الْإِنْفِصَامِ الرُّوحِيِّ وَالنَّفْسِيِّ وَالْأَخْلَاقِيِّ، وَتَخْصِيبِ أَرْضِيَّةِ الْقَبُولِ بِالْهَجِنِ وَالْمُسْتَوْدِ وَالِدَخِيلِ عَلَى الْأُمَّةِ، مِنْ سُلُوكِيَّاتٍ وَأَفْكَارٍ ضَالَّةٍ وَمُضِلَّةٍ. وَلَعَلِّمَنَا مُسَبِّقًا بَأَنَّ دُعَاةَ التَّقْدِيمَةِ وَاللِّبَرَالِيَّةِ وَالْعَوْلَمَةِ وَالِاشْتِرَاكِيَّةِ وَالْحَدَاثَةِ يَصْمُونَنَا بِالرَّجْعَةِ وَالْجُمُودِ، وَيَحَاوِلُونَ التَّعْتِيمَ عَلَى كِتَابَاتِنَا، وَلَكِنَّا لَسْنَا بِصَدِّهِمْ، إِنَّمَا نَحْنُ بِصَدِّ أُمَّةٍ عَرَبِيَّةٍ وَإِسْلَامِيَّةٍ تَعْتَوِّرُهَا مَصَائِبُ جَمَّةٍ، وَتَتَكَالَبُ عَلَيْهَا قُوَى تَحُوكُ لَهَا شِرَاكَ الْهَزِيمَةِ وَالْإِنْحِطَاطِ لِلْإِيقَاعِ بِفَرَائِسِهَا فِي غَيْبَةِ الزَّمَانِ لِفَرَضِ شَرَائِعِ الْغَابِ، وَالشُّرْبِ مِنْ نَفْسِ كَأْسِ الْمَعَانَاةِ الَّتِي أَلَمَّتْ بِالشُّعُوبِ الْمُضْطَهَدَةِ الَّتِي ذَاقَتْ مَرَارَةَ التَّشْتِ وَالذِّلَّ وَالْإِمْتِهَانَ وَالْفَقْرَ وَالتَّشَرُّدَ وَالْمَرَضَ، وَفِي ظَنِّهِمْ أَنَّهُمْ حَقَّقُوا التَّقَدُّمَ بِضَرْبِ إِرَادَةِ الْأَمَمِ وَفَرَضِ قَوَانِينِ الْإِنْسِلَاخِ مِنَ الْمُشَارَكَةِ فِي تَقْنِينِ نِظَامِ حِفْظِ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَحِفْظِ النَّوعِ الْخَلْقِيِّ، وَهُمْ إِنَّمَا اسْتَطَاعُوا حِفْظَ النَّوعِ السِّيَاسِيِّ الَّذِي تَقُوْدُهُ الْعُصْبَةُ أَوَّلُو الْقُوَّةِ الْمُسَيِّطَةِ عَلَى مُقَدَّرَاتِ النَّوعِ الْإِنْسَانِيِّ، وَنَبَذَ الْإِرَادَةَ الْخَيْرَةَ لِإِحْلَالِ الْإِرَادَةِ الْمُرْغَمَةِ لِلشُّعُوبِ الْمُسْتَضَعْفَةِ، بِحُجَّةِ الْحُرِّيَّةِ الرَّائِفَةِ وَحَقُوقِ الْإِنْسَانِ الْمَهْدُورَةِ، وَهِيَ مَزَاعِمُ وَأَيْدِيُولُوجِيَّاتٌ قَدْ انْكَشَفَتْ أَغْرَاضُهَا وَمَقَاصِدُهَا وَأَهْدَافُهَا لَدَى الشُّعُوبِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ، فَمَتَى يَتْرُكُونَنَا وَشَانُنَا؟ نَنَعُمُ مَعَ شُعُوبِنَا وَعُرُوقِنَا وَعَقِيدَتِنَا فِي ظِلِّ قَادَتِنَا الَّذِينَ ارْتَضَيْنَاهُمْ مِنَّا، وَحَكَمْنَاهُمْ فِي آلَمِنَا وَأَمَلِنَا، وَشَارَكُونَا فِي أَفْرَاحِنَا وَأَتْرَاحِنَا، فَحَنُّ نَعْرِفُ أَنَّ مَصَالِحَنَا تَمْتَرُجُ فِي مَصَالِحِهِمْ، وَحَيَاتِنَا مَرْهُونَةٌ بِحَيَاتِهِمْ، وَحَضَارَتِنَا تَتَّبِعُ مِنْ رُقْيَى مَفَاهِيمِ تَوَجُّهَاتِهِمْ، وَأَمْنُنَا لَا يَتَأْتَى إِلَّا مِنْ أَمْنِهِمْ، وَنَحْنُ عِنْدَمَا نَشَارِكُ بِأَقْلَامِنَا الْحُرَّةِ

النَّزِيهَةِ فَإِنَّمَا نَنشُدُ تَوَاصُلَ الْمَعَانِي الْأَخْلَاقِيَّةِ الْمُسْتَقْفَاةِ مِنَ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ فِي تَكْرِيسِ دَوَاعِي النَّصْحِ وَالرُّشْدِ وَالتَّآخِي فِي مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ قِيَادَتِنَا، لِأَنَّهُمْ قَدَرْنَا الصَّادِقَ الْأَمِينُ، وَنَحْنُ قَدَرَهُمُ الْوَفِيُّ النَّبِيلُ الْقَائِمُ عَلَى كَرَامَةِ الْإِنْسَانِ وَعَلَى مُحَارَبَةِ مَنْ يُحَارِبُنَا وَيُحَارِبُهُمْ، وَمُسَالَمَةِ مَنْ يُسَالِمُنَا وَيُسَالِمُهُمْ، فِي إِطَارِ مَوَاقِفِ الْإِحَاءِ وَالْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالْمُسَاوَاةِ.

وَمَا دَعَانِي أَنْ أَكْتُبَ هَذِهِ الْمَقْدَمَةَ هُوَ مَا أَثَارَتْهُ فِي نَفْسِي وَفِكْرِي تِلْكَ الْكُتُبُ الْمَهْدَاةُ إِلَيَّ مِنَ الْأُسْتَاذِ الدُّكْتُورِ مُطِيعِ اللَّهِ الصَّرْهَيْدِ الْعُوفِيِّ الْحَرْبِيِّ الْبَاحِثِ الَّذِي صَاحَبْتُهُ أَكْثَرَ مِنْ رُبْعِ قَرْنٍ مِنَ الزَّمَانِ، وَالَّذِي أَصَابَ بِعِلْمِهِ مَكَامِينَ الْعُقُولِ الرَّاشِدَةِ فِي تَتَبُعِ سِيرَةِ الْإِرْهَابِ تَتَبُعًا قَائِمًا عَلَى تَسْلُسِلِ الْأَحْدَاثِ وَتَعَاقِبِهَا، عَمَدَ فِيهِ إِلَى تَضْمِينِ الْهَدَفِ وَالنَّتِيجَةِ فِي إِطَارِ الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ، عَاكِفًا وَدَارِسًا لِهَذِهِ الظَّاهِرَةِ مِنْ مَظَانِّهَا وَمَرَاجِعِهَا فِي بَدَايَاتِهَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ إِلَى عَصْرِنَا الْحَاضِرِ، بَثَّهَا فِي مَوْسُوعَتِهِ عَنِ الْإِرْهَابِ الْمُنْظَمِ فِي عِدَّةِ كُتُبٍ بَحْثِيَّةٍ، وَهِيَ بَعْنَاوِينَ: «الْإِرْهَابُ فِي الْإِسْلَامِ» وَ«كَيْفَ تَسَلَّلَ الْإِرْهَابُ؟» وَ«أَسْبَابُ الْإِرْهَابِ» وَ«الْخُرُوجُ مِنَ الْأُزْمَةِ». فَهُوَ كَالطَّبِيبِ الَّذِي يُحَاوِلُ اكْتِشَافَ الْحَالَةِ الْمَرَضِيَّةِ وَتَحْلِيلِهَا وَمَعْرِفَةَ أَسْبَابِهَا، ثُمَّ يَضَعُ لَهَا الْعِلَاجَ النَّاجِعَ لِلِاسْتِشْفَاءِ، وَفَقَّ ضَوَابِطَ فِقْهِيَّةٍ وَقَوَانِينَ وَضَعِيَّةٍ مُسْتَمَدَّةٍ مِنَ الشَّرِيعَةِ وَمِنَ الْمَرَاجِعِ الْقَانُونِيَّةِ الدَّوْلِيَّةِ وَمِنَ الْأَفْكَارِ الْعِلْمِيَّةِ الْمُتَخَصَّصَةِ عَبْرَ دَوَائِرِ عُلَمَاءِ النَّفْسِ وَالِاجْتِمَاعِيَّاتِ فِي أَغْلَبِ دَوْلِ الْعَالَمِ، مُسْتَفِيدًا مِنْ لُغَةِ الْمُنَاصَحَةِ الَّتِي أَلَزَمَ نَفْسَهُ بِهَا مِنْ خِلَالِ لِقَاءَاتِهِ بِمَنْ ضَلُّوا عَنِ الْهَدْيِ وَحَادُوا عَنِ الرُّشْدِ، وَتَنَكَّبُوا الطَّرِيقَ لِرُكُوبِ مَرَائِبِ إِغْرَاءَاتِ النَّفُوسِ إِلَى الشَّرِّ، وَإِلَى إِزْهَاقِ أَرْوَاحِهِمْ وَأَرْوَاحِ الْآخَرِينَ الْأَمِينِينَ الْمُسَالِمِينَ. وَهُوَ فِي بَحْثِهِ لِهَذِهِ الظَّاهِرَةِ لَمْ يَكُنْ بِالْمُرُوجِ لِأَفْكَارِهِ بُغْيَةً ذُبُوعَ صَيْتٍ أَوْ إِضْفَاءَ قِيَمَةٍ وَهَمِيَّةٍ، وَإِنَّمَا هَدَفُهُ تَقْوِيمُ النَّفُوسِ فِي إِطَارِ أَخْلَاقِيٍّ مُمْتَنِعٍ وَقَائِمٍ عَلَى دِرَاسَةِ مَوْضُوعِيَّةٍ مِنْ أَهَمِّ أَهْدَافِهَا النَّظَرُ إِلَى عَوَامِلِ الْجَهْلِ وَالْفَقْرِ اللَّذِينَ أَسْلَمَا تِلْكَ الْبَرَاعِمَ الشَّابَّةَ إِلَى سُلُوكِ مَسَالِكِ الْجَرِيْمَةِ، نَتِيجَةً لِسُوءِ التَّرْبِيَةِ الْمَنْزِلِيَّةِ وَالْمَدْرَسِيَّةِ، وَالْحُرِّيَّةِ غَيْرِ الْمُقَنَّنَةِ لِبَعْضِ الشَّبَابِ، وَعَدَمِ مُتَابَعَتِهِمْ بِالتَّوْجِيهِ الصَّحِيحِ وَالسَّلِيمِ مِنْ أَوْلِيَاءِ الْأُمُورِ وَتَرْكِهِمْ نَهْبًا لِرَفَقَاءِ السُّوءِ يَحْمِلُونَهُمْ إِلَى تَبَنِّيِ الْأَفْكَارِ السَّالِيَةِ لِارَادَةِ الْخَيْرِ، حَتَّى تَمَّ غَرْسُ عَوَامِلِ الشَّرِّ فِيهِمْ، إِلَى أَنْ وَصَلُوا إِلَى مَا وَصَلُوا إِلَيْهِ حِينَ تَقَادَفَتْ بِهِمْ رِيَا حُ التَّغْرِيبِ وَالتَّطَرُّفِ الدِّينِيِّ الَّذِي كَانَ يَدُسُّهُ فِيهِمْ بَعْضُ مَنْ زَعَمُوا أَنَّهُمْ طَلَبَةُ عِلْمٍ، مُدْعِينَ فَهْمَ الشَّرِيعَةِ، وَقَدْ خَرَجُوا بِمَفَاهِيمٍ نَابِعَةٍ مِنْ تَفْسِيرَاتٍ ذَاتِيَّةٍ خَاطِئَةٍ

وَخَاضِعَةً لَاهْوَاءٍ وَأَغْرَاضٍ لَا تَسْعَى إِلَى التَّقْوِيمِ بِقَدْرِ مَا تَسْعَى إِلَى الْهَدْمِ الَّذِي صَبَّ جَامُ حَقْدِهِ عَلَى الْوَطَنِ وَأَبْنَائِهِ.

إِنَّ الْقَارِئَ لِهَذِهِ الْمَوْسُوعَةِ يَجِدُ الْبُعْدَ التَّارِيخِيَّ لِلحَرَكَاتِ الْإِرْهَابِيَّةِ وَالْأَشْكَالِ الْإِجْرَامِيَّةِ الَّتِي نَشَأَتْ مَعَ نُشُوءِ الْبَشَرِيَّةِ وَتَعَرَّضَ لَهَا أَنْبِيَاءُ اللَّهِ مِثْلُ أُبَيْنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَنَبِينَا مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أُولِي الْعِزْمِ، مِنْ خِلَالِ تَوَاتُرِ السَّيْرِ فِي الْكُتُبِ السَّمَاءِيَّةِ وَمِنْهَا الْقُرْآنُ، ثُمَّ قَامَ الْبَاحِثُ الْأُسْتَاذُ الدُّكْتُورُ مُطِيعُ اللَّهِ بِدِرَاسَةِ آثَارِ الْإِرْهَابِ فِي الْأُمَمِ الْقَدِيمَةِ، مُنْذُ عَصُورِ الرُّومَانِ وَالْفُرسِ وَالْبِيزَنْطِيِّينَ وَالْأَلَمَانِ وَالْفَرَنْسِيِّينَ وَالصَّهَابِيَّةِ الْيَهُودِ وَالشُّيُوعِيِّينَ وَالْقَرَامِطَةَ، لِإِكْسَابِ الْبَحْثِ الْمَوْسُوعِيِّ الْقِيَمَةَ وَالْفَائِدَةَ الَّتِي تَوْخَاهَا لِتَدْعِيمِ الدِّرَاسَةِ، ثُمَّ انْتَهَى بِهِ الْبَحْثُ فِي كِتَابِ عُنْوَانِهِ «رِسَالَةٌ إِلَى الْحُكَّامِ.. الْخُرُوجُ مِنَ الْأَزْمَةِ»، وَهِيَ تَوْصِيَاتٌ وَاقْتِرَاحَاتٌ مُسْتَمَدَّةٌ مِنْ آرَاءِ بَعْضِ الْفُقَهَاءِ وَالْمُفَكِّرِينَ تَهْتَمُّ بِالنَّاحِيَةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ وَرَفْعِ مُسْتَوَى مَعِيشَةِ الْفَرْدِ، وَالْإِهْتِمَامِ بِالْتَّعْلِيمِ وَمُسْتَجِدَّاتِهِ، وَإِذْكَاءِ رُوحِ الْعَمَلِ وَالتَّشْجِيعِ، وَإِيجَادِ الْأَعْمَالِ الْمُتَخَصَّصَةِ لِسَدِّ دَوَاعِي الْبَطَالَةِ بَيْنَ الشَّبَابِ، وَالتَّعَاوُنِ فِي مَا بَيْنَ قُوَى الْأَمْنِ وَالْإِعْلَامِ بَبَثِّ الْبَرَامِجِ الْهَادِفَةِ فِي الْفَنَوَاتِ الْإِعْلَامِيَّةِ، وَتَوْظِيفِ الْقُدْرَاتِ الْفِكْرِيَّةِ الْمُؤَهَّلَةِ مِنَ الدُّعَاةِ وَالْعُلَمَاءِ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ؛ بِعَقْدِ دَوْرَاتٍ لِلْإِنَّمَةِ وَالدُّعَاةِ وَالْخُطْبَاءِ لِرَفْعِ مُسْتَوَى الْكِفَاءَةِ الْفِكْرِيَّةِ لِتَفَاعُلِهِمْ مَعَ الْأَحْدَاثِ، وَتَفْعِيلِ دَوْرِ الْمَسْجِدِ وَالْمُنْتَدِيَّاتِ الثَّقَافِيَّةِ لِخَلْقِ التَّأثيرِ عَلَى عُقُولِ الْأَجْيَالِ، كَذَلِكَ إِنْشَاءُ قَنَاةٍ إِعْلَامِيَّةٍ تَخْتَصُّ بِمُكَافَحَةِ الْجَرِيمَةِ وَالْإِرْهَابِ، وَفَتْحِ قَنَوَاتِ الْحَوَارِ مَعَ هَذِهِ الْمَجْمُوعَاتِ، وَأَخْذُ مَنْ يُرْجَى فِيهِ الْخَيْرُ بِالْأَسْلُوبِ الْحَسَنِ وَالتَّرْغِيبِ أَكْثَرَ لِإِعْلَانِ نَدَمِهِ عَلَى مَا فَرَطَ وَأَسْرَفَ عَلَى نَفْسِهِ، وَالْإِعْلَانُ فِي وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ عَنِ الْعُقُوبَاتِ الْمُتَرْتِبَةِ عَلَى مُحْتَرفِي الْإِرْهَابِ أَوْ الْمُنْضَمِّينَ إِلَى فِصَائِلِهِ أَوْ الدَّاعِمِينَ لَهُ، لِيَكُونَ مَعْرُوفًا لَدَى الْعَامَّةِ فَتَتَصَافَرُ الْجُهُودُ الشَّعْبِيَّةُ مَعَ أَجْهَزَةِ الدَّوْلَةِ، لِلْوُقُوفِ صَفًّا وَاحِدًا ضِدَّ الْإِرْهَابِ وَتَنْظِيمِهِ.

إِنَّ هَذِهِ الْمَوْسُوعَةَ الَّتِي جَهَّدَ فِي الْإِعْدَادِ وَالْبَحْثِ وَالدِّرَاسَةِ وَإِظْهَارِهَا لِلْعِيَانِ الْأُسْتَاذُ الدُّكْتُورُ مُطِيعُ اللَّهِ الصَّرْهِيدِ الْعَوْفِيِّ الْحَرْبِيِّ، هِيَ مَوْسُوعَةٌ جَدِيدَةٌ بِالْإِهْتِمَامِ وَالْقِرَاءَةِ، وَجَدِيدَةٌ بِأَنْ تَكُونَ ضَمْنَ الْمُقَرَّرَاتِ الْمَنْهَجِيَّةِ فِي الْمَدَارِسِ وَالْجَامِعَاتِ، لِمَا يَعُودُ بِالْفَائِدَةِ الْكَبِيرَةِ وَالْقِيَمَةِ النَّبِيلَةِ؛ لِمَا تَحْتَوِيهِ مِنْ قُدْرَةٍ دَاعِمَةٍ عَلَى تَرْصُدِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ، وَمُحَاوَلَةِ

الخروج منها بتوعية أولياء الأمور والمدرسين وأفراد المجتمع المدني ووسائل الإعلام وقوى الأمن في الإلمام بطرق التعامل مع هذه الظاهرة، بما يكفل وأدّها في مهدها قبل أن تستفحل وتؤدي إلى هلاك المجتمعات والأوطان.

مِنْ شِعْرِي

وَعُدْتُ أَسْقِيكَ مِنْ عِيدٍ إِلَى عِيدٍ
وَلَيْلُ نَجْدِكَ كُحْلُ الْأَعْيُنِ السُّودِ
وَأُمْتِي مِنْ كِرَامِ الْخَلْقِ وَالصَّيْدِ
وَأَمْطَرْتُ مِنْ نَدَاهَا كُلَّ مَوْعُودِ
رَجْعُ الْحَيْنِ إِذَا مَا رَمَلَهَا نُودِي
وَفِي مَرَابِعِهَا قَدْ طَابَ مَوْلُودِي
وَأُورِقْتُ نَجْمَةً فِي صَفْحَةِ الْبَيْدِ
أَضَاءَ بِالْبُشْرِيَّاتِ الْبُكْرِ تَمْجِيدِي
مَلَاذُ كُلِّ رَفِيعِ الْقَدْرِ مَحْمُودِ
عَلَى النَّبَالَةِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْجُودِ
مُحَمَّلًا بِعُطُورِ الْوَرْدِ وَالْعُودِ
بِخُبْتِ مُرْتَزِقٍ أَوْ حَقْدِ مَنْكُودِ
وَقَدْ صَحَوْنَا عَلَى غَدْرِ وَتَبْدِيدِ
وَاسْتَجْمَعِي النَّصْرَ فِي جَدٍّ وَتَوْحِيدِ
وَلِيَحْمِ شَعْبَكَ مِنْ ذُلٍّ وَتَشْرِيدِ
وَلِتُرْشِدِي عَصْرَنَا الْأَوَّلَى بِتَرْشِيدِ

سَقَيْتُ نَخْلَكَ مِنْ نَهْرِ الْأَغَارِيدِ
سَنَا حِجَازِكَ ضَوْءُ الْقَلْبِ يَا وَطَنِي
هُنَا عَلَى الْقُرْبِ آثَارِي وَمَمْلَكَتِي
تَعَطَّرْتُ مِنْ شَذَاهَا كُلُّ سَانِحَةٍ
تِلْكَ الصَّبَاحَاتِ بِالْأَضْوَاءِ يَغْمُرُهَا
فِي غَمْرَةِ الصَّيْفِ أَوْرَادِي أَنْمُقُهَا
يَا مَوْطِنَ النُّورِ أَيَّامِي قَدْ انْبَهَرْتُ
أَنْتَ الَّذِي شَعَّ فِي أَرْضِ الْهُدَى قَبَسًا
أَرْضِي هِيَ الْحُبُّ لَا الْإِرْهَابُ مَا بَرَحْتُ
قَرَأْتُهُ وَطَنًا بِالْأَمْسِ يَفْطُرُنَا
وَجَدْتُهُ وَالنَّدَى وَعَدُّ عَلَى سَفَرٍ
يُعْطِي الْعَطَايَا وَلَيْلُ الْغَدْرِ مُحْتَشِدٌ
يَا مَوْطِنِي نَامَتْ الْأَيَّامُ مِنْ زَمَنِ
فَاسْتَرْجِعِي يَا بِلَادِي مَجْدَ أُمَّتِنَا
لِيَحْمِكَ اللَّهُ مِنْ شَرٍّ وَمِنْ حَسَدِ
فَلِتَرْفَعِي رَايَةَ الْإِسْلَامِ عَالِيَةً

الابْتِلَاءُ وَالصَّبْرُ

يَمُرُّ الْإِنْسَانُ فِي الْحَيَاةِ بِأَلَامٍ شَتَّى وَأَحْزَانٍ جَمَّةٍ تَتَبَايُنُ بَيْنَ الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ مِنْ شَخْصٍ لَشَخْصٍ، وَالنَّاظِرُ إِلَى حَالِهِ وَأَحْوَالِ النَّاسِ يُدْرِكُ أَنَّ الْحَيَاةَ لُغْزٌ يَصْعَبُ حُلُّهُ، وَلَا تَفُوتُ الْحَكِيمَ مَنَا الْعِظَةُ، وَالْعَارِفُ لَا تَحُونُهُ الْفُطْنَةُ بَأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ الْفِتْنَةِ، وَأَنَّ الْكِبَدَ مِنْ سُنَنِ التَّكْوِينِ، وَالْقَدَرُ شَرِيعَةُ الْبَشَرِ، يُغَالِبُهُ الصَّبْرُ، وَيَرْفَعُهُ الثَّبَاتُ، وَيُعِزُّهُ الْيَقِينُ بِاللَّهِ، وَالْبُشْرَى حُسْنُ الْجَزَاءِ بِالطَّيِّبَاتِ وَالْفَوْزُ بِالْجَنَّةِ، وَكُلُّ لَهُ حَظٌّ وَنَصِيبٌ مِنَ الْفَرَحِ وَالْتِرَاحِ يَسْتَوْفِيهِ كِتَابًا مَكْتُوبًا عَلَى كُلِّ نَفْسٍ إِلَى أَنْ تَرْتَحِلَ عَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي هَانَتْ عَلَى خَالِقِهَا، وَقَبَحَتْ فِي عَيْنِ نَاظِرِهَا، وَمَانَتْ لَدَى طَالِبِهَا.

وَلَيْسَ فِي حَدِيثِي عَنِ الْحَيَاةِ وَعِبرَهَا وَصُورَهَا جَدِيدٌ عَلَى النَّاسِ فِي مَا أَلْفُوهُ وَعَاشُوهُ، فَلَمْ تَتَبَدَّلِ النُّفَمَةُ وَالشُّكُوى وَالْأَلَمُ مِنَ الْحَيَاةِ حَتَّى صَحَّ لَهُمْ أَنْ يُرَدِّدُوا مَا قَالَهُ الشَّاعِرُ مُنْذُ مِائَاتِ السِّنِينَ:

سَمِئْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَا لَكَ يَسَامُ
وَلَوْ قُلْنَا (ثَلَاثِينَ حَوْلًا) فِي هَذَا الْعَصْرِ الْكَرِيمِ اللَّيْمِ الْأَلِيمِ لَصَدَقَ أَيْضًا. أَكْتُبُ هَذَا
وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى شَقِيقِ أُمِّي خَالِي الشَّيْخِ الْأَدِيبِ إِبْرَاهِيمَ زَقْرُوقَ، الرَّجُلِ الَّذِي يُعَلِّمُنَا كَيْفَ
يَكُونُ الصَّبْرُ عَلَى الْمُصَابِ؟ وَكَيْفَ يَتَحَمَّلُ الْمُؤْمِنُ الْأَلَمَ وَالْأَسَى فَيَقَابِلُهُ بِالْحَمْدِ وَالتَّسْلِيمِ
لِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ؟! يُقَاوِمُ الْإِبْتِلَاءَ بِالرِّضَا وَالْإِبْتِسَامِ لِلْحَيَاةِ مُرَدِّدًا (الْحَمْدُ لِلَّهِ)، وَ(فَرَجُ
اللَّهِ قَرِيبٌ)، بَرَّغَمَ سِنِي عُمرِهِ الَّتِي قَضَاهَا وَهُوَ مَا بَيْنَ أَمْرَاضِهِ الْمُتَنَوِّعَةِ، فَقَدْ رَأَيْتُهُ صُلْبًا قَوِيًّا
غَيْرَ مُسْتَسْلِمٍ لِلْوَهْنِ وَالضَّعْفِ، بَلْ كَانَ مُؤْمِنًا مُتَوَكِّلًا عَلَى اللَّهِ، يَطْرُدُ الْيَأْسَ وَالْإِحْبَاطَ،
وَيَقِفُ كَجَبَلٍ شَامِخٍ أَمَامَ أَعَاصِيرِ الْحَيَاةِ وَفِي مُوَاجَهَةِ الْأَحْدَاثِ، لِيُعْلِنَ الْقَبُولَ لِلَّهِ عَلَى
مَا أَصَابَهُ، وَالرَّفْضَ لِكُلِّ مَا يَشْنِي عَزِيمَتَهُ، أَوْ يَخْدِشُ دِينَهُ، أَوْ يَمَسُّ كَرَامَتَهُ وَأَحَاسِيسَهُ.
لَقَدْ تَعَلَّمْتُ مِنْهُ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَافِيَةَ الْأَبْدَانِ، وَالرِّضَا بِأَقْدَارِ اللَّهِ قِمَّةُ الْإِيمَانِ، وَبِالسَّمَاحِ
يَرْتَفِعُ الْإِنْسَانُ، وَمِنْ الْعَزْمِ وَالْحَزْمِ يُوَلَدُ الْأَمَانُ، وَمَعَ النِّسْيَانِ يَطِيبُ السُّلُوكُ.

وَلَكُمْ أَلَمٌ بِهِ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالْأَلَامِ مَا يَشِيبُ لَهُ شَعْرُ الْوُلْدَانِ، وَلَكِنَّهُ مَا اسْتَكَانَ قَطُّ وَلَمْ
يُعْلِنِ عَجْزَهُ وَلَمْ يُبْدِ اسْتِسْلَامَهُ لِلْحَيَاةِ، كَانَ يَتَمَرَّدُ عَلَى آلامِهِ بِالْأَمَلِ، وَيَتَغَلَّبُ عَلَى هُمُومِهِ

بِالْعَمَلِ، وَيَأْتِسُ بِالطَّاعَةِ لِلَّهِ وَانْشَغَالِهِ بِالذِّكْرِ وَالتَّسْبِيحِ، فَكَأَنَّهُ بَرَّعَمَ كُلِّ مَا أَصَابَهُ رَافِلٌ
بِالسَّعَادَةِ مُتَبَهِّجٌ بِالْإِبْتِلَاءِ، وَلَعَلَّهُ يَنْظُرُ أَسَارِيرَ الْغَيْبِ فِي رِضَاهُ بِالْمَقْدُورِ، أَوْ لَعَلَّ اللَّهَ يُدْخِلُ
الْبُشْرَى إِلَى قَلْبِهِ وَنَفْسِهِ فَلَا يَعْجَبُ بِصُرُوفِ الزَّمَانِ وَقَوَارِعِ الْأَعْدَاءِ وَالْخِلَافِ.

كَانَ مَعَ اللَّهِ فَكَانَ اللَّهُ مَعَهُ فِي أَشَدِّ الْكَرْبِ مُعِينًا وَحَفِيزًا يَحْفُهُ بِاللُّطْفِ وَيَهْبُهُ الْقُوَّةُ
بِالصَّبْرِ، حِينَ أَصَابَهُ فَشَلُّ كُلُّوِيٍّ مُنْذُ عِشْرِينَ عَامًا وَمَا تَتَابَعَ بَعْدَهَا مِنْ أَمْرَاضِ الشُّكْرِ
وَالضُّغْطِ وَالْقَلْبِ وَآخِرًا مَرَضِ الْمَرَارَةِ، وَهُوَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، لَمْ يَكُنْ مُتَبَرِّمًا، بَلْ تَرَاهُ
هَاشًا بَاشًا، خَدُومًا لِأَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَحْبَابِهِ، يَعُودُ أَهْلَهُ وَمُحِبِّهِ فِي أَيِّ وَاجِبٍ إِسْلَامِيٍّ،
بَارًا بِهِمْ مُتَجَاوِزًا عَنِ السَّيِّئَاتِ بِأَذِلَّةٍ لِلْحَسَنَاتِ مَا اسْتَطَاعَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا، وَنَقُولُ: مَا شَاءَ
اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ لِمَا حَبَاهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ وَهَذَا الرِّضَا وَهَذِهِ الْعَزِيمَةِ الَّتِي
يَتَعَلَّمُ مِنْهَا أُولُو النُّهْيِ فِي الصَّبْرِ عَلَى الشَّدَائِدِ وَالْمَكَارِهِ، وَمُقَابَلَتِهَا بِالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ لِلْحَنَانِ
الْمَنَانِ الَّذِي يَجُودُ عَلَى عَبْدِهِ بِالصَّبْرِ وَالرِّضَا وَالْحَمْدِ، فَطُوبَى وَحُسْنُ مَآبٍ أَيُّهَا الْخَالُ
الصَّدِيقُ إِبْرَاهِيمَ، وَهَنِيئًا لَكَ مَا احْتَمَلْتَ مِنْ جُرُوحٍ وَهُمُومٍ مِنَ الْقَرِيبِ قَبْلَ الْبَعِيدِ، وَأَنْتَ
مَا زِلْتَ مَعْطَاءً وَفِيًّا صَادِقًا نَقِيًّا، بُورِكَتْ وَوُقِّيتْ مِنْ شُرُورِ الدُّنْيَا وَسَيِّئَاتِ الْآخِرَةِ، وَجَزَاكَ
اللَّهُ خَيْرًا كَثِيرًا، فَكَلِّمْنَا أَقْرُوكَ عَلَى صَفَحَاتِ كِتَابِ الْحَيَاةِ أَجْدَكَ عِلْمًا وَمُعَلِّمًا لِلْيَاسِينَ
وَالْمُحِبِّطِينَ وَالْمَرْضَى وَالْعَاجِزِينَ، تُقَوِّي مِنْ عَزَائِمِهِمْ نَحْوَ الْحَيَاةِ بِالْأَمَلِ الَّذِي تَزْرَعُهُ فِي
نُفُوسِ نَاطِرِيكَ وَعَارِفِيكَ، وَكَلِّمْنَا قَرَأَتِكَ فِي جَرِيدَةِ الْبِلَادِ مِنْ خِلَالِ كِتَابَاتِكَ الْأُسْبُوعِيَّةِ
أَرَى أَنَّ الْحَيَاةَ هِيَ نِضَالُ الصَّامِدِينَ الثَّابِتِينَ الْمُؤْمِنِينَ الْأَمِلِينَ فِي اللَّهِ وَفِي جَنَّةِ عَرْضِهَا
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، هَذِهِ هِيَ خَلَائِقُ الْحَيَاةِ وَهَذَا هُوَ دَيْدَنُ الْمُسْلِمِ الَّذِي
يُذَرِّكُ أَنَّ الدُّنْيَا طَبْعُهَا الْعَدْرُ، وَشِمَتُهَا الْعَنَاءُ، وَنَهَائَتُهَا الْفَنَاءُ، وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ مَجْبُولٌ عَلَى
مُسَايَرَتِهَا وَمُصَاحَبَتِهَا، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مَهْمَا أُوتِيَ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْجَاهِ وَالْمَالِ وَالْعِزَّةِ وَالسُّلْطَانِ
أَنْ يَقِفَ فِي وَجْهِ أَقْدَارِهَا وَقُدْرَتِهَا، فَهِيَ إِعْصَارٌ هَادِمٌ، وَطُوفَانٌ جَارِفٌ، وَأَعْمَارٌ تَتْلُوهَا
أَعْمَارٌ، وَالْمُضْحِكُ وَالْمُبْكِي فِيهَا سَيَّانٌ، فَحِينَ يُفَكِّرُ الْإِنْسَانُ فِي دُنْيَاهُ مُنْذُ وَلَادَتِهِ مُرُورًا
بِشَبَابِهِ وَقُوَّتِهِ إِلَى هَرَمِهِ وَشَيْخُوخَتِهِ يَأْلَمُ كَثِيرًا عَلَى مَا أُسْرِفَ حِينَ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ الْقَادِرُ،
وَأَنَّهُ الْمَالِكُ، وَأَنَّهُ النَّابِ وَأَنَّهُ... وَأَنَّهُ، ثُمَّ لَا يَلْبَثُ أَنْ يَكْتَشِفَ فِي لَحْظَةٍ مَا أَنَّهُ أضعَفُ
مِنْ نَمْلَةٍ وَأَوْهَى مِنْ نَسَمَةٍ، وَلَكِنْ رَحْمَةُ اللَّهِ أَجْمَلُ وَأَكْرَمُ وَأَعْظَمُ أَيُّهَا الصَّابِرُ الْمُحْتَسِبُ،
هُنَاكَ مَا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَفْعَلَهُ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ؛ لِعَجْزِنَا وَقِلَّةِ حِيلَتِنَا، وَلِلَّهِ فِي خَلْقِهِ شُؤُونٌ،
فَعَلَيْكَ بِهِ فَهُوَ وَحْدَهُ الْمُشِئُ لِمَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ وَمَا سَيَكُونُ.

مِنْ شِعْرِي: قَصِيدَةُ «يَا صَاحِ»،

دِيَوَانُ «فَنَادِيلِ الرِّيحِ» (الْأَعْمَالُ الشَّعْرِيَّةُ ج 1)

أَوْ كُلُّ طَيْرٍ إِذَا غَنَّى بِصَدَاحٍ
وَاسْتَنَكَرَ الصَّمْتُ عَنِّي ظَلَمَ أَتْرَاحِي
وَصَيَّبَ الْقَطْرَ نَحْوِي غَيْرُ لَمَاحٍ
وَأَيْنَ قَمَحِي الَّذِي يَزُهِوُ وَتَفَاحِي؟
فَكَيْفَ أَخْرَجْتُهَا فِي غَفْلَةِ اللَّاحِي
خُلِقْتُ أَحْرُسُهُ مِنْ جَوْرِ أَرْوَاحٍ
فَلَا يَرُدُّ لِعَذْلِي أَوْ لِإِفْصَاحِي
يَا وَعْدَ سُودِ اللَّيَالِي أَيْنَ مِصْبَاحِي؟
عَنْ ذِلَّةٍ مِنْ وَضِيعِ الْقَدْرِ سَفَاحٍ
أُحْيِي الْأَمَانِي فَمِنْ مَيِّتٍ إِلَى صَاحٍ
دُنْيَايَ إِنَّكَ لَا تَدْرِيْنَ أَطْمَاحِي
لِأَنَّ مَا بَيْنَنَا إِعْصَارُ أَرْيَاحٍ
وَأَنْ عَدَلْتُ فَقُلْ أَنْصَافُ أَشْبَاحٍ
لَا سَتَغْدَبُ الدَّهْرُ قَبْلَ الْحُزْنِ أَفْرَاحِي
وَأَنْ غَضِبْتُ فَجَبِّي كَانَ فَضَاحِي
بَلْ فِي تَقَى اللَّهِ لِلْمُحْسِي وَلِلضَّاحِي
وَكَمْ سَمِعْتُ مِنَ الْأَعْدَاءِ مَدَاحِي
لِكُلِّ صَادٍ إِلَى أَنْهَارِ أَفْحَاحٍ
أَصْحَابُ عِلْمٍ وَفَضْلٍ، تِلْكَ أَرْبَاحِي
أَسْقِي الْمُرُونَ وَأَحْسُوْهُمْ أَقْدَاحِي
عُمْرِي هُوَ الشَّمْسُ فَاحْجُبْ كُلَّ أَصْبَاحِي

مَا كُلُّ قَلْبٍ خَلِيٍّ لَهُمْ يَا صَاحِ
تَنَاسَرَتْ كُلُّ آمَالِي مُعْطَرَةً
وَكُلُّ آهٍ عَلَى آهٍ أَحْمَلُهَا
أَيْنَ الزُّهُورُ؟ رَبِيعُ الْعُمْرِ مُؤْتَلَقُ
رَجَعْتُ أُسْكِنُ أَفْرَاحِي مَوَاجِعَهَا
لَيْلٌ بِهِيْمٌ وَعُمْرٌ ضَاعَ أَجْمَلُهُ
أَظْلُ أَعْذَلُهُ لَكِنْ يُمَاطِلُنِي
وَقُلْتُ أَصْبِرُ فَالْأَيَّامُ وَاعِدَةٌ
وَعِشْتُ مُحْتَذِرًا لِلدَّهْرِ أَرْفَعُهُ
أُذَكِّي الْأَحَاسِيْسَ نَبْضًا مِنْ سَنَا تَرْفٍ
مَا كَانَ يَشْغَفُنِي مَالٌ يَوْثُمُنِي
إِنْ قُلْتُهُ زَادَ فِي نَفْسِي تَوَجُّدُهَا
أَشْبَاهُ نَاسٍ عَلَى الْعِلَالِ تَقْبُلُهُمْ
لَوْ يُسَعِفُ الْعُمْرُ أَمْثَالِي إِلَى شَرَفٍ
أَبَيْتُ قَلْبًا أَحَبَّ النَّاسِ كُلَّهُمْ
بَذَلْتُ مَالِي لَا فِسْقًا وَلَا سَفَهًا
عَلَوْتُ بِالذِّكْرِ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ كَرَمٍ
مَنَاهَلُ الْحُبِّ عِنْدِي تَاهَ آخِرُهَا
أَنَا الْغَنِيُّ بِحُبِّ النَّاسِ أَنْفُسِهِمْ
قَدْ أَنْكَرْتَنِي خُطَى حَظِّي وَالْمَنِي
يَا حَاجِبَ الشَّمْسِ ظَنًّا مِنْكَ تَحْجُبُهَا

شَمُوسٌ لَنْ تَنْطَفِئَ

السَّيِّخُ عَبْدُ اللَّهِ الْبَسَّامُ (رَحِمَهُ اللَّهُ)، الشَّرِيفُ شَاكِرُ بْنُ هَزَّاعٍ (رَحِمَهُ اللَّهُ)، السَّيِّخُ نَاصِرُ الرَّاجِحِي، السَّيِّخُ عَلِيُّ بِسَاوَرِي، السَّيِّخُ عَبْدُ اللَّهِ الْعَامِدِي.

السَّيِّخُ الْعَلَامَةُ عَبْدُ اللَّهِ الْبَسَّامُ: الْعَالِمُ الَّذِي نَذَرَ وَقْتَهُ وَمَالَهُ وَحُبَّهُ لِلنَّاسِ، وَبَدَلَ كَرِيمِ فَضْلِهِ لِكُلِّ طَالِبٍ مَعْرُوفٍ وَكُلِّ بَائِسٍ وَمَحْرُومٍ وَكُلِّ مَجْرُوحٍ وَمَظْلُومٍ، تَرَاهُ وَقَدْ مَدَّ يَدَهُ إِلَى بُوكٍ مِنَ الْوَرَقِ يَكْتُبُ بِخَطِّ يَدِهِ لِكُلِّ مَسْئُولٍ يَشْفَعُ لِمَنْ طَلَبَ شَفَاعَتَهُ؛ فَلَا يَبْخُلُ بِوَجْهِهِ وَوَجَاهَتِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ فِي حَلِّ مُشْكَلاتِ النَّاسِ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَنْ فِعْلِ الْخَيْرِ حَرِيصًا عَلَيْهِ، وَهُوَ يُطِلُّ بِوَجْهِهِ السَّمْحِ وَابْتِسَامَتِهِ الَّتِي وَافَقَتْ لِقَبَهُ، فَتَجِدُ عَلَى أَبْوَابِ بَيْتِهِ جُمُوعًا مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ يَقْصِدُونَهُ، فَكَانَ كَرِيمًا مِعْطَاءً فِي غَيْرِ مَنْ وَلَا انْقِبَاضَ وَلَا ضَيْقَ وَلَا تَبَرُّمَ، عَاكِفًا عَلَى قِرَاءَةِ الْمُتُونِ لِلْبَحْثِ وَالتَّالِيفِ، لَا يُفَارِقُ مَكْتَبَتَهُ الْحَفِيلَةَ بِأَمْهَاتِ الْكُتُبِ الشَّرْعِيَّةِ وَالتَّارِيخِيَّةِ وَالتَّرَاثِيَّةِ، فَهُوَ مَعَهَا فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ مِنَ الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ وَحَتَّى الْمَسَاءِ، عَامِلًا لِمَرْضَاةِ اللَّهِ، ذَانِدًا بِفِكْرِهِ وَقَلَمِهِ عَنِ الدِّينِ، قَائِمًا بِوَاجِبَاتِهِ الْإِنْسَانِيَّةِ، رَاعِيًا لِأَهْلِهِ وَأَبْنَائِهِ، غَارِسًا فِيهِمُ الْأَخْلَاقَ الْإِسْلَامِيَّةَ الْحَمِيدَةَ، حَتَّى ارْتَقَى بِهِمْ إِلَى مَصَافِ الْعُلَمَاءِ وَالْفُضَلَاءِ، وَنَالُوا أَعْلَى الشَّهَادَاتِ الْجَامِعِيَّةِ وَالْعُلْيَا، وَمِنْ أَبْنَائِهِ الْإِخْوَانُ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ (رَحِمَهُ اللَّهُ) الَّذِي تُؤْفِي قَبْلَ وَالِدِهِ فِي حَادِثِ مُرُورِيٍّ، وَخَالِدٌ، وَبَسَّامٌ، وَطَارِقٌ، وَعَدْنَانٌ، وَتَمِيمٌ، وَقَدْ نَشَؤُوا عَلَى الْخُلُقِ الْكَرِيمِ وَالتَّوَاضُّعِ، وَعَلَى بَذْلِ الْمَعْرُوفِ، وَعَلَى سُلُوكِ مَسَالِكِ الْخَيْرِ وَالْعَمَلِ بِهِ وَلَهُ.

أَمَّا النُّوَاحِي الْعِلْمِيَّةُ وَالْأَدَبِيَّةُ وَالْفَقْهِيَّةُ فَهُوَ يَعُدُّ مِنْ فُحُولِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَالتَّارِيخِ، فَقَدْ وَضَعَ بِصَمَاتِهِ عِلْمًا وَفِكْرًا يَشْهَدُ بِتَفَوُّقِهِ وَعُلُوِّ كَعْبِهِ، بِمَا تَرَكَ مِنْ مَوْلَافَاتٍ تُعْتَبَرُ مَرَاجِعَ لَطُلَابِ الْعِلْمِ وَمُرِيدِيهِ، نَذَرُ مِنْهَا:

كِتَابُ تَارِيخِ عُلَمَاءِ نَجْدٍ خِلَالَ ثَمَانِيَةِ قُرُونٍ، فِي سِتَّةِ مُجَلَّدَاتٍ.

كِتَابُ تَوْضِيحِ الْأَحْكَامِ بِشَرْحِ بُلُوغِ الْمَرَامِ، فِي سِتَّةِ مُجَلَّدَاتٍ.

نَيْلُ الْمَارَبِ فِي تَهْذِيبِ شَرْحِ عُمْدَةِ الطَّالِبِ.

حَاشِيَةُ عَلَى «عُمْدَةُ الْفَقْهِ».

تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، في ثلاثة مجلدات، وقد طبع مرات عديدة وترجم إلى عدة لغات، ويدرس في المعاهد العلمية.

نفعه الله بما أسداه للأمة الإسلامية من آثار علمية ينفع بها المؤمن يوم القيامة؛ (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم)، ولو أردنا تعدد مناقب هذا العالم لفات الحضر والعد، فهو أمة بما حواه من العلم والفضل، والتواضع، والبر، والكرم، وقيامه بصنائع المعروف، رحمه الله، وغفر له ولوالدينا وللمسلمين، وأسكنهم الفردوس الأعلى من الجنة أنه سميع مجيب. ولنا مع بعض مؤلفاته وقفات في المستقبل القريب، إن شاء الله.

الشريف شاكر بن هزاع العبدلي (رحمه الله): شمس من شمس مكة والوطن، أشرق على الدياجي ينير عممة الوقت في دروب الحيارى والمكالمين والضعفاء والمساكين، فكانت دأره ملجأ لأصحاب الحاجات، ومرتاداً لطالبي الشفاعات، وملتمساً لعثرات الكرام، ومقرى للأضياف لا تنطفئ ناره صباحاً ومساءً، وهو «قائم مقام» مكة (المحافظ في هذا الوقت)، رجل عاصر الملوك والأمراء، فكان مقصداً لأهل مكة في بذل وجاهته لدى الأمراء والمسؤولين في فك العاني والمأسور، ورفع الظلم عن المظلوم، وقاضياً لدين المعسور، وقائماً على إصلاح ذات البين، وكم كنا نقطع معه المسافات الشواسع لعثي الرقاب، والعون لمن تقطعت بهم الأسباب، وكم كنا نراه كل يوم سبت في مكتب الأمير ماجد (رحمه الله) يسطح معاً أوراقاً يتقدم بها عن أصحاب الحاجات والملمات؛ ليعيد الفرحة لقلوب المكالمين، والابتسامة على شفاه المحزونين والمنكوبين والمأزومين، رائده فعل الخير وصدقه وقدره عند وفاة الأمر بوجهه الصبح وطيب نفسه، وأصالة محتده، ووفائه لبناء وطنه، وقد تعودنا على ابتسامته وصفاء نفسه ونقاء سريرته وكرم يده للمعدين والمعوذين. وكان رحمه الله يتصف بالفصاحة والحكمة والرزانة والحلم، كما كان في كل يوم أحد يتواجد في مكتب الأمير سعود بن عبد المحسن يمارس نفس الدور في الشفاعة لمن يستحق الشفاعة وبذل الوجهة.

لقد كان (رحمه الله) من رجال الخير والبر والوفاء، فلا يخل بجاهه حتى لدى الملوك (رحمهم الله)، يفرغ إليهم في حل أمور الناس وقضاء حوائجهم، فكان يعد رمزا من رموز الفضل والفضيلة، فهو من القلائل الذين يحترم بهم الرجال في مكة المكرمة

(رَحْمَةُ اللَّهِ) وَوَالِدَيْنَا وَالْمُسْلِمِينَ، وَجَعَلَهُمْ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى، جَزَاءً وَفَاقًا لِمَا قَدَّمُوهُ مِنْ أَفْعَالِ الْخَيْرِ وَصَنَائِعِ الْمَعْرُوفِ.

الشيخ ناصر الراجحي: الْمُدِيرُ الْعَامُّ السَّابِقُ لِمَكْتَبِ وَلِيِّ الْعَهْدِ، حَفَظَهُ اللَّهُ، رَجُلٌ عَامِلٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِمُلُوكِهِ وَوَطَنِهِ، أَمْضَى جُلِّ عُمُرِهِ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ إِعْلَاءِ الْحَقِّ، زَاهِدًا فِي الْمَالِ قَالِبًا لِلشُّهْرَةِ وَالظُّهُورِ أَوْ اسْتِغْلَالِ نَفُوذِهِ لِتَحْقِيقِ مَارَبِ نَفْعِيَّةِ دُنْيَوِيَّةٍ، وَحِينَ عَرَفَ أَنَّ الدُّنْيَا مَا هِيَ إِلَّا رَحْلَةٌ مُسَافِرٍ يَتَزَوَّدُ مِنْهَا الْمُؤْمِنُ بِالتَّقْوَى وَعَمَلِ الْخَيْرِ وَأَنَّهَا سَبِيلٌ لِلْهُوَى وَغُرُورِ النَّفْسِ وَطَمَعِهَا، سَخِرَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَدَارَ ظَهْرَهُ عَنْهَا وَاحْتَقَرَهَا وَرَفَضَ ذُلَهَا وَعُبودِيَّتَهَا إِلَّا أَنْ تَكُونَ لِلوَاحِدِ الْقَهَّارِ، لِأَنَّهُ رَأَى بِعَيْنِ الْبَصِيرِ وَفِرَاسَةِ الْمُؤْمِنِ أَنَّ الدُّنْيَا هِيَ دَارُ الْفَنَاءِ وَسَيِّغَادِرُهَا الْإِنْسَانُ مَهْمَا عَاشَ، طَائِعًا أَوْ كَارِهًا، إِلَى دَارِ الْخُلُودِ الَّتِي تَحْتَفِي بِالْعَامِلِينَ لِمَرْضَاةِ اللَّهِ الَّذِينَ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، أَمَّا الَّذِينَ أَغْرَنَهُمْ بِمَنِيهَا وَزَخَارِفِهَا وَبَهَارِجِهَا وَحِيلِهَا فَهُمْ الَّذِينَ وَقَعُوا فِي حَبَائِلِهَا لِيَكُونُوا صَيِّدًا ثَمِينًا لِلنَّارِ تَقْدِفُ بِهِمْ فِي أَتُونِ ضِرَامِهَا وَجَحِيمِهَا الْمُسْتَعْرِ فِي سَقَرٍ، (وَمَا أَذْرَاكَ مَا سَقَرٌ).

لَقَدْ دَابَّ الشَّيْخُ نَاصِرُ الرَّاجِحِيِّ عَلَى مُسَاعَدَةِ الضَّعِيفِ وَالْمُحْتَاجِ وَالْمَكْسُورِ، يَنْتَصِرُ لَهُ بِمَا أُوتِيَ مِنْ قُوَّةٍ وَمَسْئُولِيَّةٍ، بَعْدَ أَنْ يَسْتَخْلِصَ الْحَقَّ، لِيَكُونَ صَوْتًا خَالِدًا عَلَى مَرِّ التَّارِيخِ لِلنِّزَاهَةِ وَالْعَدَالَةِ الَّتِي تَرْفَعُ قِيَمَةَ الْإِنْسَانِ وَالْأُوطَانِ.

كَانَ لَا يَحْجُبُ نَفْسَهُ عَنْ طَالِبِ حَقٍّ، وَلَا يَقْطَعُ تَلِفُونَهُ عَمَّنْ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ، فَيَعْرِضُ حَاجَاتِهِمْ وَمَطَالِمَهُمْ عَلَى أَوْلِيَاءِ الْأُمُورِ، بِرُؤْيَاةِ الْمُخْلِصِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَقَلْبِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يُحَاوِلُ أَنْ يُغَيِّرَ الْمُنْكَرَ إِمَّا بِيَدِهِ أَوْ بِلِسَانِهِ أَوْ بِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ، لِيَكُونَ شَاهِدًا عَلَى الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ، وَعِنْدَمَا رَأَى الدَّهْرَ وَهُوَ يَسْتَبِدُّ بِالْكَرَامِ، وَالْأَنَامَ يَسْعَى بَعْضُهَا ضِدَّ بَعْضِهَا بِالْإِنْتِقَامِ، وَحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ تَحْقِيقِ أَهْدَافِهِ الْعَلِيَّةِ الظَّلَامِ؛ رَفَضَ أَنْ يَخْسَرَ ذَاتَهُ وَدِينَهُ وَكَرَامَتَهُ فِي خِصْمِ النِّفَاقِ وَالْمَيْمِنِ وَالتُّكْرَانِ، فَاخْتَارَ لِنَفْسِهِ الْعُزْلَةَ حَتَّى يُلَاقِيَ اللَّهَ وَهُوَ رَاضٍ عَنْهُ، فَسَلَامٌ عَلَيْهِ أَيْنَمَا رَاحَ وَأَيْنَمَا حَلَّ بِهِ الْمَقَامُ.

الشيخ علي بشاوري: الرَّجُلُ الَّذِي وَصَلَ بِخُلُقِهِ الرَّفِيعِ وَحُبِّهِ لِلْجَمِيعِ إِلَى مَنْصَبٍ وَكِيلٍ إِمَارَةٍ مَنْطِقَةٍ مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ الْمُسَاعَدِ، فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، حَامِلًا أَمَانَةَ أُمَّةٍ وَعَدَالَةَ مَسْئُولٍ لَا يَخْشَى فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً، فَكَانَ نَصِيرًا لِلْحَقِّ وَأَهْلِهِ نَابِذًا لِلظُّلْمِ وَجَهْلِهِ.

كَانَ يَتَمَتَّعُ بِثِقَةِ أَوْلِيَاءِ الْأُمُورِ عَبْرَ أَدْوَارِ حَيَاتِهِ الْعَمَلِيَّةِ، مُنْذُ أَنْ كَانَ فِي وَزَارَةِ الدَّخْلِيَّةِ إِلَى أَنْ تَقَاعَدَ مِنْ إِمَارَةِ مَنْطِقَةِ مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ، كَسَبَ حُبَّ النَّاسِ بِحُسْنِ أَفْعَالِهِ وَقِيمِهِ الْأَخْلَاقِيَّةِ وَنَزَاهَتِهِ، وَقَدْ ضَرَبَ صَفْحًا عَنْ مُغْرِيَّاتِ الْحَيَاةِ وَمَتَعَ الزَّيْفَ وَالضَّلَالِ الْمَمْقُوتَةِ، وَعَاشَ صَافِي النَّفْسِ صَادِقَ الْقَلْبِ مَعَ رَبِّهِ وَمَعَ خَلْقِهِ فَاسْتَحَقَّ حُسْنَ الذِّكْرِ الْمُعْطَرِ بِالشَّائِ وَالْفَخْرِ. لَمْ يَكُنْ هَمُّهُ جَمْعُ الْمَالِ، وَلَمْ تَسْلُبْهُ الْأَمَالُ الْوَاهِمَةُ عِزَّةَ نَفْسِهِ وَكَرَامَتَهُ وَدِينَهُ، فَلَمْ يَبْخُلْ بِفِكْرِهِ وَجُهْدِهِ وَقَلَمِهِ فِي تَذْلِيلِ الصُّعُوبَاتِ عَلَى مَنْ أَصَابَتْهُ الْأَقْدَارُ، فَكَانَ مُيسِّرًا لَا مُعَسِّرًا، مُوجِدًا لِلْحُلُولِ الْمُفْضِيَةِ إِلَى خَيْرِ النُّفُوسِ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، مُلَيًّا لِمَنْ دَعَاهُ، تَلْقَاهُ فِي كُلِّ وَاجِبِ إِسْلَامِيٍّ وَأَخْلَاقِيٍّ حَاضِرًا، يَعُودُ الْمَرِيضَ وَيُؤَاسِي الْمَفْوُودَ، وَمُعْزِيًا لِلْمُنْكَوبِ وَزَائِرًا لِكُلِّ مَنْ أَصَابَهُ الزَّمَنُ بِأَقْدَارِهِ وَآلَمِهِ، مُعْرِضًا عَنْ إِسَاءَةِ السَّفِيهِ وَالْجَاهِلِ، يَدْفَعُ بِالنِّيِّ هِيَ أَحْسَنُ.

فَطُوبَى وَحُسْنَ مَآبٍ لَكَ أَيُّهَا الْخَلُّ الْوَفِيُّ الْأُسْتَاذُ الْأَدِيبُ الْخُلُوقُ عَلِيٌّ بِشَاوَرِي، نَسْأَلُ اللَّهَ لَكَ الْعَافِيَةَ عَلَى مَا أَصَابَكَ، وَأَنْ يَرْفَعَ دَرَجَاتِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، جَزَاءً وَفَاقًا عَلَى مَا قَدَّمْتَ مِنَ الْعَطَاءِ وَالْخَيْرِ وَبَذَلِ الْمَعْرُوفِ لِلنَّاسِ، فَلَا تَنَاسُ أَيُّهَا الصَّدِيقُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، فَهُوَ مَوْلَاكَ وَسَوْفَ يَلْطَفُ بِكَ وَيَحْتَسِبُ لَكَ جَزِيلَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ عَلَى جَمِيلِ صَبْرِكَ عَلَى الْبَلَاءِ.

الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدِ الْغَامِدِيِّ: مُدِيرُ مَكْتَبِ الْبَرَقِيَّاتِ بِإِمَارَةِ مَنْطِقَةِ مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ سَابِقًا، يَتَّصِفُ بِالْأَمَانَةِ وَالشَّرَفِ وَالرَّحْمَةِ لِإِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ، يَقِفُو أَثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ فَيَلْتَمِسُ مِنْ أَوْلِيَاءِ الْأُمُورِ قَضَاءَهَا لِلضُّعْفَاءِ وَمَنْ عَثَرَتْ بِهِمُ الْأَقْدَامُ أَوْ رَمَتْهُمْ الْأَقْدَارُ بِحَدَثٍ مِنْ أَحْدَاثِ الزَّمَانِ، سَاعِيًا إِلَى الْخَيْرِ مَا اسْتَطَاعَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا، دَافِعُهُ إِخْلَاصُهُ لِلَّهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ وَلِلْوَطَنِ، تَجِدُهُ مُحِبًّا لِلنَّاسِ مَحْبُوبًا مِنْهُمْ. وَقَدْ تَرَكَ كَرِيمَ الذِّكْرِ وَطِيبَ الْأَثَرِ، مُحَافِظًا عَلَى كَرَامَتِهِ نَزِيهًا فِي نَفْسِهِ، إِلَى أَنْ دَاهَمَهُ الْمَرَضُ وَهُوَ يَبْذُلُ مِنْ عُمُرِهِ وَمَالِهِ وَجُهْدِهِ، وَقَدْ رَأَيْتُهُ الْإِنْسَانَ بِكُلِّ صِفَةٍ رَفِيعَةٍ وَكُلِّ نَفْسٍ عَفِيفَةٍ، عَافَاهُ اللَّهُ وَشَفَاهُ مِنْ كُلِّ مَا أَلَمَ بِهِ، وَأَجَزَلَ لَهُ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ عَلَى صَبْرِهِ وَحَمْدِهِ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْقَدِيرِ. هُوَ لَا يَهْمُ الشُّمُوسُ الْأَدَمِيَّةُ الَّتِي لَنْ تَنْطَفِئَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَفِي الْآخِرَةِ، نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَهُمْ وَلِوَالِدَيْنَا أَنْ يَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَهُمْ، وَخُصُوصًا وَنَحْنُ نَرَى أَنَّ الْعَصْرَ يَكَادُ يَخْلُو مِنْ صُنَاعِ الْخَيْرِ وَدُعَايِهِ. وَأَصْبَحَتْ أَعْمَالُ الْخَيْرِ تُتَرْجَمُ إِلَى مَصَالِحِ،

وَالْوَجَاهَاتُ تَوُّلٌ إِلَى مُكَتَسَبَاتٍ مَالِيَّةٍ، فَلَا تَرَى مَنْ يَبْذُلُ جَاهَهُ فِي الشَّفَاعَةِ لِنُصْرَةِ مَظْلُومٍ أَوْ فِكِّ مَأْسُورٍ، أَوْ إِقَالَةِ مَعْسُورٍ وَمَعْتُورٍ، وَقَدْ صَارَ الْكَثِيرُ مِنْ أَصْحَابِ الْمَالِ وَالْوَجَاهَاتِ وَالْمَنَاصِبِ فِي عِزْلَةٍ مِنْ طَالِبِي الْخَيْرِ وَالْمَعْرُوفِ يَخْتَبِئُونَ وَيَتَخَفُونَ عَنْهُمْ، وَإِذَا تَلَاقَتْ بِهِمُ الصَّدَفُ كَذَبُوا عَلَيْهِمْ فِي إِجَابَةِ مَطَالِبِهِمْ، أَوْ اعْتَذَرُوا لَهُمْ دُونَ أَنْ يَبْذُلُوا الْجُهْدَ، أَوْ يَطْرُقُوا السَّبِيلَ لِلْبَذْلِ لِنَيْلِ الْأَجْرِ وَالْثَوَابِ مِنَ الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ وَالرَّفْعَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَقَدْ أَغْمَاهُمُ الْجَشَعُ وَاسْتَعْبَدَهُمُ الْمَالُ، وَسَخَرَ بِهِمْ طُولَ الْأَمَلِ، وَأَوْدَى بِعُقُولِهِمُ الْوَهْمَ وَظَنُّوا الْخُلُودَ الْأَبَدِيَّ فِي الدُّنْيَا، وَلَمْ يَلْحَظُوا الْعُمُرَ وَهُوَ يَتَفَادَمُ، وَلَمْ يَفَكِّرُوا فِي صَوْلَةِ الدَّهْرِ وَظُلْمَةِ الْقَبْرِ، وَلَيْسَ لَهُمْ هَمٌّ إِلَّا جَمْعُ الْأَمْوَالِ مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ عَلَى حِسَابِ الضُّعْفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، يُخْزِنُونَهَا فِي الْبُنُوكِ لِيَقَالَ (الْمِلْيَارْدِيرُ)، فَأَيُّ خُلُودٍ ذَكَرَ لَهُوْلَاءِ، وَهُمْ لَيْسَ لَهُمْ أَثَرٌ عِلْمِيٌّ يَخْلُدُ آثَارَهُمْ فِي الْمُبْدَعِينَ، أَوْ بَذْلٌ لِلْمَعْرُوفِ يَجْعَلُهُمْ مِنَ الْمُحْسِنِينَ، أَوْ عَمَلٌ صَالِحٌ يَكْتُبُهُمْ فِي الْخَالِدِينَ؟! وَلَسَوْفَ يَنْتَهِي ذِكْرُهُمْ بِزَوَالِهِمْ مِنَ الْأَرْضِ، وَسَيَبْقَى الذِّكْرُ لِمَنْ يُعْطَى فَلَا يَعُدُّ، وَيُقَدَّمُ مَالُهُ وَجَاهُهُ لِلتَّفْرِيجِ عَنِ النَّاسِ فِي صَدَقٍ وَجَدٍّ، لِيَكُونَ الْإِنْسَانُ الْمُخْلِصَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَهْلِهِ وَقَوْمِهِ وَالضُّعْفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَكَمَا قِيلَ «مَا اسْتَحَقَّ أَنْ يُولَدَ مَنْ عَاشَ لِنَفْسِهِ فَقَطُّ»، وَكَمَا جَاءَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ نَكُونَ مِنْهُمْ بِفَضْلِهِ وَجُودِهِ وَمَنْهُ، اللَّهُمَّ آمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

مِنْ شِعْرِي: قَصِيدَةُ «خَيْلِ الْكُهُولَةِ»،

دِيَوَانُ «الْمَرَايَا»

بَكَيْتُكَ يَا عُمْرِي قُبَيْلَكَ تَرْتَحِلُ
رَبِيعًا نَشَرْتُ الطَّيْبَ فِيهِ مُورِدًا
مَرَرْتُ عَلَى عَصْرِ تَطَاوَلَ لِلْعَلَا
وَأَنْتَى تَرَى الْأَعْمَارَ وَهِيَ رَهِينَةٌ
فَمَنْ صَانَعَ الْأَيَّامَ أَحْدَاثَهَا وَمَنْ
فَيَا وَيْحَ لَيْلِ الْهَمِّ أَرْخَى سَوَادَهُ
رَكِبْنَا عَلَى خَيْلِ الشَّبَابِ فَوَارِسًا
وَمَنْ يَبْذُلُ الْعُمَرَ النَّفِيسَ لِقَوْمِهِ
هُوَ الدَّهْرُ آمَالٌ إِلَى غَيْرِ مُنْتَهَى
سَوَاجِمَ دَمْعٍ كَمْ تَنْزُ مِنْ الْمُقَلِّ
وَمِنْ خَافِقِي أَسْقَى الرَّحِيقَ كَمَا الْعَسَلُ
وَقَصَّرَ عَنْهُ النَّائِمُونَ عَلَى الْعِلَلِ
يُؤَمِّلُهَا وَعَدُّ وَيَسْبِقُهَا الْأَجَلُ
أَسَاغَ شَرَابِ الذُّلِّ مِنْ مَدْمَعِ الْوَجَلِ
وَيَا وَيْلَ فُسَاقِ الضَّمِيرِ مِنَ الْخَطَلِ
وَأَنَا عَلَى خَيْلِ الْكُهُولَةِ لَمْ نَزَلْ
تَطَيَّبَ بِالذِّكْرِى إِذَا حَلَّ أَوْ رَحَلَ
وَحَتَّى يَحِينَ الْمَوْتُ فَلَنْزَرَعَ الْأَمَلَ

الْمَرْأَةُ حِجَابٌ أَمْ عَفَّةٌ؟

لَا يَغِيبُ عَنْ كُلِّ ذِي لُبٍّ وَبَصِيرَةٍ كَيُنُونَةُ الْمَرْأَةِ فِي حَيَاةِ الْبَشَرِ، وَلَنْ يَخْتَلِفَ اثْنَانِ عَلَى أَنَّهَا الْأُمُّ، وَالْأُخْتُ، وَالْإِبْنَةُ، وَالْعَمَّةُ، وَالْخَالََّةُ، وَالْجَدَّةُ... وَلَمْ تَكُنِ الْمَرْأَةُ فِي النُّفُوسِ السَّوِيَّةِ مَحَلًّا لِلشُّكُوكِ وَالظُّنُونِ وَالْإِبْتِدَالِ وَالْإِحْتِقَارِ وَالْإِمْتِهَانِ، حَتَّى نَجْعَلَهَا مَادَّةً لِلْمَزَايِدَاتِ الْبَاخِسَةِ حَقَّهَا وَقَدْرَهَا، لِمَا أَعْطَاهَا اللَّهُ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ مِنَ الْقَدْرِ وَالْقِيَمَةِ وَالتَّبَجِيلِ، وَلَسْنَا بِصَدَدٍ تَعْدَادٍ وَسَرْدِ الْآيَاتِ الْمُحْكَمَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ عَنِ الْمَرْأَةِ، وَيَكْفِي نَزُولُ سُورَةٍ كَامِلَةٍ عَنْوَانُهَا «سُورَةُ النِّسَاءِ» فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَلِمَاذَا هَذَا الْجَدَلُ الْعَقِيمُ عَنِ الْمَرْأَةِ؟ وَلِمَاذَا نَسْتَهِينُ بِحُقُوقِهَا وَنَضْعُهَا فِي مَرَاتِبِ الشُّبُهَاتِ؟ حِينَ نَتَنَاوَلُ قَضِيَّةَ الْحِجَابِ بِالتَّجْرِيمِ وَالتَّحْرِيمِ، وَإِنْ كُنَّا نَنْظُرُ إِلَى الْحِجَابِ نَظْرَةَ الْمُسْتَأْثَرِ بِالحِفَاطِ عَلَى جَوْهَرَةٍ مَكْنُونَةٍ لَا نَوُدُّ لِكُلِّ عَيْنٍ أَنْ تَقَعَ عَلَيْهَا فِي تَفْصِيلَاتِهَا الْخَاصَّةِ بِالرَّجُلِ الْوَاحِدِ وَهُوَ الزَّوْجُ، وَهُوَ مَا يَسْرِي اسْتِشْعَارًا فِي نَفْسِ كُلِّ رَجُلٍ مُؤْمِنٍ مُحَافِظٌ، مَعَ الْإِخْذِ فِي الْإِعْتِبَارِ أَنَّ الْمَرْأَةَ كَيَانٌ وَاعْتِبَارٌ وَشَخْصِيَّةٌ قَائِمَةٌ بِنَاتِهَا، لَهَا مَا لِلرَّجُلِ مِنْ حُقُوقٍ وَوَاجِبَاتٍ وَعَلَيْهَا مَا عَلَى الرَّجُلِ مِنْ مَسْئُولِيَّاتٍ وَتَبَعَاتٍ، وَإِنْ قُلْنَا انْخِرَاطُهَا فِي الْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ فَمَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى ضَعْفِ بِنْيَتِهَا الْجِسْمِيَّةِ عَنِ الرَّجُلِ، حَسَبَ الْفِطْرَةِ وَالْإِرَادَةِ الْإِلَهِيَّةِ، لِتَكُونَ مِثَالًا لِلرَّقَّةِ وَالْحَنَانِ وَالْعَطْفِ وَالْأُنُونَةِ، فَكَانَ لِلرَّجُلِ حَقُّ الْقَوَامَةِ عَلَيْهَا فَهِيَ أُنَيْسَةُ الرَّجُلِ وَمَحَلُّ إِغْرَائِهِ لِمَا أَوْدَعَهُ اللَّهُ فِيهَا مِنَ الْمَحَاسِنِ وَالْجَمَالِ.

وَإِذَا رَجَعْنَا إِلَى الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ فَقَدْ كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَقُومُ بِأَعْمَالٍ أَكْثَرَ مَشَقَّةً فِي جَمْعِ الْحَطَبِ، وَالرَّغْيِ، وَالطَّبْخِ، بَلْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهِيَ تَسْتَقْبِلُ الضَّيْفَ وَتَقْرِيه وَزَوْجَهَا أَوْ وَالِدَهَا غَيْرَ مَوْجُودٍ (وَرُبَّمَا حَتَّى هَذَا الْعَصْرُ فِي الْبَادِيَةِ)، وَالشَّوَاهِدُ فِي التَّرَاثِ كَثِيرَةٌ، حَتَّى كَانَ لَهَا حَقُّ تَطْلِيقِ زَوْجِهَا بِإِزَاحَةِ بَابِ الْخِدَرِ عَنْ مَكَانِهِ فَيَعْلَمُ الزَّوْجُ أَنَّهَا قَدْ طَلَّقَتْهُ، فَهَلْ كَانَ الْحِجَابُ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ مَانِعًا لَهَا عَنِ الْمَحْظُورِ أَوْ عَدَمُهُ قَاطِعًا بِعِفَّتِهَا وَشَرَفِهَا؟ وَعِنْدَمَا جَاءَ الْإِسْلَامُ أَعْطَى الْمَرْأَةَ حُقُوقَهَا كَامِلَةً، وَلَكِنْ جَهَلَ بَعْضُ الْعُقُولِ الرَّجُولِيَّةِ انْتَقَصَ مِنْ هَذِهِ الْحُقُوقِ بِالشُّكِّ، وَالْإِهَانَةِ وَالضَّرْبِ وَالطَّلَاقِ فِي تَوَافِهِ الْأُمُورِ، أَوِ الْعِصْلِ أَوْ حِرْمَانِهَا مِنْ فَلَذَاتِ أَكْبَادِهَا قُوَّةً وَاقْتِدَارًا وَظُلْمًا نَهَى عَنْهُ الشَّارِعُ الْحَكِيمُ وَالشَّرْعُ

الْحَنِيفُ، فَرَأَيْنَا مَنْ يَنْظُرُ إِلَى الْمَرْأَةِ نَظْرَةَ الْمُتَّهَمِ لَهَا فِي أَحْوَالٍ كَثِيرَةٍ، لِذَلِكَ ظَنُّ أَنْ الْحِجَابَ هُوَ السَّبِيلُ إِلَى حِفْظِهَا وَسَجْنِهَا، عُقُوبَةٌ لَهَا أَنَّهَا خُلِقَتْ امْرَأَةً، وَهُوَ بَدِيلٌ مِنَ الْوَادِ الَّذِي كَانَتْ تَفْعَلُهُ الْقَلَّةُ مِنَ الْعَرَبِ ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّ الْمَرْأَةَ مَجْلِبَةٌ لِلْعَارِ فِي أَعْرَافِهِمُ الْقَدِيمَةِ، وَهُوَ مَا أَنْكَرَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، فَمَا بَالُنَا الْيَوْمَ نَبْذُرُ الْمَرْأَةَ حَيَّةً وَنَصْمُهَا بِالْخِيَانَةِ وَالْعَارِ دُونَ أَنْ نَشْعُرَ، وَدُونَ أَنْ نَقُولَ بِهَذَا الْمَسَاسِ وَالتَّعْرِيزِ الَّذِي يَأْتِي مَعَ اسْتِحْيَاءٍ وَلَيْسَ مُبَاشَرًا، وَالْمُزَايِدَةُ عَلَى أَخْلَاقِهَا، وَالذَّنْبُ أَنَّهَا الْأُنْثَى الْجَمِيلَةُ اللَّطِيفَةُ الرَّقِيقَةُ الْمُتَمَتِّعَةُ، وَنَسِينَا جَمَالَ الرَّجُلِ وَإِنْسَانِيَّتَهُ وَلُطْفَهُ، وَأَنَّ مَا تَحْتَاجُهُ الْمَرْأَةُ مِنَ الرَّجُلِ هُوَ مَا يَحْتَاجُهُ الرَّجُلُ مِنَ الْمَرْأَةِ، فَاللَّذَّةُ وَالْمُتَعَّةُ وَالْإِنْجَابُ قَاسِمٌ مُشْتَرَكٌ بَيْنَهُمَا، وَلَوْلَا هَذِهِ لَمَا كَانَ ذَاكَ، وَلَوْلَا الْمَرْأَةُ بِالْأَخْصَصِ لَمَا كَانَ لِلْوُجُودِ الْإِنْسَانِيِّ حَقِيقَةٌ وَلَمَا تَنَاسَلَ الرَّجَالُ وَالْإِنَاثُ، إِذَنْ كُلُّ مَنْ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ أَدَاةٌ لِلتَّكْوِينِ، وَلَيْسَتْ الْغَرِيزَةُ الْجَنْسِيَّةُ هِيَ الْأَهَمُّ بَلْ مَا يَأْتِي بَعْدَهَا مِنَ الْوَفَاءِ وَالْحِرْصِ وَالْإِنْجَابِ وَالتَّرْبِيَةِ وَالْعِنَايَةِ بِالْأَوْلَادِ.

وَكَيْفَ نَسْتَطِيعُ حَجَبَ الْوَجْهِ فِي عَصْرِ خَرَجَ بِالْمَرْأَةِ إِلَى مِصْمَارِ الْعَمَلِ، وَأَصْبَحَ مِنَ الْبَدْهِ أَنْ تُقَابِلَ الْمَرْأَةُ الرَّجُلَ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْقِعٍ لِلْمُعَامَلَاتِ الْحَيَاتِيَّةِ اللَّازِمَةِ، سَوَاءً فِي التَّطَبُّبِ، أَوِ الْمُعَامَلَاتِ الْمَصْرِفِيَّةِ، أَوِ الْهَنْدَسِيَّةِ، أَوِ الْمُحَامَاةِ، وَفِي الْمَطَارَاتِ وَالْجَمَارِكِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَجَالَاتِ الْعِلْمِيَّةِ؟

إِنَّ الزَّمَانَ يَتَغَيَّرُ مِنْ حَوْلِنَا، وَكَثِيرٌ مِنَ الْقِيَمِ الْقَدِيمَةِ تَبَدَّلَ، دُونَ أَنْ يَتَبَدَّلَ مَعْنَاهَا وَمَضْمُونُهَا مَا دَامَتْ فِي إِطَارِهَا الْأَخْلَاقِيَّ، فَلَا نَحَاوُلُ أَنْ تَحْمَلَ الْأُمُورَ أَكْثَرَ مِنْ احْتِمَالَاتِهَا وَنَجْعَلَهَا طَوْعَ الْأَهْوَاءِ الْخَاصَّةِ الَّتِي سَتَفْرُضُ نَفْسَهَا إِنْ عَاجِلًا أَوْ آجِلًا، فَعَدَا نَرَى الْمَرْأَةَ وَهِيَ تَقُودُ السَّيَّارَةَ، فَهَلْ تَقُودُهَا وَهِيَ مُتَحَجِّبَةُ الْوَجْهِ حَتَّى تَضْطَرَّ بِالشَّرِّ وَالْحَيَوَانَ وَتَقْتُلَ النَّاسَ أَوْ تَقْتُلَ نَفْسَهَا؟ وَغَدَا تُسَافِرُ الْمَرْأَةُ لِإِنْجَازِ أَعْمَالِهَا الْمُنَوَّطَةِ بِهَا دُونَ مُحَرَّمٍ، وَغَدَا سَتَكُونُ الْمَرْأَةُ أَكْثَرَ حُرِّيَّةً رَغْمًا عَنَّا، لِأَنَّ مُتَطَلِّبَاتِ الْحَيَاةِ سَتُعْطِيهَا الْحَقَّ فِي اسْتِعْمَالِ حُرِّيَّتِهَا كِإِنْسَانَةٍ لَهَا شَخْصِيَّتُهَا الشَّرْعِيَّةُ الْقَانُونِيَّةُ فِي الْأَوْطَانِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَخَارِجِهَا، وَفِي التَّقَاضِي، وَفِي حُضُورِ النَّدَوَاتِ الطَّبِيبَةِ وَالْمُنَاقَشَاتِ الْعِلْمِيَّةِ فِي الْمَحَافِلِ الدَّوْلِيَّةِ، وَفِي الْإِدَارَاتِ الرَّسْمِيَّةِ، وَغَيْرِهَا.

وَيُلْحَقُ سُؤَالٌ: مَنْ قَالَ لِلْمَرْأَةِ أَلَّا تَتَحَجَّبَ مَتَى أَرَادَتْ؟ وَمَنْ يَسْتَطِيعُ فَرَضَ الْحِجَابِ عَلَيْهَا إِذَا هِيَ امْتَنَعَتْ؟ إِذَنْ هَذِهِ أُمُورٌ خَاضِعَةٌ لِلقَنَاعَاتِ الشَّخْصِيَّةِ وَالتَّوَافُقِ بَيْنَ الزَّوْجِ وَزَوْجَتِهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ بِمَا أُوتِيَ مِنْ قُوَّةٍ أَنْ يَفْرِضَهَا عَلَى الْمَرْأَةِ، وَإِلَّا لَمَا رَأَيْنَا النِّسَاءَ

يُسْفِرْنَ عَنْ وُجُوهِهنَّ فِي السَّيَّارَاتِ أَوْ الْمَطَارَاتِ، وَحَتَّى فِي حَرَمِ اللَّهِ بَيْنَ الطَّوَافِ وَالسَّعْيِ. إِذْنُ هَذِهِ الْقَضِيَّةُ نَسِيَّةٌ، وَلَكِنَّا لَا نَدْعُو إِلَى السُّفُورِ الْمُبْنِيِّ عَلَى التَّهْتِكِ وَالْإِنْحِلَالِ فِي الْمَرْأَةِ أَوْ الرَّجُلِ، وَلَكِنَّا نَسْتَعْمِلُ مَقُولَةَ «سَدُّوا وَقَارِبُوا»، لِأَنَّ الْقَادِمَ أَكْبَرُ مِنَ الْقَبُولِ أَوْ الرَّفْضِ، وَهَذِهِ آثَارُ التَّمَدُّنِ الَّذِي دَخَلْنَاهُ وَالَّذِي يَفْرُضُ تَبِعَاتٍ وَوَاجِبَاتٍ تَجْعَلُ لِلْمَرْأَةِ أَدْوَارًا مَسْئُولَةً تَجَاهَ الْمُجْتَمَعِ، فَلَا نَقِيسُ الْأَمْسَ بِمَقَائِيسِ الْيَوْمِ، وَلَا فَعَلَيْنَا رَفْضُ كُلِّ التَّقْنِيَّاتِ الْمُسْتَحْدَثَةِ الْوَارِدَةِ إِلَيْنَا مِنْ دَوْلِ الْعَالَمِ مِنْ تِلْفِزْيُونٍ، وَسَيَّارَةٍ، وَطَائِرَةٍ، وَكُمْبِيُوتَرٍ، وَكَهْرَبَاءٍ، وَتِلِفُونٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمُسْتَحْدَثَاتِ الْمُسْتَعْمَلَةِ، وَنَعِيشُ عَلَى الْفِطْرَةِ الْأُولَى، فَمَا دُمْنَا رَاضِينَ بِكُلِّ هَذِهِ الرَّفَاحِيَةِ فَإِنَّ لِكُلِّ فِعْلٍ رَدَّةً فِعْلٌ كَمَا قِيلَ، وَكَمَا قِيلَ كُلُّ لَذَّةٍ يُصَاحِبُهَا أَلَمٌ، وَهَذِهِ ضَرِيبةُ التَّقَدُّمِ وَالتَّطَوُّرِ وَالتَّمَدُّنِ، فَعَلَيْنَا أَنْ نَدْخُلَ الْعَصْرَ الْعِلْمِيَّ بِقَدْرِ مِنَ الْعَقْلَانِيَّةِ، حَتَّى لَا نُوصِمَ بِإِنْفِصَامِ الشَّخْصِيَّةِ فِي تَقْدِيرَاتِنَا لِلْأَمَالِ وَالْأَعْمَالِ، وَحَتَّى نَسْتَطِيعَ أَنْ نُسَوِّسَ الْأُمُورَ بِشَكْلِ لَا يَخْرُجُ عَنِ السَّيْطَرَةِ، وَفِي أَضْيَاقِ الْحُدُودِ، وَحَتَّى لَا نَضْطَرَّ بِوَقَائِعٍ لَا نَسْتَطِيعُ كَبْحَ جِمَاحِهِ وَلَا رَدَّ تَقْلِبَاتِهِ الَّتِي سَوْفَ تَجْتَنُّنَا كَالطُّوفَانِ إِذَا اِعْتَلَى، أَوْ كَالْغَصَارِ إِذَا عَصَفَ، فَتَكُونُ الْمَصَائِبُ أَعْظَمَ. إِنَّ الْحِجَابَ فِي نَظَرِنَا هُوَ حِجَابُ الْعِفَّةِ قَوْلًا وَعَمَلًا، فَالْمَرْأَةُ يَحْفَظُهَا دِينُهَا وَتَقْوَاهَا كَمَا الرَّجُلُ، وَيُسْقِطُهَا سُوءُهَا وَانْحِطَاطُهَا مَتَى هِيَ أَرَادَتْ لِنَفْسِهَا هَذَا الْمَصِيرَ، وَلَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنْ تَسْتَمِرَّ الْمَرْأَةُ كَشْفَ الْوَجْهِ وَتُبَيِّحَ لِنَفْسِهَا وَضْعَ الْمِكْيَاجِ وَالْأَحْمَرِ وَالْأَخْضَرِ، ثُمَّ تُسْفِرَ عَنْ وَجْهِهَا لِكَيْ تَكُونَ مُغْرِبَةً لِلرَّجُلِ وَتَشْبِعَ الْفِتْنَةَ، وَلَكِنْ نَحْنُ نَتَحَدَّثُ عَنْ كَشْفِ الْوَجْهِ دُونَ وَضْعِ الْمَسَاحِقِ، وَدُونَ الْبَهْرَجَةِ، لِيَكُونَ غَرَضُهَا آدَاءَ وَطِيفَتِهَا فِي ثِقَةٍ كَامِلَةٍ بِأَنَّهَا تَمْتَلِكُ حُرِّيَّتَهَا الْمُقَنَّتَةَ فِي إِطَارِ الْخُلُقِ الْإِسْلَامِيِّ الْكَرِيمِ، بَعِيدًا عَنْ كُلِّ مُبْتَدَلٍ وَرَخِيسٍ وَمَا يَدْعُو إِلَى الرِّيبَةِ وَالتَّصْنُعِ وَالْفِتْنَةِ الْمَمْقُوتَةِ، لِأَنَّ ذَلِكَ يُعَدُّ مُخَلًّا بِالْأَذَابِ وَالْأَخْلَاقِ.

وَعَلَى الْعُمُومِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ السُّعُودِيَّةَ عِنْدَمَا تَكْشِفُ وَجْهَهَا فَهِيَ تَضَعُ مَا يُسَمَّى الطَّرْحَةَ حَوْلَ وَجْهِهَا، مُخْفِيَةً شَعْرَهَا، فَلَا يَظْهَرُ مِنْهَا سِوَى الْوَجْهِ الَّذِي لَا يَبْرُكُ قِيُودًا عَلَى إِنْصَارِهَا أَوْ كَلَامِهَا أَوْ يَمْنَعُ الْهَوَاءَ مِنَ الدُّخُولِ إِلَى رِئَتِهَا، وَحَتَّى تَكُونَ مِنَ النَّاحِيَةِ النَّفْسِيَّةِ قَادِرَةً عَلَى أَنْ تَحْكُمَ بِنَفْسِهَا عَلَى سُلُوكِيَّاتِهَا فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَتُوَكِّدَ قُوَّةَ شَخْصِيَّتِهَا وَإِرَادَتِهَا فِي مُوَاجَهَةِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ، فَيَرَى أَمَامَهُ حِجَابًا مِنَ الْعَفَافِ أَقْوَى مِنْ أَبْوَابِ الْحَدِيدِ،

وَسِتَارًا مِنَ الطُّهْرِ لَا تَنْفُذُ إِلَيْهِ السَّهَامُ الْفَاسِدَةُ، وَتَكُونُ قُدُوءً لِلْآخِرِيَّاتِ عَلَى الْحَصَانَةِ بِاللَّهِ.

وَكَمْ مِنَ الْمُتَحَجِّبَاتِ اللَّوَاتِي يَذُرْنَ فِي فَلَكِ الشَّيْطَانِ، وَكَمْ مِنَ اللَّاتِي يُسْفِرْنَ عَنْ وُجُوهِهِنَّ وَهُنَّ عَفِيفَاتُ!

إِنَّ لِلتَّرْبِيَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْمَنْزِلِ أَوْ الْمَدْرَسَةِ وَالْجَامِعَةِ دَوْرَهَا فِي رَفْعِ مُسْتَوَى الْوَعْيِ الْأَخْلَاقِيِّ بِقِيَمَةِ الْحَصَانَةِ لِلرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ، وَإِنَّ الدَّوْرَ الْأَهَمَّ هُوَ الرَّقِيبُ الدَّاخِلِيُّ فِي النَّفْسِ؛ قَالَ تَعَالَى: (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ)، فَمَنْ عَرَفَ خَوْفَ اللَّهِ فَسَيَخَافُ عَلَى مَحَارِمِهِ، وَمَنْ أَرَادَ الْجَنَّةَ اتَّقَى وَعَمِلَ بِالْهُدَى وَالرَّشَادِ، وَمَنْ أَرَادَ الضَّلَالَ وَعَمِلَ بِعَمَلِهِ فَعَلَيْهِ وَزُرُّهُ، وَسَوْفَ يَلْقَى ثُبُورًا وَيَصْلَى سَعِيرًا. وَلَيْسَ أَثْمُنُ مِنَ الشَّرَفِ وَالْكَرَامَةِ وَعُلُوِّ الْقَدْرِ لِلْإِنْسَانِ، وَمَنْ الَّذِي يَسْتَبْدِلُ الَّذِي هُوَ أَذْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَذْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ)؟ وَمَنْ يَنْظُرُ وَيَسْمَعُ عَنِ الْأَمْرَاضِ الْقَاتِلَةِ الَّتِي يَتَعَرَّضُ لَهَا الْمُجَاهِرُونَ بِالرَّذِيلَةِ، فَهِيَ تَعْظُهُ وَتَجْعَلُهُ يُفَكِّرُ فِي الْأَيْلَاقِ بِنَفْسِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ، فَعَلَيْنَا غَرَسَ الثَّقَةِ الْمُبْنِيَّةِ عَلَى تَعَالِيمِ الْقُرْآنِ وَتَحْصِينِ أَنْفُسِنَا وَأَبْنَائِنَا بِالْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَالْعِظَاتِ، وَالنُّصَحِ الْهَادِفِ الْقَائِمِ عَلَى اللَّطْفِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ.

مِنْ شِعْرِي: قَصِيدَةُ «نَسِيتُ السُّؤَالَ»،

دِيَوَانُ «الْمَرَايَا»

أَنَا أَهْوَى وَأَنْتَ تُبْدِي انْشِغَالًا
تَتَعَالَى، أَمَا كَفَاكَ اخْتِيَالًا؟!
وَرَبِّيعُ صَبَا إِلَيْكَ امْتِثَالًا
نُورَ اللَّيْلِ فَتْنَةً وَجَمَالًا؟
وَأَرَاهَا وَإِنْ تَوَارَتْ خِيَالًا
طَيْفُ حُسْنٍ بِوَجْهِهَا يَتَلَالًا
لَمْ يَزِدْهَا الْفُتُونُ إِلَّا كَمَالًا
وَتُرِينِي عَلَى السَّنِينَ الْمَلَالًا
وَتَنَاءَتْ عَنِ الْيَمِينِ شِمَالًا
زَادَ فِي الْخَفَقِ وَالْعُيُونُ ثَكَالِي
تُشْعِلُ الشُّوقَ فِي فُؤَادِي اشْتِعَالًا
أَتَسَاقِي النَّدَى شَهِيًا حَلَالًا
وَكِلَانًا غَدًا يَشْدُ الرَّحَالًا
يَقْتَفِينِي قَصَائِدًا وَمَقَالًا
ثُمَّ تَمْضِي وَمَا قَضَيْتُ مَنَالًا
بِسُؤَالٍ وَقَدْ نَسِيتُ السُّؤَالَ
رُبَّمَا أَصْبَحَ اللَّقَاءُ خِيَالًا

هَتَفَ الْقَلْبُ يَا حَبِيبًا تَعَالَى
تَتَلَهَّى بِلَهْفَتِي وَاخْتِرَاقِي
لَكَ سِحْرٌ مُطَرَّرٌ بِالْأَمَانِي
طِينَةٌ أَنْتَ مِثْلُنَا أَمْ بَرِيقُ
نَظَرَاتِي تَحُولُ إِثْرَ خُطَاهَا
أَبْدَعَ اللَّهُ خَلْقَهَا مِنْ بَهَاءِ
نَخْلَةٍ فِي حُقُولِ كُلِّ الصَّبَايَا
كَيْفَ أَغْدُو حَبِيبَهَا وَهِيَ تَنَائَى
قَدْ أَشَاحَتْ بِطَرْفِهَا عَنْ عُيُونِي
وَتَحَيَّرْتُ فِي هَوَاهَا وَقَلْبِي
كَيْفَ أَغْزُو فُؤَادَهَا وَالْأَمَانِي
مَا اخْتِيَالِي وَكَيْفَ يُشْرِقُ عُمْرِي
وَكِلَانًا عَنِ الدِّيَارِ غَرِيبُ
يَقْرَأُ الصُّبْحَ فِي يَدَيْهَا كِتَابُ
يَا لِحَظِّي تَكُونُ مِلءَ فُؤَادِي
أُحْفِزُ النَّفْسَ بِالْحَدِيثِ إِلَيْهَا
كَانَ مِيعَادُنَا الرَّحِيلُ، وَدَاعَا

عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ السَّلَامِ

تَسَلَّمْتُ بِيَدِ التَّقْدِيرِ وَالْإِعْتِزَالِ كَرِيمٍ رَفِدَ الْأُسْتَاذِ الدُّكْتُورِ عَاصِمِ حَمْدَانَ، كِتَابَ «أَشْجَانُ الشَّامِيَّةِ صُورٌ أَدَبِيَّةٌ لِمَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ» الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ عَامَ 1431 هـ - 2010 م، النَّاشِرُ مُلْتَقَى الْأَحْيَةِ بِمَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ، وَقَرَأْتُهُ فَوَجَدْتُهُ فِكْرًا مَاتِعًا وَقَلَمًا بَارِعًا وَتَارِيخًا صَادِقًا لِحَقِيقَةِ مَرَّتْ مِنْ أَعْمَارِ رِجَالِ أَفْذَاذٍ، سَطَرُوا بِأَخْلَاقِهِمُ الْعُلْيَا أَرْوَعَ الْمُثُلِ، وَتَرَكَوْا أَجْمَلَ السَّيْرِ، تَعَطَّرُ الزَّمَانُ وَالْمَكَانُ بِذِكْرَاهُمْ، فَكَانُوا الْقُدْوَةَ الْحَسَنَةَ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَالْحُبِّ وَالْوَفَاءِ، وَالْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ، رَانِدُهُمُ الدِّينُ، وَمُؤَدِّبُهُمُ قُدُوتُنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَقَائِدُهُمْ كِتَابٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، فَكَانُوا خَيْرَ خَلْفٍ لَخَيْرِ سَلَفٍ.

لَقَدْ أَسْلَمَنِي الدُّكْتُورُ عَاصِمٌ إِلَى السَّبْحِ بِالْخِيَالِ فِي مَاضٍ كَرِيمٍ عَزِيزٍ عَلَى نَفْسِي، وَصَوَّرَ لِي الزَّمَانَ الْمُنْصَرَمَ وَنَحْنُ نَجُوبُ تِلْكَ الْحَوَارِي وَالْأَزَقَّةَ وَنَمْتَلِي بِقُدْسِيَّةِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ وَنَسْتَأْفُ عُطُورَ الْكُعْبَةِ الْمُعْظَمَةِ، فَلِلَّهِ دَرُّهُ فَقَدْ أَعَادَنِي إِلَى الطُّفُولَةِ وَالشَّبَابِ حَتَّى نَسِيتُ أَنَّنِي فِي سَنِّ الْكُهُولَةِ أَقْضِي الْبَقِيَّةَ الْبَاقِيَةَ مِنَ الْعُمُرِ عَلَى أَطْلَالِ الذِّكْرِيَّاتِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي أَزْدَهَتْ بِالْوُدِّ وَالنِّفَاءِ وَالصِّفَاءِ مَعَ أَتْرَابِنَا وَأَحْبَابِنَا فِي أُمِّ الْقُرَى شَرَفَهَا اللَّهُ.

أَيُّهَا الصَّدِيقُ الْحَبِيبُ، إِنَّ كِتَابَكَ عَنْ ثَلَاثَةِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ وَعَنْ تَارِيخِهِمْ يُؤَكِّدُ أَنَّكَ الْمَكِّيُّ الْمَدَنِيُّ، فَلَنَا فِيكَ رَحِمٌ وَدِمَّةٌ كَمَا لَنَا فِي أَهْلِ مَكَّةَ حَرَسَهَا اللَّهُ رَحِمٌ وَدِمَّةٌ، فَمَنْ ذَكَرْتَهُمْ كَانُوا بَعْضًا مِنْ أُمَّةٍ وَشُعُوبٍ سَكَنْتْ مَكَّةَ عَبْرَ الْحَقِّ مُنْذُ الْعَمَالِيقِ وَجُرْهُمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكِنْدَةَ وَخُزَاعَةَ وَفُرَيْشَ، حَقَّ عَلَيْنَا ذِكْرُهُمْ وَهُمْ عَوَائِلُ أَفْضَلِ مِنْ آلِ الشَّيْبِيِّ، وَبَادُوِيلَانَ وَالرَّأَوَةَ، وَبَاهِبِرِي، وَبَنِ سَلْمَانَ، وَالْبَصْنَوِي وَالْفُودَةَ، وَالْخِيَاطَ وَمِنْكَابُو، وَالشَّتَّةَ، وَدُوكِي، وَبَنِ صَادِقٍ، وَشَرَبَاصِي، وَفَقِيهَا، وَالْخَلَاقِي، وَتَنْكَرَ، وَالْبَنَانِي، وَالْبُنْيَانِ، وَالْبَصْرِيِّ، وَعَبْدُ رَبِّهِ، وَالْدَاغِرِ، وَبَاجِرِي، وَبَاصِرَهُ، وَالشَّشَّةَ، وَالْفَرَانَ، وَالْكَثْبِيَّ، وَالْمُنْجِدَ، وَالْجُنْدِيَّ، وَالْعَنَانِيَّ، وَبَاحِيْدَرَهُ، وَالْأَوْرُقْلِيَّ، وَحَجْرَهُ، وَطَاهِرَ، وَخَدَاوَرْدِي، وَبَاجِنِدَ، وَالْبَصَّاصَ، وَالرَّكَّةَ، وَالْقَصَّاصَ، وَالْحَوَارِيَّ، وَصِدْقِي، وَالْدَنْدَرَاوِيَّ، وَنُجُومَ،

وَالْمَنْجُومِي، وَأَبُو قَايِد، وَالْيَتِيم، وَبَاسْكَرَانَ، وَعَنْبَر، وَالْكَسَّاب، وَالْجَرُوشِي، وَالْعِيدَرُوس، وَكَمَال، وَالْمَالِكِي، وَالْعَطَّاس، وَالْيَمَانِي، وَالْبَار، وَالْفَدْعَق، وَالْغَبْرَه، وَنَاصِرِينَ وَالْخُوج، وَالْعَاشُور، وَالْبِشَاوِرِي، وَبَرْقَه، وَجَمِيل، وَالْبَرَّاشِي، وَالْعَنْقَاوِي وَالْهَرَسَانِي، وَالْقَارِي، وَالْقُرْشِي، وَالْخَزَامِي، وَالْثُبَيْتِي، وَزَيْنِي، وَأُسْتَك، وَالسَّاسِي، وَالْبَرَكَاتِي، وَالْمَسْعُودِي، وَبْنُ صَالِح وَفَلْفَلَانَ، وَشَمْس، وَالْجَفَّال، وَالشُّلِّي، وَنَاصِرَه، وَالْفَقِي، وَقَلْعِي، وَالْقَزَّاز، وَخَطِيب، وَجَمَّال، وَهَنْدِيَه، وَعَرَب، وَالْكَشْمِيرِي، وَالنُّتُو، وَالْحَازِمِي، وَالْعِيَّادِ، وَالْحَمْلِي، وَالْجَاد، وَبِتَاوِي، وَالْعَطَّار، وَقَارَه، وَالسَّرْحَانَ، وَالْفَاسِي، وَأَبُو الْعَلَا، وَحَمْدَانَ، وَمِكْوَار، وَبَاكَدَادَه، وَأَبُو نَاصِف، وَعَلَّام، وَالْعُدَوَانِي، وَالْجِيلَانِي، وَالْمَطْرَفِي، وَالْيُوسُفِي، وَالْخَمْبِيشِي، وَعَبْدُ الْبَاقِي، وَعَبْدُ الْبَارِي، وَبَاصْفَار، وَالْقَرْقُور، وَطَبَّاحَه، وَتُورِي، وَالْخَطَّابِي، وَالْقَصَّاب، وَالْبَدْرِي، وَبَاصْبِرِينَ، وَالْجَمْبِي، وَالزَّقْزُق، وَالنَّقِيب، وَأَبُو رَاشِد، وَالْفَقِيَه، وَالْقَمَّاش، وَشَحَّاتَه، وَالطَّيِّب، وَالْمُؤْمَنَه، وَدَفْتَرْدَار، وَالشَّرَبْتَلِي، وَالْعَامُودِي، وَالْعَزَاوِي، وَالْمُحْضَر، وَاللَّمْفُون، وَالْبِنْتَن، وَالْجِسْتِنِيَه، وَالسُّنْدُوبِي، وَالْبَصْرَاوِي، وَاللَّنْجَاوِي وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَالْدَّيْب، وَالْقُدْس، وَدَرْدُوم، وَالْحَسَّانِي، وَحَمْدِي، وَأَبُو النَّجَا،

وَعَطَا إِيَّاس، وَالْيَعْمُور، وَأَنْدَرْقِيرِي، وَعَمَّاشَه، وَالْبُشْنَاق، وَالْمَنْصُورِي وَأَزْبَك، وَالشَّرِيحِي، وَزِيدَانَ، وَأَبُو نَار، وَالْقَرْمَلِي، وَفَدْعَق، وَالرَّمْل، وَكَرَام، وَالْإَدْرِيسِي، وَسِيَّام، وَابْنُ الْخَيْ، وَشَقْدَار، وَعَيْنُ الدِّين، وَالْهَابِط، وَكَنَانِي وَعَالِي، وَزَيْنُ الدِّين، وَوُهْيُو، وَمَعْبَر، وَالْأَشْعَرِي، وَاسْكَندَر، وَالْفَخْرَانِي وَعَرِيَجَه، وَالْمِنِّيَعِي، وَزَعَزُوع، وَالصَّفُورِي، وَالْقَبَّانِي، وَأَمَانَ، وَعِيدَانَ، وَالْمَلَا، وَالْكَابِلِي، وَإِسْلَام، وَشَاوُوش، وَالْبَيْطَار، وَبَاخْطَمَه، وَالْخَفَّاجِي، وَالْمَرِيَعَانِي وَالْدُّوش، وَالْخُوجَه، وَعَبْدُ الْجَبَّار، وَالصَّدِيقِي، وَعَفَّان، وَبِالْخَيْر، وَالزَّمْخَشَرِي، وَالصَّبَّان، وَالسُّنْدِي، وَالزُّبَيْدِي، وَالسَّقْطِي، وَالرَّوَّاسِ، وَالْعَبَّاسِي، وَالْكَلَنْتَن، وَاللَّبَّان، وَالْعَطْرَجِي، وَالْجَبْرِ، وَهَلَال، وَالسَّقَّاط، وَبَلِيلَه، وَكَامِل، وَالْحَارِثِي، وَبَاشْرَاحِيل، وَالْغَبَّاشِي، وَأَبُو الْخَيْر، وَالسَّمْبَس وَالْمِيرَا، وَخَيْرُو، وَالْجَوْهَرَجِي، وَكُتُبُ خَانَه، وَالْحَضْرَاوِي، وَالرَّفَاعِي وَالْعَسَّاس، وَالْبُو، وَالْمَطْيُورِي، وَأَبُو الرِّيش، وَإِسْمَاعِيل، وَالصَّايغ، وَبَدْر، وَالْحَنَاوِي، وَعَبْدُ الْمَجِيد، وَالْخَزَاعِي، وَالنَّبَّاتِي، وَالْدَّمِيَّاطِي، وَالرَّفَقَه، وَالْفَلَّالِي، وَالْأَكْبَر، وَسُبُّل، وَبَاسْطِل، وَالْعَزُولِي، وَتِجَارُ الشَّاهِي، وَشَابْنَهَاي وَالشَّيْت، وَالْهِنْدِي، وَعَبْدُ الْغُفُور، وَالْمَرْزُوقِي، وَالطَّلَاقِي، وَالْمَكِي، وَسَالِم، وَالْهَلِيكَه، وَالسَّرْتِي، وَشِهَابِ وَبَاشِهَاب،

وَالدَّاعِغَسْتَانِي، وَبَابِقِي، وَالْبُوشِي وَالْجَاوَا، وَالْهَوَّارِي، وَالرَّاشِد، وَشَيْخ، وَعَطْرَجِي، وَالطَّفْرَان،
وَالْمِسْكِ، وَالْدُّوِيرِي، وَالْجَبَلِي، وَالْجَعْلِي، وَبَاتُوبَارَه، وَبَاسْنَان، وَالْعِيُونِي، وَحَمَزَه،
وَالْعُمَرِي، وَأَبُو الشَّامَات وَالشَّاولِي، وَحَسَنَيْن، وَقُرْنُقَلَه، وَالصَّعِيدِي، وَمَحْمُود، وَعَزُّوزُ،
وَالْعَسَال، وَاللَّبْنِي، وَالْعَرَبِي، وَحَمَادَه، وَالْمَرْزُوقِي، وَجَمَل اللَّيْلِ، وَالْمَرْحُومِي، وَالْدَّخَان،
وَالشُّنْكَي، وَالْمَلْطَانِي، وَالْكَندَوَانِي، وَالْفَادِنِ وَالطَّس، وَالْعَرَبِي، وَالْكَسَّار، وَبْنُ صَدِّيقِ،
وَالدُّوبِي، وَصَحْرَه، وَالْعَطَّاس، وَالسَّوَّاس، وَالْفَيْرُوزِي، وَالْبَرَّاشِي، وَالْمَرْقُوشِي، وَالْبَحْه،
وَفَكِيرَه، وَالسَّمْكِرِي، وَالْأَخْضَر، وَالْمَسَاوَا، وَطَلَبَه، وَالْبُنْدُقْجِي، وَزَارِع، وَالصَّفَر، وَبَلْجُون،
وَأَبْرَاهِيم أَحْمَد، وَالضَّعِيف، وَالزِّيَادِي، وَالزِّيَادِي، وَالْكُوسَه، وَالْكَبْكَبِي، وَالْعُمَيْرِي،
وَزَيْن الْعَابِدِينَ، وَالتَّرِيدِي، وَجَحْدَار، وَالدَّيْمِي، وَالصَّمَانِي، وَالرَّيْشِي، وَالْجَمَل، وَالطَّبَّاع،
وَالسَّعْدَاوِي، وَالْمِيرَاجِي، وَالْغَبَان، وَصَلَوَاتِي، وَالشَّرْبِينِي، وَمَغْرَبِي، وَعَبْد الشُّكُور، وَعَبْدُ
السَّلَام، وَالْبُوقْرِي، وَالْعَطَّار، وَالْبَحَّارِي، وَالسَّمْبَاوَا، وَالبَّانَه، وَالْعَبَادَلَه، وَخَان، وَالْعَبَّادِي،
وَالدَّهْلَوِي، وَالصَّبْغَه، وَكَرْكَدَان، وَالسَّمْنُودِي، وَمُرَاد، وَبَاجُودَه، وَسَلَامَه، وَالصَّبَّاع،
وَالْهَذَلِي، وَالْبَرْنَجِي، وَالْوَزْنَه، وَمَارْدِينِي، وَبَازَرْعَه، وَحَافِظ، وَأَرْبَعِينَ، وَالْحَضْرَمِي،
وَالْمَنْدِيلِي، وَالصَّلِيمِي، وَالْأَزْهَرِي، وَبَانِيَلَه، وَالطَّرَابُلْسِي، وَالنَّاصِرِي، وَأَبُو سُلَيْمَانَ،
وَالسَّقَّاف، وَالْمُجَلِّد، وَالْبَاز، وَالْعَبَّاسِي، وَالْقُبُورِي، وَالْفَرَّاش، وَالنَّقَّاش، وَنُوح، وَالْحَبَّابِي،
وَالْجَنَابِي، وَعَقِيل، وَالْمِنْشَاوِي، وَالْمُؤَذِّن، وَالطَّوِيلِي، وَالْأَهْدَل، وَالْأَسْرَه، وَالزُّرْد،
وَالْعَرِيف، وَبَا مُصْفَر، وَبَصْفَر، وَالْجَوَّانَه، وَالْبَنْجَر، وَالْمَشَّاط، وَالْقَارَه، وَالْعُمَرِي،
وَالْعُمَرَاوِي، وَالسَّاعَاتِي، وَبَايَزِيد، وَالْعَشِّي، وَمَعْتُوق، وَخَاطِر، وَالْمَضْرِي، وَشَافِعِي،
وَالشُّلِّي، وَالزَّمْزَمِي، وَالْمَطَاوِع، وَقُطْب، وَالْعِرَاقِي، وَتُفَّاحَه، وَالْبَقْرِي، وَالْعَرَبِي، وَالْوَزَّان،
وَالسُّلْطَان، وَالنَّصِير، وَبَايَزِيد، وَبَهَادِر، وَالسَّجِينِي، وَالْبَصِيرِي، وَالْبَصِير، وَالْأَزْرَق،
وَالتُّرْكِي، وَالرَّمْضَانِي، وَالْعَسَلِي، وَالْجِيلَانِي، وَالْمَرْغَلَانِي، وَالنَّائِيَه، وَالْعَابِد، وَالْمَرْوَعِي،
وَالْعَلَّاف وَالْجَدْر، وَالْخَبِيرِي، وَالْيَارْكَنْدِي، وَآل زَيْد، وَالْأَحْمَدِي، وَالْمَجْدَلِي، وَبَخْش،
وَبَا مَعْرُوف، وَالْغَسَّال، وَأَبُو رِيَّاش، وَالْبَالُطُو، وَالْحَجَّازِي، وَبَانَاغَمَه، وَالْدَّخْلَان، وَرَحْمَه
اللَّهِ، وَالْكَوْشَك، وَخَلِيفَه، وَعِيَاد، وَالْكَشْغَرِي، وَالنَّقِيطِي، وَالْفَرْشُوطِي، وَالْبَاشَا، وَالْبَيَّارِي،
وَكَرِيمَه، وَالْمِلْيَارِي، وَالْأَشِي، وَالسَّنُوسِي، وَالْخَزَنْدَار، وَنَائِبُ الْحَرَم، وَالنَّاقُور،
وَالْخُصِيفَان، وَالسَّمَّان، وَالْدَمَنْهَوْرِي، وَالْحَرِيرِي، وَالسُّلَيْمَانِي، وَالْعُلُونِي، وَالْمِلْيَانِي،

وَالْحَوِيتَ، وَالْخَوَاجَةِ، وَالْكَلْكَلَاوِي، وَالْكَعْكَعِي، وَعَدَسَ، وَسَمْسِمَ، وَقَطَّانَ، وَسَفَرَ، وَأَبُو
لَبَنَ، وَالْعِيَّاشِي، وَالْفَتْنِي، وَالِدِّينِي، وَالرُّبُوعِي، وَأَشْمُونِي وَالْمِرْدَادَ، وَحُرَيْبَ، وَظَفَرَ،
وَالْقُدْسِي، وَالِدِّينِي، وَرَاشِدَ، وَالرَّهْبِينِي وَالْحَشِيفَاتِي، وَالرَّفِيعَ، وَالْفَارِسِي، وَالْمَعَاجِينِي،
وَبَكْرَ، وَالرَّشِيدِي وَالرَّبَّانَ، وَالْمُوصِلِي، وَالْحَلَوَانِي، وَالْقَنْقَ، وَالصَّلَوَاتِي، وَالسَّابِقَ، وَجَلَّالَ
وَالصَّرِيفِي، وَغَلَامَ، وَيَنْفَعَ، وَالصَّيْفِي، وَأَبُو غَلِيَّةَ، وَالتُّونِسِي، وَالْحُسَيْنِي، وَالْبَانِي، وَقَاسِمَ،
وَالْبَاتِي، وَالْمَجْنُونِي، وَاللَّهْبِي، وَالْحَرْبِي، وَاللَّحْيَانِي، وَالْمُدِيرَ، وَالرَّاضِي، وَالْخَيْمِي،
وَالْفُطَانِي، وَالْجَانَ، وَالْحَبَابِي، وَعَبْدُ التَّوَابِ، وَالتَّوَابَ، وَعَنْدُورَهُ، وَمَنْدُورَهُ، وَعَقْلَ،
وَحُونْدَنَهُ، وَالشَّطَّاءَ، وَالْحَرَّازِي، وَالتَّقَادِي، وَالْبِلَادِي، وَالْجَبَلِي، وَالْخَرَّازَ، وَالْحَدَّادَ،
وَالْمُصَلِّي، وَالرَّفَاعِي، وَالْمَرْبِيعِي، وَالنَّاصِرِي، وَالْحَجِّي، وَالْعَوْلَقِي، وَبَاجِرِي، وَالْبَدَوِي،
وَالْكَسَّارَةَ، وَالْمَطَرَ، وَالْمُتَقِيمَ، وَمَخْدُومَ، وَالرُّوزِي، وَالتَّقَشْبَنْدِي، وَغَلَمَانَ، وَالْفَتْنِي،
وَالْمُفْتِي، وَالْمُضْمُومَ، وَسَيْفِ الدِّينَ، وَدَشِيشَةَ، وَالْقَاضِي، وَالْإِنْدِيجَانِي، وَالْجِبَالِي،
وَالْمِمْنِي، وَالْحَبَشِي، وَالْمُعَلِّمَ، وَالْأَزْهَرَ، وَالسَّمَرَقَنْدِي، وَالصُّوفِي وَالصَّوَّافَ، وَأَبُو خَشِيَّةَ
وَالْمُكَوَاوِي، وَكَاتِبَ، وَرَضَا، وَالرُّمَّانِي، وَمَيْمَشَ وَكَسْمِي، وَرَمْبُو، وَمُرْسِيلَ، وَأُولِيَا، وَوَزَقَرَ
وَالدَّهَانَ، وَأَبُو شَنْبَ، وَالْمُزَيْنَ وَالصَّفْتَةَ، وَالْجَفْرِي، وَالسَّبْهَانِي، وَالذُّومَ، وَالْأَمْبَةَ، وَالْحَلْبِي،
وَالشَّامِي. وَعَطِيَّةَ، وَبَرَاجَهُ، وَمَعْجُونَ، وَبَانْخَرَ، وَبَا بَحِيرَ، وَالرَّيْسَ، وَالْبَجِيرِي، وَشَاهِينَ،
وَالْعَصِيْمِي، وَالْبَنَائِي، وَاللَّنْقَا، وَالْبَدْرِي، وَالتَّقِي، وَشَلْهُوبَ، وَالْخَضْرِي، وَالسَّقَّا، وَنُورَ
إِلَهِي، وَالْمِرْزَا، وَلَحْظَةَ، وَبَاوَزِيرَ، وَبَاحْوَيْرْثَ، وَعَبْدُ الْمَنَانِ، وَالْقَلْعِي، وَسِرَاجَ بَكْرَ،
وَالْبَغْدَادِي، وَنَضَرَ، وَالنَّهَارِي، وَشَافِعِي، وَفَدَا، وَالْحَدِيدِي، وَالْأَمِينَ وَيُوسُفَ، وَالشَّعَّارَ،
وَالْأَشْقَرَ، وَالْفَتَّةَ، وَالْمُنْجَفَ، وَبَا يُوسُفَ، وَالزَّوَاوِي، وَالنُّورِي، وَقَارُوتَ، وَالشَّبْرَاوِشِي،
وَالْأَقَّةَ، وَالسَّبْحِي، وَأَبُو حَمَامَةَ، وَالْحَابِسَ، وَالنَّقْلِي، وَأَبُو زَيْبَةَ، وَالشُّكُورِي، وَعَارِفَ،
وَقَامَةَ، وَالْعَادَةَ، وَالْغَمْرِي، وَالْمِرْغَنِي، وَالْفَرَشُوطِي، وَخُوقِيرَ، وَالْعَرِيقُوسَ، وَطَاشْكَنْدِي،
وَظَفَرَ، وَبَنَ ظَافِرَ، وَعَالِمَ، وَحَمُوهَ، وَغُنَيْمَ، وَفَدَعَقَ، وَالصَّحَّافَ، وَشَبَانَةَ، وَمُبَارَكَ،
وَالْبُسَيْوْنِي، وَالشَّاطِرَ، وَبَاسَلَامَةَ، وَالسُّرُوجِي، وَسَلَامَةَ، وَعَوْضَ، وَالْمَالَ، وَالرَّضْوَانَ،
وَطَلَبَ، وَمَلَائِكَةَ، وَزَرِينَ، وَالطَّفَ، وَعِنَايَةَ. وَالذُّوكِي، وَبَنُونَةَ، وَبَاحَاَجَ، وَالْهَطِيلَ،
وَالصُّخَيْرِي، وَبَنَانِي، وَدِزَارَ، وَبَادِيَبَ، وَبُوسَيْطَ، وَالرَّيْمِي، وَالشَّبْلِي، وَالنَّجَارَ، وَمَظْلُومَ،
وَالْكُسْنَائِي، وَكَدَرِ جَانَ، وَمَدْنِي، وَالسَّادَةَ، وَحُسَيْنِي، وَنَحَّاسَ، وَالْحُسَيْنِي، وَالشَّاكِرِي،

وَفَاضِلٌ، وَمِرْجَاجِي، وَعَقَّابٌ، وَالْفَيُّ، وَبَاقَازِي، وَبَاقَاسِي، وَسَرْتِي، وَفَلَمْبَانٌ، وَالْكَرْدِي،
وَالْكَدْبُوي، وَلَاَمِي، وَسُرُورٌ، وَعَفُورِي، وَشَلْضُومٌ، وَمَهْيُوبٌ، وَأَمَجْدٌ، وَقَسْتِي، وَمُجَدِّدِي،
وَأَوَانٌ، وَمَدَّاحٌ، وَجَاهَا، وَقَمْلُو، وَبَكَّة، وَمَدَدِينٌ، وَعَلَّافٌ، وَعَلَّامٌ، وَالْجَوْهَرِي، وَجَوْهَرَجِي،
وَمَطَرٌ، وَكَمْفَرٌ، وَكَنُو، وَغَنَّامٌ، وَعَجَبَةٌ، وَعِزَّتٌ وَالْبَيْشِي، وَرَشِيدِي، وَالسَّيْدُ، وَعَبْدُ الْمَجِيدِ،
وَشَفِي، وَأَبُو حَمِيدِي، وَخُضْرِي، وَعَبَّادِي، وَجَنَادِي، وَكَالُو، وَبَاقَادِر، وَقُرْبَانٌ، وَبَاجَمَالٌ،
وَبَيْلَا، وَسَحْلُولٌ، وَعَبْدُ الْمَاجِدِ، وَنَشَّارٌ، وَتَمَّارٌ، وَتَمَّرَانٌ، وَشَرَفٌ، وَبَاحْمِيشٌ، وَمَحْسُونٌ،
وَالسُّلَيْمَانِي، وَوَفَا، وَبَاحَاوِي، وَجَانَّشَاه، وَبَرْقَاوِي، وَوَقَّاصٌ، وَحَبِيبٌ، وَنِيَّازِي، وَرَجَبٌ،
وَوَهْبُو، وَحَكَمِي، وَشِينَاوِي، وَمَقَادِمِي، وَالْعَمِيرِي، وَالزُّوْبَهْرِي، وَالسُّوَيْهَرِي، وَالْفَنَّاوِي،
وَالْقَتَّامِي، وَالْعَتَيْبِي، وَجَمْدَارٌ وَبَاحْمَدِينٌ، وَأَبُو نَوَّاسٌ، وَعَبْدُ الْحَلِيمِ، وَعَطُودَةٌ، وَخَاطِرٌ،
وَالشَّلْبِي، وَإِمَامٌ، وَعَشْمُونِي وَدَعَجَانِي، وَسَبَّكَ، وَمُخْلِصٌ، وَبَاجَابِرٌ، وَنَتُو، وَأُسْطَى،
وَالْجُونِي، وَلَالٌ، وَعَبْدُ السَّلَامِ، وَمُرْشِدٌ، وَزَعْفَرَانِي، وَالسَّرَّاجُ، وَتَرَنْقَانُو، وَمُرْسِي، وَتَوَفِيقٌ،
وَبَسْطَجِي، وَفِيْزُو، وَفَوَّالٌ وَسَابٌ، وَالرَّكَّة، وَأَكْرَمٌ، وَبَنْجَابِي، وَبَرَادِعِي، وَسَنَارِي، وَبَابْرُوكٌ،
وَعِيدٌ، وَصَادِقٌ، وَطَيْبَةٌ، وَبَاقِيَه، وَالرَّمَّالُ، وَحَنْفِي، وَمَغْبِي، وَالْبَرْذَيْسِي، وَمَطْهَرٌ مُحْجُوبٌ،
وَحَتْحُوتٌ وَالنَّاقِرُو وَمُدْهَرٌ، وَبَادَحْدَحٌ، وَمِحْضَارٌ، وَبَارُومٌ، وَهَدَاوِي، وَبَشِيتٌ، وَالشِّيمِي،
وَمِطْبَقَانِي، وَالْدَبَّاعُ، وَالصُّمَيْلَانُ، وَأَبُو نَعِي، وَبَحِيرِي، وَعَسْكَرٌ، وَالْجَلُودَةُ، وَبَتَاوِي،
وَالسَّخَاخِنِي، وَفَيْرَقٌ، وَهَاشِمٌ، وَعَقَّادٌ وَالشَّهَاوِي، وَعَلُوشٌ، وَأُولِيَا، وَصَابِرٌ، وَعَجَّاجٌ،
وَالدَّعُوجِي، وَأَبُوغَزَالَةَ، وَسَحْرَتِي، وَالْعَجِيمِي، وَالرَّبْعِي، وَصَبْرِي، وَالصَّنْقُورَةُ، وَالْقَفَّاصُ،
وَفَيْرَقٌ، وَالبَّي.

هَذَا مَا جَادَتْ بِهِ الذَّاكِرَةُ، وَعُذْرِي لِمَنْ نَسِيتُ مِنْ بَيُوتَاتِ أَهْلِ مَكَّةَ الْكَثِيرَةِ وَالْكَبِيرَةِ،
فَهُمْ أَهْلُنَا، كَمَا أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَجَمِيعَ أَتْنَاءِ الْمَمْلَكَةِ هُمْ أَهْلُنَا وَأَحِبَّاؤُنَا، رَحِمَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ
مِنْهُمْ، وَحَفِظَ اللَّهُ الْبَقِيَّةَ الصَّالِحَةَ مِنَ الصَّفْوَةِ الْمَاجِدَةِ.

فَهُؤُلَاءِ بَعْضُ مِنَ الْكُوَاكِبِ الْمَكِّيَّةِ، وَلَقَدْ صَنَعَ خَيْرًا أَخِي الْحَبِيبُ الشَّيْخُ عَبْدُ الْحَمِيدِ
كَاتِبُ، الصَّدِيقُ الْمَكِّيُّ الْوَفِيُّ، بِإِعَادَةِ طِبَاعَةِ ذَلِكَ الْكِتَابِ، وَلَوْ أَنِّي أَتَمَّنِي أَنْ يَكُونَ مِثْلُ
هَذَا الْعَمَلِ شُمُولِيًّا عَنْ تَارِيخِ مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ وَأَبْنَائِهَا إِلَى هَذَا الْوَقْتِ الْمُعَاصِرِ، فَالْشَّيْخُ
عَبْدُ الْحَمِيدِ أَحَدُ أَتْنَاءِ مَكَّةَ الصَّادِقِينَ فِي الْحُبِّ وَالْوَفَاءِ لِأَهْلِهِ وَمُحِبِّهِ، وَلَهُ فِي نَفْسِي

رَفِيعُ الْقَدْرِ وَالْقِيَمَةِ لَمَّا أَعْرِفُهُ عَنْهُ مِنْ صِفَاتِ إِسْلَامِيَّةٍ وَإِنْسَانِيَّةٍ تَجْعَلُهُ فِي مَصَافِّ النُّبَلَاءِ وَالْفَضَلَاءِ.

وَتَجْدُرُ بِنَا الْإِشَارَةُ إِلَى تِلْكَ الْمَوْسُوعَةِ الضَّخْمَةِ الَّتِي قَدَّمَهَا الْأُسْتَاذُ عَبْدُ اللَّهِ أَبُكَرَ عَنِ الْأَسْرِ الْمَكِّيَّةِ، فَكَانَ عَمَلًا مَشْكُورًا جَهْدَ فِيهِ الْمُؤَلَّفُ لِيَكُونَ مَرْجِعًا لَا يُسْتَغْنَى عَنْهُ عَلَى مَدَى التَّارِيخِ، وَقَدْ أوردَ الدُّكْتُورُ ذَلِكَ الْبَيْتَ مِنَ الشُّعْرِ:

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحُجُونِ إِلَى الصَّفَا أَنَيْسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرٌ
وَأُحْيِكَ عَلَى بَيْتِ شِعْرِ الْجُرْهُمِيِّ مَلِكِ مَكَّةَ الَّذِي تَرَوِّجُ مِنْهُمْ نَبِيَّ اللَّهِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ يَقُولُ:

بَلَى نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَأَبَادَنَا صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودُ الْعَوَاشِرُ
وَأِنْ كَانَ فِي الْقَصِيدَةِ شَكٌّ أَنَّهَا لِلْمَلِكِ الْجُرْهُمِيِّ، وَلَكِنَّا نَسْأَلُ الْيَوْمَ أَيْنَ أَهْلُ مَكَّةَ
الْأَصْلَاءُ بَعْدَ أَنْ تَفَرَّقُوا شَذَرَ مَذَرَ، وَاخْتَلَطَ الْحَابِلُ بِالنَّابِلِ، وَلَمْ يَعُودُوا كَمَا كَانُوا مُتَوَاصِلِينَ
يَجْمَعُهُمُ الْحُبُّ وَالْإِحْسَانُ وَالسَّمَاحُ وَالْإِيثَارُ وَالْبِرُّ، وَلَكِنَّهَا الْحَيَاةُ لَا تَدُومُ عَلَى حَالٍ،
وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوَلَهَا بَيْنَ النَّاسِ).

وَلَكُمْ كُنْتُ أَتَمَنَّى أَنْ يُنْشِئَ أَبْنَاءُ مَكَّةَ صُنْدُوقًا خَيْرِيًّا وَقَفِيًّا لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَرْضَى وَالْمُعْسِرِينَ
وَالْيَتَامَى، يُسَهِّمُ كُلُّ مَنْ يُرِيدُ بِمَبْلَغٍ مِنَ الْمَالِ سَنَوِيًّا، وَيَتِمُّ تَشْكِيلُ لَجْنَةٍ لَهُ مِنَ الْمُخْلِصِينَ،
وَذَلِكَ لِإِعَانَةِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَرْضَى، وَتَتَّخِذُ الطَّرِيقَ النَّظَامِيَّةَ لِإِنْشَاءِ مَشَارِيعَ عَقَارِيَّةٍ، تُدْرُ مِنْ
رَبْعِهَا عَلَى مَنْ ذَكَرْتُ، وَتَكُونُ لِمَنْ أَرَادَ الْخَيْرَ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالصَّدَقَةِ الْجَارِيَةِ الَّتِي
يَنْتَفِعُ بِهَا الْمُسْلِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى سَيِّدِي رَسُولِ الْهُدَى مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ
اللَّهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

وَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

أُولَئِكَ آبَائِي فَجِئَنِي بِمِثْلِهِمْ إِذَا جَمَعْتَنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعِ



نُصُوصٌ فِي الْفِكْرِ وَالثَّقَافَةِ وَالاجْتِمَاعِ



إهداء

إلى أمتي العربية والإسلامية...



كِتَابُ الزَّمَانِ

اضْحَكْ فِي وَجْهِ الزَّمَانِ، ضَحْكَةً السَّاحِرِ مِنَ الْبُهْتَانِ، وَأَطْلِقِ الْعَنَانَ لِخُيُولِ ضَمِيرِكَ
أَنْ تَجُوبَ مَدَائِنَ الْأَرْضِ؛ لَتَجِدَ فِيهَا مِنْ كُلِّ عَذَابٍ وَهَوَانٍ، وَمَسَقَّةٍ وَظُلْمٍ وَبَاسٍ وَالْأَمِ
وَأَشْجَانٍ، وَأَشْكَالٍ وَالْوَانِ، تُعْزِيكَ عَنْ بُلُوكَ، وَتُغْنِيكَ عَنْ شُكُوكَ، وَتَتَغَلَّبُ بِالسُّلُوانِ
عَلَى دُنْيَاكَ.

حَازِرِ النِّقْمَةِ وَالْإِنْتِقَامِ مِنَ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ، لِأَنَّهُ كُفِرَ بِالرِّضَا، وَخَسَارَةٌ مُضَاعَفَةٌ. فَإِذَا
ضَاعَتِ الدُّنْيَا فَلَا تُضَيِّعُ الْآخِرَةَ مِنْكَ، فَأَنْتَ لَا تَدْرِي خَيْرَكَ فِي أَيِّ الدَّارَيْنِ، وَحِينَ
يَتِمَلِّكَ الْيَأْسُ وَالضُّجُرُ، تَذَكَّرِ الْعَافِيَةَ فَلَيْسَ يَعْدِلُهَا شَيْءٌ غَلَا؛ فَبِالصَّحَّةِ رَأَيْتَ الْمُغْنِي
عَنِ السُّوَالِ وَأَنْتَ الْغَنِيُّ بِالْعَمَلِ وَالنَّوَالِ. وَإِذَا احْتَكَمْتَ إِلَى الْحِكْمَةِ تَرَى أَنَّكَ وَأَغْنَى
الْأَغْنِيَاءِ سَوَاءٌ؛ لَا يَزِيدُ عَلَى أَكْلِكَ إِذَا أَكَلَ، وَلَا شُرْبِكَ إِذَا شَرِبَ، وَلَا لِبْسِكَ إِذَا لَبَسَ،
إِلَّا بِقَدْرِ الْوَهْمِ، وَالْأَمْوَالِ مَا هِيَ إِلَّا أَرْقَامٌ مُودَعَةٌ فِي الْبُنُوكِ، مِنْهَا الْحَرَامُ الَّذِي يَجْلِبُ
الشَّقَاءَ وَالْعَذَابَ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ مَجْلَبَةٌ لِلْهَلَاكِ فِي الْآخِرَةِ. اعْمَلْ وَلَا تَكِلْ وَلَا تَمَلْ وَلَا
تَكْسَلْ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ؛ تَعِشْ هَانِي النَّفْسِ مُرْتَاحِ الْبَالِ وَالضَّمِيرِ، وَلَا تَعُدْ عَيْنُكَ
إِلَى نَصِيبِ الْآخَرِينَ، فَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ أَيْعِيشُونَ سُعُودًا أَمْ نُحُوسًا، فَلَا تَخْدَعَكَ الْمَظَاهِرُ
عَنِ الدَّخَائِلِ، فَرُبَّمَا أَنْتَ فِي حَالٍ تُحْسَدُ عَلَيْهَا مِنَ الْغَيْرِ، وَتَكْفِيكَ سَلَامَةُ نَفْسِكَ وَسَلَامَةُ
أَبْنَائِكَ وَسَلَامَةُ دِينِكَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ.

لَا تَنْشَغِلْ بِالذَّاتِ إِلَّا فِي الطَّاعَةِ وَالْعَمَلِ، وَلَا تَنْسَ أَنْ تَكْتُبَ اسْمَكَ فِي كِتَابِ الزَّمَانِ،
بِمَا يَثْرُكَ لَكَ حُسْنُ الذِّكْرِ وَفَخْرُ الْأَبْنَاءِ وَالنَّبْلِ، وَارْسُمْ عَلَى خَرِيطَةِ الْحَيَاةِ صُورَةَ مَجْدِكَ
بِمَا يُبْدِعُهُ فِكْرُكَ، وَكُنْ رَقْمًا، وَلَا تَكُنْ صِفْرًا، وَكَأَنَّكَ دَخَلْتَ وَخَرَجْتَ فَلَمْ تُحْدِثْ أَثْرًا
يَشْهَدُ لَكَ بِهِ الزَّمَانُ.

مَدَّ يَدَكَ بِالْخَيْرِ وَالْكَرَمِ، وَلَا تَضِنَّ بِهَا عَنْ عُسْرِ الْمَعْسُورِ، وَابْذُلْ لِلضَّعِيفِ وَالْفَقِيرِ
وَالْمُسْكِينِ؛ فَإِنَّ سَعَادَتَكَ تَكْمُنُ فِي إِقَالَةِ عَثَرَاتِهِمْ. وَضَعْ الْبَسْمَةَ عَلَى شِفَاهِ الْحَيَارَى
وَالْمَحْزُونِينَ؛ تَعِشْ مُبْتَسِمًا مَا حَيَّيتَ، وَتَعَالَ مَعِيَ نَسْأَلُ الْحَيَاةَ عَنْ مَقْصِدِهَا وَشُؤْنِهَا،
وَكَيْفَ أَنَّهَا تَبْدُلُ الْمُحِثِينَ، وَكَيْفَ تُغَيِّرُ النُّفُوسَ، عِنْدَمَا سَأَلْتُهَا أَجَابَتْنِي: لَقَدْ أَحْسَنْتَ الظَّنَّ

بِي أَيُّهَا الطَّيِّبُ الْغَرِيبُ الْبَرِيءُ، وَلَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ أَنَّي أُقَلِّبُ الْقُلُوبَ، وَأَجْلِبُ الذُّنُوبَ، وَأُنَكِّبُ
عَنِ الدُّرُوبِ، فَإِذَا خَابَ ظَنُّكَ بِي الْيَوْمَ فَإِنَّ طَبْعِي أَنْ أُخَيِّبَ ظَنَّ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ،
فَحِينَ ابْتَسِمَ لَكَ يَجِبُ أَنْ تَحْذَرَ، وَعِنْدَمَا أُعْطِيَ فَأَعْلَمُ أَنَّي أُسْتَرَّدُّ مَا أُعْطِيتُ، فَلَا وَفَاءَ
لِي وَلَا حُبَّ عِنْدِي، وَلَا شَفَقَةَ لَدَيَّ، ذَنْبُكَ أَنْكَ لَمْ تَعْرِفْنِي، فَوَقَعْتَ بِحُسْنِ ظَنِّكَ فِي سُوءِ
فِعْلِي، وَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَأْمَنَنِي، فَأَنَا الْحَيَاءُ، لَا أَمَانَ لِي وَلَا عَهْدَ عِنْدِي، فَاشْرَبْ مِنْ كُؤُوسِي
دَهَاقًا، وَمُرًّا وَالْمَاءَ، وَلَا تَتَعَلَّلْ بِالصَّبْرِ وَلَا حَمَلْتِكَ عَلَى نُعُوشِي إِلَى أَعْمَاقِ الرَّمَسِ، هَكَذَا
أَظُنُّكَ عَرَفْتَنِي، فَتَعَزَّ بِالْوَحْدَةِ، وَاسْتَأْنِسْ بِالْخُلُوةِ إِلَى نَفْسِكَ، وَازْهَدْ فِي النَّاسِ، وَتَجَلَّدْ
عَلَى الْبَاسِ، وَلَا تَأْمَلْ بِالنُّذُورِ، فَأَنَا قَاطِعَةُ السُّرُورِ، وَهَادِمَةُ الْجُسُورِ، وَقَاصِمَةُ الظُّهُورِ.
وَابْتَعِدْ عَنِّي تَأْمَنَ شَرِّي، فَإِنْ اقْتَرَبْتَ مِنِّي أَذَقْتُكَ وَيْلَاتِ الْأُمُورِ، وَالْهُوْلَ وَالشُّبُورَ؛ فَلَا
تُصَدِّقْ أَنَّي أَرْضَى الصَّدِيقَ لِلصَّدِيقِ، وَلَا الرَّفِيقَ لِلرَّفِيقِ، فَمَا تَرَاهُ الْيَوْمَ هُوَ حَقِيقَتِي الَّتِي
غَفَلْتَ عَنْهَا، فَأَنَا الشُّقُوءُ، وَالنُّزُوءُ، وَالْقَسُوءُ، فَإِنْ اتَّبَعْتَ هَوَايَ أَكُنْ لَكَ الْخَادِمَةَ، وَإِنْ
اعْتَنَقْتَ ضَلَالَاتِي أَحْفَكَ بِالنُّعْمَى، وَإِنْ سَعَيْتَ بِسَوَاتِي رَفَعْتُكَ كَالنَّجْمَةِ. وَلَكِنْ فِي كُلِّ
الْأَحْوَالِ أُسْقِطُكَ عِنْدَ شُعُورِكَ بِاللَّذَّةِ، وَأُخَيِّبُكَ بِالْحَسْرَةِ، ثُمَّ أُورِدُكَ قَبْرًا مُظْلِمًا مُوَحِّشًا،
فَاحْذَرْ مِنِّي؛ تَأْمَنَ فِتْنَتِي وَنِقَمَتِي، وَتَفُزْ بِحُسْنِ الْعَاقِبَةِ.

الْأَصَالَةُ

الْكَتَابَاتُ بِالنَّشْرِ الْمُبْدِعِ أَوْ النَّشْرِ الْمَصَوِّرِ أَوْ النَّشْرِ الْخَارِقِ. يَذْهَبُ الدُّكْتُورُ الْبَارِعِيُّ وَيُبْحِرُ أَعْمَقَ حِينَ قَرَّرَ قَرَارًا لَا أَذْرِي مِنْ أَيِّ مَصْدَرٍ اسْتَقَاهُ، حَيْثُ قَالَ: «إِنَّ الشَّعْرَ لَيْسَ مُرْتَبِطًا بِالْوُزْنِ»، وَهَذِهِ ثَالِثَةُ الْأَثَافِي الَّتِي وَقَعَ فِيهَا أَوْ وَقَعَ نَفْسُهُ فِيهَا مِنْ دُونَ مَرَجِعِيَّةٍ. فَهُوَ فِي الْبِدَايَةِ يُنَكِّرُ الشَّكْلَ، وَالْآنَ يُنَكِّرُ الْوُزْنَ. إِذَنْ، فَإِنَّ الشَّعْرَ يَا دُكْتُورُنَا الْعَزِيزُ، وَقَدْ أَسْقَطْتَ كُلَّ شُرُوطِ الشَّعْرِ، وَهَدَمْتَ أَرْكَانَهُ لِتَسْوِيعِ مَا يُسَمَّى بِقَصِيدَةِ النَّشْرِ؟ لَا يَا دُكْتُورُ، إِنِّي أُعِيدُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ، فَتَحْنُ مَسْؤُولُونَ أَمَامَ اللَّهِ وَأَمَامَ أُمَّتِنَا وَأَمَامَ نِعْمَةِ الْعَقْلِ الَّتِي وَهَبَنَا اللَّهُ، لِأَنَّ الْأَجْيَالَ الْمُتَعَاقِبَةَ هِيَ أَمَانَةٌ فِي أَعْنَاقِ الْعَارِفِينَ. وَنِعْمَةُ حَقَائِقُ لَوْ أَغْفَلْنَاهَا لَأَدَّتْ بِالتَّالِي إِلَى الضَّلَالِ عَنِ الْحَقِّ، رَغْمَ أَنَّي أَشْكُ بَأْنَ هَذَا الْمِثَالِ هُوَ مَا يُؤْمِنُ بِهِ الدُّكْتُورُ سَعْدُ الْبَارِعِيُّ، ثُمَّ نَسْتَعْرِضُ رَأْيَ الْأَسْتَاذِ الدُّكْتُورِ: عَبْدِ اللَّهِ الْمِعْطَانِيِّ، الشَّاعِرِ الْمُلْهَمِ وَالنَّاقِدِ الْحَصِيفِ الَّذِي اسْتَطَاعَ بِكُلِّ جَدَارَةٍ أَنْ يَضَعَ النِّقَاطَ عَلَى الْخُرُوفِ، وَأَنْ يُقَدِّمَ لَنَا رَأْيًا عِلْمِيًّا جَدِيرًا بِالتَّقْدِيرِ وَالْإِحْتِرَامِ، لَا لِأَنَّهُ وَافَقَ رَأْيَنَا، إِنَّمَا الْحَقُّ يَعْلُو وَلَا يُعْلَى، فَالشَّعْرُ الْمُتَعَارَفُ عَلَيْهِ، عَبَرِ عَصُورِهِ وَأَجْيَالِهِ، هُوَ مَا عَنَاهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي «سُورَةِ الشُّعَرَاءِ»، حَيْثُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ وَجُودٌ لِشَّعْرِ تَفْعِيلَةٍ أَوْ مَا يُسَمَّى بِقَصِيدَةِ النَّشْرِ. وَعِنْدَمَا وَقَفَ الشُّعَرَاءُ أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَبْرَزَهُمْ كَعَبِّ بْنِ زُهَيْرٍ، كَانَ الشَّعْرُ الْعَمُودِيُّ الْمَعْرُوفُ هُوَ سِلَاحَهُمْ الْأَمْضَى لِنُصْرَةِ الدِّينِ. وَعِنْدَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ لِحَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَهْجُهُمْ وَرُوحُ الْقُدُسِ مَعَكَ»، كَانَ هُوَ الشَّعْرُ الْعَرَبِيُّ الْفَصِيحُ. فَكَيْفَ بِجَرَّةٍ قَلَمٍ وَنُزُولٍ لِلْأَهْوَاءِ وَالْأَغْرَاضِ نَمْسُخُ تَرَاثِ أُمَّةٍ، نَحْنُ نَنْتَمِي إِلَيْهَا وَنَحْمِلُ هُوِيَّتَهَا، لِنُذَوِّبَ فِي هُوِيَّةٍ أُخْرَى، بُغْيَةً أَنْ يُقَالَ عَنَّا إِنَّا تَقَدُّمِيُّونَ وَمُسْتَقْبَلِيُّونَ؟ وَلِمَاذَا نُدَافِعُ بِهَذَا التَّفَانِي عَنْ أَفْكَارٍ مُسْتَوْرَدَةٍ لَمْ نَكُنْ نَحْنُ مَنْ صَنَعَهَا؟ ثُمَّ لِمَاذَا أَخَذْنَا الْحَدَاثَةَ وَطَبَقْنَاهَا عَلَى الشَّعْرِ فَقَطُّ، فِيمَا لِلْحَدَاثَةِ جَوَانِبُهَا وَاتِّجَاهَاتُهَا الْعِلْمِيَّةُ وَالنَّظَرِيَّةُ. فَهِيَ مَنظُومَةٌ مُتَكَامِلَةٌ، «يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ» بِمَا يُحَاكُ لَنَا وَمَا هُمْ قَادِمُونَ عَلَيْهِ. لِذَلِكَ فَأَنَا مُتَّفِقٌ مَعَ رَأْيِ الدُّكْتُورِ: عَبْدِ اللَّهِ الْمِعْطَانِيِّ، وَرَأْيِ الْأَسْتَاذِ فَوَازِ اللَّعْبُونِ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا، وَأَقُولُ لَهُمَا أَنَّ الْأَوَانَ كَيْ نَرْفَعِ الْحُجْبَ عَنْ أَعْيُنِ أَجْيَالِنَا؛ لِنَرَى مَا يُحَاكُ لَنَا وَلَهُمْ فِي الْخَفَاءِ، لِنَهْدِيهِمْ أَرْكَانَ قِيمِنَا وَآثَارِنَا وَمَوْرُوثَاتِنَا

العربية، ويجب أن نكشف القناع عما ينسنمون وسائل الأعلام المرئي والمقروء والمسموع، الذين يروجون للهزيل من الشعر، للإيحاء بأن الشعر العمودي المعروف مستهلك وقديم ورجعي، ولا يعبر عن آمال الشعب والعصر، وهم يخادعون الله وما يخادعون إلا أنفسهم. وعليهم يقع العار الكبير حين يتصلون من لغتهم وتراثهم ويعبرون عن عجزهم، ويحاولون الالتصاق بتراث الغرب الذي لا يشبهنا في شيء. وإذا عرفنا حقيقة الشعر فنحن الذين نمثل الحداثة العصرية، لأن لنا قضية، والشعر قضية وأحداث وانفعالات، تصاغ بعناية لتعبر عن واقعنا وأحلامنا في آن.

أما رأي الأستاذ: محمد خضر الذي وضع إصبعه على الجرح، وعلى المشكلة التي تفرغ قصيدة النثر من معناها ومضمونها، حين يقول: «ربما بقيت مشكلتها الوحيدة في شيوعها بكثرة خلال عقد مضى، وفي كثير من حالات الاستسهال اللاواعية». وعلينا أن نحيل القارئ أيضا على واحد من أكبر نقاد الحداثة، هو الدكتور: محيي الدين اللاذقاني، الذي وصف شعراء قصيدة النثر بشعراء السردين، في مقاله المنشور بجريدة الشرق الأوسط، فهو يقول: «جميعهم يكتبون نصا واحدا، بحيث لا تستطيع أن تفرق أو تميز بين نص وآخر». كما أن معجمهم اللغوي لا يخرج عن الحبيبة والرفيقة والكأس والنبيذ، كالذي يقول «حبيتي جدار الأسمت»، و«الريشة التي أغرقت البحر»، وغيرهما من الهلوسات.

العَدَاوَاتُ

لَقَدْ تَغَيَّرَتْ حَالُ الزَّمَانِ وَلَمْ يَتَغَيَّرِ الزَّمَانُ، وَتَغَيَّرَتْ أَخْلَاقِيَّاتُ النَّاسِ، حَتَّى أَصْبَحَ غَيْرَ الْمَالُوفِ هُوَ الْمَالُوفُ، وَاعْتَبِرَتِ الطَّيْبَةُ ضَعْفًا وَعَبَاءً يَسْتَغْلِبُهُمَا مَنْ تَأَلَّفَ مَعَ الْعَدْرِ فَكَانَ قَرِينَهُ، وَتَوَاصَى بِالْكَذِبِ فَأَصْحَى مُعِينَهُ. مَنْ غَلَبَتْهُ الشَّقْوَةُ وَجَافَتْهُ الْفِطْنَةُ، وَعَدِمَتْهُ الْحِكْمَةُ. مَنْ إِذَا صَحَا عَلَى سَطْوَةِ الْحَيَاةِ وَضَنَّكَ الْعَيْشُ وَقَلَّةِ ذَاتِ الْيَدِ، اعْتَمَلَتْ فِي أَعْمَاقِ نَفْسِهِ الْغَيْرَةَ مَعَ الْحِيلَةِ، وَالتَّغْيِيرِ عَنِ الرَّفْضِ بِالْخُرُوجِ عَلَى النَّظَامِ فِي رِسَالَةٍ شَطْرُهَا الْأَعْلَى الْإِسْتِنكَارُ وَالِاسْتِهْجَانُ وَالْأَذْنَى إِنْشَاءُ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ، لِيَكُونَ حَقِيقَةً مُضَادَّةً لِحَقَائِقِ الْوَاقِعِ وَالْوَقَائِعِ الْمُنْشَأَةِ بُلْغَةَ الْأَمْرِ وَالطَّاعَةِ. هَذِهِ حَالَاتٌ افْتَرَاضِيَّةٌ دَاخِلَةٌ فِي أَحَاسِيْسٍ وَظُنُونٍ الْبَشَرِ، وَتَفَاعُلِ الذَّاتِ مَعَ الْحَاجَةِ، وَضُؤُلًا إِلَى دَرَجَةِ الْحَيَاةِ أَوْ الْعَدَمِ، تِلْكَ فَرَضِيَّةُ الشُّعُورِ بِالْأَدَمِيَّةِ فِي أَطْوَارِهَا الْمُتَعَدِّدَةِ وَالْمُتَوَعِّعَةِ فِي السُّلُوكِ وَالسُّبُلِ وَالْوَسَائِلِ، حِينَ يَكُونُ وَقَعَ النَّفْسِ مَازُومًا أَوْ مَعْسُورًا أَوْ مَقْسُورًا، لَيْسَ فِي مَقْدُورِهِ الْإِقْتِدَارُ، وَلَا فِي وَسْعِهِ الْإِحْتِيَالُ عَلَى مَوَانِعِ الرَّجَاءِ، آنَذَاكَ تَشْتَعِلُ شُعْلَةُ الْغَيْظِ وَالْحَقْدِ فِي مُوَاجَهَةِ التَّرَفِ وَالنُّعْمَةِ، وَيَتَعَاطَمُ الْأَلَمُ مِنْ وَقَعَ لَمْ يُسَاوِ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَأَخِيهِ الْإِنْسَانِ، فِي الْحُقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ الْمُلِحَّةِ فِي أَبْسَطِ مَعَانِيهَا وَالِاسْتِشْعَارِ بِالْغِنَى وَالْفَقْرِ، فَكَيْفَ تَأْمُلُ مِنْ نَفْسٍ يَبْتَدِلُهَا الزَّمَانُ وَلَا يَبْتَدِلُ لَهَا؟ وَكَيْفَ لَا تَعْمَلُ الْقُلُوبُ بِالْمَوَاجِدِ، وَلَا يَتَعَامَلُ الْعَقْلُ بِالضَّغَائِنِ، وَلَا تَسْتَشِيطُ الدَّوَاعِيَ الْخَاضِعَةُ لَتَبَرِيرَاتِ الْحَاجَةِ الْمُلِحَّةِ؟

إِنَّ شُعُورًا كَهَذَا هُوَ مَدْعَاةٌ إِلَى اخْتِرَاقِ أَجْسَامِ الْأَشْيَاءِ لِاسْتِنْقَازِ الْحَيَاةِ مِنَ الْهَلَاكِ، وَمِنْ مَدَلَّةِ السُّؤَالِ لِمَنْ تَتَجَشَّمُهُ الْأَمَالُ لِرُكُوبِ الصَّعَابِ، حِينَ يَفْتَقِدُ الْبَصِيرَةَ بِإِفْتِقَادِهِ لِمَقْوَمَاتِ النَّفْسِ أَوْ الْأُسْرَةِ أَوْ الْأَقَارِبِ. هُنَا تَتَوَافَقُ الْمَصَائِرُ فَتَتَّحِدُ الْأَلَامُ ضِدَّ الْجَمَالِ وَالْهِنَاءَةِ وَالْأَمْنِ وَالِاطْمِئْنَانِ، وَيَكُونُ النَّظَرُ إِلَى الْمَصِيرِ أَهَمَّ لَدَى الْمَجْمُوعِ مِنَ النَّظَرِ إِلَى الذَّاتِ، أَوْ الذَّوَاتِ الْمُسْتَكْثَرَةِ الْمُسْتَزِيدَةِ وَالْمُسْتَفِيدَةِ، فِي إِطَارٍ يَسْمَحُ بِتَنْوِيعِ مَصَادِرِ الْأَفْكَارِ وَاسْتِنْفَارِ الْمُتَلَقِّينَ، بَلْ وَاسْتِحْضَارِ امْكَانِيَّاتِهِمُ الْعُقْلِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ، وَالْعَمَلِيَّةِ، لِيَكُونَ الثَّوَابُ بِقَدْرِ الْعَمَلِ. إِنَّ مَا يُوَدِّي بِالْإِنْفِعَالِ النَّفْسِيِّ إِلَى الْإِعْتِدَالِ هُوَ تَقْلُصُ الْفَوَاقِرِ بَيْنَ التَّرَفِ وَالْيُسْرِ، وَبَيْنَ الْغِنَى وَسَرِّ الْحَالِ، حِينَئِذٍ تَذُوبُ الْحَسَاسِيَّاتُ وَالْإِنْفِعَالَاتُ فِي نَبْعٍ غَيْرِ خَلْقٍ وَلَا آسَنِ يَشْرَبُ مِنْهُ الْجَمِيعُ، وَيَطْعَمُ مِنْ غِرَاسِ رَوْضِهِ الْبَهِيْجِ ثَمَرًا

مُخْتَلَفَ الْمَذَاقَاتِ، يُشِيعُ الرَّاحَةَ فِي الرُّوحِ، وَيَبْعَثُ عَلَى الْإِثْتِلَافِ لَا الْإِخْتِلَافِ، وَعَلَى الْقَنَاعَةِ لَا الطَّمَعِ وَالْجَشَعِ، وَالْإِفَادَةَ وَالْإِسْتِفَادَةَ بِشَكْلِ مُسْتَمَرٍّ وَمُتَكَافٍ وَمُتَسَاوٍ فِي التَّقْدِيرِ وَالتَّحْصِيلِ، مَا يُفَسِّرُ مَعْنَى الْإِيثارِ الَّذِي تَبْلُغُ النَّفْسُ مِنْ خِلَالِهِ أَرْفَعَ أَحْوَالِهَا الْإِنْسَانِيَّةِ. وَحِينَ يَغِيبُ الْإِيثارُ، يُولَدُ الْإِسْتِثْنَاءُ الَّذِي يَكُونُ الشُّعْلَةُ فِي إِذْكَاءِ نَارِ الْحَقِّدِ وَالبُغْضِ وَالْحَسَدِ فِي الضَّدِّ، وَيُذْكِ حَرَكَةَ الوجودِ الْفِطْرِيِّ لِلتَّغَاوُلِ الْمُؤَلَدِ لِلانْعِكَاسَاتِ الْأَخْلَاقِيَّةِ سَلْبًا وَإِيجَابًا.

لِذَلِكَ لَنْ تُقَاسِيَ الْأَرْضُ ظُلْمًا وَجَوْرًا وَفَتْكًا وَإِرْهَابًا وَقَتْلًا، أَكْثَرَ مِمَّا قَاسَتْهُ فِي هَذَا الْعَصْرِ الدَّمَوِيِّ، الْمُتَمَتِّعِ بِمَعَ الدَّوَافِعِ الْغَرِيزِيَّةِ لِلْبَشَرِ الَّذِينَ أَعْمَى قُلُوبُهُمُ الْجَشَعُ وَالْإِسْتِثْنَاءُ وَاعْتِنَاقُ مَبْدَأِ الْقُوَّةِ.

وَمَا دَامَتْ هَذِهِ هِيَ حَالُ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ، فَسَيُظَلُّ الْأَدَمِيُّونَ عُرْضَةً لَتَعَاقِبِ الْحُبِّ وَالبُغْضِ وَالْكُزْهِ وَالسَّلَامِ وَالْخِصَامِ وَالْجُحُودِ وَالتُّكْرَانِ وَالْكَذِبِ وَالزَّيْفِ وَالْخَدِيعَةِ وَالْخِيَانَةِ وَالظُّلْمِ بِكَافَّةِ صُورِهِ وَأَشْكَالِهِ.

وَمَا دَامَتْ الْأَخْلَاقُ أُسِّسَتْ عَلَى الْمَصَالِحِ الْمُتَبَادَلَةِ فِي الْأَخْذِ وَالْعَطَاءِ، فَكَيْفَ يُفَسِّرُ الْإِنْسَانُ ذَلِكَ التَّضَارُّبَ الْوَاقِعَ بَيْنَ لَحْظَاتِ الْكُزْهِ الْمُتَعَدِّدَةِ وَالْمُتَجَدِّدَةِ، وَلَحْظَاتِ الْحُبِّ الْمُتَعَدِّدَةِ وَالْمُتَجَدِّدَةِ أَيْضًا؟ فِي لَحْظَةٍ مِنَ الزَّمَنِ تَدْعِي حُبَّكَ لِفُلَانٍ، وَبَعْدَ وَقْتٍ تَكْرَهُهُ أَشَدَّ الْكُزْهِ، فَلَا دَوَامَ لِلْحُبِّ وَلَا لِلْكُزْهِ، بَلْ هُوَ حَدَثٌ قَدِيمٌ جَدِيدٌ قَائِمٌ عَلَى الْمَصَالِحِ وَالْفَوَائِدِ الْمُحَقَّقَةِ لِاسْتِمْرَارِيَّةِ الوجودِ، أَوْ الْإِخْتِلَافِ فِي الرُّؤْيِ. لَكِنَّ اللَّافِتَ وَالْمُحِيرَ وَالْمُوجِعَ وَالْمُؤَثِّرَ وَالْمُضْحِكَ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ، أَنَّنَا نَعِيشُ كَمَا لَوْ كُنَّا فِي سُوقٍ شَعْبِيٍّ؛ هَذَا يَبِيعُ وَهَذَا يَشْتَرِي، وَذَاكَ يَبْنِي وَآخَرُ يَهْدِمُ، وَهُنَاكَ مَاتِمٌ وَأَحْزَانٌ وَهَيْهَاتَ أَنْ تَدُومَ الْحَالُ لِي أَوْ لَكَ عَلَى الزَّمَانِ! إِذَنْ، لِمَاذَا هَذِهِ الْعَدَاوَاتُ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَأَخِيهِ الْإِنْسَانِ؟ وَكَيْفَ يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ كَبْحَ جَذْوَةٍ بَغْضِهِ لِلشُّعُورِ بِالرَّاحَةِ وَلَوْ بِشَكْلِ مُوقَّتٍ؟ وَمَا هِيَ الرَّاحَةُ إِذَا لَمْ تَكُنْ تَفْرِغُ شَحَنَاتِ الْإِنْفِعَالَاتِ النَّفْسِيَّةِ لِتَتَوَازَنَ النَّفْسُ مَعَ مُكْتَسَبَاتِ التَّجَرِبَةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ؟ وَتَكُونُ الرَّاحَةُ فِي الْإِيثارِ أَوْ التَّيْسِيرِ، وَلَعَلَّ أَفْضَلَ أَشْكَالِ الرَّاحَةِ يَتِمَثَّلُ فِي إِخْلَاءِ الرَّأْسِ مِنَ الْوَسْوسَةِ وَالْأَفْكَارِ السُّودَاءِ.

المَسْئُولِيَّةُ السَّرْعِيَّةُ

لَمْ يَكُنِ الْإِسْلَامُ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ «أَيْدِيُولُوجِيَا» أَوْ «نَظَرِيَّةً» أَوْ «فِكْرَةً» أَوْ «أُطْرُوحَةً» أَوْ «شَكْلًا» نَتَرِيًّا بِهِ. إِنَّمَا الْإِسْلَامُ هُوَ دِينٌ وَعَقِيدَةٌ وَكِتَابٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ، وَهُوَ وَحْيِي يُوحَى، نَزَلَ عَلَى قَلْبٍ وَلِسَانِ سَيِّدٍ وَلَدِ آدَمَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ. الْإِسْلَامُ دِينُ السَّلَامِ وَالِاسْتِسْلَامِ لِلَّهِ بِالطَّاعَةِ وَالْخُلُوصِ مِنَ الشَّرِكِ، لَا يَقْبَلُ الْعَدَاءَ وَلَا التَّعَدِّيَّ، وَلَا يَقْبَلُ الظُّلْمَ وَلَا التَّجَنِّيَّ، وَلَا يَدْعُو إِلَّا لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، وَهُوَ فِي مُجْمَلِهِ نِظَامٌ أَخْلَاقِيٌّ لِتَقْوِيمِ النَّفْسِ إِلَى جَمَالِ الْحَيَاةِ وَخَيْرِ الْإِنْسَانِ. وَهُوَ مَلَاذٌ مِنَ السُّقُوطِ فِي مَهَاوِي الرَّذِيلَةِ وَالْإِنْحِلَالِ وَالضَّلَالَةِ وَالضَّيَاعِ. يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ} [سورة الشورى، آية: 13]، {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِ} [سورة النساء، آية: 163].

فَمَنْذُ أَنْ خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا أَوْجَدَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ، حَتَّى جَاءَ أَبُو الْأَنْبِيَاءِ النَّبِيُّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} [سورة آل عمران، آية: 19]، {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ} [سورة آل عمران، آية: 85].

وَحِينَ أَرْسَلَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ النَّبِيُّ الْأَمِينُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: {يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} [سورة الأحزاب، آية: 45]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [سورة الأنبياء، آية: 107]. نَخْلُصُ مِنْ ذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَالْحَقُّ يَدْعُو إِلَى الصِّدْقِ، وَالصِّدْقُ يَدْعُو إِلَى الْبِرِّ، وَالْبِرُّ يَدْعُو إِلَى الْعَدْلِ، وَالْعَدْلُ يُفْضِي إِلَى الرِّضَا، وَالرِّضَا يُؤَدِّي إِلَى الْقَنَاعَةِ، وَالْقَنَاعَةُ تَنْهَجُ إِلَى الْإِمْتِنَالِ، وَالْإِمْتِنَالُ طَاعَةُ اللَّهِ فِيمَا أَمَرَ، وَاجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ.

فَإَيْنَ نَحْنُ مِنَ الْعُصُورِ الَّتِي قَالَ عَنْهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} [سورة الأحزاب، آية: 23]؟ أَيْنَ نَحْنُ مِنَ التَّقْوَىٰ وَمِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ؟ قَالَ سُبْحَانَهُ: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ

الْعُلَمَاءُ} [سورة فاطر، آية: 28]. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ».

يَا لَهَا مِنْ مَنَزَلَةٍ عَظِيمَةٍ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهَا الْعُلَمَاءَ، وَلَكِنْ مَنْ هُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَشَارَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ الَّذِينَ لَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [سورة التحريم، آية: 6]؟ إِنَّهُمْ مَنْ زَهَدُوا فِي نَعِيمِ الدُّنْيَا، وَنَظَرُوا إِلَى النِّعَمِ الْمُتَقِيمِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {تِلْكَ الْأَدَارُ الْأَخِيرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [سورة القصص، آية: 83].

أَيْنَ عُلَمَاءُ الْخَلْفِ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ الَّذِينَ نَذَرُوا أَنْفُسَهُمْ لِبَطَاعَتِهِ وَرَغِبُوا عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَعَرَفُوا أَنَّ الدُّنْيَا مَا هِيَ إِلَّا رَحْلَةٌ مُسَافِرٍ، زَادَهَا الْبِرُّ وَالْتَّقْوَى وَخَيْرُهَا الْعَدْلُ! وَتِلْكَ لِهَذَا الْعَصْرِ مِنْ أَهْلِهِ وَأَبْنَائِهِ، وَقَدْ جَاءَ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ: {وَالْعَصْرُ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} [سورة العصر، الآيتان: 1 و2]. فَمَا بَالُنَا وَنَحْنُ نَعِيشُ عَصْرًا مَمْلُوءًا بِالْمُوبِقَاتِ وَالْأَحْقَادِ وَالْكَرَاهِيَةِ وَالزُّورِ وَالْبَاطِلِ، عَصْرًا يَغْلِبُ عَلَيْهِ الْإِغْرَاءُ وَيُضِلُّهُ الْإِغْوَاءُ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ! إِنَّهُ عَصْرُ الْعُسْفِ الْقَائِمِ عَلَى قَهْرِ الضُّعَفَاءِ، وَعَلَى ظُلْمِ الْأَقْوِيَاءِ، وَعَلَى صَبْرِ الْعُقَلَاءِ، عَصْرٌ يَنْوُءُ بِالْغَفْلَةِ وَيَضِيقُ بِالْحَقِّ وَالصِّدْقِ.

كَمْ يُوجِعُنِي وَيُؤْلِمُنِي مَنْ وُلِّيَ أَمْرًا مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَيَدْفَعُهُ الْهَوَى إِلَى انْتِهَاكِ حُقُوقِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، لَشَيْءٍ فِي نَفْسِهِ، وَحَقْدٍ يَغْتَمِرُ نِيَاطَ قَلْبِهِ عَلَى صَاحِبِ حَقٍّ؛ لِأَنَّهُ يَكْرَهُهُ فَقَطْ، وَيَهْضُمُ حَقَّهُ، وَيُضِرُّ بِهِ أَشَدَّ الضَّرَرِ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ أَنَّ لَهُ نَفْسًا مِثْلَ النَّاسِ، وَأَنَّ مَا الْحَقُّهَ بِالنَّاسِ سَوْفَ يَجْرُعُ مِنْهُ إِنْ عَاجَلًا أَوْ آجَلًا. وَإِنْ هُوَ نَسِيَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَنْسِي، وَإِنْ مَاتَ فَالْعِقَابُ شَدِيدٌ. رَبِّمَا يَقُولُ ظَالِمٌ إِنَّ اللَّهَ سَيَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، لَا وَاللَّهِ، إِلَّا حَقَّ الْعِبَادِ وَظَلَمَهُمْ وَقَهَرَهُمْ وَانْتَهَكَ حُرْمَاتِهِمْ وَإِذْ لَالِ كَرَامَتِهِمْ.

يُحْزِنُنِي بَعْضُ الْقَضَاةِ فِي أَحْكَامِهِمْ مِنْ دُونِ تَبَصُّرٍ وَبَصِيرَةٍ، لِأَنَّهُمْ يَحْتَمُونَ بِحَصَانَةٍ قَاتِلَةٍ لِلْمَظْلُومِينَ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَشْكُوَ قَاضِيًا لِظُلْمِهِ فَرُبَّمَا يَتَعَرَّضُ لِلْسَّجْنِ وَإِهْدَارِ كَرَامَتِهِ، لِأَنَّ الْقَاضِيَّ فِي نَظَرِ الْمَسْئُولِ مَنَزَّةٌ عَنِ الْخَطَايَا. فَكَيْفَ وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الْقَاضِيَّ هُوَ إِنْسَانٌ كَأَيِّ إِنْسَانٍ، يَغْضَبُ وَيَحْقِدُ وَيَغْزَى وَيُخْطِئُ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ. فَالْقَضَاءُ رُوحُ

الْوَطَنِ، وَإِذَا صَلَحَ الْقَضَاءُ صَلَحَ الْوَطَنُ وَالْأُمَّةُ، وَقُضِيَتِ الْحُقُوقُ وَانْتَصَفَ الْبُغْضُ مِنَ الْبُغْضِ وَقَلَّتِ الْمَشَاكِلُ. فَالْعَدْلُ كَمَا قِيلَ أَسَاسُ الْمُلْكِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «قَاضٍ فِي الْجَنَّةِ، وَقَاضِيَانِ فِي النَّارِ»، فَهَلَّا خَشِيَ الْبُغْضُ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحَجَارَةُ؟ وَلَا يَنْفَعُ مَنْ يَخْتَلِقُ الْأَعْدَارَ لِنَفْسِهِ بِأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ مَا دَامَ يُصَلِّي وَيَصُومُ. لَا وَاللَّهِ، إِنْ الظُّلَمُ ظَلَمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ. لَا وَاللَّهِ، إِنْ يَدَ الْمَظْلُومِ تَرْتَفِعُ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ، فَيَمْهُلُ اللَّهُ الظَّالِمَ وَيَأْخُذُهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ. لَا وَاللَّهِ، فَاللَّهُ لَنْ يُبَارِكَ لِلظَّالِمِ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ إِنْ لَمْ يُنَزِّهِ قَلْبُهُ وَعَقْلُهُ عَنِ الْهَوَى، وَإِنْ لَمْ يَتَّقِ اللَّهَ. وَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ بِتَوَلِيهِ الْقَضَاءِ إِنَّمَا قَدْ وُلِّيَ أَمْرًا عَظِيمًا، فَهُوَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ: الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، أَوْ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ. وَلَا تُفِيدُ الْأَعْدَارُ فِي حُقُوقِ الْبَشَرِ، وَأَنَا أَقْتَرِحُ إِلَّا يَتَسَلَّمَ الْقَضَاءُ إِلَّا مَنْ كَانَ عُمُرُهُ يَزِيدُ عَلَى أَرْبَعِينَ عَامًا، وَأَنْ يَفْتَحَ مَجْلِسُ الْقَضَاءِ الْأَعْلَى وَدِيَوَانُ الْمَظَالِمِ مَعَاهِدَ عِلْمِيَّةٍ تَدْرِيئِيَّةٍ تُؤَهِّلُ الْقُضَاةَ. وَلَآنَ سَنَ الثَّلَاثِينَ عُرْضَةً لِلْمُيُولِ مَعَ عَمَرَاتِ الشَّبَابِ، فَلَا يَجِبُ أَنْ يُسَلَّمَ الْقَضَاءُ إِلَّا لِمَنْ أُوتِيَ حَظًّا مِنَ الْعِلْمِ وَالْخِبْرَةِ، وَالزُّهْدِ فِي نَعِيمِ هَذِهِ الْحَيَاةِ الْفَانِيَّةِ. إِنْ الْكَثِيرِينَ يَشْتَكُونَ وَيُحْجِمُونَ عَنْ رَفْعِ الصَّوْتِ أَوْ مُنَاشَدَةِ أُولِي الْأَمْرِ بِأَنْ يَنْظُرُوا إِلَى أَمْرِهِمْ. فَهَنَّاكَ مَظَالِمُ تُرْتَكَبُ فِي حَقِّ النَّاسِ، فَلَا يَمْلِكُ الْمَرْءُ مِنَّا إِلَّا الصَّمْتُ، وَكَيْفَ نَصُمْتُ وَنَحْنُ أُمَّةٌ مُحَمَّدٌ ﷺ الَّذِي يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيَعْمُرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِلِسَانَهُ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَوْفَى الْأَيْمَانِ؟» وَكَيْفَ نَصُمْتُ وَنَحْنُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [سورة آل عمران، آية: 110]؟ وَكَيْفَ نَصُمْتُ وَالْجَرَائِرُ كَثُرَتْ وَفِي أَرْبَادٍ، أَفَلَا يَعْنِي وَلِيُّ الْأَمْرِ هَيْئَةً رَقَابِيَّةً عَلَى الْقَضَاءِ، وَيَلْمَسُ بِقَلْبِهِ وَفِكْرِهِ وَعَيْنِهِ مَا يَتَعَرَّضُ لَهُ الْكَثِيرُ؟ إِنَّا بَيْنَ نَارَيْنِ، فَمَا أَنْ نَصُمْتُ عَلَى الْمَكَارِهِ وَالْعِلَلِ أَوْ نَتَعَرَّضُ لِلْعِقَابِ لِنَجْرُونَا عَلَى قَوْلِ الْحَقِّ. وَالْقَضَاةُ هُمْ أَنْاسٌ مِثْلُنَا وَمِنْ دَمٍ وَلَحْمٍ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، عِنْدَمَا قَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِي». أَوْ عِنْدَمَا قَالَ: «أَخْطَأَ عُمَرُ وَأَصَابَتْ امْرَأَةٌ». إِنِّي أَهْبُ بِمَعَالِي وَزِيرِ الْعَدْلِ وَمَعَالِي رَئِيسِ مَجْلِسِ الْقَضَاءِ الْأَعْلَى وَمَعَالِي رَئِيسِ دِيَوَانِ الْمَظَالِمِ، وَهُمْ مِنْ خَيْرَةِ رِجَالِ الدَّوْلَةِ وَالْعَالَمِينَ عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ، وَعَلَى تَتَبُعِ هُمُومٍ وَمَشَاكِلِ النَّاسِ وَالْعَالَمِينَ بِحُقُوقِ اللَّهِ، إِضَافَةً إِلَى عِلْمِهِمْ وَفَضْلِهِمْ الَّذِي يَتَطَّلَعُ إِلَيْهِ الْكَثِيرُ وَيَنْهَلُ مِنْهُ الْجَمِيعُ، أَنْ يُضَاعَفُوا الْاهْتِمَامَ

بأَوْضَاعِ النَّاسِ، وَأَنْ يُنْشِئُوا قِسْمًا خَاصًّا لِلتَّظْلُمِ مِنَ الْقَضَاءِ، وَأَنْ يُعَاقِبُوا مَنْ يُسِيءُ إِلَى
 الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَيَعْمِدُ إِلَى قَهْرِ النَّاسِ الْمَظْلُومِينَ. وَاهْبِيبْ بِرُؤْسَاءِ الْمَحَاكِمِ أَنْ يَذْرُسُوا
 الْأَحْكَامَ مِنْ خِلَالِ هَيْئَةٍ تَنْشَأُ فِي كُلِّ مَحْكَمَةٍ لِمُرَاجَعَةِ الْأَحْكَامِ، وَمِنْ ثَمَّ إِجَارَةِ مَا
 يَنْطَبِقُ عَلَى الْوَفَائِعِ وَالْمَنْطِقِ، وَقَبْلَهَا عَلَى الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ، قَبْلَ رَفْعِهَا إِلَى مَحْكَمَةِ التَّمْيِيزِ.
 هِيَ نَصِيحَةُ أَقْدَمُهَا، وَرَبَّمَا تَجِدُ آذَانًا مُصْغِيَةً مِنَ الْعَامِلِينَ لِمَرْضَاةِ اللَّهِ الَّذِينَ يَنْظُرُونَ
 إِلَى جَنَّةِ عَرْضِهَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ. أَيُّهَا الْعُلَمَاءُ الْفُضَّلَاءُ، إِنَّ قَضِيَّةَ
 الْقَضَاءِ يَجِبُ أَنْ تُوَضَعَ نَصَبُ أَعْيُنِكُمْ، فَإِنَّ صَلَاحَ الْقَضَاءِ هُوَ صَلَاحٌ لِكُلِّ الْوَطَنِ. وَإِنِّي
 وَاللَّهِ لَا أَرْتَجِي إِلَّا صَلَاحَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَالْأُمَّةُ تَصْلُحُ بِصَلَاحِ أَوْلِيَاءِ أَمْرِهَا وَصَلَاحِ عُلَمَائِهَا،
 وَتَرْتَفِعُ وَتَرْتَقِي وَيَتَجَمَّعُ حَوْلَهَا النَّاسُ عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ لِيَكُونُوا حِصْنًا لِهَذَا الدِّينِ ضِدَّ
 أَعْدَاءِ الْأُمَّةِ. وَإِنِّي أَنشُدُ رِفْعَةَ دِينِ اللَّهِ وَارْتِقَاءَ الْمُخْلِصِينَ بِالْحَقِّ، كَيْ لَا يُصِيبَنَا مَا أَصَابَ
 الْأُمَمَ مِنْ قَبْلِنَا مِنْ هَلَاكِ وَدَمَارٍ. وَاللَّهِ إِنِّي أَقُولُهَا قَوْلَةً حَقٍّ أَرْجُو بِهَا وَجْهَ اللَّهِ، وَأَخَافُ
 عَلَى هَذَا الْوَطَنِ الَّذِي عَشْتُ فِيهِ وَعَاشَ فِيهِ آبَائِي، وَلِي بِهِ حَقٌّ وَرَحِمٌ وَذِمَّةٌ، فَغَيَّرْتِي مِنْ
 غَيْرَةِ الْأِسْلَامِ الَّذِي يَحُضُّنَا عَلَى قَوْلِ الْحَقِّ وَلَوْ كَانَ مُرًّا. وَإِنْ لَمْ يَجِدْ صَوْتِي صَدَى فَاللَّهُمَّ
 أَشْهَدُ أَنِّي قَدْ بَلَغْتُ. وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

جِيلُ الضَّيَاعِ

قَالَ لِي: «أَنْتُمْ الْأَطْلَالُ الْمُتَهَدِّمَةُ عَلَى زَوَايَا أَعْمَارِنَا، أَنْتُمْ بَقَايَا آثَارِ الْعُصُورِ الْبَائِدَةِ، أَنْتُمْ الْقِيَمُ الْمَرْفُوضَةُ فِي زَمَانِنَا، أَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَتَّبَعُوا قِيَمَكُمْ وَأَخْلَاقَكُمْ مِنْ جَدِيدٍ، وَهِيَ هَاتِ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ بَعْثٌ جَدِيدٌ، وَإِنْ جِئْتُمْ فَسَتَكُونُونَ قَرَابِينَ لِعَصْرِ اسْتَنْ قِيَمًا اسْتَغْنَيْنَا بِهَا عَنْ قِيَمِكُمْ، أَنْتُمْ تَدْعُونَ إِلَى الصَّدَقِ وَالْأَمَانَةِ وَالْحُبِّ وَالْإِيثارِ وَالْعَطَاءِ وَالنُّبْلِ، وَنَحْنُ اكْتَسَبْنَا ثِقَافَةَ الْجُرْأَةِ وَالْمُغَامَرَةِ وَحُبَّ الذَّاتِ، نُرِيدُ أَنْ نَكُونَ آيَةً أُخْرَى يَتَنَزَّلُ بِهَا كَهَانُ الْوَقْتِ وَفَسَاقُ الْعَصْرِ، نَحْنُ نُرِيدُ الْمُضَيَّ إِلَى اللَّاشْيَاءِ، لِأَنَّهُ يُعَبِّرُ عَنَّا وَعَنْ ذَوَاتِنَا وَعَنْ عَصْرِنَا، وَعَنْ الْحُرِّيَّةِ، ارْحَلُوا عَنَّا بِقِيَمِكُمْ الَّتِي احْتَبَسْتُمْ رَدْحًا مِنَ الزَّمَانِ بَيْنَ أَنْوَاتِكُمْ وَاشْتِهَاءَاتِكُمْ، دَعُونَا نُمَارِسَ جَمَالَ نَفْسُخِنَا وَانْحِلَالِنَا، وَنَتَرَشَّفَ نَزَوَاتِنَا وَنَتَلَذَّذَ بِعَوْرَاتِنَا. أَنْتُمْ الضَّالُّونَ حِينَ سَجَنْتُمْ أَرْوَاحَنَا فِي أَقْبِيَةِ تَعَالِيمِكُمْ، وَصُغْتُمْ لَنَا مَوَادَّهَا لِتَكُونَ دُسْتُورَ حَيَاتِنَا. وَقَدْ جَاءَ وَقْتُنَا لِنَعْلَمَكُمْ أَنَّ الْحُرِّيَّةَ أَنْ تَفْعَلَ مَا تُرِيدُ، بَلَا خَوْفٍ أَوْ وَجَلٍ مِنَ الْعَوَاقِبِ. نَحْنُ جِيلُ اللَّامُبَالَاةِ وَالْمُغَامَرَةِ وَالضَّيَاعِ. إِمَّا أَنْ تَكْتَسِبُوا قِيَمَنَا أَوْ نَحْتَبِسَكُمْ فِي عَصْرِنَا كَمَا احْتَبَسْتُمُونَا أَوَّلَ مَرَّةٍ»، قُلْتُ لَهُ: «تَبًّا لَكُمْ!» وَمَضَيْتُ.

حُطَّابُ اللَّيْلِ

يَجْدُرُ بِالْكَبِيرِ أَنْ يُعِفَّ قَلَمَهُ عَنِ التَّغْلِيْقِ عَلَى مَنْ لَا يُحْسِنُ إِلَّا الْإِسَاءَةَ لِكِرَامَةِ الْحُرُوفِ
وَالْمَعَانِي فِي سُفْسَاطِيَّةٍ مَقِيَّتَةٍ أَخَذَتْهَا سَفَاسِفُ كَلِمَاتٍ إِلَى دَرَجَةِ التَّصْدِيقِ، لِعُرُورِهَا،
بِأَنَّ الْخُسَاءَ وَمَيَّ زِيَادَةَ قَدْ تَحَسَّدَتَا مِنْ جَدِيدٍ فِي أَرْوَاحِ الْمَوْتَى، وَهَيْهَاتَ.

كَثِيرٌ مِنْ حُطَّابِ اللَّيْلِ وَأَذْنَابِ الْفِكْرِ وَمُدْعِي الْفَضِيلَةِ يَأْرُونُونَ كَمَا تَأْرُنُ الْفَرَسُ عِنْدَ
رُؤْيَةِ الْفَحْلِ، لَيْسَ بِفِعْلٍ عَقْلٌ يَدْفَعُهَا بَلْ غَرِيزَةٌ وَلَذَّةٌ وَاشْتِهَاءٌ. إِنَّ كَثْرًا مِنَ الْكُتَّابِ قَدْ
حَمَلُوا أَقْلَامًا وَلَمْ يَحْمِلُوا أَفْهَامًا تَحْفَلُ بِالْإِبْدَاعِ، أَوْ مَعْرِفَةً بِلَاغَةَ الْكَلَامِ وَمَغْزَاهُ. كُنْتُ
أَظُنُّ أَنَّ نَظْرِيَّةَ تَصَارُعِ الثَّقَافَاتِ قَدْ أَثْبَتَتْ جَدْوَاهَا فِي التَّأْثِيرِ وَالتَّأَثُّرِ الْفِكْرِيِّ بَيْنَ خَلَائِ
الْمُجْتَمَعِ لِلانْتِمَاءِ إِلَى الْحَضَارَةِ الْعَصْرِيَّةِ، خُصُوصًا حِينَمَا رَأَيْتُ أَمْرِيكَا تَهْتَمُّ بِالْعُقُولِ
وَلَيْسَ بِالْأَجْنَاسِ وَالْإِثْنِيَّاتِ وَالْقَوْمِيَّاتِ. تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ وَكَانَتْ تَنْتَسِبُ إِلَى الْأَصُولِ.
وَتَبَدَّلَ الْأَمْسُ بِالْيَوْمِ وَأَصْبَحَ الْإِنْتِمَاءُ انْتِمَاءً إِلَى الْمَصَالِحِ وَعِبَادَةِ الْمَادَّةِ. وَمَا ظَنَنْتُ بِأَنَّ
دَيْنَا صُورَاتِ الْهَمْجِيَّةِ الْقَدِيمَةِ قَدْ تَرَكَتْ بَقَايَا جِينَاتٍ مَا زَالَتْ تَعْمَلُ لِلْعُودَةِ إِلَى الْحَيَاةِ.
أَظُنُّنِي نَدِمْتُ كَثِيرًا حِينَمَا غَرَسْتُ قَلَمِي فِي عُقُولِ جَدْبَاءَ تَعِيشُ عَلَى أَشْوَكَ الْمَاضِي الَّذِي
انْتَرَعَ بِجَهْلِهِ قُوَّةَ الْإِسْلَامِ الَّتِي جَاءَ بِهَا النَّبِيُّ الْعَظِيمُ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَفْضَلُ
الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ مِنْ أَهْلِ الرُّشْدِ وَالْعِلْمِ وَالْخُلُقِ الْكَرِيمِ، الَّذِينَ يُبَادِلُونَ
الْحَسَنَةَ بِالْحَسَنَةِ وَيَدْفَعُونَ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَلَكِنَّهَا النُّفُوسُ الضَّعِيفَةُ تَعْتَصِمُ بِالْقُشُورِ؛
لِتَبْتُ مَكْنُونِ الضَّعِيفَةِ فِي اسْلُوبِ الْهَمَزِ وَاللَّمَزِ وَعَصَبِيَّةِ الْإِنْتِمَاءِ وَنَرَجِسِيَّةِ الْهَمْجِيَّةِ.

المُسْتَقْبَلُ الْمُخِيفُ

إِنَّ مَرَضَ الْبِيرُوقْرَاطِيَّةِ الَّذِي يُنْسَبُ أَظْفَارُهُ فِي الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، إِضَافَةً إِلَى أَمْرَاضِ التَّنَازُعِ وَالْفَسَادِ الْإِدَارِيِّ وَالْأَخْلَاقِيِّ، هِيَ أَمْرَاضٌ عُضَالٌ تَسْتَشْرِي فِي أَوْصَالِ الْأُمَّةِ، وَرَبَّمَا تُودِي بِهَا إِلَى الْفَوْضَى وَالْهَلَاكِ الَّذِي لَا يُرْجَى بُرْؤُهُ. وَلَيْتَ هُنَاكَ مَنْ يَسْتَشْعِرُ خُطُورَةَ الْحَالَةِ الْقَوْمِيَّةِ وَتَحْلِيلَ التَّوَقُّعَاتِ الَّتِي يُنْذِرُ بِهَا الْمُسْتَقْبَلُ الْمُخِيفُ.

سُوسُ الْهَلَاكِ

الْبَعْضُ يَظُنُّ أَنَّ مِنَ الْحِكْمَةِ السِّيَاسِيَّةِ ضَرْبَ النَّاسِ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لِيَخْلُوَ لِلْسَّاسَةِ الْجَوُّ. إِنَّهَا نَظَرِيَّةٌ فِي غَيْرِ مَكَانِهَا، وَأَظُنُّ أَنَّ سُوسَ الْهَلَاكِ يَنْخَرُ فِي عِظَامِ الْوَطَنِ. النَّاسُ جَمِيعُهُمْ يَشْكُونَ مِنَ الْفَسَادِ، وَالنَّصِيحَةُ لَمْ تَعُدْ تُفِيدُ، فَالْكَبِيرُ مُطْمَئِنٌّ وَالْفَقِيرُ يَتِنُّ، وَالْفِكْرُ الرَّاشِدُ يَبْدُو أَنَّهُ لَا يَسْمَعُ وَلَا يَرَى.

أَنَا الدُّنْيَا

أُضَاحِكُهَا الْأَعْبَاهُ أَعَابَتْهَا الْأَطْفَالُ أَقْبَلُهَا وَأَخْضِنُهَا،
أَهَادِيهَا الْمُنَى حُبًّا وَأَعْشَقُهَا،
وَأَفْدِيهَا بِعُمْرِي لَوْ أَرَادَتْ أَوْ أَرَادَتْ فَرَحِي مُدْنًا،
فَمَا رَضِيتُ،
أَشَاحَتْ وَهِيَ بِاسِمَةٍ وَقَالَتْ:
لَسْتَ أَنْتَ أَنَا،
أَنَا الدُّنْيَا.

مَنْ نَحْنُ؟

كَمْ مِنَ الْآهَاتِ نَنفُثُهَا عَلَى ضَيَاعِ الْوَقْتِ فِي غُرْبَةِ الطَّيْبَةِ وَالْحُبِّ وَالْوَفَاءِ! وَكَمْ كَسْرَةَ قَلْبٍ تَجْرَحُنَا فِي خَيْبَةِ أَمَلٍ! وَكَمْ تَشْتَعْلُ وَتَنْطَفِئُ الْأَشْوَاقُ! وَنَحْنُ لَا نَدْرِي سَبَبًا لِذَلِكَ وَلِمَآذَا وَمَتَى وَمَنْ؟ أَدَوَاتُ اسْتِفْهَامٍ وَأَفْكَارُ وَأَقْلَامٌ وَضَجِيجٌ وَعَوِيلٌ وَصُرَاخٌ وَابْتِسَامٌ وَضَحِكَاتٌ وَغَنَاءٌ وَزُهُورٌ وَأَعْيَادٌ. نَحْنُ السُّرُّ، فَمَنْ نَحْنُ؟

«النَّتْ» بَيْنَ السَّلْبِ وَالْإِيجَابِ

أَعْتَرَفُ لَكُمْ بِأَنَّ مَسَاوِيَّ التَّقْنِيَةِ الْعَصْرِيَّةِ تَتَمَثَّلُ فِي الْإِنْتَرْنَتِ، وَأَنَّ انْهِيَارَ الْأَخْلَاقِ سَيَكُونُ سَبَبُهُ هَذَا «النَّتْ»، لِأَنَّا بَضْعُطَةٌ زُرُّ نَدْخُلُ إِلَى عَوَالِمٍ مِنَ الْفَسَادِ، وَنَرَى الرِّذَائِلَ بِكُلِّ أَشْكَالِهَا وَالْوَانِهَا فَكَيْفَ سَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْجُبَ هَذِهِ الْمَصَائِبَ الْأَخْلَاقِيَّةَ عَنِ الْأَطْفَالِ وَالشَّبَابِ؟! فَكُلَّمَا فُتِحَتْ أَبْوَابُ الْمَحْظُورِ عَلَى مَصَارِيْعِهَا تَسَاءَتْ أَخْلَاقُ النَّشْءِ وَأَخْلَاقُ الْكِبَارِ وَالصَّغَارِ، لِأَنَّ اسْتِعْمَالَاتِ «النَّتْ» لَيْسَ لِلدَّوَاعِي الْعِلْمِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ، إِلَّا لِمَنْ أُوْتِيَ قَدْرًا مِنَ الْحَصَانَةِ الْفِكْرِيَّةِ الَّتِي تُفَرِّقُ بَيْنَ السَّيِّئِ وَالطَّيِّبِ. أَتَمَنَّى لَوْ اسْتَطَعْتُ، وَهِيَ هَاتِ أَنْ يَكُونَ فِي مَقْدُورِي، قَطَعَ هَذِهِ التَّقْنِيَّةِ، بِرَغْمِ أَنَّ هُنَاكَ مَنْ يَسْتَعْمِلُهَا لِأَخْذِ الْمَعْلُومَةِ أَوْ إعْطَاءِ مَعْلُومَةٍ.

المُسْتَطِيعُ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ

كَالْمُسْتَطِيعِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ حِينَ يَكُونُ الطَّبِيعُ غَالِبًا عَلَى التَّطَبُّعِ. افْتَتَانُ دَائِمٍ وَارْتِهَانُ لَعْيَاهِبِ الْعُمَرِ يُتَرْجَمُ آهَاتِ الْقُلُوبِ وَتَمَتُّعَةُ الْأَلْسِنَةِ الَّتِي أَعْجَزَهَا الْبَيَانُ عَنِ التَّبْيِينِ، عِنْدَمَا تَدْلُهُمُ الرُّؤْيَى، وَتَعْصِفُ الرِّيَّاحُ، وَيَبْلُغُ الطُّوفَانُ حَدَّ الزُّبَى، يُرِيدُ أَنْ يَتَمَرَّدَ عَلَى انْكِسَارَاتِهِ، يُحَاوِلُ فَيَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اشْتِهَاءَاتِهِ الدِّينِ وَالْقِيَمِ، فَيَعُودُ أَذْرَاجَهُ لَا يَلْوِي عَلَى شَيْءٍ سِوَى الرِّضَا بِالْهَزِيمَةِ، نَزُولًا عِنْدَ رَغْبَةِ الْحُبِّ وَالْكَرَمِ وَالْعَطْفِ وَالرَّحْمَةِ، وَكُلِّ الْمَثَلِ الَّتِي قِيلَ إِنَّهَا مَثَارُ الْفَخْرِ وَالْإِعْتِزَالِ وَالْإِكْبَارِ وَالْإِرْتِقَاءِ إِلَى مَصَافِّ النُّبْلَاءِ وَالْقُدِّيسِينَ وَالْحُكَمَاءِ. مِثَالِيَّاتٌ ثَقِيلَةٌ، حَمَلَهَا طَائِعًا مُخْتَارًا لِيُصِيبَ مِنَ الضَّرَرِ أَخْفَهُ، لَمْ يَعُدْ يَعْلَمُ أَهِيَ خَلَاتِقُ الْفِطْرَةِ أَمْ مِثَالِبُهَا؟ هُوَ فِي كَهْفِ الْعُزْلَةِ يَغْزُلُ مِنْ بَقَايَاهُ رَدَاءً يَقِيهِ الْحَرَّ وَالْقَرَّ، يُضِيءُ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ عَتَمَةَ السَّوَادِ لِلْسَّوَادِ مِمَّنْ اجْتَلَبَ الشَّقَاءَ لِنَفْسِهِ، فَكَانَهُ يَسْتَهْوِي الشَّقَاءَ لِيَسْكُنَ بَيْنَ حَنَائِيهِ، وَيُقَايِضُ الْكَبَدَ بِالْحُبِّ وَالْبَهْجَةِ لِمَنْ تَنَكَّبَ طَرِيقَ السَّعَادَةِ وَالْحَقِّ وَالْفَضِيلَةِ، يَسْتَفْرِغُ الْأَرَادِلَ مِنْ مَعِينِهِ الثَّرَّ عُذُوبَةً مَاءٍ غَدَقَ؛ فَتَرَاهُ الضَّاحِكُ مِنْ سُخْرِيَاتِ الزَّمَانِ، حِينَ تَتَنَازَرُ الْوُجُوهُ وَتَجْحَدُ الْقُلُوبُ. مَا أَخْطَأَهُ الْبَدَلُ لِمَنْ كَانَ بِهِ خِصَاصَةٌ، وَلَيْتَهُ بَرِيءٌ مِنْ طَبِيبَتِهِ، لَيْتَهُ اخْتَارَ التَّعَامُلَ بِالْمِثْلِ، ثُمَّ تَتَصَارَعُ الثَّارَاتُ بَيْنَ نَفْسِهِ وَنَفْسِهِ، تَلُومُهُ الْأَلَامُ، وَتَهْيِبُ بِهِ الْمَوَاجِعُ أَنْ يَبْذُلَ الْحُبَّ بِالْبُغْضِ، فَكَانَ الْمُسْتَطِيعُ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ، فَهَلْ هُوَ قَدَرُ الْفِطْرَةِ الَّتِي انْطَبَعَ عَلَيْهَا؟ وَهَلْ هُوَ ظُلْمُ النَّفْسِ عَمْدًا؟ إِذْ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ ضَعِيفًا وَلَا جَبَانًا وَلَا خَوَّارَ الْهَمَّةِ وَالْعَزِيمَةِ وَالشَّجَاعَةِ؛ فَهُوَ فِي الْحَقِّ سَيِّفٌ يُرْدَى بِهِ الْبَاطِلُ، وَكَلِمَةٌ مُدَوِّيَّةٌ حِينَ يَكُونُ الْكَلَامُ أَقْوَى مِنْ حَدِّ السَّيْفِ. يَسْأَلُ نَفْسَهُ دَوْمًا مَا هِيَ الطَّبِيبَةُ الَّتِي أَوْرَثَتْهُ السَّمَاحَ حَتَّى فِي الْقِصَاصِ الْمَشْرُوعِ فِي نَأْمُوسِ الْكُونِ وَالتَّكْوِينِ الْخَلْقِيِّ؟ كَأَنَّهُ يَقْتَسِمُ النَّقِيزَيْنِ: الْعَدْلَ وَالظُّلْمَ، وَيُؤَثِّرُ الْإِثَارَ، حَتَّى مَعَ ظُلْمِ الْخُصُومِ لَهُ؛ (تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيْرَى).

يَنَابِيعُ أَنْثَوِيَّةٍ

أَكَادُ أَجْزُمُ أَنَّ مُسْتَقْبَلَ الْأَدَبِ وَالْفِكْرِ لَدَيْنَا سَوْفَ تَقُودُهُ الْعُقُولُ الْأَنْثَوِيَّةُ، فَإِنَّا أَرَى زَخَّاتٍ مِنْ أَمْطَارِ فِكْرِيَّةٍ نَاضِجَةٍ، لَرُبَّمَا أَنْتَجَتْهَا الْعُزْلَةُ الَّتِي كَانَتْ مَضْرُوبَةً عَلَى الْفَتَاةِ مُنْذُ نُعُومَةِ أَظْفَارِهَا إِلَى أَنْ تَفْجَرَتْ يَنَابِيعُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ هِيَ لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ. إِنِّي الْحَظُّ بَيْنَ الْفَيْئَةِ وَالْأُخْرَى إِبْدَاعًا أَنْثَوِيًّا يُضَارِعُ وَيُنَافِسُ ذُكُورَةَ الْحُرُوفِ وَالْمَعَانِي. رُبَّمَا أَعَادَ التَّارِيخُ نَفْسَهُ حِينَ كَانَتْ الْمَرْأَةُ هِيَ الْعَامِلَةَ وَالْبَلِيعَةَ، كَأَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَعَنْ وَالدَّهَا، وَهِيَ الَّتِي تَطْلُقُ الرَّجُلَ كَمَا فَعَلَتْ امْرَأَةُ حَاتِمِ الطَّائِي. وَالْخَوْفُ كُلُّ الْخَوْفِ أَنْ يَتَغَيَّرَ الْحَالُ بِالرِّجَالِ لِيُصْبِحُوا هُمْ رَبَّاتِ الْبُيُوتِ! لَكِنْ مَا يُطْمَئِنُّ الرَّجَالُ أَنَّ الْحَمْلَ وَالرِّضَاعَ لَنْ يَخْرُجَا عَنْ دَائِرَةِ الْمَرْأَةِ، وَالْأَلْكَانَا وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ. إِنِّي أَفْرَحُ وَأَبْتَهِّجُ لَتِلْكَ الْمَصَابِيحِ مِنْ بَنَاتِنَا وَنِسَائِنَا اللَّوَاتِي عَرَفْنَ أَنَّ الْحَيَاةَ لَيْسَتْ رَجُلًا فَحَسْبُ، بَلْ أَنْثَى تَصْبُحُ بِالْأَمَلِ وَالْإِبْدَاعِ، وَتُضِيءُ شُعْلَةَ الْخُلُودِ.

الْحَزَنُ الْعَظِيمُ

لَيْسَ إِنْسَانًا مَنْ لَا يَعْرِفُ الْحُزْنَ، فَالْحُزْنُ إِحْسَاسُ الْعُظَمَاءِ، وَلُغَةُ الْأَذْكِيَاءِ وَالْعَبَاقِرَةِ، الْحُزْنُ فَطْرَةُ الْخَلَائِقِ مَهْمَا عَلَا شَأْنُهَا أَوْ دَنَا، الْحُزْنُ غَذَاءُ الْقُلُوبِ الطَّاهِرَةِ الطَّيِّبَةِ، الْحُزْنُ مَلَكَ النَّبَلَاءِ، الْحُزْنُ يَهْدُبُ النُّفُوسَ، وَيُودِّبُ الْعُقُولَ، الْحُزْنُ لَيْسَ هَزِيمَةً بِقَدْرِ مَا هُوَ انْتِصَارٌ عَلَى الْكِبَرِ وَالْغُرُورِ وَالْفِسْقِ وَالْعِصْيَانِ، الْحُزْنُ يُرِينَا غَفْلَتَنَا عَنْ نُفُوسِنَا لِنَرَى حَقِيقَةَ ضَعْفِنَا وَانْكِسَارِنَا وَقَوَّتِنَا وَصِحَّتِنَا وَسَقَمِنَا. الْحُزْنُ مَسْرَحٌ كَبِيرٌ فِيهِ الْغَنِيُّ وَالْفَقِيرُ وَالْمَرِيضُ وَالْجَرِيحُ وَالْمَظْلُومُ، الْحُزْنُ دُمُوعُ الذِّلِّ أَوْ الْكِرَامَةِ، الْحُزْنُ الْفِرَاقُ وَالْهَجْرُ وَالْعَدَاءُ وَالْخِصَامُ، الْحُزْنُ مَخْلُوقٌ لَا يَمُوتُ إِلَّا بَعْدَ مَوْتِ الْمَوْتِ، الْحُزْنُ أَكْبَرُ مِنَ الْفَرَحِ وَأَقْلُ مِنَ التَّرَجِّ، الْحُزْنُ يَنْتَابُ الْخَلَائِقَ فِي أَكْثَرِ الْأَوْقَاتِ الْيَوْمِيَّةِ، الْحُزْنُ صَدِيقُ الْأَوْفِيَاءِ وَالْكَرَمَاءِ وَالشَّعْرَاءِ وَالْأَدَبَاءِ وَالْحُكَمَاءِ؛ لِذَا يَتَوَلَّدُ الْإِحْسَاسُ بِالْحُزَنِ فِي النُّفُوسِ الْكَبِيرَةِ الْعَالِمَةِ الْمُخْلِصَةِ وَالصَّادِقَةِ.

غُرْبَةُ الْهُوِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ

فِي مَوَاسِمِ الْقَلَقِ تَقْرَعُ أَصَابِعُ الرِّيحِ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسَاءَاتِ الْمُغْلَقَةِ بِرِتَاجِ السَّوَادِ الْحَانِقِ عَلَى فَلَقِ الْبَصِيصِ الْمُشْرِبِّ إِلَى بَصَائِرِ النُّورِ غَيْرِ مُسْتَدِيمِ الْعَمَةِ، ثُمَّ تَتَبَلَّجُ أَسَارِيرُ الْبُوحِ لِفَيَالِقِ النُّورِ الْمُتْرَامِي عَلَى عُيُونِ الْكَوْنِ السَّاهِرِ الْمُتَرَقِّبِ لِقَوَافِلِ الْأَمَلِ لِكَأَنَّهَا «الْوَجَنَاءُ» تَعُودُ مِنْ رِحْلَةِ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، مُحَمَّلَةً بِشَتَى صُنُوفِ عُرُوضِ التَّجَارَةِ الَّتِي يَنْتَظِرُهَا أَهْلُ مَدِينَةِ الْجُوعِ، مِمَّنْ أَرْمَضَتْهُمْ تَكَالِيفُ الصَّحْرَاءِ. كَانَتْ تِلْكَ أَحَادِيثُ أُمَّةٍ خَلَتْ وَأَضَحَتْ فِي الْعَابِرِينَ، وَمَا زَالَتْ تَجَرَّتْ بَقَايَا رَوَايَاتِهَا السِّنَّةَ الْكُھُولَةَ، تَتَزَايَدُ فِي السَّرْدِ وَتَنْتَقِصُ، وَفِي النَّسْيَانِ تَخْتَلِقُ قِصَصًا مِنْ وَهْمِ الْخِيَالِ، مَنْسُوجَةً عَلَى غِرَارِ قِصَصِ أَلْفِ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةٍ الَّتِي قِيلَ إِنَّهَا قِصَصُ نَسَجَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ مُؤَلَّفٌ فَارِسِيٌّ؛ فَنَسَبَهَا الْبُسْطَاءُ إِلَى الْعَرَبِ لِجَهْلِ مَصْدَرِهَا. وَمِنْ هُنَا نُنْذِرُ أَنَّ الْعَرَبَ بَدَؤُوا وَحَضَرُوا لَمْ يَكُنْ فِي أُمُثُولَاتِهِمْ اِهْتِمَامٌ بِفَنِّ الْأَسَاطِيرِ أَوْ فَنِّ الرِّوَايَةِ إِلَّا أَقَاصِيصُ تَحَاكِي الْوَاقِعِ، بِأَشْكَالٍ سَرْدِيَّةٍ لَا تَرَوِي ظَمًا الْمُتَشَوِّقِينَ إِلَى الْقِرَاءَةِ، بَلْ ظَمًا الْمُتَشَوِّقِينَ إِلَى السَّمَاعِ، وَلَمْ تَسْتَطِعِ الْأَثَرِيَّاتُ أَنْ تُفْصِحَ بِالْإِجْمَالِ عَنْ قُوَّةِ النَّسَبِ بَيْنَ اللَّهْجَاتِ مِنْ حِمِيرِيَّهَا إِلَى سَبْيِيَّهَا لِتَأْكِيدِ اتِّصَالِ اللُّغَةِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، وَمَا كَانَتْ إِلَّا تَخْرُصَاتٍ لَا تُفَسِّرُ بوضوحٍ اسْتِقَاقَاتِ الْكَلِمَاتِ وَالْمَعَانِي، وَحَتَّى سَدَنَةُ اللُّغَةِ وَأَرْبَابُ عِلْمِ التَّارِيخِ وَعِلْمِ الْاجْتِمَاعِ، كَابُنْ خَلْدُونِ وَمَنْ جَاءَ بَعْدَهُ وَحَدَا حَدُوهُ مِنْ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ وَالْاجْتِمَاعِ، لَمْ يَسْتَدِلُّوا إِلَى الْآنَ بِحَقِيقَةٍ تُؤَكِّدُ اتِّصَالَ أَمْشَاجِ الْعِرْقِ الْعَرَبِيِّ فِي زَمَنِ الدِّينَيْنِ السَّالِفَيْنِ، الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ إِلَى أَنْ جَاءَ النَّبِيُّ الْعَرَبِيُّ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ بِالْقُرْآنِ الْمُنَزَّلِ؛ فَوَقَفْنَا أَمَامَهُ مُصَدِّقِينَ بِمَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَتَأَكَّدَ لَنَا اتِّصَالُ هَذَا الْعِرْقِ مِنْذُ آلَافِ السِّنِينَ بِهُوِيَّةٍ وَاحِدَةٍ تَتَلَخَّصُ فِي عُرُوبَةٍ قَحْطَانٍ وَعَدْنَانٍ وَانْتِسَابِهِمَا إِلَى سَامِ بْنِ نُوحٍ، وَلَوْلَا هَذَانِ الْمَصْدَرَانِ لَكُنَّا إِلَى الْيَوْمِ مُشْكِكِينَ وَبَاحِثِينَ وَمُتَطَلِّعِينَ إِلَى مَا يَجْلُو الصَّدَأَ عَنِ الْهُوِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ.

تَعْدِيلُ عَطْلَةِ الْأُسْبُوعِ

لِمَاذَا لَمْ يُسَمَّ يَوْمُ الْجُمُعَةِ بِالْيَوْمِ السَّادِسِ بَعْدَ الْخَمِيسِ، وَيُسَمَّ السَّبْتُ بِالْيَوْمِ السَّابِعِ؟
 إِلَّا أَنْ يَكُونَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ هُوَ يَوْمٌ لِلِاجْتِمَاعِ وَالتَّرْفِيهِ وَالْإِينَاسِ، وَلَيْسَ لِلْعَمَلِ، كَمَا كَانَ
 يُسَمِّيهِ الْقُرَشِيُّونَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ (بِفَتْحِ الْجِيمِ) هُوَ يَوْمٌ لِقَاءِ الْجَمْعِ، فِيمَا اشْتَقَّ السَّبْتُ مِنَ
 السُّبَاتِ، وَلَهُمَا مُشْتَقَاتٌ كَثِيرَةٌ الْمَعَانِي. وَارَى أَنَّ الْجُمُعَةَ لِاجْتِمَاعِ الْبَعْضِ مَعَ الْبَعْضِ،
 وَالسَّبْتُ هُوَ لِلْإِخْلَادِ إِلَى النَّوْمِ وَالرَّاحَةِ، بَعْدَ عَنَاءِ خَمْسَةِ أَيَّامٍ. لِذَلِكَ لَمْ يُحَسَّبَا أَرْقَامًا،
 وَالْأَرْقَامُ مَدْعَاةٌ لِعَمَلِ الْفِكْرِ كَمَا لِلْعَمَلِ الْجِسْمَانِيِّ؛ لِهَذَا أَرَى أَنَّ تَكُونَ الْإِجَازَةَ الْأُسْبُوعِيَّةُ
 فِي يَوْمِي الْجُمُعَةِ وَالسَّبْتِ، لَا الْأَحَدِ كَمَا يَفْعَلُ الْفَرَنْجَةُ.

هَذِهِ الْخَاطِرَةُ كَتَبْتُهَا فِي صَفْحَتِي فِي «الْفَيْسبُوك» قَبْلَ شَهْرَيْنِ مِنْ صُدُورِ الْأَمْرِ الْمَلَكِيِّ
 بِتَعْدِيلِ يَوْمِ الْإِجَازَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ وَالسَّبْتِ.

مُغْرَضُونَ

(مَا هَكَذَا تُوْرَدُ الْإِبِلُ يَا سَعْدُ): الْبَعْضُ يَرْوُقُهُ التَّجَنِّي عَلَى الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ وَتَحْرِيفُ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ؛ لِإِثَارَةِ الْفِتَنِ وَالْقَلَاقِلِ وَبَثِّ الْإِشَاعَاتِ الْمُغْرَضَةِ لِإِشْعَالِ جَذْوَةِ الْحَقْدِ عَلَى هَذَا الْوَطَنِ الْكَرِيمِ وَأَهْلِهِ وَشَعْبِهِ وَحُكُومَتِهِ. وَهُنَاكَ مَنْ يُفَسِّرُ الْأُمُورَ عَلَى غَيْرِ حَقِيقَتِهَا، فَلَيْسَ مِنَ الْمَعْقُولِ وَلَا مِنَ الْمَنْطِقِ الشَّرْعِيِّ أَنْ تُقَرَّرَ الْمَمْلَكَةُ تَأْجِيلَ الْعُمْرَةِ وَالْحَجِّ، وَهُمَا شَعِيرَتَانِ مِنْ شَعَائِرِ الدِّينِ لَا تَقْبَلَانِ التَّأْجِيلَ، كَمَا زَعَمَ الْمُغْرَضُونَ. وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْهَدَفَ هُوَ تَقْلِيلُ عَدَدِ الْوَافِدِينَ لِلْعُمْرَةِ وَالْحَجِّ مِنَ الدَّخَالِ وَالْخَارِجِ، خَوْفًا وَعِصْمَةً لِأَرْوَاحِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَيِّ كَارِثَةٍ قَدْ يُسَبِّهَا الْإِزْدِحَامُ الشَّدِيدُ، نَظَرًا إِلَى مَشَارِيعِ التَّوَسُّعِ الَّتِي يَشْهَدُهَا الْحَرَمُ الْمَكِّيُّ الشَّرِيفُ، وَتَبَيَّنَّا لِلْقُدْرَةِ الْإِسْتِيعَابِيَّةِ لِلْمُعْتَمِرِينَ وَالْحُجَّاجِ، وَهِيَ خُطْوَةٌ مَحْمُودَةٌ الْعَوَاقِبِ، كَيْ لَا تُزْهَقَ الْأَرْوَاحُ، أَوْ تَكُونَ هُنَاكَ إَصَابَاتٌ بَيْنَ وَفُودِ الْمُعْتَمِرِينَ وَالْحُجَّاجِ. فَالْمَلَامَةُ سَتَكُونُ أَكْبَرَ عَلَى الْمَمْلَكَةِ إِذَا لَمْ تَقُمْ بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ وَالتَّحْذِيرِ. وَأَمْرٌ كَهَذَا لَيْسَ مَحَلَّ هَزَلٍ أَوْ عَوَاطِفَ غَيْرِ عَقْلَانِيَّةٍ، بَلْ إِنَّ الْأَمْرَ يَتَعَلَّقُ بِحَقَائِقَ وَاقِعِيَّةٍ تَشْهَدُهَا سَاحَاتُ الطَّوَافِ وَالسَّعْيِ؛ فَمَكَّةُ الْآنَ تُمَثِّلُ أَكْبَرَ وَرْشَةِ لِلْعَمَلِ، سَوَاءً فِي الْحَرَمِ أَوْ فِي الْمَنَاطِقِ الْمُحِيطَةِ بِهِ، وَيَمُغْظَمُ أَرْجَاءُ مَكَّةِ الْمُكْرَمَةِ، مِمَّا يَجْعَلُ الْوُصُولَ إِلَى الْحَرَمِ وَالْمَشَاعِرِ صَعْبًا لِلْغَايَةِ، وَمِنْهَاكَ لِلْمُعْتَمِرِ وَالْحَاجِّ وَحَتَّى لِلْمَقِيمِ. فَلْيَتَّقِ اللَّهُ مَنْ يَهْرَفُ بِمَا لَا يَعْرِفُ، وَلْيُقَدِّرِ الْجُهُودَ الْكَبِيرَةَ وَالْأَمْوَالَ الطَّائِلَةَ الَّتِي تُصَرِّفُهَا الْمَمْلَكَةُ لِرَاحَةِ الْمُعْتَمِرِينَ وَحُجَّاجِ بَيْتِ اللَّهِ، وَلْيُقَابِلِ الْإِحْسَانَ بِالْإِحْسَانِ لَا بِالْإِسَاءَةِ.

استنزاف

لَعَلَّ سُورِيَا الْيَوْمَ هِيَ أَفْغَانِسْتَانُ الثَّانِيَةُ، حَيْثُ يَقْضِي مُخَطَّطُ التَّامُرِ أَنْ تَقُومَ بَيْنَ
الشُّعُوبِ الْعَرَبِيَّةِ حُرُوبٌ مَاحِقَةٌ كَحَرْبِ دَاحِسٍ وَالْغُبَرَاءِ. وَلَنْ يَكُونَ هُنَاكَ غَالِبٌ أَوْ
مَغْلُوبٌ، بَلْ سَيَكُونُ الْمَازِقُ بَالِغَ الصُّعُوبَةِ عَلَى أُمَّةِ الْعَرَبِ، بِحَيْثُ تُسْتَنْزَفُ ثُرَوَاتُهَا
وَطَاقَاتُ أُنْبَانِهَا، فِي حُرُوبٍ افْتَعَلَهَا سَاسَةُ الْعَالَمِ الْأَقْوَى، وَسَيَقْتُلُ الْعَرَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا
فِي حُرُوبٍ سَوْفَ تَأْتِي عَلَى الْأَخْضَرِ وَالْيَاسِ، وَقَدْ أَسْلَفْتُ الْقَوْلَ مُنْذُ زَمَنٍ لَيْسَ بِالْقَصِيرِ،
فِي كِتَابَاتِي النَّثْرِيَّةِ وَشُعْرِي، مُنْبَهًا إِلَى هَذِهِ الْأَحْوَالِ الَّتِي نَعِيشُهَا الْآنَ، وَحَيْثُ الْقَادِمُ أَكْثَرُ
مَرَارَةً، سَتَحْوِلُ الْأُمَّةُ الْعَرَبِيَّةُ وَأَوْطَانُهَا إِلَى سَاحَاتٍ لِلصَّرَاعِ الدِّمَوِيِّ. ذَلِكَ كُلُّهُ حَدَثٌ
عِنْدَمَا أَدَارَ الْحُكَّامُ ظُهُورَهُمْ عَنِ الْخُلُصِ وَالنَّابِهِينَ مِنْ أُنْبَاءِ الْأُمَّةِ، وَحَجَرُوا عَلَى الْفِكْرِ
الْوَاعِي لِيَكُونَ حِكْمًا عَلَى الْبَطَانَاتِ وَالْمُنْتَفِعِينَ وَالْأَذْنَابِ، فَمُنْذُ حَرْبِ الْعِرَاقِ مَا بَرَحَتِ
الدُّوَلُ الْكُبْرَى تَرْسُمُ خُطَطًا لِتَدْمِيرِ الشَّعْبِ الْعَرَبِيِّ وَأَقْطَارِهِ، وَمَا سَيَلْحَقُ بِالْحُكَّامِ أَيْضًا،
وَبِمَا ادَّخَرُوهُ مِنْ ثُرَوَاتٍ، وَإِذَا لَمْ تَتَلَقَّفِ الثَّرْوَةُ أَيْدِي الْفُقَرَاءِ، فَهِيَ سَتَكُونُ حَظًّا وَافِرًا
لِلْقُوَى الْكُبْرَى، يَأْتِيهَا مِنْ دُونِ عَنَاءٍ؛ لِأَنَّ النُّظُمَ الْعَرَبِيَّةَ لَمْ تَنْظُرْ إِلَى أَبْعَدَ مِنْ تَخْزِينِ
الْمَالِ، وَلَمْ تُفَكِّرْ فِي أَنْ وَرَاءَ الْأَكْمَةِ مَا وَرَاءَهَا مِنْ أَعْدَاءٍ يُحِيطُونَ بِالْحُمْلَانِ الْوَدِيعَةِ،
سَتَنْشَأُ وَسَتَضَاعِفُ الْجَرِيْمَةُ الْمُنَظَّمَةُ، وَلَنْ يَحْوِلَ بَيْنَ التَّدْمِيرِ وَالسَّقُوطِ الْعَرَبِيِّ حَائِلٌ،
فَهَذِهِ أَشْجَارُ الْخَرِيفِ الْعَرَبِيِّ تَتَسَاقَطُ وَلَنْ تُجْدِيَ النُّذْرُ، وَلَنْ يَتَرَجَعَ النَّهْمُ وَالْجَشَعُ
وَالْتَّكَالُبُ عَلَى الْمَصَالِحِ الدَّائِيَّةِ إِلَّا بِإِنْدَارِ الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ.

حُبُّ الْوَطَنِ

إِنَّ حُبَّ الْوَطَنِ لَيْسَ مُجَرَّدَ تَشَدُّقٍ بِالْكَلِمَاتِ، إِنَّمَا هُوَ تَضَحِيَّةٌ وَامْتِنَالٌ لِلنِّظَامِ وَحِفْظٌ لِلْمُكْتَسَبَاتِ وَارْتِقَاءٌ بِالْقِيَمِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعَظِيمَةِ. حُبُّ الْوَطَنِ لَيْسَ انْتِقَامًا مِنْ جَمَالِيَّاتِهِ وَبُيِّنَاتِهِ وَازْدِهَارِهِ. حُبُّ الْوَطَنِ لَا يَقُومُ عَلَى الْعَبَثِ وَالْمُخَادَعَةِ وَالتَّضْلِيلِ وَالزَّيْفِ وَالْفُسُوقِ وَإِدَارَةِ الظُّهْرِ لِلْمُخْلِصِينَ الْقَائِمِينَ عَلَى اسْتِشْرَافِ حَضَارَتِهِ. حُبُّ الْوَطَنِ هُوَ أَلَّا نَسْمَحَ لِيَدِ الْفَسَادِ وَالتَّخْرِيبِ أَنْ تُدْمَرَ أَوْصَالُهُ وَأَرْكَانُهُ. حُبُّ الْوَطَنِ هُوَ عَهْدُ الصَّادِقِينَ مَعَ تَرَابِهِ وَجِبَالِهِ وَكُتُبَانِهِ وَصَحَارِيهِ وَبَرِّهِ وَبَحْرِهِ وَسَمَائِهِ. حُبُّ الْوَطَنِ لَيْسَ انْتِهَاكَ لِحُرْمَاتِهِ وَلَا قَبُولًا بِضْيَاعِهِ وَانْكَسَارِهِ. حُبُّ الْوَطَنِ لَيْسَ اغْتِصَابًا لِحُقُوقِ أَهْلِهِ وَلَا امْتِنَانًا لِكِرَامَاتِهِمْ. حُبُّ الْوَطَنِ لَيْسَ التَّفْرِيقَ بَيْنَ أَبْنَائِهِ تَعْصِبًا لَجِنْسٍ أَوْ عِرْقٍ أَوْ لَوْنٍ. حُبُّ الْوَطَنِ لَيْسَ اسْتِقْوَاءً عَلَى الضَّعْفَاءِ، بَلْ هُوَ اخْتِصَانُ الْكُلِّ لِلْكُلِّ بِقُلُوبٍ تَنْشُدُ الْمُسَاوَاةَ فِي الْحُقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا فَرْقَ بَيْنَ عَرَبِيٍّ وَلَا أَعْجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى». حُبُّ الْوَطَنِ هُوَ اخْتِرَامُ الصَّغِيرِ لِلْكَبِيرِ، وَعَطْفُ الْكَبِيرِ عَلَى الصَّغِيرِ، وَالبَدَلُ لِلْمَسْكِينِ وَالْفَقِيرِ. حُبُّ الْوَطَنِ لَيْسَ اسْتِعْلَاءً بِمَنْصِبٍ أَوْ مَالٍ أَوْ جَاهٍ. حُبُّ الْوَطَنِ لَيْسَ نَهْبًا لِمُكْتَسَبَاتِهِ وَثَرَوَاتِهِ. حُبُّ الْوَطَنِ لَا يَقُومُ عَلَى السُّخْرِيَّةِ وَالتَّعْرِيزِ بِأَبْنَاءِ الْوَطَنِ الْوَاحِدِ أَوْ الْحَقْدِ أَوْ الْحَسَدِ لِمَنْ أَعْطَاهُمُ اللَّهُ. حُبُّ الْوَطَنِ قَوْلٌ يَتَّبِعُهُ عَمَلٌ وَاتِّقَانٌ. حُبُّ الْوَطَنِ أَنْ تُحِبَّ لِأَخِيكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ. حُبُّ الْوَطَنِ يَتَجَسَّدُ فِي جَمَالِ الْخُلُقِ وَالْوُقُوفِ صَفًا وَاحِدًا فِي مُوَاجَهَةِ كُلِّ تَخْرِيبٍ، فَلَا نَسْتَبْدِلُ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ. هَذَا هُوَ حُبُّ الْوَطَنِ، فَهَلَّا أَحْبَبْنَا الْوَطَنَ؟

الْعَدْلُ أَسَاسُ الْمُلْكِ

لَقَدْ نَجَحْتُ أَمْرِيكَ بِشَكْلِ لَافِتٍ فِي تَعْرِيةِ الْإِسْلَامِيِّينَ أَمَامَ شُعُوبِهِمُ الْعَرَبِيَّةِ، وَهِيَ قَدْ خَطَطَتْ لِهَذَا كَيْ تَفْتَنَعَ الشُّعُوبُ الْعَرَبِيَّةُ أَنَّ الْإِسْلَامِيِّينَ غَيْرَ الْوَسْطِيِّينَ لَيْسُوا أَهْلًا لِلْحُكْمِ وَقِيَادَةِ الشُّعُوبِ، وَمِصْرُ هِيَ النَّمُودَجُ. وَأَنَا أَوَّلُ الْمُقْتَنِعِينَ بِأَنَّ نَظْرِيَّةَ أَسْلَمَةِ الْحُكْمِ تَتَعَارَضُ مَعَ لُغَةِ السِّيَاسَةِ الْعَالَمِيَّةِ، كَمَا أَنَّهَا أَثْبَتَتْ فَسْلَهَا فِي عَصْرِ الْقُوَى الْعُظْمَى وَعَصْرِ تَسَارُعِ التَّقْنِيَّاتِ وَتَصَارُعِ الثَّقَافَاتِ، وَهَذَا لَا يَغْنِي فَضْلَ الدِّينِ عَنِ السُّلْطَةِ، إِنَّمَا يُؤَكِّدُ التَّبَايُنَ فِي الرُّؤْيِ وَالْإِتِّجَاهَاتِ مَا بَيْنَ فِكْرٍ يَتَوَّاهُ مَعَ الْعَصْرَةِ وَفِكْرٍ يَعْجُزُ عَنِ التَّلَاوُمِ مَعَهَا، لِأَنَّ الشُّعُوبَ الْعَرَبِيَّةَ لَا تَعِيشُ بِمَعْزِلٍ عَنِ الْعَالَمِ، وَمِنْ نَافِلَةِ الْقَوْلِ أَنَّ الْأَقْوَى هُوَ مَنْ يَفْرُضُ أَيْدِيُولُوجِيَّتَهُ وَثِقَافَتَهُ عَلَى الْأَضْعَفِ، وَإِنَّ تَوَلِّيَ الْإِسْلَامِيِّينَ غَيْرِ الْوَسْطِيِّينَ السُّلْطَةَ يُؤَسِّسُ لَانْهِيَارِ الشُّعُوبِ وَالْأَوْطَانِ، وَإِنِّي أَخْشَى كَثِيرًا الْآنَ عَلَى «الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ»، رَغْمَ أَنَّ نَظَرِيَّاتِهِمْ قَدْ سَقَطَتْ، وَرَبَّمَا نَرَى مُنْذُ الْعَدُوِّ مَنْ سَيَحْلِقُونَ لِحَاكِمِهِمْ خَوْفًا مِنْ ثَوْرَةِ الْأَحْزَابِ الْمُخْتَلِفَةِ الْمُنَافِضَةِ لِتَوَجُّهَاتِهِمْ الَّتِي أَنْقَلَهَا الْغَبَاءُ، بَعْدَ أَنْ وَصَلَ الْحُكْمُ إِلَيْهِمْ طَائِعًا مُخْتَارًا، وَلَكِنَّ الْجَهْلَ السِّيَاسِيَّ وَالْفَرَحَةَ بِكَرْسِيِّ الرِّئَاسَةِ مِنْ دُونِ النَّظَرِ إِلَى الْكِفَاءَةِ هِيَ الشُّعْرَةُ الَّتِي قَصَمَتْ ظَهَرَ الْبَعِيرِ. وَالْأَوَّلَى بِالْحَاكِمِ أَلَّا يَغْتَرَّ كَثِيرًا بِالْجُلُوسِ عَلَى كُرْسِيِّ الْحُكْمِ، وَبِأَنَّ يَسْتَعْبِدَ الشُّعُوبَ لِمَصْلَحَةِ حِزْبٍ أَوْ طَائِفَةٍ، فِدَائِمًا وَأَبَدًا كُرْسِيُّ الْحُكْمِ هَزَازٌ، يَنْقَلِبُ فِي لَحْظَةٍ وَلَافِتَةٍ الْأَسْبَابُ مَهْمَا كَانَتْ الدَّعَائِمُ تَشِي بِاسْتِقْرَارِهِ، فَالْحُكْمُ مُسْتَمَدٌّ مِنْ إِرَادَةِ الشُّعُوبِ، أَمَّا الْأَشْخَاصُ فَسَرْعَانَ مَا يَزْحَلُونَ، حَتَّى وَلَوْ اعْتَقَدُوا بِأَنَّ حُكْمَ الشُّعُوبِ حَقٌّ مُكْتَسَبٌ لَهُمْ، وَأَنَّ الشُّعُوبَ مَا هِيَ إِلَّا مُجَرَّدُ عَبِيدٍ يُؤْمَرُونَ فَيَطِيعُونَ، هُنَا يَكْمُنُ الْغَبَاءُ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى سُقُوطِ الْحَاكِمِ. أَمَّا الْحَاكِمُ الْفُطْنُ الَّذِي يَعْرِفُ أَنَّ الْخَلْقَ عِيَالُ اللَّهِ، وَأَنَّ أَمْرَهُمْ لَهُ وَالْيَهُ، وَأَنَّهُ مُكَلَّفٌ مِنَ الشَّعْبِ لِإِدَارَةِ شُؤُونِ الْبِلَادِ بِالْعَدْلِ وَالْمَسَاوَاةِ، هُنَا يَكُونُ الْحَاكِمُ جَدِيرًا بِالْإِحْتِرَامِ وَالتَّقْدِيرِ وَحُبِّ الشَّعْبِ لَهُ وَتَمَسُّكِهِ بِهِ. وَقَدْ صَدَقَ مَنْ قَالَ: «الْعَدْلُ أَسَاسُ الْحُكْمِ».

الْعَبْتُ بِاللُّغَةِ

عَلَيْنَا النَّظْرُ بِجَدِيَّةٍ كَامِلَةٍ إِلَى قَضِيَّةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، فَهِيَ مَا بَقِيَ لَنَا مِنْ هُوِيَّتِنَا، وَهَنَاكَ مَنْ يُحَاوِلُ بِجَهْلِهِ تَدْمِيرَ هَذِهِ اللُّغَةِ بِإِصَافَةِ حُرُوفٍ أَوْ إِنْقَاصِ أُخْرَى فِي الْكَلِمَاتِ، وَيَظُنُّ أَنَّ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَكْتُبَ كَلِمَاتِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ عَلَى كَيْفِهِ وَعَلَى مِزَاجِهِ، وَهُوَ لَا يَدْرِي بَأَنَّ لُغَتَنَا تَعْنِي هُوِيَّتَنَا، وَتَعْنِي قُرْآنَنَا الْعَظِيمَ، وَأَنَّ مُجَرَّدَ الْعَبَثِ بِهَذِهِ اللُّغَةِ هُوَ عِبَثٌ بِلُغَةِ الْقُرْآنِ.

إِنَّ اللُّغَةَ أَمَانَةٌ فِيْ عُنَاقِنَا، وَالْحِفَافُ عَلَيْهَا وَاجِبٌ كُلِّ مُسْلِمٍ يَفْقَرُ الْقُرْآنَ. وَالْمَقْصُودُ لَيْسَ
اللَّهْجَةُ الْعَامِّيَّةُ، فَكَلْنَا فِي أَحْيَانٍ كَثِيرَةٍ نَتَكَلَّمُ اللَّهْجَةَ الْعَامِّيَّةَ، وَلَكِنْ الْإِضْفَاتِ وَالْتَفْقِيصِ
فِي أَبْجَدِيَةِ الْحُرُوْفِ هِيَ الْخَطْرُ، مِثْلُ مَنْ يَكْتُبُ (أَكَيَسِيْسِيْد) و(فَأَاللألألأل)، وَغَيْرِ
ذَلِكَ. وَلَوْ كَانَتْ هَذِهِ الْكِتَابَةُ خَطًّا مَطْبَعِيًّا لَا تَلَمُسْنَا الْعُدْرَ، لَكِنْ تَعَمَّدَ خُلُقِ مُؤَصَّدٍ جَدِيدَةٍ
لِلُّغَةِ هُوَ الَّذِي يُهْدِدُ لُغَةَ الْقُرْآنِ بِالتَّحْرِيفِ وَعَدَمِ الْقِرَاءَةِ الصَّحِيْحَةِ. وَلَوْ كَانَ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ
بِهَذَا الشَّكْلِ الْخَاطِئِ أَعَاجِمٌ لَعَذَّرْنَاهُمْ، لَكِنَّ الْمُؤَسَّفَ أَنَّ الْأِسَاءَةَ تَأْتِي مِنْ شُبَّانِ عَرَبٍ،
وَلَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ بَكَمَّا، أَوْ لَدَيْهِمْ ثَلَاثَةٌ، أَوْ تُقْصَهُمُ الْقُدْرَةُ عَلَى نُطْقِ الْحُرُوْفِ لَعَذَّرْنَاهُمْ
صَوْتًا لَا كِتَابَةً؛ فَأَرْجُوا مُحَارَبَةَ أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، وَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْحَرْفِ
اللاتينيّ، كَيْ لَا يُحْسَبَ هَذَا الْجَهْلُ عَلَى الْعُقَلَاءِ وَالْعَارِفِينَ مِنَّا. فِهَذِهِ لُغَتَنَا الَّتِي نَسْمُو بِهَا،
وَأَمَّلَ التَّضَامَنُ مَعِي فِي مُحَارَبَةٍ مَنْ يَعْبَثُ بِلُغَتِنَا الْعَرَبِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْمَشْكَلَ أَخَذْتَ أَبْعَادًا كَبِيرَةً،
وَاصْبَحَ الْكَثِيرُ مِنَ الشَّبَابِ يَكْتُبُونَ بِالطَّرِيقَةِ الْخَطِئَةِ. إِنَّ مِنْ وَاجِبِ الْمُتَعَلِّمِينَ وَالْمُتَّقِينَ
وِقَارِي الْقُرْآنِ إِلَّا يَقْبَلُوا بِهِذَا الْأَسْهَتَارِ بِاللُّغَةِ، حَتَّى لَا يَأْتِيَ يَوْمٌ يُصْبِحُ فِيهِ أَنْبَاؤُنَا
وَأَحْفَادُنَا أَعَاجِمَ. فَيَكْفِي اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ مَا لَحِقَ بِهَا مِنْ كَوَارِثٍ جَرَاءَ دُخُولِ الْعُجْمَةِ إِلَيْهَا،
وَهِيَ تَكَادُ تَضُمَّحِلُ، لَوْلَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ الَّذِي وَعَدَ اللَّهُ بِحِفْظِهِ. إِنِّي أُؤْمِّلُ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ
وَنَائِبِهِ وَعَاقِلٍ وَعَالِمٍ أَنْ يَنْطِقَ بِاللُّغَةِ بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، وَإِنْ يَخْصُرُ اللَّهْجَةُ فِي الْمَنْزِلِ أَوْ
جَلَسَاتِ الْمُبَاسَّطَةِ الْخَاصَّةِ، وَلَوْ أَنَّنِي أَتَمَّنَى أَنْ نَتَحَدَّثَ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي كُلِّ زَمَانَ وَمَكَانٍ.

خَوْفٌ مِنَ الْآتِي

ثَمَّةٌ فِي الدُّنْيَا دَوِيٌّ هَائِلٌ، أَصْوَاتٌ وَأَحْدَاثٌ وَنَكَبَاتٌ وَحُرُوبٌ وَدِمَاءٌ. الْآنَ نَرَى الدُّنْيَا عَلَى حَقِيقَتِهَا؛ كُلُّهَا فَوَاجِعٌ وَشَكْوَى وَدُمُوعٌ، لَا أَحَدٌ يَشْعُرُ بِالْأَمَانِ. فِي كُلِّ مَكَانٍ خَوْفٌ مِنَ الْمَجْهُولِ، انْتِظَارٌ وَتَرَقُّبٌ لِحَدَثٍ أَكْبَرَ يَهْزُ الْعَالَمَ. ثَمَّةٌ شُعُورٌ يَنْتَابِنِي بِأَنَّنَا نَعِيشُ مَرَحَلَةً مَخَاضٍ عَسِيرٍ، لَا أَعْلَمُ بَعْدَهَا مَا سَيَحُلُ بِهَذَا الْعَالَمِ، الْكُلُّ فِي ذُعْرِ نَفْسِي، الْكُلُّ فِي مَتَاهَةٍ، كَمَا لَوْ أَنَّ سُرْعَةَ الْأَرْضِ قَدْ تَضَاعَفَتْ، فَخَلَفَتْ هَذَا الْإِهْتِرَازَ النَّفْسِيَّ وَالْكَوْنِيَّ. إِنِّي أَشْعُرُ بِأَنَّ شَيْئًا مَا إِلَهِيًّا سَيَحْدُثُ. اللَّهُمَّ الطُّفَّ بِنَا. اللَّهُمَّ أَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ.

نَحْنُ الْبَلَاءُ

نَحْنُ نَسْتَعْدِي الزَّمَانَ عَلَى الزَّمَانِ، وَنَسْتَعْدِي النِّسَاءَ عَلَى الرِّجَالِ، وَالرِّجَالَ عَلَى النِّسَاءِ. نَحْنُ تُشْجِنَا الدُّمُوعُ وَيُطْرِبُنَا الْبُكَاءُ. نَحْنُ لَا نَعْرِفُ مَا مَعْنَى الْحَيَاةِ، وَلَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَصْنَافِ الْبَلَاءِ؛ لِأَنَّنَا نَحْنُ الْبَلَاءُ، نَحْنُ الْهَبَاءُ وَنَحْنُ الْغَبَاءُ.

وَسَطِيَّةُ الْإِسْلَامِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَنِي الْقَلِيلَ مِنْ عِلْمِهِ الْكَثِيرِ، وَالَّذِي أَلْهَمَنِي التَّصَوُّرَ فِي رُؤْيَةِ الْحَقَائِقِ الَّتِي يَنْتَهِجُهَا بَعْضُ مَنْ يَدَّعِي الْعِلْمَ الدِّينِيَّ وَالْفَهْمَ الشَّرْعِيَّ، فِي هَذَا الْوَطَنِ وَفِي الْكَثِيرِ مِنْ أَوْطَانِ الْعُرُوبَةِ وَالْإِسْلَامِ؛ فَقَدْ كَتَبْتُ سَابِقًا عَنْ بَعْضِ مَنْ يَزْعُمُونَ وَيَدَّعُونَ الْعِلْمَ الشَّرْعِيَّ، وَهُمْ إِنَّمَا يُبْطِنُونَ مَا لَا يُظْهِرُونَ، بُغْيَةً تَحْقِيقَ مَا رَبَّ سِيَاسِيَّةً وَمَالِيَّةً بِاسْمِ الدِّينِ إِنَّهُمْ أَشْبَهُ بِزَعَامَاتٍ تَهْدِفُ إِلَى كَسْبِ الْأَمْوَالِ مِنْ رِجَالِ الْأَعْمَالِ وَالشَّرَكَاتِ وَمِنْ الَّذِينَ يُحِبُّونَ فِعْلَ الْخَيْرِ، وَيَعْمَلُونَ عَلَى جَبَايَةِ الْأَمْوَالِ بِحُجَّةٍ تَوَزِيعُهَا عَلَى الْمَسَاكِينِ فِي الدُّوَلِ الْفَقِيرَةِ، وَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ مَا يَقُومُونَ بِهِ هُوَ نَصْرَةٌ لِلْإِسْلَامِ وَمَجَابَهَةٌ لِلْحَرَكَاتِ التَّنْصِيرِيَّةِ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ الَّتِي تُعَانِي مِنَ الْعَوَزِ. وَبَعْدَ أَنْ تَكْشَفَتْ نَوَايَاهُمْ وَأَصْبَحُوا مِنْ أَصْحَابِ رُؤُوسِ الْأَمْوَالِ، وَجَمَعُوا حَوْلَهُمُ الْعَدِيدَ مِنَ الْمُرِيدِينَ وَالْمُضْلِلِينَ، وَأَنْشَأُوا بِاسْمِ الدِّينِ عَصَابَاتٍ لِلْإِرْهَابِ، جَاءَ بَيَانُ حُكُومَةِ خَادِمِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ الْمَلِكِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ (رَحِمَهُ اللَّهُ) لِئَوْكَدَ مَا ذَهَبَتْ إِلَيْهِ مِنَ النُّصْحِ بِالتَّنْبِهِ لِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَسَتَّرُونَ تَحْتَ شَعَارِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ، لِيَكُونَ لَهُمْ حُضُورٌ وَقُوَّةٌ كَافِيَانِ لِتَقْوِيضِ أَرْكَانِ الْحُكْمِ الْمَدْنِيِّ الَّذِي نَنْعَمُ بِهِ. إِنَّهُمْ يَسْعَوْنَ لِاسْتِعْبَادِ عِبَادِ اللَّهِ، وَمَنْ يُخَالَفُهُمُ الرَّأْيَ يَلْقَى الثُّبُورَ وَعَظَائِمَ الْأُمُورِ، وَحَسَنًا فَعَلَ خَادِمُ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ بِهَذَا الْقَرَارِ الرَّافِضِ لَهُؤُلَاءِ الْإِنْتِهَازِيِّينَ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ إِلَى تَدْمِيرِ الْفِكْرِ الْقَوْمِيِّ الْوَطَنِيِّ، وَمُحَاوَلَةِ اسْتِقْطَابِ السُّدُجِ وَالْبُسْطَاءِ وَضِعَافِ الْحَالِ، بِإِعْرَافِهِمْ مَرَّةً بِالْمَالِ، وَمَرَّةً أُخْرَى بِالتَّرْهِيْبِ الدِّينِيِّ. وَكَانَهُمْ بِذَلِكَ يُعِيدُونَنَا إِلَى زَمَنِ مَحَاكِمِ التَّفْتِيشِ الْمَسِيحِيَّةِ فِي الْقُرُونِ الْوُسْطَى، وَإِلَى زَمَنِ إِصْدَارِ الصُّكُوكِ الدِّينِيَّةِ بِمَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَوْ النَّارَ، قَبْلَ أَنْ تَقُومَ الْحَرَكَاتُ الْفِكْرِيَّةُ النَّهْضَوِيَّةُ الَّتِي قَادَهَا الْمُفَكَّرُونَ وَالْأَدَبَاءُ فِي فَرَنْسَا وَغَيْرِهَا وَالَّتِي حَمَلَتْ مِشْعَلَ التَّنْوِيرِ، وَتَبَدَّتِ الْخُرَافَاتُ الَّتِي كَانَتْ تُهَمِّمُنْ عَلَى الشُّعُوبِ الْعَرَبِيَّةِ، وَنَقَلَتْ أَوْرُبًا وَأَمْرِيكََا إِلَى آفَاقِ الْعُلُومِ التَّطْبِيقِيَّةِ وَالتَّقْنِيَّاتِ الْحَدِيثَةِ، بَعِيدًا عَنِ النُّظَرَاتِ الضَّيِّقَةِ الَّتِي بَاعَدَتْ بَيْنَ الْفِكْرِ الْوَاعِي وَهَيْمَةِ الْكَنِيسَةِ عَلَى تِلْكَ الدُّوَلِ. لَقَدْ بَتْنَا نَعِيشَ الْيَوْمِ فِي ظِلِّ رَفَاهِيَةِ الْعُلُومِ وَالتَّقْنِيَّاتِ الَّتِي يَسْتَفِيدُ مِنْهَا الْعَالَمُ بِأَسْرِهِ. أَقُولُ لَقَدْ أَحْسَنَ صُنْعًا هَذَا الْمَلِكُ الصَّالِحُ بِالتَّنْبِهِ فِي حِينِهِ، وَقَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ لِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ الْوُصُولِيِّينَ الَّذِينَ يُكْفَرُونَ مَنْ

لَا يُوَافِقُهُمُ الرَّأْيُ وَيُؤْسِلُمُونَ مَنْ يُوَافِقُهُمْ رَأْيَهُمْ، قَاتَلَهُمُ اللَّهُ بِجَهْلِهِمْ؛ فَقَدْ اكْتَفَيْنَا ضَلَالًا وَتَمَزِيقًا لِأُمَّةِ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ مُدَّعِي الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ. وَكَمْ ذَهَبَ ضَحِيَّةٌ هَؤُلَاءِ الْمُرْتَزِقَةِ الْكَثِيرِ مِنَ الشَّبَابِ السُّعُودِيِّ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الشَّبَابِ الْعَرَبِيِّ! وَوَقَعُوا فِي حَبَائِلِ الْمُتَصَيِّدِينَ الَّذِينَ أَفْتَوْا بِالْأَرْهَابِ جَوَازًا مُطْلَقًا فِي الدَّخْلِ وَالْخَارِجِ، حَتَّى وَصَلُوا إِلَى أَمْرِيكَ وَأُورُبَّا، فَاشَاعُوا الْقَتْلَ وَالتَّدْمِيرَ فِي الْكَثِيرِ مِنْ بِلَادِ الْعَالَمِ، وَجَعَلُوا صُورَةَ الْإِسْلَامِ، مَعَ الْأَسَفِ الشَّدِيدِ، صُورَةً قَاتِمَةً مُخِيفَةً. وَقَدْ أَظْهَرُوا الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّهُمْ دُعَاءُ التَّفْرِقَةِ مَا بَيْنَ الْأَجْنَاسِ وَالْأَعْرَاقِ، خُصُوصًا حِينَمَا تَرَكَ لَهُمُ الْحَبْلُ عَلَى الْغَارِبِ، وَأَصْبَحَ كُلُّ مُوَاطِنٍ عَرَبِيٍّ، وَبِالْأَخْصِ السُّعُودِيِّ، يُنْظَرُ إِلَيْهِ عَالَمِيًّا نَظْرَةَ الْحَذَرِ وَالرَّيْبَةِ، وَنَظْرَةً يَسُودُهَا الْمَقْتُ وَالْعُنْصَرِيَّةُ. كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لِيَحْدُثَ لَوْلَا هَذِهِ الطُّغْمَةُ الْفَاسِدَةُ الْمُضِلَّةُ لِشَبَابِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَحْكُمُوا الْإِسْلَامَ بِمِزَاجِيَّةٍ، تَخْضَعُ لِرَغَبَاتٍ خَاصَّةٍ، وَتَحْقِيقِ أُمُجَادٍ زَانِفَةٍ. وَحَسَنًا فَعَلَ قَائِدُنَا الْهَمَامُ النَّابِهُ الْفَطْنُ الْمَلِكُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ (رَحِمَهُ اللَّهُ)، فَبَيَّانِهِ الرَّافِضُ لِهَذِهِ الطُّغْمِ وَالْأَحْزَابِ وَالْعِصَابَاتِ إِنَّمَا أَسَّسَ لِمَرْحَلَةِ التَّنْوِيرِ الَّتِي كَفَى وَيَكْفِي الْأُمَّةَ شُرُورَ هَذِهِ الطُّغْمِ الَّتِي كَادَتْ تَحْجُرُ عَلَى أَصْحَابِ الْعُقُولِ وَتَحَوِّلُهُمْ إِلَى قَطِيعٍ يَسِيرُ خَلْفَهَا. نَعَمْ وَالْفُ نَعَمْ لِهَذَا الْقَرَارِ الْحَكِيمِ؛ فَلَاإِسْلَامَ لَمْ يَكُنْ يَوْمًا سِوَى دِينِ الْحُبِّ وَقَبُولِ الْآخِرِ وَالْإِيمَانِ بِكُلِّ الْأَدْيَانِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ. وَلَنَنْظُرَ كَيْفَ تَعَامَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي عَصْرِ بَدَايَةِ الْإِسْلَامِ، وَكَيْفَ كَانَ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ بِالْحُسْنَى وَالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، لَا بِحَدِّ السِّيفِ وَحَدَّةٍ.

فَالْإِسْلَامُ دِينُ الرَّحْمَةِ وَدِينُ الْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ لَا لِمَخْلُوقَاتِهِ، وَالْإِسْلَامُ تَشْرِيعُ سَمَاوِيٍّ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ جَبْرِيلُ عَلَى الْمُصْطَفَى ﷺ لِيُقِيمَ الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ الْحَنِيفَ عَلَى أُسُسٍ وَقَوَاعِدَ تَجْمَعُ النَّاسَ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَالْإِخْلَاصِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَإِلَّا لَمَّا وَصَلَ الْمُسْلِمُونَ الْأَوَائِلَ بَفَتْوَحَاتِهِمْ إِلَى الصِّينِ وَأُورُبَّا وَالْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَلَمَّا سَادَتْ وَعَلَتْ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ. لَقَدْ كَانَ الْإِسْلَامُ نُورًا وَهَاجًا ضِدَّ الْبَدْعِ وَالْخُرَافَاتِ وَعِبَادَةِ الْأَشْخَاصِ وَالْأَصْنَامِ؛ لَذَا يَنْبَغِي الْحَذَرُ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الطُّغْمِ الْفَاسِدَةِ الَّتِي تَجْعَلُ مِنَ الدِّينِ مَطْيَةً لِكَسْرِ شَوْكَةِ الْإِسْلَامِ، وَالْإِزْتِقَاءِ عَلَى حِسَابِ الدَّهْمَاءِ أَوْ ضِعَافِ النُّفُوسِ. يَجِبُ لَجْمُ هَذِهِ الطُّغْمِ وَالضَّرْبُ عَلَى أَيْدِيهَا كَيْ تَعُودَ إِلَى صَوَابِهَا، فَلَاإِسْلَامَ هُوَ الْإِسْتِسْلَامُ لِلَّهِ، وَلَيْسَ لِلشَّيْخِ فُلَانٍ أَوْ عَلَانٍ، وَمَا يُفْتَنُونَ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنَّمَا هُوَ مَوْجُودٌ فِي الْمُتَوَنِّينَ وَالْمُطَاقِنَ

المُؤرُوثَةِ، وَفِي أُمّهَاتِ الكُتُبِ المَحْفُوظَةِ. وَالْقُرْآنُ نَزَلَ بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، وَهُوَ الْمُعْجَزُ الَّذِي لَا يَعْجِزُ مَنْ تَدَبَّرَ فِيهِ، وَتَأَمَّلَ فِي آيَاتِهِ، عَنْ أَنْ يَخْرُجَ بِفَائِدَةٍ تُحَقِّقُ الوَسْطِيَّةَ الَّتِي دَعَا إِلَيْهَا الدِّينُ؛ فَالْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ يَدْعَوَانَا لِنَكُونَ أُمَّةً وَسْطًا، وَرَسُولُنَا الْكَرِيمُ حَثَّنَا عَلَى التَّيْسِيرِ لَا التَّعْسِيرِ، وَعَلَى نَبْذِ التَّنَطُّعِ وَضَيْقِ الرُّؤْيَةِ. وَالْإِسْلَامُ مُنْفَتِحٌ دَائِمًا وَأَبَدًا عَلَى كُلِّ الثَّقَافَاتِ وَالْإِيدْيُولُوجِيَّاتِ، وَمُنْفَتِحٌ عَلَى كُلِّ الْأَدْيَانِ، لَا يَقْسِرُ أَحَدًا وَلَا يُرْهَبُ أَحَدًا، وَلَا يَدْعُو إِلَى قَتْلِ النَّاسِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَيَرْفُضُ كُلَّ مُبْتَدِعٍ يَأْتِي بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، هَذَا هُوَ الْإِسْلَامُ الْحَقُّ النَّاصِعُ الَّذِي تَرَكَّهُ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتَرَكْنَا عَلَى الْمَحَبَّةِ الْبَيْضَاءِ، لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ. حَسَنًا كَانَ هَذَا الْقَرَارُ الَّذِي يُوكِّدُ وَسْطِيَّةَ الْإِسْلَامِ الَّتِي دَعَانَا إِلَيْهَا رَبُّ الْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ، وَيُلْجِمُ أَقْوَاهُ الْمُتَرَقِّينَ عَلَى حِسَابِ الْإِسْلَامِ، الَّذِينَ يَتَهَيَّأُونَ لِتَشْكِيلِ فِرْقٍ تَابِعَةٍ لِكُلِّ شَيْخٍ قَرَأَ شَيْئًا مِنَ الْفِقْهِ الدِّينِيِّ. لَقَدْ حَسَمَ هَذَا الْقَرَارُ الْأُمُورَ وَوَضَعَهَا فِي نَصَابِهَا، حَتَّى لَا يَتَطَاوُلَ مُتَطَاوُلٌ، وَحَتَّى لَا يَتَفَرَّقَ الدِّينُ الْحَنِيفُ مِنْ خِلَالِ مَذَاهِبٍ وَنَحْلٍ وَعَصَبِيَّاتٍ لَمْ يَنْزِلِ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ. كَشَفَ هَذَا الْقَرَارُ أُمُورًا خَطِيرَةً وَمُهْمَةً لِلْمَرْحَلَةِ الَّتِي نَعِيشُهَا، وَلِلْمَرَاكِزِ الْقَادِمَةِ، بُغْيَةً أَخَذَ الْحَيْطَةَ وَالْحَذَرَ مِنْ كُلِّ أَفَّاكٍ مَهِينٍ، فَنَحْنُ نَعِيشُ فِي عَالَمِ الْمِيدْيَا وَالْإِعْلَامِ الَّذِي يُرَاقِبُنَا فِي كُلِّ لَحْظَةٍ. وَنَحْنُ أَمَامَ خِيَارَيْنِ لَا ثَالِثَ لَهُمَا، فإِمَّا أَنْ نَتَّحِدَ بِإِسْلَامِنَا مَعَ الْعَالَمِ وَنُريَهُ مَحَاسِنَ الْإِسْلَامِ، وَإِمَّا أَنْ نَعْتَزِلَ الْعَالَمَ وَنَعِيشَ فِي الْخِيَامِ مِنْ جَدِيدٍ، مِنْ دُونِ أَنْ نَحْسَ بِالْعَالَمِ الْخَارِجِيِّ أَوْ يَحْسَ بِنَا. إِنْ شَبَابُ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَتَطَلَّعُونَ إِلَى تَحْقِيقِ آمَالِ كِبَارٍ فِي أَنْ يَتْرَكُوا بَصَمَاتٍ لِلْفِكْرِ الْخَلَاقِ، وَيُسَاهِمُوا فِي صُنْعِ الْقَرَارِ الْعَالَمِيِّ، وَذَلِكَ لَا يَحْدُثُ إِلَّا إِذَا كُنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْعَدْلِ وَالْمُسَاوَاةِ وَعَدَمِ انْتِهَاجِ الْعُنْصَرِيَّةِ، وَهَجْرِ الْقَبْلِيَّةِ الْمَقْبِيَّةِ، وَالنَّظَرِ بِشُمُولِيَّةٍ إِلَى الْأُمَّةِ الْوَاحِدَةِ، وَإِنْ اخْتَلَفَتْ هَوِيَّاتُهَا، فَقَدْ اجْتَمَعَتِ الْيَوْمَ هَوِيَّتُهَا فِي الْوَطَنِ؛ حَيْثُ لِكُلِّ مُوَاطِنٍ حَقٌّ مَعْلُومٌ، وَمُتَسَاوٍ مَعَ غَيْرِهِ فِي الْحُقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ. نَحْنُ وَلَدْنَا أحرَارًا لِيَكُونَ هَذَا الْوَطَنُ هُوَ مَا يُؤَمِّنُنَا وَيَحْمِلُنَا وَيَحْمِلُ لَنَا مِنْ بَشَائِرِ الْخَيْرِ، مَا يَجْعَلُنَا نَعْمَلُ بِدَابٍّ وَجْهٍ مُتَوَاصِلِينَ وَغَيْرِ مَحْدُودِينَ لِنُضْرَةَ قَضَايَانَا الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ.

الاجتماع على المصالح

لَنْ يَجْتَمَعَ الْبَشَرُ عَلَى كَلِمَةٍ سِوَاءٍ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ} [سُورَةُ هُودٍ، آيَةُ: 118].

هَكَذَا نَجِدُ النَّاسَ يَجْتَمِعُونَ عَلَى شَكْلِ عِصَابَاتٍ أَوْ أُمَمٍ أَوْ شُعُوبٍ.
وَنَجِدُ الْمَجْمُوعَاتِ الْمُتَنَمِّيَةَ إِلَى الدِّينِ أَوْ الْعِرْقِ أَوْ الْجِنْسِ أَوْ اللَّوْنِ أَوْ الْقَبِيلَةِ أَوْ الْعَشِيرَةِ.

وَالْمَجْمُوعَاتِ الَّتِي تَنْتَمِي إِلَى الْمَصَالِحِ الذَّاتِيَّةِ دُونَ الْآخَرِينَ.
وَالْمَجْمُوعَاتِ الَّتِي تَنْتَمِي إِلَى الْجَرِيمَةِ وَالسَّلْبِ وَالنَّهْبِ وَالْقَتْلِ.
وَالْجَمَاعَاتِ الَّتِي تَحْتَكِمُ إِلَى الْقُوَّةِ.
وَالْجَمَاعَاتِ الَّتِي تَرْزُحُ تَحْتَ الْخَوْفِ مِنَ الْأَقْوَى.
وَالْجَمَاعَاتِ الَّتِي تَنْتَمِي إِلَى الْمَصَالِحِ الْوَقْتِيَّةِ وَالْإِنْتِفَاعِ الشَّخْصِيِّ.
وَالْجَمَاعَاتِ الَّتِي تَتَوَحَّدُ لِلدَّفَاعِ عَنِ النَّفْسِ وَالْوَطَنِ.
وَالْجَمَاعَاتِ الَّتِي تَنْتَمِي إِلَى الْمَالِ.

هَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا، بِكُلِّ خَلْقِهَا، لَا تَتَوَحَّدُ عَلَى رَأْيٍ، إِلَّا إِذَا وُجِدَ الْعَقْلُ الْعَاقِلُ،
وَهَذَا الْعَقْلُ الْعَاقِلُ لَمْ يَظْهَرْ إِلَّا فِيمَا نَدَرَ عَلَى الْأَرْضِ. إِنَّ فِي هَذَا الْكَوْكَبِ الْكَثِيرَ
مِنَ الْغُلِّ، الَّذِي بِدَوْرِهِ يَزْرَعُ الْحَقْدَ وَالْحَسَدَ، وَالْحَقْدُ وَالْحَسَدُ يُؤَدِّيَانِ إِلَى الْعَدَاوَاتِ،
وَالْعَدَاوَاتُ هِيَ الَّتِي تُثِيرُ الْقَتْلَ وَالتَّدْمِيرَ وَالْهَدْمَ.

وَسَوْفَ يُوَلِّدُ الْعَقْلُ الْعَاقِلُ يَوْمَ أَنْ يُتِمَّ اللَّهُ كَلِمَاتِهِ بَنَزْعَ الْغِلِّ فِي الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ، حَيْثُ
يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ} [سُورَةُ
الْحَجَرِ، آيَةُ: 47]. لِذَا أَقُولُ لَكُمْ لَا تُحَاوِلُوا إِصْلَاحَ الْخَلْقِ؛ فَلَنْ تُفْلِحُوا. وَسَلَامٌ عَلَى
الْعَامِلِينَ لِمَرْضَاةِ اللَّهِ مِنْ دُونِ سِوَاهُ.

سَلَامٌ عَلَى الْحَرَائِرِ

لَنْ تَسُودَ اللَّبَّؤَةُ عَلَى الْأَسَدِ فِي أَيِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، كَمَا لَنْ تَسُودَ الْمَرْأَةُ عَلَى الرَّجُلِ. وَمَا نَرَاهُ مِنْ شَنْشَنَةٍ وَتَطْيِيلٍ وَمُطَالَبَةٍ بِمَرَكَزِ قِيَادِيَّةٍ لِلْمَرْأَةِ لَا يَعْدُو كَوْنَهُ تَغْزُلًا بِهَا. وَإِذَا نَظَرْنَا بَعَيْنَ الْعَقْلِ لِلدُّوَلِ الْمُتَقَدِّمَةِ الَّتِي بَدَأَتْ تَمْنَحُ الْمَرْأَةَ مَنَاصِبَ قِيَادِيَّةٍ كَالِيزَابِيثَ مَلِكَةَ بَرِيطَانِيَا وَمَارْغَرِيتَ تَانَشِرَ رَئِيسَةَ وُزَرَاءِ بَرِيطَانِيَا وَأَنْجِيلَا مِيرْكلَ رَئِيسَةَ وُزَرَاءِ أَلْمَانِيَا؛ فَذَلِكَ لَا يُعْطِي مُؤَشِّرًا بِأَنَّ الْمَرْأَةَ مُؤَهَّلَةٌ لِلْقِيَادَةِ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ. قَدْ تَكُونُ الْمَرْأَةُ وَزِيرَةً أَوْ مُدْرَسَةً أَوْ طَبِيبَةً أَوْ أَسَازَةً فِي الْجَامِعَاتِ، أَوْ مُمَرِّضَةً، أَوْ مُلَبِّيَةً لِاحْتِيَاجَاتِ الْمُحَارِبِينَ فِي الْحُرُوبِ.

وَيُمْكِنُ لَهَا أَنْ تَكُونَ مُبْدِعَةً فِي الْعُلُومِ التَّطْبِيقِيَّةِ أَوْ الْأَدَبِيَّةِ، لَكِنَّهَا لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ عِبَادَةِ الرَّجُلِ، وَلَا مِنْ قِوَامَتِهِ، فَهِيَ نَصْفُهُ الْجَمِيلُ، وَهِيَ الْأُمُّ وَالْأَخْتُ وَالْابْنَةُ وَالزَّوْجَةُ وَالْحَبِيبَةُ وَالرَّفِيقَةُ، وَلَكِنَّ الْقِيَادَةَ تَظَلُّ لِلرَّجُلِ، وَلَنْ تَصْلَحَ لَهَا. وَيُمْكِنُ لَهَا أَنْ تَكُونَ مَلِكَةً فِي عَرْشِ مَلِكِهَا الرَّجُلِ، لَذَا يَجِبُ أَلَّا تَشْطَحَ بِالْخَيَالِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ؛ فَهِيَ خُلِقَتْ لِلرَّقَّةِ وَالْجَمَالِ وَالْحُبِّ وَتَرْبِيَةِ الْأَبْنَاءِ وَإِعْدَادِهِمْ لِتَوَلَّى مَسْئُولِيَّاتِ جِسَامِ هِيَ فَوْقَ طَاقَتِهَا وَمُكْنَتِهَا، وَإِلَّا لَرَأَيْنَا نَصْفَ الْمَنَاصِبِ الذَّكُورِيَّةِ مُوَكَّلَةً لَهَا. لَيْسَ هُنَاكَ مَسَاوَاةٌ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَالرَّجُلِ إِلَّا فِي الْحُقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ الْفِطْرِيَّةِ، وَالَّذِي يَعْتَقِدُ غَيْرَ ذَلِكَ فَلْيَاتِنِي بِسُلْطَانٍ وَدَلِيلٍ وَقَرِينَةٍ تُخَالِفُ مَا ذَهَبَتْ إِلَيْهِ، وَسَلَامٌ عَلَى حَرَائِرِ النِّسَاءِ الْعَامِلَاتِ وَالْمُبْدِعَاتِ، لَا الْوَاهِمَاتِ وَالْمُرْجَفَاتِ بِأَنَّهُنَّ مُتَسَاوِيَاتٌ مَعَ الرَّجُلِ.

الكتاب

ذَلِكَ الَّذِي كُنَّا نَتَشَوَّقُ إِلَى اقْتِنَائِهِ وَنَخَافُ عَلَيْهِ مِنْ يَدِ الْعَابِثِينَ بِوَرَقِهِ، هُوَ الَّذِي كَانَ قَبْلَ «النَّتِّ» وَ«الْفَيْسِ» وَكُلِّ التَّقْنِيَّاتِ الْحَدِيثَةِ، إِنَّهُ خَيْرُ سَمِيرٍ وَخَيْرُ جَلِيسٍ، كَمَا قَالَ الْمُتَنَبِّي رَحِمَهُ اللَّهُ. وَهُوَ الْآنَ لَا يَعْدُو أَنْ يَكُونَ تُحَفَةً مِنَ التُّحَفِ الْأَثَرِيَّةِ مَوْضُوعَةً عَلَى الرُّفُوفِ لِتَنَامَ فَوْقَهَا ذَرَاتُ الْعُبَارِ. لَمْ يَعُدْ يَتَلَبَّسُنَا الشَّوْقُ إِلَيْهِ وَإِلَى اقْتِنَائِهِ، بَلْ بَاتَ كَالرَّمَائِمِ أَوْ كَالْمُؤْمِيَاءِ الْفِرْعَوْنِيَّةِ، تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرَاهَا فِي الْمَتَاحِفِ أَوْ تَتَابَعَ صُورُهَا عَلَى «النَّتِّ»، لِتَرَى فِيهَا مَلَامَحَ الْوُجُوهِ وَالْأَقْلَامِ وَالْأَفْكَارِ الَّتِي لَا مَطَرُ فِيهَا، وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ كَالْغَيْمِ الْجَهَامِ لَا يُمِطَرُ عَلَى الْجَدِيبِ، فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا مِنْ قُبُورِ الزَّمَانِ الَّتِي أَطْبَقَتْ عَلَيْهِ تَحْتَ الرَّجَامِ، لَقَدْ ضَاعَتْ تِلْكَ الْبَهْجَةُ وَالرَّاحَةُ النَّفْسِيَّةُ وَالْأَلْقُ الْفِكْرِي فِي مَجَاهِلِ الْبَعِيدِ، وَلَقَدْ قَلَّ الْقُرَاءُ وَالْعُلَمَاءُ وَالشُّعْرَاءُ وَالْمُفَكِّرُونَ الَّذِينَ يَعْشَقُونَ الْكِتَابَ؛ لِذَلِكَ بَتْنَا نَهْبًا لِلْفَرَاغِ الذَّهْنِيِّ، وَأَضْحَى الشَّبَابُ فِي هَذَا الْعَصْرِ خَاوِيًا مِنَ الْمَعْرِفَةِ الْعَمِيقَةِ؛ لِأَنَّ فَوْضَى «النَّتِّ» قَتَلَتْ الْكِتَابَ وَدَفَنْتَهُ فِي مَقَابِرِ النِّسْيَانِ. إِنَّ لِكُلِّ زَمَانٍ دَوْلَةً وَرِجَالًا، وَلِكُلِّ زَمَانٍ قَفَرَاتٍ تَكُنُولُوجِيَّةً. رَحِمَكَ اللَّهُ أَبَا مُحَسَّدٍ؛ فَقَدْ خَذَلَ عَصْرُنَا بَيْتَكَ الَّذِي قُلْتَ فِيهِ: «أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنَا سَرُجٌ سَابِحٌ/ وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابٌ».

لَا لِسِلَاحِ الدَّمَارِ

فِي هَذَا الْعَصْرِ الدَّمَوِيِّ أَصْبَحَ الْحُزْنُ سِمَةً غَالِبَةً عَلَى النَّاسِ فِي كُلِّ مَكَانٍ؛ فَمَا تَنْقُلُهُ
الْفَضَائِيَّاتُ مِنْ أَحْدَاثٍ يَتْرُكُ آثَارَهُ السَّيِّئَةَ عَلَى النَّفْسِيَّاتِ فَتُصَابُ بِالْاِكْتِتَابِ وَالْإِحْبَاطِ،
خُصُوصًا عِنْدَ جِيلِ الشَّبَابِ الَّذِي وُلِدَ حَالِمًا بِالْأَمَلِ السَّعِيدِ، فَإِذَا هُوَ يَتَعَايَشُ مَعَ وَاَقِعِ الْيَمِّ
تَكْتَنِفُهُ الصَّرَاعَاتُ وَالْمَصَائِبُ الْجَسَامُ، وَتَأْلَفُ عَيْنَاهُ مَشَاهِدَ الْقَتْلِ وَالِدَّمَاءِ وَالْأَهْوَالِ،
الَّتِي لَمْ تَتْرُكْ مَكَانًا مِنَ الْعَالَمِ إِلَّا أَشْعَلَتْهُ بِنِيرَانِ الْأَسْلِحَةِ الْفَتَّاكَةِ؛ فَالْعُقُولُ الْإِنْسَانِيَّةُ
تَهْتَمُ بِابْتِكَارِ أَسْلِحَةِ الدَّمَارِ وَالْقَتْلِ بَدَلًا مِنْ ابْتِكَارِ اخْتِرَاعَاتٍ تُؤَدِّي إِلَى إِسْعَادِ الْبَشَرِ،
نَاهِيكَ بِالْأَمْوَالِ الطَّائِلَةِ الَّتِي تُصْرَفُ عَلَى تَصْنِيعِ وَتَحْدِيثِ وَصِيَانَةِ السِّلَاحِ، وَالَّتِي لَوْ قُدِّرَ
لَهَا أَنْ تُنْفَقَ عَلَى فَقَرَاءِ الْعَالَمِ لَمَا وَجَدَ فَقِيرٌ عَلَى الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ. إِنَّ الْإِهْتِمَامَ بِالسِّلَاحِ
وَتَسْوِيقِهِ هُوَ مِنْ أَهَمِّ عَوَامِلِ الْهَدْمِ وَالتَّدْمِيرِ لِكُلِّ مَا بَنَتْهُ الْحَضَارَاتُ، فَضْلًا عَمَّا لِحَقَّ
بِالْبَشَرِ مِنْ أَمْرَاضٍ نَفْسِيَّةٍ وَعُضْوِيَّةٍ. فَثَمَّةُ أَجْيَالٍ تَحْتَرِفُ الْقَتْلَ وَالْجَرِيْمَةَ، كَمَا أَنَّهُ مِنْ
الصَّعْبِ أَنْ تَتَوَقَّفَ الدُّوَلُ الْمُصْنَعَةُ لِلْسِّلَاحِ عَنْ تَصْنِيعِهِ وَتَصْدِيرِهِ إِلَى شَتَّى بَقَاعِ الْعَالَمِ
- فَكَيْفَ إِذَنْ نَسْتَطِيعُ أَنْ نُخَفِّفَ عَنِ النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ تِلْكَ الْفَجَائِعَ الثَّقَالَ؟ - وَدِدْتُ
لَوْ تَنَشَأُ مُؤَسَّسَاتٌ عِلْمِيَّةٌ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُقْنِعَ الْبَشَرَ بِأَنْ الْقَادِمَ سَيَكُونُ أَجْمَلُ، وَأَنْ عَوَامِلَ
الْبُغْضِ وَالْكُرهِ وَالْعُدَاوَةِ وَالْعُدْوَانِ فِي طَرِيقِهَا إِلَى الزَّوَالِ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ عُقُولٍ تَزْرَعُ
الْأَمَلَ، وَتُنشِئُ مَجْمُوعَاتِ الرِّفْضِ لِتَصْنِيعِ السِّلَاحِ وَتَسْوِيقِهِ، لِيَبْدَأَ الْخَوْفُ بِالتَّنَاقُصِ
التَّدرِجِيِّ، وَتَعُودَ النَّفْسُ عَنْ قَلْقِهَا وَحَيْرَتِهَا وَهُمُومِهَا. إِنِّي أَتَمَنَّى أَنْ تُنشَأَ مَرَاكِزُ مُحْتَصَّةٍ
بِالْجَانِبِ الْأَخْلَاقِيِّ عِنْدَ الْبَشَرِ، وَبِالضَّغْطِ عَلَى الدُّوَلِ الْمُصْنَعَةِ لِلْسِّلَاحِ؛ لِلتَّخْفِيفِ مِنْ
صِنَاعَتِهِ، وَوُجُودًا إِلَى مَطَالِبِنَا بِوَقْفِ تَصْنِيعِ السِّلَاحِ الْمُدمِّرِ لِلْإِنْسَانِ وَلِلْبِيئَةِ، فَلَقَدْ تَعَبَتِ
النُّفُوسُ وَأُنْهَكَتْ، وَأَتَخَّهَهَا الْيَأْسُ وَالْهَمُّ وَالْمَرَضُ، فَضْلًا عَنِ الْإِخْتِلَالَاتِ الْعَقْلِيَّةِ، فَبَاتَتْ
الْأَمْرَاضُ النَّفْسِيَّةُ أَكْثَرَ مِنْ ذِي قَبْلِ؛ فَنَحْنُ نَزْعُمُ أَنَّنا نَعِيشُ عَصْرًا حَضَارِيًّا، فِيمَا نَحْنُ
نَعِيشُ عَصْرًا هَمَجِيًّا لَا يَحْفَلُ إِلَّا بِتَّدْمِيرِ الْإِنْسَانِ وَمُكْتَسَبَاتِهِ. فَلَنَحْمِلْ شِعَارَ «لَا لِتَصْنِيعِ
السِّلَاحِ، لَا لِقَتْلِ الْإِنْسَانِ، لَا لِتَّدْمِيرِ الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ». إِنَّا نُرِيدُ أَرْضًا خَالِيَةً مِنَ الْقَتْلِ
وَالْمَجَازِرِ الْجَمَاعِيَّةِ وَأَنْتِهَاكَ حُقُوقِ الْإِنْسَانِ.

نُرِيدُ أَنْ نَرَى التَّفَاوُلَ وَالْأَمَلَ يَعُودَانِ مِنْ جَدِيدٍ لَتُزْهَرَ الْحَيَاةُ وَتُخْصِبَ الْأَرْضُ، نُرِيدُ
لِلْخَوْفِ أَنْ يَتَلَاشَى، وَأَنْ نَعِيشَ أَصْحَاءَ الْعُقُولِ وَالْأَجْسَامِ. فَمَتَى يَعْمِدُ سَاسَةُ الْعَالَمِ إِلَى
تَبْنِي نَظَرِيَّةٍ «لَا لِلسَّلَاحِ»؟ إِذْ رُبَّمَا يَعْمِدُ الْأَقْوِيَاءُ فِي لَحْظَةٍ غَضَبٍ قُصَوَى إِلَى اسْتِخْدَامِ
الْقَنَابِلِ الذَّرِّيَّةِ؛ فَأَمْرِيكَا لَدَيْهَا سِلَاحٌ نَوَوِيٌّ يَسْتَطِيعُ تَدْمِيرَ الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ عَشْرَ مَرَّاتٍ،
وَرُوسِيَا لَدَيْهَا سِلَاحٌ نَوَوِيٌّ يَدْمُرُ الْكُرَةَ الْأَرْضِيَّةَ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَنَمَّةٌ دَوْلٌ أُخْرَى لَدَيْهَا مِنَ
السَّلَاحِ النَّوَوِيِّ مَا لَا يُسْتَهَانُ بِهِ فِي تَدْمِيرِ الْأَرْضِ - اللَّهُمَّ لُطْفَكَ - وَلَعَلَّ عُقُولَ الْحُكَمَاءِ
تَسْتَطِيعُ أَنْ تُقْلَصَ هَذَا الْكَمِّ مِنَ الْأَسْلِحَةِ التَّدْمِيرِيَّةِ وَاسْتَبْدَلَهَا بِمَا يَبْنِي لَا بِمَا يَهْدِمُ، وَاللَّهُ
غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ.

أَحْقَادُ الشَّبَابِ

يَعْمِدُ الْكَثِيرُ مِنَ الشُّبَّانِ إِلَى تَكْسِيرِ وَتَدْمِيرِ الْمُنْشآتِ وَإِشَارَاتِ الْمُرُورِ وَمَظَاهِرِ الْبِنَاءِ
الْبَازِخِ، حِينَ يَشْعُرُونَ بِفَقْدَانِ الْأَمَلِ وَالْإِنْتِمَاءِ إِلَى قَوَائِلِ اللَّاشِيءِ، إِنَّهُمْ يَتَخَرَّجُونَ مِنَ
الْجَامِعَاتِ فَلَا يَجِدُونَ مَكَانًا لِاسْتِثْمَارِ قُدْرَاتِهِمُ الْعِلْمِيَّةِ؛ فَيَحْتَرِفُونَ التَّسَكُّعَ عَلَى أَرْصَفَةِ
الْفَرَاغِ. هَؤُلَاءِ هُمُ الْقَنَابِلُ الْمَوْقُوتَةُ الَّتِي تَنْتَظِرُ الْانْفِجَارَ، فَهُمْ يَحْمِلُونَ تَرَكَمَاتِ الْفَقْرِ
وَالْعَوَزِ خُصُوصًا حِينَمَا تَذْهَبُ أَحْلَامُهُمْ أَذْرَاجَ الرِّيَّاحِ، وَيُصْبِحُونَ غُرَبَاءَ فِي أَوْطَانِهِمْ،
وَأَذْلَاءَ يَحْتَرِفُونَ الْجَرِيمَةَ بِأَنْوَاعِهَا، وَيَجِدُونَ حَوْلَهُمْ مَنْ يَعْيشُ فِي تَرْفٍ وَنَعِيمٍ، لِأَنَّ أَبَاهُ
فُلَانٌ بَنُ فُلَانٍ هُوَ الْوَزِيرُ أَوْ الْمُدِيرُ أَوْ الشَّيْخُ. وَكُلٌّ مِنْ هَؤُلَاءِ لَهُ رَصِيدٌ فِي الْبُنُوكِ يَتَجَاوَزُ
الْمِليَّاتِ، هَؤُلَاءِ الشُّبَّانُ يَنْظُرُونَ بِحَسْرَةٍ وَإِلْمٍ إِلَى مُسْتَقْبَلِهِمُ الْمُوصَدِّ، وَدُونَهُمْ عَقَبَاتُ
مِنَ الْبِيرُوقَرَاتِيَّةِ الْعَقِيمَةِ وَقَوَارِعِ الْإِهْمَالِ. فَكَّرْتُ مَعِيَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، مَاذَا سَيَكُونُ عَلَيْهِ حَالُ
هَؤُلَاءِ الشَّبَابِ، إِنْ لَمْ يَتَوَفَّرْ لَهُمُ الْمَسْكَنُ وَالْمَالُ وَالْوُظَيْفَةُ اللَّائِقَةُ، وَمَاذَا نَنْتَظِرُ مِنْهُمْ إِذَا
لَمْ نَتَدَارَكْ وَضَعَهُمُ الْمُهِينَ قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ؟ وَمَا لَمْ نُحِطْهُمْ بِالْإِصْغَاءِ وَالتَّفَهُّمِ وَالرَّعَايَةِ
عَلَيْنَا أَلَا نَتَفَاجَأُ إِذَا تَحَوَّلُوا فِي الْمُسْتَقْبَلِ إِلَى قَنَابِلِ مَوْقُوتَةٍ، تُطِيحُ بِكُلِّ مَا حَوْلَهَا مِنْ
مَظَاهِرِ التَّرَفِ وَالثَّرَاءِ.

طَرِيقُ السَّعَادَةِ

تَهْتَمُّ الْفَتَاةُ فِي الْوَطَنِ بِالْعِلْمِ أَيَّمَا اهْتِمَامٍ، حَتَّى أَصْبَحَتْ مُنَافِسَةً لِلْفَتَيَانِ فِي الدَّرْسِ وَالتَّحْصِيلِ الْعِلْمِيِّ، وَتِلْكَ ظَاهِرَةٌ صَحِيَّةٌ فِي أُمَّةٍ قَلِيلَةٍ الْعَدَدِ كَثِيرَةِ الْمَدَدِ الْمَالِيِّ، وَلَكِنَّهَا فِي زَحْمَةِ انْشِغَالِهَا بِالْعِلْمِ لِتَحْقِيقِ الشَّهَادَاتِ الْعُلْيَا تَتَجَاهَلُ الْوَقْتَ وَالْعُمَرَ الزَّمَنِيَّ، لِيَتَجَاوَزَهَا سِنُّ الزَّوْجِ وَالْإِنْجَابِ وَالشُّعُورُ بِالسَّعَادَةِ الْحَقِيقِيَّةِ الَّتِي تَحْصُلُ عَلَيْهَا فِي كَنْفِ الزَّوْجِ، وَعَبْرَ تَجَرِبَةِ الْأُمُومَةِ وَالْعَاطِفَةِ الْأَنْثَوِيَّةِ وَالْحَيَاةِ الْعَائِلِيَّةِ، وَفِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ نَظُنُّ أَنَّهَا مُنْشَغَلَةٌ بِالْعِلْمِ حُبًّا بِهِ فَحَسْبُ، وَلَكِنْ إِذَا فَكَّرْنَا أَكْثَرَ سَنَجِدُ أَنَّ الْفَتَيَاتِ لَمْ يَنْصَرِفْنَ عَنِ الزَّوْجِ بِمِلءٍ إِرَادَتِهِنَّ، وَإِنَّمَا هُنَاكَ عَقَبَاتٌ تَحُولُ بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ الْحُصُولِ عَلَى مَنْ يُنَاسِبُهُنَّ مِنَ الْأَزْوَاجِ؛ فَالزَّوْجُ يَقُومُ عَلَى الْفَهْمِ الْمُتَبَادَلِ وَالْإِحْتِرَامِ وَالْكَرَامَةِ، فِي وَقْتٍ يَنْظُرُ الشَّبَابُ إِلَى الْفَتَيَاتِ نَظْرَةً فَوْقِيَّةً تَقُومُ عَلَى اِزْدِرَاءِ الْأُنُوثَةِ وَاسْتِضْعَافِهَا، وَبِمَا أَنَّ أَعْدَادَ الْبَنَاتِ وَالنِّسَاءِ تَفُوقُ أَعْدَادَ الشَّبَابِ وَالرِّجَالِ؛ فَإِنَّ الْمُجْتَمَعَ سَيَعَانِي مِنْ إِشْكَالِيَّةِ الْعُنُوسَةِ وَالزَّوْجِ الْمُتَأَخَّرِ، مِنْ دُونِ شَيْءٍ، أَضِفْ إِلَى ذَلِكَ اِزْدِيَادَ مَنْسُوبِ الْبَطَالَةِ بَيْنَ الشَّبَابِ، فِيمَا الرِّوَاتِبُ الزَّهِيدَةُ لَا تَكَادُ تَكْفِي لِسَدِّ الْحَاجَاتِ الْمُلِحَّةِ، بَحِثْ بَاتَ بِنَاءُ الْأُسْرَةِ أَمْرًا قَرِيبًا مِنَ الْأَحْلَامِ؛ فَالْوَضْعُ الْمُتَرَدِّي لِلْأُسْرِ الْجَدِيدَةِ تَنْشَأُ عَنْهُ الْخِلَافَاتُ الَّتِي تُوَدِّي إِلَى الطَّلَاقِ وَهَدْمِ الْأُسْرِ وَضِياعِ الْأَبْنَاءِ، مَا يَجْعَلُ الْقَضَاءَ مُنْشَغَلًا بِمِثْلِ هَذِهِ الْمَشَاكِلِ.

تَعْرِفُ الْفَتَيَاتُ عَنِ الزَّوْجِ وَيَتَجَنَّبْنَ نَحْوَ الْعِلْمِ إِلَى أَنْ يَتَقَادَمَ بِهِنَّ الْعُمُرُ. فَلَعَلَّ الْفَتَيَاتِ وَالشَّبَابَ يُفَكِّرُونَ بِجَدِيَّةٍ كَيْفَ يَخْتَارُونَ طَرِيقَ السَّعَادَةِ مَعَ شُرَكَاءِ حَيَوَاتِهِمْ، بِفِكْرٍ وَاعٍ وَنِيَّةٍ مُخْلِصَةٍ، وَحُسْنِ مُعَامَلَةٍ، وَصَبْرِ عَلَى مَشَاقِ الْحَيَاةِ.

الصَّدْقُ مَعَ النَّفْسِ

هَلْ مِنْ رَجُلٍ شُجَاعٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْتَرِفَ صَادِقًا بِتَفَاهُاتِهِ وَعُيُوبِهِ وَدَخَائِلِ قَلْبِهِ نَحْوَ
الْآخَرِينَ، وَعَنِ الْجَانِبِ الطَّيِّبِ فِيهِ، وَالْآخِرِ الْخَبِيثِ أَوْ السَّيِّئِ؟ إِنَّ النَّفْسَ لَا تُرِيدُ أَنْ
تَعْتَرِفَ إِلَّا بِأَنَّهَا الْأَجْمَلُ وَالْأَسْمَى وَالْأَكْمَلُ، وَالْإِعْتِرَافَاتُ الَّتِي يُعْلِنُ عَنْهَا الْبَعْضُ هِيَ
تَوَاضُعٌ كَاذِبٌ لِنَيْلِ مَكَانَةٍ وَحَظْوَةٍ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ. إِنَّ الْعِلْمَ الَّذِي اكْتَسَبَهُ الْبَعْضُ أَدَّى
إِلَى تَزَايُدِ جَهْلِ الْبَعْضِ الْآخَرِ، خُصُوصًا بَعْدَمَا أَصْبَحَ الْإِنْسَانُ كِتَابًا مَقْرُوءًا وَسِرًّا مَفْضُوحًا
بِوَاسِطَةِ الْوَسَائِلِ التَّقْنِيَّةِ.

لَقَدْ بَاتَ الْخَوْفُ مُرَادِفًا لِلْحَيَاةِ بَعْدَ أَنْ بَاتَ الْإِنْسَانُ مَوْضُوعًا تَحْتَ مِجْهَرِ الْإِعْلَامِ
و«النَّتْ» و«الْكَامِيرَا»، وَمَلَا حَقًّا فِي حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ حَتَّى وَهُوَ نَائِمٌ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ
الشَّجَاعَةَ الْحَقِيقِيَّةَ هِيَ الَّتِي تَزْكِبُ مِنَ الْآثَامِ وَالْحِمَاقَاتِ مَا يُوجِبُ خَوْفَنَا مِنَ الْفُضِيحَةِ،
وَالشَّجَاعَةُ أَيْضًا هِيَ الَّتِي لَا نَخْجَلُ مِنْ عُيُوبِنَا، فَنَحْنُ بَشَرٌ خَطَاؤُونَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، شَرَطَ
أَنْ نَعْمَلَ عَلَى تَجَنُّبِ الْأَخْطَاءِ وَالتَّخَفُّفِ مِنَ الْعُيُوبِ كُلِّمَا وَجَدْنَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا.

عَشَاءُ الْخَمِيسِ

هُوَ عَشَاءٌ غَيْرُ عَادِيٍّ خَرَجَ فِيهِ عَنْ مَالُوفِ الْعَادَةِ، وَأَقَامَ مَائِدَتَهُ عَلَى الثَّرَى الْمُعْشُوشِ؛
لَأَنَّهُ لَمْ يَرِدْ لِفِطْرَتِهِ الْأُولَى أَنْ تَتَلَوَّثَ بِمَسَاحِقِ الْحَضَارَةِ.

فِي مَسَائِهِ هَذَا، تَقَابَلَ وَجْهًا لِوَجْهِ مَعَ السَّمَاءِ الصَّافِيَةِ، مَعَ الْقَمَرِ وَقَدْ اجْتَرَحَ أَسَارِيرَ
السَّيْدِيمِ، وَرَاحَ يُنْصِتُ إِلَى أَلْحَانِ سَطْحِيَّةٍ لَا تَسْتَهْوِيهِ، بَلْ هِيَ تَسْتَهْوِي مِرَاجَ عَصْرِهِ
الْفَوْضَوِيِّ الْمُتَسِمِّ بِالسُّرْعَةِ، لِكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَسْمَعُهَا إِلَّا مُجَارَاةً لِأَذْوَاقِ الْحَاضِرِينَ.

ثُمَّ انْتَحَى جَانِبًا، يُقَلِّبُ عَيْنَيْهِ بَيْنَ جِيلٍ مَضَى وَجِيلٍ حَاضِرٍ، وَجِيلٍ لَا يَزَالُ فِي عِلْمِ
الْغَيْبِ وَمُسْتَقْبَلِ الْقَصَصِ الْكُوْنِيِّ الْمُتَعَاقِبِ عَلَى دَوْرَاتِ الزَّمَانِ. كَانَ بِسَجِيَّةٍ فِكْرِهِ يَتَسَمِّمُ،
فَتَلَحَّظُهُ عُيُونُ الْآخَرِينَ، وَكَانَهَا تَسْأَلُهُ عَمَّا يَتَسَمِّمُ لَهُ، لَمْ يَعْقِبْ، بَلْ تَرَكَ ابْتِسَامَتَهُ غَيْرَ
عَابِئَةٍ بِأَحَدٍ.

قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ وَاتَّجَهَ إِلَى حَيْثُ رَوَضَتُهُ الْغَنَاءُ الصَّغِيرَةُ، لِلْعَاوِدِ فَوْضُوِيَّتِهِ الْمُعْتَادَةِ
بَيْنَ الْكُتُبِ وَالْأَوْرَاقِ وَالْأَقْلَامِ. فَتَحَ كِتَابَهُ الْيَوْمِيَّ الْمُسْتَحْدَثَ التَّفْنِيَّةَ الَّذِي أَسْمَاهُ «جَنِّي
سُلَيْمَانَ الْحَكِيمِ» عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَجَدَ حُرُوفَ أَيْقُونَتِهِ الْمَاسِيَّةِ تَلْمَعُ بِوَمَضَاتِ الْإِسْتِغْرَاقِ
الْبَيَانِيِّ الْمُلْغِزِ الَّذِي سَطَرَتْهُ أُنَامِلُ حُلُمٍ قَدِيمٍ.

أُعْجَبَ بِبِكَارَةِ الْكَلِمَاتِ وَطَرَاغَةِ التَّرْمِيزِ، وَمَرَّ عَلَى السُّطُورِ يُودِّعُهَا وَدَاعَ مُفَارِقٍ لَنْ
يَعُودَ، أَخَذَ يُقَلِّبُ عَيْنَيْهِ فِي بَقِيَّةِ فُصُولِ الْكِتَابِ، وَجَدَ أَيْقُونَتَهُ قَدْ اخْتَفَتْ فَجَاءَةً.

ابْتَسَمَ بَعْدَهَا لِإِيوَارِي الْحُزْنِ الَّذِي فِيهِ، وَتَمَتَّمَ فِي سِرِّهِ قَائِلًا: لَقَدْ اخْتَفَتْ مِثْلَمَا اخْتَفَتْ
صَاحِبَتُهَا!

مَضَارِبُ الْحَنِينِ

قَرَأْتُهَا وَكَانَتْهَا عِنْدَ جَبَلِ التَّوْبَادِ تَبْكِي الْحَنِينَ إِلَى مَضَارِبِ لَيْلَى وَقَيْسٍ وَمَضَارِبِ عَبَسٍ، لَمْ تَسَأْ أَنْ تُعَادِرَ الصَّخْرَاءَ وَالْجَمَلَ، كَانَتْهَا تَعُودُ بِالْخِيَالِ الْقَهْقَرَى؛ حَيْثُ الْقِفَارُ وَالْفُدَّافُ وَالْجِبَالُ وَالسُّهُولُ وَهِيَ تَغْتَرِبُ فِي بِلَادٍ تَتَلَوَّنُ بِحَضَارَةِ الْعَصْرِ الْحَدِيثِ - وَهِيَ مَا زَالَتْ تَتَشَدَّقُ بِحُبِّ الصَّيْدِ، وَتُجَسِّدُ صُورَةَ الرُّعَاةِ وَهُمْ بَيْنَ الْبَرَارِيِّ يَزْعُونَ الْأَنْعَامَ وَالْخِرْفَانَ وَالْمَاعِزَ - عُدْتُ بِالْخِيَالِ لِأَرَى قَبَائِلَ بَكَرٍ وَتَغْلِبَ وَرَبِيعَةَ، وَرَأَيْتُ (عُنِيزَةَ) ابْنَةَ عَمِّ امْرِئِ الْقَيْسِ وَهِيَ عَلَى الْوَجَنَاءِ، يُعَابِثُهَا وَهِيَ تَقُولُ لَهُ: «عَقَرْتُ بَعِيرِي يَا امْرَأَ الْقَيْسِ فَانْزِلْ».

تُرِيدُهُ أَنْ يَنْزِلَ كَيْ لَا يُفْتَضِّحَ أَمْرَهَا مَعَهُ - ثُمَّ إِنِّي شَاهَدْتُ الرُّعْيَانَ، وَشَاهَدْتُ قَوَافِلَ الْبَدْوِ الرُّحْلَ، وَشَاهَدْتُ كَرَمَ الْعَرَبِيِّ حِينَهَا وَهُوَ يَحْتَلِبُ ضُرُوعَ الْأَنْعَامِ لِيَسْقِي مِنْ لَبَنِهَا الْوَافِدَ وَالْغَرِيبَ وَالضَّلِيلَ وَالْجَائِعَ. لَقَدْ أَدْهَشَنِي أَنَّ هُنَاكَ مَنْ سَكَنَ الْمُدْنَ رَغْمًا عَنْهُ، فِيمَا هُوَ يُرِيدُ لِلْعُصُورِ الْخَوَالِي أَنْ تَعُودَ، وَيُرِيدُ لِلْخَيْمَةِ وَالْجَمَلِ وَبَيْتِ الشَّعْرِ أَنْ تَكُونَ بَدِيلًا مِنَ الْمَنَازِلِ الْأَسْمَنِيَّةِ - إِنَّهُ إِحْسَاسٌ لَا تَمْلِكُ إِلَّا أَنْ تَحْتَرِمَهُ عِنْدَ الْبَعْضِ، خُصُوصًا عِنْدَ مَنْ يَرَى الْحَضَارَةَ وَمَظَاهِرَهَا الْخَادِعَةَ عَيْنًا عَلَى النُّفُوسِ الشَّافَةِ وَالْوَادِعَةَ، وَالْقَانِعَةَ بِحُبِّ الْخُبْرِ وَاللَّبَنِ وَتَمِيرَاتِ تَسُدُّ الْأَوْدَ وَتُطْفِئُ حَرَارَةَ الْجُوعِ - قُلْتُ فِي نَفْسِي، نَعَمْ سَيَعُودُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَى طَبِيعَتِهِ، وَلَكِنْ بَعْدَ دَهْوَرٍ طَوِيلَةٍ. وَتَسَاءَلْتُ: مَا هُوَ الدَّافِعُ إِلَى عِشْقِ الْبَدَاوَةِ فِي زَمَنِ الْحَضَارَةِ، وَمَا الدَّافِعُ إِلَى عِشْقِ الْحَضَارَةِ فِي عَصْرِ الْحَضَارَةِ؟ وَشَتَانُ بَيْنَ عَصْرَيْنِ لَا تَقَابِلُ حَسِيٍّ بَيْنَهُمَا - قُلْتُ: رُبَّمَا يَكُونُ سِرًّا كَامِنًا فِي النَّفْسِ يَجْتَذِبُهَا إِلَى الزُّهْدِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، لَتَعِيشَ عَلَى أَطْلَالِ خَيَالَاتِ عُصُورٍ لَمْ نَكُنْ نَحْنُ أَهْلَهَا - كَمْ هُوَ جَمِيلٌ أَنْ تَسْكُنَنَا الْبَدَاوَةُ بِقِيمِهَا النَّبِيلَةِ لَا بِهَمَجِيَّتِهَا الْمَقِيَّةِ - وَالْأَجْمَلُ إِلَّا نَشْطُ بِالْخِيَالِ أَكْثَرَ، وَنَنَعَمُ بِحَقَائِقِ الْوَاقِعِ وَنَعِيشُهُ، مَعَ احْتِرَامِنَا وَامْتِثَالِنَا لِقِيمِ الدِّينِ وَالْجَمَالِ فِي عَصْرِ نَحْنُ أَهْلُهُ وَسُكَّانُهُ. عَلَى أَنَّ الْحَنِينَ إِلَى الْبَدَاوَةِ هُوَ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى نَوْعٌ مِنْ شَغَفِ الْإِنْسَانِ بِالْعُودَةِ إِلَى ذَاتِهَا الْأُولَى، وَنَوْعٌ مِنْ تَاكِيدِ الْهُوِيَّةِ لِمَنْ ضَلَّتْ بِهِ الْعُرُوقُ وَالْأَنْسَابُ، وَقَادَتُهُ الْأَسْبَابُ لِيَكُونَ غَرِيبًا فِي وَطَنِهِ أَوْ فِي أَوْطَانِ الْآخَرِينَ. وَسَتَبْقَى «الْبَدَاوَةُ» عِنْدَ الْعَرَبِ مِثْلَ «بَدَاوَةِ» الْهُنُودِ الْحُمْرِ فِي أَمْرِيكَ مُسْتَهْجَنَةً، يَسْخَرُ مِنْهَا مُخْرِجُو أَفْلَامِ هُولِيوُودَ، بِاعْتِبَارِهَا خَارِجَ

دَائِرَةُ الْحَضَارَةِ وَالْحَدَاثَةِ. أَمَّا نَحْنُ فَمُعَلِّقُونَ بَيْنَ الْقَدِيمِ وَالْجَدِيدِ، وَوَاقِفُونَ فِي مَهَبِّ
الرَّيْحِ، فَلَا نَحْنُ «فِي الْعَلِيقِ وَلَا اللَّجَامِ، كَمَا يَقُولُ الْمُتَنَبِّي رَحِمَهُ اللَّهُ. وَسَلَّمْ لِي عَلَى
الْبَدْوِ وَالْبَدَاوَةِ إِنْ وُجِدَا فِي هَذَا الْعَصْرِ، إِلَّا فِي سُنَّةِ الْغَارِقِينَ فِي خَيَالِ الْمَاضِي؛ إِذْ مَا
الَّذِي يَفْعَلُهُ الْمُتَعَلِّقُونَ بِالْبَدَاوَةِ مِنْ دُونِ الْكُهْرَبَاءِ وَالتَّكْيِيفِ وَالسَّيَّارَةِ وَالطَّيَّارَةِ وَالتَّقْنِيَّاتِ
الْمُخْتَلَفَةِ الَّتِي نَعْرُقُ مِنْ دُونِهَا فِي سُبُاطِ الْجَهْلِ، وَسَلَامٌ عَلَى ابْنِ خَلْدُونٍ فِي الْأَوَّلِينَ
وَالْآخِرِينَ، وَهُوَ الَّذِي وَصَفَ الْعَرَبَ وَالْأَعْرَابَ كَمَا لَمْ يَصِفْهُمْ أَحَدٌ.

حُسَيْنٌ عَرَبٌ.. حُسَيْنٌ سَرَحَانٌ

«حُسَيْنَانِ» اثنانِ أثرا في حَيَاتِي: الشَّيْخُ الأَدِيبُ الشَّاعِرُ حُسَيْنٌ عَرَبٌ، وَالشَّيْخُ الأُسْتَاذُ الأَدِيبُ الشَّاعِرُ حُسَيْنٌ سَرَحَانٌ، وَهُمَا مَنْ هُمَا فِي عِلْمِهِمَا وَأَدَبِهِمَا وَشَعْرِهِمَا، وَهُمَا مِنَ الخَمْسَةِ الَّذِينَ شَهِدَ لَهُمُ الشَّاعِرُ العَبْقَرِيُّ حَمْزَةُ شِحَاتَةَ بِالشَّاعِرِيَّةِ المَطْبُوعَةِ وَالرِّيَادَةِ الأَدَبِيَّةِ.

فَكَيْفَ تَعَرَّفْتُ بِهِذَيْنِ العَمَلَاقَيْنِ؟ كُنْتُ فِي رِيْعَانِ الصَّبَا وَلَمْ أَتَجَاوَزِ الثَّلَاثِينَ مِنْ عُمْرِي - وَكُنْتُ قَدْ أَصْدَرْتُ بأكُورَةَ أَعْمَالِي فِي القَاهِرَةِ بِعِنْوَانِ «مُعَذِّبَتِي»، وَقَدَّمَ لَهَا الأُسْتَاذُ الكَبِيرُ وَالشَّاعِرُ الفَحْلُ هَارُونُ هَاشِمُ رَشِيدٌ، شَاعِرُ الثُّورَةِ الفِلَسْطِينِيَّةِ، عِنْدَمَا كُنْتُ أَدْرُسُ الحُقُوقَ فِي جَامِعَةِ القَاهِرَةِ. ثُمَّ عُدْتُ إِلَى مَسْقَطِ رَأْسِي مَكَّةَ المَكْرَمَةِ، وَكَانَ الشَّعْرُ وَالْأَدَبُ مُزْدَهَرَيْنِ آنَ ذَاكَ؛ إِذْ إِنَّ المَمْلَكَةَ، وَبِخَاصَّةِ الحِجَازِ وَنَجْدٍ وَالرِّيَاضِ، كَانَتْ مَهْدَ الشَّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ الأَوَائِلِ الَّذِينَ كَتَبَ لَهُمُ السَّبْقُ فِي الخُلُودِ وَالذُّيُوعِ وَالرِّيَادَةِ عَلَى مُسْتَوَى العَالَمِ العَرَبِيِّ فِي ذَلِكَ العَصْرِ.

كُنْتُ قَدْ تَعَرَّفْتُ إِلَى الشَّاعِرِ الأُسْتَاذِ حُسَيْنِ عَرَبٍ وَالشَّاعِرِ الأُسْتَاذِ حُسَيْنِ سَرَحَانٍ قَبْلَ لِقَائِهِمَا فِي كُتُبِ الأَدَبِ المَدْرَسِيَّةِ، ثُمَّ بَعْدَ أَنْ عُدْتُ مِنَ القَاهِرَةِ وَبَدَأْتُ بِنَشْرِ قَصَائِدِي فِي الصُّحُفِ السُّعُودِيَّةِ، بَدَأْتُ حِرَابُ أَسَنَةِ الأَفْلَامِ المُعْرَضَةِ تَتَنَاوَلُنِي بِالقَدَحِ، وَتَرْعُمُ أُنِّي أَشْتَرِي الشَّعْرَ مُسْتَوْرَدًا مِنَ الخَارِجِ، وَأُنِّي أَسْتَجِدِي النُّقَادَ كَيْ يَتَنَاوَلُوا شِعْرِي بِالنَّقْدِ. كَدْتُ أَهْجُرُ الشَّعْرَ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ، حَتَّى عَقَدْتُ العَزْمَ عَلَى أَنْ أُعْرِفَ حَقِيقَةَ شِعْرِي وَشَاعِرِيَّتِي. وَقَدْ اسْتَحْبَرْتُ عَنْ مَوْعِدِ تَوَاجُدِ الأُسْتَاذِ الشَّاعِرِ حُسَيْنِ عَرَبٍ، وَكَانَ يَجْلِسُ يَوْمِيًّا بَعْدَ صَلَاةِ المَغْرَبِ فِي بَلْكَوْنَةِ دَارِهِ الفَسِيحِ بِالزَّاهِرِ، فَذَهَبْتُ إِلَيْهِ تَتَمَلَّكُنِي الرُّهْبَةُ، لِكُونِي أَقَابِلُ هَذَا الرَّجُلِ الجَهْدِ، وَأَنَا شَابٌّ يَافِعٌ. فَدَلَفْتُ إِلَى حَيْثُ يَجْلِسُ الأُسْتَاذُ عَرَبٌ، وَرَأَيْتُ عَلَى وَجْهِهِ أَمَارَاتِ الوَقَارِ. وَبَعْدَ أَنْ عَرَفْتُهُ بِنَفْسِي حَامِلًا بِيَدَيِ المُرْتَعَشَتَيْنِ مَخْطُوطَ دِيَوَانِي الثَّانِي «الهُوَى قَدَرِي» قُلْتُ لِمَعَالِي الشَّيْخِ حُسَيْنِ: «أَنَا أَتَجَرَّأُ عَلَى مَقَامِكُمْ العَالِي بِطَلَبِ عَزِيزٍ». قَالَ فِي الحَالِ: «اطْلُبْ». قُلْتُ لَهُ: «أَحِبُّ أَنْ تَقْرَأَ هَذَا الدِّيَوَانَ فَإِنْ وَجَدْتَ فِيهِ شِعْرًا يَسْتَحِقُّ النُّشْرَ فَارْجُو أَنْ أَتَشَرَّفَ بِكِتَابَةِ تَقْدِيمِ لَهُ بِخَطِّ

مَعَالِيكُمْ، أَسْتَشْرِفُ مِنْ خَلَالِهِ حَاضِرِي الْأَدَبِيِّ، وَأَكُونُ ضِمْنَ كَوَكَبَةِ أَدْبَاءِ الْوَطَنِ وَالْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ». أَخَذَ عَرَبُ الْمَخْطُوطِ وَغَرَقَ فِي قِرَائَتِهِ، فِيمَا الْعَرَقُ يَتَفَصَّدُ عَلَى جَبِينِي مِنْ الْخَوْفِ، وَكَانَ فِي ضِيَاةٍ مَعَالِي الشَّيْخِ حُسَيْنِ عَرَبِ الْعَلَامَةِ الْأَدِيبِ وَالشَّاعِرِ وَالْعَالِمِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْقُدُّوسِ الْأَنْصَارِيِّ، صَاحِبِ مَجَلَّةِ «الْمَنْهَلِ» وَرَبِّيسِ تَحْرِيرِهَا، وَلَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ قَبْلَ ذَلِكَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَاعْتَدَلْتُ فِي جِلْسَتِي أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ؛ فَأَنَا أَمَامَ جَهْدَيْنِ مِنْ حُذَاقِ الْأَدَبِ وَلُغَةِ الْبَيَانِ وَعُلَمَاءِ اللُّغَةِ وَصُنَاعِ الْفِكْرِ. بَعْدَ صَمْتٍ مُرِيعٍ سَادَ بَيْنَنَا، وَنَحْنُ لَا نَسْمَعُ إِلَّا قَرَعَ فَنَاجِينَ الْقَهْوَةِ وَالشَّايِ، التَّفَتَّ مَعَالِي الشَّيْخِ حُسَيْنِ عَرَبٍ، مُقَدِّمًا لِلشَّيْخِ عَبْدِ الْقُدُّوسِ الْأَنْصَارِيِّ الْمَخْطُوطَ الصَّغِيرَ، وَهَمَسَ لَهُ أَنْ يَفْرَأَ مِنْهُ؛ فَاسْتَغْرَقَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقُدُّوسِ أَيْضًا قُرَابَةَ نَصْفِ سَاعَةٍ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ يَا بُنَيَّ إِنَّكَ شَاعِرٌ مُجَدِّدٌ، وَلَدَيْكَ مَوْهَبَةٌ مَطْبُوعَةٌ، وَأَنْتَ تَسْتَحِقُّ الْأَشَادَةَ وَالتَّقْدِيرَ، فَبُورِكَتْ وَبُورِكَ شَعْرُكَ. أَمَّا الْأُسْتَاذُ حُسَيْنُ عَرَبٍ فَلَمْ يُعَقِّبْ، وَطَلَبَ مِنِّي الْعُودَةَ إِلَيْهِ بَعْدَ يَوْمَيْنِ، وَمَرَّ الْيَوْمَانِ عَلَى مَضَضٍ وَارِقٍ وَقَلْتِ، إِلَيَّ أَنْ جِئْتُ إِلَى مَعَالِيهِ، وَرَحَّبَ بِي، وَشَرَبْنَا الْقَهْوَةَ وَالشَّايَ، وَتَحَدَّثْنَا طَوِيلًا فِي شُؤُونِ الْأَدَبِ وَالْأَدْبَاءِ، وَسَرَدَ عَلَيَّ مَسَامِعِي شَيْئًا مِنْ مَسِيرَةِ حَيَاتِهِ الْأَدَبِيَّةِ، وَالْحُرُوبِ الَّتِي جَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأُسْتَاذِ حُسَيْنِ زِيدَانَ وَالْأُسْتَاذِ مُحَمَّدَ عَمَرَ تَوْفِيقٍ فِي عَصْرِ الشَّبَابِ، وَكَيْفَ انْتَصَرَ عَلَى كَيْدِهِمَا وَمَكْرِهِمَا بِهِ. وَبَعْدَ أَنْ صَلَّيْنَا الْعِشَاءَ، قُلْتُ لَهُ: «أَرْجُو أَنْ تَسْمَحَ لِي بِالْمُعَادَرَةِ»؛ فَمَدَّ يَدَهُ إِلَيَّ ظَرْفٍ أَعَدَّهُ مِنْ مَطْبُوعَاتِهِ وَأَعْطَانِي إِيَّاهُ، وَقَالَ: سَتَجِدُ الْمَقْدَمَةَ فِي هَذَا الْمَطْرُوفِ، كَمَا طَلَبْتَ.

أَخَذْتُ الْمَطْرُوفَ وَأَنَا أَتَحَرَّقُ قَلْقًا لِأَعْرِفَ مَا فِيهِ، وَغَادَرْتُ إِلَى سَيَّارَتِي، وَأَضَاتُ الْمِصْبَاحَ الدَّاخِلِيَّ فِيهَا، وَفَتَحْتُ الْمَطْرُوفَ، فَوَجَدْتُ صَفْحَةً بِخَطِ يَدِ الْأُسْتَاذِ الْأَدِيبِ عَرَبٍ تَتَضَمَّنُ انْطِبَاعَهُ عَنِ شِعْرِي، إِضَافَةً إِلَى انْطِبَاعِ الْأُسْتَاذِ عَبْدِ الْقُدُّوسِ الْأَنْصَارِيِّ، مَا أَثْلَجَ صَدْرِي حَوْلَ حَقِيقَةِ شَاعِرِيَّتِي الْمَشْكُوكِ فِيهَا مِنْ قَبْلِ مُرْتَزَقَةِ الصَّحَافَةِ الَّذِينَ يَرْفَعُونَ مَنْ شَاؤُوا وَيُسْقِطُونَ مَنْ أَرَادُوا بِجَرَّةٍ قَلَمٍ، وَمِنْ دُونَ وَازِعٍ مِنْ حَيَاءٍ أَوْ ضَمِيرٍ، وَمِنْ دُونَ مَعْرِفَةِ بُلْغَةِ الشَّعْرِ وَصِنَاعَتِهِ وَفُنُونِهِ وَضُرُوبِهِ، وَلَكِنْ مَا يَفْعَلُونَهُ هُوَ تَعْبِيرٌ عَنْ حَسَدِهِمْ وَغِلِّ أَنْفُسِهِمْ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ - طَبَعْتُ دِيَوَانِي الثَّانِي «الْهُوَى قَدْرِي» فِي ثَوْنَسِ الْخَضْرَاءِ، حَيْثُ كُنْتُ أَسَافِرُ إِلَيْهَا بِصُحْبَةِ عَائِلَتِي، وَنَفَضِي فِيهَا مَا لَا يَقِلُّ عَنِ الشَّهْرِ سَائِحِينَ بَيْنَ تِلَالِهَا وَبِحَارِهَا وَرِيَاضِهَا وَمَنَاخِهَا الْخِلَابِ، وَعُدْتُ عَلَى أَمَلٍ أَنْ يَتِمَّ

اسْتَقْبَالَ دِيَوَانِي الثَّانِي بِشَيْءٍ مِنَ التَّقْدِيرِ وَالتَّشْجِيعِ، إِلَّا أَنَّ عَصَابَةَ الصَّحَفِيِّينَ مُصْرَّةً عَلَى مُنَاصَبَتِي الْعَدَاءِ وَبِشْكَالٍ شَخْصِيٍّ - وَلَمْ يَهْدَأْ لِي بَالٌ وَأَنَا أَتَقِي حُرُوبًا مِنْ كُلِّ الْجَبَهَاتِ، كَانَ أَكْثَرُهَا مَعَ الْأَسَفِ مِنْ أُنْبَاءِ مَدِينَتِي مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ. وَلَكِنِّي لَمْ أُسْتَكِنْ وَلَمْ أَحْبَطْ، بَلْ كُنْتُ شَابًّا يَطْمَحُ إِلَى التَّفَرُّدِ وَالتَّمَيُّزِ وَإِلَى التَّسَامِي، وَلَوْ كَرِهَ الْمُبْغِضُونَ وَالْحَاقِدُونَ وَالْحَاسِدُونَ. كُنْتُ فِي نِزَالٍ غَيْرِ مُتَكَافٍ، إِذْ إِنَّ الْكُفَّةَ الرَّاجِحَةَ لِمَنْ بِيَدِهِ الدَّوَاءُ وَالْقَلَمُ الصَّحْفِيُّ، كَمَا يُقَالُ، وَهُوَ الْمُسْتَطِيعُ أَنْ يُضِلَّ الْحَقَائِقَ بِقُدْرَتِهِ عَلَى نَشْرِ مَا يُرِيدُهُ كَذِبًا أَوْ صِدْقًا. وَبَيْنَ هَؤُلَاءِ مَنْ انْتَقَلَ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ وَجَاءَنِي قَبْلُهَا مُعْتَذِرًا عَنْ إِسَاءَتِهِ لِي، وَصَارَ مِنْ رُؤَادِ «ثُلُوثِيَّتِي» الْأُسْبُوعِيَّةِ إِلَى أَنْ وَافَتْهُ الْمَنِيَّةُ، وَمِنْهُمْ مَنْ مَا يَزَالُ الْحَقْدُ وَالْحَسَدُ يَحْرِقُ أَوْصَالَهُ إِلَى الْآنِ، وَلَكِنَّهُ يَشْعُرُ بِالْخِزْيِ وَالْعَارِ فِي نَفْسِهِ، فَيَقَابِلُنِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ وَمَهَابَةٍ مِنِّي، وَقَدْ أَخْفَى مَا اللَّهُ عَالِمُهُ، وَاللَّهُ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَمَا كُنْتُ أَرْضَى الْإِسَاءَةَ لَهُمْ وَهُمْ يُسَيِّئُونَ، وَكَانَ أُبْلَغُ رَدِّ عَلَيْهِمْ هُوَ انْتِشَارِي فِي الصُّحُفِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْخَلِيجِيَّةِ وَالْمِصْرِيَّةِ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ، وَمِنْهَا الْأَهْرَامُ وَالْأَخْبَارُ وَغَيْرُهَا مِنَ الصُّحُفِ وَالْمَجَلَاتِ وَالذُّورِيَّاتِ. وَكَلَّمَا نَشَرَ دِيَوَانٌ جَدِيدٌ لِي أَصَابَ تِلْكَ الْعَصَابَةَ بِنَارٍ مُوقَدَةٍ، يَحْتَرِقُ فِيهَا غَيْظُهُمْ وَحَقْدُهُمْ وَحَسَدُهُمْ، وَالْكِتَابَةُ عِنْدِي هِيَ رَدِّي الْحَاسِمُ عَلَى أَكَاذِبِهِمْ وَأَضَالِيلِهِمْ. لَطَالَمَا كُنْتُ مُتَحَدِّيًا كَبِيرًا وَخَصْمًا شَرَسًا فِي النَّزَالِ بِذَكَاءٍ - هُوَ مَنَّةُ اللَّهِ عَلَيَّ، لَهُ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ - وَكَانَتْ لِي مَعْرِفَةٌ كَبِيرَةٌ بِعُقْلَاءِ شُعْرَاءِ الْمَمْلَكَةِ، وَبِالْكَثِيرِ مِنْ شُعْرَاءِ الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ، وَقَدْ بَدَأْتُ فِي الْإِنْتِشَارِ حِينَ كُنْتُ أُرْسِلُ دَوَاوِينِي مُهْدَاةً إِلَى الْجَامِعَاتِ وَالصُّحُفِ، حَيْثُ تَلَقَّيْتُ مِنَ الْأُسْتَاذِ الدُّكْتُورِ: «إِنَارِ بَرَج» مِنْ جَامِعَةِ أَوْسُلُو بِالنُّزُوجِ خُطَابًا يُفِيدُنِي فِيهِ بِأَنَّ دِيَوَانِي «الْهُوَى قَدْرِي» قَدْ تَمَّتْ تَرْجُمَتُهُ إِلَى اللُّغَةِ النَّزُوجِيَّةِ. وَهُوَ يُدْرَسُ الْآنَ فِي قِسْمِ الْأَدَبِ فِي الْجَامِعَةِ، وَقَدْ تَمَّ نَشْرُ الْخَبَرِ فِي الصُّحُفِ، مِمَّا زَادَ فِي غُلُوِّ الْعَصَابَةِ الظَّالِمَةِ نَفْسَهَا، ثُمَّ انْقَضَتْ سَنَوَاتٌ وَأَنَا أَكْتُبُ وَأَنْشُرُ، إِلَى أَنْ تَكُونَتْ لَدَيَّ مَجْمُوعَةٌ شِعْرِيَّةٌ جَدِيدَةٌ، وَقَدْ تَبَلَّوْرَتْ لَدَيَّ فِكْرَةٌ جَرِيئَةٌ، تَعَرَّفْتُ مِنْ خِلَالِهَا إِلَى الْأُسْتَاذِ الْكَبِيرِ الشَّاعِرِ الْعَلَمِ حُسَيْنِ سَرْحَانَ الَّذِي كَانَ يَقْطُنُ فِي نَفْسِ الْحَيِّ الَّذِي أَقْطُنُ فِيهِ وَهُوَ «حَيُّ الْمَعَابِدَةِ».

وَالْمَعْرُوفُ عَنِ الشَّاعِرِ الْكَبِيرِ حُسَيْنِ سَرْحَانَ الْعُتْبِيَّ الْأَصْلُ أَنَّهُ لَا يَتَنَازَلُ حَتَّى لِظَلِّهِ، وَلَا يَهْتَمُّ بِأَحَدٍ إِلَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَالشُّعْرِ.

وَلَهُ قَلَمٌ لَا يُجَارَى فِي النَّقْدِ وَالسُّخْرِيَةِ، وَيُؤَثِّرُ الْعُرُوفَ عَنِ الشُّهْرَةِ، وَهُوَ «أَشْهُرُ مِنْ نَارٍ عَلَى عِلْمٍ». كَانَتْ دَارُهُ، رَحِمَهُ اللَّهُ، بِجَوَارِ قِسْمِ النَّجْدَةِ، وَكَانَ يَصْحُو مُبَكِّرًا، إِذْ إِنَّهُ يُعَادِرُ مَجْلِسَهُ عِنْدَ السَّاعَةِ الثَّامِنَةِ صَبَاحًا، لِيَخْتَلِفَ إِلَى كُتُبِهِ وَكِتَابَاتِهِ الْقَلِيلَةِ الَّتِي تَمْتَّازُ بِالْجَدَّةِ وَالْبَكَارَةِ وَالْقُوَّةِ اللَّغَوِيَّةِ. كَانَ وَجَلِي كَبِيرًا، وَقَلَقِي أَكْبَرَ، حِينَ قَرَرْتُ الذَّهَابَ لِلتَّشْرِفِ بِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ الْجَهْدِ حُسَيْنِ سَرْحَانَ، فَفِيهِ صَلَابَةُ الْبَدَوِيِّ وَكِرْمُهُ وَاعْتِدَادُهُ بِنَفْسِهِ، وَهُوَ كَمَا قِيلَ «فَلَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَنْتَسِمُ». ذَهَبْتُ إِلَيْهِ فِي مَجْلِسِهِ فَلَمْ أَجِدْهُ، وَقَالَ لِي الْعَامِلُ لَدَيْهِ: لَقَدْ تَأَخَّرْتَ، يَجِبُ أَنْ تَكُونَ هُنَا فِي تَمَامِ السَّاعَةِ السَّابِعَةِ صَبَاحًا. وَسَأَلَنِي الْعَامِلُ عَنْ اسْمِي ثُمَّ دَوَّنَهُ عَلَى وَرَقَةٍ لَدَيْهِ قَبْلَ أَنْ أَغَادِرَ.

فِي صَبِيحَةِ الْيَوْمِ التَّالِي صَحَوْتُ مُبَكِّرًا وَذَهَبْتُ إِلَيْهِ، فَوَجَدْتُ شَخْصًا يَنْظُرُ مِنْ نَافِذَةِ الْمَجْلِسِ، وَكَأَنَّهُ يَنْصُقُ عَلَى الدُّنْيَا، وَجْهَهُ لَا يَعْرِفُ الضَّحْكَ، وَفَمُهُ يَمِيلُ إِلَى الصَّمْتِ، بَحِثٌ لَنْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَنَالَ حَرْفًا مِنْهُ إِذَا لَمْ تَكُنْ بَالِغَ الذِّكَاةِ وَالْدَّهَاءِ. وَحِينَ يَجِئُهُ أَحَدُهُمْ وَلَا يُعْجِبُهُ حَدِيثُهُ فَإِنَّهُ يَضَعُ مَنْشَفَتَهُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيَسَابِقُ الْبَابَ تَارِكًا زَائِرَهُ الْغَثَّ بِمُفْرَدِهِ إِلَى أَنْ يَمَلَّ وَيَرْحَلَ. ذَلِكَ مَا كَانَ يُرَوِّى عَنْهُ، وَلَكِنِّي لَمْ أَلْمَسْهُ مِنْهُ عَلَى الصَّعِيدِ الشَّخْصِيِّ، فَعِنْدَمَا جِئْتُهُ تَهَلَّلَ وَجْهُهُ بَشْرًا وَسُرُورًا، وَأَجْلَسَنِي قُبَالَتَهُ عَلَى مُسْتَوًى وَاحِدٍ، أَمَامَ النَّافِذَةِ الْمُطْلَعَةِ عَلَى الشَّارِعِ الْعَامِ، تَحَدَّثْتُ مَعَهُ عَنْ شَعْرِهِ وَأَدَبِهِ فَكَانَ يُجِيبُنِي بِأَرِيحِيَّةٍ. وَحِينَ أَطَلْتُ الْجُلُوسَ طَلَبْتُ السَّمَّاحَ بِالْمُعَادَرَةِ، وَلَكِنَّهُ أَلَحَّ عَلَيَّ بِالْمُكُوثِ حَتَّى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ وَالنِّصْفِ صَبَاحًا، وَهُوَ مَا لَمْ يَفْعَلْهُ مَعَ غَيْرِي أَبَدًا، ثُمَّ زُرْتُهُ مَرَّةً ثَانِيَةً بَعْدَ أَنْ بَادَرَ إِلَى الْإِتِّصَالِ بِي، وَحِينَ غَادَرْتُهُ كَانَ يَرَاوِدُنِي أَمَلٌ مَا بَانَ أَحْطَى بِمُقَدِّمَةِ لَدِيَوَانِي الثَّالِثِ «الْخَوْفِ»، وَأَنَا أَعْرِفُ أَنَّهُ ضَمِينٌ بِكِتَابَةِ الْمُقَدِّمَاتِ، حَتَّى إِنْ بَعْضَ الشُّعْرَاءِ طَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَتَكَرَّمَ بِتَقْدِيمِ مَجْمُوعَاتِهِمْ الشُّعْرِيَّةِ فَرَفَضَ ذَلِكَ، عَدَا مُقَدِّمَةً وَاحِدَةً كَتَبَهَا لِصَدِيقِهِ الشَّاعِرِ عَبْدِ اللَّهِ جَبْرِ. قُلْتُ فِي نَفْسِي: سَأُجَازِفُ بِالطَّلَبِ، وَخَاطَبْتُهُ قَائِلًا: يَا أَسْتَاذَ، إِنِّي وَاحِدٌ مِنْ أَبْنَائِكُمُ الشُّعْرَاءِ الشُّبَّانِ، وَأَخْتَاكِ إِلَى تَشْجِيعِكُمْ عَبْرَ كِتَابَةِ مُقَدِّمَةِ لَدِيَوَانِي الثَّالِثِ «الْخَوْفِ»، أَرْغَبُ فِي إِضَافَتِهَا إِلَى مُقَدِّمَةِ أُخْرَى لِلدُّكْتُورِ مُحَمَّدٍ مُصْطَفَى هِدَارَةَ، أَسْتَاذَ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ فِي الْجَامِعَاتِ الْعَرَبِيَّةِ، وَهُوَ أَيْضًا أَشْهُرُ مِنْ نَارٍ عَلَى عِلْمٍ؛ فَتَنَظَّرْتُ إِلَيْهِ رَحِمَهُ اللَّهُ بِعَيْنَيْهِ الْوَاسِعَتَيْنِ نَظْرَةَ الْفَاحِصِ الْفَاهِمِ الَّذِي يَسْتَفْرِئُ الْقُلُوبَ قَبْلَ الْعُيُونِ، وَقَالَ لِي: وَاللَّهِ الْعَظِيمِ إِنِّي رَفَضْتُ أَنْ أُقَدِّمَ لِلْوَزِيرِ فَلَانٍ

وَوَكِيلَ الْوِزَارَةِ فَلَانَ، فَأَنَا لَا أَحِبُّ كِتَابَةَ الْمُقَدِّمَاتِ، رَغِمَ أَنِّي قَرَأْتُكَ فِي الصُّحُفِ،
وَأَعْرِفُ عَنْ شِعْرِكَ الْكَثِيرَ، وَلَكِنْ هَاتِ الْأُورَاقَ لَعَلِّي أَجِدَ وَقْتًا لِقِرَاءَتِهَا. ثُمَّ انْتَهَى
الْوَقْتُ، وَكُنْتُ كَالْعَادَةِ فِي كُلِّ صَبَاحٍ أَذْهَبُ إِلَيْهِ لِلْإِفَادَةِ مِنْهُ وَالْإِكْتِسَابِ مِنْ خِبْرَتِهِ
وَعِلْمِهِ وَأَدَبِهِ، وَمَهْمَا قُلْتُ عَنْ الشَّاعِرِ الْفَذِّ الْحَبِيبِ فَلَنْ أَوْفِيَهُ حَقَّهُ، فَهُوَ فَوْقَ الْوَصْفِ
وَالْمَدِيحِ وَالثَّنَاءِ، فَقَدْ كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ يُحِبُّنِي حُبًّا جَمًّا، حَتَّى إِنِّي كُنْتُ أَذْهَبُ إِلَيْهِ
فِي أَيِّ وَقْتٍ فَيَنْزِلُ إِلَيَّ مَهْرُولًا. وَقَالَ لِي مَرَّةً: «وَاللَّهِ إِنْ قَلْبِي يَرَى فِيكَ إِنْسَانًا صَادِقًا
خَلُوقًا، وَأَنَا لَا أَقَابِلُ أَبْنَاءَ عُمُومَتِي إِلَّا فِيمَا نَدَّرَ، وَلَكِنَّكَ أَخَذْتَنِي بِأَخْلَاقِكَ وَعِلْمِكَ
وَأَدَبِكَ، فَاسْتَهْوَانِي فِيكَ مَا أَرَدْتُهُ وَارِيدُهُ مِنْ صَدِيقٍ مِثْلِكَ». وَكُنْتُ أَقْدِمُ لَهُ الشُّكْرَ
غَاضًا بَصْرِي عَنْهُ، إِجْلَالًا وَاحْتِرَامًا لِقَامَةِ يَتِمْنَى الْكَثِيرُونَ الْجُلُوسَ إِلَيْهَا وَلَوْ لِبَضْعِ
دَقَائِقٍ، فَكَيْفَ وَقَدْ أَحْبَبَنِي وَارْتَاخَ إِلَيَّ؟! وَلَقَدْ كَانَتْ لَهُ عِنْدِي، كَمَا لِلْأُسْتَاذِ حُسَيْنِ
عَرَبٍ، مَنْزِلَةٌ رَفِيعَةٌ لَا تَدَانِي. انْتَهَتْ تِلْكَ الْجُلُوسَةُ وَغَادَرْتُ كَالْعَادَةِ، وَاتَّيْتُهِ بَعْدَ ثَلَاثَةِ
أَيَّامٍ، وَكَانَ مُعَاتِبًا لِعِجَابِي عَنْهُ هَذِهِ الْمُدَّةِ. وَبَعْدَ شُرْبِ الْقَهْوَةِ وَالشَّايِ أَعْطَانِي أَوْرَاقِي
الَّتِي سَبَقَ أَنْ طَلَبْتُ مِنْهُ كِتَابَةَ مُقَدِّمَةٍ لَهَا، وَحِينَ لَمْ أَحْظَ وَرَقَةَ التَّقْدِيمِ سَأَلْتُهُ هَمْسًا:
أُسْتَاذِي، أَلَمْ يُرْفِكَ شِعْرِي؟ فَقَالَ: عَلَى الْعَكْسِ، أَنْتَ شَاعِرٌ مُبْدِعٌ مُتَفَوِّقٌ، وَإِنِّي أَتَوَقَّعُ
لَكَ مُسْتَقْبَلًا مُشْرَقًا فِي الْأَدَبِ وَالشُّعْرِ. ثُمَّ بَدَأَ جِسِينِي يَتَفَصَّدُ عَرَقًا مِنَ الْقَلَقِ، وَسَأَلْتُ
نَفْسِي: «وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكْتُبْ لِي الْمُقَدِّمَةَ، لَا بُدَّ مِنْ أَنَّهُ وَجَدَ مَا لَا يَسْرُهُ فِي شِعْرِي»، ثُمَّ
تَجَرَّأَتْ وَسَأَلَتْهُ: «أُسْتَاذِي، طَلَبْتُ مِنْكَ مُقَدِّمَةً لِدِيَوَانِي الْجَدِيدِ (الْخَوْفُ)»؛ فَضَحِكَ
وَقَالَ: «لَقَدْ كَتَبْتُهَا لَكَ بِخَطِّ يَدِي. فَارْتَبَكْتُ وَقُلْتُ لَهُ: «أَيْنَ؟»، قَالَ: «هِيَ مَعَ بَقِيَّةِ
الْأَوْرَاقِ، هَلَّا نَظَرْتُ؟»، وَخَجَلْتُ مِنْ نَفْسِي حِينَمَا عَقَّدَتِ الْحَيَرَةُ وَالْخَوْفُ وَالْحَيَاءُ
مَخَارِجَ صَوْتِي بِالشُّكْرِ وَالِامْتِنَانِ، وَمِنْ هُنَا بَدَأَ التَّحْدِي لِعَصَابَةِ الصَّحَفِيِّينَ الْمُبْغِضِينَ
وَالْحَاقِدِينَ وَالْحَاسِدِينَ، وَلِعِلْمِي بِنَوَايَاهُمْ وَأَفْكَارِهِمْ وَخُبَيْثِهِمْ فَقَدْ وَضَعْتُ مُقَدِّمَةَ الْأُسْتَاذِ
الشَّاعِرِ حُسَيْنِ سَرْحَانَ بِخَطِّهِ الْجَمِيلِ عَلَى أَوَّلِ صَفْحَةٍ مِنْ دِيَوَانِي الثَّلَاثِ «الْخَوْفُ»،
وَقَدْ بَاءَتْ تِلْكَ الزُّمْرَةُ بِالْخِزْيِ وَالْعَارِ وَالشَّارِ. فَمَنْ هُوَ الَّذِي شَهِدَ لِعَبْدِ اللَّهِ بِأَسْرَاحِيلَ
بِالْإِبْدَاعِ وَالشَّاعَرِيَّةِ الْمَطْبُوعَةِ؟ إِنَّهُ الشَّاعِرُ الْعَلَمُ حُسَيْنُ سَرْحَانَ، وَمَا أَدْرَاكَ مَنْ هُوَ فِي
شَاعَرِيَّتِهِ وَأَدَبِهِ وَعُلُوِّ قَامَتِهِ؟! إِنَّهُ أَحَدُ رُؤَادِ الْفِكْرِ وَالْأَدَبِ وَالشُّعْرِ فِي الْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ.

مَحَاكَاةُ لِمَيِّ زِيَادَةَ

رُبَّمَا كَانَتْ تَوَدُّ أَنْ تُحَاكِى الْأَدِيبَةَ اللَّبْنَانِيَّةَ مَيِّ زِيَادَةَ الَّتِي عَاشَتْ فِي مِصْرَ رَدَحًا مِنْ الزَّمَنِ، وَالَّتِي أَحَبَّهَا الْعُقَادُ وَالرَّافِعِيُّ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْأَدَبَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يَخْتَلِفُونَ إِلَى مَجْلِسِهَا مُبْدِعِينَ وَشُعْرَاءَ وَعُشَّاقًا لِمَيِّ وَأَدَبِهَا وَحُضُورِهَا الْآسِرِ.

كَانَتْ مَيِّ زِيَادَةَ امْرَأَةً ذَاتَ حُسْنٍ وَبَهَاءٍ، وَوَاحِدَةً مِنَ الْأَدِيبَاتِ الْمُمَيَّزَاتِ، وَقَدْ أَحْجَمَتْ عَنِ الزَّوْاجِ كَيْ تَعْتَنِى بِالْكِتَابَةِ الْأَدِيبَةِ وَفَنِّ أَدَبِ الرِّسَالِ، ثُمَّ غَادَرَتْ إِلَى لُبْنَانَ فِي أَوَاخِرِ عُمْرِهَا تَعَانِقُهَا الْوَحْدَةَ وَالْإِكْتِنَابَ، ثُمَّ أَذْخَلَتْ إِحْدَى الْمَصَحَّاتِ النَّفْسِيَّةِ إِلَى أَنْ رَحَلَتْ عَنْ هَذَا الْعَالَمِ الْقَاسِي.

لَعَلَّ مَيِّ زِيَادَةَ عَزَفَتْ عَنِ الزَّوْاجِ لِسَبَبٍ غَامِضٍ أَفْضَى بِهَا إِلَى الرَّحِيلِ عَنْ فِطْرَتِهَا الْأَنْثَوِيَّةِ، أَوْ لَعَلَّ عَارِضًا خَلْقِيًّا مَنَعَهَا مِنَ الْإِزْتِبَاطِ بِزَوْجٍ، أَوْ لَعَلَّهَا رَأَتْ أَنَّ الطُّمُوحَ وَالْأَدَبَ أَجْمَلَ وَأَحَبُّ إِلَى نَفْسِهَا مِنَ الْأُسْرَةِ وَالْأَبْنَاءِ. لَعَلَّ أَمْرًا مَا نَجَّهْلُهُ عَنْ حَيَاةِ أَدِيبَةٍ أَحَبَّتْ أَنْ تَفَرِّقَ بَيْنَ خُصُوصِيَّةِ الْحَيَاةِ وَعُمُومِيَّتِهَا، إِسْرَارًا وَإِعْلَانًا، وَمَا يَهْمُنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ هُوَ خُلُقُهَا الْفَاضِلُ، وَأَدَبُهَا الَّذِي بَاتَ حَدِيثَ الْمَاضِي وَالْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ.

وَكَانَ أَصْدِقَائِي الْأَدَبَاءُ مِنْ أَمْثَالِ الْأُسْتَاذِ عَامِرِ الْعُقَادِ، شَقِيقِ الْأُسْتَاذِ عَبَّاسِ الْعُقَادِ، وَالْأُسْتَاذِ الدُّكْتُورِ مُحَمَّدِ عَبْدِ الْمُنْعِمِ خَفَاجِي، وَهُوَ عَالِمٌ كَبِيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْبَيَّانِ وَالْفِقْهِ الْإِسْلَامِيِّ وَمِنْ مُجَالِي عَبَّاسِ الْعُقَادِ، وَالْأُسْتَاذِ الدُّكْتُورِ عَبْدِ الْعَزِيزِ شَرْفٍ، أُسْتَاذِ الْأَدَبِ وَالْمُشْرِفِ عَلَى صَفْحَةِ الثَّقَافَةِ بِجَرِيدَةِ «الْأَهْرَامِ» بَعْدَ الْأُسْتَاذِ الْأَدِيبِ ثُرُوتِ أَبَاظَةَ؛ يَرُوءُونَ عَنْ مَيِّ زِيَادَةَ أَنَّهَا كَانَتْ كَرِيمَةَ النَّفْسِ وَالصِّفَاتِ، وَمُتَرَفِّعَةً عَنِ الصَّغَائِرِ. وَقَدْ اجْتَمَعَتْ فِيهَا مَوَاهِبُ الْجَمَالِ وَالْعِفَّةِ وَالْفَنِّ.

وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَرَأَةِ الَّتِي لَنْ أَسْمِيَهَا، أَسْأَلُ حَائِرًا: هَلْ هِيَ تَتَقَمَّصُ شَخْصِيَّةَ مَيِّ زِيَادَةَ؟ أَمْ هِيَ شَبِيهَتُهَا خَالِصًا لَوَجْهِ الْأَدَبِ، وَلِتَدْوِبَ فِي الْفَنِّ إِلَى الْحَدِّ الَّذِي يُصْبِحُ فِيهِ شَرِيكَ حَيَاتِهَا وَأَهْلِهَا وَعَالَمِهَا، وَكَأَنَّهُ يَجْرِي فِي أَوْرَدَتِهَا وَشَرَايِينِهَا دَمًا سَيَّالًا تَتَغَدَّى مِنْهُ رُوحُهَا الطَّيِّبَةُ! لَعَلَّهَا تَكُونُ كَمَا أَرَادَتْ هِيَ لِنَفْسِهَا، أَوْ مَا يُرِيدُهُ الْقَدَرُ مِنْهَا وَلَهَا.

وَسَيَكُونُ الزَّمَانُ حَفِيًّا بِهَا وَشَاهِدًا لَهَا أَوْ عَلَيْهَا، وَهُوَ الَّذِي تَعْهَدُ مَوْهَبَتَهَا بِالرَّعَايَةِ وَالتَّجَدُّدِ.

هَزَّاعُ الْقُرَشِيِّ (رَحِمَهُ اللَّهُ)

كَانَ الصَّدِيقُ الْوَفِيُّ وَالْأَخُ النَّبِيلُ «هَزَّاعُ الْقُرَشِيِّ» يَعِيشُ مَعِي وَمَعَ وَالِدِي - رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَسْكَنَهُ فَسِيحَ جَنَاتِهِ - وَمَعَ إِخْوَتِي وَكَأَنَّهُ أَحَدُ أَشْقَائِي. كَانَ هَزَّاعٌ يَعْمَلُ فِي التَّدْرِيسِ، وَقَدْ تَزَوَّجَ مِنْ إِحْدَى النِّسَاءِ الْفَاضِلَاتِ مِنْ بَنَاتِ قَبِيلَتِهِ. وَكَانَ يَعِيشُ فِي هَنَاءٍ وَرَغَدٍ وَسَعَادَةٍ، إِذْ أَنْجَبَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ ثَلَاثَةَ أَبْنَاءٍ، كَانُوا قُرَّةَ عَيْنَيْهِ، وَكَانَ يُحِبُّ زَوْجَتَهُ حُبًّا جَمًّا، لَكِنَّ الْقَدْرَ أَمْرُهُ وَفَعَلَهُ الَّذِي لَا يُخْطِئُ صَاحِبَهُ؛ إِذْ أَصِيبَتْ زَوْجَتُهُ بِالْمَرَضِ الْخَبِيثِ، وَهَذَا أَثَرُ فِيهِ وَقَلْبَ حَيَاتِهِ رَأْسًا عَلَى عَقَبٍ، وَلَمْ يَتْرَكْ أَمَلًا وَلَا سَبَبًا وَلَا مَالًا إِلَّا افْتَدَاهَا بِهِ، إِلَى أَنْ تَمَاتَلَتْ لِلشَّفَاءِ مِنْ مَرَضِهَا الْخَبِيثِ الَّذِي تَرَكَ لَهَا عَاهَةً مُسْتَدِيمَةً فِي السَّاقِ أَقْعَدَتْهَا عَنِ الْقِيَامِ بِمَسْئُولِيَّاتِهَا الْمَنْزِلِيَّةِ وَالزَّوْجِيَّةِ، إِلَّا أَنَّهَا شَعَرَتْ بِمَا يُعَانِي زَوْجُهَا، وَرَجَّتْ أَنْ يَقْتَرِنَ بِأَمْرَأَةٍ أُخْرَى، شَرَطَ أَنْ تَظَلَّ هِيَ بِرَفْقَتِهِ وَرَفَقَةِ أَبْنَائِهَا، وَحِينَ رَفَضَ الْأَمْرَ ظَلَّتْ تَلُحُّ عَلَيْهِ مَدَّةَ عَشْرِ سَنَوَاتٍ، إِلَى أَنْ نَزَلَ عِنْدَ رَغْبَتِهَا وَتَزَوَّجَ بِنِفْتَاةٍ مِنْ قَبِيلَةٍ أُخْرَى، وَكَانَ يُعْطِي كُلَّيْهِمَا حَقَّهُمَا الشَّرْعِيَّ مِنَ الْعَاطِفَةِ وَالْإِنْفَاقِ، مَعَ أَنْ زَوْجَتَهُ الْأُولَى كَانَتْ تَلُحُّ عَلَيْهِ فِي الْغَاءِ لِيَلْتَمِهَا وَمَنْحِهَا لِضَرْبَتِهَا، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَأْبَى ذَلِكَ وَفَاءً وَحُبًّا لَهَا، وَهُوَ الَّذِي كَانَ فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ مُحِبًّا وَوَفِيًّا لِأَصْدِقَائِهِ، وَمُسَاعِدًا لِلْمُحْتَاجِينَ بِمَا يَسْتَطِيعُ بِذَلِكَ.

كَانَ صَدِيقِي هَزَّاعٌ صَادِقًا مَعَ نَفْسِهِ وَرَبِّهِ، وَمِنْ عُيُوبِهِ الثَّقَةُ الْمَفْرَطَةُ فِي النَّاسِ، فَقَدْ كَانَ يَمْتَلِكُ مَزْرَعَةً كَبِيرَةً فِي إِحْدَى ضَوَاحِي مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ لَا تَقِلُّ مِسَاحَتُهَا عَنْ مِائَتَيْ مِثْرٍ مُرَبَّعٍ، وَهِيَ إِرْتُهُ مِنْ آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ. وَكَمَّا هُوَ مَعْرُوفٌ فَإِنَّ لِأَهْلِ الْبَوَادِي وَالْقَبَائِلِ حِمًى مُتَعَارَفًا بَيْنَ الْقَبَائِلِ، وَكَانُوا لَا يَهْتَمُّونَ بِالصُّكُوكِ الشَّرْعِيَّةِ، فَلَدَيْهِمْ وَثَائِقُ مَوْقَعَةٍ مِنْ أَمْرَاءِ الْقَبَائِلِ أَوْ مِنْ مَشَايِخِهِمْ مُنْذُ الْقَدَمِ، تَتَعَاقَبُ عَلَيْهَا الْأَزِمَةُ وَالْوَرِثَةُ حَتَّى تَبَاعَ أَوْ تَعْمَرَ أَوْ تُحْطَطَ أَوْ تَدْخُلَ ضَمَنُ مَشَارِيعِ الدَّوْلَةِ الَّتِي تَقُومُ بِنَزْعِهَا مُقَابِلَ سِعْرِ يُحَدِّدُ فِي حِينِهِ، وَهُوَ مَا لَمْ يَحْدُثْ بِالطَّنْعِ؛ لِأَنَّ هَزَّاعًا اسْتَبَقَى مَزْرَعَتَهُ لِيَزْرَعَهَا وَيَرْعَى فِيهَا إِبْلَهُ وَغَنَمَهُ، وَقَدْ أَنْفَقَ فِيهَا الْكَثِيرَ وَالْكَثِيرَ لِيَسْتَرْزِقَ مِنْهَا رَاضِيًا مُسْتَوْرًا وَشَاكِرًا رَبَّهُ.

وَقَدْ أَشَارَ عَلَيْهِ صَاحِبٌ لَهُ بِاسْتِخْرَاجِ صَكٍّ شَرْعِيٍّ مِنَ الْمَحْكَمَةِ يُؤَكِّدُ مِلْكِيَّتَهُ لَهَا؛ كَيْ لَا يَقَعَ فِي مَظْلَمَةِ الْجَشِعِينَ وَالذِّينَ لَا يَخْشَوْنَ اللَّهَ وَلَا يَتَّقُونَهُ. وَحِينَ حَدَّثَنِي بِهَذَا

الشأن قلت له: لماذا لا تبادر إذن بالتقدم إلى المحكمة لطلب حجة استحكام؟ وبالفعل فقد تقدم إلى المحكمة عبر قاض أسرف في مفاطلة له، ووقف له بالمرصاد، إلى أن قال له أخيراً: عليك بإحضار أمر من ولي الأمر بإجازة الاستحكام لك. وهو ما أياسه وأحبطه، وسبب له ديوناً باهظة أنفقها على التخطيط الهندسي والمحاماة، فضلاً عن الإزهاق البدني والنفسي الذي ترك بسببه المعاملة التي تم حفظها في المحكمة، ثم عاد إليه صاحبه الذي علم بالأمر، وأشار إليه بأن يبحث عن حوت كبير يذلل به العقبات الإدارية والشرعية مقابل نسبة من مساحة الأرض، وسمى له أحد النافذين، ووعدته بأن يكون وسيط خير بينه وبين الحوت الكبير، مقابل جعل أو دالة له عندما تصل القصة إلى خواتيمها الحسنة. وحين حدثني عن الموضوع قلت له: لا تغامر مع ذلك الشخص، بل عليك الانتظار أو مقابلة ولي الأمر لتشرح مظلمتك له، معزراً كلامك بالمستندات الثبوتية؛ فهرز رأسه قائلاً: لعل هذا أفضل، وتبين لي مؤخراً أنه امتثل إلى نصيح صديقه فيما أشار عليه به، ثم جاءني حاملاً معه عقداً هزيباً يبيع المزرعة للحوت الكبير، وفيه إشارة إلى إجراء القسمة بعد استخراج الصك بواقع 30% للكبير و5% للوسيط و65% له. وبالفعل لم تمض إلا شهور معدودة حتى تم استخراج صك استحكام للأرض باسم الحوت الكبير. كاد صديقي هزاع أن يطير فرحاً وبهجة وأملاً في تحسن أحواله والخروج بنفسه وأهله من ضيق العيش إلى رحابته، وحين ذهب إلى صاحبه الحوت الكبير طلب منه الأخير الصبر والتريث إلى أن يفرغ له حصته من الأرض لدى كاتب العدل، ومضت السنوات تلو السنوات وهو على أبواب الحوت الكبير، لا طالباً إحساناً ولا صدقة، بل هو يطالب بحقه الذي اتفق معه عليه. وظل صاحبنا فريسة لمفاطات الحوت الكبير وتسويفه إلى أن جاءت اللحظة الحاسمة وقابل الحوت الكبير بعد عنت ولاي، لكن الحوت همس في أذنه بأنه تبرع له بمائتي ألف ريال مقابل الجهود التي بذلها بشأن الأرض، وأن الأرض بيضاء الآن ولا تساوي أية قيمة، فقال له صديقي هزاع: يوجد الآن من يدفع مائة مليون مقابل هذه الأرض، فاستشاط الحوت الكبير غضباً وقال له: «الحين حناً ينفعك وأنت تتمرد على النعمة، والله أنك... يا الله اذلف عن وجهي». قال له هزاع: سأشكوك إلى الملك. وخرج من عنده، ولم يمض وقت طويل حتى نزع الأرض بمبلغ ثلاثمائة مليون ريال لصاحبها الجديد. وقد رأيت صديقي هزاعاً على غير حالته وصحته

السَّابِقَةَ الَّتِي تَشْرَبُ حُمْرَةً وَنَضَارَةً وَقُوَّةً؛ فَقَدْ رَأَيْتُ فِيهِ هَزَالًا أَوْجَعَ قَلْبِي حِينَ عَرَفَنِي إِلَى نَفْسِهِ، فَلَمْ أَعْرِفْ إِلَيْهِ لِلْوَهْلَةِ الْأُولَى. انْتَحَيْتُ وَإِيَّاهُ جَانِبًا عَنِ الضُّيُوفِ فَأَنْطَلَقْتُ مِنْ عَيْنَيَّ بَعْضَ دَمَعَاتِ سَخِينَاتِ حُزْنًا عَلَى صَدِيقِي الَّذِي جَلَسَ صَامِتًا تَغْلِبُ عَلَى وَجْهِهِ مَسْحَةٌ حُزْنٍ عَمِيقٍ. لَمْ أَشَأْ أَنْ أَسْأَلَهُ مَاذَا حَصَلَ لَهُ، بَلْ دَارَيْتُ حُزْنِي وَوَجْعِي عَلَيْهِ بِبَعْضِ النَّكَاتِ وَالْمَلَاخِظَاتِ كَعَادَتِي مَعَ صُيُوفِي، ثُمَّ لَمْ أَدْرُ كَيْفَ انْقَضَى الْوَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَعُودَ حَزِينًا مُكْتَتِبًا إِلَى غُرْفَتِي، ثُمَّ سَأَلْتُ عَنْ وَضْعِهِ أَحَدَ الْمُقَرَّبِينَ مِنْهُ فَقَالَ: إِنَّهُ مُصَابٌ بِالْمَرَضِ الْخَبِيثِ، وَدَعَا عَلَى الْحُوتِ الْكَبِيرِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ، بَعْدَ أَنْ أَبْلَغَنِي أَنَّ أَيَّامَ صَدِيقِي مَعْدُودَةٌ، كَمَا لَوْ أَنَّهُ زَارَنِي زِيَارَةَ الْوَدَاعِ، وَبَعْدَ أَيَّامٍ نُقِلَ إِلَيَّ أَنَّ صَدِيقِي هَزَّاعًا رَحَلَ إِلَى جَوَارِ رَبِّهِ. رَحَلَ صَدِيقِي هَزَّاعًا، وَرَحَلَتْ مَعَهُ الْأَمَانَةُ وَالْوَفَاءُ وَالْحَقُّ، رَحَلَ تَارِكًا أَبْنَاءَ عَدِيدِينَ وَزَوْجَتَيْنِ فِي أَمَانِ اللَّهِ، وَقَدْ تَبَيَّنَ لِي كَيْفَ يَكُونُ الظُّلْمُ قَاتِلًا لِلْمَظْلُومِ، وَمُنْذُ عَشْرِ سَنَوَاتٍ، وَأَنَا أَبْكِي صَدِيقِي الْوَفِيَّ هَزَّاعًا، رَحِمَهُ اللَّهُ رَحْمَةً الْأَبْرَارِ الْأَخْيَارِ، وَخِلَالَ الْمُدَّةِ الْمُنْصَرِمَةِ وَقَعْتُ عَلَى بَيْتٍ مِنْ قَصِيدَةِ لِسَيِّدِ الشُّعْرِ الْمُتَبَيَّنِي يَنْطَبِقُ عَلَى حَالِ صَدِيقِي الرَّاحِلِ هَزَّاعٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ وَالْمُسْلِمِينَ - يَقُولُ فِيهِ الشَّاعِرُ:

وَاحْتِمَالُ الْأَذَى وَرُؤْيَاهُ جَانِبِهِ ... غَدَاءُ نَضْوَى بِهِ الْأَجْسَامُ

وَالِإِلَى الْيَوْمِ، لَا أَدْرِي هَلْ حَقًّا مَاتَ صَدِيقِي هَزَّاعٌ أَمْ مَاتَ الْعَدْلُ الَّذِي كَانَ يَبْحَثُ عَنْهُ، وَأَسْأَلُ نَفْسِي فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ عَنْ نِسْيَانِ الْبَعْضِ أَوْ تَنَاسِيهِمْ لِلْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ: «مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ». فَإِذَا كَانَ الْحَدِيثُ صَحِيحًا فَكَيْفَ يُجِيزُ الْبَعْضُ لِنَفْسِهِمْ اسْتِبَاحَةَ حُقُوقِ الْآخَرِينَ وَاسْتِضْعَافَ مَنْ لَا يَمْتَلِكُ الْقُوَّةَ وَالنُّفُوذَ؟

كُذِبَ عَلَى النَّفْسِ

تَعِيشُ الْمَرْأَةُ الْخَلِيجِيَّةُ فِي بِلَادِهَا مُحَجَّجَةً وَمُنْتَقَبَةً، وَتَكَادُ تَضَعُ فَوْقَ الْعِبَاءَةِ خِيَمَةً عَلَى جِسْمِهَا، وَأَنَا بِالْمُنَاسَبَةِ ضِدَّ النَّقَابِ عَلَى الْوَجْهِ، وَمَعَ الْعِبَاءَةِ وَالطَّرْحَةِ الْمَلْفُوفَةِ حَوْلَ الْوَجْهِ. لَكِنْ مَا إِنْ تَخْرُجَ النِّسَاءُ السُّعُودِيَّاتُ وَالْخَلِيجِيَّاتُ بِوَجْهِ عَامٍّ، إِلَى دَوْلِ الْعَالَمِينَ الْأَوْرَبِيِّ وَالْأَمْرِيكِيِّ حَتَّى نَرَى الْكَثِيرَاتِ مِنْهُنَّ أَكْثَرَ سُفُورًا وَعُرْيًا مِنَ النِّسَاءِ فِي الْبُلْدَانِ الْأُخْرَى، وَهُنَّ يَتَبَاهَيْنَ بِأَعْلَى أَنْوَاعِ الْعُطُورِ وَالْمَكْيَاجِ وَالْهَنْدَمَةِ غَيْرِ الْمَالُوفَةِ، بِمَا لَا يَلِيقُ بِهِنَّ وَبِمَقَامِهِنَّ.

هَكَذَا تَلْفُ الْمَرْأَةُ عِنْدَنَا الْعِبَاءَةَ عَلَى كَامِلِ جِسْمِهَا، وَلَا تَتَحَدَّثُ مَعَ رَجُلٍ إِلَّا فِي أَضْيَقِ الْحُدُودِ، وَكَأَنَّ تَيَّارًا كَهْرَبَاتِيًّا يُوْشِكُ أَنْ يُحْرِقَ الْعَالَمَ مِنْ رُؤْيَةِ سَيِّدَةِ الْحُسْنِ وَالْبَهَاءِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْعِبَادِ!

أَوَلَيْسَ فِي ذَلِكَ الْكَثِيرِ مِنَ الرِّيَاءِ وَالْتِنَاقُضِ الْفَاضِحِ بَيْنَ مَظَاهِرِ الْعِفَّةِ وَالطُّهْرِ فِي الْوَطَنِ وَالْعُرْيِ الْبَاذِخِ فِي بِلَادِ الْغَرْبِ، حَيْثُ تَكُونُ بَعْضُ النِّسَاءِ بَعِيدَاتٍ عَنْ عُيُونِ الْقِيَمِ وَالْأَخْلَاقِ وَحِمَاةِ الشَّرَفِ الْمَرْعُومِينَ. إِنَّهُ حَقًّا لَأَمْرٌ مُخْجَلٌ وَمُؤَسَفٌ يَدْعُو إِلَى الْإِحْتِقَارِ؛ لَذَا أَقُولُ إِنَّ هَذِهِ الْمَآسِي الَّتِي نَرَاهَا أَوْ نَسْمَعُ بِهَا هِيَ مِنْ مَكُونَاتِ الْكِبْتِ وَالرُّعْبِ وَالرَّهْبَةِ الَّتِي تَغْرُسُهَا الشُّعُوبُ الْعَرَبِيَّةُ فِي نُفُوسِ فِتْيَانِهَا، وَفِتْيَانِهَا بِوَجْهِ خَاصٍّ، اللَّوَاتِي يَلْجَأْنَ إِلَى هَتْكَ سِتَارِ الْمَمْنُوعِ خُضُوعًا لِلنَّرْوَةِ الْمُقِيمَةِ أَوْ الرَّغْبَةِ الْمَكْبُوتَةِ. إِنَّ عَلَيْنَا فِي التَّرْبِيَةِ الْمَنْزِلِيَّةِ وَالْمَدْرَسِيَّةِ أَنْ نَنْظُرَ إِلَى أَعْمَاقِ الْأُمُورِ لَا إِلَى السُّطْحِيَّاتِ وَالْهَوَامِشِ غَيْرِ الْمُؤَثَّرَةِ، وَعَلَيْنَا إِعَادَةُ زَرْعِ الثِّقَةِ فِي الْفَتَاةِ قَبْلَ الْفَتَى؛ لِمُسَاعَدَتِهَا عَلَى حِمَايَةِ نَفْسِهَا بِالتَّقْوَى وَالْعِفَافِ وَعَدَمِ الْإِنْصِرَافِ إِلَى صَغَائِرِ الْمُغْرِيَّاتِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى الْكِبَائِرِ، وَلَيْسَ هُنَاكَ مَنْ دَاعٍ لِلْكَذِبِ وَالنِّفَاقِ وَالتَّدْلِيلِ عَلَى النَّفْسِ وَالْغَيْرِ. أَقُولُ هَذَا وَأَتَذَكَّرُ قَوْلَ الشَّاعِرِ أَحْمَدَ شَوْقِي: «أَحْرَامٌ عَلَى بَلَابِلِهِ الدَّوْحُ حَلَالٌ لِلطَّيْرِ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ؟!»

جَهْدُ أَوْرَثِ الْمَجْدِ

أَعْكُفُ الْآنَ عَلَى مُرَاجَعَةِ وَتَنْقِيحِ دِيَوَانِي الْجَدِيدِ الَّذِي جَعَلْتُهُ بِمُسَاعَدَةِ «الْفَيْس» كَشْكُولًا لَدُوْنِ أَفْكَارِي وَقَصَائِدِي. وَإِذَا أَعْرِفُ أَنَّ هُنَاكَ أخطاءَ طَبَاعِيَّةً سَتَحْصُلُ نَتِيجَةُ اقْتِنَاصِ الْفِكْرَةِ الْوَلِيدَةِ وَصَوْغِهَا شِعْرًا، أَقُومُ بِالْمُرَاجَعَةِ وَالتَّنْقِيحِ، خُصُوصًا أَنَّنِي مِنَ الْمُكَثِّرِينَ فِي قَرْضِ الشَّعْرِ، وَبَشْكَلٍ أَشَارَ إِلَيْهِ النُّقَادُ الْكِبَارُ فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ مِمَّنْ ذَهَبُوا إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ بَاشْرَاحِيلَ يَسْتَطِيعُ نَظْمَ قَصِيدَةٍ مُكْتَمَلَةِ الْأَدَوَاتِ وَمِنْ أَرْبَعِينَ بَيْتًا خِلَالَ سَاعَاتٍ مَعْدُودَةٍ. وَهِيَ مَوْهَبَةٌ مِنَ اللَّهِ يَخُصُّ بِهَا بَعْضُ الشُّعْرَاءِ مِنْ دُونِ سَوَاهِمُ، وَقَدْ بَلَغَتْ إِصْدَارَاتِي الشَّعْرِيَّةُ حَتَّى الْآنَ مَا يُنَازِلُ الثَّلَاثِينَ دِيَوَانًا شِعْرِيًّا وَعِدَّةُ كُتُبٍ نَثَرِيَّةٍ أَدَبِيَّةٍ مُتَعَدِّدَةٍ الْمُوْضُوعَاتِ، وَقَدْ بَاتَ مِنَ الصُّعُوبَةِ بِمَكَانٍ دِرَاسَةُ شِعْرِي بِمَعْزِلٍ عَنْ نَثَرِي.

كَمَا أَنَّ الْبَاحِثَ وَالْدَّارِسَ لِشِعْرِ بَاشْرَاحِيلَ لَنْ يَكُونَ سَهْلًا عَلَيْهِ الْإِلْتِمَامُ بِشِعْرِي وَأَدَبِي، إِلَّا إِذَا اسْتَطَاعَ الرُّجُوعَ إِلَى كَامِلِ الْمَطْبُوعِ وَالْمَنْشُورِ فِي الصُّحُفِ وَالذُّورِيَّاتِ وَالْقَنَوَاتِ الْعَرَبِيَّةِ، إِضَافَةً إِلَى مَا يُنْشَرُ عَلَى «النَّت» وَ«الْفَيْس بُوَك»، وَإِلَى الْكُتُبِ النَّقْدِيَّةِ وَالْدِّرَاسَاتِ الَّتِي تَنَاولَتْ تَجَرِبَتِي بِالْبَحْثِ فِي الْجَامِعَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْأُورُوبِيَّةِ وَالْأَمْرِيكِيَّةِ. كَمَا أَنَّ قِسْمًا مِنْ شِعْرِي تُرْجِمَ مِنْ قَبْلِ دُورِ النُّشْرِ وَبَعْضُ الْجَامِعَاتِ الْأُورُوبِيَّةِ وَالْأَمْرِيكِيَّةِ إِلَى لُغَاتٍ أَعْجَبِيَّةٍ عِدَّةٍ؛ وَهُوَ مَا يَحْدُوْنِي إِلَى تَوْجِيهِ الشُّكْرِ الْخَالِصِ لِلْأَشْخَاصِ وَلِلْهَيْئَاتِ الَّتِي اعْتَنَتْ بِشِعْرِي وَتَوَلَّتْ تَسْوِيقَهُ عَلَى الصَّعِيدَيْنِ الْعَرَبِيِّ وَالْعَالَمِيِّ. أَمَّا الْكُتُبُ الَّتِي تَنَاولْتَنِي بِالْبَحْثِ فَهِيَ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِينَ كِتَابًا نَقْدِيًّا تَوَلَّى كِتَابَتَهَا عِدَدٌ مِنْ أَسَاتِذَةِ النُّقْدِ الْعَرَبِيِّ، وَتَنَوَّعَتْ مُقَارِبَاتُهَا وَأَعْرَاضُهَا، فَهُنَاكَ مَنْ تَنَاولَ الْجَانِبَ الرَّثَائِيَّ وَالْوُجْدَانِيَّ وَالْمَرَاةَ وَالْمَدِيحَ وَالْغَزَلَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَعْرَاضِ الشَّعْرِ. وَلَوْ اجْتَمَعَتْ تِلْكَ الدِّرَاسَاتُ وَالْكِتَابَاتُ وَالبَحْثُ الْأَدَبِيَّةُ وَالنَّقْدِيَّةُ لَوْفَرَتْ لِلْبَاحِثِ الْمُخْتَصِّ دِرَاسَةً شَامِلَةً لِشِعْرِي وَأَعْفَتُهُ مِنَ الْجُهْدِ الْمُضْنِي، إِلَّا إِذَا شَاءَ أَنْ يَغُوصَ أَكْثَرَ فَيَكْشِفُ عَنِ الْإِتْجَاهَاتِ الْآخَرَى فِي شِعْرِي، مِثْلَ الْحِكْمَةِ وَالْفَلَسَفَةِ، بَلْ يَسْتَطِيعُ الْغُوصَ أَكْثَرَ لِيَجِدَ أَعْرَاضًا أُخْرَى لَا تَقِلُّ أَهْمِيَّةً عَنْ سَوَاهَا، كَالْبَحْثِ فِي الْإِتْجَاهَاتِ الْقَوْمِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ وَالْأَعْرَاضِ الْعَالَمِيَّةِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْأَحْدَاثِ الْمُتَقَلِّبَةِ وَالْمُتَسَارِعَةِ فِي الْعَالَمِ، وَمُشَارَكَةِ الشَّعْرِ فِي صُنْعِ الْقَرَارِ الْعَالَمِيِّ، وَهُوَ مَا أَشَادَ بِهِ السَّاسَةُ وَالْمُنْتَظَمَاتُ الْإِنْسَانِيَّةُ الدَّوْلِيَّةُ. وَرَبَّمَا نَلْحَظُ سَطْحِيَّةً فِي

التَّناوُلِ لَدَى بَعْضِ الْبَاحِثِينَ وَالْدَّارِسِينَ الْمُعَاَصِرِينَ، إِلَّا مَنْ انْشَغَلَ وَاشْتَغَلَ عَلَى الْأَدَبِ وَالشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ فِي الْجَامِعَاتِ الْعَرَبِيَّةِ. وَلَمْ أَكُنْ عَلَى الصَّعِيدِ الشَّخْصِيِّ أَسْعَى إِلَى تَقْدِيمِ شِعْرِي وَأَدَبِي لِلدَّارِسِينَ مُسْتَجِدًّا عَطَاءَاتِهِمُ النَّقْدِيَّةَ، وَلَسْتُ فِي حَاجَةٍ إِلَى هَذَا بَعْدَ أَنْ قَدَّمْتُ مَا قَدَّمْتُ مِنْ أَدَبٍ مُتَزَجِّمٍ عَلَى الصَّعِيدِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْغَرْبِيَّةِ وَالْأَسْيَوِيَّةِ، وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّ الدَّارِسَ وَالْبَاحِثَ الْعَرَبِيَّ لَا يَبْحَثُ عَنِ الْمُضْنِي مِنَ الْجُهْدِ فِي اسْتِنطَاقِ لُغَةِ النِّقْدِ وَرَسْمِ الْأَبْعَادِ الْعَمِيقَةِ لِلتَّجَرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ، إِذْ إِنَّ هَمَّ الْبَاحِثِ وَالْدَّارِسِ الْعَرَبِيِّ هُوَ الْحُصُولُ عَلَى الشَّهَادَاتِ الْعِلْمِيَّةِ بِأَقَلِّ كَلْفَةٍ فِكْرِيَّةٍ. وَمِنْ رَابِعَةِ الْأَتَانِيَّ أَنَّ الْجَامِعَاتِ تَفْتَحُ أَبْوَابَ الدِّرَاسَاتِ الْعُلْيَا فِي الشَّعْرِ وَالْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ، وَلَا تَشْتَرِطُ مَوْتَ الشَّاعِرِ أَوْ «قَتْلَهُ» كَيْ يَتَسَنَّى لِشِعْرِهِ أَنْ يُدْرَسَ بِشَكْلِ مَوْضُوعِيٍّ، إِلَّا جَامِعَةً أُمَّ الْقُرَى، فَهِيَ تَرْفُضُ الْمُوَافَقَةَ عَلَى دِرَاسَةِ أَعْمَالِ الشُّعْرَاءِ إِلَّا بَعْدَ وَفَاتِهِمْ، وَلِذَا فَقَدْ كُنْتُ حَرِيصًا عَلَى الْأَمْوَاتِ إِلَّا وَقَدْ أَخَذْتُ حَقِّي مِنْ دَهْرِي. وَبِالْفِعْلِ أَعْتَبَرْتُ أَنِّي أَخَذْتُ حَقِّي مِنَ التَّقْدِيرِ الْعَالَمِيِّ وَالْعَرَبِيِّ قَبْلَ مَوْتِي، مِنْ دُونِ أَنْ أَعْبَأَ بِالْجَامِعَاتِ الْمُتَخَلِّفَةِ وَنِظَامِهَا الْقَدِيمِ الْمُتَهَالِكِ؛ فَيَكْفِي أَنْ يَتَنَاوَلَ شِعْرِي وَأَدَبِي جَهَابُذَةُ أَرْبَابِ النِّقْدِ فِي مُخْتَلَفِ الْجَامِعَاتِ، مِنْهُمْ مَنْ وَصَلْتَنِي نَسْخَ مِنْ كُتُبِهِمْ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ تَصِلْ، كَيْ أَشْعُرَ بِالرِّضَا عَمَّا حَصَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ تَقْدِيرٍ، عَلَى أَنِّي لَمْ أَسْعَ يَوْمًا إِلَى فَرَضِ نَفْسِي عَلَى أَحَدٍ مِنَ النُّقَادِ، فَمَنْ أُوتِيَ قَدْرًا كَبِيرًا مِنْ مُوهَبَةِ النِّقْدِ الْمُبْدَعِ لَنْ يَغِيبَ عَنْهُ شِعْرُ الشُّعْرَاءِ الْمُلهِمِينَ وَالنَّابِغِينَ.

أَسْأَلُ اللَّهَ الرَّفْعَةَ وَالْعُلَا لِلْجَمِيعِ كَيْ يَتْرَكُوا وَرَاءَهُمُ أَنْصَعَ الْأَثَارِ الْفِكْرِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ، لِنَسْتَعِيدَ عَصْرَ الْعُلَمَاءِ الْجَهَابُذَةِ الَّذِينَ أَثَرُوا الْفِكْرَ الْعَالَمِيَّ بِعَطَاءَاتِهِمْ، أَمْثَالِ ابْنِ سِينَا وَابْنِ خَلْدُونٍ وَالْفَارَابِيِّ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْعَرَبِ الْأَجَلَاءِ، فَضْلًا عَنْ فُحُولِ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ الَّذِينَ لَمْ يَسُوا بِشِعْرِهِمْ الْفَدَا أَكْثَرَ الْقَضَايَا اتِّصَالًا بِهُمُومِ الْبَشَرِ وَمُكَابَدَاتِهِمْ وَأَسْئَلْتُهُمُ الْوُجُودِيَّةَ الْمُزْمَنَةَ.

يَا أُمَّةً ضَحِكْتَ..

يَقُولُ الْمُتَبَيِّ الْعَظِيمُ:

«أُرِيدُ مِنْ زَمَنِي ذَا أَنْ يُبْلَغَنِي مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ مِنْ نَفْسِهِ الزَّمَنُ»
ثُمَّ يَقُولُ فِي بَيْتٍ آخَرَ:

«وَلَسْتُ أَبَالِي بَعْدَ إِذْ رَاكِي الْعَلَا أَكَانَ تَرَاثًا مَا تَنَاوَلْتُ أَمْ كَسْبًا»
ثُمَّ يَأْتِي الشَّاعِرُ الْعَرَبِيُّ الْكَبِيرُ الْهَمَشَرِيُّ لِيَقُولَ:

«وَمَنْ مُخْبِرِي مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ أَنَّنِي أَمَجَّدُ فِي أَسْفَارِهِمْ وَأَكْرَمُ»
وَالْمُقَارَنَةُ بَيْنَ الْأَبْيَاتِ لَا مِنْ حَيْثُ الصِّيَاغَةُ الْفَنِّيَّةُ بَلْ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَعْنَى تُشِيرُ إِلَى
مُعَانَاةِ الشَّاعِرِ الْعَرَبِيِّ وَغُرْبَتِهِ عَنْ مُحِيطِهِ الْاجْتِمَاعِيِّ وَأُمْتِهِ بِرُمْتِهَا. وَآيَةُ نَظَرَةٍ مُتَفَحِّصَةٍ إِلَى
وَأَقْعِنَا الْحَالِي تَقُودُنَا إِلَى الْإِسْتِنَاجِ بِأَنَّ الشُّعْرَ الْحَقِيقِيَّ وَالْفَصِيحَ لَمْ يَبْعُدْ يَحْطَى بِاهْتِمَامِ
الْجُمْهُورِ الْوَاسِعِ، حَيْثُ بَاتَتْ الْحُظُوءُ لِلشُّعْرِ النَّبْطِيِّ وَشُعْرِ الْأَغَانِي الْهَابِطَةِ. وَكَمْ يَصِحُّ
فِينَا قَوْلُ الْمُتَبَيِّ الْعَظِيمِ: «يَا أُمَّةً ضَحِكْتَ مِنْ جَهْلِهَا الْأَمَمُ».

اِثْنَيْنِ نَفْسَ نَبِيٍّ

لَعَلَّ الْعَارَ الْمَسْكُوتَ عَنْهُ وَالْمُسْتَطَابَ لِلنَّفُوسِ دَاخِلَ جِهَازِ «النَّتِّ» وَحُرُوفِ «الْفَيْسِ»
بُوكَ» هُوَ مَوْضُوعُ الْجِنْسِ بِكُلِّ أَنْوَاعِهِ وَصُورِهِ. تُشَاهِدُ الْمَمْنُوعَ الْمَرْغُوبَ فِيهِ، وَتَرَى
الشَّدُوذَ الْجِنْسِيَّ. سَتَرَى وَتَرَى مَا لَنْ تَسْتَطِيعَ مُوَارَاتَهُ إِلَّا أَنْ تُحْطَمَ هَذَا «النَّتِّ»
وَتَسْتَغْنِي عَنْهُ، وَلَكِنْ هَيْهَاتَ وَغَيْرُكَ يَسْتَمِرُّ النَّظَرُ وَيَتَلَذَّذُ بِتِلْكَ الْغَرَائِزِ الْفِطْرِيَّةِ فِي
النَّفْسِ. إِنَّهَا الْأَفْلَامُ الْخَلَابَةُ السَّيِّئَةُ الْمُسْتَطَابَةُ لِلنَّفُوسِ الْفَتِ الْحَرَمَانِ، فَوَجَدَتْ ضَالَّتَهَا فِي
زَنَى «الْفَيْسِ» الْمُحَرَّمِ أَخْلَاقِيًّا. فَإَيْنَ هِيَ مُنْظَمَاتُ حُقُوقِ الْأَخْلَاقِ لِتَحْجُبَ كُلَّ مُسِيءٍ
تَأْبَاهُ النَّفْسُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَلَالًا طَيِّبًا وَخَالِصَ الطُّهْرِ. إِنَّنِي كَرَجُلٍ وَاعٍ مُجَرَّبٍ لَا أَخْشَى
عَلَى نَفْسِي، إِنَّمَا أَخْشَى عَلَى هَؤُلَاءِ الشَّبَابِ مِنَ الْجِنْسَيْنِ مِنَ الْمَالِ السَّيِّئِ الَّذِي يَتَجَهَّوْنَ
نَحْوَهُ. وَجَمِيعُنَا يَعْلَمُ أَنَّ النَّفْسَ أَمَارَةً بِالسُّوءِ وَعُرْضَةً لِلْإِغْرَاءِ، فَانْتَبِهْ نَفْسَ نَبِيٍّ.

المَوْلِدُ النَّبَوِيُّ

يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِكَ وَصَحْبِكَ وَسَلَّم. يَا سَيِّدِي وَنَبِيَّيَ وَحَبِيبِي، أَحْبَبْتُكَ أَكْثَرَ مِنْ نَفْسِي وَأُمِّي وَأَبِي، وَلَكِنِّي يَا سَيِّدِي أَرْفُضُ مَا يُسَمَّى «الْإِحْتِفَالُ بِالمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ» وَمَا فِيهِ مِنْ خَزَعِيَلَاتٍ أَنْتَ لَا تَرْضَاهَا. يَا سَيِّدِي أَنَا أَحْتَفِلُ وَأَحْفِلُ بِكَ فِي كُلِّ أَنْ، وَأَعْتَزُّ بِاقْتِدَائِي بِسُنَّتِكَ وَاتِّبَاعِ نَهْجِكَ الْقُرْآنِيِّ الْعَظِيمِ. يَا سَيِّدِي عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ بِأَمِّ عَيْنِي وَسَمِعْتُ بِأُذُنِي مَجْمُوعَاتٍ فِي إندُونِيسِيَا غَرَّرَ بِهِمْ أَصْحَابُ الْبَدْعِ، يُنْشِدُونَ فِي مَسْجِدٍ مِنَ الْمَسَاجِدِ، فِيمَا يَحْمِلُونَ الشَّمْعَدَانَاتِ الْمُضِيئَةَ وَشَيْئًا آخَرَ مَسْتُورًا عَنِ الْأَعْيُنِ: «شَيْءٌ لِلَّهِ يَا عَيْدَرُوسْ، شَيْءٌ لِلَّهِ يَا مُحْيِي النُّفُوسِ». قَاتَلَهُمُ اللَّهُ وَقَاتَلَ عَيْدَرُوسَهُمْ إِذَا كَانَ قَدْ ضَلَلَهُمْ إِلَى حَدِّ الشَّرْكِ وَالْكَفْرِ. أَنَا يَا سَيِّدِي أَحْتَفِلُ خَمْسَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ بِذِكْرِكَ وَالصَّلَاةِ عَلَيْكَ، أَمَّا الْمُبْتَدِعُونَ فَيَحْتَفِلُونَ بِالمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ؛ مِيلَادُكَ يَا سَيِّدِي، وَيَنْسَوْنَ أَنَّ الْمِيلَادَ هُوَ يَوْمُ الْوِلَادَةِ الَّذِي يَخْتَلِفُ تَمَامَ الْإِخْتِلَافِ عَنْ يَوْمِ النُّبُوَّةِ وَنُزُولِ الْوَحْيِ.

ادِّعَاءُ الْأَنْسَابِ

جَاءَ فِي الْأَمْثَالِ الْمَكِّيَّةِ: «إِذَا ضَاعَ مِنْكَ النَّسَبُ حَرِّبْ». وَهُوَ مَا نَشْهَدُهُ الْيَوْمَ، حَيْثُ الْكَثِيرُ مِنَ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ جَنْسِيَّاتٍ وَطَنِيَّةً يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَدْعُوا النَّسَبَ الَّذِي يُرِيدُونَ زُورًا وَبُهْتَانًا، مُتَنَاسِبِينَ الْحَدِيثَ الشَّرِيفَ: «النَّاسُ مُؤْتَمِنُونَ عَلَى أَنْسَابِهِمْ». وَمَعَ الْأَسْفِ الشَّدِيدِ فَإِنَّ الْإِنْتِهَازِيِّينَ أَصْبَحُوا، بِحُكْمِ نِظَامِ الْجَنْسِيَّةِ وَبِحُكْمِ مَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ أَنْفًا، يَنْتَسِبُونَ إِلَى الْأَشْرَافِ، وَإِلَى قَبِيلَةِ حَرْبٍ وَقَبِيلَةِ هُذَيْلٍ وَإِلَى قَبِيلَةِ عُتْبَةَ أَوْ عُتَيْبَةَ، وَغَيْرَهَا مِنَ الْقَبَائِلِ الْمَعْرُوفَةِ تَارِيخِيًّا فِي الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ. وَهُنَا تَكْمُنُ الْمَشْكَلَةُ فِي اخْتِلَاطِ الْأَنْسَابِ وَادِّعَائِهَا مِنْ دُونِ وَجْهِ حَقٍّ، الْأَمْرُ الَّذِي سَيَجْعَلُ الْإِنْتِمَاءَ قَائِمًا عَلَى الْكَذِبِ، إِضَافَةً إِلَى ضَيَاعِ الْأَنْسَابِ، حَيْثُ قَالَ الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ: «انْتَقُوا لِنُطْفِكُمْ فَإِنَّ الْعِرْقَ دَسَّاسٌ». وَكَلَامِي هَذَا لَيْسَ عُنْصُرِيَّةً ضِدَّ أَحَدٍ، لَكِنَّهُ تَنْبِيْهُ وَتَحْذِيرٌ مِنَ الْكَذِبِ أَوْ التَّدْلِيسِ الَّذِي تَابَاهُ الْأَخْلَاقُ وَالِدِّينُ، وَهُوَ كَذَلِكَ تَنْبِيْهُ لِمَشَايِخِ الْقَبَائِلِ لِيَتَوَخَّوْا الْحَيْطَةَ فِي إعْطَاءِ شَهَادَاتِ التَّعْرِيفِ، حِفَظًا عَلَى مِصْدَاقِيَّةِ الْأَنْسَابِ، وَمَا سَيَتَرْتَّبُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ انْتِهَاكِ لِلْحُقُوقِ وَالْمَوَارِيثِ. أَتَمَنَّى مِنْ أَهْلِ الشَّرَفِ وَالْكَرَامَةِ فَضَحَ أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ الْمُزَيَّفِينَ الدُّخْلَاءِ، وَإِعَادَتِهِمْ إِلَى أَنْسَابِهِمْ الْحَقِيقِيَّةِ تَحْقِيقًا لِمَبَادِي الْأَخْلَاقِ، فَالْمُسْلِمُ يَجِبُ أَلَّا يَكْذِبَ، وَهَذَا مِنْ أَبْشَعِ أَنْوَاعِ الْكَذِبِ.

تَمَرُّدٌ

هِيَ الْمَرْحَلَةُ الْفَارِقَةُ بَيْنَ رَبِيعٍ مَضَى وَآخِرٍ يَأْتِي مُضْمَخًا بِأَسَارِيرِ الْبَهْجَةِ، حِينَ تَأْتِلِقُ مَسَاءَاتُ الْقُلُوبِ بِالْبُشْرِيَّاتِ فِي أَعْيَادِ الْأَمَلِ الْيَوْمِيِّ، فَتَتَسَاءَلُ: أَهِيَ نَفْسُهَا الْبُدُورُ وَالْأَقْمَارُ وَالْكَوَكِبُ الَّتِي كَانَتْ تَلْمَعُ فِي ذَلِكَ الْأَمْسِ الطُّفُولِيِّ أَمْ تَغَيَّرَتْ؟ ثُمَّ تَجِدُ أَنَّ الْجَوَابَ يَحْتَمِلُ أَكْثَرَ مِنْ مَعْنَى؛ فَهُوَ لَيْسَ كَلَامًا مُرْتَلًّا عَلَى أَوْزَاقِ الشَّفَقِ، بَلْ هُوَ إِحْسَاسٌ تَعِيشُهُ مُعْطَرًا بِالنِّسَائِمِ الَّتِي تَتَمَازَجُ فِيهَا الْإِنْتِسَامَاتُ وَالْإِنْكَسَارَاتُ، وَقَدْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجْعَلَ مِنْ نَفْسِكَ حَكِيمًا يَصْطَنِعُ مِنَ الْأَحْزَانِ أَفْرَاحًا تُخْفِي سَوَادَ الْأَلَمِ لِتَنْتَصِرَ بِهَا عَلَى الْمَوَاجِعِ، وَلَا تَقُلْ إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّرَ شَيْئًا، بَلْ أَنْتَ تَسْتَطِيعُ عِنْدَمَا تَعْلَمُ إِلَّا جَدْوًى مِنَ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ، أَنْ تَخْلُقَ عَالَمَكَ فِي مُصَاحَبَةِ النَّفْسِ وَتَعْوِيدَهَا عَلَى النِّسْيَانِ وَالسُّلُوفِ. عِنْدَهَا تَكُونُ أَنْتَ عَالَمًا بِذَاتِكَ وَلَا تَحْتَاجُ إِلَى ذَلِكَ الْهَيُولَى الْقَائِمِ مِنَ السَّوَادِ الْإِنْسَانِيِّ، يَكْفِي أَنْ تَتَمَرَّدَ عَلَى الْأَشْيَاءِ لِتَعِيشَ مَا هُوَ أَنْهَجُ مِنَ الْبَهْجَةِ نَفْسُهَا؛ فَاخْتَلَقْ وَاخْتَرَعْ مَا يُزِيحُ عَنْكَ غِلَالَةَ الْهُمُومِ. وَسَتَرَى أَنَّكَ كَوْنٌ مُصَغَّرٌ، حَيْثُ يَنْطَوِي فِيكَ الْعَالَمُ الْأَكْبَرُ.

الصُّورُ الْمُدْرَمَةُ

يَقُومُ الْبَعْضُ بِنَقْلِ صُورِ الْمَوْتَى فِي أَكْفَانِهِمْ وَوُجُوهِهُمْ مَكْشُوفَةً. وَهُنَاكَ نَهْيٌ وَتَحْرِيمٌ لِتَصْوِيرِ الْأَمْوَاتِ وَعَرْضِ الصُّورِ فِي «النَّتِّ» أَوْ «الْفَيْسِ»، فَثَمَّةٌ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَسْتَدِرُّ عَبْرَ الصُّورِ عَاطِفَةَ النَّاسِ، أَوْ أَنَّهُ يَكْسِبُ أَجْرًا بِذَلِكَ؛ لَظَنُهُ أَنَّ النَّاسَ يَقُومُونَ بِالْدُّعَاءِ لِلْمَوْتَى، وَهُوَ أَمْرٌ لَا يَجُوزُ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ هَتَكٍ لِحُرْمَةِ الْمَيِّتِ، إِضَافَةً إِلَى إِثَارَةِ مَشَاعِرِ أَهْلِ الْمَيِّتِ عَلَى فَقِيدِهِمْ، وَعَلَى الْجَاهِلِ الرَّجُوعِ إِلَى مَا قَالَهُ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْدِّرَايَةِ حَوْلَ تَحْرِيمِ تَصْوِيرِ الْمَيِّتِ، بِاعْتِبَارِ أَنَّ ذَلِكَ الْأَمْرَ قَدْ يُوَدِّي وَلَوْ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ إِلَى التَّوَسُّلِ بِالْمَيِّتِ، أَوْ التَّبَرُّكِ بِهِ، كَمَا يَفْعَلُ بَعْضُ السُّدَجِ وَالسُّوقَةِ فِي غَيْرِ دِيَانَةٍ وَمَذْهَبٍ، وَهَذَا أَمْرٌ يَجِبُ أَنْ يَحْذَرَ مِنْهُ الْمُسْلِمُ؛ لِأَنَّ الْأَمْوَاتَ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا، وَصَارَ أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ. وَارَى أَنْ تَعْمَلَ الْجِهَاتُ الشَّرْعِيَّةُ الْمُخْتَصَّةُ عَلَى تَنْوِيرِ هَؤُلَاءِ الْجَهْلَةِ وَنَهْيِهِمْ عَنْ هَذِهِ الْفَعْلَةِ، فَإِنْ أَصْرُوا اسْتَحَقُّوا الْعِقَابَ الَّذِي يَرَاهُ الشَّرْعُ الْحَنِيفُ، «حَتَّى الْأَمْوَاتُ لَمْ يَسْلَمُوا مِنَ الْإِيْدَاءِ».

أَحْمَدُ اللَّهِ.. لَمْ أُهْزَمَ

عَلَى الْجَاهِلِ أَنْ يَقْرَأَ مَعَارِكِي الْأَدَبِيَّةِ مَعَ مَنْ لَهُمْ بَاعٌ طَوِيلٌ فِي الصَّحَافَةِ أَوْ «النَّتِّ». أَحْمَدُ اللَّهِ أَنَّنِي فِي كُلِّ جَوْلَاتِي كُنْتُ الْمُتَنَصِّرَ وَلَمْ أُهْزَمَ، وَلَنْ أُهْزَمَ بِأَمْرِ اللَّهِ، لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ مُعْتَدِيًا قَطُّ. وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ عَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ التَّغْلِبِيُّ:

«أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا»

عَظَمَةُ الْمُتَنَبِّي

أَلِي هَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ الثَّقَةِ بَلَّغَتْ أَتَيْهَا الشَّاعِرُ الْحَكِيمُ الْمُتَنَبِّي لِقَوْلٍ:
«وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُؤَاةٍ قَصَائِدِي إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدًا؟
وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ صَدَقَتْ نُبُوءَتُكَ أَتَيْهَا الْجُعْفِيُّ الْكِنْدِيُّ. فَهِيَ هُوَ الدَّهْرُ يَرْوِي قَلَائِدَكَ أَوْ
قَصَائِدَكَ، وَيُنْشِدُهَا عَلَى كُلِّ لِسَانٍ، لَكُمْ كُنْتُ عَظِيمًا أَتَيْهَا الْمُتَنَبِّي.

وَطْنُ النُّجُومِ

حَكَى لِي صَدِيقِي الشَّاعِرُ الْكَبِيرُ جُورْجُ جِرْدَاقٍ أَنَّهُ قَبْلَ أَنْ تَرُسَّو السَّفِينَةُ الَّتِي كَانَتْ
تَحْمِلُ الشَّاعِرَ الْفَحْلَ إِيْلِيًّا أَبَا مَاضِي فِي مِينَاءِ بَيْرُوتَ، وَعَلَى بُعْدِ بَضْعَةِ كِيلَوَاتٍ مِنَ
الشَّاطِئِ، أَخَذَتْ الْعَاطِفَةُ مِنَ الشَّاعِرِ الْعَائِدِ مِنْ مَنَفَاهُ الْأَمْرِيكِيِّ الْإِخْتِيَارِي الَّذِي رَحَلَ إِلَيْهِ
فِي سَنِّ الصَّبَا كُلِّ مَاخَذَ. وَحِينَ لَاحَ لِنَاطِرِهِ شَاطِئُ الْمُتَوَسِّطِ الَّذِي حُرِّمَ مِنْ رُؤْيِيهِ لِعُقُودِ
طَوَالٍ، لَمَعَ فِي رَأْسِهِ فَجَاءَ مَطْلَعُ قَصِيدَتِهِ الشَّهِيرَةِ:
«وَطْنِ النُّجُومِ أَنَا هُنَا حَدِّقْ أَتَذْكُرُ مَنْ أَنَا؟»
ثُمَّ مَا لَبَثَ فِيمَا بَعْدُ أَنْ أَكْمَلَ أَبْيَاتَ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ الْمُؤَثِّرَةِ الَّتِي تَعَكِّسُ آلامَ الْغُرْبَةِ
وَفَرَحَةَ اللَّقَاءِ بِالْوَطَنِ.

الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ

نَحْنُ جَمِيعُنَا عَلَى مَوَاعِيدِ سَفَرٍ. نَقِفُ فِي طَوَائِرِ مَوَانِي الرِّحَالِ إِلَى وَجْهَتَيْنِ لَا ثَالِثَةَ
لَهُمَا هُمَا الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، وَلِكُلِّ إِنْسَانٍ الْخِيَارُ فِي حُجْزِ مَكَانٍ سَفَرِهِ إِلَى إِحْدَى الْوَجْهَتَيْنِ.

مَنْ يُطْفِئُ الشُّمُوسَ

يَقُولُ الشَّاعِرُ:

تَكَاثَرَتِ الطُّبَاءُ عَلَى خِرَاشٍ فَمَا يَذِرِي خِرَاشٌ مَا يَصِيدُ
أَعْرِفُ أَنَّ النُّفُوسَ الْبَسِيطَةَ وَالْعُقُولَ الْمُتَسَطِّحَةَ تُحَاوِلُ أَنْ تَتَعَاطَمَ أَمَامَ الْعُظَمَاءِ مِنْ
أَهْلِ الْمَوَاهِبِ الْقَادِحَةِ زِنَادَ الدَّهْرِ، فَمَا إِنْ يَجِدِ الْبَعْضُ مُجَرَّدَ خَطَأٍ أَوْ هَفْوَةٍ أَوْ سَبَقِ قَلَمٍ
عِنْدَ أَحَدِهِمْ حَتَّى يَنْقَضُوا عَلَيْهِ بِشِرَاسَةٍ، خُصُوصًا إِذَا كَانَ يَمْلِكُ فَوْقَ نِعْمَةِ الْمَوْهَبَةِ نِعْمَةً
الْشَّرَاءِ. إِنَّهَا طَبَائِعُ النُّفُوسِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي يَقْتُلُهَا الْحَسَدُ وَالْغَيْرَةُ، فَاقْعُدْ مَكَانَكَ أَيُّهَا الْبَاحِثُ
عَنْ عَثَرَاتِ الْعُظَمَاءِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تُطْفِئَ أَنْوَارَهُمْ، فَهُمُ الشُّمُوسُ.

تَرْوِيضُ الْمَلَلِ

كَيْفَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجْعَلَ مِنَ الْمَلَلِ أَمَلًا، وَأَنْ تَسْتَبْدِلَ بِالْحُزْنِ الْفَرَحَ، فَقَطِّ حَاوِلْ
تَصْغِيرَ صُورِ الْإِحْسَاسِ بِالأَشْيَاءِ الْمُتَعَبَةِ الْجَالِبَةِ لِلْكَآبَةِ، وَزَرِّعْ ابْتِسَامَةً عَلَى ثَغْرِ كُلِّ أَلَمٍ
وَهُمْ وَحْزَنٍ يَنْتَابُكَ، وَتَكْبِيرَ صُورِ الْأَشْيَاءِ الْمُبْهَجَةِ بِالْمُقَابِلِ. صَحِيحٌ أَنَّنَا لَا نَسْتَطِيعُ فِي
كُلِّ مَرَّةٍ أَنْ نَفْعَلَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ عَلَيْنَا الْمَحَاوَلَةَ لِنَعْتَادَ.

الْجَهْلُ عَمَى الْفِكْرَ وَالْقَلْبَ

لِلْجَهْلِ مَرَاتِبٌ هِيَ:

1 - جَهْلٌ.

2 - جَهْلٌ مُرَكَّبٌ.

3 - جَهْلٌ مُتَعَالِمٌ.

4 - مُتَجَاهِلٌ عَالِمٌ.

فَالْأَوَّلُ وَالثَّانِي يَجِبُ الْإِعْرَاضُ عَنْهُمَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [سورة الأعراف، آية: 199].

وَالثَّالِثُ وَالرَّابِعُ مِنْ أَوْجِبِ الْوَاجِبَاتِ الَّتِي تَصُمْتُ عَنْ اعْوِجَاجِهِمَا، كَيْ يَعُودَا إِلَى الرُّشْدِ، أَوْ يُعْمِنَا فِي الْجَهْلِ، فَيَسْتَوْجِبَا عُقُوبَةَ تَعْدِيهِمَا عَلَى الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْأَدَبِ وَالْأَدْبَاءِ وَأَهْلِ الْقِيَمَةِ وَالْقَدْرِ.

أَسْئَلَةُ مَرْبُكَة

لَيْسَ بِالضَّرُورَةِ أَنْ تَكُونَ الذَّاكِرَةُ حَافِظَةً لِدَقَائِقِ النُّصُوصِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ الَّتِي يَقْرُوهَا الْمَرْءُ، إِذْ تَكْفِي الْعُودَةُ إِلَى الْمُتُونِ وَالْمُطَانِ وَالْكِتَابِ الَّتِي تُهْمُ الْبَاحِثَ وَالدَّارِسَ الْمَعْنِيَّ بِتَحْقِيقِ مَوْضُوعٍ مَا، فِيمَا تَكْتَفِي الذَّاكِرَةُ بِحِفْظِ الْمَعْلُومَاتِ وَالْقَرَاءَاتِ الْأَهَمِّ الَّتِي تَعْلُقُ فِي الذَّهْنِ، سَوَاءً فِي الْمَجَالَاتِ الْعِلْمِيَّةِ أَوْ الْأَدَبِيَّةِ أَوْ غَيْرِهَا؛ إِذْ مِنْ الْمُسْتَحِيلِ عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَحْتَفِظَ دَاخِلَ ذَاكِرَتِهِ بِكُلِّ الْكِتَابِ وَالْمَرَّاجِعِ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ قِرَاءَتُهَا، وَمَعَ أَنَّ الذَّاكِرَةَ مَحْدُودَةٌ الْقُدْرَةَ عَلَى اسْتِعَادَةِ التَّفَاصِيلِ وَالْجُزْئِيَّاتِ وَالْوَقَائِعِ الَّتِي نَعِيشُهَا، يَسْتَطِيعُ الْعَقْلُ أَنْ يَتَكَفَّلَ بِالتَّعْوِيزِ عَمَّا نَسَاهُ، عَبْرَ التَّحْلِيلِ وَالرَّبْطِ وَالِاسْتِنَاجِ وَوَصْلِ الْمَعَارِفِ الْمُتَنَاقِضَةِ.

مَوْسُوعَاتٌ مُسْتَحْدَثَةٌ

مَوْسُوعَةُ الصَّمْتِ، مَوْسُوعَةُ الْمَوْتِ، وَمَوْسُوعَةُ الْوَقْتِ هِيَ عَنَاوِينُ لِمَوْسُوعَاتٍ غَيْرِ
مَوْجُودَةٍ. فَكَيْفَ تَسْتَطِيعُ أَنْجَازَهَا بِشَكْلِ فِلْسَفِيٍّ أَوْ عِلْمِيٍّ؟ تِلْكَ بَعْضُ الْأَفْكَارِ الَّتِي
خَطَرْتُ لِي ذَاتَ إِطْرَاقَةٍ، حَيْثُ رَأَيْتُ فِي الْعَدَمِ نَفْسَهُ شَكْلًا مِنْ أَشْكَالِ الْوُجُودِ. وَمَا
أَتَوَخَّاهُ مِنْ قَارِئِي الْعَزِيزِ أَنْ يُسْهِمَ فِي الْإِجَابَةِ عَنْ مِثْلِ هَذِهِ الْأَسْئَلَةِ الْمُزْبِكَةِ، بَعِيدًا مِنْ
الْقِرَاءَةِ السَّطْحِيَّةِ لِلْأُمُورِ.

الْخَطِيئَةُ الْفِطْرَةُ

قَالَ لِي: هَلْ تَهَيَّأْتَ لِلسَّفَرِ إِلَى بِلَادِ ذَاتِ الْقَرَارِ، وَمَاذَا أَعَدَدْتَ لَهَا؟
قُلْتُ لَهُ: نَعَمْ تَهَيَّأْتُ وَأَعَدَدْتُ لَهَا أَوْزَارًا وَأَخْطَاءً وَذُنُوبًا كُلَّمَا أَحْصَيْتُهَا وَجَدْتُهَا تَزْدَادُ
كَالْمَطَرِ الْمِدْرَارِ.

قَالَ: هَلْ تَسْخَرُ أَمْ تُكَابِرُ أَمْ تُجَاهِرُ؟
قُلْتُ لَهُ: بَلْ أَعْتَرَفُ وَلَكِنْ لَيْسَ لَكَ، بَلْ لِلَّذِي قَدَّرَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَالَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ
مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ، وَالْجَانِّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ.

قَالَ: أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هُنَاكَ جَنَّةً وَنَارًا، فَأَيُّهُمَا تَخْتَارُ؟
قُلْتُ لَهُ: أَخْتَارُ أَنْ أَكُونَ مَعَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَطْهَارِ، مَعَ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ، بِمَشِيئَةٍ مِنْ قَدَّرَ فِي اللُّوحِ الْأَقْدَارِ، وَخَلَقَنَا أَطْوَارًا، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْقَوِيِّ
الْعَزِيزِ الْكَبِيرِ الْكَرِيمِ الْجَبَّارِ.

قَالَ: وَلِمَاذَا تُذْنِبُ وَتَعْصِي الْوَاحِدَ الْقَهَّارَ؟
قُلْتُ لَهُ: تَأَذَّبَ مَعِ مَنْ خَلَقَ فَسَوَّى وَقَدَّرَ فَهَدَى. أَتُرِيدُنِي عَاصِيًا لِإِرَادَةِ اللَّهِ الْفَعَّالِ لِمَا
يُرِيدُ؟ هُوَ سُبْحَانَهُ خَلَقَنَا خَطَائِينَ أَذْلَاءَ لَهُ مُسْتَغْفِرِينَ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَنَا الْعِصْمَةُ مِنَ الذُّنُوبِ
وَالْخَطَايَا، لَكُنَّا مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِي السَّمَاءِ.

قَالَ: أَلَمْ يَكُنْ فِينَا رَسُولٌ لَمْ يَعْصِ اللَّهَ طَرْفَةَ عَيْنٍ؟
قُلْتُ لَهُ: ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ، فَالْعِصْمَةُ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَلَيْسَتْ لِحَمَلَةِ الْأَوْزَارِ.
قَالَ: كَانَتْ الْخَطِيئَةُ وَاحِدَةً فِي أَبِي الْبَشَرِ آدَمَ، وَتَعَدَّدَتْ وَاخْتَلَفَتْ بَيْنَ سَائِرِ الْبَشَرِ.

قُلْتُ لَهُ: خَطِيئَةُ آدَمَ مَوْصُولَةٌ بِخَطَايَانَا، فَاقْرَأْ قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ: {إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ}
[سورة يوسف، آية: 53]. ذَلِكَ شَرْعُ الْخَطِيئَةِ الْمُعْجِزِ، حِينَ تَكُونُ نَفْسُكَ مَنْ تَحْمِلُكَ
عَلَى الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَالْمُسْتَطَاعُ «مَفْعُولٌ» وَالْمُعْجِزُ «مَأْمُولٌ». وَهَذِهِ عِدَاوَةُ النَّفْسِ، فَمَا
بَالُكَ بِعِدَاوَةِ الْخَلْقِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ!

قَالَ: فَمَا الْعِدَاوَاتُ إِلَّا صَنِيعَةُ التَّحَاوُسِ وَالتَّبَاغُضِ وَعَدَمِ الْقَنَاعَةِ وَعَدَمِ الرِّضَا بِمَا قَسَمَ اللَّهُ.

قُلْتُ لَهُ: نَعَمْ، وَهَذِهِ وَتِلْكَ شَرِيعَةُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ لَا السَّمَاءِ. يَقُولُ سُبْحَانَهُ: {قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ} [سورة الأعراف، آية: 24]. الْعِدَاوَةُ إِذَنْ أَمْرٌ تَكْلِيفٌ لِآدَمَ وَحَوَاءَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَلِذَرَّتِيهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَ«نَحْنُ مَجْبُولُونَ عَلَى الْعِدَاوَةِ وَلَيْسَ عَلَى الْمَحَبَّةِ».

قَالَ: تِلْكَ إِرَادَةُ إِبْلِيسَ.

قُلْتُ لَهُ: لَا تَكْفُرْ، بَلْ هِيَ إِرَادَةُ الَّذِي خَلَقَكَ وَخَلَقَ إِبْلِيسَ.

قَالَ: إِذَنْ مَصِيرُ النَّاسِ إِلَى النَّارِ بِارْتِكَابِهِمْ هَذِهِ الْخَطَايَا.

قُلْتُ لَهُ: وَهَا أَنْتَ تَتَأَلَّى عَلَى اللَّهِ وَتَنْسَى أَنَّ رَحْمَتَهُ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى إِنَّ إِبْلِيسَ يَتَهَيَّأُ لَهَا فَيَأْخُذُ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} [سورة الأعراف، آية: 156]. وَهُوَ يُحَاجِّجُ وَيَقُولُ: «رَحْمَةُ اللَّهِ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَأَنَا شَيْءٌ».

قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ.

قُلْتُ لَهُ: «وَلَوْ لَا الرَّحْمَةُ لَحَقَّتِ النُّقْمَةُ فَلَا تُمَارِ فِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، وَقُلِ اللَّهُمَّ غَافِرَ الذَّنْبِ، قَابِلَ التَّوْبِ وَشَدِيدَ الْعِقَابِ، انْثُرْ عَلَيْنَا مِنْ شَايِبِ رَحْمَتِكَ مَا نَسْتَظِلُّ بِهِ مِنْ غَضَبِكَ وَنَقِمَّتِكَ وَعَذَابِكَ، فَمَا تَفْعَلُ بَعْدَ ابْنَا، وَأَنْتَ يَا اللَّهُ لَا تَضُرُّكَ الْمَعْصِيَةُ، وَلَا تَزِيدُكَ الطَّاعَةَ؟ وَأَنْتَ تَعْلَمُ بَضْعَفِ وَقَلَّةِ حِيلَةٍ مَنْ خَلَقْتَ. نَفِرُ إِلَيْكَ وَنَلُودُ بِكَ، وَنَسْتَغْفِرُكَ، فَلَا تَكِلْنَا إِلَى نَفُوسٍ أَوْعَفُ مَا فِيهَا الرَّجَاءُ، وَأَنْتَ أَهْلُ الرَّجَاءِ وَالْمَرْحَمَةِ».

لِلظَّالِمِ عِقَابَانِ

لَا أُحِبُّ الظُّلْمَ وَلَا أَسْعَى إِلَيْهِ، بَلْ إِنِّي أَجِبُنْ مِنْ أَنْ أَكُونَ ظَالِمًا، لِأَنَّ «الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وَلَطَالَمَا نَهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الظُّلْمِ وَتَوَعَّدَ الظَّالِمِينَ بِسُوءِ الْعِقَابِ. وَقَدْ جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي مَا يَرَوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالُمُوا». وَكَمَا قَالَ الْهَادِي الْبَشِيرُ النَّذِيرُ: «اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ». وَكَمْ مِنْ مَظْلُومٍ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا رَافِعَ كَفِّهِ لِلْبَارِي، فَيَقُولُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ} [سورة القمر، آية: 10]. وَكَمْ يَسْتَبِدُّ الظَّالِمُ وَيَظُنُّ اللَّهُ غَافِلًا عَنْهُ، لَكِنَّهُ لَا يَعْرِفُ أَنَّ السَّمِيعَ الْبَصِيرَ الْعَلِيمَ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، فَإِذَا أَخَذَ أَخَذَ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ. وَرُبَّمَا يَغْفُلُ الْإِنْسَانُ أَوْ تَأْخُذُهُ عَوَامِلُ الْكِبَرِ وَالطُّغْيَانِ فَيَبْتَلِيهِ اللَّهُ بِشَاغِلٍ يَشْغَلُهُ، فَالْحَيَاةُ لَا تَدُومُ لِمَنْ مَلَكَ فَجَارٌ وَقَسَا وَأَسَاءَ وَقَدَّرَ عَلَى الظُّلْمِ عَلَى مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ إِلَّا الْكِرَمَ وَالْكَرَامَةَ. وَمِنْ الْعَدْلِ أَنْ يَقْتَصَّ الْإِنْسَانُ لِنَفْسِهِ بِقَدْرِ الْأَسَاءَةِ الَّتِي وَاجَهَهَا، وَعَلَيْهِ أَنْ يَأْخُذَ بِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} [سورة البقرة، آية: 194]. لَكِنَّ الْعَفْوَ مَشْرُوطٌ بِالتَّوْبَةِ وَالْعَوْدَةِ عَنِ الظُّلْمِ، وَإِلَّا فَإِنَّ اللَّهَ يَنْتَصِرُ لِلْمَظْلُومِ وَيُعَاقِبُ الظَّالِمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: {وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ} [سورة الشعراء، آية: 227].

الذاكرة المثقلة

لَا تُجْهِدْ نَفْسَكَ فِي نِسْيَانِ الْأَحْدَاثِ الْمُؤَلِّمَةِ، فَهِيَ تَكُونُ بِذَلِكَ أَكْثَرَ ثَبَاتًا فِي الذَّاكِرَةِ، وَكَأَنَّكَ تُوقِظُهَا مِنْ غَفْلَتِهَا، وَلَكِنْ دَعُهَا تَمْتَرِجَ مَعَ الْأَحْدَاثِ السَّعِيدَةِ لِتَقِلَّ حَدَّثُهَا تَدْرِيجًا، إِلَى أَنْ تُصْبِحَ فِي مُسْتَوَى التَّفَكِيرِ الْعَادِيِّ لِلْأَشْيَاءِ. سَتَنْضَمُّ عِنْدَ ذَاكَ إِلَى هَوَامِشِ الذَّاكِرَةِ وَلَنْ تَظَلَّ فِي مَتْنِهَا؛ لِأَنَّ الْأَحْدَاثَ لَا تُنْسَى، بَلْ تَخْتَفِي حَتَّى تُوقِظَهَا أَحْدَاثٌ وَثِيقَةُ الصَّلَةِ بِهَا أَوْ شَبِهُهَا لَهَا، لِأَنَّ حَقَائِقَ الْأَحْدَاثِ لَا يُمَكِّنُ مَسْحُهَا، مَا دَامَتْ جَرَتْ وَمَرَّتْ عَلَى خَلَايَا الشُّعُورِ، إِلَّا بِالْمَوْتِ أَوْ النَّوْمِ أَوْ الْإِعْمَاءِ أَوْ الْجُنُونِ.

الإبداع فيك

الْإِنْسَانُ عَقْلٌ مُعْجَزٌ لَوْ أُتِيحَ لَهُ أَنْ يَجْلُو الصَّدَأَ عَنْ نَفْسِهِ لَاسْتَخْرَجَ كُنُوزًا دَفِينَةً مِنْ الْإِبْدَاعَاتِ الْمُتَجَاوِزَةِ لِلْمُنْتَجِ الْفِكْرِيِّ الْحَالِيِّ. رُبَّمَا يَكُونُ إِبْدَاعُكَ فِي كَلِمَةٍ أَوْ مَعْنَى حَامِلًا لِبَذَرَةِ الْعَبْقَرِيَّةِ وَإِضَافَةً حَقِيقَةً إِلَى عَالَمِ الثَّقَافَةِ وَالْفَنِّ وَالْفِكْرِ؛ فَحَاوِلْ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ أَنْ تَكْتَشِفَ الْإِبْدَاعَ الَّذِي فِيكَ، وَلَا تَفْقِدْ ثَقَّتَكَ بِمَا يَلْمَعُ فِي دَاخِلِكَ مِنْ بُرُوقٍ، حَاوِلْ وَلَا تَقُلْ: «لَا أَسْتَطِيعُ»، لِأَنَّكَ تَسْتَطِيعُ لَوْ شِئْتَ، وَلِأَنَّ الَّذِينَ اسْتَنْطَقُوا الْفِكْرَ الْعِلْمِيَّ وَالْأَدَبِيَّ بَشَرٌ مِثْلُكَ.

مَلَاظَمَةُ تَفْرِضُ نَفْسَهَا

هَاتَفَنِي الْأُسْتَاذُ الْعَالِمُ الْخَنْدِيزُ الشَّيْخُ: عَلِيُّ الْعَبَادِيِّ، مُشِيرًا إِلَيَّ مَا تَعَرَّضَ لَهُ شِعْرُ الشُّعْرَاءِ الْكِبَارِ الْمُعَاصِرِينَ لِحَقَبَةِ الْمَلِكِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ، كَالْغَزَاوِيِّ وَالْخَطِيبِ وَغَيْرِهِمَا، مِنْ أخطاءٍ مَطْبَعِيَّةٍ مَا زَالَتْ تَحْتَفِظُ بِهَا دَارَةُ الْمَلِكِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ، بِمَا نَقَلَ مِنْ صَحِيفَةِ «أُمِّ الْقُرَى». وَكَانَ يَوَدُّ مِنِّي أَنْ أَفَاتِحَ بِالْأَمْرِ مَسْئُولِي الدَّارَةِ فِي الرِّيَاضِ، لَعَلَّهُمْ يَقُومُونَ بِتَشْكِيلِ هَيْئَةٍ لِتَصُوبَ مَا وَقَعَ عَلَى شِعْرِ الْفُحُولِ الَّذِينَ امْتَدَّحُوا الْمَلِكَ عَبْدَ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ، بِمَا نَمَّ نَقْلُهُ غَيْرَ مُنْفَحٍ مِنَ الْأخطاءِ، لِنَلَّا يَتَنَاقَلَهُ الْخَلْفُ عَنِ السَّلَفِ مِنْ دُونِ تَصْحِيحٍ؛ لِذَا أَتَمَنَّى عَلَى مَسْئُولِي دَارَةِ الْمَلِكِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنْ يَأْخُذُوا بِمَلَاظَمَةِ أَدِيبِنَا الْكَبِيرِ الْعَالِمِ الْعَلَامَةِ الشَّيْخِ: عَلِيِّ الْعَبَادِيِّ.

سَرِقَةُ الْأَفْكَارِ

تَقُولُ لَهُمْ اكْتُبُوا أَفْكَارَكُمْ وَلَا تَنْقُلُوا عَنِ الْآخَرِينَ، وَإِذَا نَقَلْتُمْ فَأَشِيرُوا إِلَى الْمَصَادِرِ. وَلَكِنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ أَنْ يَفْهَمُوا، بَلْ يُرِيدُونَ أَنْ يُثَبِّتُوا لَكَ أَنََّّهُمْ فَلَاسِفَةٌ وَأَدْبَاءٌ وَعُلَمَاءٌ. تَقُولُ لَهُمْ إِنَّ مَا تَنْقُلُونَهُ وَتَنْسِبُونَهُ لَكُمْ هُوَ سَرِقَةُ لِأَفْكَارِ الْغَيْرِ، مِثْلَ سَرِقَةِ الْأَشْيَاءِ الْخَاصَّةِ بِالْآخَرِينَ، وَلَكِنَّهُمْ يُصِرُّونَ عَلَى غِيهِمْ وَيَغْضَبُونَ مِنْكَ.

شَوَاطِئُ الشَّمْسِ

أَحْنُ إِلَى تِلْكَ الْغَرَائِقِ الَّتِي كَانَتْ تَحُطُّ عَلَى شَوَاطِئِهَا الْمَلْبَدَةِ بِثُلُوجِ الشِّتَاءِ. مَا زِلْتُ
أَبْحَثُ عَنِ الْإِيَّائِلِ الَّتِي كَانَتْ تَأْتِي قَبْلَ الْغُرُوبِ لِتَسْتَحِمَّ بِاللَّوَانِ الشَّفَقِ تَارِكَةً أَنْعَاسَاتِهَا
عَلَى بَيَاضِ الْأَدِيمِ الثَّلْجِيِّ. أَحْنُ إِلَى أَهْدَابِ عُيُونِهَا الْوَاحِفَةِ الَّتِي لَوْلَاهَا لَمَا اسْتَطَعْتُ
التَّفْرِيقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ بَيَاضِ الثَّلْجِ النَّاصِعِ، يَوْمَ غَادَرْتُهَا وَهِيَ تَتَشَبَّثُ بِي كَأَنَّهَا تَقُولُ: لَا
تَرَحَّلْ، أُرِيدُكَ عُتُونًا لِعُذْرِيَةِ الشَّمْسِ.

وَهِيَ فِي خَدْرِهَا تَنْظُرُ إِلَى قَوَافِلِ الرَّبِيعِ الضَّاحِكِ عَلَى ثَغْرِ الْأَمَلِ، كَانَ آخِرَ عَهْدِي بِهَا
دَمْعَةٌ أُنْسَكَبَتْ عَلَى خُدُودِ الثَّلْجِ، وَيَدَانِ تُلَوِّحَانِ بِالْوَدَاعِ، وَعُيُونٌ تُلَاحِقُ الْبَعِيدَ النَّظَرَ إِلَى
دَمْعَةٍ سَكَنْتْ بَيْنَ أَحْدَاقِي، ثُمَّ أَنْطَفَأَ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا. وَأَنَا مَا زِلْتُ أَحْنُ إِلَى
تِلْكَ الَّتِي خَفْتُ عَلَيْهَا مِنْ حُبِّي لَتَبْقَى خَالِدَةً عَلَى الدَّوَامِ ذِكْرَى الْحُبِّ الْأَبَدِيِّ، آهَ أَيْتُهَا
السَّاكِنَةُ فِي مَصِيرِي الْقَدِيمِ!

الثَّابِتُ الْمُعْجِزُ

تَبْدَأُ مَعْرِفَةَ الْأَشْيَاءِ بِالْفَرْضِيَّاتِ وَالْإِحْتِمَالَاتِ وَالتَّجَارِبِ لِلْوُصُولِ إِلَى النَّتَائِجِ وَالْحَقَائِقِ
غَيْرِ الْكَامِلَةِ؛ إِذْ إِنَّهُ لَا تَوْجَدُ حَقَائِقُ كَامِلَةٌ فِي الْكَوْنِ، لِأَنَّ مِنْ طَبِيعَةِ الشَّيْءِ التَّغْيِيرَ وَالتَّبَدُّلَ
وَالْإِضْمِحْلَالَ وَالْوُصُولَ إِلَى النِّهَايَةِ. أَحْيَانًا أَنْتَ تَنْظُرُ إِلَى عِمَارَةٍ شَامِخَةٍ الْبُنْيَانِ زَاهِيَةٍ
الْأَلْوَانِ وَتَقُولُ: لَوْ أَضَافَ إِلَيْهَا الْمُصَمَّمُ لَمَحَّةً جَمَالِيَّةً فِي هَذَا الْجَانِبِ أَوْ ذَاكَ لَكَانَتْ
أَكْثَرَ كَمَالًا، وَأَحْيَانًا تَقُولُ: صَحِيحٌ أَنِّي أَبْدَعْتُ فِي لَوْحَةٍ أَوْ قَصِيدَةٍ، وَلَكِنْ لَوْ وَضَعْتُ
كَلِمَةً أُخْرَى مَكَانَ الْكَلِمَةِ الْمَوْضُوعَةِ لَكَانَتْ أَجْمَلًا، أَوْ: لَوْ أَضَفْتُ إِلَى تِلْكَ اللَّوْحَةِ
ذَلِكَ اللَّوْنِ الْأَخْضَرَ أَوِ الْأَحْمَرَ أَوِ الْأَبْيَضَ لَكَانَتْ أَكْثَرَ جَمَالًا. وَأَحْيَانًا تَرَى الْأُنْثَى وَهِيَ
مُتَأَنِّقَةٌ بِجَمَالِهَا، وَتَقُولُ: لَوْ أَنَّهَا لَبَسَتْ ذَاكَ الثَّوْبَ وَخَفَقَتْ مِنْ تِلْكَ الْمَسَاحِقِ لَكَانَتْ
أَجْمَلًا.. إِلَى آخِرِ الْأَمْثَلَةِ. وَالبَعْضُ يَرَى أَنَّ مَسْأَلَةَ الْجَمَالِ وَالذَّوْقِ وَالرَّسْمِ وَالشَّعْرِ وَالنَّحْتِ
وَالْكِتَابَةِ مَسْأَلَةٌ تَتَرَاوَحُ بَيْنَ الْقُدْرَةِ وَالتَّقْدِيرِ الشَّخْصِيِّ لِذَائِقَةِ الْعَيْنِ وَالْحِسِّ وَاللَّمْسِ،
وَهُنَاكَ مَنْ يَرِبُطُهَا بِالْحُرِّيَّةِ الْإِنْتِقَائِيَّةِ لِمَا تُرْجِمُهُ النَّفْسُ؛ إِذَنْ حَتَّى فِي الْإِخْتِيَارِ وَالذَّوْقِ
هُنَاكَ شَخْصِيَّةٌ لِلْمَيُولِ وَالرَّغَبَاتِ تُؤَكِّدُ نُقْصَانَ كَمَالِ الْحَقَائِقِ. أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ بِإِنْعِدَامِ
الْحَقَائِقِ الْكُونِيَّةِ وَتَأْكِيدِ الْحَقَائِقِ الْغَيْبِيَّةِ غَيْرِ الْمَرْتَبِيَّةِ وَالْمَحْسُوسَةِ، وَالثَّابِتِ لَدَيَّ أَنَّ
الْمُتَغَيَّرَ وَالْمُتَبَدِّلَ وَالْمُضْمَحِلَّ وَالْمُنْتَهِي لَيْسَ كَالثَّابِتِ، فَخُذْ عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا، إِنَّهَا شَكْلٌ مُتَغَيِّرٌ وَمُتَنَاقِضٌ وَمُنْتَهٍ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ وَأَشْكَالِهِ وَتَكْوِينَاتِهِ، أَمَّا الثَّابِتُ فَهُوَ
اللَّهُ الَّذِي هُوَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَالْحَقِيقَةُ الْكَامِلَةُ غَيْرُ الْمَرْتَبِيَّةِ وَغَيْرُ الْمَحْسُوسَةِ؛ فَمَا مِنْ أَحَدٍ
اسْتَطَاعَ أَوْ يَسْتَطِيعُ رُؤْيَا اللَّهِ فِي مَلَكُوتِهِ وَلَا صِفَاتِهِ، إِلَّا مَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ
الْمُطَهَّرَةِ؛ إِذْ إِنَّهَا تُمَثِّلُ الثَّابِتَ الْمُحَقَّقَ لَوْجُودِ الْكَامِلِ. إِذَنْ، بِنُقْصَانِ الدُّنْيَا كَمَالِ الْآخِرَةِ،
وَبِالْكَمَالِ تَتَجَسَّدُ الْحَقَائِقُ، وَالْحَقَائِقُ لَا تَتَغَيَّرُ وَتَحْتَفِظُ بِالدَّيْمُومَةِ كَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ؛ لِذَا
فَالْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَيْسَتْ أَكْثَرَ مِنْ خَيَالٍ كَالْحُلْمِ فِي عَيْنِ النَّائِمِ، فَمَنْ أَنْتَ وَمَنْ أَنَا؟ وَمَا هَذَا
الْهُيُولَى الَّذِي يَطُوفُ مِنْ حَوْلِنَا إِلَّا لِنَعْرِفَ أَنَّ الْحَيَاةَ أَضْغَاثُ خَيَالَاتٍ قَابِلَةٌ لِلتَّحْقِيقِ
لِلثَّابِتِ الْغَيْبِيِّ الْمُعْجِزِ.

مَكْتَبِ الْمَعْظَمَةِ

أَيَّتْهَا الْمُقَدَّسَةُ الْمُطَهَّرَةُ الْمُكْرَمَةُ؛ مَكَّةُ، مَوْطِنِي وَمَوْطِنَ الْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ، عُدْرًا إِذَا تَغَيَّرَتْ مَلَامِحُكَ عَلَيَّ، بَعْدَ أَنْ كُنْتُ أَجُوبُكَ طُولًا وَعَرْضًا سَائِرًا عَلَى قَدَمَيَّ مِنَ الْمَسْفَلَةِ إِلَى قَصْرِ الشَّيْبِيِّ الَّذِي هُوَ حَالِيًّا قَصْرُ الْمَلِكِ فَيَصِلُ رَحِمَهُ اللَّهُ. وَمَا خَرَجَ عَنْ هَذِهِ الْحُدُودِ لَا يُعْتَبَرُ مِنْ حَاضِرَةِ مَكَّةِ الْمُكْرَمَةِ. فَحَواضِرُ مَكَّةَ كَانَتْ حَوَارِيهَا الْبُدَائِيَّةَ وَأَهْلَهَا الْبُسْطَاءَ، مِثْلَ حَوَارِي الْغَزَةِ وَسُوقِ اللَّيْلِ وَشِعْبِ عَلِيٍّ وَشِعْبِ عَامِرٍ وَالنَّقَا وَالْقَشَاشِيَّةَ وَسُوقِ الصَّغِيرِ وَالْحَلَقَةِ وَالشَّامِيَّةَ وَجَزُولَ وَالزَّاهِرِ وَالْفَلَقِ وَسُوقِ الْمُعَلَّا وَالسُّلَيْمَانِيَّةَ وَالْحُجُونَ وَشَارِعَ الْمَنْصُورِ وَالْهَجَلَةِ وَرَبِيعِ الرَّسَامِ وَالْدَّحْلَةِ إِلَى الْحُمَيْرَةِ وَالْمَعَابِدَةِ، إِلَى مَا يُعْتَبَرُ فِي ذَلِكَ الْحِينِ مِنْ أَقْصَاةِ مَكَّةَ، إِلَى عَرَفَاتٍ وَمِنَى وَالْمُزْدَلِفَةِ وَغَيْرِهَا... فَقَدْ كَانَ ذَلِكَ التَّارِيخُ الْمُنْصَرِّمُ مَثَارًا لِأَحْلَامِ الطُّفُولَةِ وَالْبَرَاءَةِ وَالْحُبِّ الَّذِي يَسْتَجْمَعُ الْحَنِينَ، مَعَ قَلِيلٍ مِنَ الذِّكْرِيَّاتِ الَّتِي يَجُودُ بِهَا الذِّهْنُ، بَعْدَ هَذَا الْعُمُرِ الْجَمِيلِ الَّذِي مَرَّ بِي عَلَى ثَرَى النَّهَارِ وَاللَّيْلِ الْمَكِّيِّ، حِينَ رَسَمْتُ لَوْحَاتِهِ قِصَائِدَ مِنْ أَلْقَى الْكُعْبَةِ الْمُشْرِفَةَ، وَعَلَى خُطَى مَشَاهَا النَّبِيُّ الْعَظِيمُ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. وَلَمْ أَكْتُبْ مَا كَتَبْتُ إِلَّا عِشْقًا لِأَهْلِهَا بِحِكْمَتِهِمْ وَذَكَائِهِمْ وَخِبَرَتِهِمْ وَتَجَارِبِهِمْ وَشَقَاوَتِهِمْ وَعَدَاوَتِهِمْ وَسَدَاجَتِهِمْ وَعِلْمِهِمْ وَجَهْلِهِمْ عِنْدَمَا التَّحَقُّوا بِمَدْرَسَةِ الْحَيَاةِ يَتَعَلَّمُونَ مِنْهَا مَا يَضُرُّهُمْ وَمَا يَنْفَعُهُمْ. هَكَذَا كُنْتُ أَيَّتْهَا الْحَبِيبَةُ مَكَّةُ الْمُكْرَمَةُ عَاشِقَةً لِكُلِّ مُسْلِمٍ وَمَعْشُوقَةً مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ. كَانَ الْحُلْمُ فِي مَكَّةَ أَجْمَلَ وَالْبَسْمَةُ أَصْدَقَ وَالْوَفَاءُ أَثْمَنَ، قَبْلَ أَنْ تُصْبِحَ فِي سَمَتِهَا الْجَدِيدِ، وَهِيَ تَرْتَدِي مِنَ الْفُسْفُسَاءِ وَالرُّخَامِ الْإِيطَالِيِّ وَالثَّرَيَّاتِ وَالْكَشَافَاتِ وَالْمَصَابِيحِ الْبَلْجِيكِيَّةِ وَالتَّشِيكِيَّةِ وَالْفَرَنْسِيَّةِ وَالْإِيطَالِيَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

الْيَوْمَ أَيَّتْهَا الْحَبِيبَةُ مَكَّةُ نَعِيشُ عَلَى أَطْلَالِ ذِكْرِيَّاتِكَ مَعَنَا عَبْرَ عُمُرٍ قَصِيرٍ، وَنَرَكَ وَأَنْتِ فِي ثُوبِكَ الْبَهِيِّ عَرُوسًا مُزَيَّنَةً بِالْبَيَاضِ، وَلَكِنْ نَفْصَلُ بَيْنَنَا قَوَاصِلُ الْعُزْبَةِ وَالْغَرِيبِ، فَاعْذِرِينِي أَيَّتْهَا الْحَبِيبَةُ مَكَّةُ، حِينَ تَغَيَّرَتْ مَلَامِحُكَ عَلَيْنَا، وَصِرْنَا نَتَوَسَّلُ الْمَاضِي لِنَدُلُّكَ عَلَيْكَ وَنَحْنُ فِيكَ، لَعَلَّنَا يَوْمًا نَفِيكَ بِحُسْنِ الْعَمَلِ فِيكَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ أَيَّتْهَا الْحَبِيبَةُ مَكْتَبِ الْمَعْظَمَةِ.

المَوْجُودُ لَا الْمَعْدُومُ

مِنْ غِبَاءٍ وَجَهْلٍ الْمَلَا حِدَةً أَنَّهُمْ يَطْلُبُونَ دَلِيلًا عَلَى وُجُودِ اللَّهِ، وَلَوْ أَنََّّهُمْ نَظَرُوا وَتَفَكَّرُوا وَتَدَبَّرُوا لَوَجَدُوا الدَّلِيلَ فِي أَنْفُسِهِمْ، حَيْثُ خَلَقَ اللَّهُ لَهُمُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْقَلْبَ وَالْعَقْلَ وَسَائِرَ الْأَعْضَاءِ الَّتِي تَعْمَلُ بِقُدْرَتِهِ مِنْ دُونِ تَوَقُّفٍ، وَبِتَنْظِيمٍ دَقِيقٍ مُعْجَزٍ، فَكَيْفَ بِيَجْهَلِهِمْ يَعْتَرِفُونَ بِوُجُودِهِمْ وَهُمْ خَلَقُوا فِي الْحَيَاةِ، وَلَا يَعْتَرِفُونَ بِمَنْ خَلَقَهُمْ؟! فَالْمَعْدُومُ غَيْرُ مَوْجُودٍ، وَالْمَوْجُودُ غَيْرُ مَعْدُومٍ. ثُمَّ هَلْ تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالنُّجُومِ وَالْكَوَاكِبِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَرَاءَ الْأَجْرَامِ الَّتِي كَانَ يُمَكِّنُ أَنْ يَصْطَدِمَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ الْآخِرِ، لَوْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ خَالِقٌ وَمُدَبِّرٌ وَمُسَيِّرٌ لَهَا وَمُنَظِّمٌ لِحَرَكَاتِهَا فِي الْمَجَرَّةِ الْكُونيةِ؟ فَلَيْسَ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنْ يُوجَدَ مِنَ اللَّاشَيْءِ شَيْءٌ، وَالْأَكَا نَ لَا شَيْئًا، وَكَيْفَ يُؤْمِنُونَ بِحَقِيقَةِ الْمَوْجُودِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِحَقِيقَةِ الْمَوْجِدِ لِلْمَوْجُودِ؟

حَذَارٍ مِنَ الْإِسْتِبْدَادِ

لَا أَعْرِفُ كَيْفَ اسْتَطَاعَ الْأَوْرَبِيُّونَ تَطْبِيقَ النَّظَامِ حَتَّى غَدَا الْعَدْلَ وَالْمُسَاوَاةَ وَاحْتِرَامَ
الذَّاتِ الْإِنْسَانِيَّةَ شَرِيعَةً وَقِيمًا وَعَمَلًا وَبِنَاءً لِلْعُقُولِ، لَا أُدْرِي إِذَا مَا كَانَ سَيَاتِي عَلَى الْبُلْدَانِ
الْعَرَبِيَّةِ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي نَرَى فِيهِ الْقِيَمَ الْأَخْلَاقِيَّةَ وَقَدْ سَادَتْ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ دُونِ تَفْرِيقِ
أَوْ تَمْيِيزِ، وَهَلْ سَيَعِي الشَّعْبُ الْعَرَبِيُّ قِيَمَةَ النَّظَامِ وَالتَّنْظِيمِ، لِيَرْفَعَ عَنْ كَوَاهِلِهِ أَثْقَالَ الظُّلْمِ
وَالْإِسْتِبْدَادِ وَالْفَوْضَى، وَعَوَامِلَ الْهَدْمِ النَّفْسِيِّ لِلْإِنْسَانِ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَلْتَهُمْ إِنْسَانَنَا أَشْدَاقُ
الْأَرْقَامِ وَمَخَالِبُ الْوُحُوشِ الْأَدَمِيَّةِ الَّتِي تَنْتَظِرُ الْفُرْصَةَ السَّانِحَةَ لِلْإِنْقِصَاضِ عَلَيْنَا. آه وَالْفُ
آه أَطْلَقْتُهَا وَأَطْلَقَهَا الْآنَ، فَمَتَى يَفْهَمُ الْغَافِلُونَ وَيُذِرْكَوْنَ سُوءَ الْمَصِيرِ الَّذِي يُنْذِرُ بِهِوْلٍ
عَظِيمٍ؟

حِينَ الْقِيَامَةِ

هَلْ بَدَأَتْ أُسْطُورَةُ الْإِمْبِرَاطُورِيَّةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ تَنْهَآوِي؟ نَعَمْ، لِأَنَّ أَهْدَافَ سِيَاسَتِهَا تَقُومُ
عَلَى تَرْهِيْبٍ وَقَتْلِ الْإِنْسَانِ.
هَلْ تَلُوحُ فِي الْأَفْقِ مَعَالِمُ إِمْبِرَاطُورِيَّةٍ قَادِمَةٍ تَتَزَعَّمُهَا الصِّينُ وَرُوسِيَا؟ نَعَمْ، وَبِالذَّاتِ
التَّيْنِ الْأَحْمَرَ الصَّامِتِ الَّذِي اكْتَسَحَ الْعَالَمَ تَقْنِيًّا وَصِنَاعِيًّا، وَأَصْبَحَ سَيِّدَ الْاِقْتِصَادِ الْعَالَمِيِّ.
هَلْ يُعْتَبَرُ عَهْدُ الرَّئِيسِ الْأَمْرِيكِيِّ بُوْشِ الْإِبْنِ وَالرَّئِيسِ الْحَالِيِّ أُوْبَامَا سَبَبًا فِي إِضْعَافِ
أَمْرِيكَا؟ نَعَمْ؛ لِأَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا انْتَهَجَ نَهْجًا خَاطِئًا: الْأَوَّلُ يَحْمِلُ رِسَالَةَ الْخَرَابِ، وَالثَّانِي
يُحَاوِلُ النَّظَرَ إِلَى أَمْرِيكَا وَيَخَافُ عَلَى تَارِيخِهِ فَقَطْ، لَا عَلَى تَارِيخِ الْبِلَادِ وَالشُّعُوبِ.
هَلْ سَيَلْعَبُ الرَّئِيسُ بُوتِينُ لُعْبَةَ الْمَوْتِ لِنَدْمِيرِ رُوسِيَا بِتِلْكَ الْعُنْجُهِيَّةِ وَالْغَطْرَسَةِ غَيْرِ
الْمَدْرُوسَةِ وَغَيْرِ الْحَكِيمَةِ؟ نَعَمْ، لِأَنَّ الرَّجُلَ يَعِيشُ جُنُونُ الْعُظْمَةِ عَلَى حِسَابِ وَطْنِهِ وَشَعْبِهِ،
وَسَيَصْحُو يَوْمًا عَلَى ثَوْرَةِ الشُّعُوبِ ضِدَّهُ، سَوَاءً شَعْبُهُ الرُّوسِيُّ أَوْ الشُّعُوبُ الْمُجَاوِرَةُ.

هَلْ سَيَكُونُ مَصِيرُ الشُّعُوبِ الْعَرَبِيَّةِ مَصِيرًا مَفْتُوحًا عَلَى الْخَرَابِ وَالتَّدْمِيرِ؟ نَعَمْ؛ لِأَنَّ
الْفَسَادَ بَلَغَ ذُرْوَتَهُ فِي الْبُلْدَانِ الْعَرَبِيَّةِ، وَلِأَنَّ النَّظْرَةَ الْكَيَانِيَّةَ تَطْغَى عَلَى مَا عَدَاهَا، وَلِأَنَّ
الْقِيَادَاتِ السِّيَاسِيَّةَ تَهْتَمُ بِالْمَنَاصِبِ وَالْكَرَاسِيِّ وَتَكْدِسُ الثَّرَوَاتِ، لَا بِمَصَالِحِ الْأَوْطَانِ
وَالشُّعُوبِ.

هَلْ يُوجَدُ حُلٌّ مَا لِإِنْهَاءِ الصَّرَاعَاتِ الدَّمَوِيَّةِ الَّتِي يَشْهَدُهَا الْعَالَمُ؟ نَعَمْ، وَلَكِنْ بِقِيَامِ
الْقِيَامَةِ.

لَا يَعْقِلُونَ

أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنَّ هُنَاكَ مَنْ يَقْرَأُ وَلَا يَفْهَمُ؟!
لَقَدْ كَتَبْتُ ضِمْنَ خَوَاطِرِي خَاطِرَةً تَقُولُ: «خَلَقَ اللَّهُ الشَّيْءَ مِنَ اللَّاشَيْءِ»، فَتَوَجَّسَ
الْبَعْضُ خِيفَةً وَجَهْلًا بِمَا أُعْغِيهِ.
وَلَوْ أَنَّهُمْ قَرَأُوا الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا}
[سُورَةُ الْإِنْسَانِ، آيَةٌ: 1] أَقُولُ: لَوْ قَرَأُوا الْقُرْآنَ جَيِّدًا لَعَرَفُوا مَا تَعْنِيهِ الْخَاطِرَةُ.
فَوَا أَسْفَى عَلَى مَنْ لَا يَتَدَبَّرُ وَلَا يَتَفَكَّرُ، وَلَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ الْقِرَاءَةَ الْحَقَّةَ
وَالصَّحِيحَةَ! فَفِيهِ الْكُنُوزُ الَّتِي تُغْنِي حَيَاةَ وَعَقْلَ الْمُسْلِمِ، وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْقِلُونَ.

اسْتِنزَافُ الثَّرَوَاتِ

تَضَعُ الْأُمَمُ الْمُتَقَدِّمَةُ فِي رَأْسِ أَوْلِيَائِهَا مَشَارِيعَ الْبِنَاءِ وَالتَّنْمِيَةِ، وَتَوْفِيرَ الْمَرَافِقِ
وَالْخِدْمَاتِ، أَمَّا نَحْنُ فَتَنْجِزُ الْمَشَارِيعَ بِشَكْلِ ارْتِجَالِيٍّ، ثُمَّ مَا نَلَبْثُ أَنْ نَهْدِمَهَا بِهَدَفِ
إِنْشَاءِ الْبَنَى التَّحْتِيَّةِ، هَكَذَا تَرْتَفِعُ التَّكَالِيفُ أَكْثَرَ بِكَثِيرٍ مِّمَّا لَوْ تَمَّ تَنْفِيذُ الْبَنَى التَّحْتِيَّةِ
قَبْلَ الْقِيَامِ بِالْمَشَارِيعِ، وَهَذَا يُمَثِّلُ اسْتِنزَافًا لِلثَّرَوَاتِ، وَتَبْذِيرًا لِلْمَالِ الْعَامِّ، وَيُؤَدِّي إِلَى فَقْرِ
الدُّوَلِ مَهْمَا طَالَ الزَّمَانُ.

أَطْلَالُ الذِّكْرِيَّاتِ

وَاقِفٌ عَلَى انْكَسَارَاتِ نَفْسِهِ، يُبْلِلُ أَطْلَالَ الذِّكْرِيَّاتِ بِدُمُوعِ الْقُنُوطِ الَّذِي ارْتَسَمَ عَلَى مُحَيَّاهُ الْحَزِينِ، كَأَنَّهُ يَتَنَفَّسُ هَوَاءَ اللَّاجِدَوَى، وَيُزِيخِي جُفُونَهُ الذَّابِلَةَ عَلَى خُيُوطِ الْوَقْتِ. أَرْسَلَ لِلرَّيْحِ رِسَالَةً كَتَبَهَا بِنَبْضَاتِ قَلْبِهِ، رِسَالَةً لَا يَفُكُّ أَسْرَارَ كَلِمَاتِهَا إِلَّا هُوَ نَفْسُهُ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ الرِّيحَ عَجْمَاءٌ لَا تَمْلِكُ فَهْمًا إِلَّا لِمَا سُحِرَتْ لَهُ؛ لِذَا اسْتَوْدَعَهَا بَوَّاحَ نَبْضَاتِهِ، وَأَنِينَ عُمْرِهِ الْوَاهِي، وَهُوَ يَحْفِرُ فِي جَدِيبِ الْغُمُوضِ، وَيُؤَارِي جِرَاحَهُ خَلْفَ أَضْغَاثِ أَحْلَامِ ظَنِّهَا سَتَحْمِلُهُ يَوْمًا إِلَى جَنَاتِ الدُّنْيَا، كَانَ يُدَارِي حُزْنَهُ بِالضَّحِكِ قَبْلَ أَنْ تَقْتَلِعَهُ أَيَْادِي الْقَسْوَةِ مِنْ تُرْبَةِ أُمِّيَّاتِهِ الْوَارِفَةِ.

نَظَرَ إِلَى الزُّهُورِ الَّتِي غَرَسَهَا، وَقَدْ اسْتَقَامَ عُودُهَا، وَاسْتَوَتْ عَلَى سَيْقَانِهَا، وَأَوْرَقَ طَلْعُهَا نَبَاتًا مُخْتَلِفَ الْأَلْوَانِ.

كَانَ يَتَوَجَّسُّ مِنْ صَقِيعِ الْبِدَايَاتِ الْبَارِدَةِ، وَيَرْتَجِفُ مِنْ بَرْدِ النِّهَايَاتِ الْقَارِصَةِ، وَكَأَنَّ حَقِيقَةَ نَفْسِهِ تَتَجَسَّدُ فِي مِرَاةِ الدُّبُولِ، وَهُوَ لَا يَكَادُ يُلَوِي عَلَى أَمَلٍ أَضَاعَهُ فِي شَرْخِ الصَّبَا. أَمَّا الْمُسْتَقْبَلُ فَلَا يَرَى فِيهِ غَيْرَ السَّفَهِ وَالْخَدِيعَةِ وَالظُّلْمِ وَالْبُؤْسِ بِكُلِّ أَشْكَالِهِ، حِينَ يَتَرَفَّقُ الْكَذِبُ مَعَ النِّفَاقِ لِلْإِسْتِقْوَاءِ عَلَى بَرَاءَةِ الضُّعَافِ السَّاكِنِينَ فِي كَهُوفِ الْإِلْمِ، مِمَّنْ تَرَهَّقُهُمْ ذَلَّةُ أَنْوَاتِ الْكِبَرِيَاءِ، وَتَجْتَثُّ بَقَايَا النَّبْتِ الَّذِي تَقَاتَتْ بِهِ أَجْسَامُهُمْ، فَبَدَّوْا وَكَانَتْهُمْ أَعْجَازُ نَحْلِ خَاوِيَةٍ. كَانَ يَهْدِي وَتَتَلَعَّثُ الْكَلِمَاتُ فِي لِسَانِهِ وَهُوَ يَرْسُمُ عَلَى الْأَدِيمِ صُورًا كَالِحَةً لِبُؤْسِ الْبَشَرِ وَعَجْزِهِمْ عَنِ الْإِسْتِقَامَةِ.

الْأَبَدِيَّةُ وَالْخُلُودُ

أَزِيدُ عَلَى مَا فِي الْقَوَامِيسِ مِنْ تَرْجَمَةٍ وَشَرْحٍ لِكَلِمَةِ الْأَبَدِ وَالْخُلُودِ، فَلَا بُدَّ مَوْقُوتٍ بِالزَّمَانِ، وَالْخُلُودُ مَوْصُولٌ بِالذَّاتِ وَالْمَكَانِ، فَاللَّهُ أَبَدِيٌّ خَالِدُ الذَّاتِ، وَأَزَلِّيُّ يُبَدَى وَيُعِيدُ، وَلَا بَدَايَةَ لَهُ وَلَا نِهَايَةَ لَهُ، وَالْخَلْقُ أَبَدِيٌّ التَّكْوِينِ يَبْتَدِي وَيَنْتَهِي، فَلَا بُدَّ مَا أَبَدَ الدَّهْرُ، وَالْخُلُودُ لَيْسَ لَهُ نِهَايَةُ، يَقُولُ سُبْحَانَهُ: {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} ① وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ { [سُورَةُ التَّغَابُنِ، الْآيَتَانِ: 9 و10]، فَلَوْ لَمْ يَتَّصِلِ الْخُلُودُ بِالْأَبَدِيَّةِ لَمَا تَحَقَّقَتِ الدَّيْمُومَةُ؛ لِأَنَّ الْأَبَدِيَّةَ مُحَدَّدَةٌ بِالزَّمَانِ، وَالْخُلُودُ انْضَوَاءُ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ فِي مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ، تَقُولُ: «ارْزُقْنَا الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ أَبَدًا مَا أَحْيَيْنَا»، أَيْ إِلَى حِينٍ مَوْقُوتٍ بِالْحَيَاةِ وَالزَّمَانِ، وَتَقُولُ: «رَبِّ اجْعَلْنَا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا». فَالْخُلُودُ طَوَى الْأَبَدِيَّةِ فِي مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ لِانْعِدَامِ الزَّمَانِ وَالْوَقْتِ، فَلَا نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ أَبَدِيٌّ، بَلْ هُوَ الْخَالِدُ الدَّائِمُ الْمُسْتَمِرُّ الَّذِي يَتَّسِمُ بِالْأَزَلِّيَّةِ الْمُعْجَزَةِ، فَلَا بُدَّ تَطَلُّقٍ عَلَى الْمَخْلُوقِ مِنَ الْخَالِقِ، وَلَا أَرَى إِطْلَاقَهَا عَلَى الْخَالِقِ لِأَنَّهُ خَلَقَ الْأَبَدَ وَجَعَلَ الْخُلُودَ لِلْأَبَدِ بِأَمْرِهِ؛ فَالْمَخْلُوقُ زَائِلٌ، وَالْخَالِدُ بَاقٍ مُسْتَحِيلُ الزَّوَالِ وَالْعَدَمِيَّةِ وَالنِّهَايَةِ، وَالْمُتَحَقِّقُ بِالْخُلُودِ الْأَسْمَى بِالِدَّوَامِ وَالِاسْتِمْرَارِ لَيْسَ لَهُ بَدَايَةُ وَلَا نِهَايَةُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

مَنْ نَحْنُ؟

مَنْ نَحْنُ؟ لَا أَعْرِفُ. أَنْظُرُ إِلَيْكَ مِنْ خِلَالِ مَا بِالْعُيُونِ، وَتَنْظُرُ إِلَيَّ أَنْتَ أَيْضًا، مِنْ خِلَالِهِمَا تَسْمِينَا وَمَنْ هُمْ مِثْلُنَا بِالْإِنْسَانِ، لَنَا أَجْسَامٌ تَتَرَاوَحُ بَيْنَ الطُولِ وَالْقَصْرِ، وَبَيْنَ النَّحَافَةِ وَالسَّمْنَةِ وَالْإِمْتِلَاءِ، تَشْكُلُنَا بِأَشْكَالٍ وَفَوَارِقٍ وَالْوَانِ مَنْ يَرَى فِيْنَا الْجَمَالَ، وَمَنْ يَرَى فِيْنَا الْقُبْحَ، مَنْ يَرَى فِيْنَا الصَّحِيحَ، وَمَنْ يَرَى فِيْنَا الْعَلِيلَ، وَمَنْ يَرَى فِيْنَا الْبَيَاضَ، وَمَنْ يَرَى فِيْنَا السُّمْرَةَ، وَمَنْ يَرَى فِيْنَا السَّوَادَ.

لَنَا قُلُوبٌ شَتَّى، وَمُيُولٌ وَأَهْوَاءٌ وَنَحْلٌ وَمَذَاهِبٌ وَأَفْكَارٌ وَآرَاءٌ، لَا تَجْتَمِعُ وَلَا تَتَّحِدُ كُلُّ يَرَى مَا لَا يَرَاهُ الْآخَرُونَ فِي نَفْسِهِ، وَفِي مَعَاشِهِ، وَفِي اخْتِيَارَاتِهِ، آمَلْنَا أَكْبَرَ مِنْ أَحْجَامِنَا، بَلْ وَأَكْبَرَ مِنْ حَيَاتِنَا. نُرِيدُ مَا نَعِجُزُ عَنْ نَوَالِهِ، وَنَرْفُضُ مَا نُرْغِمُ عَلَى قَبُولِهِ، نُوَلِّدُ وَنَكْبِرُ وَنَهْرُمُ وَنَسِيخُ وَنَمُوتُ، نَفْرَحُ وَنَغْضِبُ وَنَتَأَلَمُ وَنَحْزَنُ وَنَبْكِي وَنَضْحَكُ، عُقْلَاءٌ فِي لَحْظَةٍ، مَجَانِينُ فِي لَحْظَةٍ أُخْرَى، تَتَمَلَّكُنَا الْقَسْوَةُ وَالطَّيْبَةُ وَاللَّيْنُ، فِي أَقَلِّ مِنْ لَحْظَاتٍ نَثَارُ نَسَامِحُ نَعْفُو نَصَالِحُ، نَتَكَابَرُ نَتَعَاطِظُ نَحْتَالُ، نَضْعُفُ نَتَوَسَّلُ نَرْجُو، نَكُونُ فُقَرَاءَ ثُمَّ أَغْنِيَاءَ، يُوجَدُ بَيْنَنَا كُرَمَاءٌ وَبُخْلَاءٌ وَمُقْتَرُونَ وَمُؤَثَّرُونَ الْغَيْرَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، نَدَّعِي مَلِكَ الْأَشْيَاءِ وَنَحْنُ مَمْلُوكُونَ مُفَارِقُونَ، كَمَا وُلِدْنَا عُرَاءَ نَعُودُ إِلَى الرُّمُوسِ عُرَاءَ، نَتَرَاوَجُ نَتَوَالِدُ نَتَكَاتَرُ، نُحِبُّ وَنُبْغِضُ، نَتَذَكَّرُ وَنَنْسَى، نَشْجَعُ وَنَجْبُنُ وَنَخَافُ، نَتَعَلَّمُ وَنَتَفَوَّقُ وَنَفْطِنُ وَنَجْهَلُ، نُبْدِعُ وَنَصْنَعُ وَنَعْمَلُ، نَكْسَلُ وَنَحْبِطُ وَنَيَاسُ، نَقْتُلُ وَنُقْتَلُ.

هَكَذَا نَحْنُ، بَلَا عُنْوَانٍ بَلَا قُدْرَةٍ بَلَا مَعْنَى، أَتَيْنَا لِنَذْهَبَ وَنَكُونُ أَشْيَاءَ مَنْسِيَّةً. لَا أَعْرِفُ مَنْ نَحْنُ؟ وَكَيْفَ نَحْنُ؟ وَلِمَاذَا نَحْنُ؟ وَهَلْ نَحْنُ؟ وَمَتَى نَحْنُ؟ وَأَيْنَ نَحْنُ؟ وَإِلَى أَيْنَ نَحْنُ؟ وَسَنُعَادِرُ وَنَرْتَحِلُ وَنَمُضِي.

فَإِذَا كُنْتَ تَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ مَنْ نَحْنُ، مِنْ خِلَالِ تِلْكَ الْإِخْتِلَافَاتِ، فَاجِبٌ غَيْرُ مُتَحَرِّصٍ وَلَا مُفْتَرِضٍ، بَلْ إِذَا اسْتَطَعْتَ أَنْ تَتَحَدَّثَ مَعَ رُوحِكَ إِنَّ هِيَ أَجَابَتُكَ، قَبْلَ أَنْ تَكُونَ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ، فَتَعْلَمَ مَا لَا تَعْلَمُهُ فِي الدُّنْيَا، فَتَكْشِفَ سِرَّ الْأَسْرَارِ وَعِلْمَ الْمَحْجُوبِ وَالْمُغْلَقِ، وَسَتَعْلَمُ بِإِرَادَةِ اللَّهِ بَعْدَ الرَّحْلَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ، مَنْ نَحْنُ! إِذَا تَدَبَّرْتَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: [لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ] [سُورَةُ ق، آيَةٌ 22].

نَهْنَسُ مِصْرَ بِعَوْدَةِ مِصْرَ

نَزَفُ التَّهْنَةِ إِلَى مِصْرَ بِعَوْدَتِهَا إِلَى عُرُوبَتِهَا وَإِسْلَامِيَّتِهَا بِرِئَاسَةِ الْمُشِيرِ عَبْدِ الْفَتَّاحِ السَّيْسِيِّ، بَعْدَ أَنْ كَادَتْ أَيْدِي الْمُتَطَرِّفِينَ تُلْقِي بِهَا إِلَى التَّهْلُكَةِ، وَهُوَ مَا تَوَقَّعْنَاهُ وَأَشْرَنَاهُ إِلَيْهِ فِي كِتَابَاتٍ سَابِقَةٍ، فَالْخِيَارُ كَانَ اخْتِيَارًا بَيْنَ الرَّئِيسَيْنِ، وَمُفَاضَلَةٍ بَيْنَ الضَّدَيْنِ، وَأَخْذًا بِأَفْضَلِ الْاِثْنَيْنِ.

وَقَدْ رَأَيْنَا وَسَمِعْنَا وَعِشْنَا مَخَاضًا عَسِيرًا مَعَ الْحُكْمِ الْإِخْوَانِيِّ الَّذِي يَقُومُ عَلَى التَّفْرِيقِ بَيْنَ أَبْنَاءِ الْأُمَّةِ الْوَاحِدَةِ، وَعَلَى تَفْضِيلِ حِزْبٍ مُعَيَّنٍ عَلَى شَعْبٍ بِأَسْرِهِ، كَيْ تَسْقُطَ مِصْرُ فِي أَيْدِي حِزْبٍ طَائِفِيٍّ لَا يَنْطَفِئُ أَوَارُهَا.

وَهَذَا الْوَضْعُ هُوَ مِنْ بَيْنِ أَهْدَافِ نَظَرِيَّةِ «الْفَوْضَى الْخَلَاقَةِ» الْأَمْرِيكِيَّةِ الصُّنْعِ، فَهِيَ خَلَاقَةُ لَأَمْرِيكَا، وَمُدْمَرَةٌ لَأَمْتِنَا الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ، وَكَمْ نَبْهَنَاهَا إِلَيْهَا الْحُكَّامُ وَالشُّعُوبُ، وَبَيَّنَّا مَدَى خُطُورَتِهَا عَلَى الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، مُنْذُ الْأَخْذِ بِفِكْرَةِ «الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ الْكَبِيرِ» الْأَمْرِيكِيَّةِ، وَصُولاَ إِلَى تَحْجِيمِ رُوسِيَا وَإِضْعَافِهَا عَبْرَ الْحَرْبِ الْبَارِدَةِ. فَلَأَمْرِيكَا مِنَ الْقُدْرَةِ مَا تَحُوكُ بِهِ خُطَطَ إِسْقَاطِ الدُّوَلِ، وَتَسْلِيْمِهَا لِلْأَشْخَاصِ الَّذِينَ تُرِيدُ، ثُمَّ لَا تَلْبَثُ الدُّوَلُ الْمُسْتَهْدَفَةُ أَنْ يَأْكُلَ بَعْضُهَا بَعْضًا، بَيْنَمَا الْأَمْرِيكِيُّونَ يَقْفُونَ كَالْحُكَّامِ فِي الْمُدْرَجَاتِ، وَصَافِرَةِ الْحُكْمِ فِي أَيْدِيهِمْ، فَهُمْ يُنْهَوْنَ الْمُبَارَايَاتِ مَتَى أَرَادُوا، وَحِينَ تَتَحَقَّقُ أَهْدَافُهُمْ.

لِذَا أَهْنَى الرَّئِيسَ عَبْدَ الْفَتَّاحِ السَّيْسِيِّ عَلَى فَوْزِ مِصْرَ، لَا فَوْزَهُ وَحْدَهُ، بِأَصْوَاتِ حُرَّةٍ وَنَزِيهَةٍ، وَلَوْ تَدَنَّتْ نِسْبَةُ الْمُشَارَكَةِ فِي الْإِنْتِخَابَاتِ؛ وَمِنْ قَبْلِ شَعْبٍ يَكَادُ يَتَجَاوَزُ التَّسْعِينَ مِائُونَ، وَهُوَ أَمْرٌ مَأْخُودٌ فِي حُسْبَانِ النَّابِهِينَ وَعُلَمَاءِ النَّفْسِ الْقَادِرِينَ عَلَى تَحْلِيلِ الْأَفْعَالِ وَرُدُّودِهَا الْمُقَابِلَةِ، لِشَعْبٍ فَقَدَ الثِّقَةَ فِي مَصِيرِهِ، بَعْدَ أَنْ تَظَاهَرَ بِكُلِّ قُوَّةٍ، وَتَوَحَّدَ عَلَى إِزَالَةِ الْفَسَادِ الَّذِي انْتَهَجَتْهُ بَعْضُ الْقِيَادَاتِ السَّابِقَةِ. وَحَسَنًا فَعَلَ الْمُشِيرُ السَّيْسِيُّ حِينَمَا قَطَعَ الطَّرِيقَ عَلَى أَمْرِيكَا وَحُلَفَائِهَا فِي تَنْفِيدِ بَقِيَّةِ نَظَرِيَّتِهَا «الْفَوْضَى الْخَلَاقَةِ»، وَاسْتِمْرَارِ مُسَلْسَلِ إِسْقَاطِ الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ وَتَدْمِيرِهَا بِيَدِ شُعُوبِهَا، مِنْ خِلَالِ إِجْهَاضِ ثَوَرَاتِ الرِّبْعِ الْعَرَبِيِّ وَمُصَادَرَتِهَا. إِنَّ التَّرْكِيْبَةَ النَّفْسِيَّةَ الْمَزَاجِيَّةَ لِلْكَثِيرِ مِنَ الْعُقُولِ الْعَرَبِيَّةِ تَرَى فِي الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ وَجْهًا مِنْ وُجُوهِ الْأَنَا الْمُفْرِطَةِ عَلَى اخْتِلَافِ رُؤَايَا وَقَرَارَاتِهَا. تِلْكَ هِيَ الْأَنَا

الْعَرَبِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ أَمْجَادَهَا فَرْدِيَّةً لَا جَمَاعِيَّةً، حَتَّى قَيَّضَ اللَّهُ لِأُمَّةِ الْعَرَبِ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَهُوَ النَّبِيُّ الْمُجْتَبَى مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ مَنْ جَاءَ بِالدِّينِ وَحْيًا سَمَاقِيًّا، لَا بِالنَّظَرِيَّةِ الْبَشَرِيَّةِ الْوَضْعِيَّةِ حَيْثُ كَانَتْ دَعْوَتُهُ خَالِصَةً لِلَّهِ، لَمْ يَبْتَغِ مِنْهَا عَرْضَ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا كَانَ يَرَى الْجَنَّةَ وَقَدْ أَرْزَلَتْ لِلْمُتَّقِينَ. إِنَّهُ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، النَّبِيُّ الَّذِي جَاءَ بِالْهُدَى وَنُورِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، وَهُوَ لَمْ يَأْتِ لِمَجْدٍ خَاصٍّ، بَلْ إِنَّهُ مَبْعُوثُ الْحَقِّ بِالْحَقِّ، وَهُوَ وَحْيٌ عَظِيمٌ شَرَعَ لِلنَّاسِ بِهَذَا الدِّينِ الْحَنِيفِ مَا رَضِيَهُ الْبَارِي سُبْحَانَهُ لِعِبَادِهِ، فَكَانَ الْمَجْدُ لِلْمُسْلِمِينَ، وَلَيْسَ لثَلَاثَةٍ مِنَ النَّاسِ. وَقَدْ حَقَّقَ مَا لَمْ يَتَحَقَّقْ لِلْعَرَبِ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ، حِينَمَا دَخَلَ الْإِسْلَامُ إِلَى قُلُوبِ النَّاسِ كَافَّةً، وَسَادَ الْمَعْمُورَةُ إِلَّا قَلِيلًا. ثُمَّ هَا نَحْنُ الْيَوْمَ وَرَثَاءُ الْهَزَائِمِ الْعَرَبِيَّةِ. فَكَيْفَ لَا يَقْبَلُ الشَّعْبُ الْمِصْرِيُّ بِالْمُشِيرِ السِّيَاسِيِّ مُخْلَصًا وَمُنْقَذًا مِنْ أَدْرَانِ الْفَسَادِ السِّيَاسِيِّ وَالْإِدَارِيِّ وَالْمَالِي الَّذِي أَنْهَكَ كَاهِلَ الْمَوَاطِنِ الْمِصْرِيِّ؟ لَذَا فَإِنَّ وُجُودَ الرَّئِيسِ السِّيَاسِيِّ فِي هَذَا الْوَقْتِ الْعَصِيبِ الَّذِي تَعِيشُهُ مِصْرُ، هُوَ الْأَمَلُ الَّذِي سَيُعِيدُ مِنْ جَدِيدٍ كِفَّةَ مِيزَانِ الْوَسْطِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَيَعُودُ بِمِصْرَ إِلَى مَوْقِعِهَا الرِّيَادِيِّ الْمَالُوفِ، كَيْ تَعِيدَ أَمْرِيكَ النِّظَرَ مِنْ جَدِيدٍ فِي سِيَاسَتِهَا تَجَاهَ الدُّوَلِ الْمُسْتَضْعَفَةِ، وَتَتَجَنَّبَ الْمَسَاسَ بِسِيَادَتِهَا، وَالتَّدْخُلَ فِي شُؤْنِهَا وَتُرُوتَاتِهَا، إِلَّا فِيمَا تَقْتَضِيهِ الْمَصَالِحُ الْأُمَمِيَّةُ وَفَقَ أَعْرَافُهَا وَقَوَانِينُهَا السَّائِدَةُ. وَعَلَى أَمْرِيكَ أَنْ تَوْقِفَ تَكْتَلَاتِهَا السِّيَاسِيَّةَ وَالْعَسْكَرِيَّةَ ضِدَّ الدُّوَلِ الضَّعِيفَةِ، بِهَدَفِ ابْتِزَازِهَا، وَنَهَبِ ثُرُوتَاتِهَا مِنْ خِلَالِ التَّخْوِيفِ وَالتَّهْدِيدِ تَارَةً، وَالْقُوَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ وَالتَّجْوِيعِ تَارَةً أُخْرَى. وَهَذِهِ هِيَ لُغَةُ الْقُوَّةِ الَّتِي يَنْتَهِجُهَا الْقَوِيُّ ضِدَّ الضَّعِيفِ.

رُبَّمَا يَأْتِي السِّيَاسِيُّ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الْأَوَائِلُ كَمَا قَالَ الْمَعْرِي، رَحِمَهُ اللَّهُ. إِنَّ مِصْرَ الْيَوْمِ هِيَ فِي عَهْدَةِ الرَّئِيسِ السِّيَاسِيِّ، وَهُوَ مَنْ وَافَقَ عَلَى حَمْلِ الْأَمَانَةِ الَّتِي حَمَلَهَا إِيَّاهَا شَعْبُ أَرْضِ الْكِنَانَةِ، وَقَدْ قَبِلَ بِهَا عَهْدًا وَمِيثَاقًا عَلَى الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ وَالْوَطَنِ. لَعَلَّنَا نَرَاهُ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ مُنْقَذًا لِمُكْتَسَبَاتِ مِصْرَ الْاِقْتِصَادِيَّةِ، لِيُعِيدَ إِلَيْهَا الرُّوحَ الَّتِي فَقَدَتْهَا، وَهُوَ مَا يَسْتَلْزِمُ وَضْعَ خُطَطٍ مُسْتَقْبَلِيَّةٍ تُعَزِّزُ السِّيَاحَةَ وَالْأَمْنَ وَالزَّرَاعَةَ وَالصَّنَاعَةَ فِي مِصْرَ، لَتَعُودَ الْقُلُوبُ إِلَى أَطْمِنَانِهَا، وَلِيَسُودَ الْعَدْلُ وَالْحَقُّ وَالسَّلَامُ عَلَى مِصْرَ حِينَ بُرُوعِ الشَّمْسِ وَحِينَ الْغُرُوبِ.

إِنَّا نُقَدِّمُ التَّهْنِئَةَ، وَنَدْعُو مِصْرَ وَشَعْبَهَا الْعَرِيقَ الْأَبْيَّ إِلَى تَجَاوُزِ مَا تَعَرَّضَ لَهُ طِيلَةَ الْفَتْرَةِ
السَّابِقَةِ. وَلِهَذَا الشَّعْبَ الْحَبِيبَ نَقُولُ: لَعَلَّهَا سَحَابَةٌ صَيْفٍ وَانْقَشَعَتْ، لِيَأْتِيَ بَعْدَهَا الْغَيْمُ
الَّذِي يَسْمَحُ بِمَطَرِ الْأَمَالِ، كَيْمَا تُخْصِبَ الْأَرْضُ مِنْ جَدِيدٍ، وَنَرَى مِصْرَ عَلَى ذُرَى الْمَجْدِ
مُحَقَّقَةً لِأَهْدَافِ أَوْبَاءِ شَعْبِهَا، الَّذِينَ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ آمِينَ.

أَطْفَالَنَا مَشَاعِلُ الْمُسْتَقْبَلِ

المُلاحَظُ أَنَّ انْتِمَاءَ الطِّفْلِ الْعَرَبِيِّ بِوَجْهِ عَامٍّ هُوَ انْتِمَاءُ أُمِّمِيٍّ، بِحَيْثُ لَمْ تَعُدْ تُمَثِّلُ الْعُرُوبَةَ عِنْدَهُ إِلَّا الْانْتِمَاءَ الْمُتَّصِلَ بِمَسْقَطِ الرَّأْسِ. وَتِلْكَ نَتِيجَةُ حَتْمِيَّةِ لِسَادَةِ الْحَضَارَةِ (الْأُورُو أَمْرِيكِيَّةِ) وَغَزْوِهَا الدَّاهِمِ الَّذِي يَبْدَأُ مِنْ خَيَالَاتِ الطُّفُولَةِ الَّتِي كَانَتْ، وَيَسْتَمِرُّ عَبْرَ الْعُقُولِ وَالْأَفْكَارِ، وَعَبْرَ تَقْنِيَّاتِ الْعَصْرِ الْمُعْجَزِ، بِمَا أَفْسَرُهُ بِالْانْفِصَامِ الصَّحِيِّ بَيْنَ الْمَنْظُورِ الْمَحْسُوسِ لِلْعَالَمِ وَبَيْنَ حَقِيقَةِ الْوُجُودِ الْبَعِيدِ. فَالْخَيَالُ الطُّفُولِيُّ لَا يَمُرُّ بِخَيَالٍ آخَرَ مُفَاجِئٍ لِيَتَحَوَّلَ إِلَى ثَقَافَاتِ الْعَالَمِ الْمُتَحَضِّرِ، إِلَّا بِوُجُودِ اسْتِعْدَادِ نَفْسِيَّ وَأَرْضِيَّةِ مُهَيَّاةٍ تَجْعَلُهُ مُنْفَصِّمًا فِي أَفْكَارِهِ وَسُلُوكِيَّاتِهِ. إِنَّ الطِّفْلَ الْعَرَبِيَّ يُولَدُ طِفْلًا، وَلَكِنْ بِمَدَارِكِ الْكِبَارِ (مَجَازًا) فِي الْاسْتِقْلَالِيَّةِ وَالتَّأَثُّرِ وَالتَّأَثِيرِ وَالْفَرَحِ وَالتَّذَمُّرِ وَالضِّيقِ وَالْهَمِّ. وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُصَارِعَ الْحَيَاةَ لِيَنْتَصِرَ عَلَيْهَا، لَا لِيَهْدَفَ مُعَيَّنٌ، بَلْ لِإِثْبَاتِ الذَّاتِ وَإِثَارَةِ الْإِنْتِبَاهِ. الْخُطُورَةُ تَكُونُ فِي طَلَبِ غَيْرِ الْمُمْكِنِ الَّذِي حِينَ يَكُونُ مُتَعَسِّرَ التَّحْقِيقِ يُصْبِحُ صَادِمًا لِلنَّفْسِ (الطُّفُولَةِ) الَّتِي تَسْعَى إِلَى تَلْبِيَةِ الْغَرَائِزِ الْحَيَوِيَّةِ الْفِطْرِيَّةِ مِنْ جِهَةٍ، وَتَتَوَقَّ إِلَى تَجَاوُزِ نَفْسِهَا وَالتَّمَاهِي مَعَ الْكِبَارِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى.

وَنَحْنُ نَجْزِمُ أَنَّ الْانْفِصَامَ الصَّحِيَّ لِلطِّفْلِ الْعَرَبِيِّ لَيْسَ مُجَرَّدَ ادِّعَاءٍ مَزْعُومٍ، بَلْ هُوَ رُؤْيَا لَا تَخْفَى عَلَى كُلِّ ذِي لُبٍّ وَبَصِيرَةٍ، حِينَمَا نَنْظُرُ إِلَى مَاضٍ غَيْرِ بَعِيدٍ، وَحَاضِرٍ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ. مَاضٍ كَانَ الطِّفْلُ فِيهِ يَتَفَاعَلُ مَعَ الْمُؤَرُوثِ وَالْعُرْفِ وَالتَّقَالِيدِ وَالْقِيَمِ الْمُتَوَاتِرَةِ عَبْرَ الْعُصُورِ، وَهُوَ عَلَى سَابِقِ عَهْدِهِ يَعِيشُ مَعَ خَيَالَاتِ ذَاتِيَّةٍ وَأَحْلَامٍ وَرَدِيَّةٍ، ثُمَّ يَغْلُبُ عَلَيْهِ التُّعَاسُ، وَيَنَامُ لِيَصْحُوَ عَلَى رُوتَيْنِ يَشُوبُهُ الْمَلَلُ، فَيَقْطَعُهُ مَرَّةً بِاللَّعِبِ وَأُخْرَى بِالسَّغَبِ مَعَ أَتْرَابِهِ، ثُمَّ هَا هُوَ الْيَوْمَ يَتَفَاعَلُ مَعَ التَّقْنِيَّةِ وَالْحَضَارَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ وَالْغَرْبِيَّةِ وَفَقْ مُعْطَيَاتِهَا الْعِلْمِيَّةِ بِكُلِّ جِدَّةٍ وَمَهَارَةٍ، فَنَرَى أَنَّ إِزَاءَ طِفْلٍ يُسَافِرُ إِلَى عَوَالِمِ الْحَيَاةِ بِضَغْطَةِ زَرٍّ. فَكَيْفَ سَيَتِمُّ التَّعَامُلُ مَعَ الطِّفْلِ الْعَرَبِيِّ فِي تَقَبُّلِ «الْانْفِصَامِ الصَّحِيِّ» وَتَرْشِيدِ أَعْمَالِهِ فِي اسْتِقْبَالِ الْوَاقِعِ بِقَنَاعَةٍ وَرِضًا؟ إِنَّ أَطْفَالَ الْيَوْمِ مِنَ الْجِنْسَيْنِ يُرِيدُونَ فَرَضَ رُجُولَةٍ مُبَكَّرَةٍ أَوْ أُنُوثَةٍ مُبَكَّرَةٍ؛ لِيَشْعُرُوا بِأَنَّهُمْ لَا يَقْلُونَ عَنْ أَهْلِيَّةِ الْكِبَارِ فِي السَّنِّ. لِذَا حِينَ يَنْزِلُ كِبَارُ السَّنِّ مِنْ أَمْثَالِنَا إِلَى مُسْتَوَى تَفْكِيرِ الْأَطْفَالِ لِيَرْتَفِعَ بِهِمْ وَمَعَهُمْ إِلَى حَالَةٍ تَنَاعُمٍ فِكْرِيٍّ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَقْلُلُ مِنْ قَدْرِ الْكِبَارِ، بَلْ يُسَهِّمُ فِي إِزَالَةِ الْجَفَوَةِ بَيْنَ جِيلَيْنِ

مُتَعَصِرَيْن، وَيُبْعِدُ نَزْعَةَ الْإِرْتِمَاءِ فِي أَحْضَانِ الثَّقَافَةِ (الْأُورُو أَمْرِيكِيَّة) الْمُتَبَتَّة عَنْ وَاقِعِنَا التُّرَاثِيَّ وَالْعَقَائِدِيَّ. وَتِلْكَ بِالطَّبَعِ أُمُّ الْكَوَارِثِ، لِأَنَّهَا تَقْطَعُ جُدُورَ التَّوَاصُلِ بَيْنَ أَبْنَاءِ الْأُمَّةِ الْوَاحِدَةِ، وَتَدْفَعُ إِلَى الْإِرْتِمَاءِ فِي حِضْنِ الرَّذِيلَةِ أَوْ التَّطَرُّفِ الْإِرْهَابِيِّ؛ لِأَنَّ الْإِنْقِلَابَ الثَّقَافِيَّ الْعَالَمِيَّ وَتَطَوُّرَ التَّكْنُولُوجِيَا الْمُدْهَلِ، لَمْ يَتْرُكَا صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا وَحَوْلَاهَا إِلَى حَقِيقَةِ مَلْمُوسَةٍ وَمَسْمُوعَةٍ وَمَنْظُورَةٍ وَمَحْسُوسَةٍ. وَقَدْ سَرَتْ عُلُومُ الْعَصْرِ وَتَقْنِيَاتُهُ فِي الدِّمَاءِ، بِشَكْلِ بَضْعُبِ فَضْلِهِ عَنْ كُرَيَاتِ الدَّمِ الْعَرَبِيِّ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ؛ لِذَا نَحْنُ نَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ أَسْلُوبُ التَّخَاطُبِ مَعَ الطُّفُولَةِ خَالِيًا مِنَ الْحِدَّةِ وَلُغَةِ الْأَمْرِ وَالزَّجْرِ، وَبَاعِثًا عَلَى غَرَسِ الثِّقَةِ فِي نَفْسِ الطِّفْلِ، حِينَ نَتَعَامَلُ مَعَهُ بِاحْتِرَامٍ وَتَفَهُّمٍ، بَعِيدًا عَنِ السُّخْرِيَةِ وَالتَّهْكِيمِ عَلَيْهِ، أَوْ التَّقْلِيلِ مِنْ شَأْنِهِ. وَعَلَيْنَا أَنْ نَحْرِصَ عَلَى مُتَابَعَةٍ وَمُرَاقَبَةٍ السُّلُوكِيَّاتِ الطُّفُولِيَّةِ، عَلَى نَحْوِ تَرْبُويٍّ يَتَسَمُّ بِالْقَبُولِ وَالرَّفْضِ وَالْإِقْنَاعِ، وَمُحَاوَلَةٍ غَرَسِ الْإِبْتِسَامَةِ فِي الْوُجُوهِ، وَتَقْدِيمِ رَسَائِلِ الْفَهْمِ وَالْإِفْهَامِ مِنْ خِلَالِ فِكْرِ بَيْنِي وَلَا يَهْدُمُ، وَيَسْعَى إِلَى تَنْمِيَةِ الْقُدْرَاتِ وَالْمَوَاهِبِ وَالْإِبْدَاعَاتِ الْخَلَاقَةِ، فَالطُّفُلُ هُوَ الْغُرْسَةُ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تُسْقَى بِمَاءِ طَهُورٍ ذِي صِلَةٍ وَثِيقَةٍ بِتَرَاثِنَا وَقِيمِنَا الْأَصِيلَةِ، وَبِثَوَابِ الْعَقِيدَةِ الَّتِي لَا تَقْبَلُ الْمَسَاسَ بِهَا. فَنَحْنُ - الْأَبَاءُ وَالْأُمَهَاتُ - مَنْ يَتَعَهَّدُ بِرَاءَةِ الطِّفْلِ وَصَفَاءِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ يَأْتِي دَوْرُ الْمُدْرَسِ وَالْمُدْرَسَةِ فِي اسْتِكْمَالِ بِنَاءِ الشَّخْصِيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ لَهُ، وَعَلَيْنَا أَلَّا نَسْتَهِينِ بِالذُّوْرِ الْخَطِيرِ لِلْمُرَبِّينَ وَالْمُدْرَسِينَ، الَّذِينَ قَدْ يَتَجَاوَزُونَ كُلَّ الْمَحَاضِيرِ بِتَصَرُّفَاتٍ غَيْرِ مَسْئُولَةٍ تَتْرُكُ آثَارًا وَخِيَمَةً عَلَى نَفْسِيَّاتِ النَّاشِئَةِ، فَضْلًا عَنِ الْمَنَهِجِ الدِّرَاسِيِّ الَّتِي انْسَدَلَتْ فَوْقَهَا خُيُوطُ الْقَدَمِ مِنْ دُونِ أَيِّ تَحْدِيثٍ، وَبِالرَّغْمِ مِمَّا طَرَأَ عَلَى التَّعْلِيمِ فِي كَافَّةِ مَرَاكِحِهِ مِنْ نَظَرِيَّاتٍ حَدِيثَةٍ أَثَرَتْ الْمَنَهِجَ التَّرْبُويَّةَ، إِلَّا أَنَّنَا لَا نَزَالُ نَحْتَاجُ إِلَى نَقْلَةٍ تَصْحِيحِيَّةٍ وَمُرَاجَعَةٍ لِلْمَنَهِجِ لِمَوَاقِبَةِ وَسَائِلِ وَطُرُقِ التَّعْلِيمِ الْمُتَطَوِّرَةِ فِي الْعَالَمِ الْمُتَقَدِّمِ، وَذَلِكَ بِمَا لَا يَتَعَارَضُ مَعَ الثَّوَابِتِ الدِّينِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ. لَقَدْ آتَى الْأَوَانُ لِلخُرُوجِ بِالطِّفْلِ الْعَرَبِيِّ مِنْ وَهْدَةِ الْخَوْفِ وَالتَّرَدُّدِ وَاللُّومِ فِي اتِّجَاهِ الثِّقَةِ بِالنَّفْسِ وَالْإِعْتِمَادِ عَلَيْهَا، لِأَنَّ أَطْفَالَنَا هُمْ مَشَاعِلُ الْمُسْتَقْبَلِ، وَمَنَارَاتُ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ وَالْعَالَمِيِّ.

حَزِينُ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ

أَقِفْ عَلَى شُرَفَاتِ الْوَقْتِ وَاتَّنَفَسْ هَوَاءَ حُزْنِي الْعَمِيقِ، وَحَوْلَ جِدَارِ صَمْتِي أَسْمَعْ تَمَتَّاتِ أَصْدَاءِ تَهْمِسُ إِلَى بَعْضِهَا: لِمَاذَا هُوَ مُوْغِلٌ فِي حُزْنِهِ وَكَأَنَّهُ مَا عَرَفَ الْفَرَحَ قَطُّ؟ لَكُمْ نَزَاهُ يَعْتَزِلُ النَّاسَ فِي كَهْفٍ وَحْدَتِهِ، وَلَا يُرِيدُ أَنْ يُفَارِقَ الظُّرُوفَ الْمُؤَلِّمَةَ. وَالْبَعْضُ يَهْمِسُونَ وَيَتَمَتُّونَ وَيَنْظُرُونَ إِلَى تَرْفِي بِأَطْرَافِ عُيُونٍ نَاقِدَةٍ، سَاحِرَةٍ وَنَاقِمَةٍ، وَيَسْأَلُونَ: أَلِمِثْلِي تَخْلُقُ الْأَحْزَانَ، وَيَرْتَسِمُ عَلَى مُحَيَّايِ الضِّيقِ وَالضَّجَرِ؟ هُمْ كَذَلِكَ يَتَصَوَّرُونَ وَيَتَحَيَّلُونَ وَيُفَلْسِفُونَ وَجْدِي وَالْمِي بِالْوَهْمِ وَالْإِدْعَاءِ وَالزَّيْفِ، لِأَنَّهُمْ فِي تَحَرُّصَاتِهِمْ يَهِيمُونَ غَيْرَ نَاطِرِينَ إِلَى حَقَائِقِ الضُّغُوطِ الَّتِي لَا يَسْتَشْعِرُهَا إِلَّا ذُو الْأَحَاسِيْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْمُرْهَفَةِ.

نَعَمْ أَنَا حَزِينٌ إِلَى حَدِّ الْوَجَعِ الدَّامِي، وَسَأَكُونُ صَادِقًا مَعَ أَحْزَانِي حِينَ أَرَى هَذِهِ الدَّمَاءَ وَقَدْ تَنَاطَرَتْ هُنَا وَهُنَاكَ، مُخَلَّفَةً بَرَكَاءَ وَمُسْتَنْفَعَاتٍ مِنْ نَزْفِ الْقَتْلِ عَلَى أَدِيمِ الْأَرْضِ. إِنَّ الدُّوَلَ الْكُبْرَى تَتَفَنَّنُ فِي صُنْعِ آلَةِ الْحَرْبِ وَالْقَتْلِ وَالِدَّمَارِ، ثُمَّ يَسْأَلُونَ عَنِ الْحُزْنِ فِي نَفْسِي وَسَبَبِ اعْتِرَالِي النَّاسَ وَالزَّمَانَ.

فَبِأَيِّ فَرَحَةٍ أَلْتَقِيهِمْ، وَأَيِّ بَسْمَةٍ وَأَيِّ بَهْجَةٍ؟ أَيُّهَا السَّادِرُونَ الْعَاكِفُونَ عَلَى اخْتِلَاقِ مَعَاذِيرِ الصَّبْرِ، أَنْتُمْ لَا تُدْرِكُونَ مَا فِي الْغَدِ الْقَرِيبِ، لَذَا فَإِنَّكُمْ تَحْلُمُونَ بِجَمِيلِ الْآتِي، وَالْآتِي يَلُوحُ بِدُورِ شُومٍ عَظِيمٍ، وَقَدْ تَعَبْتُ حَتَّى تَمْلِكَنِي الْهَمُّ وَالشَّفَقَةُ عَلَى مَصِيرِ الْإِنْسَانِ الْقَاتِمِ الْمُحْلُولِكِ السَّوَادِ، وَأَنَا أَدْعُو إِلَى سَلَامِ النَّفْسِ وَسَلَامَتِهَا، وَهَيْهَاتَ أَنْ يَكُونَ مَا أَتَمَنَّى.

وَعِنْدَمَا أَيْقَنْتُ أَنْ لَا فَائِدَةَ مِنْ تَعَالِيمِ الرُّسُلِ وَمَحَاذِيرِ الْحُكَمَاءِ وَالْعَبَاقِرَةِ وَالشُّعْرَاءِ وَالْأَدْبَاءِ أَدْرَكْتُ أَنَّ التَّشْرِيعَ السَّمَائِيَّ أَكْبَرُ وَأَقْوَى مِنْ آمَالِ الْبُسْطَاءِ وَالطَّيِّبِينَ وَمُحِبِّي الْخَيْرِ، حِينَ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {وَقُلْنَا أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ} [سُورَةُ الْبَقَرَةِ، آيَةُ: 36].

وَهُنَا تُفِيدُ الْآيَةُ التَّعْمِيمَ لَا التَّخْصِصَ، وَإِلَّا لَكَانَ الْأَمْرُ الْإِلَهِيُّ يُخَاطَبُ الْمُثْنَى وَحْدَهُ عَبْرَ أَبِيْنَا آدَمَ وَأُمَّنَا حَوَاءَ، لَذَا لَا تَسْأَلُوا عَنْ حُزْنِي، إِذَا كَانَتْ الْعَدَاوَةُ شَرِيعَةً لِلْبَشَرِ، لِأَنِّي

لَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَدُوًّا لِأَحَدٍ وَلَا قَاتِلًا لِأَحَدٍ، بَلْ أُرِيدُ أَنْ أَلْمَمَ نَفْسِي وَأَعْتَزَلَ الزَّمَانَ
وَالْمَكَانَ، وَأَنْسَى مَنْ أَنَا وَمَنْ أَنْتُمْ، فَلَا تَلُومُونِي وَلَا تَعْدِلُونِي، دَعُونِي فِي عَزْلَتِي الْكَامِلَةِ،
وَعِيشُوا عَدَاوَاتِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ، حَتَّى يَحِينَ الزَّوَالُ الْكُلِّيُّ لِلْأَرْضِ.
مَعَ تَحِيَّاتِ: إِنْسَانٍ بِلا اسْمٍ وَلَا هُوِيَّةٍ وَلَا زَمَانٍ وَلَا مَكَانٍ، وَلَا يَدْرِي مَنْ هُوَ.

اليَمَنُ: الدَّرْبُ وَالتَّوَقُّعَاتُ

الْحَرْبُ الَّتِي تَجْرِي فِي الْيَمَنِ هِيَ حَرْبٌ قَاصِمَةٌ لِلظُّهْرِ، وَهِيَ تَرْمِي بِشَرِّهَا، وَتَتَأَجَّحُ مِنْهَا نِيرَانٌ لَا تُبْقِي وَلَا تَذُرُ، هِيَ الَّتِي سَوْفَ تَأْكُلُ الْأَخْضَرَ وَالْيَابِسَ، لَيْسَ فِي مُحِيطِ الْيَمَنِ فَقْطٌ وَإِنَّمَا سَيْطَالٌ أَوَارَهَا دَوْلُ الْمِنْطَقَةِ، بَدْءًا مِنْ دَوْلِ الْجَوَارِ. وَكُنَّا قَدْ أَسْلَفْنَا الْقَوْلَ مَرَّارًا بِأَنَّ دَوْلَ مِْنْطَقَةِ الْخَلِيجِ يَجِبُ أَنْ تَحْتَوِيَ ذَلِكَ الْمَارِدَ الَّذِي يَتَصَوَّرُ جَوْعًا، وَأَنْ يُسْكِنُوا جَوْعَهُ، وَيَلْمُوا شَعَثَهُ، وَيُدَاوُوا أَلَمَهُ؛ كَيْ لَا يُضْهِجَ دَاءٌ غَضَالًا مُعْدِيًا يَفْتِكُ بِالْمِنْطَقَةِ وَيَمْنُ حَوْلَهَا. إِنَّ الْفَاقَةَ وَالْعَوَرَ يَزْرَعَانِ فِي الْإِنْسَانِ شُعُورًا بِالْقَهْرِ وَالْغَضَبِ وَالرَّغْبَةِ فِي الْإِنْتِقَامِ مِنَ الْآخِرِينَ وَبِخَاصَّةِ الْمُنْعَمُونَ مِنْهُمْ، إِذْ لَيْسَ لَدَيْهِ مَا يَخْسِرُهُ وَهُوَ يَرْمِي مَا مُحِيطٌ بِهِ مِنَ الدَّوْلِ، يُفَجِّرُ طَاقَاتِ الْحِفْدِ قَنَابِلَ لَنْ يَسْلَمَ مِنْ نَارِهَا أَحَدٌ. وَالْيَوْمَ بَاتَ الْحُوْثِيُّونَ رَقْمًا صَعْبًا فِي الْقَضِيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ، خُصُوصًا أَنَّهُمْ وَجَدُوا الْمُعِينَ وَالسَّنَدَ الَّذِي يُعَدِّقُ عَلَيْهِمُ بِالسَّلَاحِ وَالْغَذَاءِ وَالْمُكَافَأَاتِ وَالْإِعْرَاضَاتِ الْمَالِيَّةِ، وَالْعَرَبُ فِي غَفْلَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ. لَقَدْ خَسِرَ الْعَرَبُ الْيَمَنَ، وَهُمْ غَافِلُونَ عَمَّا يُحَاكُ لَهُمْ مِنْ خُطَطٍ تَدْمِيرِيَّةٍ لِبِلَادِهِمْ وَشُعُوبِهِمْ، بَلْ إِنَّ الْأَسْوَأَ قَادِمٌ لِيَهْلِكَ الْحَرْثُ وَالنَّسْلُ، فَإِذَا لَمْ تُقَدِّمَ مَا قَدِّمْتَ لِأَجْلِ سَوَادِ عِيُونِ الْيَمَنِ، بَلْ إِنَّ دَوَائِفَهَا أَكْبَرُ مِمَّا يَعْتَقِدُ الْبَعْضُ، أَنْ تُحَقِّقَ أَكْبَرَ أَهْدَافِهَا الْبَغِيضَةِ، أَيْ تَحْقِيقَ نَظَرِيَّتِهَا الَّتِي تُعْرَفُ بِـ «الْمُثَلَّثِ الشَّيْعِيِّ»، وَهَذَا تَكُونُ قَدْ طَوَّقَتْ كَامِلَ الْمِنْطَقَةِ الْعَرَبِيَّةِ، ابْتِدَاءً مِنَ الْعِرَاقِ وَسُورِيَا إِلَى الْيَمَنِ. وَمَعْرُوفٌ عَنْ رِجَالِ الْيَمَنِ أَنَّهُمْ رِجَالُ حَرْبٍ مُنْذُ سَالِفِ التَّارِيخِ، فَالْمَوْتُ لَدَيْهِمْ وَالْحَيَاةُ سِيَّانٌ، لِذَا فَإِنَّ الْمَشْكِلةَ الْيَمَنِيَّةَ سَتَكُونُ هِيَ أُمُّ الْمَشَاكِلِ الَّتِي لَمْ تَدْخُلْ فِي حِسَابَاتِ السَّاسَةِ الْعَرَبِ الَّذِينَ أَغْفَلُوا عَنْ دَوَائِرِ اهْتِمَامَاتِهِمْ الْإِقْلِيمِيَّةِ، وَهِيَ لَمْ تَنْشَأْ فِي غَيْبَةِ الْمَشِيئَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ وَالْأُورَبِيَّةِ، وَإِنَّمَا هِيَ وَاحِدَةٌ مِنْ ضَمَنِ تَكْتِيكَاتِ النَّظَرِيَّةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ «الْفَوْضَى الْخَلَاقَةِ».

وَمُصِيبَتُنَا فِي عَالَمِنَا الْعَرَبِيِّ أَنَّ الْفِكْرَ السِّيَاسِيَّ غَائِبٌ وَمَعْطَلٌ، وَالْقَرَارَاتِ الْمَصِيرِيَّةَ بَعِيدَةٌ عَنْ مُتَنَاوَلِ الشُّعُوبِ وَرِجَالِ الْفِكْرِ وَالثَّقَافَةِ وَالْوَعْيِ، وَكَأَنَّ الْأَوْطَانَ تَتَمَثَّلُ بِمَجْمُوعَةٍ قَلِيلَةٍ وَمُتَحَكِّمَةٍ. وَغَالِبًا مَا يَتِمُّ فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ تَهْمِيشُ الْمُخْلِصِينَ مِنْ أَبْنَاءِ الْوَطَنِ الَّذِينَ هُمْ أَكْثَرُ حَاجَةٍ إِلَى الْحِفَاطِ عَلَيْهِ وَاسْتِقْرَارِهِ وَأَمْنِهِ، وَالطَّامَّةُ الْكُبْرَى تَتَمَثَّلُ فِي اسْتِيرَادِ الْأَفْكَارِ وَالْخُطَطِ مِنَ الْخَارِجِ الَّذِي لَا يَسْرُهُ إِلَّا الْإِيقَاعُ بِأَمَّتِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ،

وَبَثُّ الْفُرْقَةِ وَدَوَاعِي الْعَدَاوَةِ بَيْنَ شُعُوبِهَا. إِنَّ الْفُرْقَةَ هِيَ مَا يَعْمَلُ وَيَسْعَى إِلَيْهِ الْعَدُوُّ، وَقَدْ نَجَحَ فِي ذَلِكَ، وَهُوَ يَبْتَرُّ وَيَسَاوِمُ بِحُجَّةِ الْحِفَاطِ عَلَى أَمْنِنَا الْمَوْهُومِ، إِلَى أَنْ تَضْعَفَ مَوَارِدُ الدَّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ الْعَنِيةِ فَيُشِيخِ الْعَدُوُّ النَّظَرَ عَنْهَا، وَقَدْ أَشْعَلُوا نِيرَانَ الْفِتَنِ وَالْحُرُوبِ الْكَارِثِيَّةِ، وَلَوْ نَظَرَ الْعَاقِلُ إِلَى نَبْضِ الْأَحْدَاثِ الْجَارِيَةِ مُنْذُ حَرْبِ الْخَلِيجِ إِلَى الْيَوْمِ، لَعَرَفَ أَنَّ اللَّاعِبَ الْأَسَاسِيَّ فِيهَا هُوَ أَمْرِيكَا وَأُورُبَّا، لِأَنَّ أُمَّتَنَا الْعَرَبِيَّةَ عَاشَتْ فِي التَّيِّهِ لِأَكْثَرِ مِنْ قُرُونٍ، وَهِيَ تَقْنَتُ أَوْهَامَهَا، وَتُغْرِي بِمَوَارِدِهَا، وَتَكْنِزُ الْأَمْوَالَ، وَلَا تَعْرِفُ أَنَّهَا تَكْنِزُهَا لِغَيْرِهَا مِنَ الَّذِينَ يُسَاوِمُونَ عَلَى «أَمَّا وَأَمَّا»، وَهُمْ فِي ضَعْفِهِمْ هَذَا مُحَقَّقُونَ فِي الْإِلْتِجَاءِ إِلَى عَدُوِّهِمْ وَتَمْلِكِهِ أَمْرَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ سِوَى أَنْ يَسْتَمِرُّوا فِي مَرَكَزِهِمْ، وَلَكِنْ هَلْ عَلِمُوا إِلَى مَتَى؟ إِنَّ الْمُسْكَلَةَ الْيَمْنِيَّةَ، وَهِيَ تَطْلُ بِرُؤُوسِ شَيَاطِينِهَا الْفَارَسِيَّةِ وَفُرُوعِهَا مِنَ الْحُوْثِيِّينَ، آخِذَةً فِي الْإِسْتِعَارِ لَا مَحَالَةَ، وَإِنَّ امْتِدَادَهَا فِي مُحِيطِهَا الْإِقْلِيمِيِّ سَوْفَ يُؤَثِّرُ تَأْثِيرًا بَالِغًا فِي مُسْتَقْبَلِ الْمِنْطَقَةِ بِرُمَّتِهِ، فَهَلْ مِنْ مَخْرَجٍ مُشْرِفٍ لِهَذِهِ الْأَزْمَةِ؟ نَعَمْ، اسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْخَلَاصَ، وَلَكِنْ بِعُقُولٍ مَفْتُوحَةٍ، وَنُفُوسٍ تَتَّقُ فِي الْمُخْلِصِينَ مِنْ أُنْبَاءِ الْأُمَّةِ الْعَاقِلَةِ، بَعِيدًا عَنِ الْأَنَا، وَتَرْفَعُ الْقِلَّةَ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الْمَجْمُوعِ. فَمَنْ يَنْصُرُ الْأَوْطَانَ وَيَحْمِيهَا وَيَفْتَدِيهَا غَيْرَ أُنْبَائِهَا؟ فَهَلْ مِنْ مَدِّكَرٍ؟

حَتَّى لَا تَعْمَى الْبَصَائِرُ

إِنِّي أَحْتَرِمُ الَّذِي يَكْتُبُ سَطْرًا مُفِيدًا مِنْ بَنَاتِ أَفْكَارِهِ، لَا مَنْ يَنْقُلُ وَيَنْسُبُ إِلَى نَفْسِهِ أَفْكَارَ الْآخَرِينَ، فَذَلِكَ السَّطْرُ الْفَكْرِيُّ هُوَ الْمُجَرَّمُ قَانُونًا وَادِّبًا وَعِلْمًا. وَإِنِّي أَعْلَمُ عِلْمَ الْبَقِيَّةِ أَنَّ الْكَثِيرِينَ يَزْتَكِبُونَ هَذَا الْعَمَلَ الْمَشِينِ، وَيَبْرُرُونَهُ لِأَنفُسِهِمْ بِحُجَّةٍ أَنَّ الْغَيْرَ يَفْعَلُ الشَّيْءَ نَفْسَهُ، فَلَا ضَيْرَ مِنْ أَنْ يَسْرِقُوا وَيُظْهِرُوا أَمَامَ حُذَاقِ الْأَدَبِ وَالْعِلْمِ وَالْفَلَسَفَةِ وَالشَّعْرِ، وَأَمَامَ النِّسَاءِ الْمُعْجَبَاتِ، بِمَظْهَرِ الْمُبْدِعِينَ وَالْمُفَكِّرِينَ، وَهُوَ مَا يُشْكَلُ مَدْخَلًا لِلتَّعَارُفِ وَالصَّدَاقَاتِ، وَإِنَّهَا وَاللَّهِ لَمَذْمُومَةٌ وَعَارٌ، لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ. إِنَّ مَنْ يَقْرَأَ هَذِهِ السُّطُورَ الْآنَ سَيَخْجَلُ مِنْ نَفْسِهِ، وَلَكِنَّهُ بِجَهْلِهِ سَيَسْتَمِرُّ وَيُكَابِرُ، فَهُوَ إِمَّا كَالطِّفْلِ فَاقْدُ لِلْأَهْلِيَّةِ، أَوْ كَالْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ، أَوْ كَالْمَخْمُورِ حَتَّى يُفِيْقَ. وَأَعْلَمُ أَنَّ هُنَاكَ مِنْ أَصْحَابِ الْعُقُولِ الْعَاقِلَةِ مَنْ يُؤَيِّدُنِي وَيَشُدُّ عَلَى يَدِي؛ لِأَنَّهُ يَرَى أَنَّ دَافِعِي أَكْبَرُ وَأَكْرَمُ مِنَ الْإِسْتِهَانَةِ بِعَقْلِ أَيِّ إِنْسَانٍ، وَلَكِنْ لَتَحْفِيزِهِ وَتَشْجِيعِهِ عَلَى أَنْ يَكْتُبَ فِكْرَهُ هُوَ لَا فِكْرَ سِوَاهُ، فَهُوَ لَا يَعْلَمُ أَنَّ هُنَاكَ خُصُوصِيَّةً وَهَبَهَا اللَّهُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ، يَخْتَلِفُ بِهَا عَنِ الْآخَرِينَ. فَقَطِّ ثِقَ بِفِكْرِكَ، وَاكْتُبْ مَا يَرُوقُ لَكَ بِالْمَنْطِقِ وَالْمَعْقُولِ، وَسَتَجِدُ أَنَّ لَكَ مَا يُوجِبُ الْإِهْتِمَامَ وَالتَّقْدِيرَ، وَإِذَا أَحْبَبْتَ أَنْ تَنْقُلَ لِلْفَائِدَةِ فَعَلَيْكَ الْإِشَارَةُ إِلَى الْمَصْدَرِ، لِتَكُونَ صَادِقًا وَشَرِيفًا وَنَزِيهًا، وَاللَّهُ يُنَوِّرُ الْبَصَائِرَ حَتَّى لَا تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ.

لَا نَامَتْ أَعْيُنُ الْجَبَنَاءِ

الْأَجْيَالُ الْعَرَبِيَّةُ الْمَعَاصِرَةُ تُبَدِّلُ الْقِيَمَ الْأَخْلَاقِيَّةَ الْمَوْرُوثَةَ بِالْقِيَمِ الْأَمْرِيكِيَّةِ وَالْأَوْرُبِيَّةِ،
حَتَّى فِي الشَّكْلِ وَالْكَلامِ وَالزِّيِّ وَالْأُسْلُوبِ، لَتَكْتَمِلَ فُصُولُ التَّبَعِيَّةِ وَالْعُبُودِيَّةِ تَحْتَ مِظْلَةٍ
الْإِعْرَاءَاتِ الْمُتَعَدِّدَةِ، وَالنَّظَرِيَّةِ الْأَخِيرَةِ هِيَ قَتَلْنَا بِأَيْدِي بَعْضِنَا الْبَعْضَ.

وَالْمُضْحِكُ الْمُبْكِي أَنَّ الدُّوَلَ الْكُبْرَى تَقْدِّمُ لَنَا السَّلَاحَ الْفَتَّاكَ كَهَدَايَا مَدْفُوعَةِ الثَّمَنِ،
وَتُنْشِئُ الْمُنْظَمَاتِ الْإِرْهَابِيَّةَ، وَتُدْرِبُهَا، وَتَعُودُ لَتَقْتُلَ أَفْرَادَهَا بِذَرِيْعَةِ الْإِرْهَابِ، وَبِطَلَبٍ مِنَ
الْعَرَبِ الْمُسْتَضْعَفِينَ.

إِنَّ الصَّرَاعَ الَّذِي يَنِمُّ بِكُلْفَةٍ بَاهِظَةٍ سَيَنْهَكُ الدُّوَلَ الْعَرَبِيَّةَ الْغَنِيَّةَ، لِيَعُودَ الْعَرَبُ كَسَابِقِ
عَهْدِهِمْ إِلَى الْخِيَامِ، فَانْتَظَرُوا فُصُولَ الْمُخَطَّطَاتِ الْقَادِمَةِ، وَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ،
«فَلَا نَامَتْ أَعْيُنُ الْجَبَنَاءِ».

شقاوة الشيخ الطفل

امتشاقك لسيوف عينيك، وضربك لصعاف القلوب ظلم... ابتسامك لوجوه البدور
يحمل الغيرة عليك، هبات النسائم الباردة على جدائل شعرك الملوّن بالوان شمس
الأصيل، وتطائر تلك الخصلات على مفارق الزمان، هو السفر إلى سماء الأمل إليك.
يا من تسامقت كتسامق النخيل، وتصرّجت من حُمرة الورود، واكتسيت بلون الشفق،
وتأرجت بزهر الياسمين، وتخلّقت من طينة السنّ، أنت من أنت؟ كل الذي أعرفه أنني
همت فيك، وأنت تقولين: هيا تعال لنمارس الحب الطفولي، وأنا أخاف عليك من طفولة
شيخ يصبو إلى العشق من جديد، فإما أن تغدريني، وإما أن تتحملي تصابي العاشق الذي
سيثير فيك شقاوة الشيخ الطفل.

علم اليقين

علم اليقين هو العلم الخالص من الشك والتوقع والإفتراس والظن والتخرص
والتخيل، وهو علم الله في كماله، لا يحيط به الخلق في نقصانهم، إلا من اختصه الله
بنوالة فيما يحتاج إليه جواباً لسؤاله عما ينم عن معرفته بحاله ومعاشه.
وما يتحقق بعد مماته قدراً مقدراً لذاته وذوات الخلق للقادر الخالق في غيبه، مكتوباً
في صحائف الكون الأزلية.

لَا تُقَلِّدْ

يَظُنُّ الْبَعْضُ أَنَّ الْإِبْدَاعَ وَقَفَّ عَلَى شَخْصٍ بَعَيْنِهِ، وَلَوْ عَلِمَ هَؤُلَاءِ أَنَّ فِي دَاخِلِ كُلِّ
إِنْسَانٍ بَذْرَةَ إِبْدَاعٍ كَافِيَةٍ لَا تَحْتَاجُ إِلَّا إِلَى مَنْ يَسْتَخْرِجُهَا مِنْ أَعْمَاقِهِ، لَكَفُوا بِالطَّبْعِ عَنْ
هَذَا الْإِعْتِقَادِ أَوْ الظَّنِّ، فَاکْتَشَفَ مَوْهَبَتَكَ، وَلَا تَقْتُلْهَا بِالْخَوْفِ وَالْخَجَلِ وَالتَّقْلِيلِ مِنْ
شَأْنِ نَفْسِكَ، إِذْ رَبَّمَا تَكُونُ أَحَدَ النَّوَائِغِ أَوْ أَحَدَ الْعَبَاقِرَةِ الَّذِينَ يُمَكِّنُ لَهُمْ أَنْ يُغَيِّرُوا مَسَارَ
التَّارِيخِ الْإِنْسَانِيِّ، وَيَتْرَكَ فَتْحًا مُبِينًا فِي أَفْقِ الْعِلْمِ وَالْفِكْرِ الْعَالَمِيِّ.
لَا تَقُلْ: لَا أَعْرِفُ، لَا تَقُلْ: مُسْتَحِيلٌ.

فَكِّرْ، انْظُرْ، تَدَبَّرْ، حَلِّ، افْتَرَضْ، قَدِّرْ، جَرِّبْ، أَخْطِئْ، عُدِّلْ، اكْتُبْ، امْحُ، أَثْبِتْ، اقْرَأْ،
قَارِنْ، لَا تَمَلْ، اْعْمَلْ، وَلَكِنْ لَا تُقَلِّدْ.

مَا يَذْهَبُ الْخَلْقُ

مُنْذُ فَتْرَةٍ وَأَنَا أَسْتَعِيدُ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِشَكْلِ مُخْتَلِفٍ عَنِ الْقِرَاءَاتِ الْعِبَادِيَّةِ
وَالْتَعْبُدِيَّةِ وَالْحُكْمِيَّةِ وَالتَّشْرِيعِيَّةِ، فَقَدْ صِرْتُ أَدْخُلُ إِلَى أَعْمَاقِ الْمَعَانِي، وَكُلَّمَا قَرَأْتُ
وَتَمَعَّنْتُ فِي دَوَاحِلِ السُّورِ وَالْآيَاتِ أَخَذَتْنِي الدَّهْشَةُ مِنْ عَظَمَةِ هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي يَجْمَعُ
بِشَكْلِ لَا مِثِيلَ لَهُ بَيْنَ جَدَةِ الْكَلِمَاتِ وَجَمَالِيَّةِ الْأُسْلُوبِ وَالصِّيَاغَةِ وَبِلَاغَةِ اللَّغَةِ.
فَأَنْتَ تَشْعُرُ بِأَنَّكَ لَمْ تَقْرَأْ مَا يَمَانُهُ فِي كُلِّ فُنُونِ الْقَوْلِ مِنْذُ الْقَدَمِ وَالِي يَوْمِنَا هَذَا، ثُمَّ
إِذَا تَجَاوَزْنَا الْكَلِمَاتِ وَالْمَعَانِي وَوَلَجْنَا إِلَى الْمَضْمُونِ نَرَى الْعَظَمَةَ فِي السَّرْدِ التَّارِيخِيِّ
وَالْمَاهِيَّاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ وَالسُّلُوكِيَّةِ.

فَأَنْتَ كُلَّمَا تَقْرَأُ تَرَى الْعَوَالِمَ الْكُونِيَّةِ، صَغُرَتْ أَمْ كَبُرَتْ، مُجَسَّدَةً فِي صُورٍ وَأَمْثَالٍ
نَابِضَةٍ بِالْحَيَاةِ، حَتَّى لَتَشْعُرُ بِأَنَّكَ رَأَيْتَ الدُّنْيَا كُلَّهَا فِي سُورَةٍ أَوْ آيَةٍ. وَحِينَ تُعْرَجُ عَلَى لُغَةِ
الْحِسَابِ وَالرِّيَاضِيَّاتِ تَجِدُ أَفْقًا مِنَ التَّعْدَادِ وَالْأَعْدَادِ اللَّامَحْدُودَةِ، فَتُسْتَهْدِي إِلَى عِلْمِ
الْحِسَابِ وَالرِّيَاضِيَّاتِ وَتَعْدَادِ السِّنِينَ وَالْأُمَمِ مِنْذُ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ.

وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَتَفَهَّمْ عِلْمَ الْهَنْدَسَةِ، وَكَيْفَ تَمَّ تَشْكِيلُ الْأَرْضِ وَالْأَجْرَامِ الْأُخْرَى، تَجِدُ الْمُدْهَشَ وَالْمُعْجَزَ لِمَنْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ. وَحِينَ تَغُوصُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ تَرَى الْغَيْبَ فِي أَسْمَى تَجَلِّيَاتِهِ، حِينَ يُخْبِرُكَ الْعَلِيمُ بَعْضًا مِنْ غَيْبِهِ فِي الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ وَمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَغُيُوبِ الْقُبُورِ، وَغُيُوبِ الْجَنَّةِ وَغُيُوبِ النَّارِ، كَمَا تَرَى الْعَفْوَ وَتَرَى ضِدَّهُ مِنْ عِقَابٍ أَشَدَّ عَلَى النَّفْسِ مِنَ الْمَوْتِ.

وَإِذَا أَرَدْتَ التَّعَمُّقَ أَكْثَرَ فِي الْهَيُولَى الْعَظِيمِ بِأَجْرَامِهِ، تُشَاهِدُ النُّجُومَ وَالْكَوَاكِبَ وَالْبُدُورَ وَالْأَقْمَارَ وَالسُّحُبَ وَالْغُيُومَ، وَدَوْرَ الْمَاءِ فِي خَلْقِ الْحَيَاةِ {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ} [سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ، آيَةٌ: 30]، فَبِهَذِهِ السُّورَةِ أَنْتَ تَدْخُلُ إِلَى عَوَالِمِ الْعَوَالِمِ، وَلَنْ تَنْتَهِيَ لِتَجِدَ الْكُونَ الْفَسِيحَ بِأَمْطَارِهِ وَبِحَارِهِ وَأَنْهَارِهِ يَنْشَأُ مِنَ الْمَاءِ، وَيَتَجَمَّدُ وَيَتَصَلَّبُ وَيَذُوبُ وَيَتَقَطَّرُ وَيَتَبَخَّرُ وَيَعُودُ ثَانِيَةً إِلَى الْفَضَاءِ، فِي مَتَوَالِيَةِ قَدَرِيَّةٍ مُعْجَزَةٍ، نَاهِيكَ بِتَنْظِيمِ الْخَلْقِ فِي الْحَيَاةِ، وَتَنْظِيمِ الْحَيَاةِ فِي الْخَلْقِ، وَتَعَاقُبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ إِلَى عِلْمِ الْفَلَكَ وَانْتِظَامِ الْكُونَ فَأَنْتَ تَجِدُ مَا يَتَعَلَّقُ بِنِظَامِ الْمَجَرَّاتِ وَالْأَجْرَامِ، حَيْثُ الْكَوَاكِبُ وَالنُّجُومُ فِي مَوَاقِعِهَا، وَالْإِنْسَانُ فِي مَوَاقِعِهِ، وَالْأَسْمَاكُ فِي بَحْرِهَا وَنَهْرِهَا، وَالْحَيَوَانَ فِي غَابِيَتِهِ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكَ يَسْبَحُونَ} [سُورَةُ يَس، آيَةٌ: 40]، وَهَنَا نَدْخُلُ إِلَى عِلْمِ الْفَلَكَ وَالطَّبِيعَةِ. وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ عَجَزْتُ عَنْ تَفْسِيرِ كُلِّ مَا تَحْوِيهِ الْآيَاتُ وَالسُّورُ، وَالتَّضْمِينُ وَأَبْعَادُ التَّضْمِينِ، وَالْمُتَرَادِفَاتُ الْكَلَامِيَّةُ، وَالْعُلُومُ الَّتِي عَرَفْنَاهَا، وَالْعُلُومُ الْمُقَدَّرَةُ لِلْعِلْمِ بِهَا لِأَحِقًا. هَذَا هُوَ الْقُرْآنُ الَّذِي مَا يَزَالُ عِلْمُ الْعُلُومِ الْكُونِيَّةِ لِمَنْ تَفَكَّرَ وَتَدَبَّرَ وَتَعَمَّقَ وَدَرَسَ وَنَظَرَ فِي أَعْمَاقِهِ وَدَوَاحِلِهِ، وَالَّذِي لَنْ يَسْتَطِيعَ أَيُّ مَخْلُوقٍ أَنْ يَلِمَ بِكُلِّ إِعْجَازِهِ الْمَنْظُورِ وَالْغَيْبِيِّ إِلَّا لِمَا، وَبِمَا يُيسِّرُهُ لَهُ اللَّهُ، وَسَيَبْقَى الْكَثِيرُ وَالْكَثِيرُ مِمَّا سَيَفُضُ الزَّمَانُ بِكَارَةِ أَحْدَاثِهِ، لِيَلِدَ لِلْعُيُونِ وَالْأَفْكَارِ مِنْ غُيُوبِ الْكُونَ مَا سَوْفَ يُدْهَشُ الْخَلْقَ {وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ} [سُورَةُ يُوسُفَ، آيَةٌ: 76].

عَصَاةُ الْوُجُودِ

كَلَامٌ عَلَى قَارِعَةِ الْفُضُولِ تَبَعَتْ مِنْهُ رَوَائِحُ الشَّهَوَاتِ الْمُتَغَلِّغَةِ فِي أَعْمَاقِ الطِّينِ
الْإِنْسَانِيِّ، كَلَامٌ يُعَبِّرُ عَنْ فِطْرَةِ السَّبَقِ إِلَى أُثُوَّةِ الذُّكُورَةِ وَذُكُورَةِ الْأُنْثَى، حِينَ تَخْرُجُ
عَنْ إِطَارِ الْعُقُولِ إِلَى جُنُونِ الرَّغْبَةِ الَّتِي تَجْرِي مَجْرَى الدَّمِ فِي الْخَلَائِقِ بِكُلِّ أَجْنَاسِهَا
وَأَشْكَالِهَا، لِتَتَمَاهَى فِيهَا الْأَحَاسِيسُ مَعَ اللَّذَّةِ الْمُنْشَوْدَةِ لِإِرْوَاءِ الْعَطَشِ، كَلَامٌ يُفْصِحُ
عَنْ نَزْوَعِ كَائِنَيْنِ بَشَرِيَّيْنِ إِلَى الْأَشْبَاعِ الْجِنْسِيِّ، أَوْ إِلَى الْإِسْتِجَابَةِ لِلْفِطْرَةِ الْمُنتَجَةِ لِلتَّوَالِدِ
وَالْتَّنَاسُلِ. عَلَى أَنَّ الْعِلَاقَةَ الْجِنْسِيَّةَ تَتَكُونُ مِنْ طَرَفَيْنِ أُثُوِّيٍّ وَذُكُورِيٍّ، يَطْمَحَانِ إِلَى
تَفْرِيعِ شِحْنَاتِ النَّفْسِ مِنْ نِيرَانِهَا الْمُتَوَقَّدَةِ، عَلَى أَنَّ هَذِهِ الرَّغْبَةَ سُرْعَانِ مَا تَخْمُدُ إِذَا لَمْ
تَقْتَرَنَّ بِالْعَاطِفَةِ وَالسُّمُوِّ وَحَاجَةِ الرُّوحَيْنِ إِلَى الْإِنْدِمَاجِ، وَلَوْ نَظَرْتَ إِلَى الْفِعْلِ وَالْفِعْلِ
الْمُضَادَّ فِي تَرَاوُجِ الْكَائِنَاتِ وَالتَّقَانِهَا فِي خُلُوعِ الْإِسْتِمْتَاعِ اللَّحْظِيِّ بَعْدَ انْتِهَاءِ عَمَلِيَّةِ
الْإِمْتِزَاجِ الْمُؤَقَّتِ لَضَحَكَتْ كَثِيرًا، وَسَخَرْتَ مِنْ رَعِشَاتِ بَهِيمِيَّةٍ تُجَاهِدُ لِبُلُوغِ الذُّرُوءِ
فِي إِطَارِهَا الْحَيَوَانِيِّ الْمَحْضِ. وَمَهْمَا حَاوَلَ الْعَقْلُ التَّعَفُّفَ وَالتَّنَصُّلَ مِنَ الْغَرِيزَةِ، لَكُنْ
فِي عَدَمِ مُمَارَسَتِهَا احْتِقَارٌ لِلْمَخْلُوقِ، وَنَعْتُهُ بِالنَّقْصَانِ، وَرَمِي صُورَتُهُ الْفِطْرِيَّةُ بِالضَّعْفِ أَوْ
الْعُقْمِ أَوْ الْمَوَاتِ الْحِسِّيِّ. فَالْمَوْضُوعُ أَكْبَرُ مِنَ الْقُدْرَةِ عَلَى الْإِمْتِنَاعِ أَوْ إِعْلَانِ الرَّفْضِ لِتِلْكَ
الْمُمَارَسَاتِ الْحَيَوَانِيَّةِ، لِأَنَّ الرَّغْبَةَ جُزْءٌ مِنَ الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ وَنَوَازِعِهَا الْمُتَّصِلَةِ بِالتَّنَاسُلِ
وَالْبَقَاءِ عَلَى الْأَرْضِ، فَلَوْ لَمْ يَحْدُثْ ذَلِكَ الْأَمْتِلَاءُ وَالتَّفْرِيعُ لِتِلْكَ الشَّحْنَاتِ مِنْ مَقْدُوفَاتِ
مَاءِ الْحَيَاةِ، لَحَلَّتِ الْعَدَمِيَّةُ، أَوْ لَكَانَ لِلَّهِ تَشْرِيعُ آخَرُ لِكَيْنُونَةِ الْخَلْقِ، ذَلِكَ أَنَّ مَا يَنْتُجُ عَنْ
لِقَاءِ الْأَجْسَادِ هُوَ عَصَاةُ الْوُجُودِ وَرَحِيقُهُ، وَالسَّبَبُ فِي تَشْكِيلِ الْحَيَاةِ وَجَمَالِيَّتِهَا يَتَجَسَّدُ
فِي التَّقَاءِ كَائِنَيْنِ، يَجْمَعُهُمَا الْحُبُّ بِتَغْيِيرَاتِهِ الشَّهْوَانِيَّةِ وَالْعَاطِفِيَّةِ، وَتَتَحَقَّقُ بِهِمَا إِرَادَةُ اللَّهِ
كُلِّي الْقُدْرَةِ.

نَفُوسٌ مَهْزُومَةٌ

أَعْطِ لِلْآخِرِ بُعْدًا وَمَسَاحَةً كَيْ تَكْتَشِفَ دَوَاخِلَهُ، وَتَقِفَ عَلَى حَقَائِقِ عَنْهُ غَائِبَةٍ فِي
الْلاَوَعِي، يَكْشِفُهَا لِلْآخِرِينَ مِنْ دُونِ دَرَايَةٍ وَحَذَرٍ مِنْ كَشْفِ الْمَخْبُوءِ الَّذِي يَغْتَمِلُ فِي
نَفْسِهِ، فَحِينَ تَنْفَلِتِ أَسْرَارَ كَامِنَةٍ فِي صُدُورٍ تَشْتَعِلُ بِالْمَوَاجِدِ، وَهَوَاجِسَ لَا يَجْدُرُ إِطْلَاقُهَا
مِنْ عَقَالِهَا، يَغِيبُ عَنِ بَالِ الْمَرْءِ أَنَّ هُنَاكَ مَنْ يَقْلُبُ (بِتَشْدِيدِ اللَّامِ) الْمَعَانِي، وَيَدْخُلُ
إِلَى أَعْمَاقِ الدَّوَاعِ الْحَسِّيَّةِ فِي الْأَشْخَاصِ، لِيُخْرِجَ بِتَحْلِيلِ الشَّخْصِيَّةِ النَّاقِمَةَ عَلَى وَاقِعِ
كَيْنُونَتِهَا. سَاعَتَئِذٍ يَفْتَضِحُ عَوَارِ السُّخْطِ وَمَتَالِبُ الْإِحْتِقَانِ ضِدَّ الْآخِرِ، حَيْثُ يَقُودُهُ عَدَمُ
الرِّضَا إِلَى أَنْ يَصُبَّ جَامُ صَيْقِهِ وَكُرْهِهِ عَلَى أَنْاسٍ تُحِبُّ لَهُ الْخَيْرَ، وَتَتَمَنَّى لَهُ السَّعَادَةَ، فَلَا
يَسْتَطِيعُ الْخُرُوجَ مِنْ نَفْسِ الْمَهْزُومِ الْمَازُومِ إِلَى شُعُورِ الْقَانِعِ الرَّاضِي، حَيْثُ يُغَيِّرُهُ وَهُمْ
التَّفَوُّقُ الْكَلَامِيُّ وَالتَّوَهُُّمُ بِأَنَّهُ فَوْقَ عِلْمِ النَّابِهِينَ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّ عِلْمَهُ مَهْمَا تَوَاضَعَ يَفُوقُ
عِلْمَ الْأَغْنِيَاءِ، ظَنًّا مِنْهُ بِأَنَّ كُلَّ غَنِيٍّ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَفْطُورًا عَلَى الْكِبَرِ وَالْجَهْلِ وَحُبِّ
النَّفُودِ، وَيَرْضَى بِالْكَذِبِ وَالزَّيْفِ وَتَغْيِيرِ الْحَقَائِقِ، وَهُوَ هُنَا - وَمِنْ دُونِ إِدْرَاكِ - يُعْبِرُ عَنْ
جَهْلٍ مُرَكَّبٍ حِينَ يُسَمِّي الْأَشْيَاءَ بِغَيْرِ مَعَانِيهَا، وَيَكُونُ أَوَّلَ مُزَوَّرٍ لِحَقَائِقِ الْإِخْتِلَافَاتِ
الْكُؤُوبَةِ فِي خَلْقِ اللَّهِ، فَهُوَ يَنْسُبُ إِلَى الْغَنِيِّ فَقْرَ الْأَخْلَاقِ وَالْقِيمِ، وَإِلَى الْفَقِيرِ الْفَضَائِلَ،
وَهُوَ يَسْتَعِيدُ مِنْ حَيَاةِ الْمُنْعَمِينَ، بِرَغْمِ أَنَّ الْأَخْلَاقَ وَالْغِنَى وَالْفَقْرَ إِنَّمَا يَكُونُ تَقْدِيرُهَا نِسْبِيًّا
بَيْنَ النَّاسِ، وَهُوَ فِي دَاخِلِهِ يَتَمَنَّى لَوْ أَنَّهُ أَصَابَ الْغِنَى وَالثَّرْوَةَ، وَعِنْدَمَا يَرَى الْأَمْرَ خِلَافَ
ذَلِكَ يَكِيلُ ضِدَّ الْأَغْنِيَاءِ صِفَاتٍ وَنُعُوتًا كَمَا اشْتَهَتْ لَهُ نَفْسُهُ، وَبِمَا يُرْضِي غُرُورَهُ وَعَقْدَ
نَقْصِهِ، فَبَدَلًا مِنْ أَنْ يَحْمَدَ اللَّهَ عَلَى مَا قَدَرَهُ لَهُ مِنْ نِعَمٍ، تَجِدُهُ يُعْلِنُ النِّقْمَةَ الْكَامِنَةَ فِي
صَدْرِهِ ضِدَّ أَغْنِيَاءِ الْمَالِ مِمَّنْ يَقُودُونَهُ عِلْمًا وَنَبَالَةً وَمُرُوءَةً. تِلْكَ خَلَائِقُ النُّفُوسِ الْمَرِيضَةِ
الَّتِي تَصَابُ بِوَهْمِ الْأَنَا لَتُعَوِّضَ بِذَلِكَ عَنْ نُقْصَانِ الْقُدْرَةِ عَلَى امْتِلَاكِ الثَّرْوَةِ، فَتَتَفَجَّرُ مِثْلَ
قُنْبَلَةٍ مَوْقُوتَةٍ فِي نَفْسٍ صَاحِبِهَا، وَلَيْسَ بِدَعَا أَنْ تَرَى مِنْ هَذِهِ النُّفُوسِ الْكَثِيرِ الْكَثِيرِ، وَهُمْ
حُطَّابٌ لَيْلٍ، يَهْرَفُونَ بِمَا لَا يَعْرِفُونَ، مِثْلَهُمْ مِثْلُ الَّذِينَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ حِينَ
تَرْهَقُهُمْ ذَلَّةُ اقْتِفَاءِ حَيَاةِ الْمُنْعَمِينَ مِنَ النَّاسِ، فَيَحَاوِلُونَ النِّيلَ مِنْ سُمُوقِهِمْ وَعُلُوَّ قَامَاتِهِمْ،
عَبْرَ رَمِيهِمْ بِسَهَامٍ مَثْلُومَةٍ لَا تُؤَثِّرُ فِيهِمْ بِقَدْرِ مَا تُؤَثِّرُ فِي مُطْلَقِهَا، وَتُؤَدِّي إِلَى هَزِيمَةِ الرَّامِي.

أَيُّهَا الْمِسْكِينُ، كَيْفَ رَضِيتَ أَنْ تُعْلِنَ عَنْ ضَعْفِ نَفْسِكَ أَمَامَ الرُّقَبَاءِ وَحُذَاقِ الْكَلَامِ وَالْبَيَانِ، مِنْ دُونِ أَنْ تَتَلَمَّسَ النِّجَاةَ، لَا عَبْرَ التَّعْرِيضِ بِالْآخِرِينَ، بَلْ بِمُدَاوَاةِ فَقْرٍ حَالِكَ وَفَقْرٍ أَخْلَاقِكَ؟

لَمْ أَكُنْ أَتَمَنَّى أَنْ أَرَكَ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ الَّذِي لَا تُحْسَدُ عَلَيْهِ، زَادَكَ اللَّهُ غَيْظًا فِي نَفْسِكَ، أَوْ هَذَاكَ إِلَى حُسْنِ الْعَاقِبَةِ.

وَمَا أَعْظَمَ قَوْلَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} [سُورَةُ النَّسَاءِ، آيَةٌ: 54]، فَمَا أَهْلَكَ الْأَمَمَ إِلَّا الْقُعُودُ عَنْ تَحْقِيقِ الْأَمَلِ وَتَرْصُدِ الْهَمَمِ الْعَالِيَةِ، ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّهُمْ قَدْ شَفَوْا أَوَّارَ نَقْمَتِهِمْ مِنْ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَوَيْلٌ لِمَنْ تَشْغَلُهُ أُمُورُ النَّاسِ عَنْ أُمُورِهِ، فَهُوَ إِنَّمَا يَمُوتُ فِي الْيَوْمِ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً، لِأَنَّهُ انْشَغَلَ بِمَا لَا يَغْنِيهِ، فَصَادَفَ هُمُومًا تُشْقِيهِ وَتُثْنِيهِ إِلَى مَرَاتِبِ الْخِسَّةِ وَالْعَارِ الْمُخْزِي، فَسُحِقًا لِنَاسٍ يَتَرَصَّدُونَ غَيْرَهُمْ، غَيْرَ مُهْتَمِّينَ بِمَا يَزِفُّهُمْ، وَتِلْكَ خَسَاسَةُ الطَّبَاعِ اللَّثِيمَةِ، فَلَا هِيَ عَمِلَتْ لِنَفْسِهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْ مَنْ يَعْمَلُ فِي حَالِهِ، وَسُبْحَانَ الْقَائِلِ: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [سُورَةُ الْأَسْرَاءِ، آيَةٌ: 36].

دَاءُ عُضَالٍ

أَيَّتَهَا النَّفْسُ، يَا نَفْسِي، إِذَا دُهِيتِ بِالظُّلْمِ فَعَلَيْكَ رَدُّهُ بِالْحَقِّ، فَإِنَّ أَبِي الظَّالِمَ فَعَلَيْكَ
بِالصَّبْرِ، فَإِنَّ لَمْ تَقْدِرِي فَاسْتَعِينِي بِالْإِنَاءِ وَالْحِلْمِ، حَتَّى تَرَى عَاقِبَةَ الظَّالِمِ، فَإِنَّ انْتِصَارَ
الظَّالِمِ بِظُلْمِهِ هَزِيمَةٌ يَسْتَشْعِرُهَا وَيُسْرِهَا فِي صَدْرِهِ، وَتَكُونُ أَكْثَرَ إِيْلَامًا فِي نَفْسِهِ مِنْ
وَقْعِ السَّهَامِ، وَاعْلَمِي أَنَّكَ بِذَلِكَ تَنْتَصِرِينَ، وَأَنَّ عَجْزَكَ مَقْدِرَةٌ، وَأَنَّ مَقْدِرَةَ الظَّالِمِ عَجْزٌ
وَضَعْفٌ وَخِسَّةٌ وَعَارٌ لَا يَسْتَطِيعُ التَّخْلُصَ مِنْهُ، فَإِنَّ أَقْسَى عِقَابٍ عَلَى النَّفْسِ اسْتِدَامَةُ النَّدَمِ
فِيهَا، لِيَكُونَ هَمًّا كَالدَّاءِ الْعُضَالِ الَّذِي يَقْتُلُ صَاحِبَهُ.

الِإِقْنَاعُ

الِإِقْنَاعُ بِالطَّرْحِ الْفِكْرِيِّ يَعْتَمِدُ عَلَى طَرِيقَةِ الطَّرْحِ وَتَنْظِيمِ مَوَادِّ الْعَرْضِ فِي أُسْلُوبِ
تَشْوِيقِيٍّ غَيْرِ مُلْغِزٍ، إِلَى حَدِّ إِشْغَالِ الْعُقُولِ بِجَدِيَّةِ الْمُشَارَكَةِ فِي النَّقْدِ وَالتَّحْلِيلِ وَالِاسْتِنبَاطِ،
كَمَا يَتَطَلَّبُ التَّعَمُّقُ فِي تَهْيَةِ الْعَقْلِ لِفَهْمِ الْفِكْرَةِ أَوْ الْمَادَّةِ الْعِلْمِيَّةِ أَوْ الْأَدْبِيَّةِ، كَمَا يَنْبَغِي
رَبْطُ الْأَسْبَابِ بِالنَّاتِجِ فِي سِيَاقٍ مُفْنَعٍ وَمُدْعَمٍ بِالْبَرَاهِينِ الْحِسِّيَّةِ وَالتَّطْبِيقِيَّةِ.

مَمَالِكُ الشُّعْرَاءِ لَا تَزُولُ

تَنْدَثِرُ الْمَمَالِكُ وَالْأُمَمُ، وَيَبْقَى الشُّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ الْأَفْذَاذُ وَالْمُفَكَّرُونَ وَالْمُبْدِعُونَ مُلُوكًا لَا يَزُولُ مُلْكُهُمْ بِوَفَاتِهِمْ، بَلْ يَبْقَوْنَ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ، وَلَهُمْ فِي كُلِّ فِكْرٍ بَصْمَةٌ لَا تَزُولُ، وَفِي كُلِّ وَطَنٍ مُلْكٌ لَا يَحُولُ وَلَا يَدُولُ، وَلَا يَغْلُو عَلَى قَدْرِ الْمُبْدِعِينَ سِوَى الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ اخْتَصَّهُمُ اللَّهُ بِكَلِمَاتِ السَّمَاءِ، وَحَيَا مِنْ اللَّهِ، لِإِعْلَاءِ دِينِهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَالشُّعْرَاءُ الَّذِينَ لَهُمْ فِرَاسَةُ الْعَقْلِ، وَرَجَاحَةُ الْمَنْطِقِ، وَحِكْمَةُ الْقَوْلِ، وَسِحْرُ الْبَيَانِ، هُمْ رُسُلُ السَّلَامِ وَالْفَضِيلَةِ وَالْأَخْلَاقِ عَلَى الْأَرْضِ، لَا يُمَارِي فِي قَدْرِهِمْ إِلَّا جَاهِلٌ أَوْ مُنْكَرٌ أَوْ حَاقِدٌ أَوْ حَاسِدٌ، وَذَلِكَ لِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ سَعَةِ الْبَصَرِ وَالْبَصِيرَةِ وَرَجَاحَةِ الْعَقْلِ وَبِكَارَةِ الْمَعْنَى وَجِدَّةِ الْخُلُقِ الْبَيَانِيِّ، لِيَصِلُوا إِلَى الْقُلُوبِ قَبْلَ الْعُقُولِ، وَلَوْلَا الشُّعْرَاءُ لَأَنْسَحَبَتْ خُيُوطُ النَّسْيَانِ عَلَى آثَارِ الشُّعُوبِ وَحَضَارَاتِهَا. وَكَمْ مَرَّ فِي التَّارِيخِ الْإِنْسَانِي مِنْ سَلَالَاتٍ مُلُوكٍ وَأُمَرَاءٍ حَكَمَتْ لِقُرُونٍ عِدَّةٍ، بَدَأَ مِنْ مَمَالِكِ حَمِيرٍ الْأَكْبَرِ وَالْأَصْغَرِ، وَسَبَأِ الصُّغْرَى وَالْكُبْرَى، وَكِنْدَةَ، وَالْفَرَسِ، وَالرُّومِ، وَالْفِينِيقِيِّينَ، وَالْفَرَاعِنَةَ، وَالْبِيزَنْطِيِّينَ، وَالْأَغْرِيْقِ، وَمَمَالِكِ الْفَرَنْجَةِ فِي أَوْرَبَا، وَلَكِنَّ الْجَمِيعَ مَرُّوا مَرَّ السَّحَابِ، وَلَفَتْهُمْ خُيُوطُ النَّسْيَانِ، إِلَّا مَا جَاءَ فِي الْكُتُبِ السَّمَاءِيَّةِ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَالْمَسِيحِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ، فَعَرَفْنَا مِنْ وَحْيِ السَّمَاءِ أَمَّا سَادَتْ ثُمَّ بَادَتْ، وَعَرَفْنَا أَسْمَاءَ لِمُلُوكٍ وَأَشْخَاصٍ خَلَدَتْهُمْ تِلْكَ الْكُتُبُ كَمُلُوكِ الْيَهُودِ وَالْمَسِيحِيِّينَ وَالْعَرَبِ. وَقَدْ ذَكَرَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ فِرْعَوْنَ مِصْرَ، وَمَلِكَةَ سَبَأَ بَلْقِيسَ، وَالنَّبِيَّ الْمَلِكَ سُلَيْمَانَ وَيَعْقُوبَ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَآخَرِينَ مِمَّنْ عَدَدَهُمُ الْقَصَصُ الْقُرْآنِيُّ الَّذِي لَوْلَاهُ لَمَا عَرَفَهُمُ النَّاسُ.

ثُمَّ يَأْتِي الشُّعْرُ الَّذِي أَشَادَ بِهِ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ فِي قَوْلِهِ: «إِنَّ مِنَ الشُّعْرِ لِحِكْمَةً»، وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَسَانٍ: «أَهْجُهُمْ - أَوْ هَاجَهُمْ - وَرُوحُ الْقُدُسِ مَعَكُمْ».

وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى مَا لِلشُّعْرِ مِنْ قِيَمَةٍ وَرِسَالَةٍ أَخْلَاقِيَّةٍ وَتَارِيخِيَّةٍ فِي حَيَاةِ الْأُمَمِ، وَأَنَا هُنَا لَا أَعْنِي إِلَّا الشُّعْرَ الْفَصِيحَ الَّذِي ذُكِرَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} [سُورَةُ الشُّعْرَاءِ، آيَةٌ: 224]. وَكَثِيرُونَ يَصُمْتُونَ عَنْ إِكْمَالِ الْآيَاتِ اللَّاحِقَةِ، حَقْدًا مِنْ لَدُنْهُمْ عَلَى الشُّعْرَاءِ، إِذْ إِنَّ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ تَقُولُ: {وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} ۝ أَلَمْ

تَرَأَتْهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٤﴾ وَأَنْتُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٦﴾ [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ، الآيَات: 224-227].

وَقَدْ تَعَدَّدَتِ التَّفْسِيرَاتُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَلَوْ تَدَبَّرَهَا عَاقِلٌ لَعَرَفَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَغْنِي بِالشُّعَرَاءِ إِلَّا الشُّعَرَاءَ الْمُشْرِكِينَ أَوْ الشَّيَاطِينَ الَّذِينَ غَلَبَ عَلَيْهِمُ الْكُفْرُ، لَا الشُّعَرَاءَ الَّذِينَ يَنْتَصِرُونَ لِلَّهِ وَدِينِهِ، وَيُقَارِعُونَ الظُّلْمَ، فَهَؤُلَاءِ تَكُونُ دَرَجَاتُهُمْ كَدَرَجَةِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ عِنْدَمَا هَجَا الْمُشْرِكِينَ وَانْتَصَرَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَلِلْإِسْلَامِ. وَالشُّعْرُ الَّذِي تَرَكَ صَدَاهُ فِي أُمْدَاءِ التَّارِيخِ هُوَ مَا جَاءَ عَلَى لِسَانِ امْرِئِ الْقَيْسِ وَالْأَعَشَى وَحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ وَالنَّابِغَةَ وَجَرِيرَ وَكَعْبَ بْنَ زُهَيْرٍ وَزُهَيْرَ وَطَرْفَةَ بْنَ الْعَبْدِ وَمِجْنُونَ بْنَ عَامِرٍ وَعَنْتَرَةَ بْنَ شَدَّادٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ فُحُولِ الشُّعَرَاءِ الْعَرَبِ، وَبَعْدَهُمْ يَأْتِي الْمُفَكَّرُونَ مِنْ أَمْثَالِ: ابْنِ سِينَا وَابْنِ خَلْدُونِ وَجَابِرِ بْنِ حَيَّانَ وَالْفَارَابِيِّ وَغَيْرِهِمْ كَثُرَ.

وَعُلَمَاءُ اللُّغَةِ مِنْ أَمْثَالِ: ابْنِ طَبَاطَبَا وَالْجُرْجَانِيِّ وَابْنِ مَنْظُورٍ وَالْبَاقِلَانِيِّ، وَيَتَلَقَّى مَعَهُمْ فِي ضُرُوبِ الشُّعْرِ وَفُنُونِهِ شُعَرَاءٌ وَأَدْبَاءٌ وَمُفَكَّرُو الْفِرْنَجَةِ مِنْ أَمْثَالِ: هُومِيُوسَ وَشِكْسِيرَ وَجُوتَهَ وَكُورْنَايَ وَشُوبِنَهَاورَ وَنَتَشَهَ وَسَانَ جُونِ بِيرِسَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ نَوَائِجِ شُعَرَاءِ النُّهْضَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ وَالْعَالَمِيَّةِ. وَهَؤُلَاءِ حَوَّلُوا مَسَارَ الْفِكْرِ الْإِنْسَانِيِّ إِلَى إِعْمَالِ الْفِكْرِ بِالتَّدَبُّرِ وَالتَّبَصُّرِ فِي الْكُونِ، بَعْدَ أَنْ أَغْلَقَتِ الْكَنِيسَةُ عَلَى مَوَارِدِ الْفِكْرِ الْخَلَاقِ، وَحَجَبَتِ الرُّؤْيَى تَحْتَ تَسْلُطِ الْكَهَنَةِ وَقَمْعِهِمْ لِكُلِّ جَدِيدٍ.

إِنَّ لِلْمُبْدِعِينَ دَوْرًا رَائِدًا فِي إِذْكَاءِ رُوحِ الْخَلْقِ وَالْإِكْتِشَافِ، بِحَيْثُ نَرَى الْيَوْمَ الْمُنْجَزَاتِ الْمُذهِلَةَ لِلْفَنِّ وَالْعِلْمِ، وَمَا لَمْ يَخْطُرْ مِنْ قَبْلُ عَلَى بَالِ بَشَرٍ، لَقَدْ نَذَرَ الشُّعَرَاءُ وَالْعُلَمَاءُ وَالْمُفَكَّرُونَ حَيَاتَهُمْ وَعُقُولَهُمْ لِلْسَفَرِ إِلَى عَوَالِمِ الْكُونِ، لِاسْتِجْلَاءِ الْمَعْرِفَةِ، وَكَشْفِ الْمَحْبُوءِ، وَابْتِكَارِ الْمُعْجَزِ مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي نَقْتَبِسُ أَنْوَارَهَا، وَنَسْتَمْتِعُ بِرَفَاقَتِهَا مُبْتَكِرَاتِهَا، ابْتِدَاءً مِنَ الْعُصُورِ الَّتِي خَلَتْ وَوُصُولًا إِلَى عَصْرِنَا الْحَاضِرِ. ثُمَّ هَا نَحْنُ الْيَوْمَ نَعِيشُ عَلَى فُتَاتِ مَا يَجُودُ بِهِ الْعَقْلُ الْعَرَبِيُّ وَالْأَمْرِيكِيُّ، بَعْدَمَا تَرَاجَعَ الْفِكْرُ الْعَرَبِيُّ مُنْذُ الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ الثَّانِي وَسُقُوطِ الْأَنْدَلُسِ وَعُصُورِ الْإِنْحِطَاطِ، وَمَعَ وُصُولِ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ إِلَى الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ الْإِنْهِيَارِ وَالْعَجْزِ عَنْ صَدِّ الْعُدَوَانِ مِنْ جِهَةٍ، وَعَنْ اسْتِثْمَارِ الْعُقُولِ فِي تَفْجِيرِ الطَّاقَاتِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ وَالتَّقْنِيَّةِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى. فَمَاذَا عَمِلَ

الْعَرَبُ غَيْرَ شِرَاءِ التَّقْنِيَةِ، وَالْإِسْتِسْلَامَ لِلرَّفَاهِيَةِ وَالِدَّعَةَ وَالتَّفَاخُرَ بِالْأَمْوَالِ الَّتِي سَخَّرَهَا لِلْمُنْعَةِ الشَّخْصِيَّةِ، وَلِإِطْفَاءِ شَهْوَةِ النَّفْسِ وَالْجَسَدِ. لَقَدْ قَضَوْا فِي عِبَادَةِ الْمَالِ كَمَا قَالَ رَسُولُنَا الْعَظِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعَسَّ عَبْدُ الدَّرْهَمِ، تَعَسَّ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعَسَّ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رِضْيٌ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطٌ، تَعَسَّ وَانْتَكَسَ»، إِلَى نَهَايَةِ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ.

فَمَا الَّذِي حَقَّقَهُ أَغْنِيَاءُ الْعَرَبِ مِنْ مَجْدٍ لَهُمْ وَلَا وَطَانِهِمْ فِي عَصْرِنَا الْحَاضِرِ؟ هَلِ ابْتَكَرُوا لِأُمْتِهِمْ ضَرْبًا جَدِيدًا مِنَ الْعِلْمِ، وَمَجَالَاتِ الطَّبِّ أَوِ الْفَلَكِ أَوِ الطَّبِيعَةِ أَوِ التَّقْنِيَّاتِ الْحَدِيثَةِ وَعُلُومِ الْفَضَاءِ وَالْآلَاتِ وَالْمُحَرَّكَاتِ؟ وَهَلِ اتَّوَّأ بِفَتْحٍ جَدِيدٍ يَتْرُكُ لَهُمْ خُلُودَ الذِّكْرِ وَعُلُوَّ الْقَدْرِ؟ فَلْيَسُوا هُمْ مِنْ سَنِّ قَانُونِ الْجَاذِبِيَّةِ، أَوْ مِنْ صَنَعَ الدَّوَاءِ لِتَخْفِيفِ آلامِ النَّاسِ، وَلَكِنَّ الْأَثْرِيَاءَ الْعَرَبَ ذَوُو نَفُوسٍ وَعُقُولٍ مُسْتَهْلِكَةٍ لِلثَّرَوَاتِ، وَغَيْرِ جَالِبَةٍ لِمُعْطَيَاتِ النُّهُوضِ بِالْأَوْطَانِ؛ لِأَنَّ فِكْرَهُمْ لَا يَتَعَدَّى الطَّمَعِ الدُّنْيَوِيِّ.

وَمِنْ سُخْفِ الْبَعْضِ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ فِي بِنَاءِ عِمَارَةٍ أَوْ إِقَامَةِ مَشْرُوعٍ وَطَنِيٍّ مَضْرُوفٍ عَلَيْهِ مِنَ الدَّوْلَةِ مَجْدًا لَهُمْ، حَتَّى إِنِّي كَمْ وَكَمْ اسْتَسَخَفْتُ بَعْضَ الْجَهْلَةِ مِنْ بَيْنِهِمْ، وَبِخَاصَّةِ ذَاكَ الَّذِي سَأَلَنِي مَرَّةً عَنْ أَوَّلِ مَنْ بَنَى الْكُعْبَةَ، فَاجَبْتُ: هُوَ بِالتَّأَكِيدِ أَبُو الْأَنْبِيَاءِ النَّبِيُّ إِبْرَاهِيمَ وَابْنُهُ إِسْمَاعِيلُ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ -، ثُمَّ أُرْدَفَ السُّؤَالُ بِآخَرٍ، وَلَكِنْ بِإِمْعَانٍ فِي الْجَهْلِ، حِينَ قَالَ: وَمَنْ آخِرُ مَنْ بَنَاهَا؟ فَضَحِكْتُ قَائِلًا لَهُ: أَتُرِيدُ أَنْ تَقُولَ: إِنَّكَ آخِرُ مَنْ بَنَى الْكُعْبَةَ الْمُسْرَفَةَ؟ قَالَ: وَهَلِ هُنَاكَ شَكٌّ، وَأَنْتَ تَرَى شِرْكِي وَهِيَ نَعْمَلُ لَيْلَ نَهَارٍ؟ فَقُلْتُ: لَا يَذْهَبُ بِكَ الْوَهْمُ أَكْثَرَ، فَأَنْتَ تَعْمَلُ أَجِيرًا عِنْدَ مَنْ اسْتَاجَرَكَ لِلْكَسْبِ الْمَالِيِّ، وَأَيُّ مُقَاوَلٍ آخَرَ كَانَ لِيَعْمَلَ عَمَلَكَ لَوْ أَسْنَدَ لَهُ ذَلِكَ، ثُمَّ إِنْ سَيِّدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَسَيِّدَنَا إِسْمَاعِيلَ بَنَيَا الْكُعْبَةَ بِنَفْسَيْهِمَا وَأَيْدِيهِمَا، أَمْرًا مِنَ اللَّهِ، وَأَنْتَ لَسْتَ الَّذِي يَبْنِي، إِنَّمَا هُوَ الْعَامِلُ الْمِصْرِيُّ وَالسُّورِيُّ وَاللُّبْنَانِيُّ وَالْبَاكِسْتَانِيُّ وَالْفِلِيبِينِيُّ، وَكُلُّ مَا تَفْعَلُهُ أَنْتَ هُوَ الْآخِذُ بِأَفْكَارِ الْغَيْرِ مِنْ أَهْلِ الْخِبْرَةِ وَالْهَنْدَسَةِ، وَتَنْفِذُهَا، وَسَيِّجِرُ كُلُّ هَذَا لِسَيِّدِكَ وَأَمْرِكَ، وَمَنْ سَيَدْفَعُ لَكَ، فَأَيُّ مَجْدٍ تُرِيدُ أَنْ تُلْحِقَهُ بِكَ وَتُوْهِمَ نَفْسَكَ بِهِ؟

ثُمَّ يَأْتِي آخِرُ مَنْ أَثْرِيَاءَ الْأَوْهَامِ الْعَرَبِ لِيَقُولَ: أَنَا أَوَّلُ مَنْ أَنْشَأَ مَضْرَفًا. وَالْمَسْكِينُ يَعْلَمُ فِي قَرَارَةِ نَفْسِهِ أَنَّ الْمَضْرَفَ الَّذِي أَنْشَأَهُ هُوَ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ الْبُسْطَاءِ، وَقَدْ اسْتَعْمَلَهُ فِي الْمَضَارِبَاتِ الرَّبَوِيَّةِ، وَبَنَى حَيَاتَهُ وَحَيَاةَ أَبْنَائِهِ مِنَ الْمَالِ السُّخْتِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ. ثُمَّ يَأْتِي

آخِرَ لِيَقُولَ: أَنَا وَكِيلٌ لَشَرِكَةِ كَذَا وَكَذَا. وَتَتَوَالَى الْأَمْثَلَةُ الْمُشَابِهَةُ، لِيَبْقَى السُّؤَالُ: مَاذَا فَعَلْتُمْ أَيُّهَا الْأَثَرِيَاءُ الْعَرَبُ لِرُقْيَى أَوْطَانِكُمْ؟ هَلْ اسْتَشْمَرْتُمْ أَمْوَالَكُمْ فِي بِنَاءِ مُسْتَشْفَيَاتٍ، أَوْ إِنْشَاءِ مَرَاكِزٍ لِلْبُحُوثِ الْعِلْمِيَّةِ؟ وَهَلْ أَنْتَجْتُمْ عَقُولًا تُنَافِسُ الْعُقُولَ الْعَرَبِيَّةَ وَالْأَمْرِيكِيَّةَ وَالرُّوسِيَّةَ وَالصِّينِيَّةَ وَالْهِنْدِيَّةَ عَلَى أَقَلِّ تَقْدِيرٍ؟ أَمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ مَا كَسَبْتُمْ بِالْبَاطِلِ أَوْ الْحَقِّ فِي الْبُنُوكِ الْعَالَمِيَّةِ الَّتِي يُسْتَخْدَمُ رِبْعُهَا لِتَدْمِيرِ أُمَّتِنَا الْمُسْلِمَةِ؟

أَعْرِفُ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ سَيُوجِعُكُمْ، وَسَيَعِيشُ فِي تَلَافِيفِ عُقُولِكُمْ لِيُورِّقَكُمْ وَيُعِيدَكُمْ إِلَى أَحْجَامِكُمْ الْحَقِيقِيَّةِ، وَلَكِنْ مِنْ وَاجِبِي قَوْلُ الْحَقِيقَةِ مَهْمَا كَانَتْ جَارِحَةً.

أَذْكُرُ أَنَّنِي تَحَدَّثْتُ فِي مَنْزِلِ أَحَدِ كِبَرَانِنَا، وَفِي حَضْرَةِ أَكْثَرِ مِنْ مِائَةِ وَنِيفٍ مِنْ رِجَالِ الْأَعْمَالِ عَنْ «بِيلِ غَيْتِس» الْمِلْيَارْدِيرِ الْمُبْتَكِرِ، وَأَصْفَتْ أَنَّنِي سَمِيتُهُ الْمُبْتَكِرَ؛ لِأَنَّهُ حَقَّقَ فَتْحًا عِلْمِيًّا جَدِيدًا، وَلَمْ يَعِشْ عَلَى فُتَاتِ الْعُقُولِ الْمُخْتَرَعَةِ وَالْخَلَاقَةِ. ثُمَّ قُلْتُ: إِنَّ الْمِلْيَارْدِيرِ «بِيلِ غَيْتِس» تَبَرَّعَ بِنِصْفِ ثَرْوَتِهِ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ فِي مُخْتَلَفِ بِلَادِ الْعَالَمِ، مِنْ دُونِ تَمْيِيزٍ فِي الْعِرْقِ وَاللَّوْنِ وَالْهَوِيَّةِ، وَإِنَّنِي لَا أَطَالِبُكُمْ أَيُّهَا الْأَثَرِيَاءُ الْعَرَبُ بِأَنْ تَفْعَلُوا فِعْلَهُ، لِأَنَّكُمْ لَنْ تَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ، وَلَكِنْ أَخْرَجُوا زَكَوَاتِكُمْ بِحَقِّ اللَّهِ، وَلَا تَتَحَايَلُوا عَلَى غَمْطِ حُقُوقِ اللَّهِ وَآكَلِهَا بِالْبَاطِلِ، وَسَوْفَ تَرَوْنَ كَيْفَ تَنْهَضُ الْبِلَادُ الْعَرَبِيَّةُ وَالْإِسْلَامِيَّةُ فِي كُلِّ أَرْجَاءِ الْمَعْمُورَةِ، وَكَيْفَ تَشْدُونَ الْعَزَائِمَ نَحْوَ الْعَمَلِ وَالْخَلْقِ وَالِابْتِكَارِ وَتَقْلِيصِ مُسْتَوَى الْبَطَالَةِ. فَاصَابَ الْقَوْمَ وَقْرٌ وَصَمْتُ مَرِيعٍ كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرَ، وَخَرَجَ كُلُّ مِنْهُمْ يُرِيدُ النِّجَاةَ بِأَمْوَالِهِ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ الْقَاتِلِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ.

وَهُنَا تَذَكَّرْتُ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ الْقُرْآنِيِّ: {مِثْلَ الَّذِينَ حَمَلُوا الثَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمِثْلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَالًا} [سُورَةُ الْجُمُعَةِ، آيَةٌ: 5]، لِأَنَّ الْحِمَارَ يَحْمِلُ الْكُتُبَ السَّمَاوِيَّةَ وَالْكِتَابَ الْعِلْمِيَّةَ، وَقَدْ يَحْمِلُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، وَيَقْطَعُ الْمَسَافَاتِ الطَّوَالَ، مِنْ دُونِ أَنْ يُدْرِكَ كُنْهَ مَا يَحْمِلُهُ؛ لِأَنَّ مَهْمَتَهُ تَتَلَخَّصُ فِي حَمْلِ الْأَشْيَاءِ عَلَى ظَهْرِهِ. وَهَذَا حَالُ الْكَثِيرِ مِنْ أَثَرِيَاءِ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ.

وَبِرَغْمِ ذَلِكَ الثَّرَاءِ تَجِدُهُمْ يَتَسَلَّلُونَ إِلَى مَوَائِدِ الشُّعْرَاءِ وَالْأَدْبَاءِ، يَسْتَرْقُونَ وَيَقْتَسِبُونَ بَعْضًا مِنْ شِعْرِهِمْ أَوْ مِنْ فِكْرِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ عَرَفُوا أَنَّ الْمَجْدَ وَالْبَقَاءَ وَالْخُلُودَ لِلْفِكْرِ الْخَلَاقِ، وَلِلشُّعْرِ الَّذِي يَحْكِي قِصَصَ الْأَزْمَنَةِ وَالْعَوَالِمِ. وَقَدْ ابْتَلَانِي أَحَدُهُمْ بِأَنْ أَقَوْمَ بَعْضًا مِنْ كَلَامِ أَسْمَاءِ شِعْرًا، وَعِنْدَمَا قَرَأْتُهُ قُلْتُ لَهُ: يَا أَخِي، هَذَا لَيْسَ شِعْرًا، وَلَكِنِّي سَأَكْتُبُ لَكَ

شِعْرًا عَلَى مَنَوَالِ فِكْرَتِكَ يُمَكِّنُ أَنْ تَنْتَلِقَ لَوْ وُجِدَتْ فِيكَ الْمَوْهَبَةُ. وَقَدْ فَرِحَ لَذَلِكَ، وَظَنَّ أَنَّهُ وَقَعَ عَلَى ضَالَّتِهِ، وَلَكِنَّهُ مَعَ الْأَسَفِ لَمْ يَمْنَلِكْ أَيُّ مَوْهَبَةٍ، فَمَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَكْتُبَ شِعْرًا، عَمُودِيًّا كَانَ أَوْ أَقْفِيًّا، فَرَاخَ يَذْفَعُ الْمَلَايِينَ لِفَنَانَاتِ الصِّفِّ الرَّابِعِ اللُّوَاتِي صِرْنَ يُعْنِينَ شِعْرَهُ، وَاشْتَرَى أُمُصِيَّاتٍ طَوَالًا لِغِنَاءِ شِعْرِهِ عَلَى مَسْرَحِ الْأَوْبَرَاءِ، وَهُوَ إِلَى الْآنَ يُصَدِّقُ أَنَّ مَا يَكْتُبُهُ هُوَ الشُّعْرُ، فَمَرَّةً يَكْتُبُ بِاللُّهْجَةِ الْمُحْكِيَّةِ، وَمَرَّةً يُلْصِقُ كَلِمَاتٍ فُصْحَى بَعْضَهَا بَبْغُضٍ وَيُظَنُّهَا شِعْرًا، وَهِيَ كَالْكَلِمَاتِ الْمُتَقَاطِعَةِ، فَهُوَ لَمْ يَكْتَفِ بِالشَّرَاءِ الْمَالِيِّ، وَلَكِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُرِيَ النَّاسَ عَجَائِبَ قُدْرَةِ زَائِفَةٍ فِيهِ.

هَذِهِ بَعْضُ سَخَافَاتِ الْأَثَرِيَاءِ الْعَرَبِ، فَضْلًا عَمَّا يَقْتَرِفُونَهُ مِنْ أَفْعَالٍ دَنِيَّةٍ وَسَافِلَةٍ فِي كَثِيرٍ مِنْ بُلْدَانِ الْعَالَمِ، وَلَوْ جَاءَهُمْ مُحْتَاجٌ أَوْ فَقِيرٌ يَتَضَوَّرُ جُوعًا لِأَشَاحُوا بِوُجُوهِهِمْ عَنْهُ، وَمَا أَعَارَوْهُ انْتِبَاهًا، وَلَمْ يَصْرِفُوا إِلَيْهِ نَظْرًا وَبَالًا. لَكِنْ بِالْمُقَابِلِ تُولَدُ مِنْ أَعْمَاقِ عُقُولِ وَقُلُوبِ الشُّعْرَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْفَلَسَفَةِ وَالْمُفَكِّرِينَ رَسَائِلُ الْفَضِيلَةِ وَالْعُلُومِ النَّافِعَةِ، وَيَكُونُ هَؤُلَاءِ الْجَهَابِذَةُ مُلُوكًا لَا يَزُولُ مُلْكُهُمْ، وَلَا يَدُولُ فِي حَيَاتِهِمْ وَلَا بَعْدَ مَوْتِهِمْ. وَلَنْ أَكْرَرَ أَنَّ هُنَاكَ مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ الشُّعْرِ وَالْفُنُونِ وَالْعُلُومِ وَالْآدَابِ، وَمَا يَزَالُ اسْمُهُ يَرْنُ فِي سَمْعِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، وَتُسْتَشْهَدُ بِأَقْوَالِهِ الْأُمَمُ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ. وَلَكِنِّي أَيْضًا أَرَى أَنَّ الشُّعْرَاءَ الْحَقِيقِيِّينَ قَلَّةٌ، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ يَدْعِي الشُّعْرَ شَاعِرًا حَتَّى وَلَوْ عَرَفَ الْعُرُوضَ وَبُحُورَ الشُّعْرِ... لَا، فَالشُّعْرُ هُوَ رَأْسُ الْفُنُونِ، وَلَا يَسْتَطِيعُهُ إِلَّا مَنْ كَانَتْ مَوْهَبَتُهُ أَكْبَرَ مِنْ حَجْمِ جِسْمِهِ، كَالْمُتَنَبِّيِّ وَأَضْرَابِهِ. أَمَّا أَنْ يَرْكَبَ مَرَكَبَ الشُّعْرِ مَنْ لَا يَعْرِفُ أَنَّ الشُّعْرَ قَضِيَّةٌ وَرُؤْيَا تَخْتَرِقُ الْعَوَالِمَ، فَذَلِكَ مَا لَا يَقْرِئُهُ سِوَى السُّدْجِ الْبُسْطَاءِ، تَمَامًا كَمَا هِيَ حَالُ الشُّعْرِ النَّبْطِيِّ الَّذِي تَسْمَعُهُ، وَتُشَاهِدُ الْحُضُورَ الْغَفِيرَ الَّذِي يَخْتَلِفُ إِلَى خَلْقَاتِهِ، وَكَأَنَّهُ الْقَوْلُ الْمُعْجَزُ.

وَهَذَا أَيْضًا سَبَبٌ آخَرُ مِنْ أَسْبَابِ اهْتِرَاءِ وَضِياعِ الْعُقُولِ الْعَرَبِيَّةِ فِي دُرُوبِ السَّدَاجَةِ وَالضَّحَالَةِ وَالْجَهْلِ، الَّذِي يُحَاوِلُ أَصْحَابُهُ الْأَسَاءَةَ وَلَوْ مِنْ دُونِ عِلْمٍ إِلَى لُغَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِإِحْلَالِ اللَّهْجَاتِ الْقَبْلِيَّةِ مَحَلَّ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْأُمِّ، فَتَدْخُلُ الْعُجْمَةُ إِلَى هَذِهِ اللُّغَةِ، وَهُوَ أَيْضًا مَا يُسَعِدُ أَعْدَاءَ أُمَّتِنَا الْعَرَبِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ، كَيْ يُحَوِّلُونَا إِلَى لُغَتِهِمْ، وَنَذُوبٍ فِي قِيَمِهِمْ وَعَادَاتِهِمْ وَمَوَرُوثَاتِهِمْ الْعَقَائِدِيَّةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ، وَهَذِهِ هِيَ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى الَّتِي يَسْعَى لَهَا الْكَثِيرُ بِجَهْلِ لَا يُدْرِكُ أَبْعَادَهُ الْمُسْتَقْبَلِيَّةَ، وَانْجِرَارًا وَرَاءَ حَضَارَةِ الْقُوَى وَإِعْزَاءَاتِهَا، لِيَسْهَلَ انْقِيَادُ الْأُمَّةِ.

أَنَا - نَحْنُ الْعَرَبَ - نَعِيشُ عَلَى انْقَاضِ الْأَوْهَامِ مِنْ دُونِ أَنْ نُعْمَلَ عُقُولَنَا الَّتِي خَلَقَهَا
اللَّهُ لَنَا وَفِينَا.

أَقُولُ.. أَحْيَا، إِنَّ أُمَّةً بَلَا تُرَاثُ هِيَ أُمَّةٌ مَيِّتَةٌ لَا حَيَاةَ فِيهَا، وَهِيَ أَشْبَهُ بِالسَّوَائِمِ الَّتِي
تَنْتَظِرُ الذَّبْحَ بَعْدَ تَسْمِينِهَا، فَهَلْ رَأَيْتُمْ سَوَائِمَ شَاعِرَةٍ أَوْ خَالِقَةٍ لِأَيِّ نَوْعٍ مِنَ الْإِبْدَاعِ؟ رُبَّمَا
تَنْطِقُ إِحْدَى السَّوَائِمِ وَتَقُولُ: أَنَا كَذَلِكَ! فَمَا أَكْثَرَ الْمُدَّعِينَ فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ!

ابْتِسَامُ

أَجْمَلُ مَا تَفْعَلُهُ أَنْ تَبْتَسِمَ فِي الْحُزَنِ، وَحَتَّى عِنْدَمَا يَقْرُعُ ضَجِيجُ الْوَقْتِ جُذْرَانَ صَمْتِكَ فَافْتَحْ لَهُ الْأَبْوَابَ، وَاتْرُكْهَا مُسْرَعَةً مِنْ دُونِ أَنْ تُلْقِيَ بَالًا لَجَلَجَلَةِ أَصْوَاتِهِ، فَمَا أَنْتَ الْقَادِرَ عَلَى مَنَعِ الْغَوَائِلِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَلَا حَبْسِ أَنْفَاسِ الرِّزَايَا حِينَ تَخْتَرِمُ الْأَعْمَارَ، وَلَسْتَ الْقَادِرَ عَلَى إِيقَافِ أَحْدَاثِ الزَّمَانِ، لِذَا عَلَيْكَ أَنْ تَبْتَسِمَ فِي مَدَائِنِ الصَّبْرِ وَكَأَنَّكَ مَا عَرَفْتَ الْحُزْنَ وَلَا الْأَلَمَ قَطُّ. وَاصْطَنِعْ رَدَّةَ فِعْلٍ أَقْوَى لِتُوهِمَ الْحَيَاةَ أَنَّكَ جَبَلٌ أَشَمُّ، لَا تُطَاوِلُكَ عَوَامِلُ التَّعْرِيةِ، وَلَا تَنَالُ مِنْكَ الْأَهْوَاءُ وَلَا الرِّيَّاحُ وَلَا الْأَعَاصِيرُ، بِرَغْمِ أَنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُوقِفَ دَوْرَةَ الْإِنْكَسَارِ دَاخِلَ قَلْبِكَ، وَلَكِنَّكَ إِذْ تَعْتَادُ الْأَلَمَ فَإِنَّهُ يُصْبِحُ عَادَةً مُسْتَسَاعَةً قَابِلَةً لِلْإِحْتِمَالِ، وَكَأَنَّكَ تَبْتَلِعُ مُسْكِنَاتٍ عِلَاجِيَّةً لِلتَّخْفِيفِ مِنْ وَطْأَتِهِ.

ابْتَسِمِ كَابْتِسَامِ الصَّبَاحَاتِ لِلَّيْلِ، وَأَسْكِنِ اللَّوْعَةَ وَالْهُمُومَ وَالْجِرَاحَ أَجْدَاثَ النَّسِيَانِ، وَأَسْدِلْ حُجُبًا عَلَى قَوَارِعِ الدَّهْرِ، وَكَلِّمَا عَاوَدَكَ التَّفَكِيرِ وَالتَّذَكُّرِ لِوَاقِعِ أَلِيمِ عِشَّتِهِ اسْحَبْ عَلَيْهِ غَطَاءً يَحْجُبُ عَنْكَ رُؤْيَا وَجْهِ الْكَدْرِ، وَصُمِّمِ أذُنَكَ بِقَدْرٍ مَا تَسْتَطِيعُ عَنْ صَوْتِ الْجَلْبَةِ الْمُحْدَثَةِ لِلْقَلْقِ وَالْحَيْرَةِ، لِأَنَّكَ كُلَّمَا أَسْرَفْتَ فِي التَّفَكِيرِ فَتَحَتْ لَكَ الْوَسَاوِسُ وَالظُّنُونُ أَبْوَابًا لِلْكَدْرِ أَوْسَعَ مِنْ إِحْتِمَالِكَ فِي نَفْسِكَ، وَأَظْلَمَتْ عَلَيْكَ صَبَاحَاتُكَ، فَلَا تَعُودُ قَادِرًا عَلَى رَسْمِ الْبَهْجَةِ وَلَا مُغَالَبَةِ فِجَاجِ الزَّمَانِ وَلَا الْإِسْتِنَاسِ بِالسَّلْوَى.

إِنَّ الْعَاقِلَ هُوَ مَنْ إِحْتَالَ عَلَى الْحَيَاةِ بِالصَّبْرِ، وَانْتَصَرَ بِالْأَمَلِ، وَتَوَاصَى بِغَضِّ الْبَصَرِ وَتَغْلِيفِ الْقَلْبِ وَتَجْهِيلِ الْعَقْلِ، حَتَّى تَصْغُرَ فِي النَّفْسِ مَكَارِهُهَا، فَتَسْتَصْغِرَ وَقَائِعُ الْأَحْدَاثِ وَعَظَائِمُ الْأُمُورِ، فَمَا يَهُولُكَ الْيَوْمُ يَهُونُ بِتَفَادِيهِ، وَلَيْسَ أَكْبَرَ وَلَا أَعْظَمَ عَلَى النَّفْسِ مِنَ الْمَوْتِ، وَلَكِنَّهُ الْقَدَرُ الْمَحْتُومُ، فَمَاذَا أَنْتَ صَانِعٌ لِتَدْرَأَ الْمَوْتَ؟ فَعِشْ بِالسَّلْوَانِ عَازِفًا عَنْ كُلِّ مَا يَشِينُ وَيُقْلِقُ رَاحَتَكَ، وَمَا عَلَيْكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ فِي مُخْتَلِفِ الْأَحْوَالِ سِوَى أَنْ تَبْتَسِمَ لِلْحَيَاةِ.

الفساد مؤذن بالخراب

الأصل في فطرة الخلق الصلاح والإصلاح، والخروج عن الفطرة خروج عن طبيعة التكوين الرباني، فالله طيب لا يقبل إلا الطيب، وهو الذي شرع لنا من الدين ما أوصى به نوحاً والنبيين من بعده، إلا أن البشر تمرّدوا على الناموس ودأبوا على الشر، حين وجدوا الخير وعلموه فأرادوا أن يجربوا بجهلهم ما يغري به الشر، فكانت أولى التجارب بعد هبوط أبينا آدم عليه السلام إلى الأرض هي تجربة القتل التي جرت بين قابيل وهابيل. ثم تعددت التجارب في فتح أبواب الشرور، ووجد البشر ما يغريهم في انتهاج سبيلها ورُكوب مراكبها، حتى وصل الناس بالشرور إلى أقصاها، فاستباح الإنسان دم أخيه الإنسان وعرضه وماله من دون رحمة ولا وازع، كأنما كل واحد يريد من الحياة أن تكون له وحده من دون سواه، ولو هلك الخلق أجمعين ما اهتّم إلا بمصيره الشخصي.

لقد كانت الشرور في الإنسان تأخذ أشكالاً تقليدية، تطورت من القتل بالسيف إلى أبشع أنواع القتل، بعد صناعة الأسلحة الفتاكة التي أصبحت بضعة زراً أو بلمسة جهاز تسحق أمماً وتدمر بلداناً، وأصبح القوي هو المتحكم في مصائر الخلق وأقدارهم، والعقول تتكرر وسائل الاحتيايل والنصب والسلب بأشكال منظمة لتسوغ الفعل، بحيث لا يجرم الفاعل ولا يطأه القانون، وهو ما نعيشه اليوم، وما تملّيه شرائع الأقوياء، فكانت ردود فعل الضعفاء والبسطاء أقرب إلى المجازفة بالنفس دفاعاً عن الكرامة والحق.

فما دام مؤثمهم وهلاكهم نوعاً من تحصيل الحاصل، فما عليهم إلا أن يتحوّلوا إلى قنابل موقوتة يفجرونها في وجوه قاتليهم؛ فيقتلون ويقتلون، وقد تطورت أساليب الجريمة وطرقها من سرية إلى معلنة، كما ارتفع منسوب الجرائم الفردية والجماعية بفعل ازدياد المنظمات الإرهابية، وتطور فنون الإرهاب، ففي كثير من البلدان شنّ الإرهاب هجمات ضد الجميع، ومن دون تفريق بين إنسان مسالم وآخر مدجج بالسلاح.

كما أصابت البشر سورة من الجنون لم يكن لها مثيل على الأرض، فأصبح الكل يقتل الكل، بلا مسوغ عقلي أو سبب يجيز هذا العنف غير المبرر في مختلف الشرائع السماوية، لقد رأينا الأرض وهي تمور موراً، وتلتهب بنيران الطغيان والبغي، فلم يعد

الرُّشْدُ قَائِدًا لِلْإِنْسَانِ، بَلْ الْإِحْتِكَامُ إِلَى الْجَهْلِ، وَأَصْبَحَتِ اللَّغَةُ السَّائِدَةُ هِيَ لُغَةُ الْقُبْلَةِ وَالرَّشَاشِ وَالصَّوَارِيخِ وَالطَّائِرَاتِ، وَمَا خَفِيَ مِنْ أَسْلِحَةِ الدَّمَارِ الشَّامِلِ. نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَقِينَا وَالْمُسْلِمِينَ شُرُورَهَا.

إِنَّ الْعَالَمَ يَصْطَخِبُ، وَالنُّفُوسَ تَحْتَرِبُ، وَالْأَمَانَ يَكَادُ يَنْعَدِمُ، فَأَيْنَ أَصْحَابُ الْعُقُولِ أَهْلُ الْحِكْمَةِ مِنْ هَذِهِ الصَّرَاعَاتِ غَيْرِ الْأَخْلَاقِيَّةِ؟ وَلِمَاذَا لَا تَنْشَأُ هَيْئَاتٌ أَوْ مُنْظَمَاتٌ إِصْلَاحِيَّةٌ تُوظِّفُ عُقُولًا مِنْ أَهْلِ الْحِكْمَةِ فِي إِطْفَاءِ جَذْوَةِ الْعَدَاءِ وَالتَّانَحُرِ وَالْبَغْضَاءِ بَيْنَ الْبَشَرِ؟ وَحَتَّى عِنْدَمَا يَسْتَشْهَدُ النَّاسُ بِالْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: {قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ} [سُورَةُ طه، آيَةُ: 123]، فَلَايَةُ لَا تَحُضُّ عَلَى الْعُنْفِ، لَكِنَّهَا تَجِيءُ فِي مَوْضِعِ اسْتِنكَارِيٍّ لِمَا يَعْلَمُهُ اللَّهُ مِنْ دَوَافِعِ الشَّرِّ فِي الْإِنْسَانِ، وَفِيهَا اسْتِثْنَاءٌ لِلنُّفُوسِ الْخَيْرَةِ وَالطَّيِّبَةِ، الَّتِي تَعْرِفُ أَنَّ حَيَاةَ النَّاسِ إِنَّمَا هِيَ مَنْظُومَةٌ لَا يَكْتَمِلُ عِقْدُهَا إِلَّا بِمَحَافَظَةِ الْكُلِّ عَلَى حَيَاةِ الْكُلِّ، بَدَلًا مِنْ إِفْنَاءِ الْكُلِّ لِلْكُلِّ.

مِنْ هُنَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُعِيدَ تَرْتِيبَ أَفْكَارِنَا مِنْ جَدِيدٍ، وَأَنْ نَتَدَارَسَ -بِهْدْوَةٍ نَفْسِيٍّ وَمَنْطِقِيٍّ عَقْلِيٍّ وَوَازِعٍ دِينِيٍّ وَأَخْلَاقِيٍّ- الْأَسْبَابَ الَّتِي نَقْلَتْنَا مِنَ الْجَرَائِمِ التَّقْلِيدِيَّةِ الْمُفْرَدَةِ إِلَى الْجَرَائِمِ الْمُنْظَمَةِ وَالْجَمَاعِيَّةِ الَّتِي تَنْفِذُهَا مُنْظَمَاتُ الْإِرْهَابِ الْعَالَمِيِّ، وَتَسْخَرُ لَهَا أَعْدَادًا مِنَ النَّاسِ لَا يُسْتَهَانُ بِهَا، لِتَنْفِذِ غَايَاتِهَا تَحْتَ ذَرَائِعٍ وَاهِيَةٍ وَغَيْرِ مُفْنِعَةٍ.

الكَثِيرُ مِنَ الدُّوَلِ تَخْتَلِقُ النُّظَرِيَّاتِ وَالْأَفْكَارَ الْمُضِلَّةَ الْمُهْمِئِمَّةَ عَلَى الشُّعُوبِ وَتَرَوَاتِهَا، فَتَشْتَغِلُ نِيرَانُ الْفِتْنَةِ بَيْنَ أُنْبَاءِ الْوَطَنِ الْوَاحِدِ؛ فَأَمْرِيكََا تَخْلُقُ الْإِرْهَابَ وَتُلْصِقُهُ بِأَمْتِنَا الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ، وَهِيَ أَوَّلُ صَانِعٍ لِلْإِرْهَابِ الْعَالَمِيِّ مُنْذُ الْقُبْلَةِ النَّوَوِيَّةِ عَلَى هِيْرُوشِيْمَا وَنَاجِرَاكِ فِي الْيَابَانِ. وَلَكِنَّا هُنَا فِي مَجَالِ تَقْيِيمِ الْأَحْدَاثِ الْقَدِيمَةِ بِقَدْرِ مَا نَحْنُ بِصَدَدِ الْحَاضِرِ الْمَاسَاوِي الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ حَالَاتٍ مِنَ الْإِرْهَابِ النَّفْسِيِّ وَالْمَادِيِّ بِأَنْوَاعِهَا.

تِلْكَ الدُّوَلُ هِيَ الَّتِي تَصْنَعُ الْإِرْهَابَ وَتَسْعَى إِلَى تَعْرِيزِهِ فِي أَوْطَانِنَا، وَنَحْنُ لَمْ نَجْهَدْ كَثِيرًا فِي تَتَبُعِ نَشْوءِ هَذِهِ الظُّوَاهِرِ، وَمَاهِيَّةِ الْأَسْبَابِ الَّتِي كَوْنَتْ تِلْكَ الْبُورَ الْإِرْهَابِيَّةَ، وَكَيْفِيَّةَ عِلَاجِهَا، وَالْحَدِّ مِنْ تَفَاقُمِهَا، مِنْ دُونِ الْأَخْذِ بِدِرَاسَةِ الْأَسْبَابِ وَالِدَوَافِعِ الَّتِي أَوْجَدَتْهَا، وَالسُّبُلِ النَّاجِعَةِ لِإِعَادَةِ النُّفُوسِ إِلَى سَوِيَّتِهَا.

إِنِّي أَجِدُ أَنَّ أَهَمَّ الدَّوَافِعِ إِلَى الْإِرْهَابِ هُوَ الظُّلْمُ، الَّذِي يُؤَسِّسُ بَدَايَةَ لِلْفَسَادِ فِي الْأَخْلَاقِ، ثُمَّ يَتَفَرَّغُ إِلَى كُلِّ أَشْكَالٍ وَأَنْوَاعٍ الْفَسَادِ فِي التَّعَامُلَاتِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ الَّتِي تَمَسُّ حَيَاةَ الْمَوَاطِنِ، حَيْثُ يَسْتَنْمِرُ الْبَعْضُ مِنْ ذَوِي الشَّانِ وَالْمَسْئُولِيَّةِ مَشَاكِلَ الْبُسْطَاءِ، وَيُحَوِّلُونَهَا إِلَى مَكَاسِبَ تَصُبُّ فِي مَصَالِحِهِمُ الْخَاصَّةِ. وَمِنْ هُنَا يَبْدَأُ التَّسَيُّبُ وَفَقْدَانُ الرَّقِيبِ وَعَدَمُ الْإِحْسَاسِ بِالْمُوَاطَنَةِ الصَّادِقَةِ، وَيَنْشَأُ نِظَامٌ مِنْ نَوْعٍ آخَرَ، هُوَ نِظَامُ اغْتِنَامِ الْفُرْصِ الْمُتَّاحَةِ وَخَلْقِ الْمَشَاكِلِ لِبَيْعِهَا وَشِرَاءِ الْحُلُولِ لَهَا، وَيُولَدُ الثَّرَاءُ السَّرِيعُ الْمُتَنَهِكُ لِلضُّعَفَاءِ، وَالْمُؤَدِّي إِلَى الْفَقْرِ الَّذِي تَتَوَلَّدُ مِنْهُ الْجَرِيْمَةُ وَالْإِرْهَابُ. فَحِينَ تَضِيعُ الْأُمَالُ عِنْدَ ضِعَافِ الْحَالِ، وَتَقِلُّ ذَاتُ الْيَدِ، وَتُصْبِحُ حَيَاةُ الْإِنْسَانِ جَحِيمًا حَقِيقِيًّا، يُمَكِّنُ لَهُ أَنْ يَسِيرَ فِي طَرِيقِ الْإِنْحِرَافِ بَحْثًا عَمَّا يُدِرُّ عَلَيْهِ مَا يَفِي بِحَاجَاتِهِ وَحَاجَاتِ أُنْبَانِهِ، حَتَّى لَوْ كَانَ فِي ذَلِكَ هَلَاكُهُ.

وَلَا بُدَّ لَنَا مِنْ أَنْ نَسْأَلَ عَمَّا قَدَّمَهُ أَصْحَابُ الثَّرَوَاتِ وَالتُّجَّارُ الْكِبَارُ مِنْ أَهْلِ الْمَالِ تَجَاهَ أُمَّتِهِمْ وَشَبَابِهَا، مَاذَا قَدَّمُوا لَشُعُوبِهِمْ وَهُمْ يَكْتَسِرُونَ ثَرَوَاتٍ طَائِلَةً لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى؟ فَحَتَّى الزَّكَاةُ بَيْتُ الْإِحْتِيَالِ فِي إِخْرَاجِهَا، وَلَوْ تَمَّ إِخْرَاجُ الزَّكَاةِ بِصُورَتِهَا الشَّرْعِيَّةِ لَمَا وَجَدَ فَقِيرٌ فِي أَوْطَانِنَا الْعَرَبِيَّةِ، وَلَكِنَّ التَّقْوَى غَائِبَةٌ، وَمَخَافَةُ اللَّهِ لَيْسَتْ سَاكِتَةً فِي الضَّمَائِرِ، فَسُحِقُوا لَهُمْ وَتَبَّ، وَسَاءَ مَا يَعْمَلُونَ.

وَلَوْ قُدِّرَ لِلْمَسْئُولِ الْعَاقِلِ أَنْ يَحْتَضِنَ أَبْنَاءَ الْأُمَّةِ وَشَبَابِهَا، وَيُؤَمِّنَ لَهُمُ الْعَمَلَ، وَيُوفِّرَ لَهُمُ التَّأْمِينَ الصَّحِّيَّ، وَالنَّظَرَ فِي رَوَاتِبِ خَرِيجِي الْجَامِعَاتِ، بِمَا يُوفِّرُ الْحَيَاةَ الْكَرِيمَةَ مِنْ مَلْبَسٍ وَمَأْكَلٍ وَمَسْكَنٍ وَتَعْلِيمٍ وَكِفَايَةٍ تَحْفَظُ الْقِيَمَ وَالْكَرَامَاتِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ سَيَهْدُمُ كُلَّ نَظَرِيَّاتِ الْإِرْهَابِ وَدَوَافِعِهِ، وَيَجْفَأُ مَصَادِرُهُ وَحَوَاضَتُهُ الْمَوْلَدَةَ لَهُ، حَيْثُ تَنْشَأُ أَجْيَالٌ مُحِبَّةٌ وَمُخْلِصَةٌ لِأَوْطَانِهَا، وَعَامِلَةٌ عَلَى الْخَلْقِ وَالْإِبْدَاعِ وَالْإِبْتِكَارِ، وَتَكُونُ عِنْدَئِذٍ قَدْ حَصَّنَا فِكْرَ الْأَجْيَالِ بِحَصَانَةٍ لَا يَسْتَطِيعُ أَيُّ فِكْرٍ هَذَا أَنْ يَخْتَرِقَهَا، طَالَمَا أَنَّ إِنْسَانَ الْوُطَنِ يَعْيشُ بِمَنَآئِ عَنْ مَذَلَّةِ السُّؤَالِ وَالْحَاجَةِ وَالْفَاقَةِ، فَهُوَ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْحَالِ يَدُ الدَّوْلَةِ الَّتِي تَضْرِبُ بِهَا الْأَعْدَاءُ، وَثَرَوَتِهَا الَّتِي تَنْهَضُ بِاِقْتِصَادِهَا، وَسَيَكُونُ عَقْلُهَا الْبَاحِثَ عَنِ السَّلَامِ وَالرِّخَاءِ وَالْإِزْدِهَارِ، فَتَأْمَنُ الدُّوَلُ وَشُعُوبُهَا مِنْ غَوَائِلِ مَا يُخَطِّطُهُ الْأَعْدَاءُ وَالْمَاكِرُونَ لِأَوْطَانِنَا وَشُعُوبِنَا، فَهَلْ إِلَى هَذَا مِنْ سَبِيلٍ؟

تَجَاهَلُوهُمْ

تَحَاوَلُ الصَّحِيفَةُ الْفَرَنْسِيَّةُ «شَارلي» أَنْ تَسْتَشِيرَ الْمُسْلِمِينَ بِالتَّعْرِيزِ بِرَسُولِنَا الْعَظِيمِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ، وَالْمُسْلِمُ الْعَاقِلُ يَجِدُ أَنَّ مِنَ الْحِكْمَةِ اتِّبَاعَ قَوْلِ الْمَوْلَى - عَزَّ وَجَلَّ - : {وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [سُورَةُ الْأَعْرَافِ، آيَةٌ: 199]، وَيَجِبُ عَلَيْنَا أَلَّا نَقْرَأَ هَذِهِ الصُّحُفَ الْحَاقِدَةَ وَكُتَابَهَا الْمُؤْتَوِّرِينَ، فَيَتَجَاهَلُهُمْ إِنَّمَا يَمُوتُونَ غِيظًا وَكَمَدًا، وَيَظَلُّ كَيْدُهُمْ دَاخِلَ نُحُورِهِمْ، وَمَا هُمْ بِضَارِينَ نَبِيَّنَا وَلَا دِينَنَا وَلَا الْمُسْلِمِينَ، وَيَكْفِي أَنْ اللَّهَ يَقُولُ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ: {إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ} [سُورَةُ الْحَجَرِ، آيَةٌ: 95]. فَمَنْ أَقْوَى وَأَعْظَمُ مِنَ اللَّهِ الْقَوِيُّ الْمَتِينِ الْمُنتَقِمِ الْجَبَّارِ؟ اتْرُكُوهُمْ لِلَّهِ وَلَا تَدْعُوهُمْ يَسْتَشِيرُونَكُمْ، وَانْتَظَرُوا انْتِقَامَ اللَّهِ مِمَّنْ يُسِيءُ إِلَى نَبِيِّنَا الْعَظِيمِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَاللَّهُ يَنْتَصِرُ لِدِينِهِ وَنَبِيِّهِ وَحُرَمَاتِهِ {وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ} [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ، آيَةٌ: 227].

عَابِدُ خَزَنَدَارِ

وَقَفَ عَلَى كُلِّ مَوَانِي الْحَيَاةِ، وَكَانَ يَوُدُّ الْوُلُوجَ مِنْ كُوَّةِ الْفِكْرِ إِلَى مَشَارِفِ النُّورِ، لَكِنَّ الْأَبْوَابَ كَانَتْ مُوصَدَّةً أَمَامَهُ وَأَمَامَ أَقْرَانِهِ الْأَحْرَارِ، فَانْتَحَى بِهِ الزَّمَانُ جَانِبًا، وَأَسْدَلَ عَلَيْهِ سِتَائِرَ الْغَفْلَةِ وَهُوَ يَنْظُرُ مِنْ ثُقُوبِ الْوَقْتِ، فَيَرَى رَبَائِبَ الْهَوَى وَهُمْ يَجْلِسُونَ عَلَى أَرَائِكِ الْهَيْبَةِ وَسُمُومِ الْحَالِ وَجَزِيلِ الْمَالِ. وَعِنْدَمَا أَعْيَنَتْهُ الْقُدْرَةُ عَنْ بُلُوغِ ذَاتِهِ؛ صَاحَبَ الْمَنَافِي، لِيُرْسِمَ جَمَالَ الصَّبَاحَاتِ وَيَسْتَظِلَّ بِكُتُبِهِ، قَارِنًا لثَرَاثِهِ وَضَارِبًا صَفْحًا عَنْ بَهَارِجِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، وَكَانَ يَتَأَمَّلُ فِي الْكُؤُنِ وَانْتِظَامِ حَرَكَاتِهِ، وَيُسْجِلُ بِقَلَمِ الصَّمْتِ غَايَةَ الدُّنْيَا، وَمَاهِيَةَ الْأَنَا، وَعَبَثِيَّةَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، وَتَضَادَّ الْأَرْوَاحِ فِي أَرْضِ بَدَائِيَةِ الْفُطْرَةِ، لَا تَقْبَلُ التَّحَوُّلَ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَرَدَّاتِ الْفِعْلِ. لَقَدْ كَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فَيَلْسُونًا مُعْتَكِفًا فِي مَحْرَابِ الْفِكْرِ، قَدِيسًا لِأَمَانَةِ الْكَلِمَةِ، حَتَّى لَفَظَ آخِرَ أَنْفَاسِهِ فِي مَفْهَاءِ الْإِخْتِيَارِيِّ بِبَارِيسَ، مُجَلَّلًا بِعَبَقِ الذِّكْرِ وَجَمِيلِ الْعَطَاءِ.

هَكَذَا عَاشَ عَابِدُ، وَهَكَذَا مَاتَ عَابِدُ⁽¹⁾.

(1) تأييد للراحل الأديب الكبير الأستاذ: عابد خزندار، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته والمسلمين.

إِلَّا الْوَطَنَ

هُدُوءٌ فِي أَمْرِيكَ، وَهُدُوءٌ فِي بَرِيطَانِيَا، وَهُدُوءٌ فِي فَرَنْسَا، وَهُدُوءٌ فِي أَلْمَانِيَا، وَهُدُوءٌ فِي كُلِّ أَوْرَبَا، وَاطْنُهُ الْهُدُوءَ الَّذِي يَسْبِقُ الْعَاصِفَةَ. وَعَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ يَشْتَعِلُ الشَّرْقُ الْأَوْسَطُ أَوْ كَمَا أَرَادَتْهُ أَمْرِيكَ، الشَّرْقُ الْأَوْسَطُ الْكَبِيرُ، بِالْحُرُوبِ الدَّامِيَةِ الَّتِي تَهْدِفُ إِلَى تَفْتِيتِ الْمِنْطَقَةِ وَتَجْزِيءِ وَحْدَةِ بِلْدَانِهَا، بَلْ وَتَمْزِيقِهَا وَتَقْطِيعِ لَحْمَةِ الْعِرْقِ وَالْدَّمِ فِي أُمَّةٍ كَانَتْ عَلَى الدَّوَامِ تَدْعُو إِلَى الْإِخَاءِ وَحُسْنِ الْجَوَارِ.

انْظُرُوا مَعِيَ إِلَى خَرِيطةِ الْحُرُوبِ الْمُعَاصِرَةِ الَّتِي بَدَأَتْ بِالْعِرَاقِ وَتُونِسَ وَلِيبِيَا وَسُورِيَا وَمِصْرَ، وَمِنْ ثَمَّ الْيَمَنَ، لَتُعَايِنُوا حَلَقَةَ الْعُنْفِ فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ، وَالْحَرْبَ الْمُدمِّرَةَ الَّتِي أَسَّسَتْ وَنَظَرَتْ لِقِيَامِهَا أَمْرِيكَ وَحُلَفَاؤُهَا الْغَرِيبُونَ، وَلِيَحِلَّ الْخَرِيفُ الْعَرَبِيُّ بَدَلًا مِنَ الرَّبِيعِ الْمَوْعُودِ.

أَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى خَرِيطةِ الْحُرُوبِ الَّتِي تَجْتَاخُ بِلَادَ الْعَرَبِ، وَاسْأَلُوا أَنْفُسَكُمْ: لِمَاذَا الدُّوَلُ الْعَرَبِيَّةُ وَحْدَهَا هِيَ الَّتِي تَسْتَهْدِفُهَا أَمْرِيكَ وَأَوْرَبَا؟ أَلَيْسَتْ هَذِهِ الْحُرُوبُ الْمُفْتَعَلَةُ مَدْعَاةً لِلتَّسَاوُلِ؟ ثَمَّ انْظُرُوا إِلَى تَجْنِيدِ أَدَوَاتِ أَمْرِيكَ وَأَوْرَبَا، مِنَ الْعِرَاقِ وَسُورِيَا إِلَى «دَاعِش» وَالْيَمَنَ، وَكَيْفَ نَفَخَتْ فِي إِبْرَانَ رُوحَ الْعَدَاءِ ضِدَّ غَيْرِهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِتُغْرِبَهَا بِالْهَيْمَنَةِ عَلَى الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ، وَانْظُرُوا إِلَى مَا يُحْطِطُهُ الْغَرْبُ لِبِلَادِنَا، حَيْثُ يَجْعَلُ مِنْ قَبِيلَةِ صَغِيرَةِ الْحَجْمِ وَالْقُوَّةِ أَدَاةً لِحُوضِ صَرَاعَاتٍ قَائِمَةٍ عَلَى الْمَذْهَبِيَّاتِ، وَلَا سِتْهَدَافِ دُولِ الْخَلِيجِ وَعَلَى رَأْسِهَا الْمَمْلَكَةُ بِلَادُ دَنْبٍ أَوْ جَرِيرَةٍ، إِنَّمَا هُوَ تَخْطِيطٌ مُدَبَّرٌ لِاسْتِكْمَالِ نَظَرِيَّةِ «الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ الْكَبِيرِ»، وَنَظَرِيَّةِ «الْفَوْضَى الْخَلَاقَةِ»، لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ، حَيْثُ يُرِيدُونَ بِأَوْطَانِنَا وَأُمَمِنَا الشُّرُورَ، بُغْيَةَ تَحْقِيقِ النُّفُوذِ الْإِمْبَرَاطُورِيِّ لِأَمْرِيكَ، وَالْهَيْمَنَةِ عَلَى مُقَدَّرَاتِ الْأُمَّةِ، وَاسْتِغْلَالِ ثُرَوَاتِهَا عَلَى حِسَابِ الْعَرَبِ.

لَقَدْ زَرَعَتْ أَمْرِيكَ فِي كُلِّ بِلَدٍ غُرُوسَ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ بَيْنَ أَبْنَائِهِ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبِلْدَانِ الْمَجَاوِرَةِ، وَبَعْدَ أَنْ أَجْهَزْتَ عَلَى أَفْغَانِسْتَانِ وَبَاكِسْتَانِ، الْبِلْدَيْنِ الْمُسْلِمَيْنِ، وَلَمْ يَتَبَقْ لَهَا إِلَّا دُخُولُ الْخَلِيجِ، عَمِلْتَ عَلَى خَلْقِ نِزَاعَاتٍ جَدِيدَةٍ فِي غَيْرِ بِلَدٍ وَنَاحِيَةٍ، لِاسْتِزَافِ مَا تَبَقَّى مِنْ ثُرَوَاتِ الْأُمَّةِ وَقُدْرَاتِهَا وَخَيْرَاتِهَا، مِنْ دُونِ أَنْ تَتَكَبَّدَ مِنْ جِهَتِهَا خَسَارَةٌ تَذَكَّرُ.

ثُمَّ تَعَالَوْا تُنْعِمِ الْفِكَرَ فِي الْيَمَنِ لِنَرَى كَيْفَ دَخَلَتِ الْمِنْطَقَةَ الَّتِي تَدُورُ فِي أَتُونِ حُرُوبِ ضَارِيَةٍ لَنْ يَسْلَمَ مِنْهَا الدَّانِي وَالْقَاصِي، وَقَدْ أُعْطِيَتْ عَصَا الْقِيَادَةِ لِإِيرَانَ لِتَقْوِيضِ مَا ظَلَّ مُعَايَ حَتَّى الْآنَ مِنْ قُوَّةِ الْعَرَبِ وَثُرُوتِهِمْ، وَبَعْدَ أَنْ تُنْجِزَ إِيرَانُ مَهْمَتَهَا لَا بُدَّ لِأَمْرِيكَ مِنْ أَنْ تَسْحَبَ الْبِسَاطَ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهَا، وَتُلْقِيَ بِهَا إِلَى هُوَّةِ سَحِيقَةٍ مِنَ التَّحْجِيمِ وَالتَّأْزِيمِ وَالْفَقْرِ الْمُدْقِعِ.

وَيَبْقَى السُّؤَالُ الَّذِي يَفْرِضُ نَفْسَهُ عَنِ الْفُصُولِ الْآخِرَةِ مِنَ الْأَزْمَةِ الَّتِي جَرَّتِ الْيَمَنَ وَدَوَلَ الْخَلِيجِ إِلَى حُرُوبٍ دَامِيَةٍ. وَقَدْ تَكَشَّفَتِ النَّوَايَا، وَافْتُضِحَتِ الْمَقَاصِدُ، حَيْثُ اقْتَضَتِ اللَّعْبَةُ - وَتَحْتَ الْمِظَلَّةِ الْإِيرَانِيَّةِ - عَقْدَ شَرَاكَةٍ دَنِيَّةٍ بَيْنَ الْحُوْثِيِّينَ وَبَيْنَ عَلِيٍّ صَالِحٍ، شَرِيطَةً أَنْ يُنْصَبَ الْمَخْلُوعُ ابْنُهُ أَحْمَدُ رَئِيسًا لِلْيَمَنِ، وَيَكُونَ نَائِبُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ الْحُوْثِيُّ، وَفِي مُقَابِلِ ذَلِكَ يَعْمَلُ هَؤُلَاءِ الْأَذْيَالُ عَلَى تَوْسِيعِ دَائِرَةِ الْحَرْبِ لِتَشْمَلَ عَدَنَ وَحَضْرَمَوْتَ، وَتَجْرُ السُّعُودِيَّةَ وَدَوَلَ الْخَلِيجِ وَمِصْرَ إِلَى أَتُونِهَا، وَهَكَذَا تُصْبِحُ مُعْظَمُ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ وَاقِعَةً تَحْتَ الْقَبْضَةِ الْحَدِيدِيَّةِ لِأَمْرِيكَ وَأُورُبَّا وَإِسْرَائِيلَ.

وَلَمْ يَنْتَبِهْ هَؤُلَاءِ الْأَذْيَالُ الْمُسْتَأْجِرُونَ إِلَى أَنَّ أَمْرِيكَ تُقَدِّمُهُمْ لِهَلَاكِهَمْ، لَيْسَ أَكْثَرُ، وَتَنَاسَى هَؤُلَاءِ الْأَذْنَابُ أَنَّ دَوَلَ الْخَلِيجِ لَيْسَتْ بِاللُّقْمَةِ السَّائِغَةِ الَّتِي يَسْهُلُ التِّهَامُهَا، بَلْ إِنَّ هُنَاكَ حُلَفَاءَ لِلْسُّعُودِيَّةِ وَدَوَلَ الْخَلِيجِ فِي الْمَغْرِبِ وَبَاكِسْتَانِ وَمِصْرَ، لَنْ يَقْفُوا مَكْتُوفِي الْأَيْدِي، بَلْ إِنَّهُمْ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِلْوُقُوفِ صَفًّا وَاحِدًا مَعَ دَوَلَ الْخَلِيجِ، وَهُنَا يَبْدَأُ تَغْيِيرُ الْمُعَادَلَةِ.

كَمَا أَنَّ الظُّهُورَ الْمُتَصَاعِدَ لِرُوسِيَا وَالْعَيْنِشَ عَلَى الْمَسْرَحِ الدَّوْلِيِّ لَنْ يُرْضِيَ أَمْرِيكَ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، لِذَلِكَ فَهِيَ قَدْ تُغَامِرُ مُغَامَرَةً غَيْرَ مُحْسُوبَةٍ بِتَطْوِيقِ الْمِنْطَقَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالظُّهُورِ بِمَظْهَرِ الْقَادِرِ وَالْقَائِدِ، وَتَكُونُ اللَّعْبَةُ حِينَهَا مَكْشُوفَةً لِلْعِيَانِ، عَلَى أَنَّ رُوسِيَا وَالصِّينَ وَالْهِنْدَ وَحُلَفَاءَهَا لَنْ تَقِفَ مَكْتُوفَةً الْأَيْدِي فِي هَذِهِ الْحَالَةِ، بَلْ رُبَّمَا تُقَابِلُ الْمُغَامَرَةَ بِمُغَامَرَةٍ مِثْلَهَا، وَعِنْدَهَا سَتَشْتَعِلُ الْحَرْبُ الْعَالَمِيَّةُ الثَّلَاثَةُ، وَتَكُونُ نَهَايَةُ الْعَالَمِ، إِلَّا أَنْ يَتَذَارَكَنَا اللَّهُ بِلُطْفِهِ. أَقُولُ: هَلْ يَعِي الْمُغَامِرُونَ وَالْمَقَامِرُونَ مَا يَنْزِلِقُونَ نَحْوَهُ مِنَ الْمُخَطَّاطَاتِ، وَمَا يُحَوِّلُهُمْ إِلَى بَيَادِقِ صَغِيرَةٍ فِي أَيْدِي اللَّاعِبِينَ الْكِبَارِ، قَبْلَ أَنْ يُوْرِدَهُمْ هَؤُلَاءِ مَوَارِدُ الْهَلَاكِ؟

وَقَبْلَ ذَلِكَ وَبَعْدَهُ تَظَلُّ قُوَّةُ الْجَبَّارِ مَالِكِ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا هِيَ حِصْنُ الْمُتَوَكِّلِينَ
وَالضُّعَفَاءِ، فَهُوَ لَا يَتْرُكُ عِيَالَهُ وَعِبَادَهُ هَمَلًا لَتَسْلُطِ الْمُغْتَرِّينَ بِقُوَّتِهِمْ. يَوْمَهَا يَعْرِفُ كُلُّ
مَخْدُوعٍ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَيَذُوقُ أَعْدَاءُ اللَّهِ وَالْإِنْسَانِ وَبَالَ أَمْرِهِمْ، حِينَ تَتَحَطَّمُ قُوَّةُ
الشَّرِّ أَمَامَ قُوَّةِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ الْجَبَّارِ.

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَدْرَأَ عَنَّا كَيْدَ الْكَائِدِينَ، وَمَكْرَ الْمَاكِرِينَ، وَيُثَبِّتَ أَوْلِيَاءَهُ عَلَى الْحَقِّ،
وَيَهْزِمَ أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ الْقَادِرُ عَلَى إِفْشَالِ مُخْطَطَاتِ مَنْ يُرِيدُ
بِعِبَادِهِ السُّوءَ، وَيَرُدُّ كَيْدَهُمْ وَمَكْرَهُمْ نَكَبَاتٍ وَمَصَائِبَ وَكَوَارِثَ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ مِنْهُمْ
أَحَدًا، وَاللَّهُ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

الْعَمَالَةُ الْمَنْزِلِيَّةُ بَيْنَ الْمَشَاكِلِ وَالْحُلُولِ

يَغِيبُ عَنْ بَالِ الْبَعْضِ الْأَثَرُ الْأَخْلَاقِي السَّلْبِيُّ وَالْإِيجَابِيُّ لِلْعَمَالَةِ الْمَنْزِلِيَّةِ فِي الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ، وَمَا تَوْلَدَهُ هَذِهِ الْعَمَالَةُ مِنْ إِشْكَالِيَّاتٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ وَإِنْسَانِيَّةٍ، وَحِينَ نَنْظُرُ إِلَيْهَا مِنْ جَانِبَيْهَا الْأَخْلَاقِي وَالْعَمَلِيَّ، أَخَذًا بِالتَّشْرِيعِ الْإِسْلَامِيِّ كَمَحَدِّدٍ تَشْرِيعِيٍّ لِلضُّوَابِطِ الَّتِي تَحْكُمُ الْعِلَاقَةَ بَيْنَ الْعَامِلِ وَرَبِّ الْعَمَلِ، نَفْصَلُهَا فِي الْآتِي:

أَوَّلًا: الْعَمَلُ هُوَ أَسَاسٌ لِمَصِيرِوَرَةِ الْحَيَاةِ وَسَدِّ الْإِحْتِيَاجَاتِ الْمَادِّيَّةِ لِلإِنْسَانِ، وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ: {وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} [سُورَةُ التَّوْبَةِ، آيَةٌ: 105]. وَالْعَمَلُ هُوَ رِبَاطٌ وَالتَّزَامٌ وَاتِّفَاقٌ بَيْنَ طَرَفِي عِلَاقَةٍ تَحْكُمُهَا ضَوَابِطُ تَعَاقُدِيَّةٌ، بِحَسَبِ أَنْظِمَةِ كُلِّ دَوْلَةٍ، وَوَفَّقِ التَّشْرِيعَ الْقَانُونِيَّ الْوَضْعِيَّ الَّذِي يَحْفَظُ الْحُقُوقَ لِكِلَا الطَّرَفَيْنِ. وَنَحْنُ نُسِيرُ هُنَا إِلَى الْعَمَلِ وَنِظَامِهِ وَطَرِيقَةِ التَّعَامُلِ مَعَ جُزْئِيَّاتِهِ وَعُمُومِيَّاتِهِ، وَمَا يَتَمَخَّصُ عَنْهَا مِنْ نَتَاجٍ، وَمَا يَتَخَلَّلُهَا مِنْ مُشْكَلَاتٍ.

وَعَلَيْنَا أَلَّا نَعْمَلَ الْعَوَامِلَ النَّفْسِيَّةَ الَّتِي تَتَحَكَّمُ بِالْعِلَاقَةِ بَيْنَ طَرَفِي الْعَمَلِ، وَتُؤَدِّي إِلَى خَلْقِ النَّزَاعَاتِ الْجَمَاعِيَّةِ وَالطَّبَقِيَّةِ، فَعَالِبًا مَا يَعْمَلُ كُلُّ مِّنَ الطَّرَفَيْنِ وَفَقَّ قَنَاعَاتٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ، خُصُوصًا إِذَا انْتَابَ أَحَدُهُمَا شُعُورٌ بِالْإِهْمَالِ أَوْ الْإِهْمَالِ، وَالْآخَرُ شُعُورٌ بِالْغِشِّ وَالْخِدَاعِ؛ سَتَسُودُ سَاعَتِنَا حَالَةٌ مِّنَ التَّنَافُرِ بَيْنَ الْعَامِلِ الَّذِي يَسْتَشْعِرُ اضْطِهَادَ رَبِّ عَمَلِهِ، وَيَرَى فِي عَمَلِهِ شَكْلًا مِّنْ أَشْكَالِ الْإِسْتِعْبَادِ الْجَائِرِ، وَبَيْنَ رَبِّ الْعَمَلِ الَّذِي يُرِيدُ مِّنَ الْعَامِلِ تَنْفِذَ كُلِّ مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ فِي بُنُودِ الْعَقْدِ.

وَلَوْ تَعَاطَى كِلَاهُمَا مَعَ الْآخِرِ بِنَظَرَةٍ أَخْلَاقِيَّةٍ وَبِرُوحٍ إِنْسَانِيَّةٍ تُعْطِي كُلًّا مِنْهُمَا حَقَّهُ الْمَشْرُوعَ، بَعِيدًا عَنِ الْأَنَا الْفُوقِيَّةِ وَالْإِنْتِقَامِيَّةِ، لَمَا تَعَدَّتْ الْمُسْكَلَاتُ حُدُودَ التَّسَامُحِ وَالْعُذْرِ وَالْإِعْتِدَارِ وَتَعْرِيفِ الْعَامِلِ بِأَنَّهُ جُزْءٌ مِّنَ التَّكْوِينِ الْعَائِلِيِّ لِلْمُؤَسَّسَةِ الَّتِي يَعْمَلُ فِيهَا، وَأَنَّ ذَوِي رَبِّ الْعَمَلِ هُمُ أَهْلُهُ وَذُوُّوهُ، وَعَلَيْهِ التَّعَامُلُ مَعَهُمْ بِالْأَمَانَةِ وَالصَّدْقِ وَالْمَصَارَحَةِ وَبِنَبْذِ الْعُنْفِ. وَعَلَى رَبِّ الْعَمَلِ مُقَابِلَ ذَلِكَ أَنْ يُنْصِفَ الْعَامِلَ وَيُعْطِيَهُ الْبَدَلَ الَّذِي يَتَنَاسَبُ مَعَ جُهْدِهِ وَقُدْرَاتِهِ، وَهُوَ مَا يُوقَّرُ لَهُ الْخَوَافِرُ الْمَلَأِمَّةُ لِلْبَدَلِ وَالتَّقَانِي، لَا حَوَافِرَ الْعُنْفِ وَالْكَرَاهِيَّةِ.

ثانيًا: إِنَّ وَزَارَةَ الْعَمَلِ غَيْرُ مُكْتَمَلَةِ الْأَدَاءِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِفَتْحِ أَبْوَابِ اسْتِقْدَامِ الْعَمَالَةِ، وَالتَّضْيِيقِ عَلَى مَنْحِ التَّأْشِيرَاتِ، وَهُوَ مَا يَخْلُقُ تَدَاعِيَاتٍ مُرَهَقَةً لِلْعَامِلِ وَرَبِّ الْعَمَلِ، وَيُؤَدِّي إِلَى عَدَمِ اسْتِقْرَارِ النِّظَامِ الَّذِي يُشْرَعُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ قَوَانِينِ أَكْثَرَ مَا تَصُبُّ فِي مَصْلَحَةِ الْعَامِلِ، عِنْدَ الْإِحْتِكَامِ إِلَى الْهَيْئَاتِ الْقَضَائِيَّةِ.

وَكثيرًا مَا يُهْضِمُ حَقُّ رَبِّ الْعَمَلِ تَحْتَ شِعَارِ التَّعَاطُفِ غَيْرِ الْمَحْسُوبِ مِنْ جَانِبِ قَضَاةِ مَحَاكِمِ الْعَمَلِ وَالْعُمَالِ، إِذْ إِنَّهُمْ يَنْطَلِقُونَ مِنْ دَوَافِعٍ عَاطِفِيَّةٍ وَنَفْسِيَّةٍ إِزَاءَ الْعَامِلِ الَّذِي يَرُونَ فِيهِ الطَّرْفَ الضَّعِيفَ وَالْمُضْطَّهَدَ، وَيَفْتَرِضُونَ مُسَبِّقًا سُوءَ التَّعَامُلِ وَالِاسْتِغْلَالِ مِنْ جَانِبِ رَبِّ الْعَمَلِ. وَهُوَ أَمْرٌ لَا يَجُوزُ التَّعْمِيمُ بِشَأْنِهِ، مِنْ دُونِ أَنْ نَنْفِي وَفُوقَ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، وَالْمُفْتَرَضُ أَنَّ الْعَامِلَ وَرَبَّ الْعَمَلِ هُمَا فِي النِّهَايَةِ تَكْوِينِ إِنْسَانِيٍّ يَخْضَعُ لِحَالَاتِ الْغَضَبِ وَالرِّضَا.

أَمَّا أَنْ نَضَعُ كُلَّ الْمَسْئُورِيَّةِ عَلَى رَبِّ الْعَمَلِ، وَنَتَعَامَلَ مَعَهُ كَمُجْرِمٍ، فَذَلِكَ يُعَبِّرُ عَنْ عَدَمِ الْإِحْسَاسِ بِالْمَسْئُورِيَّةِ مِنْ قِبَلِ الْمُؤَظَّفِ أَوْ الْقَاضِي الْعُمَالِيِّ، وَهُوَ مَا يَجْعَلُ أَكْثَرَ النَّاسِ تَتَبَرُّمًا وَتَضْيِيقًا ذَرْعًا بِالنِّظَامِ الْعُمَالِيِّ وَالْقَائِمِينَ عَلَى تَنْفِيزِهِ، فَكَيْفَ إِذَا أُضِيفَ إِلَى ذَلِكَ عَامِلُ التَّكْسُّبِ غَيْرِ الْمَشْرُوعِ مِنْ قِبَلِ مُؤَظَّفِي وَقَضَاةِ إِدَارَاتِ الْعَمَلِ وَالْعُمَالِ؟ مِنْ هُنَا تَظْهَرُ وَتَزِيدُ الْمَشَاكِلُ بِزِيَادَةِ الْقَضَايَا الْخِلَافِيَّةِ.

إِنَّ عَلَى وَزَارَةِ الْعَمَلِ أَنْ تَعْمَلَ عَلَى تَجْدِيدِ الْقَوَانِينِ الْمُنْصِفَةِ لَطَرْفِي الْعِلَاقَةِ بِمَا يَكْفُلُ الْعَدْلَ وَالْمُسَاوَاةَ، وَرَفَعَ الصَّرَائِبِ الْبَاهِظَةِ الَّتِي تُجْبَى كَالْجَزْيَةِ مِنْ أَصْحَابِ الْعَمَلِ، أَوْ مِنَ الْعَامِلِ الَّذِي يَدْفَعُ فِي بِلَادِهِ مَا يُثْقِلُ كَاهِلَهُ مِنَ الصَّرَائِبِ، فَيَسْعَى عِنْدَنَا إِلَى تَعْوِيضِ مَا دَفَعَهُ عَنْ طَرِيقِ السَّرِقَةِ أَوْ الْإِحْتِيَالِ، أَوْ الْعَمَلِ خَارِجَ وَقْتِ دَوَامِهِ، أَوْ الْهَرُوبِ مِنْ كِفِيلِهِ لِتَحْقِيقِ رِبْحٍ أَفْضَلَ، ضَارِبًا صَفْحًا عَمَّا يَتَعَرَّضُ لَهُ الْكَفِيلُ مِنْ كُلْفَةٍ مَادِّيَّةٍ وَجَسَدِيَّةٍ لِاسْتِقْدَامِهِ.

ثالثًا: أَثَبَّتِ التَّجَرِبَةُ عَدَمَ فَاعِلِيَّةِ الْمَكَاتِبِ الَّتِي شَرَعَتْهَا الدَّوْلَةُ لِاسْتِقْدَامِ الْعَمَالَةِ الْمَنْزِلِيَّةِ، إِذْ إِنَّ هَذِهِ الْمَكَاتِبَ تَقُومُ عَلَى ابْتِزَازِ النَّاسِ بِشَكْلِ لَا فِتٍ بِمَا يَخْلُقُ التَّذَمُّرَ مِنْهَا.

رابعًا: يُنْبَغِي دِرَاسَةُ احْتِيَاجَاتِ الْمَوَاطِنِ السُّعُودِيِّ دِرَاسَةً جَادَّةً وَمَعْقُولَةً وَبَعِيدَةً عَنِ السَّطَحِيَّةِ فِي تَقْدِيرِ الْعَمَالَةِ الْمَطْلُوبَةِ لِكِفَايَةِ رَبِّ الْعَمَلِ، وَفَقَى مَا يَرَاهُ مُحَقِّقًا لِحَاجَتِهِ

وَحَاجَةٌ أَهْلُهُ أَوْ مَزَارِعِهِ مِنَ الْعَمَالِ وَالسَّائِقِينَ، إِذْ يَنْبَغِي عَدَمُ الْحَاقِ الضَّرِرِّ بِأَرْبَابِ الْعَمَلِ عَنْ طَرِيقِ دَرَاةٍ طَلَبَاتِ الْإِسْتِقْدَامِ وَالْوُقُوفِ عَلَى طَبِيعَةٍ وَحَجْمِ مُمْتَلَكَاتِهِمْ وَمَزَارِعِهِمْ وَقُصُورِهِمْ وَأَعْدَادِ أَسْرِهِمْ، وَمَدَى احْتِيَاجِهَا إِلَى الْعِمَالَةِ الْوَافِدَةِ.

خَامِسًا: تَكْلِيفُ السَّفَارَاتِ بِإِنْشَاءِ مَكَاتِبَ خَاصَّةٍ لِتَسْهِيلِ إِجْرَاءَاتِ أَرْبَابِ الْعَمَلِ، وَالتَّنْسِيقِ مَعَ وَزَارَاتِ الْعَمَلِ فِي الدُّوَلِ الْمُصَدِّرَةِ لِلْعِمَالَةِ، وَالْعَمَلِ مَعَ تِلْكَ الدُّوَلِ عَلَى تَسْهِيلِ الْعِمَالَةِ الْمُتَخَصَّصَةِ، وَتَوْفِيرِ التَّأْشِيرَاتِ الْمُلَائِمَةِ وَفَقَ التَّخَصُّصَاتِ وَالْحَاجَاتِ.

سَادِسًا: يَجِبُ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ قَدْرٌ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِالْمَكَانِ الَّذِي يُسْتَقْدَمُ إِلَيْهِ الْعَامِلُ، وَبِثْقَافَةِ الْمُجْتَمَعِ السُّعُودِيِّ، وَبِالْبَيْئَةِ الْمَحَلِّيَّةِ، وَجُغْرَافِيَةِ الْمِنْطَقَةِ الَّتِي سَيَعْمَلُ فِيهَا، كَيْ يَكُونَ عَلَى عِلْمٍ تَامٍّ بِظُرُوفِ حَيَاتِهِ الْجَدِيدَةِ وَطَبِيعَتِهَا.

سَابِعًا: يَجِبُ عَلَى الْمُسْتَقْدَمِ أَنْ يُقَدِّمَ شَهَادَةً سُلُوكِيَّةً تُثَبِّتُ خُلُقَ سِيرَتِهِ مِنَ السَّوَابِقِ الْإِجْرَامِيَّةِ، وَذَلِكَ بِالتَّوَازِي مَعَ شَهَادَةِ خُلُوهُ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْمُسْتَعَصِيَةِ وَالْمُعْدِيَةِ، لِتَحْقِيقِ الْعِلَاقَةِ الصَّحِيحَةِ بَيْنَ رَبِّ الْعَمَلِ وَالْعَامِلِ الْمُسْتَقْدَمِ.

وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

حَضْرَةُ «النَّتِّ»

الشَّيْءُ الَّذِي لَمْ يُفَكَّرْ فِيهِ الْكَثِيرُونَ هُوَ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَعْمَلُونَ وَكَأَنَّهُمْ مُوظَّفُونَ لَدَى جِهَازٍ «النَّتِّ»، بِكُلِّ فُرُوعِهِ، وَمِنْ دُونِ أَجْرٍ، وَفِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ، وَهُمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ طَائِعِينَ، بَلْ مُسْتَعْبِدِينَ لِحَضْرَةِ «النَّتِّ». لَقَدْ بَاتَ النَّاسُ يَنْسُونَ أَوْقَاتَ وَجَبَاتِهِمُ الْغَدَائِيَّةَ وَأَبْنَاءَهُمْ وَأَهْلَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ إِلَّا مَا نَدَرَ، وَحِينَمَا يَتَوَاجَدُونَ تَكُونُ عُيُونُهُمْ عَلَى الْجَوَالَاتِ، وَأَصَابِعُهُمْ عَلَى الْأَزْرَارِ، وَهُمْ يَتَلَقَّوْنَ الرِّسَائِلَ وَيَكْتُبُونَ أُخْرَى.

أَسْأَلُ اللَّهَ أَلَّا يُنْسِينَا أَنْفُسَنَا وَلَا عِبَادَاتَنَا، فَلَقَدْ صَارَ هَذَا الْجِهَازُ خَطِيرًا عَلَى النَّاسِ بِشَكْلِ يُخْشَى مِنْهُ عَلَى الْأَخْلَاقِيَّاتِ، فَكُلُّ شَيْءٍ أَصْبَحَ مَنْظُورًا، وَأَضْحَى الْمَحْظُورُ مَتَاحًا، بَلَا رَقَابَةٍ وَلَا رَقِيبٍ عَلَى الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، وَبِخَاصَّةٍ عِنْدَ مَنْ لَا يُوظَّفُونَهُ لِلْإِفَادَةِ الْعِلْمِيَّةِ أَوْ الْأَدَبِيَّةِ أَوْ الْفِكْرِيَّةِ أَوْ الدِّينِيَّةِ، بَلْ يُغْرِيهُمْ بِمَوَادِّهِ الْجَنْسِيَّةِ الْفَاضِحَةِ، وَيَسْتَدْرِجُهُمْ إِلَى الْمَعَاصِي.

إِنَّ «النَّتَّ» هُوَ بِالْفِعْلِ إِعْجَازٌ عِلْمِيٌّ وَابْتِكَارٌ مُذْهَلٌّ، وَلَكِنَّهُ لِمَنْ لَا يُحْسِنُ اسْتِخْدَامَهُ هَادِمٌ لِلدِّينِ وَالْقِيمِ وَالْأَخْلَاقِيَّاتِ وَالْمَثَلِ.

سِرُّ الْأَسْرَارِ

يَوْمًا مَا سَتَكَسَّرُ تَعَابِيرُ الصَّمْتِ عَلَى وُجُوهِ الْخَطَايَا، مُخَلَّفَةً مَزِيجًا مِنَ الدُّمُوعِ وَالْدمَاءِ
الَّتِي تَسِيلُ مِنْ عُنُقَوَانِ الْوَقْتِ. يَوْمًا مَا سَتَلْتَحِفُ الْأَفْنَدَةُ التُّرَابَ، وَتَتَنَفَّسُ ظِلَامَ الْفَنَاءِ
فِي أَقْبِيَةِ اللَّاشُعُورِ الْأَبَدِيِّ، حَيْثُ تَمُرُّ عَلَى أَطْلَالِهَا عُيُونُ الزَّمَانِ وَمَعَاوِلُ الرِّيَّاحِ. يَوْمًا مَا
سَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْ هَيَاكِلِ فَانِينَ امْتَصَّهَا أَدِيمُ الثَّرَى، لِتَبْدُو خُيُوطًا مِنْ رَمَادِ الْأَجْسَادِ،
مُبْهَمَةً الْجَمَالِ وَالْقُبْحِ فِي سَدِيمِ الْبَيَاضِ الْعَظَمِيِّ، وَلَوْ انْكَشَفَ أَمْرُهَا لِصَاحِبِهَا لِلَّذِّ
بِالْفِرَارِ مِنْ هَوْلٍ مَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ، فَهَنَّاكَ تَتَحَلَّلُ الْمَاهِيَّاتُ وَالصُّوَرُ، وَيَتَسَاوَى الْخَلْقُ فِي
أَجْدَاثِ الْوَحْدَةِ وَالنَّسْيَانِ الَّتِي يَنْفِرُ مِنْهَا الْأَحْبَةُ الْأَحْيَاءُ، حَتَّى وَلَوْ ذَرَفُوا دُمُوعَ الذِّكْرِيَّاتِ
عَلَى تَرَاجِيعِ الْأَيَّامِ، وَحِينَ يَرَوْنَ فِي تِلْكَ الذَّوَاتِ ذَوَاتَهُمْ هُمْ، تَنْفَطِرُ قُلُوبُهُمْ حَسْرَةً عَلَى
مَصَائِرِهِمُ الْمَحْتُمَةِ، وَهُمْ يَقْفُونَ عَاجِزِينَ عَنْ إِيقَافِ دَوْرَةِ الْفَنَاءِ، وَدَفْعِ مَقَابِضِ الْأَرْوَاحِ
إِلَى الْوَرَاءِ.

وَدَائِمًا وَأَبَدًا سَيَظِلُّ مِفْتَاحُ شَفَرَةِ الْمَرِيِّيِّ وَالْمَحْسُوسِ فِي غَيَاطِ الْعُيُوبِ الْمُلْغَزَةِ،
حَيْثُ لَا تَسْتَطِيعُ قُوَّةُ فِي الْأَرْضِ أَنْ تَفْتَحَ تِلْكَ الشَّفَرَةَ الْأَزَلِيَّةَ إِلَّا بِرَفْعِ حِجَابِ الْبَصِيرَةِ مِنْ
قَبْلِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَسَيَظِلُّ الْخَلْقُ فِي حَيْرَتِهِمُ الْوُجُودِيَّةِ وَالْعَدَمِيَّةِ إِلَى أَنْ يَرِثَ
اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، أَلَيْسَ هَذَا هُوَ سِرُّ الْأَسْرَارِ الَّذِي يُحَاوِلُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَفْتَحَ مَغَالِقَهُ؟

كَفَى الْمَرْءَ نَبَلًا

لَا تَنْتَظِرْ مِنَ النَّاسِ الرِّضَا وَالْقَبُولَ كُلَّمَا أَحْسَنْتَ إِلَيْهِمْ؛ فَرَضَا النَّاسُ قَصِيرَ أَمَدُهُ،
وَالْإِسَاءَةَ تَسْبِقُهُمْ إِلَى الْحَسَنَةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ تَتَقَلَّبُ فِي الثَّانِيَةِ الْوَاحِدَةِ مَرَارًا
عِدَّةً، فَهَنَّاكَ مَنْ يَكْرَهُكَ حَسَدًا مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ، مِنْ دُونِ أَنْ تَرَاهُ أَوْ يَرَاكَ، وَمِنْ دُونِ أَنْ
يَتَعَامَلَ مَعَكَ، فَإِذَا تَعَامَلَ مَعَكَ نَدِمَ كَثِيرًا عَلَى سُوءِ الظَّنِّ بِكَ، وَلَا تَنْسَ أَنَّكَ إِذَا كُنْتَ
مُضِيئًا مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِكَ، دِينًا وَخُلُقًا وَكِرَمًا وَحُبًّا وَمَعْرُوفًا، فَإِنَّ ذَلِكَ مُشِيرٌ لِلنُّقْمَةِ عَلَيْكَ
مِنْ أَصْحَابِ النَّفُوسِ الضَّعِيفَةِ وَالْخَبِيثَةِ وَالْحَاقِدَةِ وَالْحَاسِدَةِ، مَهْمَا تَظَاهَرَ الْبَغْضُ أَمَّا مَكَ
بِاللَّامِبَالَةِ وَالنِّفَاقِ وَالْمِرَاءِ، فَأَنْتَ وَأَخْبَارُكَ وَصَنَائِعُكَ وَنُورُكَ تُصِيبُهُمْ فِي مَقْتَلٍ، وَتَقْلُقُ
حَيَاتَهُمْ، وَتَنْغُصُ مَعِيشَتَهُمْ، حَتَّى وَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْكَ مَالًا وَنَفَرًا، فَهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَكُونُوا
فَرَائِدَ عَصَرِهِمْ، وَشُمُوسَ وَقْتِهِمْ، لَا يُضَاهِيهِمْ أَحَدٌ، فَابْتَسِمَ، وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّ السَّبَبَ يَتَّصِلُ
بِالْغُلِّ وَعَدَمِ الرِّضَا بِمَا قَسَمَ اللَّهُ، وَلَعَلَّ قُصُورَهُمْ عَنْ بُلُوغِ الْمَجْدِ يَدْفَعُهُمْ إِلَى مُحَاوَلَةِ
تَشْوِيهِ صُورَتِكَ، أَوْ النَّيْلِ مِنْكَ حِقْدًا وَحَسَدًا.

فَاشْكُرِ اللَّهَ عَلَى أَنَّهُ فَضَّلَكَ عَلَيْهِمْ بِنِعْمَةِ حُبِّ الْفَضْلَاءِ وَكِرَامِ النَّفُوسِ لَكَ، وَاحْمَدَهُ
أَنَّهُ أَضَاءَكَ بِالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَالتَّوَاضُعِ، فَتِلْكَ خَلَائِقُ لَا تُوهَبُ إِلَّا لِأُولِي النَّهْيِ، وَلَا تَجْزَعُ،
بَلِ اسْتَزَدَ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، حَتَّى تَتَقَطَّعَ أَكْبَادُهُمْ حَسْرَةً عَلَى مَا فَعَلُوهُ بِأَنْفُسِهِمْ، وَقَدْ
عَجَزُوا عَنْ بُلُوغِ مَرَاتِبِكَ فِي الْفَضْلِ وَالْعِلَالِ وَالْمَجْدِ.

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَرَفُوا كُلَّ مَالِهِمْ لَمَا بَلَغُوا مَبْلَغَكَ؛ لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ هِبَةٌ مِنَ الْوَاحِدِ الْوَهَّابِ،
فَكُنْ صَادِقًا مَعَ رَبِّكَ وَنَفْسِكَ وَمَعَارِفِكَ، وَلَا تُبَدِّلِ الْحَسَنَ بِالْقَبِيحِ، فَذَلِكَ مَا يَتَمَنَّا لَكَ
هَؤُلَاءِ الْجَاهِلُونَ الضَّالُّونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ.

إِنَّهُمْ يَعْرِفُونَ كَيْفَ يُسَيِّئُونَ، وَلَا يَعْرِفُونَ كَيْفَ يُحْسِنُونَ، فَابْتَسِمَ لَهُمْ كُلَّمَا التَّقِيَتْ بِهِمْ،
فَإِنَّكَ تَجْلِدُهُمْ بِسِيَاطٍ مِنْ نَارِ تَدْمِي قُلُوبَهُمْ، وَكُنْ بِرَبِّكَ الْأَقْوَى عَلَى كَيْدِهِمْ وَمَكْرِهِمْ، إِنَّمَا
اللَّهُ يُدَافِعُ عَنْكَ، وَيَنْصُرُكَ عَلَيْهِمْ نَصْرًا عَزِيمًا، فَقَدْ افْتَأَتِ النَّاسُ عَلَى خَالِقِهِمُ الْقَدِيرِ،
فَقَالُوا: {يَا اللَّهُ مَغْلُوبَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ} [سُورَةُ الْمَائِدَةِ، آيَةٌ: 64]، وَعَلَى نَبِيِّهِمُ الْعَظِيمِ،
فَقَالُوا: إِنَّهُ شَاعِرٌ، وَسَاحِرٌ، وَمَجْنُونٌ، وَاتَّهَمُوهُ بِمَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ، فَكَفَاهُ اللَّهُ عِنْدَمَا وَصَفَهُ

بِقَوْلِهِ: {وَإِنَّكَ لَعَلَّ خُلِقَ عَظِيمٍ} [سُورَةُ الْقَلَمِ، آيَةُ: 4]، وَخَاطَبَهُ سُبْحَانَهُ بِالْقَوْلِ: {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} [سُورَةُ الشَّرْحِ، آيَةُ: 4]، فَمَاذَا بَعْدَ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟ وَلَكِنْ هَذِهِ طَبَائِعُ الْبَشَرِ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبِّي، يَقُولُ الشَّاعِرُ:

وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا كَفَى الْمَرْءَ نُبَلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِهِ

الْحِكْمَةُ - لَا الْحَزْمُ - وَخَدَّهَا أَسَاسُ الْمَلِكِ

تَتَلَذَّذُ النَّفْسُ الدَّمَوِيَّةُ بِالْقَتْلِ وَسَفْكَ الدِّمَاءِ وَإِزْهَاقِ الْأَرْوَاحِ، فَتَكْتَسِبُ بِالتَّعَوُّدِ هَمَجِيَّةَ الطَّبْعِ، وَخَاصِيَّةَ الْإِسْتِبْدَادِ الْأَدِمِيِّ الَّذِي يَخْلُقُ إِنْسَانًا تَتَمَلَّكُهُ فِطْرُهُ التَّوَحُّشِ، تَرَاهُ فِي شَكْلِ إِنْسَانٍ وَفِي دَاخِلِهِ إِسْتِعْدَادٌ فِطْرِيٌّ لِاحْتِرَافِ الْقَتْلِ مِنْ دُونِ نَدَمٍ أَوْ رَحْمَةٍ؛ لِأَنَّ الْعَاطِفَةَ لَدَيْهِ مَفْقُودَةٌ، وَيَتَشَدَّقُ بِالْإِنْسَانِيَّةِ وَالِدِّفَاعِ عَنْ حُقُوقِ الْإِنْسَانِ، وَهُوَ أَوَّلُ مُنْتَهَكِ لِحُقُوقِ الْإِنْسَانِ، بَلْ هُوَ يَنْتَهِكُ حُرْمَةَ أَقْرَبِ الْأَقْرَبِينَ لَهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ الَّذِينَ لَا حَوْلَ لَهُمْ وَلَا قُوَّةَ، كَيْ يَحْمِيَ عَرِينَ الْأَسَدِ لِأَنَّا الْمُتَضَخِّمَةَ فِي نَفْسِهِ، هَذِهِ النَّفْسُ تَنْتَحِرُ أَوْ تُعْلِنُ هَلَاكَهَا مِنْ دُونِ شُعُورِهَا بِقُرْبِ نَهَائِيَّتِهَا حِينَ تُشْخِنُ فِي الْقَتْلِ وَتَأَلَّفُ الْإِنْقِضَاصَ عَلَى فَرَائِسِهَا الْأَدِمِيَّةِ، وَنَحْنُ نَرَى ذَلِكَ فِي أَحْكَامِ الْإِعْدَامِ الَّتِي يُسَخَّرُ لَهَا قُضَاةٌ أَكْثَرُ اجْرَامًا وَوَحْشِيَّةً مِنَ السِّيَاسِيِّينَ وَالْحُكَّامِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَنْ يَرُدُّعُهُمْ، وَلَكِنَّ الْأَيَّامَ كَفِيلَةٌ بِإِزَالَةِ بَطْشِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ لِيَسْتَرِدَّ الزَّمَنُ حَقَّ مَنْ أُرِيقتْ دِمَاؤُهُمْ بِجَبَرُوتِ الظَّالِمِ وَجَوْرِهِ، نَقُولُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَتَبَّأَ لِيَدٍ تَقْتَرِفُ إِرَاقَةَ دِمَاءِ الْمَغْلُوبِينَ عَلَى أَمْرِهِمْ.

التقارب السعودي الروسي

لَقَدْ سَبَقَ لِي أَنْ كَتَبْتُ مُنْذُ سَنَوَاتٍ عَنِ الْمَكْرِ الْأَمْرِيكِيِّ بِالْمَمْلَكَةِ، بَعْدَ أَنْ اسْتَنْفَدَتْ أَغْرَاضَهَا وَرَأَتْ أَنَّ السُّعُودِيَّةَ أَصْبَحَتْ تُمَثِّلُ عَبْئًا عَلَى السِّيَاسَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ، وَحَائِلًا دُونَ تَنْفِيدِ نَظَرِيَّاتِهَا وَمُخَطَّطَاتِهَا الْإِمْبِرَاطُورِيَّةِ التَّوَسُّعِيَّةِ، فَالسُّعُودِيَّةُ - بِانْتِهَاجِ مَبْدَأِ الْإِعْتِدَالِ فِي الْعَالَمِ - إِنَّمَا تَحُدُّ مِنَ الْإِنْطِلَاقَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ لِلِاسْتِخْوَازِ السِّيَاسِيِّ وَالِاِقْتِصَادِيِّ عَلَى الْعَالَمِ، وَإِعَادَةِ هَيْكَلَتِهِ وَفُقْ مَصَالِحِهَا، وَأَمْرِيكََا تَبَعًا لِدَٰلِكَ تَحَاوِلُ الْقَضَاءَ عَلَى الْحُكُومَاتِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي عَفَا عَلَيْهَا الزَّمَنُ، وَبَاتَتْ تُشَكِّلُ عَقَبَةً كَادَاءً مِنْ دُونِ مَجِيءِ الْبَدَائِلِ الْأَكْثَرُ مُرُونَةً لِقِيَامِ الْعَصْرِ الْأَمْرِيكِيِّ الْجَدِيدِ، عَلَى أَنَّ آيَةَ نَظَرَةٍ مَوْضُوعِيَّةٍ إِلَى وَاقِعِ الْمِنْطَقَةِ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَقُودَ إِلَى الْإِعْتِرَافِ بِالذُّورِ الرِّيَاضِيِّ وَالْمُخَوَّرِيِّ لِلْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ، خُصُوصًا أَنَّ الْمَمْلَكَةَ هِيَ الْحَاضِنَةُ الْقَوِيَّةُ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَلِلْكَعْبَةِ الْمُشْرِفَةِ وَالْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ، وَأَمْرِيكََا وَإِنْ حَاوَلَتْ خِدَاعَ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ وَأَظْهَرَتْ مَوَدَّةً كَاذِبَةً لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، فَهِيَ تُخْفِي الْكَثِيرَ مِنَ الْعَدَاءِ لِدِينِ الْإِسْلَامِ. وَلَا شَكَّ بِأَنَّهَا دَرَسَتْ التَّارِيخَ الْإِسْلَامِيَّ دِرَاسَةً جَادَّةً، وَأَطْلَعَتْ عَلَى الْفُتُوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي طَوَعَتْ مُعْظَمَ بُلْدَانِ الْعَالَمِ. فَكَيْفَ لَا تَعْمَلُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ عَلَى تَدْمِيرِ الْإِسْلَامِ، تَارَةً بِالْعُدْوَانِ وَآخَرَى بِزُرْعِ الْفِتَنِ الْمَذْهَبِيَّةِ وَالطَّائِفِيَّةِ وَالْعِرْقِيَّةِ وَالْعُنْصَرِيَّةِ؟ كَيْفَ وَهِيَ قَدْ قَرَأَتْ الْقُرْآنَ قِرَاءَةً عَمِيقَةً، وَوَقَفَتْ مِنْ خِلَالِهَا عَلَى دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ إِلَى مَنَاحِضَةِ الشَّرْكِ وَالْكَفْرِ وَالْإِلْحَادِ؟ وَفِي الْقُرْآنِ مَا يُشِيرُ إِلَى الْحُرُوبِ الصَّلِيبِيَّةِ وَيَتَنَبَّأُ بِهَا، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ هُوَ الْغَزْوُ الْأَمْرِيكِيُّ لِلْعِرَاقِ، وَمَا أَظْهَرَهُ الرَّئِيسُ بُوْشُ مِنْ ضَعْفِهِ وَكَرَاهِيَةِ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَبِخَاصَّةٍ حِينَ ذَكَرَ بِالْحُرُوبِ الصَّلِيبِيَّةِ عَلَى الْمَنْطَقَةِ وَكَأَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ حَرْبًا ضَارِيَةً سَتَقَعُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالنَّصَارَى وَالْيَهُودِ، وَهِيَ مُقَدَّرَةٌ بِوَعْدِ إِلَهِيٍّ لَا يَقْبَلُ التَّشْكِيكَ وَلَا التَّأْوِيلَ، فَأَمْرِيكََا تَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ الْوَعْدَ هُوَ وَعْدٌ بَشَرِيٌّ يُمْكِنُ اسْتِبْدَالُهُ بِهَذِهِ الْحُرُوبِ وَالْفِتَنِ الْإِسْتِثْنَائِيَّةِ، عَلَٰهَا تَدْمُرُ مَكَامِنَ الْقُلُوبِ الْمُؤْمِنَةِ بِاللَّهِ الَّذِي وَعَدَ بِنَصْرِهِ دَوْلَةَ الْإِسْلَامِ عَلَى دَوْلَةِ الْكَفْرِ وَالْإِلْحَادِ، فِي كَافَّةِ أَرْجَاءِ الْمَعْمُورَةِ، لِيَنْزِلَ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مِنْ جَدِيدٍ وَيَحْكُمَ بِشَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ. إِنَّ ذَلِكَ هُوَ مَا يَقْضِي مَضَاجِعَهُمْ وَيُقَلِّقُ حَيَاتَهُمْ، لِأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا بِالْحَيَاةِ الْمَادِّيَّةِ الَّتِي تُوَصِّلُهُمْ إِلَى ظُلْمِ أَنْفُسِهِمْ عَبْرَ عَمَلِهِمْ بِقُوَّةِ السَّلَاحِ عَلَى تَطْوِيعِ

الْعَالَمِ وَاسْتِعْبَادِهِ، وَبِالتَّالِيِ فَرَضَ قِيَمَهُمْ عَلَى الشُّعُوبِ ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّهُمْ يَسْتَطِيعُونَ تَبْدِيلَ وَعْدِ اللَّهِ وَمَشِيئَتِهِ بِقُوَّةِ التَّكْنُولُوجِيَا الَّتِي أَتَقْنَوْهَا. فَقَدْ حَسِبُوا أَنَّهُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَادِرُونَ، وَأَنَّ الْمُسْلِمَ سَيُؤْمِنُ بِتَحْرُصَاتِهِمْ وَأَكَاذِبِهِمْ وَأَضَالِيلِهِمْ، حِينَ تَكُونُ التَّثْنِيَّاتُ الْعِلْمِيَّةُ ظَهِيرَهُمُ الْوَحِيدَ، وَمُعْجَزَتُهُمُ الَّتِي فَتَحَ اللَّهُ لَهُمْ بِهَا مَغَالِقَ الْعِلْمِ، فَصَنَعُوا بِمَشِيئَتِهِ مَا نَرَاهُ مِنْ عُلُومٍ. وَلَوْ هُمْ تَفَكَّرُوا قَلِيلًا لَعَرَفُوا أَنَّ مَا حَازُوهُ مِنَ الْعِلْمِ أَقَلُّ الْقَلِيلِ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ.

وَهَذِهِ الْمُقَدَّمَةُ هِيَ مُحَاوَلَةٌ لِلإثْبَاتِ بِأَنَّ أَمْرِيكََا وَالْغَرْبَ وَأَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ يُرِيدُونَ الشَّرَّ بِنَا وَبِأَوْطَانِنَا وَبِمُكْتَسَبَاتِنَا وَمُقَدَّرَاتِنَا، وَيُحَاوِلُونَ صَرْفَنَا عَنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ لِلْأَخْذِ بِدِيَانَةِ الْعَوْلَمَةِ وَعُبودِيَّةِ الْمَادَّةِ بَدَلًا مِنْ عُبودِيَّةِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ. وَهُوَ تَخْطِيطٌ يَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهِ مَعَاوِلَ هَدْمِهِ؛ إِذْ إِنَّ الْعَالَمَ الْإِسْلَامِيَّ يُشَكِّلُ ثُلُثَ الْعَالَمِ الَّذِي يَزِيدُ سُكَّانُهُ عَلَى السَّبْعَةِ مِلْيَارَاتٍ نَسَمَةً، فَكَيْفَ لَهُمْ أَنْ يُصَدِّقُوا أَنَّ الْمُسْلِمَ يُمَكِّنُ أَنْ يَسْتَبْدِلَ بَعْقِيدَتَهُ الْإِسْلَامِيَّةَ جَنَّتَهُمُ الْأَرْضِيَّةَ الْكَاذِبَةَ، وَيَتْرَكَ جَنَّةَ عَرْضِهَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ أَعْدَتْ لِلْمُتَّقِينَ. إِنَّمَا هُوَ وَهُمْ لَا يُغْنِي عَنِ الْيَقِينِ شَيْئًا، وَمُحَاوَلَةٌ تَزِيدُ مِنْ إِصْرَارِ الْمُسْلِمِ عَلَى إِيْمَانِهِ بِالْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، الَّذِي خَلَقَ فَسَوَى وَقَدَّرَ فَهَدَى، فَالْمُسْلِمُ لَا يَسْتَبْدِلُ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى، وَهِيَئَاتَ لَهُمْ أَنْ يُبَدِّلُوا دِينَ اللَّهِ وَهُوَ الْقَوِيُّ وَالْقَاهِرُ لِعِبَادِهِ. فَدَعَهُمْ فِي غَفْلَتِهِمْ يَعْصَمُونَ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمُ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ، وَيَرَوْا مَا كَذَّبُوا بِهِ حَقِيقَةً مَائِلَةً لِلْعَيَانِ لَا تَقْبَلُ التَّلْبِيسَ وَلَا الْجَدَلَ وَلَا التَّكْذِيبَ، وَعِنْدَهَا يَبْوُونَ بِخُسْرَانٍ مُبِينٍ.

وَمِنْ أَبْسَطِ الْأُمُورِ أَنْ نُصَانِعَهُمْ فِيمَا لَا يَمَسُّ عَقِيدَتَنَا، وَلَا يُضِرُّ بِقِيَمِنَا وَتَارِيخِنَا الْإِسْلَامِيَّ، لِلنَّجَاةِ بِدِينِنَا مِنْ كَيْدِهِمْ وَمَكْرِهِمْ وَحِقْدِهِمْ وَحَسَدِهِمْ، خُصُوصًا وَنَحْنُ نَرَى وَنَلْمُسُ مَا يُخْطِطُونَهُ وَيُرِيدُونَهُ بِأَمَّةِ الْإِسْلَامِ فِي عَالَمِنَا الْأَرْضِيِّ.

لَقَدْ كَتَبْتُ عَلَى صَفَحَاتِ الْجَرَائِدِ مَقَالَاتٍ سِيَاسِيَّةً - هِيَ الْآنَ مُتَضَمَّنَةٌ فِي مُؤَلَّفَاتِي - تُؤَكِّدُ عَلَى وَجُوبِ الْحَذَرِ مِنَ السِّيَاسَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ وَالْغَرْبِ، وَأَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَشْرَعَ أَبْوَابَ التَّقَارُبِ مَعَ الدُّوَلِ الْأُخْرَى مِثْلَ رُوسِيَا وَالصِّينِ وَغَيْرِهِمَا، قَبْلَ أَنْ نَجِدَ أَنْفُسَنَا فِي قَبْضَةِ أَمْرِيكََا، فَلَا نَسْتَطِيعُ فَكَاكًا مِنْ قَبْضَتِهَا وَغَدْرِهَا؛ فَمَا تَفَعَّلُهُ الْيَوْمَ هُوَ اسْتِخْفَافٌ بِدَوْلِنَا وَشُعُوبِنَا، وَسَعْيٌ لِتَبْدِيدِنَا وَتَفْرِيقِنَا إِلَى عِرْقِيَّاتٍ وَنَحْلٍ وَمَذْهَبِيَّاتٍ تَقُودُنَا إِلَى نِسْيَانِ تَارِيخِنَا وَعُرُوقِنَا وَجُذُورِنَا وَإِنْمَاءَاتِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ؛ بُغْيَةً فَرَضَ سِيَاسَةُ الْغَرْبِ وَقِيَمُهُ وَتَارِيخُهُ عَلَيْنَا. وَحَسَنًا فَعَلَ الْمَلِكُ سَلْمَانُ عِنْدَمَا أَوْفَدَ ابْنَهُ الْأَمِيرَ مُحَمَّدَ بْنَ سَلْمَانَ إِلَى رُوسِيَا لِبِتِّ

رُوحِ التَّقَارُبِ، الَّذِي وَإِنْ تَأَخَّرَ كَثِيرًا إِلَّا أَنَّ تَحْقِيقَهُ هُوَ مِنْ ضَرُورَاتِ الْمَرْحَلَةِ؛ إِذْ لَرَبَّمَا يَعُودُ الْعَقْلُ الْأَمْرِيكِيُّ وَالْأُورُبِّيُّ بِذَلِكَ عَنْ قَرَارَاتِهِ وَتَصَوُّرَاتِهِ الْخَاطِئَةِ. إِنَّ لُغْبَتَهُمُ السِّيَاسِيَّةَ بَاتَتْ تُشَكِّلُ خَطَرًا دَاهِمًا مَا لَمْ يُبَادِرْ إِلَى حِمَايَةِ أَنْفُسِنَا وَالِدِّفَاعِ عَنْ أَمْنِنَا وَأَوْطَانِنَا، عَلَى أَنَّ الرُّوسَ لَنْ يَظْمَنُوا سَرِيعًا إِلَى تَقَارُبِنَا الْمُتَأَخَّرِ مَعَهُمْ؛ لِأَنَّ تَجَارِبَهُمْ مَعَ الْعَرَبِ بَعْدَ حُكْمِ الرَّئِيسِ عَبْدِ النَّاصِرِ كَانَتْ مُحْيِيَةً لَهُمْ، حَيْثُ إِنَّ الْعَرَبَ ارْتَمَوْا فِي أَحْضَانِ أَمْرِيكَا وَالْعَرَبِ، وَسَتَكُونُ رُوسِيَا أَكْثَرَ حَذَرًا وَلَنْ تُعْطِيَ الْكَثِيرَ - خُصُوصًا أَنَّهَا فِي حَالٍ لَا تُحْسَدُ عَلَيْهَا عَلَى الصَّعِيدِ الْاِقْتِصَادِيِّ، بِالرَّغْمِ مِنْ تَفُوقِهَا فِي الْمَجَالَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ - إِلَّا أَنَّهَا تُشَكِّلُ تَوَازُنًا نِسْبِيًّا مَعَ الْعَرَبِ، وَتَأْثِيرَهَا الْبَالِغُ يُحَسَّبُ لَهُ حَتَّى لَدَى خُصُومِهَا، وَلَكِنْ هَلْ تَقْبَلُ رُوسِيَا وَالصَّيْنُ بِالتَّقَارُبِ مَعَ الْعَرَبِ مِنْ دُونِ ضَمَانَاتٍ تُؤَكِّدُ جَدِّيَّةَ هَذَا التَّقَارُبِ وَاسْتِمْرَارِهِ، لِيَرْفَعَ مِنْ قُدْرَاتِهِمَا الْاِقْتِصَادِيَّةِ وَالصَّنَاعِيَّةِ فِي مُوَاجَهَةِ أَمْرِيكَا وَأُورُبَّا، وَرَغْمَ كُلِّ شَيْءٍ يَظَلُّ التَّقَارُبُ السُّعُودِيُّ الرُّوسِيُّ أَمْرًا إِيْجَابِيًّا، وَضَرُورَةً مُلِحَّةً قَبْلَ أَنْ تَقَعَ رُوسِيَا بِالْكَامِلِ بَيْنَ شِدْقِي الْأَسَدِ الْأَمْرِيكِيِّ، فَقَدْ نَجَدُ فِي الدُّبِّ الرُّوسِيِّ كَمَا لَتَيْنِ الصَّيْنِ سَنَدًا لَنَا فِي الْمُوَاجَهَاتِ الضَّارِيَةِ الَّتِي تَكَادُ تَفْتِكُ بِنَا قَادَةً وَشُعُوبًا، بَعْدَ أَنْ أُجْهَزَتْ عَلَى الْعِرَاقِ وَتُونِسَ وَلِيبِيَا وَسُورِيَا وَالْيَمَنَ، وَلَمْ يَتَبَقْ لَهَا إِلَّا دَوْلُ الْخَلِيجِ. كَفَانَا اللَّهُ شَرَّ الْمُتَأَمِّرِينَ، وَأَنَارَ بَصِيرَةَ حُكَّامِ دَوْلِنَا لِدَرْءِ الْمَخَاطِرِ الْمُحْدِقَةِ بِنَا، فَإِنَّ الْمَخَاضَ عَسِيرٌ. إِنَّ عَلَيْنَا الْخُرُوجَ مِنْ غَفْلَتِنَا قَبْلَ خَرَابِ الْبَصْرَةِ، كَمَا يَقُولُ الْمَثَلُ الشَّائِعُ، وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا سَوَاعِدُنَا لِرَدِّ كَيْدِ الْأَعْدَاءِ إِلَى نُحُورِهِمْ، وَالِدَّعَاءُ لِلَّهِ بِأَنْ يَقِينَا وَيَقِيَّ بِلَادَنَا وَشُعُوبَنَا شُرُورَ قَوَادِمِ الْأَيَّامِ، وَأَنْ يُحْبِطَ كُلُّ عَمَلٍ يُضِرُّ بِأَمَّةِ الْعَرَبِ وَالْإِسْلَامِ، وَأَنْ يُؤَيِّدَنَا بِرُوحِ مَنِّهِ، إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، أَمَّا السَّلَاحُ الْأَمْضَى فِي مُوَاجَهَةِ الشُّرُورِ الْمُتَرَبِّصَةِ بِنَا فَهُوَ الشَّعْبُ وَالتَّغَافُهِ مَعَ قِيَادَتِهِ، وَالْوُقُوفُ صَفًا وَاحِدًا لِصِنَاعَةِ الْمُسْتَقْبَلِ.

قَوْلٌ مَعْرُوفٌ

أَتَمَنَّى عَلَى الْجِهَاتِ التَّنْفِيزِيَّةِ وَالِدَّعْوِيَّةِ أَلَّا تَتَشَدَّدَ كَثِيرًا مَعَ الشَّبَابِ، وَأَلَّا تَجْعَلَ الْعُقُوبَةَ الْوَسِيلَةَ الْأُولَى لِلتَّرْبِيَةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ، حَتَّى يُخَفَّفُوا مِنْ أَعْبَاءِ الدَّوْلَةِ الثَّقَالِ، وَأَلَّا يَشْغَلُوا الدَّوْلَةَ بِمَشَاكِلَ بَسِيطَةٍ جَانِبِيَّةٍ بُعِيَّةٍ كَسَبِ مَادِّيٍّ أَوْ وَظِيفِيٍّ عَلَى حِسَابِ الشَّبَابِ الَّذِينَ يُتَوَقَّعُ مِنْهُمْ إِرْتِكَابُ الْأَخْطَاءِ. وَلَكِنَّ التَّرْبِيَةَ وَالِدَّعْوَةَ إِلَى الْأَخْلَاقِ تَأْتِي بِالْحُسْنَى وَلَا تَأْتِي بِالتَّشَدُّدِ وَالتَّرْهِيبِ، حَتَّى لَا يَفْقِدَ الشَّبَابُ الْأَمْنَ النَّفْسِيَّ فِي دَوَاخِلِهِمْ، وَيَتَحَوَّلُوا إِلَى إِحْتِرَافِ الْجَرِيمَةِ وَالْإِرْتِمَاءِ فِي حِضْنِ مُنْظَمَاتٍ إِرْهَابِيَّةٍ خُصُوصًا حِينَ يَسْتَشْعِرُونَ بِإِسَاءَةِ مَسْئُولٍ مَا، وَيَشْعُرُونَ بِالْإِذْلَالِ وَالْإِمْتِهَانِ لِأَبْسَطِ الْأَخْطَاءِ، فَقَرَأْنَا يَقُولُ فِي مُحْكَمِهِ: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [سورة النحل، آية: 125]، وَرَسُولُنَا الْعَظِيمُ - عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ - هُوَ قَدْ وَثَّقَ فِي الرِّفْقِ وَاللِّينِ وَالِدَّعْوَةَ بِالْحُسْنَى، حَتَّى سَادَ دِينَ اللَّهِ وَغَمَرَ الْمَعْمُورَةُ.

إِنِّي أَرْفَعُ هَذَا الْأَمْرَ إِلَى كُلِّ مَسْئُولٍ يَحْمِلُ فِي نَفْسِهِ قَلْبًا، أَنْ يَدْرَأَ الْحُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ، وَأَنْ يَعْرِفَ أَبْعَادَ الشَّدَّةِ ضِدَّ الشَّبَابِ، حَتَّى لَا يَضْرِبُوا الْوَطْنَ وَالِدِينَ فِي مَقْتَلٍ، وَيَكْرَهُوا الْإِنْتِمَاءَ إِلَى الْوَطَنِ؛ فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي الشَّبَابِ، فَكُنَّا كُنَّا شَبَابًا وَلَنَا أَخْطَاءٌ كَثِيرَةٌ، ثُمَّ وَجَدْنَا مَنْ أَخَذَ بِأَيْدِينَا إِلَى الْخَيْرِ وَالْحَقِّ، بِالْحُبِّ وَبِالرَّفْقِ وَبِالْحُسْنَى؛ حَتَّى نَرَى أَجْيَالًا تَعْتَنِقُ الْحُبَّ وَالْبَذْلَ لِحَيْرِ الْوَطَنِ وَالْإِنْسَانِ. لَا تَصُبُّوا جَامَ غَضَبِكُمْ وَهُمُومِكُمْ عَلَى الشَّبَابِ، فَتَسِيئُوا أَكْثَرَ مِمَّا تُحْسِنُوا، وَتُخْرِجُوا أَجْيَالًا حَاقِدَةً عَلَى الْمُجْتَمَعِ، بِمَا تُخْلِفُونَهُ مِنْ آثَارٍ تَعْتَقِدُونَ أَنَّهَا تَقُودُ لِلتَّرْبِيَةِ، فِيمَا هِيَ تَقُودُ إِلَى الضَّلَالِ وَإِلَى الْجَرِيمَةِ وَإِلَى تَبْيِيدِ مَكْتَسَبَاتِ الْأُمَّةِ. ثُوبُوا إِلَى رُشْدِكُمْ، فَلِكُلِّ فِعْلٍ رَدٌّ فِعْلٍ.

عَزَلَةُ الْمَفْكَرِ

يَمِيلُ الْعَالَمُ وَالشَّاعِرُ وَالْأَدِيبُ وَالْمُفَكِّرُ إِلَى الْعَزَلَةِ، وَيَعْشُقُونَ الْوَحْدَةَ، وَيَتَّحِدُونَ مَعَ الْخَيَالِ؛ لِخَلْقِ عَوَالِمٍ أَكْثَرَ مُمْتَعَةً، وَهِيَ عَوَالِمٌ لَوْ عَرَفَهَا الْعَوَامُّ؛ لَحَسَدُواهُمْ عَلَيْهَا. فَهُمْ يَسْتَحْضِرُونَ الْعَالَمَ بِأَجْمَعِهِ أَنْ يَشَاءُوا، وَيُغَيِّبُونَهُ أَنْ يَشَاءُوا، هُمْ التَّعَسَّاءُ السَّعِيدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَهُمْ يَرْتَفِعُونَ بِأَقْدَارِهِمْ عَنِ الْجَهْلَاءِ وَالْبَسَطَاءِ، وَهُمْ فِي عَزَلَتِهِمْ يُضَيِّقُونَ ظِلَامَ الْقُلُوبِ وَالْعُقُولِ. هُمْ الْعُلَمَاءُ بِحَقٍّ لَا رِجَالُ الدِّينِ، فَرَجَالُ الدِّينِ هُمْ الْفُقَهَاءُ فِي الدِّينِ وَالْمُفَسِّرُونَ لِشَرِيعَةِ اللَّهِ، لَا لِأَنَّهُمْ حَفِظُوا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ النَّبَوِيَّةَ، وَلَكِنْ لِأَنَّهُمْ الْمُجْتَهِدُونَ الَّذِينَ يَسْتَطِيقُونَ مَا عَجَزَ عَنْهُ السَّلَفُ، كَالْبُخَارِيِّ وَابْنِ كَثِيرٍ، وَأَرْبَابِ الْمَذَاهِبِ كَالشَّافِعِيِّ وَالْحَنَفِيِّ وَالْحَنْبَلِيِّ وَالْمَالِكِيِّ. أَمَّا الَّذِينَ أَنَارَ اللَّهُ بِصِيرَتِهِمْ فَفَتَحُوا مَغَالِقَ الْمَجْهُولِ فِي شَتَّى الْعُلُومِ النَّظَرِيَّةِ وَالطَّبِيقِيَّةِ، مِثْلَ إِسْحَاقِ نَبُوتِن، وَابْنِ سِينَا، وَابْنِ خَلْدُون، وَابْنِ شَتَاتِينَ، وَالفَارَابِيِّ، وَابْنِ رُشْدٍ، وَعُلَمَاءُ الطَّبِّ وَعُلَمَاءُ الذَّرَّةِ وَعُلَمَاءُ الْفَلَكِ وَمَنْ هُمْ عَلَى شَأْنِهِمْ... فَهَؤُلَاءِ هُمْ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ قَدْرَ اللَّهِ حَقَّ قَدْرِهِ، وَيُخْطِئُ مَنْ يُسَمِّي رَجُلَ الدِّينِ بِالْعَالِمِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكْتَشِفْ قُدْرَةَ اللَّهِ فِي عَوَالِمِهِ، بَلْ هُوَ الْمُتَفَقِّهُ بِالَّذِينَ كَالْحَوَارِيِّينَ وَالْكُهَنَةَ وَالرُّهْبَانَ وَغَيْرِهِمْ، يَقُولُ اللَّهُ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [سورة فاطر، آية: 28]. وَهَؤُلَاءِ هُمْ الَّذِينَ عَنَاهُمُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، الَّذِينَ يَفْتَحُونَ الْمُسْتَغْلَقَ فِي الْكَوْنِ، لِيَعْرِفَ الْخَلْقُ قَدْرَ اللَّهِ وَقُدْرَتَهُ فِي كَوْنِهِ الْعَظِيمِ، وَيَدْخُلَ فِي مَنْظُومَتِهِمُ الشُّعْرَاءُ وَالْأَدَبَاءُ وَالْمُفَكِّرُونَ الَّذِينَ يَكْتَشِفُونَ الْفُضِيلَةَ وَيُشِيحُونَ عَنِ الرَّذِيلَةِ؛ فَيَنْشُرُونَ الْخَيْرَ وَالْحَبَّ وَالنَّفَاءَ وَالصَّفَاءَ فِي النُّفُوسِ، وَهَؤُلَاءِ هُمْ الْعُلَمَاءُ الْمُتَلَهِّمُونَ مِنَ اللَّهِ، وَأَعْظَمُ مِنْهُمْ الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ وَالْمَلَائِكَةُ، فَصَحَّحُوا مَعْلُومَاتِكُمْ عَمَّنْ هُمْ الْعُلَمَاءُ الْحَقِيقِيُّونَ؛ فَالْعَالَمُ مَنْ أَبَدَعَ لَا مَنْ فَسَّرَ وَشَرَحَ وَحَفِظَ مَا فِي الْمُتُونِ وَالْكِتَابِ، وَلَا مَنْ أَطَالَ شَعْرَ عَارِضِيهِ، {وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ} [سورة يوسف، آية: 76]. أَلَا إِنَّهُ اللَّهُ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ.

هَلِ الْقَنَوَاتُ الْفَضَائِيَّةُ

تُشَارِكُ فِي صُنْعِ الْحُرُوبِ وَالْإِرْهَابِ؟

لِخَمْسِينَ عَامًا خَلَتْ كَانَ هُمُ الْإِنْسَانُ فِي هَذَا الْوَطَنِ الْعَمَلُ عَلَى إِيجَادِ قُوَّةٍ يَوْمَهُ بِالْكَدِّ وَالتَّعَبِ وَالْجُهْدِ، فَهُوَ يَعُودُ بَعْدَ يَوْمٍ مِنَ الْعَنَاءِ إِلَى بَيْتِهِ الْبَسِيطِ مُرْتَاحًا؛ لِكَوْنِهِ قَدْ أَدَّى وَاجِبَهُ وَحَصَلَ عَلَى مَا يَسُدُّ حَاجَتَهُ وَحَاجَةَ أَهْلِهِ وَأَبْنَائِهِ، وَهُوَ لَا يَطْلُبُ أَكْثَرَ مِنَ السِّتْرِ وَالْكَفَايَةِ عَنْ سُؤَالِ النَّاسِ، مُرْتَبِطًا أَيْمًا بِرِتْبَاطٍ بِالْمِهْنَةِ الَّتِي يُجِيدُهَا بِالْخِبْرَةِ وَالْإِكْتِسَابِ، أَوْ مُشْتَغَلًا بِالزَّرَاعَةِ، أَوْ الصَّنَاعَاتِ الْخَفِيفَةِ، أَوْ الْأَعْمَالِ الْخِدْمِيَّةِ، أَوْ التِّجَارَةِ الْمَحْدُودَةِ، أَوْ الرِّعْيِ، أَوْ الصَّيْدِ، وَكَانَ وَقْتُ الْفَرَاغِ يُسْتَعْلَى فِي التَّرْفِيهِ الْبَرِيِّ وَالْأَلْعَابِ الْمُسْلِمَةِ وَالْعَنَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ... وَهَذَا لَا يَعْنِي أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ مَشَاكِلُ أَوْ خُصُومَاتُ أَوْ حُرُوبٌ أَوْ فِتَنٌ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ ضَمْنَ حُدُودِ ضَيْقَةٍ، وَلَا تَلَبُّثُ أَنْ تُعَالَجَ بِوَسَائِلٍ أَقَلَّ كُلْفَةٍ وَإِثَارَةٍ مِنْ عَصْرِنَا الْحَالِيٍّ؛ فَتَحْنُ نَعِيشُ فِي ظِلِّ التَّقْنِيَّاتِ الْمُتَطَوِّرَةِ وَالْفَضَائِيَّاتِ وَوَسَائِلِ التَّوَاصُلِ الْمُتَقَدِّمَةِ، الَّتِي تَنْقُلُ الْأَخْبَارَ بِسُرْعَةِ الْبَرْقِ وَتُتْرَجِّمُ أَحْدَانَهَا وَقِعًا مَلْمُوسًا لِلْعِيَانِ، وَهُوَ مَا تَرَكَ آثَارًا سَلْبِيَّةً عَلَى النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَكَانَ مَدْعَاةً إِلَى الْفَلَقِ وَاحْتِرَافِ الْجَرِيمَةِ. وَإِنْ كَانَ هُنَاكَ بِالْمُقَابِلِ الْكَثِيرُ مِنَ الْإِيجَابِيَّاتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْخَلْقِ وَالْإِبْتِكَارِ وَتَوْسِيعِ مَدَارِكِ الْعَقْلِ، وَدُخُولِ مِضْمَارِ السَّبَاقِ الْعِلْمِيِّ. وَلَكِنَّ تِلْكَ التَّقْنِيَّاتِ تَنْعَكِسُ فِي غِيَابِ النُّضْجِ وَالْحِكْمَةِ بِشَكْلِ سَلْبِيٍّ عَلَى الْبَشَرِ، خُصُوصًا فِي ظِلِّ التَّسَابُقِ عَلَى إِبْتِكَارِ وَسَائِلِ الْهَدْمِ وَالتَّوَدُّمِ وَالرُّعْبِ؛ بُغْيَةَ الْوُصُولِ إِلَى السُّلْطَةِ وَالْهَيْمَنَةِ عَلَى مُقَدَّرَاتِ الْأُمَمِ، وَقَدْ تَعَدَّدَتْ فِي السَّنَوَاتِ الْأَخِيرَةِ عَوَامِلُ الْقَتْلِ وَانْتَشَرَتْ بِشَكْلِ مُخِيفٍ وَهَمَجِيٍّ؛ فَهِيَ أَبَاحَتْ لِلنَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْقَتْلَ وَاحْتِرَافَ الْجَرِيمَةِ، وَسَوَّغَتْ لِمُرْتَكِبِيهَا الطُّرُقَ وَالْوَسَائِلَ، بِحُجَّةِ الدِّفَاعِ عَنِ النَّفْسِ، وَهُوَ مَا لَمْ يَكُنْ مُسْتَشْرِيًا وَمُتَجَسِّدًا بِهَذِهِ الْخُطُورَةِ قَبْلَ رَوَاجِ هَذِهِ التَّقْنِيَّاتِ، وَمِنْ ضِمْنِهَا الْقَنَوَاتُ الْفَضَائِيَّةُ، وَاتَّسَاعَ دَوْرُهَا فِي نَقْلِ صُورِ الْحُرُوبِ وَالْفُظَاطِ بِمَا إِعْتَادَتْ الْعَيْنُ مُشَاهَدَتَهُ، فَبَاتَتْ الْأَفْعَالُ الْقَاتِلَةُ وَالْمُدْمِرَةُ لِلْقِيمِ مُجَرَّدَ مَتْعَةٍ بَصَرِيَّةٍ مَالُوفَةٍ. كَمَا اسْتُخْدِمَتْ هَذِهِ الْوَسَائِلُ لِإِثَارَةِ النُّعْرَاتِ وَالصَّرَاعَاتِ الْقَوْمِيَّةِ وَالِدِينِيَّةِ وَالْمَذْهَبِيَّةِ وَالْعِرْقِيَّةِ، وَبَثَّ الْفِتَنَ وَغَرَسَ الدَّسَائِسَ بَيْنَ الشُّعُوبِ وَالْجَمَاعَاتِ، وَلِتَقْوِيصِ التَّعَايِشِ

السَّلْمِيِّ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَآخِيهِ الْإِنْسَانِ فِي شَتَّى أَنْحَاءِ الْمَعْمُورَةِ. لَقَدْ هَانَتِ النُّفُوسُ بِهَوَانِ الْأَفْعَالِ الْمُعَزَّزَةِ لِلْخَيَالِ الْإِنْتِصَارِيِّ أَوْ الْإِنْهَزَامِيِّ، وَحَلَّتِ الْمُوَاجَهَاتُ الْمُنْتَجَةُ لثَقَافَةِ الْقَتْلِ وَالتَّدْمِيرِ مَحَلَّ الْإِحْيَاءِ وَالتَّكَامُلِ بَيْنَ الشُّعُوبِ، وَقَدْ بَاتَتِ الْقَنَوَاتُ الْفَضَائِيَّةُ مُحَرَّضَةً عَلَى الْعَدَاوَاتِ، بَدَلُ أَنْ تَكُونَ عَامِلَةً لِنَشْرِ الْعُلُومِ الَّتِي تَرْتَفِعُ بِالْعُقُولِ وَالنُّفُوسِ إِلَى التَّسَامِيِّ وَالْإِبْتِكَارِ فِي الْمَجَالَاتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِتَطَوُّرِ الْإِنْسَانِ وَرَفَاهِيَّتِهِ.

وَالنَّاظِرُ الْيَوْمَ إِلَى هَذِهِ التَّقْنِيَّاتِ يَجِدُ أَنَّهَا اتَّجَهَتْ إِلَى تَقْنِيَّةِ وَسَائِلِ التَّدْمِيرِ فِكْرِيًّا وَجَسَدِيًّا أَكْثَرَ مِنْ وَسَائِلِ السَّلَامِ الْإِنْسَانِيِّ. فَلَيْتَ الْقَنَوَاتِ الْفَضَائِيَّةُ تَتَّجِهَ إِلَى التَّخْفِيفِ وَالتَّغْلِيفِ وَالتَّعْتِيمِ عَلَى الصُّوَرِ الْإِخْبَارِيَّةِ الْبَشَعَةِ، وَعَدَمِ مُلاحَقَةِ الْمُشَاهِدِ بِأَخْبَارِ الْحُرُوبِ وَالْقَتْلِ وَكَأَنَّهَا تُقَدِّمُ لِلنَّاسِ صَيْدًا ثَمِينًا بِالْإِنْسَانِ وَمَا حَلَّ بِهِ، وَتُبْدِي سَعَادَةً غَامِرَةً بِنَشْرِ الْمَوْتِ وَالدَّمَارِ وَالْهَلَاكِ.

وَهِيَ بِذَلِكَ تُؤَسِّسُ لِبَذْرِ الشَّرِّ وَالْحَقْدِ وَالْكَرَاهِيَّةِ وَالْعَدَاوَةِ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَآخِيهِ الْإِنْسَانِ، وَتَعْتَبِرُ أَنْ مَا تَعْرِضُهُ مَكَاسِبُ إِعْلَامِيَّةٌ تُحَقِّقُهَا لِلْبَشَرِيَّةِ، مِنْ دُونِ دِرَاسَةٍ وَاعِيَةٍ لِمَا تَتْرَكُهُ تِلْكَ الْأَخْبَارُ وَطَرَائِقُ بَثِّهَا وَنَشْرُهَا مِنْ آثَارٍ سَلْبِيَّةٍ وَمُدمَرَةٍ.

ذَلِكَ أَنَّهَا تُحَرِّضُ عَنْ عَمْدٍ أَوْ غَيْرِ عَمْدٍ عَلَى تَأْجِيجِ مَشَاعِرِ الضَّغِينَةِ بَيْنَ الْبَشَرِ؛ لِيَحْتَدِمَ الشُّجَارُ وَالْخِصَامُ، وَيَبْدَأَ الصَّرَاغُ الَّذِي يَنْتَهِي بِقَتْلِ قَابِيلَ وَهَابِيلَ، عِنْدَمَا تَضِيغُ الْحِكْمَةُ وَيَجْهَلُ الرِّشَادُ سَبِيلَهُ.

إِنَّ الْمُفَكِّرَ بَعْمَقٍ يَجِدُ أَنَّ الْقَنَوَاتِ الْفَضَائِيَّةَ، خُصُوصًا قَنَاتِي «الْجَزِيرَةِ» وَ«الْعَرَبِيَّةِ»، وَهُمَا الْأَقْرَبُ إِلَى الْإِنْسَانِ الْعَرَبِيِّ، إِنَّمَا تَسْعِيَانِ إِلَى دَمَارِ أُمَّةٍ وَهَدْمِ أَوْطَانٍ، لَا إِلَى الِازْتِقَاءِ بِالْإِنْسَانِ وَالْأَوْطَانِ إِلَى الصَّلَاحِ وَالْفَلَاحِ وَالْخَيْرِ؛ فَالْإِنْسَانُ الْعَرَبِيُّ فِي ظِلِّ هَذِهِ الْإِشْكَالِيَّاتِ الرَّاهِنَةِ أَحْوَجُ مَا يَكُونُ إِلَى إِعَادَةِ هُدُوءِهِ النَّفْسِيِّ وَرَفْعِ الْقَلْقِ عَنْهُ، وَتَخْفِيفِ وَقَعِ الْأَحْدَاثِ الدِّمَوِيَّةِ بِالْعُودَةِ إِلَى بَثِّ وَنَشْرِ الْأَخْبَارِ الرَّصِينَةِ وَالْمَوْضُوعِيَّةِ وَالْأَفْلَامِ وَالْأَنَاشِيدِ وَالْأَغَانِي الَّتِي تَرُوحُ عَنِ النَّفْسِ، وَتَشْعُرُ الْإِنْسَانَ بِجَمَالِ الْحَيَاةِ فِي رَوْضَةٍ أَوْ وَرْدَةٍ أَوْ زَهْرَةٍ، بَعِيدًا عَنْ صُورِ الدَّبَابَاتِ وَالْقَنَابِلِ وَالصَّوَارِيخِ وَالطَّائِرَاتِ الْحَرْبِيَّةِ. فَمَتَى تَنْتَقِلُ تِلْكَ الْقَنَوَاتُ مِنْ صُورَةِ الْمَوْتِ وَالْفُظَّاعِ وَالْمَجَازِرِ إِلَى صُورِ الْأَلْفَةِ وَالْجَمَالِ وَالْحَضِّ عَلَى التَّأْخِي؟ حَتَّى لَا تَكُونَ مُرَوِّجَةً لِلْعُنْفِ وَالْإِزْهَابِ، وَلَا تَكُونَ كَمَنْ يَصُبُّ الزَّيْتَ عَلَى النَّارِ.

فَحَرِيَّةُ الْإِعْلَامِ الَّتِي تَتَدَرَّعُ بِهَا وَسَائِلُ الْإِعْلَامِ يَجِبُ أَلَّا تَكُونَ ذَرِيعَةً لِلتَّخْرِيسِ وَتَأْجِيجِ
مَشَاعِرِ الْعَدَاءِ بَيْنَ الْبَشَرِ، وَإِلَّا وَجَبَتْ مُقَاضَاةُ الْمَحَطَّاتِ الْمُرَوِّجَةِ لثقافة الكراهية وتسيير
الصِّرَاعَاتِ الطَّائِفِيَّةِ وَالْمَذْهَبِيَّةِ وَالْعِرْقِيَّةِ، وَصُولاَ إِلَى تَجْرِيمِهَا، فَهَلْ يَعْقِلُ الْقَائِمُونَ عَلَى
هَذِهِ الْقَنَوَاتِ وَيَرْشُدُونَ قَبْلَ أَنْ يُحَقِّقُوا أَهْدَافَ الْأَعْدَاءِ فِي إِذْكَاءِ ثَقَافَةِ الدِّمَارِ الْإِنْسَانِيِّ
الشَّامِلِ، وَيَنْصَرِفُونَ إِلَى مَا يَنْفَعُ وَيُفِيدُ الْخَلْقَ بِكُلِّ أَشْكَالِهِ وَأَنْوَاعِهِ؟
إِنِّي أَتَمَنَّى عَلَى الْمُعْنِيِّينَ مِنْ ذَوِي الْإِخْتِصَاصِ أَنْ يَتَنَاوَلُوا بِالدراسةِ وَالبَحْثِ مَسْأَلَةَ
تَأْثِيرِ الْقَنَوَاتِ الْفَضَائِيَّةِ فِي إِشَاعَةِ الْفُرْقَةِ وَالْعَدَاوَةِ بَيْنَ النَّاسِ، وَدَعْوَتَهَا بَدَلًا مِنْ ذَلِكَ
إِلَى الْفَضِيلَةِ وَالصِّفَاءِ وَالْحُبِّ؛ بُغْيَةً إِسْتِعَادَةِ الرُّومَانِيَّةِ الْمِثَالِيَّةِ الْمَفْقُودَةِ فِي هَذَا الزَّمَنِ
الْقَائِمِ.

أَيُّ إِصْلَاحٍ!

كَثُرَتْ فِي هَذَا الْعَصْرِ الْمُنْظَمَاتُ الْمُسَلَّحَةُ الَّتِي تَدَّعِي الْإِصْلَاحَ فِي الْأَرْضِ، وَتَتَّخِذُ مِنَ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ ذَرْبَةً لِلْقَتْلِ وَالتَّدْمِيرِ بِمَا يَتَعَارَضُ وَقِيمَ الْإِسْلَامِ الْحَنِيفِ؛ فَالْإِسْلَامُ لَمْ تَرُدْ فِيهِ آيَةٌ آيَةً تُجِيزُ قَتْلَ الْمُسْلِمِ لِلْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ، حِينَ يَكُونُ فِي بَيْتِهِ وَمَعَ أَهْلِهِ وَيُفَاجَأُ بِشَخْصٍ أَوْ مَجْمُوعَةٍ تَعَرَّضَتْ لِعَمَلِيَّةٍ غَسَلَ الدِّمَاغَ وَهِيَ تُفَجِّرُ قَنَابِلَهَا وَرَصَاصَاتِ رَشَاشَتِهَا ضِدَّ الْأَبْرِيَاءِ مِنَ النَّاسِ، وَذَلِكَ بِدَعْوَى الْإِصْلَاحِ وَتَطْهِيرِ الْأَرْضِ مِنَ الْمُفْسِدِينَ وَالْإِنْتِصَارِ لِقِيَمِ الْإِسْلَامِ.

فَأَيُّ إِصْلَاحٍ هَذَا الَّذِي يَقُومُ عَلَى التَّرْهيبِ وَالتَّسْلُطِ وَالْجَبْرُوتِ مِنْ طَوَائِفِ ضَلَالَةٍ تَأْتِمُرُ بِأَوَامِرِ شَيَاطِينِ الْأَرْضِ، وَتَعْمَلُ عَلَى إِهْلَاكِ أَنْفُسٍ بَرِيَّةٍ، بِهَدَفِ تَحْقِيقِ الرِّعَايَةِ أَوْ الْمَكَانَةِ أَوْ الْمَكَاسِبِ الْمَادِّيَّةِ عَلَى حِسَابِ الضُّعْفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالنِّسَاءِ وَالشُّيُوخِ وَالْأَطْفَالِ الْأَبْرِيَاءِ.

مَاذَا دَهَى هَؤُلَاءِ الْقَتْلَةَ الَّذِينَ يُرِيقُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ بِاسْمِ الدِّينِ وَالِدِّينِ مِنْهُمْ بَرَاءً؟ وَلِمَنْ يُقَدِّمُونَ هَذِهِ الْقَرَابِينَ الْأَدَمِيَّةَ؟ وَكَيْفَ اسْتَطَاعُوا إِفْنَاعَ أَنْفُسِهِمْ بَأَنَ يَقْتُلُوا النَّاسَ وَيَقْتُلُوا أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ فِي رِيْعَانِ الشَّبَابِ، حَتَّى يَخْسِرُوا بِذَلِكَ دُنْيَاهُمْ وَآخِرَتَهُمْ؟ وَمَا الْجُرْمُ الَّذِي يَدْفَعُهُمْ إِلَى قَتْلِ الْأَنْفُسِ وَإِزْهَاقِ الْأَرْوَاحِ وَانْتِهَاكِ الْأَعْرَاضِ وَسُلْبِ الْحُقُوقِ؟ وَأَيُّ شَرِيعَةٍ تَقُولُ بِجَوَازِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ الْمُجْرِمَةِ وَالْمَحْرَمَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَضْلاً عَنْ حُرْمَتِهَا فِي كُلِّ الشَّرَائِعِ وَالْأَدْيَانِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ، وَالَّتِي لَا يَقْرَئُهَا عَقْلٌ أَوْ صَمِيرٌ؟!!

إِنَّهُمْ يَخْدُمُونَ بِذَلِكَ أَعْدَاءَ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ، بِهَدَفِ تَحْقِيقِ مَارَبٍ سِيَاسِيَّةٍ، وَخِدْمَةِ قُوَى الشَّرِّ وَالْفَسَادِ الَّتِي تُضَرُّ بِالْإِسْلَامِ وَتَصِمُهُ بِوَضْمَةٍ الْهَمْجِيَّةِ وَشَرِيعَةِ الْغَابِ، وَالْإِسْلَامُ فِي جَوْهَرِهِ هُوَ دِينُ التَّسَامُحِ وَالْعَدْلِ وَالرَّأْفَةِ وَالْحُبِّ. مَا هَذَا الَّذِي يَحْصُلُ فِي أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وَلَيْتَ هَذَا الْعُنْفُ كَانَ مُوجَّهًا ضِدَّ أَعْدَاءِ اللَّهِ مِنَ الْيَهُودِ أَوْ الْمَلَاحِدَةِ أَوْ الْمُشْرِكِينَ، لَكِنَّهُمْ يَقْتُلُونَ نَفُوسًا تَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ. وَهُمْ يَظُنُّونَ بِأَفْعَالِهِمُ الدِّينِيَّةِ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا، وَأَنَّهُمْ سَيَنَالُونَ الْجَنَّةَ، فَأَيُّ جَنَّةٍ يَنَالُونَهَا وَهُمْ يَقْتُلُونَ إِخْوَانَهُمْ فِي الدِّينِ؟ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا يَصِفُونَ.

هِيَ الْحَيَاةُ

قُلْتُ: مَا لِي وَلِلْحَيَاةِ، سَأَتْرُكُهَا تَفْعَلُ مَا تَشَاءُ لِأَنِّي لَنْ أُغَيِّرَ شَيْئًا يَتَوَافَقُ مَعَ الْمَنْطِقِ وَالْحِكْمَةِ. أَنَا جَزْمٌ صَغِيرٌ فِي عَالَمِ التَّكْوِينِ الْإِلَهِيِّ؛ فَالْحَيَاةُ أَكْبَرُ مِنْ إِرَادَتِنَا وَمِنْ خَيَالَتِنَا وَأَمَالِنَا وَأَعْمَارِنَا. إِنْ أَرَدْتَ عَدَالَةَ السَّمَاءِ فَلَنْ تَجِدَهَا فِي الْأَرْضِ؛ فَتَرْفَعُ عَنْهَا تَرْتَفِعُ عَنْ صَعَائِرِهَا، وَاجْتَنِبْ كِبَائِرَهَا تُقَلِّلْ مِنْ ضَرَبَاتِهَا. وَفِي كُلِّ الْأَحْوَالِ لَنْ يَخْلُو أَحَدٌ مِنْ هَمِّهَا، إِنْ مَدَحَهَا أَوْ ذَمَّهَا، إِنْ سَرَّهَا سِحْرٌ، وَمَهَرَّهَا الْقَهْرُ؛ فَلَا تَفْتِنَنَّ بِهَا، فَجَمَالُهَا خَادِعٌ يُوقِعُكَ فِي إِسَارِهَا، وَيُذَيِّقُكَ بَعْدَ حُلُوهَا مَرَارَهَا، وَإِذَا غَامَرْتَ وَادَّعَيْتَ الشَّجَاعَةَ اصْطَلَيْتَ بِنَارِهَا؛ فَجَانِبٌ وَلَا تُقَارِبُ، وَاصْحَبٌ وَلَا تُصَاحِبْ، وَتَحْمِلٌ وَلَا تُعَاتِبْ، وَصَانِعٌ وَلَا تُحَارِبْ. خُذْ مِنْهَا مَا تُعْطِيكَ وَلَا تَطْلُبْهَا فَتُعْنِيكَ وَتُشْقِيكَ وَتُتِمِّسَ النِّجَاةَ مِنْهَا بِأَقْلٍ مَا تَأْمُلُ، وَلَا تَسْتَكْثِرْ مِنْهَا تَمَلُّلٌ، فَهِيَ غُرْبَةٌ وَكُرْبَةٌ، لَا تَنْتَظِرِ الرَّحِيلَ إِلَيْهَا بَلْ مِنْهَا، فَفِي الْخُرُوجِ مِنْهَا حُسْنُ الْخَاتِمَةِ.

القَادِمُ أَسْوَأُ

تَخَرَّصَات رُبَّمَا تَحْمِلُ عَلَى الْيَقَظَةِ لِمَا يَحْمِلُهُ الْفِكْرُ السِّيَاسِيُّ الْعَالَمِيُّ بَعْدَ تَدَاوُلِ الْأَرْقَامِ 1، 2، 3. فِي اللَّعْبَةِ السِّيَاسِيَّةِ لِتَغْيِيرِ مَنْظُومَاتِ الْإِسْتِرَاطِيَّاتِ الْقَدِيمَةِ وَاحْلَالِ الْأَرْقَامِ الَّتِي تَلِي؛ أَغْنَى أَرْقَامُ الْمُتَوَالِيَةِ الرَّقْمِيَّةِ، وَالْبَدْءُ بِتَغْيِيرِ مَنَهِجِ النَّظَرِيَّاتِ الْقَدِيمَةِ وَتَجْدِيدِ وَاجِهَةِ الْخَرِيْطَةِ السِّيَاسِيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ، فِي ظِلِّ الْمَشْهَدِ السِّيَاسِيِّ الَّذِي تُرِيدُ أَمْرِيْكَ إِقَامَةَ مَنَهِجِهِ مِنْ خِلَالِ التَّقْلِبَاتِ الْمَشْهُودَةِ عَلَى السَّاحَةِ الْعَالَمِيَّةِ، وَمِنْ أَهَمِّ تِلْكَ الْمَنَهِجِ الْجَدِيْدَةِ عَدَمُ الثَّبَاتِ عَلَى سِيَاسَةِ الْوَجْهِ الْوَاحِدِ، بَلْ تَعُدُّدُ الْوُجُوْهِ وَاسْتِعْمَالِ وَاضْفَاءِ أَلْوَانِ الطَّيْفِ عَلَى تِلْكَ الْوُجُوْهِ، لِخَلْقِ الْإِنْبِهَارِ وَالْإِعْجَابِ وَالتَّخْيُّلِ بِأَنَّ مَوَاقِبَ الْخَيْرِ قَادِمَةٌ، وَأَنَّ الشُّعُوبَ سَوْفَ تَكُونُ أَكْثَرَ أَمْنًا وَأَكْثَرَ اسْتِقْرَارًا وَرَفَاحِيَّةً. وَذَلِكَ لِاسْتِمَالَةِ عَوَاطِفِ الْأَمَمِ مِنْ أَجْلِ الْإِنْتِمَاءِ إِلَى الْقِيَمِ الْجَدِيْدَةِ الَّتِي تُصَدِّرُهَا أَمْرِيْكَ لِتَعْدِيلِ مِزَاجِ الشُّعُوبِ الْمُفْقُورَةِ وَالْفَقِيْرَةِ وَالْمَرِيْضَةِ جَسَدِيًّا وَفِكْرِيًّا، وَهِيَ لِذَلِكَ تَرْفَعُ شِعَارَاتِ الْعَدْلِ وَالْمُسَاوَاةِ وَتُوْزِعُ الثَّرَوَاتِ بَيْنَ شُعُوبِ الدُّوْلِ، وَتِلْكَ أَكْبَرُ أَشْرَاطِ تُوْزِيْعِ الْوَهْمِ عَلَى الشُّعُوبِ الْمُسْتَضْعَفَةِ وَالْعُقُوبِ الْبَسِيْطَةِ الَّتِي تَتَنَاقَشُ أَصْنَافُ الْخِيْبَةِ، حِينَمَا كَذَبَ وَاقِعُهَا وَتَنَمَّرَتْ عَلَيْهَا الْقُوَّةُ لِتُصْبِحَ بَيْنَ أَشْدَاقِ الْوُحُوشِ الْكَاسِرَةِ، فَاضْحَى مِنَ السَّهْلِ التَّشَبُّهُ بِالْوَهْمِ وَتَصْدِيْقُهُ؛ طَلَبًا لِلنَّجَاةِ مِنْ أَكَاذِبِ وَاحْتِلَالِ الْمُعَادَلَاتِ السِّيَاسِيَّةِ، لِتَكُونَ أَكْثَرَ ضَعْفًا وَأَكْثَرَ فَقْرًا وَيَسْهُلَ قِيَادَهَا دُونَ كُلْفَةٍ تُذَكِّرُ، وَهَذِهِ بَدَايَةُ النِّهَايَاتِ. وَقَدْ كَتَبْتُ سَابِقًا عَبْرَ مَقَالَاتٍ مُدَوَّنَةٍ فِي مُؤَلَّفَاتِي عَنْ أَهْمِيَّةِ تَعْدُّدِ التَّحَالُفَاتِ الْمُضَادَّةِ وَالْمُرْبِكَةِ لِلْسِّيَاسَةِ الْأَمْرِيْكِيَّةِ مِنْ خِلَالِ الْقُوَى الْاِقْتِصَادِيَّةِ وَالْعَسْكَرِيَّةِ، لِتَكُونَ فِرَاعَةً مُقْلِقَةً لِلتَّوْجُّهَاتِ الْأَمْرِيْكِيَّةِ. وَقَدْ دَعَوْتُ سَابِقًا إِلَى أَنْ نَعْمِدَ السُّعُوْدِيَّةَ إِلَى اجْتِدَابِ رُوسِيَا وَالصَّيْنِ وَعَقْدِ اتِّفَاقِيَّاتٍ اِقْتِصَادِيَّةٍ وَعَسْكَرِيَّةٍ وَتَقْنِيَّةٍ، بِمَا يَقْلِلُ مِنْ مَكَاسِبِ أَمْرِيْكَ، خُصُوصًا فِي الْمِنْطَقَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَمِنْ ثَمَّ تَوْسِيْعُ مَدَى الْعِلَاقَاتِ الْعَالَمِيَّةِ فِي كَافَّةِ الْاِتِّجَاهَاتِ الَّتِي تَخْدُمُ مَصَالِحَ الدُّوْلِ الْمُسْتَضْعَفَةِ، وَتَوْسِيْعُ مَرَاكِزِ النُّفُوْذِ فِي الْمِنْطَقَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالذَّاتِ لِتَقِفَ تِلْكَ الدُّوْلِ الْقُوَّةَ حَائِلًا بَيْنَ أَمْرِيْكَ وَالدُّوْلِ الْمُسْتَضْعَفَةِ، بِمَا يَقْلِلُ مِنَ الدُّوْرِ الْأَمْرِيْكِيِّ وَالْاِتِّجَاهِ مِنَ الْقُطْبِ الْوَاحِدِ إِلَى تَعْدُّدِ أَقْطَابِ الْقُوَّةِ، وَعَرْقَلَةِ الْهَيْمَنَةِ الْأَمْرِيْكِيَّةِ الدَّاعِيَةِ إِلَى تَمْرِيْقِ الدُّوْلِ وَالشُّعُوبِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ، فَقَدْ هَدَفْتُ أَمْرِيْكَ فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ إِلَى كَبْحِ وَإِقْفَافِ الْمَدِّ

الْإِسْلَامِيَّ الْمُتَرَايِدِ وَالسَّرِيعَ الَّذِي يُشَكِّلُ خَطَرًا عَلَى سِيَاسَتِهَا. فَلَقَدْ اِزْدَادَ خَوْفُ الدُّوَلِ الْعُظْمَى مِنْ أَنْ يَرْتَدَّ الْإِزْهَابُ الَّذِي اضْطَنَعَتْهُ أَمْرِيكَا وَالصَّفَقَةُ بِالْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ لِيَكُونَ السَّلَاحُ نَفْسَهُ الَّذِي يُوجِّهُ إِلَيْهَا. فَأَمْرِيكَا عِنْدَمَا عَرَسَتْ بُذُورَ الْإِزْهَابِ لَمْ يَدْرِ فِي خَلْدِهَا أَنَّهَا أَسَّسَتْ مَدَارِسَ لِتَعْلِيمِ الْإِزْهَابِ مِنْ دُونِ إِرَادَتِهَا، بَلْ هِيَ نِقْمَةٌ لَا تَسْتَطِيعُ دَرَأُهَا إِذَا مَا أَصْبَحَتْ عَالَمًا إِرْهَابِيًّا يَضْرِبُ مُكُونَاتِهَا السِّيَاسِيَّةَ وَمُكَتَسَبَاتِهَا الْمُثْبُوتَةَ مِنْ ثُرُوتٍ وَمُقَدَّرَاتٍ وَمُكَتَسَبَاتِ الشُّعُوبِ الْمَغْلُوبَةِ عَلَى أَمْرِهَا. عِنْدَهَا سَوْفَ تَشْعُرُ أَمْرِيكَا بِخَطَأٍ مَا فَعَلَتْهُ، وَرُبَّمَا تَكُونُ فِي أَسْوَأِ أَحْوَالِهَا اقْتِصَادِيًّا، الْأَمْرُ الَّذِي يُعِيدُهَا تَدْرِيجًا إِلَى الْوَرَاءِ، وَرُبَّمَا تَنْتَهِي أُسْطُورَةُ الْإِمْبِرَاطُورِيَّةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ وَتَنْشَأُ قُوَى أَعْظَمُ مِنْهَا، لِيُسْحَبَ الْبَسَاطُ مِنْ تَحْتِهَا وَتُصْبِحَ قُوَّةٌ نَوَوِيَّةٌ كَثِيرَى مِنْ بَيْنِ قُوَى أُخْرَى أَكْثَرَ تَقْنِيَّةً عَسْكَرِيَّةً وَأَكْثَرَ تَقُوًّا اقْتِصَادِيًّا، وَهُوَ أَمْرٌ لَمْ تُولِهَ السِّيَاسَةُ الْأَمْرِيكِيَّةُ وَحَلَفَاؤُهَا الْقَدَرُ الْكَبِيرَ مِنَ الْاهْتِمَامِ نَظَرًا إِلَى غُرُورِ الْقُوَّةِ، وَإِلَى أَنَّهَا لَمْ تُفَكِّرْ فِي أَنَّ مِنْ طَبَائِعِ الْحَيَاةِ التَّبْدِيلَ وَالتَّغْيِيرَ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوَلُهَا بَيْنَ النَّاسِ} [آل عمران، آية: 140]. فَالْمَقَامُ عَلَى حَالٍ هُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْوَهْمِ لَا يَصْدَقُهُ إِلَّا جَاهِلٌ بِتَارِيخِ الْأُمَمِ وَالدُّوَلِ.

ذَلِكَ مَا كَتَبْتُهُ قَبْلَ أَكْثَرِ مِنْ عَشْرِ سَنَوَاتٍ، وَدَعَوْتُ فِيهِ إِلَى عَقْدِ تَحَالُفَاتٍ جَدِيدَةٍ، وَهُوَ مَا عَمَدْتُ إِلَيْهِ السُّعُودِيَّةُ، وَتَبَعَتْهَا دُولُ الْخَلِيجِ/ وَهُوَ أَمْرٌ، وَإِنْ جَاءَ مُتَأَخِّرًا، إِلَّا أَنَّهُ يُعْبَرُ عَنْ الْحَكْمَةِ الْبَالِغَةِ فِي تَخْفِيفِ مُعَانَاةِ الشُّعُوبِ وَفَتْحِ الْمُغْلَقِ الْمُسْتَتَرِّ، لِيَتَبَيَّنَ صِدْقُ مَا قُلْنَاهُ سَابِقًا بِأَنَّ نَوَايَا أَمْرِيكَا وَأَوْرُبَا زَعَزَعَةَ أَمْنِ الْمِنْطَقَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالذَّاتِ، وَتَجْهِيْزُ إِيْرَانِ الصَّفَوِيَّةِ لَتَكُونَ «الْعُورُ» الْمُخِيفَ لِدُولِ الشَّرْقِ الْعَرَبِيِّ، وَتَجْجِيشُ الْأَعْلَامِ الْعَالَمِيِّ لِيَتَنَدَّرَ بِالْقُوَّةِ الْإِيْرَانِيَّةِ الْمُفْتَعَلَةِ وَالَّتِي تَتَلَبَّسُ بِالْوَهْمِ وَيَتَلَبَّسُهَا الْوَهْمُ، وَهِيَ لَا تَدْرِي بِأَنَّهَا كَبَشُ فِدَاءٍ اضْطَنَعَتْهُ أَمْرِيكَا كَذِبًا وَزَيْفًا وَبُهْتَانًا؛ فَإِيْرَانُ أَعْجَزُ وَأَضْعَفُ مِنْ أَنْ تَسْتَطِيعَ مُوَاجَهَةَ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَهِيَ وَدَوْلَتُهَا وَشَعْبُهَا أَوْهَنُ مِنْ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ.

مِنْ هُنَا أَحْمَدُ لِلْمَمْلَكَةِ تِلْكَ الْخُطُواتِ الَّتِي سَتَحْفَظُ لَنَا الْكَثِيرَ مِنْ سِيَادَتِنَا وَكَرَامَتِنَا، بَلْ وَتَحْفَظُ مُكَتَسَبَاتِنَا وَثُرُوتَانَا كَيْ لَا تَصْبَ إِلَّا فِي مَصْلَحَةِ دَوْلَانَا وَأَمْتِنَا، وَإِنْ كَانَ هُنَاكَ أَنَّهُكَ لِلثَّرْوَةِ الْقَوْمِيَّةِ إِلَّا أَنَّهُ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ حَتَّى نَسْتَفِذَ أَنْفُسَنَا وَدَوْلَانَا وَثُرُوتَانَا مِنَ الْاِسْتِغْلَالِ الْكُلِّيِّ؛ فَالسِّيَاسَةُ الْأَمْرِيكِيَّةُ تَسْعَى إِلَى تَبْدِيدِ أُمَّةِ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ بِشَكْلِ يُعِيدُهَا إِلَى

سَابِقِ عَهْدِهَا، أَمَّا مُتَنَاحِرَةً تَعُودُ إِلَى الْخَيْمَةِ وَالْجَمَلِ وَالسَّيْفِ بَعْدَ تَبْدِيدِ كُلِّ الْحَضَارَةِ الْقَائِمَةِ، كَمَا هِيَ الْحَالُ فِي سُورِيَا وَلِيبِيَا وَالْيَمَنِ وَغَيْرِهَا مِنْ دُولِ الْعَالَمِ.

وَمِنْ الْمُلَاحِظِ أَنَّ السِّيَاسَةَ السُّعُودِيَّةَ تَسْتَبِقُ الزَّمَنَ لِيَكُونَ فِي صَالِحِهَا وَصَالِحِ الْأُمَمِ الْمُسْتَضْعَفَةِ، وَمَا نَرَاهُ مِنْ تَحَالَفَاتٍ وَصَدَاقَاتٍ وَارْتِبَاطَاتٍ بِعَلَاَقَاتٍ جَدِيدَةٍ مَعَ دُولِ الْعَالَمِ، يُعْطِي دَلَالَاتٍ عَلَى أَنَّ الْعَقْلَ السُّعُودِيَّ أَصْبَحَ نَاضِجًا وَمُهَيَّأً لِأَنْ يَكُونَ ضِمْنَ الدُّوَلِ الْكُبْرَى؛ فَقَدْ أَصْبَحَ الْعَالَمُ بِأَسْرِهِ مُرْتَبِطًا بِعَلَاَقَاتٍ شَتَّى تَسْتَوْجِبُ مِنْ تِلْكَ الدُّوَلِ الصَّدِيقَةِ الدَّفَاعَ عَنْ مَصَالِحِهَا مَعَ السُّعُودِيَّةِ، وَهُوَ مَا لَمْ تَحْسِبْ أَمْرِيكَ وَأُورِيَا حِسَابَهُ، حِينَ وَزَعَتِ السُّعُودِيَّةُ أَدْوَارَ الدَّفَاعِ عَنْهَا، مَا سَيَجْعَلُ الْعَقْلَ الْأَمْرِيكِيَّ يُعِيدُ حِسَابَاتِهِ بِشَكْلِ مَنْطِقِيٍّ وَعَقْلَانِيٍّ، إِذْ إِنَّهُ مِنْ غَيْرِ الْمَعْقُولِ أَنْ تُحَارِبَ أَمْرِيكَ الْعَالَمَ بِأَسْرِهِ، إِلَّا إِذَا أَرَادَتْهَا حَرْبًا عَالَمِيَّةً لَا تَبْقَى وَلَا تَذُرُ؛ لِأَنَّهَا أَوَّلُ الْخَاسِرِينَ، وَسَتُعْلِنُ نَهَايَتَهَا وَنَهَايَةَ الْقُوَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ فِي الْعَالَمِ أَجْمَعَ، رُبَّمَا لِيَتِمَّ اللَّهُ كَلِمَاتِهِ بِنَصْرِ الْمُسْلِمِينَ وَمِيلَادِ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ الصَّادِقَةِ وَنُزُولِ الْمَسِيحِ بْنِ مَرْيَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لِيُحْكَمَ بِالْإِسْلَامِ، وَتَكُونَ إِزْهَاصَاتُ الْقِيَامَةِ قَدْ تَأَكَّدَتْ لِلْعِيَانِ، لَتَفْنَى الْأَرْضُ وَمَنْ عَلَيْهَا، وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. فَلَا يَتَفَاءَلُ أَيُّ وَاحِدٍ بِالْقَادِمِ، فَرُبَّمَا سَيَكُونُ أَسْوَأُ مِنْ كُلِّ التَّوَقُّعَاتِ وَالتَّنبُّؤَاتِ؛ {قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} [التَّحْرِيمُ، آيَةُ: 6]، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى. وَأَقُولُ: إِنَّ غَدًا لِنَظَرِهِ أَلِيمٌ. وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا الرَّجُوعُ بِصَدَقِ الْيَقِينِ وَقُوَّةِ الْإِيمَانِ إِلَى اللَّهِ وَالْفِرَارُ إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْقَادِمَ أَصْبَحَ مَكْشُوفًا لِلْعِيَانِ وَلَا يُبَشِّرُ بِخَيْرٍ.

الْحُرِّيَّةُ لَيْسَتْ مُطْلَقَةً

لَيْسَ هُنَاكَ فِي الْخَلْقِ شَيْءٌ اسْمُهُ الْحُرِّيَّةُ أَوْ الدِّيمُقْرَاطِيَّةُ، فَالْأَصْلُ فِي سُلُوكِيَّاتِ الْخَلْقِ جَمِيعًا يَقُومُ عَلَى التَّقْيِيدِ، وَالِدَّلِيلُ الْعُبُودِيَّةُ لِلَّهِ، ثُمَّ قُبُودُ الْأَنْظَمَةِ فِي الْبِلَادِ وَالْأَمْصَارِ. كُلُّ الْمَخْلُوقَاتِ قَائِمَةٌ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ؛ لِأَنَّ كَلِمَةَ حُرِّيَّةٍ هِيَ مُطْلَقَةٌ الْمَعْنَى لِلْإِرَادَةِ الْمُتَصَرِّفَةِ الْأَمْرَةَ الْقَادِرَةَ الْفَاعِلَةَ الْمُقَدَّرَةَ الْمُجَسَّدَةَ لِلْغَيْبِيَّاتِ فِي مَكُونَاتِهَا، مُتَوَفِّرَةٌ فَقَطْ لِمَنْ يَمْتَلِكُ هَذِهِ الصِّفَاتِ، أَيْ لِلْمُتَصَرِّفِ الْفَرْدِ الَّذِي هُوَ اللَّهُ، إِذَنْ، أَيْ حُرِّيَّةٍ لِلْمَخْلُوقِ، وَأَيْ دِيمُقْرَاطِيَّةٍ يُسَوِّغُهَا الْفِكْرُ هِيَ دِيمُقْرَاطِيَّةٌ مُقَيَّدَةٌ. وَإِذَا أَخَذْنَا كَلِمَةَ حُرِّيَّةٍ مُجَرَّدَةً مِنْ تَرْكِيبَاتِ الْمَعَانِي لَوَجَدْنَاهَا تُبْرِهِنُ عَلَى عَدَمِ وُجُودِ الْحُرِّيَّةِ لِلْمَخْلُوقَاتِ، إِلَّا فِي التَّعْبِيرِ اللَّفْظِيِّ الْمُنْحَصِرِ فِي إِطَارِ الْأَمَالِ وَالشَّهَوَاتِ. وَتَطْلُ الْعُبُودِيَّةُ قَائِمَةٌ حَتَّى فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ؛ حَيْثُ لَا يَنْسَلَخُ الْخَلْقُ عَنْ عُبُودِيَّةِ اللَّهِ. فَكُلُّ حُرِّيَّةٍ مُقَيَّدَةٌ، إِلَّا لِمَنْ يَسْتَطِيعُ الْخَلْقُ وَإِنْزَالُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَمَنْ يَمْلِكُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ؛ وَلِذَا نَشَأَتِ الْعُبُودِيَّةُ الْأَرْضِيَّةُ كَمَحَاوَلَةٍ لِتَقْلِيدِ الْمَعْبُودِ فِي السَّمَاءِ.

الهجرة إلى الأشياء

مجموعة قصصية للاستاذة سهام العبودي

هُوَ كِتَابٌ صَغِيرٌ فِي شَكْلِهِ، عَمِيقٌ فِي مَضَامِينِهِ الْقَصَصِيَّةِ، وَصَلَنِي مِنَ الْمُؤَلَّفَةِ، وَلَيْسَ فِي مَقْدُورِ الْبُسْطَاءِ الدُّخُولُ إِلَى عَالَمِهِ وَمَضَامِينِهِ وَسَبْرُ أَغْوَارِ التَّلْغِيزِ وَالتَّرْمِيزِ الَّذِي يَسْكُنُ بَوَاطِنَ مَعَانِيهِ. كُنْتُ قَدْ أَلْقَيْتُ بِهِ عَلَى ظَهْرِ طَاوِلَتِي الْكَبِيرَةِ الْمَلِيَّةِ بِالْكَتُبِ وَالْمُؤَلَّفَاتِ وَالذُّوْرِيَّاتِ وَالْمَجَلَّاتِ الَّتِي تَنْتَظِرُ دَوْرَهَا لِلْقِرَاءَةِ، لَكثْرَةِ مَا يَصِلُنِي مِنْ إِهْدَاءَاتٍ، وَحِينَ لَمَحْتُ اسْمَ الْمُؤَلَّفَةِ وَقَرَأْتُ صَفْحَةً مِنَ الْكِتَابِ أَلْقَيْتُ بِهِ ثَانِيَةً عَلَى الطَّائِلَةِ، وَلَكِنِّي تَذَكَّرْتُ أَنَّ لِي صَدِيقًا يَحْمِلُ لَقَبَ (الْعُبُودِي)، وَكَانَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ أَمِينًا لِرَابِطَةِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ فِي مَكَّةَ، وَهُوَ رَجُلٌ خُلُقٌ يَحْمِلُ مِنْ صِفَاتِ الْخَيْرِ مَا يَحْمِلُ عَلَى التَّقْدِيرِ- مَدَدْتُ يَدِي ثَانِيَةً إِلَى الْكِتَابِ عَلَنِي أَجِدُ مَا يُضِيفُ إِلَى مُكْتَسَبَاتِي الْعِلْمِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ، وَيَكُونُ إِضَافَةً مُهِمَّةً إِلَى قِرَائَاتِي.

وَإِذَا بِي أُبْحِرُ دُونَ إِرَادَتِي فِي لُجَّتِهِ مُسْتَمْتِعًا بِأَجْدِيَّةِ اللُّغَةِ الَّتِي تُوْغِلُ فِي فَضَاءَاتِ الْمَعْرِفَةِ وَتَمْتَلِي بِثَقَافَاتٍ مُتَعَدِّدَةِ الصُّوْرِ وَالْأَهْدَافِ، وَقَدْ شَعَرْتُ بِأَنِّي أَقْرَأُ شِعْرًا قَصَصِيًّا لَا نَثْرًا، أَوْ أَقْرَأُ نَثْرًا يَسْمُو عَلَى الشُّعْرِ فِي مَوَاضِعٍ كَثِيرَةٍ.

جَذَبَنِي أُسْلُوبُ الْكِتَابَةِ، وَأَدْهَشَنِي بَرَاعَةُ الطَّرْحِ وَطَرِيقَةُ الْعَرْضِ لِكُلِّ قِصَّةٍ مِنَ الْقِصَصِ الَّتِي تَنَاوَلَتْهَا. وَبِرَغْمِ أَعْبَائِي وَأَنْشِغَالَاتِي الْعَمَلِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ فَقَدْ وَجَدْتُ أَنَّ مِنْ أَبْسَطِ حُقُوقِ الْمُؤَلَّفَةِ عَلَيَّ أَنْ أَعْبَرَّ لَهَا عَنْ تَقْدِيرِي لِمَوْهَبَةِ تَشْيِ بِفِكْرٍ مُبْدِعٍ يَتَجَاوَزُ الْقُدْرَةَ إِلَى التَّقْدِيرِ، وَيَبْعَثُ عَلَى التَّفَاوُلِ بَأَنَّ أُمَّتَنَا الْعَرَبِيَّةَ لَنْ تَعْجَزَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَنْ إِنْجَابِ الْعُقُولِ الْمُبْدِعَةِ فِي الْمَجَالَاتِ الْمَلِيَّةِ بِكُلِّ شَكُولِ الْمَعَارِفِ، رَغْمَ ضِيقِ الْمُنَاحَاتِ وَوُجُودِ الْمَسَالِكِ لِلْوُصُولِ إِلَى تَحْقِيقِ الشَّخْصِيَّةِ فِي أَوْطَانِنَا الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي لَا تَعْتَرِفُ إِلَّا بِالْأَنَا الْوَاحِدَةِ الْمُتَفَرِّدَةِ، وَهُوَ مَا أَدَّى إِلَى الْعُزْلَةِ وَالْإِحْبَاطِ وَالتَّقَرُّمِ فِي نَفُوسِ الْعُلَمَاءِ وَالْأَدْبَاءِ وَالْمُبْدِعِينَ، فَطَابَ لَهُمُ الْإِنْزَوَاءُ وَالتَّسْلِيُ بِتَفَاهَاتٍ تَشْغَلُ أَوْقَاتَ فَرَاحِهِمْ بِالتَّسْلِيَةِ الْوَقْتِيَّةِ أَوْ الْإِنْخِرَاطِ فِي تَبَعِيَّاتٍ مَجْهُولَةِ الْأَهْدَافِ، أَوْ الْهَجْرَةِ إِلَى بَيِّنَاتٍ أُخْرَى تَقْدَرُ الْمَوَاهِبُ. إِنَّ الْأَهْمَالَ وَالتَّهْمِيشَ وَعَدَمَ التَّشْجِيعِ هِيَ مِنَ الْعَوَامِلِ الْهَادِمَةِ لِمُكْتَسَبَاتِ الْأَوْطَانِ وَالْمُحِبَّةِ لِلْأَجْيَالِ.

وَمِنْ هُنَا تُصْبِحُ الثِّقَّةُ بَيْنَ الْوَطَنِ وَأَبْنَائِهِ الْمُبْدِعِينَ مَعْدُومَةً تَمَامًا يَسُوبُهَا الْحَقْدُ وَالضَّغِينَةُ عَلَى ضَيَاعِ الْأَعْمَارِ. وَالنَّفُوسُ حِينَ يُصِيبُهَا الْوَهْنُ وَالْوَهْمُ وَالْمَرَضُ تَجَنُّحُ إِلَى ضَلَالَاتِ الْأَفْعَالِ وَأَنْبِهَامِ طُرُقِ الْخَيْرِ وَرُكُوبِ مَطَايَا الشُّرُورِ، دُونَ حِسَابٍ لِلْعَوَاقِبِ، فَنَحْنُ نَعْرِفُ أَنَّ النَّفْسَ أَمَارَةً بِالسُّوءِ، ثُمَّ نَعُودُ لِنَلْقِي بِاللَّائِمَةِ عَلَى رَدَاتِ الْأَفْعَالِ لَا عَلَى الْأَفْعَالِ الَّتِي أَدَّتْ إِلَيْهَا. وَهَلْ يَعْقِلُ مَنْ أَغْفَلَ قَلْبُهُ عَنْ مَعَانِي التَّسَامِي بِالْأُوطَانِ، أَوْ مَنْ اتَّبَعَ قَلْبُهُ هَوَاهُ، وَمَنْ لَمْ يَفْكَرْ أَبْعَدَ مِنْ قَدَمَيْهِ، وَلَا يُفْسِحُ الْمَجَالَ لِفِكْرٍ قَدْ يَهْبُهُ دَيْمُومَةً الْوَقْتُ وَرَفْعَةُ الْأُمَمِ؟ وَهَذَا الْجَانِبُ كُنْتُ أُلْحِ عَلَيْهِ كَثِيرًا، حَتَّى صَاحِبِنِي الْمَلَلُ وَمِلْتُ إِلَى عَزْلَةٍ قَسْرِيَّةٍ وَمَنْفَى اخْتِيَارِي، حِفَاطًا عَلَى نَفْسٍ كَرَّمَهَا اللَّهُ كَيْ لَا يَنَالَ مِنْهَا مَنْ سَاءَ طَبْعُهُ وَعَمَلُهُ وَهُوَ يَلْجُ فِي حُسْرَانٍ مُبِينٍ.

أَعُودُ الْيَوْمَ بَعْدَ سَنَوَاتٍ طَوَالَ لَا أَكْتُبُ مَرَّةً أُخْرَى وَلِيَكُونَ مُحَفِّزِي هَذَا الْإِصْدَارَ الْقَصَصِيُّ الَّذِي يَرَى مَنْ يَقْرُؤُهُ أَنَّ فِي ظَاهِرِهِ كَلِمَاتٍ وَمَعَانِي بَسِيطَةً يَمُرُّ عَلَيْهَا مَرُورَ الْكِرَامِ، وَهُوَ لَوْ تَعَمَّقَ فِي دَوَاخِلِ الْمَجْمُوعَةِ لَعَرَفَ الْبُعْدَ الْمُلْغَزَ الدِّفِينَ الْحَابِي بَيْنَ مَعَانِي الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَتَوَزَّعُ بَيْنَ الصَّمْتِ وَالْبُوحِ، كَمَا تَسْتَخْرِجُ مَا يَعْتَمِلُ فِي النَّفْسِ مِنْ ثَوْرَةٍ جَامِحَةٍ يَفْهَمُ أَعْمَاقَهَا سَدَنَةُ الْفِكْرِ الْخَبْرَاءُ بِالتَّنْقِيبِ عَنْ مَنَاجِمِ الذَّهَبِ الْبَلَاغِيِّ وَالْإِبْلَاغِيِّ وَالْمَعْرِفِيِّ وَالثَّقَافِيِّ، إِنَّهُ الْفِكْرُ النَّازِعُ إِلَى لُغَةِ الْأَصْلَاحِ لِمَا أَفْسَدَهُ الْكِبَرُ وَالتَّعَالِي وَحُبُّ الذَّاتِ وَتَهْمِيشُ الْآخَرِ.

تِلْكَ مَجْمُوعَةٌ قَصَصِيَّةٌ لِسَهَامِ الْعُبُودِي تَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهَا تَجَارِبَ لَمْ تَأْتِ جُزْأًا أَوْ تَكْلَفًا، بَلْ هِيَ مَمْرُوجَةٌ بِنَزْفِ الْقَلْبِ وَالْفِكْرِ، تَتَوَاتَبُ كَالْفَرَاشَاتِ بِالْوَانِ شَتَّى، فَتَسْرُ النَّاطِرِينَ الْمُتَعَمِّقِينَ وَهِيَ تَحُطُّ عَلَى أَزْهَارِ الْحَيَاةِ فَتَأْخُذُ بِالْأَلْبَابِ فِي أَسْلُوبِ جَذَابٍ وَمَضَامِينٍ هَادِفَةٍ. وَلَوْ كَانَ لِي مَا خُذْتُ عَلَى هَذِهِ الْمَجْمُوعَةِ الْقَصَصِيَّةِ فَهُوَ لَا يَتَعَدَّى الْمُرَاجَعَةَ بَيْنَ الذُّكُورِيَّةِ وَالذُّكُورِيَّةِ فِي طَرِيقَةِ السَّرْدِ الَّذِي يُفْتَرَضُ أَنْ يَحْمِلَ الْعَكْسَ فِي تَزَاوُجِ الْمَضَامِينِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ ذُّكُورِيَّةً أَوْ أُنْثَوِيَّةً ذُّكُورِيَّةً؛ بُغْيَةً اكْتِمَالِ الرُّؤْيَةِ الْقَصَصِيَّةِ. وَالْمَاخُذُ الْآخَرُ يَتَعَلَّقُ بِخَطِّ الرَّفْعَةِ الَّذِي يَضَعُ الْعَنَاوِينَ فِي دَائِرَةِ الْإِبْهَامِ.

وَأَشْكُرُ الْمُؤَلِّفَةَ الْمُبْدِعَةَ عَلَى طَزَاجَةِ وَبَكَارَةِ الطَّرْحِ، وَعَلَى الْأُسْلُوبِ الْمُتَفَرِّدِ الَّذِي يُعْلِنُ عَنْ شَخْصِيَّةٍ أَدَبِيَّةٍ سَيَكُونُ لَهَا حُضُورُهَا وَسَمْتُهَا الَّذِي يُمَثِّلُ خُصُوصِيَّةً لَا تَتَشَابَهُ مَعَ مُعْطَيَاتِ الْأَسَالِيبِ الْمُسَطَّحَةِ وَالتَّقْرِيرِيَّةِ لِكِتَابِ الْقِصَّةِ الْقَصِيرَةِ، إِضَافَةً إِلَى تَضَمِينِ الثَّوْرَةِ

الْمَكْبُوتَةِ فِي النَّفْسِ الْأَنْثَوِيَّةِ حِينَ تَحْكُمُهَا تَقَالِيدُ الْقَبِيلَةِ وَقِيمُهَا الْمَمْجُوجَةُ فِي أَحْيَانٍ كَثِيرَةٍ؛ فَأَنْتَ عِنْدَمَا تَقْرَأُ الْمَجْمُوعَةَ تَلْمَسُ فِي الْأُسْلُوبِ قَسَاوَةَ الطَّرْحِ الْمَنْحُوتِ مِنْ صَخْرِ الْحَيَاةِ. وَلَكِنْ إِذَا أَنْتَ أَنْعَمْتَ النَّظَرَ إِلَى أَعْمَاقِ الْمَضَامِينِ وَجَدْتَ رُوحًا شَفَافَةً وَقَلْبًا يَذُوبُ رَقَّةً وَالْمَاءَ، وَتُحَسُّ بِطَائِرٍ يَكَادُ يَنْطَلِقُ مِنْ عَقَالِهِ لِيَجُوبَ أَنْحَاءَ فُضَاءَاتِ الْحُرِّيَّةِ وَيَغْرَدَ عَلَى أَفْئَانِ الْحَيَاةِ وَمُتَعَتِّهَا، كَمَا جَمَالَ الْفِطْرَةَ، لَا فَتَامَتَهَا وَبُؤْسَهَا وَقَسَوَتَهَا. هَذَا مَا أَحْسَسْتَهُ بَيْنَ دَفْتِي الْمَجْمُوعَةِ الْقَصَصِيَّةِ الْمُعَنُونَةِ بِـ «الْهِجْرَةُ إِلَى الْأَشْيَاءِ» لِمَوْلَفَتِهَا سِهَامِ الْعَبُودِي.

سُورِيَا

لَكُمْ ظُلْمٌ أَهْلُنَا وَإِخْوَانُنَا فِي سُورِيَا! فَهَذَا الشَّعْبُ الْمُؤْمِنُ الْأَبْيُّ دَارَتْ عَلَيْهِ عَوَادِي الْأَيَّامِ، وَشَرَّدَتْهُ قُوَى الْبَغْيِ وَالطُّغْيَانِ، وَدَمَّرَتْ أَهْلَهُ وَأَرْضَهُ دُونَ رَحْمَةٍ وَلَا حِفْظٍ لِذِمَّةٍ أَوْ عِرْقٍ، أَوْ دَمٍ يُفْتَرَضُ أَنْ يَكُونَ خَلِيقًا بِمَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى أَرْضِهِ وَأَهْلِهِ. لَقَدْ دَفَعَ الشَّعْبُ السُّورِيَّ أَثْمَانًا بَاهِظَةً كَيْ يَسْتَرِدَّ وَطَنَهُ وَكِرَامَتَهُ وَعِزَّتَهُ بَيْنَ الْأُمَمِ، وَهُوَ مُنْتَصِرٌ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَلَكِنْ سَيَبْقَى الْعَارُ يَلَاحِقُ زُمَرَةَ الْبَاطِلِ الَّتِي تَرَكْتَ آثَارَ عُدْوَانِهَا عَلَى الْإِنْسَانِ وَالْحَجَرِ وَالشَّرَى، وَسَيَنْتَقِمُ اللَّهُ الْقَوِيَّ الْقَادِرُ مِمَّنْ ارْتَكَبَ تِلْكَ الْمَجَازِرَ فِي حَقِّ شَعْبٍ أَعَزَلَ مُسَالِمًا، لَيْسَ لَهُ ذَنْبٌ إِلَّا أَنَّهُ رَفَضَ الدَّلَّ وَالْإِمْتِهَانَ؛ فَبِأَيِّ وَجْهِ سَتَقَابِلُ تِلْكَ الطُّغْمَةَ رَبِّهَا وَعَلَيْهَا لَعَنَاتٌ مِنَ الْإِنْسِ أَجْمَعِينَ؟ إِنَّ الْوَاقِعَ السُّورِيَّ مَرِيرٌ أَلِيمٌ بِكُلِّ الْمَقَائِيسِ الْأَخْلَاقِيَّةِ، وَإِنَّ مَا تَقُومُ بِهِ إِيرَانُ الْمَجُوسِيَّةُ قَدْ تَجَاوَزَ حَدًّا قَبِيحًا فِي الْإِجْرَامِ، وَكَذَلِكَ رُوسِيَا الَّتِي جَعَلَتْ الْمَصَالِحَ السِّيَاسِيَّةَ وَالْاِقْتِصَادِيَّةَ فَوْقَ الْأَخْلَاقِ الْإِنْسَانِيَّةِ، فِي اسْتِهَانَةٍ فَاضِحَةٍ بِأَرْوَاحِ الْبَشَرِ. رُوسِيَا لَمْ تَفَكَّرْ قَطُّ فِي قَتْلِ وَحَرْقِ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ وَالشُّيُوخِ وَالشَّبَابِ، وَآخِيرًا نَرَى الْأَلَمَ الْمُمِضَّ حِينَ نَرَى جُثَثَ الضَّحَايَا الْفَارِسِينَ مِنْ وِيَلَاتِ الْحَرْبِ الَّذِينَ لَقُوا حَتْفَهُمْ فِي بَحَارِ أَوْرُبَا طَالِبِينَ النِّجَاةِ، فَإِذَا هُمْ: كَالْمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ، آه وَآه عَلَى قُلُوبِ قَدَّتْ مِنْ صَخَرٍ، بَلْ صَخَرٌ لَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْمَاءُ، قُلُوبٌ غَيْرِ آدَمِيَّةٍ مُتَوَحِّشَةٍ! لَكَ اللَّهُ أَيُّهَا الشَّعْبُ السُّورِيَّ، وَنَحْنُ هُنَا فِي الْمَمْلَكَةِ مَعَكَ قَلْبًا وَقَالِبًا، حُكَمَا وَمُوَاطِنِينَ، وَلَنْ نَتْرَكَ هَمَلًا، سَنَدَافِعُ مَعَكَ عَنْكَ إِلَى أَنْ يَتَحَقَّقَ النَّصْرُ وَيَعُودَ هَذَا الشَّعْبُ الْأَبْيُّ إِلَى عِزَّتِهِ عَلَى أَرْضِهِ بِإِذْنِ اللَّهِ. وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ، فَاصْبِرُوا وَصَابِرُوا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ.

حَضْرَمَوْتُ

كُنْتُ وَمَا زِلْتُ أُنَادِي بِانْفِصَالِ دَوْلَةِ حَضْرَمَوْتَ عَنِ الْيَمَنِ الشَّمَالِيِّ؛ لِأَنَّ الْفَارِقَ كَبِيرٌ
فِيمَا بَيْنَ الْحَضْرَمِيِّ وَالْيَمَنِيِّ فِي الْمَسْلَكِ، وَإِنْ رَجَعُوا فِي الْأَصُولِ الْقَدِيمَةِ جَمِيعُهُمْ إِلَى
الْيَمَنِ، وَلَكِنَّ الَّذِي حَصَلَ فِي الشَّمَالِ بَعْدَ الْإِسْتِعْمَارِ التُّرْكِيِّ وَالْفَارِسِيِّ لِمِائَاتِ السِّنِينَ
تَرَكَ هُجْنَةً وَعُجْمَةً فِي الْأَنْسَابِ، فَالْقَلِيلُ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ مَنْ لَمْ تَلْحَقْهُ شُبُهَةٌ الْأَصْلِ
التُّرْكِيِّ وَالْفَارِسِيِّ، وَالْإِنْفِصَالُ ضَرُورَةٌ لِسَلَامِ أَهْلِ حَضْرَمَوْتَ.

يَكْفِي أَنْ أَكْبَرَ شَاهِدَ عَلَى الْخِيَانَةِ هُوَ مَعْدُومُ الذِّكْرِ عَلِيٍّ طَالِحَ عَفَاشٍ وَالْحَوْشِيِّ
الْفَارِسِيِّ، فَهُمَا مَنْ دَمَرَا الْيَمْنَ بَعْدَ أَنْ نَهَبَاهَا؛ وَالْإِنْفِصَالُ هُوَ الَّذِي سَيَحْصُلُ عَاجِلًا أَمْ
أَجَلًا، فَلَا يُمْكِنُ لِحَضْرَمِيِّ أَنْ يَعِيشَ تَحْتَ سُلْطَةِ يَمَنِيٍّ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، فَلْيَذْهَبُوا عَنْ
أَهْلِنَا فِي حَضْرَمَوْتَ.

وَلَوْ جَرَى اسْتِفْتَاءٌ لِأَهْلِ حَضْرَمَوْتَ لَتَمَنَّوْا أَنْ يَكُونُوا تَحْتَ الْقِيَادَةِ السُّعُودِيَّةِ بِالْإِجْمَاعِ؛
فَأَهْلُ حَضْرَمَوْتَ أَهْلُ ذِمَّةٍ وَتَقْوَى لِلَّهِ، وَهُمْ مَنْ نَشَرُوا الْإِسْلَامَ فِي أَصْقَاعِ آسِيَا وَكَثِيرٍ مِنْ
دُولِ الْعَالَمِ، وَاتَّصَفُوا بِحُسْنِ الْخُلُقِ وَالصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ، وَهَذَا مَا يَشْهَدُ بِهِ الْعَدُوُّ قَبْلَ
الصِّدْقِ، وَلَا يُمَارِي بِهِ أَحَدٌ. أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُجَنِّبَ مَوَاطِنَنَا شُرُورَ الْأَشْرَارِ وَكَيْدَ الْفُجَّارِ،
وَشَرَّ مَا يَلْبِجُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

نَفْسٌ بِلَا ضَغِينَةٍ

مَا زِلْتُ أُبْحَثُ فِي نَفْسِي عَنْ نَفْسٍ خَالِيَةٍ مِنَ الضَّغَائِنِ وَالْعَدَاوَاتِ، مَغْسُولَةٍ بِمَاءِ الطُّهْرِ، لَا تَسْتَبْدِلُ فِطْرَةَ الْحُبِّ بِالْكُورِ، وَلَا تَعْرِفُ شَيْئًا اسْمُهُ الشَّرُّ أَوْ الْحَقْدُ أَوْ الْحَسَدُ أَوْ الْغِلُّ.

مَا زِلْتُ أُحَاوِلُ أَنْ أَمْحُو مِنْ عَقْلِي ذَاكِرَةَ الْقُبْحِ فِي الْكَلِمَةِ وَالْفِعْلِ وَالْحِسِّ. لَا أُرِيدُ أَنْ أَرَى الْجَمَالَ الْخُلُقِيَّ مُشَوَّهَاً فِي رُسُومِ الْأَشْيَاءِ، أُرِيدُ تَبْدِيلَ قَوَامِيسِ اللُّغَاتِ الْمَشْوُوبَةِ بِالْمَعَانِي الْحَارِقَةِ لِنُصَارَةِ الْحَيَاةِ وَثَوَابِ الْوُجُودِ، إِلَى مَعَانٍ تَحْمِلُ الصَّفَاءَ وَالْبَذَلَ وَالْعَطَاءَ، أُرِيدُ تَنْظِيفَ مُلَوَّنَاتِ الْهَوَاءِ الْمَحْمُولِ بِذَرَّاتِ غُبَارِ الْأَسْلَحَةِ الْمُدمَّرَةِ وَالْغَازَاتِ الْخَانِقَةِ، أُرِيدُ عَالَمًا رُوحِيَّ الصِّفَاتِ وَالْأَشْكَالِ وَالنَّوَايَا وَالْأَهْدَافِ؛ فَتَرْعَا الْخَيْرَ فِي النُّفُوسِ هِيَ الْفِطْرَةُ الْأُمُّ، فَلِمَاذَا لَا نَسْتَخْرِجُ كُنُوزَهَا الدِّينِيَّةَ فِينَا وَنَتَقَلَّدُ حَبَّاتِ نَفَائِسِهَا عُقُودًا نَطُوقُ بِهَا أَعْنَاقَنَا، وَتَكُونُ تِيَجَانًا مَرْصَعَةً بِكَرَائِمِ الْقِيَمِ عَلَى رُؤُوسِنَا؟ ابْحَثُوا مَعِيَ فِي نَفُوسِكُمْ عَنْ نَفُوسِكُمْ الْحَقِيقِيَّةِ، لَا عَنْ نَفُوسٍ مَغْلُولَةٍ بِالْأَسَى وَالْأَلَمِ إِلَى الْمَاءِ وَالطِّينِ، لَا إِلَى قَسْوَةِ الْحَدِيدِ وَوَهْجِ النَّارِ، تَعَالَوْا نَعِشْ أَعْمَارَنَا كَمَلَايَكَةِ النُّورِ. تَعَالَوْا، وَلَا تَقُولُوا لَا نَسْتَطِيعُ، بَلْ أَنْتُمْ تَسْتَطِيعُونَ، فَقَطِّ حَاوِلُوا، ابْدَأُوا، جَرِّبُوا لِتَعْرِفُوا أَنَّ قِيَمَةَ الْحَيَاةِ أَعْلَى بِالْحُبِّ وَأَجْمَلُ.

إِسْكَالِيَّاتُ الْمَذْهَبِ الشَّيْعِيِّ الصَّفَوِيَّةِ

إِلَى عُقَلَاءِ الشَّيْعَةِ فِي الْعَالَمِ:

تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ، فَإِنَّمَا يَحْتَاجُ الْعَقْلُ الرَّاشِدُ الْفِطْنُ الْحَكِيمُ إِلَى وَفْقَةٍ تَأْمُلُ وَاسْتِبْصَارٍ. يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا} [الشورى، آية: 13]: **أَوَّلًا:** تَعَالَوْا نَتَّفِقْ عَلَى أَنَّنَا مُسْلِمُونَ مُوَحِّدُونَ بِاللَّهِ، دُسْتُورُنَا الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ.

ثَانِيًا: أَنْتُمْ تُحِبُّونَ الرَّسُولَ كَمَا نُحِبُّهُ، وَنُحِبُّ آلَ بَيْتِهِ وَعِترته مِنْ أَبْنَاءٍ وَأَحْفَادِ الْإِمَامِ عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَرَضِيَ عَنْهُ، وَالْإِمَامَيْنِ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَلِمَ إِذَا نَدَخُلُ فِي جَدَلِيَّاتٍ اجْتِهَادِيَّةٍ تَخْرُجُ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؟ يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر، آية: 7]. فَبِاللَّهِ عَلَيْكُمْ كَيْفَ نَسْمَحُ لِعُقُولِنَا أَنْ تُخَالَفَ التَّشْرِيعَ السَّمَاوِيَّ بِبَاطِلٍ لَا يَقُومُ عَلَى حُجَّةٍ وَلَا دَلِيلٍ، وَيَرْفُضُهُ الْقَلْبُ السَّلِيمُ وَالْعَقْلُ الصَّحِيحُ، حِينَ يَزْعُمُ أَحَدٌ مِنَ الشَّيْعَةِ: (أَنَّهُ خَانَ الْأَمِينَ)، وَيَقْصِدُ رَسُولَ اللَّهِ (جَبْرِيلَ) عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنَّ الرِّسَالَةَ النَّبَوِيَّةَ كَانَتْ لِلْإِمَامِ (عَلِيِّ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَكِنَّ (جَبْرِيلَ) عَلَيْهِ السَّلَامُ أَعْطَاهَا لِسَيِّدِنَا (مُحَمَّدٍ) عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بِاللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مَا زَلْتُمْ تُصَدِّقُونَ هَذِهِ الْأَقَاوِيلَ الْبَاطِلَةَ؟! وَهَلْ يُقَالُ إِنَّ خَالِقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْكَوْنِ وَمُقَدِّرَ الْأَقْدَارِ يُخْطِئُ فِيمَا يُرِيدُ، وَهُوَ الَّذِي لَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ؟! وَهَلْ تَكُونُ عُقُولُنَا أَصَحَّ مِمَّنْ خَلَقَهَا؟ فَهَلْ نَتَّفِقُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَهُ الْعِلْمُ وَالتَّقْدِيرُ وَالتَّدْبِيرُ الَّذِي لَا يُسَاوِيهِ وَلَا يُقَارِبُهُ عَقْلٌ أَوْ عِلْمٌ؟

ثَالِثًا: هَلْ نَتَّفِقُ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَبْدٌ مِنْ عِبِيدِ اللَّهِ، وَكَذَلِكَ عَلِيُّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، أَمْ أَنَّهُمْ آلُهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟! يَقُولُ سُبْحَانَهُ: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} [آل عمران، آية: 144]. إِذَا اعْتَرَفْنَا بِعُيُودِيَّتِهِمْ وَعُيُودِيَّتِنَا لِلَّهِ فَنَحْنُ مُتَّفِقُونَ وَلَا خِلَافَ بَيْنَنَا فِي هَذَا، وَإِذَا اخْتَلَفْنَا عَلَى أَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ لَيْسُوا عِبِيدًا لِلَّهِ، فَقَدْ الرُّشْدَ وَالْحَقَّ وَالْمَنْطِقَ السَّوِيَّ مَنْ يَعْتَقِدُ بغيرِ

ذَلِكَ، وَقَدْ أَشْرَكَ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً. وَهَذَا مَا يَرْفُضُهُ الْعَقْلُ السَّلِيمُ وَيُجَافِي الْحَقَّ وَالْمَنْطِقَ، إِذْ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُصَدَّقَ عَقْلٌ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ شُرَكَاءُ؛ وَلَا أَدَلُّ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ} [المؤمنون: 19]. فَكَيْفَ يُعَالِي الْبَعْضُ فِي عِبَادَةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ وَفَاطِمَةَ، وَالرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ: «وَأَيْمُ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا». وَهَذَا تَكْمُنُ عَدَالَةِ التَّشْرِيعِ السَّمَاوِيِّ، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَبْنَاءِ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْعِبَادَاتِ وَالْفَرَائِضِ وَالْحُدُودِ، وَإِلَّا كَانَ هُنَاكَ إِطْلَاقٌ لِآلِ النَّبِيِّ فِي ارْتِكَابِ الْمَعَاصِي وَاسْتِثْنَاؤُهُمْ دُونَ سَائِرِ النَّاسِ، وَهَذَا مَا لَمْ يَأْتِ بِهِ التَّشْرِيعُ السَّمَاوِيُّ عَلَى إِطْلَاقِهِ. فَكَيْفَ يَقْبَلُ عَاقِلٌ بِالْقَوْلِ إِنَّ مَنَزِلَةَ عَلِيٍّ أَوْ فَاطِمَةَ أَوْ الْحَسَنَ أَوْ الْحُسَيْنَ تَسَاوَى بِاللَّهِ أَوْ تَقْتَرِبُ مِنْ صِفَاتِهِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُخْتَلِ الْعَقْلُ فَاقْدًا لِلتَّمْيِيزِ كَالْبُهِمِ أَوْ الْمَجَانِينِ. ثُمَّ مَا شَأْنُ الْإِنْسَانِ بِالتَّدْخُلِ فِي شُؤْنِ الْخَالِقِ وَمُحَاوَلَةِ تَضْلِيلِ الْقَلْبِ وَالْعَقْلِ وَتَجْهِيلِهِمَا بِأُمُورِ الْخَلْقِ وَالتَّكْوِينِ وَالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، كَيْ يُعِيدَنَا إِلَى آرَاءِ الْجَهْمِيَّةِ وَالْأَشَاعِرَةِ وَالْمُعْتَرِلَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَصْحَابِ الْآرَاءِ الْبَاطِلَةِ الَّتِي مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ؟! وَهَلِ الْمَجُوسُ وَالصَّفَوِيُّونَ أَوْلَى بِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَّا نَحْنُ الْعَرَبُ الْأَفْحَاحُ الْمُسْلِمِينَ؟ فَمَا هَذِهِ الْمُرَايَدَاتُ الْوَاهِمَةُ؟ يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {الَّتِي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ} [الأحزاب، آية: 6].

رَابِعًا: لَقَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، وَفَسَّرَ لَنَا طَرِيقَةَ أَدَائِهَا، وَقَدْ صَلَّى بِهَا سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، فَكَيْفَ يَحَقُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَتَجَوَّزَ أَوْ يَعْدَلَ أَوْ يَتَدَعَى مَا لَمْ يَقُلْ بِهِ الرَّسُولُ أَوْ يَفْعَلَهُ ثُمَّ يَدَّعِي أَنَّهُ عَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، وَالرَّسُولُ يَقُولُ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ؟» فَلْيَنْظُرِ الْمُسْلِمُ الْعَاقِلُ إِلَى الصَّلَاةِ الَّتِي يُؤَدِّيهَا الشَّيْعَةُ، وَالَّتِي هِيَ مُخْتَلَفَةٌ تَمَامًا عَنِ الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ الَّتِي صَلَّى بِهَا الرَّسُولُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ، فَمَا هِيَ إِلَّا حَرَكَاتٌ رِيَاضِيَّةٌ كَمَا أَنَّ طَرِيقَةَ التَّسْلِيمِ لَيْسَتْ كَمَا فَعَلَ الرَّسُولُ، فَهُمْ يَضْرِبُونَ عَلَى أَفْخَادِهِمْ، وَهَذَا لَيْسَ مِنَ الدِّينِ وَإِنَّمَا هُوَ بَدْعَةٌ؛ فَالسَّلَامُ بَعْدَ الصَّلَاةِ أَنْ يُدِيرَ الْمُؤْمِنُ بَرَأْسَهُ يَمَنَةً وَيَسْرَةً وَيَقُولَ مَرَّتَيْنِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَكَيْفَ يَخْتَرِقُ الشَّيْعَةُ الصَّلَوَاتِ بِكَلَامٍ غَيْرِ مُثَبَّتٍ عَنِ الرَّسُولِ، وَيَلْعَنُونَ وَيَسُبُّونَ حَفْصَةَ وَعَائِشَةَ زَوْجَتَي الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَضْلًا عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، وَالرَّسُولُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ

يَقُولُ: «خُذُوا نِصْفَ دِينِكُمْ عَنْ هَذِهِ الْحُمَيْرَاءِ»، وَيَقْصِدُ عَائِشَةَ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهَا وَهِيَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَكَيْفَ يُعَرِّضُونَ بِعَرَضٍ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَيَتَّهَمُونَ أَشْرَفَ سَيِّدَاتِ الْأَرْضِ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بِإِفْكٍ مُفْتَرَى كَذَبَهُ اللَّهُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَمُخَالَفَتَهُ تُعْتَبَرُ كُفْرًا بِالْقُرْآنِ؟!

خَامِسًا: مَا هَذَا الْعَدَاءُ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ، وَالرَّسُولَ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالنَّسْلِيمِ يَقُولُ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مَدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»، وَأَعْتَقْدُ أَنَّ النِّقْمَةَ عَلَيْهِمْ أَتَتْ مِنْ انْتِصَارِ الْمُسْلِمِينَ الْعَرَبَ عَلَى الْفُرْسِ، فَأَسْرَوْهَا فِي أَنْفُسِهِمْ وَرَاحُوا يَعْمَلُونَ عَلَى خَلْخَلَةِ الْإِسْلَامِ حَقْدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ وَانْتِقَامًا لِمَلِكِهِمْ كَسَرَى. وَنَحْنُ نَضْعُ اللَّوْمَ أَكْثَرَ عَلَى الشَّيْعَةِ مِنَ الْعَرَبِ الَّذِينَ هُمْ مِنَّا وَفِينَا، فَكَيْفَ صَدَّقُوا أَقَاوِيلَ الْمَجُوسِ وَأَخَذُوا عَنْهُمْ الْبَاطِلَ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ، وَهُمْ يَشْتُمُونَ أَبَا بَكْرٍ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا أَبُو بَكْرٍ الَّذِي قَالَ فِيهِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ: [ثَانِي أَتَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا] [التوبة: 40]. وَهُوَ عَلَيْهِ رِضْوَانُ اللَّهِ، أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِرَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. فَهَلْ يَحْذِفُونَ هَذِهِ الْآيَةَ عِنْدَ قِرَاءَتِهِمْ لِلْقُرْآنِ؟ وَهُمْ يَشْتُمُونَ عُمَرَ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا عُمَرُ، الْفَارُوقُ الَّذِي أَيْدِ الْحَقِّ كَلَامُهُ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ، وَالَّذِي قَالَ فِيهِ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اللَّهُمَّ اعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَدِ الْعُمَرَيْنِ». وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ يُوَافِقُ الْقُرْآنَ رَأْيَ عُمَرَ، فَيَقُولُ الرَّسُولُ: «لَوْ نَزَلَ بَلَاءٌ مِنَ السَّمَاءِ مَا نَجَا مِنْهُ إِلَّا عُمَرُ». ثُمَّ يَشْتُمُونَ عُثْمَانَ ذَا النُّورَيْنِ صَهْرَ النَّبِيِّ وَزَوْجَ ابْنَتَيْهِ وَمُجَهِّزَ جَيْشِ الْعُسْرَةِ، وَالَّذِي وَهَبَ مَالَهُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ بُغْيَةً نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ. وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ أَقْوَالًا كَثِيرَةً فِي حَقِّ أَصْحَابِهِ وَزَوَّجَهُمُ لِلَّهِ وَوَرَعَهُمْ لَهُ. ثُمَّ تَأْتِي حُثَالَةٌ وَشَرَاذِمُ قَوْمٍ فَيَشْتُمُونَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الَّذِينَ تَحَقَّقَتْ عَلَى أَيْدِيهِمْ نُصْرَةُ دِينِ اللَّهِ، أَقُولُ: لِمَاذَا يُعْلَنُ هَؤُلَاءِ الضَّالُّونَ الْعَدَاءُ لَزَوْجَاتِ النَّبِيِّ وَأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ اللَّهُ؟ مَا هِيَ الْجَرِيرَةُ الَّتِي اقْتَرَفُوهَا فِي حَقِّهِمْ، وَمَا الذَّنْبُ الَّذِي أَتَوْهُ لِيَنَالُوا مِنْ أَعْرَاضِهِمْ؟ انْظُرُوا إِلَى هَذَا الْحَقْدِ الْمَذْهَبِيِّ الطَّائِفِيِّ مِنْذُ أَلْفِ وَأَرْبَعِمِائَةِ سَنَةٍ، وَهُوَ لَا يَزَالُ حَقْدًا يَتَوَارَثُونَهُ دُونَ سَبَبٍ، وَلَمْ يَكُونُوا شُهُودَ أَحْدَانِهِ، إِنَّمَا هُمْ يَتَّبِعُونَ مَنْ أَضَلُّوهُمْ مِنْ شَيَاطِينِهِمْ وَمِنْ الْمَجُوسِ عِبَادِ النَّارِ.

سادساً: يَزْعُمُونَ أَنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِينَا نَاقِصٌ، وَأَنَّ هُنَاكَ آيَاتٍ مَنسُوخَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ، وَأَنَّ لَدَيْهِمْ مُصْحَفًا آخَرَ يُثَبَّتُ فِيهِ الْمَنسُوخُ. وَاللَّهُ يَقُولُ: {مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّمَّهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة، آية: 106]. فَانْظُرْ إِلَيْهِمْ وَهُمْ يَتَدَخَّلُونَ فِي قَدَرِيَّةِ اللَّهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ عَنْ مَوَاضِعِهِ.

سابعاً: قَالُوا بِالْمُنْعَةِ الَّتِي أَحَازَهَا الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي حَرْبٍ مِنْ حُرُوبِ الْمُسْلِمِينَ لِحِكْمَةِ إِلَهِيَّةٍ، حَيْثُ تَطُولُ الْحُرُوبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يُجْزَها الرَّسُولُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي السَّلَامِ، وَهُمْ لَا يَزَالُونَ يُشَرِّعُونَ وَيُجِيزُونَ الْمُنْعَةَ بِالنِّسَاءِ، مِمَّا يُؤْثِرُ عَلَى النُّطْفِ وَالْأَنْسَابِ، إِذَا مَا تَرَكَ الْأَمْرُ عَلَى إِطْلَاقِهِ، كَمَا يُؤْثِرُ أَيْضًا عَلَى الْمَوَارِيثِ، وَالْحَاقِ النَّسَبِ إِذَا لَمْ يَكْتَمِلْ عَقْدُ الزَّوْاجِ وَعِدَّةُ الطَّلَاقِ.

ثامناً: يَقُولُونَ بِالْأَيْمَةِ الْمُعْصُومِينَ، وَبِوَلَايَةِ الْفَقِيهِ الَّذِي يَعْتَبِرُونَهُ مَرْجِعَهُمْ، لَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، وَيَأْتِمِرُونَ بِهِ وَهُوَ، وَكَأَنَّهُ هُوَ وَاسِطَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ، بِمَا يَخْرُجُ عَنْ حَقِيقَةِ التَّشْرِيعِ الْإِسْلَامِيِّ. وَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ لِهَذَا الْوَلِيَّ مَا لِلرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَيَدْعُونَ الْعِصْمَةَ لَهُ، وَيَكَادُونَ يَدْعُونَ الثُّبُوتَ لَهُ وَالرَّسَالَهَ، وَهُوَ مَا لَمْ يَأْتِ بِهِ التَّشْرِيعُ السَّمَاوِيُّ.

تاسعاً: فِي الزَّكَاةِ الَّتِي شَرَعَ اللَّهُ، وَهِيَ اثْنَانِ وَنِصْفٌ فِي الْمِائَةِ، هُمْ يُخَالِفُونَ شَرْطَ الزَّكَاةِ، وَيَجْعَلُونَ الزَّكَاةَ خُمْسًا فِي الْأَمْوَالِ، وَهَذَا مَا يُنَافِي شَرْطَ الزَّكَاةِ وَمِقْدَارَهَا فِي الْقُرْآنِ.

عاشراً: الْقَوْلُ بِاسْتِبَاحَةِ دِمَاءٍ وَأَعْرَاضٍ وَأَمْوَالِ أَهْلِ السُّنَّةِ، لِأَنَّهُمْ لَا يُوَافِقُونَ شَيَاطِينَهُمُ الَّذِينَ أَضَلُّوهُمْ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ بِقَدْرِ قَتْلِهِمْ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ يُجْزَوْنَ بِجَنَاتٍ إِضَافِيَّةٍ - لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ! كَيْفَ يُجْزَوْنَ هَذَا عَلَى أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ؟! وَدِينُنَا الْإِسْلَامِيُّ الْحَنِيفُ لَا يُجِيزُ قَتْلَ إِنْسَانٍ مِنْ أَصْحَابِ الْأَدْيَانِ وَالْمُعْتَقَدَاتِ الْآخَرَى إِلَّا بِحَقٍّ؛ فَالنَّفْسُ الْإِنْسَانِيَّةُ مَصُونَةٌ وَمُحَرَّمٌ قَتْلُهَا، فَضْلاً عَنْ حُرْمَةِ اسْتِبَاحَةِ دَمِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ.

حادٍ عشر: يَقُولُونَ بَعْدَ جَوَازِ الصَّلَاةِ خَلْفَ إِمَامٍ سُنِّيٍّ، لِعَدَمِ اسْتِعْمَالِهِ لِلْحَجَرِ الَّذِي يَضَعُونَهُ أَمَامَهُمْ وَيَدْعُونَ بِأَنَّهُ مِنْ دَمِ الْحُسَيْنِ. وَحَتَّى لَوْ كَانَ مِنْ دَمِ الْحُسَيْنِ، فَمَا النَّفْعُ فِيهِ؟!

ثَانِي عَشَرَ: الْحَجُّ إِلَى كَرْبَلَاءَ وَالْإِعْتِقَادُ بِالْعَبَاتِ وَالْحُسَيْنِيَّاتِ، وَالضَرْبُ بِالسَّلَاسِلِ وَالسَّكَاكِينِ حَتَّى تَسِيلَ دِمَاؤُهُمْ، وَكَأَنَّهُمْ يُعْلِنُونَ لِلنَّاسِ بِأَنَّهُمْ هُمْ مَنْ قَتَلَ عَلِيًّا وَالْحُسَيْنَ وَآلَ الْبَيْتِ، فَضْلًا عَنِ التَّمَسُّحِ وَالتَّبَرُّكِ بِقُبُورِ الْحُسَيْنِ وَالْأَوْلِيَاءِ، وَالِدُعَاءِ إِلَيْهِمْ وَبِهِمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

ثَالِثُ عَشَرَ: لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ مِنْ عَاشُورَاءَ يُطْفِئُونَ الْأَنْوَارَ، وَيَسْتَحِلُّ كُلُّ مَنْهُمْ مُجَامَعَةً أَيْ أَنْتَى يَجِدُونَهَا، وَإِذَا حَمَلَتْ سَفَاحًا، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، يَنْسُبُونَ الْمَوْلُودَ لِآلِ الْبَيْتِ وَيُسَمُّوهُ سَيِّدًا، وَهُوَ ابْنُ زَنَا، وَيَلْبَسُ الْعِمَامَةَ السَّوْدَاءَ عَلَى أَنَّهُ سَيِّدُ آلِ الْبَيْتِ. لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

رَابِعُ عَشَرَ: يَسْتَعْمِلُونَ التَّيْمَةَ فَيُبْطِنُونَ مَا لَا يُظْهِرُونَ، وَيُظْهِرُونَ مَا لَا يُبْطِنُونَ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ بِسُوءِ الْمَذْهَبِ وَخَطِيئِهِ وَحَيْدَتِهِ عَنِ الدِّينِ الصَّحِيحِ.

إِنَّ هَذَا لَغَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ مِمَّا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْبَاطِلُ، وَلَكِنَّ كِبَرَهُمْ وَعِنَادَهُمْ وَاتِّبَاعَ شَيَاطِينِهِمْ يَجْعَلُهُمْ يُصِرُّونَ عَلَى الْبَاطِلِ، وَيَضَعُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ، وَيَسْتَكْبِرُونَ اسْتِكْبَارًا، وَهَذَا هُوَ الْجَهْلُ بَعَيْنَهُ الَّذِي يُخْرِجُهُمْ مِنَ الْمِلَّةِ، وَهُنَاكَ أَيْضًا فَرَقٌ أَكْثَرَ كُفْرًا مِثْلَ النَّصِيرِيَّةِ، وَلَا أَذْرِي كَيْفَ أَجَازَ الدُّكْتُورُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَدْوِي لِنَفْسِهِ، وَهُوَ مِنْ أَعْلَامِ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ، إِذْ رَاجَهُمْ ضَمَنَ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ! وَأَنَا هُنَا لَا أَعَمُّ، بَلْ أَخْصُ الْبَعْضَ مِنَ الشَّيْعَةِ؛ فَرُبَّمَا يَكُونُ هُنَاكَ مَنْ قَالَ بِالشَّيْعِ وَأَنْتَسَبَ إِلَيْهِ قَوْلًا لَا عَمَلًا بِهِ. وَهَذَا نَحْسَبُهُ مِنَ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

فَمَا رَأَيْ عَقْلَاءَ الشَّيْعَةِ فِيمَا يُخَالِفُ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ النَّبَوِيَّةَ فِي جُزْئِيَّاتِهِ وَكُلِّيَّاتِهِ، وَالَّذِي هُوَ خُرُوجٌ عَنِ الْمِلَّةِ؟ وَأَقُولُ لِلنَّابِغِينَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ الشَّيْعِيِّ وَالْأَدْبَاءِ وَالْمُفَكِّرِينَ: تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ؛ أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ، وَأَنْ نُمَثِّلَ لِأَمْرِهِ، وَنَجْتَنِبَ نَوَاهِيَهُ، حَتَّى لَا نَهْلِكَ، وَنَحْضُرَ عَلَى عِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ؛ فَيَكُونُ مَنْ يُخَالِفُ شَرْعَ اللَّهِ كَالَّذِي أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

مَاذَا سَيَفِيدُ النَّدَمَ بَعْدَ الْعَدَمِ؟

الرُّؤْيَةُ وَالتَّشْكِيلُ

فِي نَظَرِيَّةِ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ الْكَبِيرِ

اعْتَمَدَ الْمُخَطَّطُ الْأَمْرِيكِيُّ مُنْذُ (بُوش) الْإِثْنِ إِلَى (أُوبَامَا) تَنْفِيذَ مَشْرُوعِ «الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ الْكَبِيرِ»، بِتَسْوِيقِ مُفْرَدَاتٍ جَذَابَةٍ وَمُغْرِبَةٍ لِلْبَسْطَاءِ مِثْلَ (الْإِرْهَابِ) (الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ) (الرَّبِيعِ الْعَرَبِيِّ) (الْفَوْضَى الْخَلَاقَةِ). وَأَمْرِيكَا تَمْضِي عَلَى اسْتِحْيَاءِ الْآنَ لِخَلْخَلَةِ أَنْظِمَةِ دَوْلِ الْخَلِيجِ بِخَطِّطٍ وَأَسَالِيبٍ فِي ظَاهِرِهَا الصَّدَاقَةُ وَالْوُدُّ وَالْحِمَايَةُ، وَفِي بَاطِنِهَا تَذْوِيبُ هَذِهِ الْأَنْظِمَةِ بِمَا لَا يَخْدِشُ الْعَلَاقَاتِ، وَذَرُّ التُّرَابِ فِي الْعُيُونِ بِانْتِظَارِ أَنْ يَتِمَّ تَنْفِيذُ نَظَرِيَّةِ «الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ الْكَبِيرِ»، وَأَمْرِيكَا لَا تَعْتَرِفُ بِصَدَاقَاتِ لَهَا، بِقَدْرِ الْبَحْثِ عَنْ مَصَالِحِهَا الْخَاصَّةِ فِي تَحْقِيقِ إِمْبِرَاطُورِيَّتِهَا وَسِيَادَتِهَا عَلَى كُلِّ دَوْلِ الْعَالَمِ وَتَحْسِينِ اقْتِصَادِهَا، لِتَتَفَرَّغَ بَعْدَئِذٍ لِتَذْوِيبِ الْأَنْظِمَةِ الْأُخْرَى بِدَوْلِ شَرْقِ آسِيَا وَمِنْ ضَمَنِهَا الصِّينَ وَكُورِيَا الشَّمَالِيَّةَ، وَهِيَ مَنْ أَوْجَدَ الْإِرْهَابَ فِي الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ مَرَّةً عَنْ طَرِيقِ الْإِرْهَابِ (الْإِيرَانِيِّ)، وَمَرَّةً أُخْرَى عَنْ طَرِيقِ اسْتِحْدَاثِ (دَاعِشَ وَالنُّصْرَةَ) بَعْدَ (الْقَاعِدَةِ)، وَمَا خَفِيَ كَانَ أَعْظَمَ، وَالْقَادِمُ أَسْوَأُ مِمَّا يَتَوَقَّعُ كُلُّ السَّاسَةِ وَالْمُحَلِّلِينَ وَالْمُتَخَرِّصِينَ وَكُلُّ الْفُطُنِينَ وَالْأَذْكِيَاءِ وَالِدُّعَاءِ فِي الْعَالَمِ. وَمَا إِيرَانُ وَفُرُوعُهَا مِنْ حِزْبِ اللَّهِ وَالْحَوْثِيِّ وَصَالِحِ الْأَمْنِ تِلْكَ الْمُنْظُومَةُ الْفَاعِلَةُ لِاسْتِكْمَالِ الْأَهْدَافِ الْمُحَقَّقَةِ لِتَطْبِيقِ النِّظَرِيَّةِ (الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ الْكَبِيرِ)، الْمُسْكَلَةُ أَنَّهَا الْقُطْبُ الْأَوْحَدُ الْمُهَيِّمُ بِالْقُوَّةِ الْعُظْمَى عَلَى مُقَدَّرَاتِ وَمُكْتَسَبَاتِ وَثُرَوَاتِ الشُّعُوبِ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا؛ فَالْقُوَّةُ تُجِيزُ مَا لَا يَجُوزُ وَتَسُنُّ الْقَوَانِينَ عَلَى الضُّعَفَاءِ، وَلِلشُّعُوبِ وَالْقِيَادَاتِ كُلِّ الْعُذْرِ فِي الْإِنْصِيَاعِ لِتِلْكَ الْهَيْمَنَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ؛ إِذْ لَيْسَ لَهَا حَوْلٌ وَلَا قُوَّةٌ إِلَّا بِمُحَاوَلَةِ الْبَقَاءِ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ بِأَقْلِ الْخَسَائِرِ وَالتَّضَحِّيَّاتِ. وَقَدْ أَضَحَّتْ أَمْرِيكَا الْقُوَّةَ الْعُظْمَى بَعْدَ قُوَّةِ اللَّهِ، عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ، وَهِيَ الَّتِي حَجَمَتْ الْقُوَّةَ الَّتِي كَانَتْ تَقِفُ فِي وَجْهِهَا، أَعْنِي «الْإِتِّحَادَ السُّوْفِيَّيَّ»؛ فَمَاذَا يَتَبَقَّى لِدَوْلِ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ غَيْرُ الْإِدْعَانِ وَالِاسْتِسْلَامِ لِمَا تَفَرِّضُهُ أَمْرِيكَا؟ أَمَّا الْآنَ فَقَدْ أَصْبَحَ أَمَامَ دَوْلِ الْمِنْطَقَةِ اتِّجَاهٌ وَاحِدٌ هُوَ الْإِتِّجَاهُ الْأَمْرِيكِيُّ، وَلَا يَوْجَدُ خَطٌّ رَجْعَةً إِلَى الْخَلْفِ وَلَا إِلَى الْيَمِينِ أَوْ الشَّمَالِ. وَقَدْ أَوْضَحْتُ فِي دِيَوَانِي الشَّعْرِيِّ (الْجِرَاحُ تَتَجَّهُ شَرْقًا) الصَّادِرِ فِي

بَيَّرُوتَ فِي 2005م تِلْكَ الْأَهْدَافَ الْأَمْرِيكِيَّةَ وَنَظَرْتُ لِلْحُلُولِ، وَلَكِنْ مَنْ يَقْرَأُ وَمَنْ يَتَّعِظُ وَمَنْ يُقَدِّرُ الْعَقْلَ الْعَرَبِيَّ الْمُخْلِصَ وَالْفِطْنَ فِي عَالَمِنَا الْعَرَبِيِّ الَّذِي طَالَمَا انشَغَلَ فِي اكْتِنَازِ الْأَمْوَالِ وَبِالْمَلَذَاتِ وَحُبِّ الذَّاتِ وَتَحْجِيمِ وَتَقْزِيمِ الْعُقُولِ النَّيِّرَةِ الَّتِي لَا مَكَانَ لَهَا فِي إِبْدَاءِ الرَّأْيِ وَتَضْحِيحِ الرُّؤْيِ وَالْمَفَاهِيمِ، وَالْمُشَارَكَةِ بِالنَّزْرِ الْيَسِيرِ مِنَ الْقَرَارَاتِ؟! فَدُونَ ذَلِكَ تَكْمِيمُ الْأَفْوَاهِ وَلَجْمُ الْحِكْمَةِ وَالْحُكَمَاءِ وَاسْتِصْغَارُهُمْ؛ فَالْسَّاسَةُ الْمُخْتَلِفُونَ فِي الرُّؤْيِ وَالْمَنَاهِجِ يَعْتَبِرُونَ أَنَّهُمْ وَحْدَهُمُ الْمُحَقِّقُونَ لِتَطَلُّعَاتِ الشُّعُوبِ، كَمَا هِيَ حَالُ الْإِمْبَرَاطُورِ (الْقَذَّافِي) وَالْإِمْبَرَاطُورِ (الْأَسَدِ) وَ(عَلِي طَالِح) وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ اسْتَبَدُّوا بِالشُّعُوبِ الْمَغْلُوبَةِ عَلَى أَمْرَهَا، وَمَزَقُوا عُرَى التَّوَاصُلِ بَيْنَ أَمْشَاجِ الْعُرُوبَةِ وَالْإِسْلَامِ، حَتَّى أَصْبَحْنَا فِي مَهَبِّ الرِّيحِ نَسْتَجِدِّي الْعَوْتَ مِنْ أَعْدَائِنَا، وَالنَّجْدَةَ مِنْ قَاتِلِينَا! وَلَمْ يَعُدْ هَمُّنَا سِوَى أَنْ نَعِيشَ مِثْلَ السَّوَائِمِ أَوْ الْبَهَائِمِ وَنَرْضَى بِالْمَذَلَّةِ وَالْهَوَانِ.

القاعدة والدواعش

أمريكا وأوربًا خائفَتان لَيْلَ نَهَارٍ مِنَ الْقَاعِدَةِ وَمِنَ الدَّوَاعِشِ وَمِنَ الْحُوْثِيِّينَ وَمِنَ الْإِسْلَامِيِّينَ، وَمِنَ مُنْظَمَاتِ إِرْهَابِيَّةٍ سَعَتَا سَابِقًا لِقِيَامِهَا. تَصَوَّرُوا وَتَأَمَّلُوا نُكْتَةَ الْقَرْنِ الْعَشْرِينَ: أمريكا وأوربًا وَأَذْنَابُهُمَا الَّذِينَ اسْتَعْمَرُوا مُعْظَمَ بِلَادِ الْعَالَمِ وَالَّذِينَ يَمْلِكُونَ السَّلَاحَ الْمُدْمَرُ الَّذِي أَبَادَ وَدَمَّرَ دُوْلًا وَأَمَمًا مُنْذُ هِيرُوشِيْمَا وَنَاجَزَاكِ، وَالَّذِينَ أَجْهَزُوا عَلَى الْجَيْشِ الْعِرَاقِيِّ فِي أَقْلٍ مِنْ أُسْبُوعٍ، وَالَّذِينَ حَطَّمُوا أُسْطُورَةَ الْإِتِّحَادِ السُّوفِيَّيَّ وَرَكَّبُوا عَلَى أَعْنَاقِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ، يَزْعُمُونَ الْخَوْفَ مِنَ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ وَيَسْتَجِدُّونَ الشَّفَقَةَ عَلَيْهِمْ وَالْحِمَايَةَ لَهُمْ مِنْ أَقْوَامٍ عُزِلَ بَسْطَاءٌ، أَقْوَامٌ لَيْسَتْ لَدَيْهِمْ تِلْكَ التَّرْسَانَةُ الْكَبِيرَةُ مِنَ السَّلَاحِ النَّوَوِيِّ وَالْكِيْمَاوِيِّ وَأُسْلِحَةِ الدَّمَارِ الشَّامِلِ.

فَانْظُرْ إِلَيْهِمْ الْيَوْمَ يَدْعُونَ الْخَوْفَ مِنَّا؛ إِذْ نَحْنُ إِرْهَابِيُّونَ فِي نَظَرِهِمْ، وَنُهَدِّدُ وُجُودَهُمْ! فَبِاللَّهِ هَلْ تُصَدِّقُونَ هَذِهِ الْأَقَاوِيلَ وَالْمَزَاعِمَ وَالِدَّعَايَاتِ وَالْأَكَاذِيبَ مِمَّنْ هُمْ شَرُّ الْبَلِيَّةِ، وَكَمَا قِيلَ «شَرُّ الْبَلِيَّةِ مَا يُضْحِكُ». أمريكا وأوربًا وَأَذْيَالُهُمَا الَّذِينَ يَمْلِكُونَ قُوَّةَ الْأَرْضِ جَمِيعَهَا وَلَدَيْهِمْ أُسْلِحَةٌ تَعْمَلُ بِالْهَمْسِ وَبِاللَّمْسِ يَخْفُونَ، وَمِمَّنْ؟ مِنْ شُعُوبٍ مَغْلُوبَةٍ عَلَى أَمْرِهَا. إِنَّهُمْ يَتَحَكَّمُونَ بِالْمَاءِ وَالْغِذَاءِ وَالْفَضَاءِ وَالْأَمْرَاضِ وَالِدَّوَاءِ، وَيَدْعُونَ بِأَنَّهُمْ مَسَاكِينُ يَسْتَحِقُّونَ الشَّفَقَةَ، وَلَا بُدَّ لَنَا مِنْ حِمَايَتِهِمْ مِنَّا عَبْرَ السَّمَاحِ بِتَدْمِيرِنَا وَقَتْلِنَا وَسَحْقِنَا، بَلْ وَإِبَادَتِنَا عَنْ بَكْرَةِ أَيْبِنَا، حَتَّى يَأْمَنُوا عَلَى أَمْنِهِمُ الْقَوْمِيَّ! إِنَّهُمْ يَسْتَرْخِصُونَ دِمَاءَنَا بِذَرَائِعَ وَحِيلٍ وَخَطِطٍ مَلْعُونَةٍ لِيَعِيشُوا عَلَى أَنْقَاضِنَا. تَأَمَّلُوا أَمْرِيْكََا وَأَوْرُبَّا اللَّتَيْنِ تَمْلِكَانِ أَكْبَرَ تَقْنِيَةٍ وَأَكْبَرَ حَوَاسِبِ الْمَعْلُومَاتِ، وَاللَّتَيْنِ تُرَاقِبَانِ هَمَسَاتِنَا وَحَرَكَاتِنَا عَبْرَ وَسَائِلِ التَّقْنِيَّاتِ الْمُعْجِزَةِ الَّتِي تَمَكَّنَهُمْ مِنْ تَصْوِيرِنَا وَنَحْنُ نُجَامِعُ زُوجَاتِنَا! إِنَّهُمْ يَدْعُونَ الْخَوْفَ مِنَّا، فَيَا لَهَا مِنْ مَهَازِلٍ يُصَوِّرُونَهَا لَنَا عَلَى أَسَاسِ كَوْنِهَا حَقَائِقُ!

لَقَدْ دَرَجَ الْغَرَبِيُّونَ عَلَى الرِّبْفِ وَالْخِدَاعِ، وَنَحْنُ مَا زَلْنَا نَصَدِّقُ أَكَاذِبَهُمْ وَأَبَاطِيلَهُمْ، وَنَعْتَرِفُ رَغْمًا عَنَّا بِأَنَّنَا إِرْهَابِيُّونَ وَمُجْرِمُونَ فِي حَقِّهِمْ، وَأَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْقِيَمِ وَدَّعَاةُ السَّلَمِ، فَكَيْفَ وَهُمْ الَّذِينَ يُصَدِّرُونَ لَنَا كُلَّ أَنْوَاعٍ وَأَشْكَالِ الشُّرُورِ لِتَدْمِيرِنَا وَتَدْمِيرِ الْإِنْسَانِيَّةِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ؟! إِنَّهُمْ لَا يَزْعُمُونَ ذِمَّةً فِي اللَّهِ، تَبًّا لَهُمْ، سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ، وَسَحْقًا لَهُمْ

عَلَى مَا يَجْنُونَ وَيَزْتَكِبُونَ مِنْ جَرَائِمٍ فِي حَقِّ بَنِي الْإِنْسَانِ، فَأَيْنَ يَذْهَبُ النَّاسُ مِنْ مَكْرِهِمْ
وَحِدَايِهِمْ وَزَيْفِهِمْ وَأَبَاطِيلِهِمْ وَجَبَرُوتِهِمْ إِلَّا إِلَى اللَّهِ؟ فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ أَيُّهَا الرِّبَانِيُّونَ، وَلَا تَمُوتُوا
جُبَنَاءَ أَذْلَاءَ يَسْكُنُونَ جُحُورَ الْعَارِ وَالْمَهَانَةِ وَالْمَسْكَنَةِ. مُوتُوا وَأَنْتُمْ تُدَافِعُونَ عَنْ دِينِكُمْ
وَأَوْطَانِكُمْ وَأَعْرَاضِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، فَتَكُونُوا شُهَدَاءَ لِلْحَقِّ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللَّهُ لَكُمْ وَعَاهَدْتُمْ
عَلَيْهِ، وَلَا فَمُوتُوا فِي كَهُوفِ الْخَوْفِ وَالذُّلِّ وَالْهَوَانِ، مَا دُمْتُمْ مَيِّتِينَ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ،
وَالْأَفْضَلُ إِلَّا نَمُوتَ مَيِّتَةً جَاهِلِيَّةً تَكْسِبُنَا غَضَبَ اللَّهِ. وَكَمَا قَالَ الْمُتَّبِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدٌّ فَمِنَ الْعَارِ أَنْ تَمُوتَ جَبَانًا

بُرْكَانُ الْأُسْرَةِ

أَكَادُ أَقْنَعُ بَضْرُورَةَ التَّعَدُّدِ فِي الزَّوْاجِ؛ نَظَرًا إِلَى أَعْدَادِ النِّسَاءِ الَّتِي تَفُوقُ أَعْدَادَ الرِّجَالِ،
وَلِنِسْبَةِ الطَّلَاقِ وَالْعُنُوسَةِ، فَالتَّعَدُّدُ يَحْمِي الْمُجْتَمَعَاتِ مِنْ مَخَاطِرِ الْفُسَادِ وَالرِّذِيلَةِ الَّتِي
تَتَهَدَّدُ الْوَاقِعَ الْعَرَبِيُّ شَرْطَ تَوَافُرِ النِّوَايَا الْمُخْلِصَةِ بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ عَلَى أَسَاسِ التَّحْصِينِ
وَبِنَاءِ أَسْرِ كَرِيمَةٍ، وَالْقُدْرَةِ عَلَى الْكِفَايَةِ وَالْكَفَاءَةِ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ، وَتَقْوَى اللَّهِ، لَا
الزَّوْاجِ لِإِشْبَاعِ رَغْبَةٍ أَوْ نَزْوَةٍ مُوقَّتَةٍ، أَوْ إِذْلَالِ الْمَرْأَةِ وَامْتِهَانِهَا أَوْ الْعَيْشِ عَلَى دَخْلِهَا الْمَالِيِّ
إِلَّا بِمُوَافَقَةِ الْمَرْأَةِ عَلَى الْمُسَاهَمَةِ مَعَ الرَّجُلِ فِي الْمُسَاعَدَةِ وَالْعَوْنِ بِدُونِ إِكْرَاهٍ. إِنَّ الْمَرْحَلَةَ
تُنْذِرُ بِبُرْكَانٍ يَكَادُ يَنْفَجِرُ لِيَهْدِمَ أَهْمُ كِيَانٍ عَرَبِيٍّ وَهُوَ الْأُسْرَةُ. عَلَيْنَا أَنْ نَهْتَمَّ بِهَذَا الْجَانِبِ
الْإِنْسَانِيِّ وَالْأَخْلَاقِيِّ شَرِيطَةً تَوَافُرِ الْعَدْلِ وَالْقُدْرَةِ وَالْكَفَاءَةِ، وَلَنْ يَضِيرَ الْمَرْأَةَ إِذَا تَوَافَرَتْ
لَهَا وَسَائِلُ الْعَيْشِ الْكَرِيمِ أَنْ تَمْنَحَ أُخْتَهَا الْمَرْأَةَ فُرْصَةَ الْإِسْتِمْتَاعِ بِحَيَاتِهَا مِثْلَهَا. وَهُوَ أَمْرٌ
مُلِحٌّ يَجْمَلُ بِنَا السَّعْيِ لَهُ وَتَشْجِيعُهُ، حَتَّى يَسُودَ الْأَمْنُ وَالطَّمَانِينَةُ وَقِيَامُ أَسْرِ تَشَارِكٍ فِي بِنَاءِ
حَضَارَةِ الْأَوْطَانِ، وَدَرَأًا لِلْمَفَاسِدِ الَّتِي تُوْشِكُ أَنْ تُدْمِرَ الْمُجْتَمَعَاتِ الْعَرَبِيَّةَ وَالْإِسْلَامِيَّةَ.

هُوَ الْغُرُورُ

هُوَ يَتَحَدَّى بِأَنْ يَصِلَ إِلَى مُسْتَوَى فِكْرِهِ وَجِدَّةِ إِبْدَاعِهِ وَتَمَيُّزِهِ، وَيَظُنُّ أَنَّهُ اخْتَلَبَ ضُرُوعَ
أَبْكَارِ الْمَعَانِي، يَرْتَشِفُ لَبَنَهَا وَيَقْدِّمُهُ لِرُؤَادِ قَلَمِهِ، وَهُوَ عَلَى ثِقَةٍ بِأَنَّهُ تَجَاوَزَ الْقَمَرَ وَأَضَاءَ،
وَنَسِيَ أَنَّ آفَ النُّجُومِ وَالْكَوَاكِبِ تَفْتَرِشُ الْأُفُقَ وَتَتَصَدَّرُ أَغْنَانِ السَّمَاءِ، وَفَوْقَهَا الشَّمْسُ
وَبَنَاتُهَا التَّسْعُ، وَلَوْلَاهَا لَتَغَيَّرَ نِظَامُ الْكُونِ الْمُتَنَاسِرِ بِخِلَافَتِهِ عَلَى أَدِيمِ الْمَجَرَّاتِ - هُوَ
يَظُنُّ وَ(إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) - صَحِيحٌ أَنَّهُ امْتَلَكَ رِفَاتِ الْمَعَانِي، وَلَكِنَّهَا فَاقِدَةٌ لِأَرْوَاحِهَا
مُضَرَّجَةٌ بِدُمَائِهَا، حِينَ أَشْبَعَهَا قَتْلًا مُبَدَّعُو الزَّمَانِ فِي سَائِرِ الْحَقَبِ. إِنَّ الْمَوَاهِبَ الْحَقِيقِيَّةَ
كَالْغَيْثِ الْعَمِيمِ الَّذِي تَتَعَوَّدُهُ الْعُيُونُ عَبْرَ الْأَزْمِنَةِ، لَا يَنْضُبُ قَطْرُهُ، وَلَا تَنْفَشُ غُيُومُهُ، وَلَا
يَجْدُبُ خَصِيبُ أَرْضِهِ، وَلَا تَجِفُّ حُقُولُهُ وَرِيَاضُهُ، فَهِيَ يَانِعَةٌ دَائِمًا بِالزَّهْرِ وَالشَّجَرِ الَّذِي
يُثْمِرُ بِطَيِّبَاتِ الْجَنَى. هُوَ يَظُنُّ أَنَّ السَّمَاءَ تُمَطِّرُ ذَهَبًا، لَيْتَهُ يَتَفَكَّرُ أَكْثَرَ فِي كَيْنُونَةِ الْمَوَاهِبِ
وَصَيُورَتِهَا وَصَفْلِهَا بِالتَّجَارِبِ الْحَيَاتِيَّةِ وَأَشْكَالِ الْفَرَحِ وَالتَّرَحُّلِ الَّتِي تَذُوقُهَا عَبْرَ الْبَسَمَاتِ
وَالدُّمُوعِ وَالْأَنَاتِ وَالْأَهَاتِ وَالْآلَامِ الَّتِي جَلَّتْ مَوَاكِبُ الْقُدْرَةِ وَالتَّمَيُّزِ، لَيْتَهُ يَنْبِذُ الْغُرُورَ،
حَتَّى لَا يَقُولَ أَنَا، إِلَّا بَعْدَ رُكُوبِ الْخُيُولِ الْعِرَابِ، وَدُخُولِ الْخُرُوبِ وَهُوَ مُدَجِّجٌ بِسِلَاحِ
التَّجَارِبِ الصَّادِقَةِ.

وَقَبْلَ أَنْ تَتَّضِحَ شَخْصِيَّتُهُ وَمَوْهَبَتُهُ سَيَظُلُّ عَلَامَةً اسْتِفْهَامٍ مَنْثُورَةً هُنَا وَهُنَاكَ. إِنَّهُ بَلَا
شَكٍّ مَوْهُوبٌ، وَسَيَصِفُّ لَهُ الزَّمَنُ يَوْمًا مَا إِذَا تَجَاوَزَ مَوْقِعَهُ إِلَى الْمَوَاقِعِ الْعَلِيَّةِ وَالْمَكَانَةِ
السَّيِّيَّةِ، وَعِنْدَهَا لَنْ يَكُونَ قَدْرُهُ مُجَرَّدَ ظَنٍّ مَزْعُومٍ، وَإِنَّمَا يَتَجَسَّدُ وَاقِعًا تَحِيطُ بِهِ الْأَضْوَاءُ
مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَلْيَتَنَظَّرْ مَوَاسِمَ الرَّبِيعِ، لَعَلَّهُ يُصْبِحُ ذَا شَأْنٍ عَظِيمٍ، فَلْيَكُنْ عَالِيًا كَمَا يَجِبُ،
لِيُكْمِلَ عِدَادَ كَوَكِبِ الْأَرْضِ، وَلَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ إِلَّا بِإِرَادَةِ اللَّهِ.

عَزَلَةُ الْعَاقِلِ

إِحْدَى الْقَنَوَاتِ التَّلَفِزِيَّةِ تَطْلُبُ مِنِّي مُنْذُ شُهُورٍ مَوْعِدًا لِلِقَاءِ مُبَاشِرٍ، وَأَنَا أَعْتَذِرُ؛ فَأَنَا رَجُلٌ أَوْ مِنْ بَقِيَّةِ الْوَقْتِ وَبَقِيَّةِ الْفِكْرَةِ الَّتِي تُضِيفُ لِلْمَتَلَقِّي إِضَافَةً نَافِعَةً، أَمَّا أَنْ أَظْهَرَ عَلَى الشَّاشَةِ حُبًّا فِي الظُّهُورِ فَهَذَا مَا لَا أَحِبُّهُ. وَأَخِيرًا وَبَعْدَ الْحَاحِ مِنْ مُدِيرِي الْقَنَاةِ طَلَبْتُ مِنْهُمْ أَنْ يَعِدُوا الْمَحَاوِرَ الَّتِي سَتُنَاقِشُهَا، وَأَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مَوْضُوعٌ وَقَضِيَّةٌ وَجَدَّةٌ فِي الطَّرْحِ، حَتَّى لَا يَضِيعَ وَقْتُ الْجُمْهُورِ فِيمَا لَا نَفْعَ فِيهِ، وَأَنَا قَدْ عَزَفْتُ مِنْ سَنَوَاتٍ عَنْ قِرَاءَةِ الصُّحُفِ السُّعُودِيَّةِ، وَتَوَقَّفْتُ عَنِ النَّشْرِ إِلَّا فِي «الْفَيْس»، حِينَ تَوَفَّرَتْ لَدَيَّ الْقَنَاةُ بِأَنَّ لُغَةَ التَّقْدِيرِ أَصْبَحَتْ لُغَةً لِلْمُجَامَلَةِ، بَعِيدًا عَنِ حَقِيقَةِ الْمَعْرِفَةِ الَّتِي تُضِيفُ جَدِيدًا عَلَى مَا فِي الْكُتُبِ.

أُرِيدُ شَيْئًا جَدِيدًا مُبْتَكَّرًا، وَلَا أُرِيدُ أَنْ أَكْرَّرَ فِكْرِي، وَلَوْ أَنَّ لَدَيَّ الْكَثِيرَ لِأَقُولُهُ، وَلَكِنْ هَلْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُنَاقِشَ مَوْضُوعًا أَوْ قَضِيَّةً وَأَنَا أَتَمَتُّ بِكَامِلِ الْحُرِّيَّةِ الْفِكْرِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ؟ طَبْعًا لَا؛ إِذَنْ، فَمَا هِيَ الْفَائِدَةُ إِذَا كَانَتْ الْكَلِمَاتُ وَالْمَعَانِي وَالْأَهْدَافُ حَبِيسَةً الْأَلْسِنَةِ وَالْأَفْوَاهِ وَالْحَنَاجِرِ وَالْعُقُولِ، فِي عَصَرٍ كُلِّ مَنْ فِيهِ يَكْتُبُ وَيَنْقُلُ فِي فَوْضُوَّةٍ لَا تَبْعَثُ عَلَى التَّفَاوُلِ بِمُسْتَقْبَلِ زَاهِرٍ لِلْفِكْرِ وَالْأَدَبِ وَالْعِلْمِ؟!

فَنَحْنُ لَسْنَا فِي عَصَرِ هَارُونَ الرَّشِيدِ، وَلَا عَصَرِ الْمَأْمُونِ الَّذِي كَانَ يُنْزِلُ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ، وَلَكِنَّا فِي زَمَنِ تَرْقِيعِ الشُّقُوقِ الْفِكْرِيَّةِ الْمَرِيضَةِ، وَبَقِيَّةِ النَّاسِ فِي وَطَنًا تُعْطَى لِغَيْرِ أَهْلِهَا مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُتَرَلِّفِينَ وَالْوُضُولِيِّينَ وَالْإِنْتِهَازِيِّينَ وَأَصْحَابِ الْوَسَاطَاتِ؛ فَلَدَيْنَا وَطَنٌ لَيْسَ لِلْكَفَاءَاتِ مَكَانٌ فِيهِ، وَكَمْ كَتَبْتُ عَنِ الظُّوَاهِرِ السَّلْبِيَّةِ فِي طَرِيقَةِ الْإِحْتِفَاءِ بِالْفِكْرِ الْوُطَنِيِّ وَتَقْدِيرِهِ وَإِعْطَائِهِ حَقَّهُ، وَلَكِنَّ الْحُكُومَاتِ تَقُولُ: إِنَّ لَدَيْنَا قَضَايَا أَكْثَرَ أَهْمِيَّةً. وَلَا أَدْرِي مَا هُوَ الْأَهَمُّ مِنَ الْفِكْرِ الْمُبْدِعِ، وَلَا أَدْرِي لِمَاذَا يُهَمِّشُ كُلُّ ذِي فِكْرٍ بِصِيرٍ وَعَقْلٍ مُنْتَجِ وَرَشِيدٍ!

كَمْ تَمَنَيْتُ أَنْ يَكُونَ فِي كُلِّ وَزَارَةٍ مُفَكِّرٌ أَوْ أَدِيبٌ أَوْ عَالِمٌ مِنْ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ، وَأَنْ تَكُونَ هُنَاكَ هَيْئَةٌ جَامِعَةٌ دَاخِلَ كُلِّ وَزَارَةٍ تُنَاقِشُ الْمَشَاكِلَ وَالْقَضَايَا، وَتَبْتَكِرُ الْحُلُولَ مِنْ خِلَالِ

الفهم المتخصص والمُدرِك لقيمة التجربة والخبرة والكفاءة، ولكن هذا لم ولن يحدث في الوطن العربي.

وكثيراً ما ترى وتسمع ما يُخزي ويُضحك ويُؤلم من كبير أو وزير أو مسؤول، ولكنك لا تستطيع التعبير، وحتى النصيح الذي يتطلب المصارحة يبعث على الحذر والخوف من أن يعرض الإنسان نفسه للمساءلة والعقوبة. لقد بات كل ذي عقل وفكر وعلم يأنس بالوحدة والعزلة، لأن الشعور بالمواطنة والكرامة لم يخلق له، بل لمجموعة معروفة مقرّبة، تستر العوار وتخفي الأسرار، مجموعة قليلة تعتبر أنها تمثل الوطن والمواطنة، أما غيرها فلا. إننا والله على شفا الضياع، ولكن البعض يجدف ضد التيار فيغرق غيره. لذا فالمنطق والمعقول اليوم أن تُعطى على استحياء، وتكتب لا لهذا العصر بل لعصور تُقدّر قيمة العقل الذي وهبه الله، وتقدّر قيمة المواهب والخبرات والكفاءات وتنزلها مكانها. إن هذه الآفات المستشرية تدفع الكثيرين إلى هجرة أوطانهم الأم، بحثاً عن أوطان بديلة تُقدّر كفاءاتهم، وتوفّر لهم الحياة الكريمة.

الصَّدَاقَاتُ

تَمُرُّ الصَّدَاقَاتُ بِتَغْيِرَاتٍ تَخْضَعُ لِتَقْدِيرَاتٍ مَصْلَحِيَّةٍ أَوْ مَزَاجِيَّةٍ، وَهُنَاكَ مَنْ لَا يُرَاعِي دَوَاحِلَ النُّفُوسِ وَمَا يَعْتَرِضُهَا مِنْ حَالَاتٍ قَاهِرَةٍ تُصِيبُهَا بِالْيَاسِ أَوْ الْمَرَضِ أَوْ التَّقَلُّبَاتِ الْحَيَاتِيَّةِ. فَكَمَا تَتَقَلَّبُ الطُّقُوسُ الْبَيْئَةُ تَتَقَلَّبُ النُّفُوسُ الْإِنْسَانِيَّةُ، لِذَا تَكُونُ الْإِنْفِعَالَاتُ النَّفْسِيَّةُ مُقَدَّرَةً عَلَى الْإِسْتِبْطَاطِ وَالْإِسْتِشْعَارِ الْإِنِّيِّ غَيْرِ الْمُتَمَعِّقِ وَغَيْرِ الْعَادِرِ لِمَا يَطْرَأُ عَلَى النُّفُوسِ مِنْ أَحْدَاثٍ وَمَوَاقِفٍ خَفِيَّةٍ عَنِ الْآخَرِينَ، فَثَمَّةٌ مَنْ يَأْخُذُ عَلَيْكَ مَاخِذٌ بِحَسَبِ تَفَكُّيرِهِ وَتَقْدِيرِهِ الْخَاصِّ، وَيُرِيدُكَ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ أَنْ تَكُونَ هَاشًا بَاشًا فِي وَجْهِهِ، غَيْرَ مَعْنِيٍّ بِهِمُومِكَ وَلَا بِالْأَمِكِ وَلَا بِأَحْدَاثِ الزَّمَانِ الَّتِي تَعْتَزُّضُ الْإِنْسَانَ فِي حَيَاتِهِ.

إِنَّهُ يُرِيدُكَ مُؤَنِّسًا لَهُ، حَتَّى وَلَوْ عَلَى حِسَابِ صِحَّتِكَ وَمَشَاغِلِكَ وَمِزَاجِكَ النَّفْسِيِّ، وَبِهَذَا تَنْتَهِي الصَّدَاقَاتُ فِي لَمَحِ الْبَصَرِ وَبِأَقْلَى كُلِّفَةِ أَخْلَاقِيَّةٍ. وَبَعْضُ الصَّدَاقَاتِ تَنْشَأُ لِمَعْرِفَةِ أَسْرَارِ حَيَاتِكَ وَكَيْفِيَّةِ مَعَاشِكَ، أَوْ تَسْجِيلِ مَوَاقِفِ عَلَيْكَ لَا تَخْلُو مِنَ الشَّمَاتَةِ أَوْ التَّعْرِیْضِ بِكَ لِلتَّشْفِي مِنْكَ بِلَا سَبَبٍ وَلَا وَازِعٍ مِنْ ضَمِيرٍ أَخْلَاقِيٍّ رَادِعٍ، وَتَشْعُرُ أَحْيَانًا بِحَذَرٍ مَمْلُوءٍ بِالتَّشْفِي يَحْسَبُهُ الْبَعْضُ قِصَاصًا لِثَارٍ فِي نَفْسِهِ لَجُرْمٍ لَمْ تَرْتَكِبْهُ، سِوَى حَاجَةٍ فِي النَّفْسِ تَحِيلُهَا وَاقْتَتَعَ وَاهِمًا أَنَّهَا تَسْتَوْجِبُ عُقُوبَةً مَا.

وَسَرِيعًا مَا تَنْسَحِبُ تِلْكَ الْأَوْهَامُ عَلَى كُلِّ مُعْطِيَاتٍ وَأَخْلَاقِيَّاتٍ الْآخَرِينَ دُونَ النَّظَرِ إِلَى أَقْلِ الْقَلِيلِ مِنَ الْوُدِّ الْإِنْسَانِيِّ. وَلَوْ تَجَرَّدَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ تَرَكِيبَاتِ الدُّنْيَا وَالْغَيْرَةِ وَالْحَقْدِ وَالْحَسَدِ لَعَرَفَ أَنَّ فِي الْحَيَاةِ مِنَ الْهُمُومِ مَا يَتَجَاوَزُ هُمُومَهُ الشَّخْصِيَّةَ. وَلَيْسَ ضَرُورِيًّا أَنْ يُبْدِيَ لَكَ الْإِنْسَانُ فِي كُلِّ وَقْتٍ مَا تَحْتَاجُ إِلَى سَمَاعِهِ مِنَ الْكَلِمَاتِ، فَمَاذَا سَتَقُولُ لِنَفُوسٍ تَأْخُذُ بِعَثْرَاتِهَا مَا تَقْتَنِعُ بِأَنَّهُ مِنْ حَسَنَاتِهَا، غَيْرَ آبِهَةٍ بِمَشَاعِرِ الْآخَرِينَ، وَلَا تَجِدُ فِي تِلْكَ النَّفْسِيَّاتِ الصَّادِمَةِ لِتَوَقُّعَاتِكَ الْحَسَنَةِ إِلَّا الْكُرْهَ وَالْإِزْوَارَ، وَبَعْضُ عَارِفِكَ غَيْرُ مُجْبَرٍ عَلَى صَدَاقَتِكَ، وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَزْتَاخَ وَيُرِيحَ فِي غَيْرِ مَثَلْبَةٍ وَلَا ذَنْبٍ وَلَا ضَغِينَةٍ، حَيْثُ يَرْحَلُ بِالْمَعْرُوفِ وَيُعَادِرُ بِالْإِحْسَانِ، فَلَا هُوَ حَامِلٌ لِأَوْزَارِ الْعِبَادِ بِالْقَالِ وَالْقَلِيلِ، وَلَا هُوَ مُتَكَبِّدٌ لِحَسَائِرِ الْمَوَاجِهَاتِ غَيْرِ الْمَحْسُوبَةِ وَالَّتِي تَتْرُكُ آثَارًا وَخِيَمَةً عَلَى النَّفْسِيَّاتِ الْمُسَالِمَةِ.

وَقَدْ تَكُونُ أَسْبَابُ الضَّعَائِنِ مُتَعَلِّقَةً بِالْفَسَلِ فِي تَحْقِيقِ النَّجَاحِ، وَبِالْفَقْرِ وَتَدْنِي الْحَالَاتِ الْمَعَاشِيَّةِ، وَهُنَاكَ مَا يَخْرُجُ عَنْ إِرَادَةِ الْبَشَرِ إِلَى إِرَادَةِ الْخَالِقِ لَوْ عَرَفْنَا يَقِينًا بِأَنَّا فِي مَرْكَبِ الْحَيَاةِ سَوَاسِيَّةً، عَلَى أَنَّ لَسْنَا سَوَاسِيَّةً فِي الْأَقْدَارِ وَالثَّرَوَاتِ وَالْمَوَاهِبِ، كَمَا أَنَّ هُنَاكَ نَفُوسًا خَيْرَةً وَنَفُوسًا أَمَّارَةً بِالسُّوءِ. وَفِي كُلِّ الْأَحْوَالِ جَاهِدِ النَّفْسَ عَلَى الْأَلَّا تَكُونَ ظَالِمًا فَتَبُوءَ بِخُسْرَانِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: {قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبُعُهَا أَذَىٌ وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ} [البقرة، آية: 263].

الْحَمْدُ لِلَّهِ

لِنَفْسِي أَقُولُ: أَحْمَدِي اللَّهَ يَا نَفْسُ، وَإِيَّاكَ وَكُفْرَانَ النِّعَمِ، وَأَفْنَعِي بِالْقَلِيلِ يَكُنْ كَثِيرًا بِالْحَمْدِ وَمُبَارَكًا بِالْعَطَاءِ. أَيْتُهَا النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ، أَلَا ارْعَوَيْتِ مِنْ رَبِّ الْوُجُودِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ، أَلَا اتَّعَظْتَ بِمَا سَلَّطَهُ اللَّهُ عَلَى الْأُمَمِ الَّتِي كَفَرَتْ بِنِعَمِ اللَّهِ فَادَّاهَا اللَّهُ وَجِيعَةَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَالْهَمِّ وَالْمَرَضِ، وَبَاءَتْ بِغَضَبِ اللَّهِ. أَيْتُهَا النَّفْسُ، عَلَامَ تُدْرِكِينَ الْخَيْرَ وَتَأْنِسِينَ إِلَى الشَّرِّ؟! أَفَلَا اتَّقَيْتِ فَاهْتَدَيْتِ إِلَى سُبُلِ الْحَقِّ وَالرَّشَادِ؟ إِنَّ الرَّحِيلَ قَرِيبٌ، وَالْمَوْتَ لَهُ نُبُوءٌ، وَالْجَنَّةُ تُزْلَفُ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، وَالنَّارَ مَهْوًى لِمَنْ ضَلَّ عَنِ الْهُدَى وَاتَّبَعَ خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ، يَا نَفْسُ، لَمْ يَعُدْ لَكَ إِلَّا الرَّجَاءُ لِمَنْ خَلَقَكَ، وَالرُّجُوعُ عَمَّا يُغْرِي وَيُورِدُ مَوَارِدَ الْهَلَاكِ.

يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِقُدْرَتِكَ وَعِزَّتِكَ وَعَظَمَتِكَ وَكَرَمِكَ وَقُوَّتِكَ، أَنْ تَتُوبَ عَلَيَّ، وَتُصْلِحَ فَسَادَ نَفْسِي، وَتُحَسِّنَ عَاقِبَةَ أَمْرِي، وَتَتَوَفَّانِي وَأَنْتَ تُمَطِّرُنِي بِرِضَاكَ عَنِّي، وَتَصْرِفَنِي عَنْ شَرِّ نَفْسِي، وَتَسْلُكَ بِي إِلَى خَيْرِهَا يَا عَظِيمُ يَا رَبِّي وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، أَسْتَغْفِرُكَ يَا سَيِّدِي وَمَوْلَايَ وَأَنِيبُ إِلَيْكَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

فِي ضِيَاةِ الْأُسْتَاذِ الْقَدِيرِ نَاصِرِ الدِّينِ الْأَسَدِ

حِينَ دَعَانِي مَعَالِي الْأُسْتَاذِ الْجَهْدِ الصَّدِيقِ الْأَدِيبِ الدُّكْتُورِ نَاصِرِ الدِّينِ الْأَسَدِ إِلَى الْعِشَاءِ كُنْتُ أَتَوَقَّعُ إِلَى سَمَاعِ مَا حَصَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأُسْتَاذِ الْعَالِمِ طَهَ حُسَيْنٍ بَعْدَ صُدُورِ كِتَابِهِ «الشُّعْرُ الْجَاهِلِيُّ»، ثُمَّ وَجَدْتُهُ يَرُوي لِي بِشَكْلِ مُفَصَّلٍ كَيْفَ أَنَّهُ اسْتَطَاعَ بِفِكْرِهِ الْوَقَادِ الرَّدَّ عَلَى الرُّوْيِ الْمَغْلُوطَةِ وَالْمُتَطَرِّفَةِ فِي فِكْرِ طَهَ حُسَيْنٍ الَّتِي أَحْدَثَتْ دَوِيًّا نَقْدِيًّا فِي حِينِهَا لَدَى أَدْبَاءٍ وَمُفَكِّرِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ. إِذْ ذَاكَ لَمْ يَجْرُؤْ أَحَدٌ عَلَى مُوَاجَهَةِ فِكْرِ الْأُسْتَاذِ الدُّكْتُورِ الْعَالِمِ طَهَ حُسَيْنٍ الَّذِي عَاشَرَ النَّهْضَةَ وَالتَّنْوِيرَ الْعَرَبِيِّينَ عَلَى الْمُسْتَوِيَّاتِ الْفِكْرِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ؛ فَالِدُّكْتُورُ طَهَ حُسَيْنٌ تَشَبَّعَتْ أَفْكَارُهُ بِمَا حَمَلَتْهُ الثَّوْرَةُ الْفِكْرِيَّةُ فِي فَرَنْسَا حِينَ كَانَ الْفِكْرُ الْعَرَبِيُّ يَعْطُ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ.

قَالَ مَعَالِي الدُّكْتُورِ نَاصِرِ الدِّينِ الْأَسَدِ: كُنْتُ أَتَوَجَّسُ خِيفَةً وَأَمْتَلِي مَهَابَةً بَعْدَ أَنْ فَنَدْتُ فِكْرَ طَهَ حُسَيْنٍ وَنَقَدْتُهُ بِأَسْلُوبٍ عِلْمِيٍّ عَلَى كِتَابِهِ «الشُّعْرُ الْجَاهِلِيُّ»، حَيْثُ أَقَامَ فَوَاصِلَ زَمَنِيَّةٍ اجْتَزَأَ مِنْهَا نُصُوصًا مَنْسُوبَةً إِلَى الشُّعْرِ الْجَاهِلِيِّ مُشْكَا فِي صِحَّةِ نَسْبَتِهَا إِلَى ذَلِكَ الشُّعْرِ، وَقَالَ مَعَالِي الدُّكْتُورِ نَاصِرٍ: كَانَ مِنْ حُسْنِ حَظِّي، أَوْ مِنْ سُوءِهِ، أَنْ يَزُورَ مَعَالِي الدُّكْتُورِ طَهَ حُسَيْنَ الْأُرْدُنِّ فِي زِيَارَةِ رَسْمِيَّةٍ، وَطَلَبَ لِقَائِي، فَاتَيْتُ إِلَيْهِ كَمَا يَأْتِي التَّلْمِيزُ إِلَى أَسَاتِذِهِ. وَآيُّ أَسَاتِذٍ هُوَ؟! إِنَّهُ الْقَامَةُ الْعَلِيَّةُ، إِنَّهُ الدُّكْتُورُ: طَهَ حُسَيْنٌ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا طَهَ حُسَيْنٌ!

وَيَسْتَطَرِدُّ مَعَالِي الدُّكْتُورِ نَاصِرٍ قَائِلًا: لَكَمْ كُنْتُ مَأْخُودًا وَمَشْدُودًا وَوَجَلًّا مِنْ لِقَائِي بِهِذَا الْعِلْمِ! وَمَتَحَسِّبًا وَمُسْتَرَبًّا مِمَّا سَيَحْدُثُ فِي هَذَا اللَّقَاءِ. وَبَعْدَ التَّحَايَا الطَّيِّبَاتِ جَلَسْتُ إِلَى جَوَارِهِ مُحْيِيًّا، وَإِذَا بِالِدُّكْتُورِ طَهَ يَنْفَجِرُ فِي غَضَبَةٍ مُضْرِيَّةٍ، وَيَنْهَالُ عَلَيَّ بِالْكَلِمَاتِ الْحَانَقَةِ الْغَاضِبَةِ ضِدِّي، وَيُحَاوِلُ الْاسْتِهَانَةَ بِي مُفَكِّرًا وَنَاقِدًا وَادِيًّا، وَالتَّقْلِيلَ مِنْ شَأْنِ مَا كَتَبْتُهُ، إِذْ كُنْتُ عَلَى حَدَاثَةِ سَنِي مُنَاوِنًا وَمُنَاهِضًا لِفِكْرِهِ حِينَ جَانَبَ الصُّوَابَ، وَلَمْ أَنْبَسْ بِنِتِّ شَفَةِ حَتَّى أَنْهَى ثَوْرَتَهُ الْعَارِمَةَ ضِدِّي، وَأَنْفَضَ الْمَجْلِسَ مِنَ الْجَمِيعِ، وَعَدْتُ إِلَى مَزَلِّي يَنْتَابِنِي الْحُزْنُ الْكَبِيرُ عَلَى جَهَامَةِ ذَلِكَ اللَّقَاءِ، وَغَادَرَ طَهَ حُسَيْنَ الْأُرْدُنِّ إِلَى الْقَاهِرَةِ، فِي حِينِ أَنْ رَدِّي عَلَى

طَهَ حُسَيْنٌ أَخَذَ يُحَدِّثُ دَوِيًّا هَائِلًا فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ، مُؤَيِّدًا بِمَنْهَجِيَّةِ الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ الَّذِي أَصَلَ الْإِمْتِدَادَ التَّارِيخِيَّ لِلشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ عَبْرَ أَرْمَنْتِهِ وَعُصُورِهِ وَصُولا إِلَى الْعَصْرِ الْحَدِيثِ. وَتَابَعَ: وَلَمْ تَمَرَّ شُهُورٌ حَتَّى عَاوَدَ مَعَالِي الدُّكْتُور طَهَ حُسَيْنٌ زِيَارَتَهُ لِلأُرْدُنِّ فِي زِيَارَةٍ رَسْمِيَّةٍ، وَعَاوَدَ الْإِتِّصَالَ بِي، وَطَلَبَ مِنِّي الْمُقَابَلَةَ، وَبِالْفِعْلِ حَضَرْتُ إِلَيْهِ فِي النَّزْلِ الَّذِي يُقِيمُ فِيهِ. وَقَدْ كَانَتْ الْمُقَابَلَةُ تَلْكَ تَتَسَّمُ بِالْحَمِيمَةِ، فَقَدْ كَانَ هَاشَا بَاشَا فِي وَجْهِهِ بِخِلَافِ مَا حَدَثَ فِي الْمُقَابَلَةِ الْأُولَى، كَأَنَّهُ أَتَى مُعْتَذِرًا عَمَّا أَلْحَقَهُ بِي مِنَ الْإِسَاءَةِ فِي الْمَرَّةِ السَّابِقَةِ، وَمُعْتَرِفًا عَلَى اسْتِحْيَاءٍ بِقُدْرَتِي عَلَى تَصْحِيحِ مَفَاهِيمَ مُجَانِبَةٍ لِلصَّوَابِ، بَثَّهَا مَعَالِي الدُّكْتُور طَهَ فِي كِتَابِهِ «الشَّعْرُ الْجَاهِلِيُّ»، مُؤَيِّدًا مَا قُلْتُهُ فِي رَدِّي عَلَيْهِ، وَأَنَا يَوْمَهَا لَمْ أَكُنْ قَدْ شَبَبْتُ عَنِ الطُّوقِ، وَلَمْ أَبْلُغْ شَأْوَ الضَّلِيلِ الَّذِي يُنَازِلُ عُلَمَاءَ مِثْلِ طَهَ حُسَيْنٍ.

حِينَهَا عَرَفْتُ كَيْفَ يَكُونُ الْعُلَمَاءُ وَالْأُدَبَاءُ وَالْمُفَكِّرُونَ الْكِبَارُ فِي عُقُولِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ عِنْدَمَا يَكُونُ الْعِلْمُ وَالْحَقِيقَةُ هَاجِسَهُمُ الْأَبْرَزَ، فَتَرَاهُمْ يَنْقَادُونَ لِلْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ، وَيَتَنَازَلُونَ عَنْ كِبَرِيَّائِهِمْ وَنَرَجِسِيَّاتِهِمْ، لِتَكُونَ الْحَقِيقَةُ وَحْدَهَا ضَالَّةَ الْفِكْرِ الْإِنْسَانِيِّ الْمُرْتَقِي بِالشُّعُوبِ فِي مُخْتَلَفِ الْبِلَادِ.

بُرْكَانٌ يَنْتَظِرُ الْوَقْتَ

أَجَنَّةٌ وُلِدَتْ عَلَى قَوَارِعِ الضِّيَاعِ، ارْتَحَلَ أَهْلُهَا مِنْ بِلَادِ الْفَقْرِ وَالْجُوعِ وَالْمَرَضِ، وَتَسَلَّلُوا طَالِبِينَ النِّجَاةَ بِأَرْوَاحِهِمْ، وَسَكَنُوا الْكُهُوفَ وَالْخِيَامَ وَأَطْلَالَ بُيُوتَ مُهْدَمَةٍ، وَاسْتَأْنَسُوا بِالْوَحْشَةِ وَالظَّلَامِ مَعَ خَفَافِشِ الْخَوْفِ، وَنَرَاهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَتَكَاثَرُونَ. فَمَا الَّذِي سَيُؤُولُ إِلَيْهِ حَالُ الَّذِينَ تَمَكَّنَتْ مِنْهُمْ الْفَاقَةُ، وَأَتَوْا مِنْ بِلَادِ الْفَقْرِ وَالْحَرْبِ إِلَى بِلَادٍ ظَاهَرُهَا النِّعَمُ وَبَاطِنُهَا النِّقَمُ.

إِنَّ بَوَاطِنَ الْأُمُورِ تُخْفِي بُرْكَانًا سَيَنْفَجِرُ يَوْمًا مَا، وَيَجْعَلُ أَعْرَةَ ذَلِكَ الْوَطَنِ أَذَلَّةً، وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ مَنْ أَلْفِ الْفَاقَةِ وَالْعُوزِ، وَاسْتَعْبَدَهُ الْجَهْلُ، وَغَفَلَ عَنْهُ الْوَقْتُ، وَامْتَهَنَتِ السُّنُونُ، «فَكَيْفَ سَتَكُونُ النِّقَمَةُ وَالْإِنْتِقَامُ مِنْ بِلَدِ الشُّحْمَةِ»؟

أَعْمَارُنَا وَالْأَمَلُ

فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ أَعْمَارِنَا نَلْتَقِطُ آخِرَ أَنْفَاسِ الْأَمَلِ الْمُحْمَلِقِ إِلَى آفَاقِ الْكَوْنِ وَأَعْمَاقِهِ، نَعْدُو وَنَآتِي عَلَى بَرِيْقٍ يُضِيءُ سَدِيمَ الْوَقْتِ الضَّارِبِ بِلَيَالِكِهِ عَلَى بَرَاءَةِ الْأَعْمَارِ الْوَاقِفَةِ عَلَى طَرِيقِ الرَّجَاءِ، وَنَحْنُ نَنْظُرُ إِلَى الْقَدَرِ الْإِلَهِيِّ أَوْ إِلَى التَّقْدِيرِ الْإِنْسَانِيِّ، وَكَأَنَّا نَنْظُرُ فِي مَتَاهَةِ نَلْجُ فِيهَا، لَا بِقَدَرِ احْتِمَالَاتِنَا، وَلَكِنْ بِقَدَرِ انْتِظَامِ الْمَجَرَّةِ فِيْنَا، فَحِينًا نَتَفَاءَلُ بِبَشَاشَةِ الصَّبَاحَاتِ الَّتِي تَعْمُرُ الْأَيَّامَ وَالسِّنِينَ، وَنَتَرَاقِصُ عَلَى أَوْهَامِ الظُّنُونِ وَالشُّكُوكِ.. وَحِينًا لَا نَمْلِكُ إِلَّا الْقَبُولَ بِمَا هُوَ مُدْرَكٌ، وَبِمَا لَا نَسْتَطِيعُ إِدْرَاكَهُ، فَتَرْكُنُ إِلَى الْعَبَثِ بِفِكْرِنَا لِيَأْخُذَنَا إِلَى مَشَارِفِ الطُّمَآنِينَةِ، وَأَحْيَانًا نَخْرُجُ عَنْ دَوَائِرِ صَمْتِنَا وَنَسْتَعْدِي الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ، وَنَتَصَارَعُ مَعَ احْتِمَالَاتِ تَفْكِيرِنَا بِاضْطِنَاعِ وَاقِعٍ بَدِيلٍ نَتَجَاوَزُ عَبْرَهُ عَجَزَ ذَوَاتِنَا عَنْ تَحْقِيقِ الْهَدَفِ مِنْ إِقَامَتِنَا عَلَى كَوْكَبٍ سَابِحٍ فِي فُضَاءَاتِ الْمَجْهُولِ.

نَتَسَاءَلُ عَنِ الْمِيلَادِ وَالْفَرَضِيَّاتِ، وَعَنِ الْقَلْقِ الَّذِي يَعْتِمُرُ أَعْمَارَنَا، فَتَأْتِي الْأَجُوبَةُ مُفْتَضِبَةً لَا تَبَلُّ جَفَافِ الْأَسْئَلَةِ، إِلَّا أَنَّا نُخَادِعُ نُفُوسَنَا بِالرِّضَا، وَنَتَوَاصَى بِالصَّبْرِ عَلَى قِيُودِ الرُّهْبَةِ وَالرُّعْبِ وَالضِّيقِ وَالْوَهْنِ وَالْكَرْبِ وَالْمَرَضِ، وَلَوْ أَرَدْنَا أَنْ نُغَيِّرَ الْوَاقِعَ أَوْ الْوَقَائِعَ لَمَّا اسْتَطَعْنَا، وَكُلُّ يَضْرِبُ بَعْصَاهُ الْبَحْرَ الْأَدْمِيَّ عَلَيْهِ يَجْدُ ضَالَّتَهُ. لَا شَيْءَ مِمَّا فَعَلْنَاهُ يَقِينًا الْحَيْرَةَ وَالِاضْطِرَابَ وَالْهَلَعِ الَّذِي اسْتَفْرَغَ سُمُومَهُ فِي شَرَابِينِنَا؛ لِيَكُونَ التِّيَّارُ الْمُوَصَّلُ إِلَى الْإِسْتِشْعَارِ بِبَنْضِ الْقُلُوبِ وَبَنْضِ الْأَشْيَاءِ مِنْ حَوْلِنَا.

هَكَذَا نَرَى دُمُوعًا فِي الْمِيلَادِ، شَقَاءَ نِكَابِهِ حَتَّى تَلْفِظُنَا الْحَيَاةَ وَكَأَنَّا دُمَى يَتَلَهَّى بِهَا الزَّمَانُ وَالْمَكَانُ، فِيمَا قُوَّةُ أُخْرَى خَارِقَةٌ تَتَلَهَّى بِنَا وَبِالزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، ثُمَّ نَرَى حَقَائِقَنَا جُثًّا هَامِدَةً تَتَوَحَّدُ مَعَ طِينِ الْأَرْضِ لِيَكُونَ هُوَ نَحْنُ، وَنَحْنُ إِيَّاهُ، وَتَبْقَى الْأَسْئَلَةُ بِلاَ جَوَابٍ، تِلْكَ أَرْوَاحُ الْأَشْيَاءِ الْأَثِيرِيَّةُ تَسْكُنُنَا رَدْحًا مِنَ الزَّمَانِ، وَلَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا أَيُّ مَعْرِفَةٍ وَلَا صِلَةٍ وَلَا قُرْبَى، الْأَسْئَلَةُ تَبْحَثُ عَنِ الْغُيُوبِ الْمَجْهُولَةِ وَالْأَجْسَادِ الْمُدْفُونَةِ وَالْمَدَى الْبَعِيدِ وَالْقَرِيبِ. نُرِيدُ أَنْ تَكُونَ حَيَاتُنَا سَرْمَدِيَّةً لِيَأْتِيَ الْجَوَابُ، فَتَرْحَلْ بِلاَ جَوَابٍ وَلَا اقْتِدَارٍ وَلَا اضْطِلَاعٍ بِالْغَيْبِ، أَنْتَ، مَا، أَنْتِ إِلَّا نَشِيرٌ مِنْ تَرَابٍ، فَسِرْ إِلَى التُّرَابِ الَّذِي تَبْحَثُ عَنْهُ كَاللُّغْزِ. اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا، نَحْنُ الْغُرَبَاءُ الْأَشْقِيَاءُ الْأَعْزَاءُ، وَسَيَظِلُّ الْعَقْلُ يَبْحَثُ وَيَسْأَلُ وَيُحَاوِلُ مَعْرِفَةَ لُغْزِ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ، وَنَنْتَهِي دُونَ جَوَابٍ.

الْعَمَائِمُ تَبْجَانُ الْمُلُوكِ

قِيلَ «الْعَمَائِمُ تَبْجَانُ الْمُلُوكِ»، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضَعُ عِمَامَةً عَلَى رَأْسِهِ. فَمَا بَالُنَا الْيَوْمَ نَحْنُ الْخَلِيجِيُّنَ نَحْتَفِي بِوَضْعِ الْعِقَالِ، وَهُوَ فِي الْأَسَاسِ رَمْزٌ لِلْحُزْنِ عَلَى ضَيَاعِ الْأَنْدَلُسِ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ نَعْتَمِدَ الْمَعْنَى الثَّانِي لِلْعِقَالِ وَهُوَ مَنْ عَقَلَ الشَّيْءَ إِذَا رَبَطَهُ وَقَيْدَهُ.. وَهُوَ مَا يُطْلَقُ عَلَى عِقَالِ أَرْجُلِ الْإِبِلِ وَتَقْيِيدِهَا؛ لِأَنَّ مَنْ يَلْبَسُونَ الْيَوْمَ الْعِقَالِ لَيْسُوا رِعَاةَ إِبِلٍ، وَإِلَى وَقْتٍ قَرِيبٍ كَانَ الْبَدُوُّ يَلْبَسُونَ الشَّمَاغَ الْأَحْمَرَ، وَيَرْبِطُونَ شَاشًا أَبْيَضَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ، كَالْعِقَالِ الْيَوْمَ. وَيُقَالُ إِنَّهُمْ يَعْتَبِرُونَ ذَلِكَ الشَّاشَ كَفَنَهُمْ إِذَا قَضَوْا فِي الْحُرُوبِ، لَكِنَّ السُّؤَالَ الَّذِي أَطْرَحُهُ هُنَا: لِمَاذَا لَا يَقْتَنِدِي عُلَمَاءُ الْإِسْلَامِ بِالرَّسُولِ الْكَرِيمِ الَّذِي كَانَ يَعْتَمِرُ الْعِمَامَةَ!

مَا بَالُنَا؟!

مَا بَالُ أَقْوَامٍ تُرِيدُ شِعْرًا نَبْطِيًّا؟! تُرِيدُ مَزَايِينَ الْإِبِلِ؟! تَفْتَخِرُ بِالْبَدَاوَةِ، أَيْ بِالْجَهْلِ وَالتَّخْلُفِ! تُرِيدُ أَنْ تَعِيشَ عَلَى التُّرَهَاتِ! تَنَامُ عَلَى الْعَلَاتِ! لَا تَحْتَرِمُ الْحَضَارَاتِ، مَا بَالُنَا!

ادعاء

الإنسان غير النابه إذا وصل إلى قمة النعمة والقوة والسودد تعاظمت نفسه في نفسه، فيتخيل لجهله أنه الله، وأن الدنيا خلقت له وحده، وأنه مفضل على الآخرين ببعض عطائاته، وحين يبلغ جُلَّ آماله، تتصارع في نفسه الأنا الواهمة ليعلن أنه فوق البشر. عندما تقرأ عن سير الممالك والملوك والأغنياء المترفين، تجد أن آخر آمالهم ادعاء الألوهية واستعباد الخلق، ألم يقل فرعون: {أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى} [النازعات، آية: 24]. انظروا إلى النفس الإنسانية الواهمة بملكيتها المملوك للمالك الحق، هي هذه التركيبة الفطرية للإنسان العربي.

نهب منسوب

يا أغنياء الشرق الأوسط اكثروا الذهب والفضة في البنك المركزي الأمريكي، فجميع ما نهبتموه من ثروات أممكم رزق اليهود وأمريكا وأوروبا، انهبوا بقدر ما تستطيعون، وستنهبون حتى تكتمل قصة أمة كانت ثم بادت.

عليكم بالنوم

أنصح العرب والمسلمين بكثرة النوم؛ فهو أفضل من الجنون! ما دام لم يعد فيهم ذلك الحس الاستشراقي للحياة.

حُمْلَانٌ وَدِيعَةٌ

الْعَرَبُ وَالْمُسْلِمُونَ يَعِيشُونَ أَحْلَامَ الْبَقَظَةِ، فَكُلُّ هَمِّهِمُ التَّرَفُ وَجَمْعُ الْأَمْوَالِ الَّتِي سَتَكُونُ غَنَائِمَ أَوْرُبَّا وَأَمْرِيكََا.. فَلَا تَظُنُّوا أَنَّ أَمْرِيكََا سَتَتْرُكُ الْحُمْلَانَ الْوَدِيعَةَ نَتَّعَمُ بِهِذِهِ الثَّرَوَاتِ، وَهِيَ الَّتِي تُقَدِّمُ لِلْبَشَرِيَّةِ الْعُلُومَ وَالتَّقْنِيَّاتِ وَالتَّكْنُولُوجِيَا وَالرَّفَاهِيَةَ خَالِصَةً لَوَجْهِ الْعَرَبِ! وَلَكِنَّهَا أَعَدَّتْ خَرِيطَةً لِلشَّرْقِ الْأَوْسَطِ الْجَدِيدِ بِوَجْهِ أَمْرِيكََا أَوْرُبِّي.. وَسَيَتَحَقَّقُ مَا قَرَأْنَاهُ قَدِيمًا عَنْ بُرُوتوكُولَاتِ صِهْيُونِ.

أَصَابُ الْكُهْفِ

اعْلَمُوا أَنَّ مُؤْتَمَرَ الْقِمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّذِي انْعَقَدَ بِمَكَّةِ الْمَكْرَمَةِ لَمْ يَكُنْ ضَمْنِ اهْتِمَامَاتِ أَمْرِيكََا وَلَا فِي حِسَابَاتِهَا، هِيَ تَسْخَرُ مِنْ أُمَّةٍ مَاتَتْ قَبْلَ قُرُونٍ، وَلَا يُوجَدُ فِيهَا بَاعِثٌ عَلَى الْحَيَاةِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ بِمَا يَخْرُجُ عَنِ الْفِكْرِ الْإِنْسَانِيِّ، وَيَأْتِي كَمُعْجَزَةٍ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَكِنْ: [إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ] [سُورَةُ الرَّعْدِ، آيَةٌ: 11].

إِذَا رَأَيْتُمْ أَمْرِيكََا وَأَوْرُبَّا صَامِتَتَيْنِ فَاعْلَمُوا أَنَّ شَيْئًا كَبِيرًا سَيَحْدُثُ وَيَهْزُ الْعَالَمَ، ارْتَقِبُوا الْقَادِمَ الْمُؤَلَّمِ الَّذِي سَيَكُونُ عَلَى حِسَابِ الشُّعُوبِ الْمُسْتَضَعْفَةِ.

وَيْحَكَ أَيُّهَا الْقَلْبُ

وَيْحَكَ أَيُّهَا الْقَلْبُ، وَقَدْ قَضَيْتَ أَكْثَرَ مِنْ نِصْفِ قَرْنٍ تُقَدِّمُ التَّضَحِّيَةَ عَلَى جَدَائِبِ الْجُحُودِ، وَتَسْقِي الْحُبَّ حَتَّى لِلْحَقُودِ وَالْحُسُودِ، أَلَمْ تَرَ النَّاسَ وَهُمْ يَتَبَدَّلُونَ وَيَسْتَبَدِّلُونَ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ؟ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ يَبِيعُ الْحَبِيبُ وَالْقَرِيبُ وَالصَّدِيقُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِثَمَنٍ بَخْسٍ؟ أَلَمْ تَرَ أَنَّ صَاحِبَ الْقِيَمِ وَالْأَخْلَاقِيَّاتِ مَمْلُوءٌ مَكُورٌ مَاكُولٌ؟ أَلَمْ تَرَ الشُّوَاهِدَ وَتَعِشِ الْأَحْدَاثَ الَّتِي تُؤَسِّسُ لِلْقِيَمِ الْجَدِيدَةِ الْمُسْتَوْحَاةِ مِنَ الْخَدَائِعِ وَالشَّرُورِ وَالْعَيْشِ عَلَى أَنْفَاضِ أَعْمَارٍ مِنَ الْفَضِيلَةِ وَالْحُبِّ وَالْإِخْلَاصِ؟

وَيْحَكَ أَيُّهَا الْقَلْبُ الطَّيِّبُ، وَالْفُؤَادُ وَيحَكَ أَيُّهَا الْقَلْبُ الصَّابِرُ النَّازِفُ مِنْ طَعَنَاتِ مَنْ يَدْعُونَ الْحُبَّ، وَالْحُبُّ فِي عُرْفِهِمْ هُوَ الْمَصْلَحَةُ وَالْمَنْفَعَةُ الْوَقْتِيَّةُ الَّتِي تَزُولُ بَعْدَ ثَوَانِي الْعَطَاءِ وَالْبَذْلِ، فَيَنْقَلِبُ الْحُبُّ إِلَى كُرْهِهِ، وَالْبَذْلُ إِلَى نُكْرَانٍ، وَالْفِدَاءُ إِلَى عَدَاوَةٍ. جَمِيعٌ مِنْ أَحَبَّتْ قَسَوْا، وَمَنْ أُعْطِيَتْ نَسُوا.

وَمَا يَذْكُرُونَهُ أَنْكَ ارْتَقَيْتَ وَارْتَفَعَتْ بِقِيَمِكَ وَصِدْقِكَ وَإِخْلَاصِكَ لِلَّهِ وَلَهُمْ هُمْ، وَأَنَّ أَيَادِيكَ الْبَيْضَاءُ تُزْعِجُهُمْ وَيُقَضُّ مَضَاجِعُهُمْ وَيُؤْلَمُهُمْ. يُحَاوِلُونَ أَنْ يَتَنَاسَوْا إِيثَارَكَ، وَدُمُوعَكَ فِي أَحْزَانِهِمْ، وَابْتِهَاجَكَ فِي أَفْرَاحِهِمْ، وَهُمْ يَتَلَذَّذُونَ بِمَحَاوَلَةِ إِيْذَانِكَ، وَيَتَمَنَّوْنَ أَنْ يَشْفُوا صُدُورَهُمْ بِأَنْ يَرَوْكَ وَقَدْ أَلَمْتَ بِكَ أَحْدَاثَ الزَّمَانِ الْمُرِيعَةِ، أَوْ أَنْ تَمُوتَ أَوْ تُسَجَنَ أَوْ تُفْلِسَ، لِيَرْتَاحُوا مِنْ حَيْرَتِهِمْ، وَتَزُولَ غَيْرَتُهُمْ، وَيَهْنُؤُوا بِالشَّمَاتَةِ بِكَ.

أَيُّهَا الْقَلْبُ الطَّيِّبُ، تَرَى لَوْ أَنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْحَقْدَ وَالْبُغْضَ وَالْبُخْلَ وَالْإِهْمَالَ وَالْبُعْدَ وَالتَّشْفِيَّ وَالنُّكْرَانَ وَالْجُحُودَ، وَتَرَفَعْتَ بِالْكِبَرِ عَلَيْهِمْ، خُصُوصًا وَأَنَّكَ فِي حَالٍ تُوَهِّلُكَ لِذَلِكَ، تَرَى هَلْ سَيَكُونُ جَزَاؤُكَ بِمَا جَاكَ بِهِ الْقَرِيبُ قَبْلَ الْبَعِيدِ؟

وَيْحَكَ أَيُّهَا الْقَلْبُ، مَاذَا أُسَمِّيكَ؟ هَلْ أُنْعَتُكَ بِالْغَيْبِيِّ، بِالضَّعِيفِ، بِالذَّلِيلِ؟

وَيْحَكَ، إِنَّ لَمْ تَتَبَدَّلْ قِيَمَتَكَ بِقِيَمِهِمْ فَسَتَعِيشُ عَلِيلاً، اهْجُرْهُمْ، انْسَهُمْ، وَاعْتَبِرْهُمْ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ، فَكَمْ أَسَأَوْا لَكَ وَكَنتَ الْغَافِرَ وَالْمُسَامِحَ لِرَلَاتِهِمْ وَقَسَوَتِهِمْ وَجَبَرُوتِهِمْ، هُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ لِقَاءَكَ وَمُوَاجَهَتَكَ إِلَّا مِنْ خَلْفِ حِجَابٍ؛ فَكُلِّ مِنْهُمْ يَحْمِلُ الْعَارَ وَالشَّارَ

مِمَّا جَازَوْكَ بِهِ مِنْ قُبْحِ الْفِعَالِ عَلَى جَمِيلِ أَفْعَالِكَ، وَلَكِنْ هِيَ النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ الْخَسِيسَةُ الَّتِي تُقَابِلُ الْإِحْسَانَ بِالْإِسَاءَةِ لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا.

مَسْكِينُ أَنْتِ أَيُّهَا الْقَلْبُ الطَّيِّبُ الْبَرِيُّ، لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ أَنَّ السَّبَبَ هُوَ الْعُلُوُّ وَالتَّسَامِي وَالْإِرْتِقَاءُ الَّذِي رَفَعَكَ بِهِ اللَّهُ، فَكُنْتَ تَحْمَدُهُ وَهُمْ يَجْحَدُونَ، وَكُنْتَ تَقْنَعُ وَهُمْ يَتَقَافَزُونَ عَلَى الْأَزْرَاقِ وَالْحُطُوطِ، وَمَا قَسَمَ اللَّهُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ.

أَيُّهَا الْقَلْبُ كُنْ لِعِزِّهِمْ مِنْ أَصْحَابِ الْمُرُوءَاتِ وَالْأَخْلَاقِ، بَعْ مِنْ بَيْعٍ، وَاكْذِبْ وَاشْمَتْ وَاعْدِرْ وَاهْجُرْهُمْ وَاحْتَقِرْهُمْ وَتَعَالِ عَلَيْهِمْ كَمَا فَعَلُوا، وَعِشْ لِأَصْحَابِ الْفَضِيلَةِ وَالْحَبِّ الصَّادِقِ وَأَصْحَابِ الْقِيمِ وَالشِّيمِ كَرِيمًا مِعْطَاءً، فَالدُّنْيَا بِخَيْرٍ، وَفِيهَا مِنَ الْأَخْيَارِ وَالْأَحْرَارِ وَأَصْحَابِ الْمَبَادِي مِمَّنْ يَحِقُّ لَكَ أَنْ يَكُونُوا أَهْلَكَ الْجُدَدِ. سَلَامٌ عَلَيْكَ فِي الْأَخْيَارِ الطَّيِّبِينَ، أَيُّهَا الْقَلْبُ الْأَمِينُ.

الْمَذَاهِبُ

مَا دَامَ بَيْنَ أَيْدِينَا كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِالْمَذَاهِبِ، فَالَّذِينَ وَضَعُوا الْمَذَاهِبَ رِجَالٌ لَا يَخْتَلِفُونَ عَنَّا.

لَا تُرَخَّصُوا

لَا تُرَخَّصُوا أَنْفُسَكُمْ فَتُرَخَّصُوا فِي عُيُونِ أَعْدَائِكُمْ، وَتُضْبِحُوا فِي وَطَنِكُمْ، أَنْتُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ، عِبِيدَ الْمُسْتَقْبَلِ وَإِمَاءَهُ. ادْفَعُوا بِالْحَقِّ الْبَاطِلَ، وَأَحْبُوا بَعْضَكُمْ بَعْضًا، وَأَبْذُوا الْفُرْقَةَ وَالْعَصِيَّةَ وَدَعُوا الْجَاهِلِيَّةَ الْأُولَى، وَانْتَمُوا إِلَى الْإِسْلَامِ لَا لِلْقَبِيلَةِ وَالْعِرْقِ، وَحَازُوا تَصْنِيفَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى نَحْلِ وَمَذَاهِبٍ وَأَجْنَاسٍ وَالْوَانِ وَسَادَةٍ وَأَشْرَافٍ، ارْتَقُوا بِالْإِسْلَامِ ثُمَّ بِالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ، وَارْتَفِعُوا بِالْحُبِّ تَسْوَدُوا وَتَفْلَحُوا وَتَكُونُوا «خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ».

لَا تَقُولُوا.. وَقُولُوا

لَا تَقُولُوا مِثْلَمَا قَالَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ: «أَنَا رَبُّ إِبْلِی وَإِنَّ لِلْبَيْتِ رَبًّا يَحْمِيهِ». وَلَكِنْ قُولُوا: نَحْنُ أَرْبَابُ حُقُوقِنَا، وَنَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ اللَّهِ نَحْمِيهِ بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ وَلَا نَقْبُلُ الدَّيْنَةَ فِيهِ.

عُقُولٌ لَا تَقْرَأُ

مُسْكِلَتْنَا وَمُصِيبَتُنَا هِيَ بَعْضُ الْعُقُولِ الَّتِي لَا تَقْرَأُ، وَإِذَا قَرَأَتْ فَإِنَّهَا تَأْخُذُ الْمَعْنَى السَّطْحِيَّ لِلْأَلْفَافِ وَالْمَعَانِي، وَإِذَا أَرَادَتْ أَنْ تُنَاقِشَ رَأْيًا مَا انْكَشَفَتْ هَشَاشَتُهَا، فَلَيْتَ مِثْلَ هَذِهِ الْعُقُولِ تَصُمْتُ، حَتَّى تَسْتَطِيعَ أَنْ تَدْخُلَ إِلَى أَعْمَاقِ الْكَلِمَاتِ وَالْمَعَانِي، وَلَيْتَهَا تَسْتَفِيدُ مِنْ طَرَحِ الْأَفْكَارِ النَّيِّرَةِ الَّتِي يَصْعُبُ عَلَيْهَا فَهْمُهَا.

اصْدَعُوا بِالْحَقِّ

إِذَا كُنْتُمْ وَطَنِيِّينَ وَأَحْرَارًا فَاجْهَرُوا فِي كُلِّ مَكَانٍ وَبِكُلِّ لِسَانٍ بِأَنَّ الْفَسَادَ سَادَ فِي الْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ. انْظُرُوا إِلَى مُسْتَقْبَلِ الْأَجْيَالِ الْمُقْبِلَةِ وَاصْدَعُوا بِالْحَقِّ، حَتَّى لَا يُصْبِحَ الْوَطَنُ غُرْزَةً لِلْهَدْمِ وَالْفَسَادِ اللَّائِيَّاتِ.

الفساد

عَلَيْنَا إِصْلَاحُ أَخْطَاءِ الْمَاضِي لِبِنَاءِ الْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ، وَأَوَّلُ الْأَخْطَاءِ الْفَسَادُ
الاجْتِمَاعِيُّ الَّذِي عَمَّ، وَأَصْبَحَ دَاوُهُ يَسْتَشْرِي فِي أَوْصَالِ الْأَجْيَالِ الْمُقْبِلَةِ، لِيَكُونَ سُوقًا
مَفْتُوحَةً لِهَيْمَنَةِ الْجَرَائِمِ الْمُنَظَّمَةِ وَارْتِفَاعِ نِسْبَتِهَا.

صَحِيحٌ أَنَّ الْفَسَادَ يَعُمُّ كُلَّ بِلَادِ الْعَالَمِ، وَأَنَّ الْمَشَاكِلَ تَأْتِي مِنَ الْفَقْرِ وَالْبَطَالَةِ وَالْأَمْرَاضِ
وَقِلَّةِ الْمَوَارِدِ الطَّبِيعِيَّةِ فِي كَثِيرٍ مِنْ دُولِ الْعَالَمِ، لَكِنَّ الْمَشْكَلَةَ الْأَخْطَرَ تَكْمُنُ فِي تَضْيِيعِ
السَّلَاحِ وَالْمُتَاجِرَةِ بِهِ فِي الْأَسْوَاقِ الْعَالَمِيَّةِ، وَذَلِكَ مَا أَسَّسَتْهُ النَّظَرِيَّاتُ الْفِكْرِيَّةُ، وَحَقَّقَتْهُ
الْعُقُولُ الْعِلْمِيَّةُ، وَلَيْتَ تِلْكَ الْأَمْوَالُ الطَّائِلَةُ كَانَتْ مُكَرَّسَةً لِخَيْرِ الشُّعُوبِ وَخَيْرِ الْبَشَرِيَّةِ
جَمْعَاءَ.

ضَعُفٌ فِي ضَعْفٍ

غَرِيبٌ جِدًّا أَنْ يَجْتَرَى أَحَدٌ عَلَى تَقْسِيمِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ إِلَى طَوَائِفَ وَنَحْلٍ مَا أُنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ، فَيَقُولُ: سُنِّيٌّ وَشِيعِيٌّ وَوَهَابِيٌّ، وَكَأَنَّ الدِّينَ يَتَّبِعُ أَشْخَاصًا أَوْ كَلِمَاتٍ أَوْ رُمُوزًا بَشَرِيَّةً. إِنَّ مُنْتَهَى الْجَهْلِ أَنْ نَقِيسَ الدِّينَ بِمَقَاسَاتٍ تُنَاسِبُ الْبَعْضَ، فَمَا هَذَا الْهَرَاءُ الَّذِي بَتْنَا نَسْمَعُهُ بِقُوَّةٍ فِي هَذَا الزَّمَنِ؟ كُلُّ يُرِيدُ أَنْ يَنْتَصِرَ لِأَحْزَابٍ وَطَوَائِفَ سَمَوْهَا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ. وَإِذَا عَرَفْنَا مَعْنَى الْإِسْلَامِ وَأَرْكَانَهُ وَشُرُوطَهُ، وَعَمِلْنَا بِهِدْيِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَدَيْنَا الشَّعَائِرَ التَّعْبُدِيَّةَ الْمَفْرُوضَةَ، فَمَا لَنَا وَشَخْصَةِ الدِّينِ؟ فَنَحْنُ نَعْبُدُ إِلَهًا وَلَا نَعْبُدُ أَشْخَاصًا.

وَقَدْ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: «مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ». مَا هَذِهِ الْأَحْدُوثَاتُ السَّخِيفَةُ الَّتِي يَزْرَعُهَا فِيْنَا أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ، لِتَكُونَ إِرْثًا عَقَائِدِيًّا عَلَى مَرِّ الْأَجْيَالِ وَالْعُصُورِ؟!

يَقُولُ رَسُولُنَا الْعَظِيمُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ: «مَنْ رَغِبَ عَنِ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي». فَمِنْ الْجَهْلِ أَنْ نَعْتَقَ مَذَاهِبَ، وَنَتَشَدَّقَ بِالِانْتِمَاءِ إِلَى طَوَائِفَ، وَنَتَعَصَّبَ لَهَا دُونَ وَعْيِ مِنَّا بِأَنَّ تِلْكَ الْإِنْتِمَاءَاتِ الْعِرْقِيَّةَ وَالْمَذْهَبِيَّةَ وَالطَّائِفِيَّةَ وَالْحَزْبِيَّةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ لَا تَعْدُو كَوْنَهَا فِي الْمَفْهُومِ الشَّرْعِيِّ اجْتِهَادَاتٍ خَاصَّةً، مِنْهَا الْمُصِيبُ وَمِنْهَا الْمُخْطِئُ، وَمِنْهَا الْمُنْحَرِفُ وَالضَّالُّ.

فَكَيْفَ لَا نَفْهَمُ وَبَيْنَ أَيْدِينَا كِتَابٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ، وَلَدَيْنَا سُنَّةُ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ عَاطِرُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ. إِنَّ الَّذِينَ يَقْسِمُونَ دِينَ الْإِسْلَامِ إِلَى نَحْلٍ وَمَذَاهِبَ وَطَوَائِفَ وَأَحْزَابٍ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يَفْسَرُوا الدِّينَ حَسَبَ أَهْوَائِهِمْ وَعِنَادِهِمْ وَصُلُفِهِمْ، إِنَّمَا يُسَيِّئُونَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ قَبْلَ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ، وَيُلْبِسُونَ أَنْفُسَهُمْ لِبَاسَ الْهَرِيمَةِ وَالْفُرْقَةِ وَالشَّتَاتِ.

الَّذِينَ فِيْنَا عَقْلٌ رَشِيدٌ يَرَى كَيْفَ اسْتَعَانَ بِنَا الْأَعْدَاءُ لَضَرْبِ بَعْضِنَا بِبَعْضٍ، فَأَصْبَحْنَا يَقْتُلُ بَعْضُنَا بَعْضًا، وَتَمْتَهُنُ كَرَامَاتُ بَعْضِنَا، وَوَصَلْنَا إِلَى أَدْنَى مُسْتَوَى الضَّعْفِ؟ وَلَمْ يَظْهَرْ فِي هَذَا الْعَصْرِ مَنْ يَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ فَزْهَدَ مَعَهُ، وَتَوَثَّرَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَمَنْفَعَةُ عِبَادِهِ،

وَيَكُونُ الْإِيثَارُ خَلِيقَتَنَا، وَتَبًّا لِأُمَّةٍ لَا تَتَعَطَّ، وَتَتَصَارَعُ عَلَى التَّوْفِيفِ، وَلَا تَعْتَنِي بِقِرَاءَةِ تَارِيخِهَا الْإِسْلَامِيِّ الْمَشْرِقِ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ.

إِنَّا نَعِيشُ مَذَلَّةَ الْوَقْتِ، وَنُكَابِرُ وَنُجَادِلُ بَغَيْرِ الْحَقِّ، فِي أُمُورٍ شَخْصِيَّةٍ عَفَا عَلَيْهَا الزَّمَنُ، وَنُزَوِّيهَا أَحَدَانَا لَنْ يُعِيدَنَا إِلَيْهَا أَحَدٌ، بَلْ إِنَّهَا تَبْقَى فِي خَزَائِنِ التَّارِيخِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ وَالِدِينِيَّةِ، وَحَاصِدٌ مَا زَرَعَ. إِنَّ لَدَيْنَا مِنَ الْمَهَمَّاتِ الَّتِي تَعْتَرِضُ حَيَاتَنَا مَا يَجْعَلُنَا نَحَاوِلُ أَنْ نَجْتَهِدَ فِي لَمْ شَتَاتِ الْمُسْلِمِينَ فِي كَافَةِ أَقْطَارِ الْمَعْمُورَةِ، عَبْرَ الْإِحْسَاسِ الصَّادِقِ وَالتَّوَجُّهِ السَّلِيمِ لِمُعَالَجَةِ قَضَايَانَا. وَلَكِنْ «لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا».

وَفَاةُ الْأُمَّةِ

نَنْعَى إِلَيْكُمْ الْأُمَّةَ الْعَرَبِيَّةَ جَمْعَاءَ. وَقَدْ كَانَ سَبَبُ الْوَفَاةِ دَاءُ الظُّلْمِ، وَدَاءُ الْفَقْرِ، وَدَاءُ الذُّلِّ، وَدَاءُ الْغُدْرِ وَالنَّهْبِ وَالسَّلْبِ وَالْكَذِبِ وَتَزْيِيفِ الْحَقَائِقِ... وَسَتِمُ الصَّلَاةُ عَلَيْهَا فِي مَسْجِدِ الْمُضْطَهَّدِينَ، وَسَيَتِمُّ دَفْنُهَا فِي الْغَابِرِينَ، وَلَا يُوجَدُ عَزَاءٌ لِعَدَمِ وُجُودِ مُعَزِّينَ مُتَقَبِّلِينَ لِلْعَزَاءِ.

رَحِمَ اللَّهُ الْأُمَّةَ الْعَرَبِيَّةَ. قَبْلَ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ سَنَةٍ وَنِيفٍ كَانَتْ مَوْجُودَةً.
إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

مَوْتُ الْعَرَبِ السَّرِيرِيِّ

كَانَتْ حَيَاتِي سِيَاخَةً فِي عَوَالِمِ التَّجَارِبِ الْإِنْسَانِيَّةِ، رَأَيْتُ فِيهَا أَلْوَانَ الطَّيْفِ وَلَمْ أَجِدِ الْأَبْيَضَ، لَوْ أَنَّ صَبَاحَاتِي الْمُعَرَّدَةَ عَلَى غُصُونِ الرَّبِيعِ، أَهْ لَقَدْ غَبَّتْ كَثِيرًا عَنْ نَفْسِي، إِلَى أَنْ عُدْتُ إِلَيْهَا وَعَادَتْ إِلَيَّ.

أَيُّهَا الْمُحِبُّونَ أَوْ الْكَارِهُونَ سَأَفْسَحُ لَكُمْ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ، وَأَتْرُكُ لَكُمْ وَلَائِدَ أَفْكَارِي، تُنَاجِيكُمْ أَمَلًا يَسْتَشْرِفُ قَوَادِمَ الْأَيَّامِ الصَّاحِكَةِ بِأَرِيحِ الْحُبِّ وَالسَّمَاحِ وَالْخَيْرِ وَالْعَفْوِ وَالْعَافِيَةِ، فَلَعَلَّكُمْ تَسْتَقْبِلُونَ رَبِيعًا أَحْلَى مِنْ صَيْفِنَا وَخَرِيفِنَا. فَحَنُّ سَعْدُنَا بِالْمَاضِي وَتَعَبُنَا بِالْحَاضِرِ الدَّامِي الَّذِي نُحَاوِلُ تَضْمِيدَ جَرَاحَاتِهِ، وَلَكِنَّهُ عَصِيٌّ عَلَى الْعِلَاجِ وَالشِّفَاءِ.

أَيُّهَا الْأَحْبَاءُ، أَيُّهَا الْكِرَامُ، أَيُّهَا الْأَعْزَاءُ، أَيُّهَا الْعُلَمَاءُ وَالْمُفَكِّرُونَ وَالْأَدَبَاءُ وَالشُّعْرَاءُ وَالْفَلَاسِفَةُ وَالْحُكَمَاءُ.

أَيُّهَا الطَّبِيبُونَ الصَّادِقُونَ الْمُبْدِعُونَ، أَيُّهَا السَّاهِرُونَ عَلَى خَدِيعَةِ الْوَقْتِ وَبَلَادَةِ الْحِسِّ وَاقْتِنَاصِ سَوَاحِجِ الْحُطُوطِ، سَأَقُولُ لَكُمْ سِرًّا: إِنَّ الْمَسَافَةَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ تَحْطِيمِ جِدَارِ بَرْلِينَ هِيَ نَفْسُ الْمَسَافَةِ الَّتِي يُعَادُ فِيهَا بِنَاءُ سَدِّ مَارِبَ، وَإِنَّ قِرَاءَةَ أَخْطَاءِ أَوْرَبَا وَأَمْرِيكَ الْعِلْمِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ أَهَمُّ مِنْ قِرَاءَةِ كُتُبِ الرِّيَادَاتِ الْعِلْمِيَّةِ عَلَى كَافَةِ وُجُوهِهَا وَمَضَامِينِهَا.

يَوْمًا قِيلَ لَنَا وَنَحْنُ فِي شَرْخِ الشَّبَابِ: إِنَّا سَنَكُونُ مِنَ الْمُشَارِكِينَ فِي صُنْعِ الْحَضَارَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَكِتَابَةِ التَّارِيخِ الْعَرَبِيِّ الْجَدِيدِ، فَحَلَمْنَا كَالْأَطْفَالِ الَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ فَرَحَةَ عِيدِ الْفِطْرِ وَعِيدِ الْأَضْحَى، وَلَمْ تَلَبَّ تِلْكَ الْأَعْيَادُ أَنْ تَأْجَلَ.

وَالْمُشَارَكَةُ فِي صُنْعِ الْحَضَارَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ تَحَوَّلَتْ إِلَى الْمُشَارَكَةِ فِي الْعِصَابَاتِ الْعُدْوَانِيَّةِ ضِدَّ الْإِنْسَانِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَكِتَابَةُ التَّارِيخِ الْعَرَبِيِّ أَحْجَمَ عَنْهَا كُلُّ الْفَاضِلِينَ وَالنَّابِغِينَ وَالْمُتَخَصِّصِينَ وَالْعَارِفِينَ، خَجَلًا مِنْ هَزَائِمِ الْجَهْلِ الْمُحِيطِ بِكُلِّ إِحْبَاطَاتِنَا وَيَاسِنَا وَتَقَاعُسِنَا وَفَسَادِنَا وَعُدُونَانَا عَلَى بَعْضِنَا الْبَعْضِ.

كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّنَا أُمَّةٌ، فَإِذَا بَنَّا غُمَّةً، وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّنِي وَحْدِي مَنْ يَتَوَهَّمُ الضِّيَاعَ وَالْمَوْتَ
السَّرِيرِيَّ لِلْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ، فَاطْمَأْنَنْتُ الْيَوْمَ أَنَّ مَا حَسِبْتُهُ وَهْمًا فِي الْمَاضِي هُوَ حَقِيقَةٌ
الْعَصْرِ وَأَهْلِهِ.

كَيْفَ يَطِيبُ لَنَا؟

كَيْفَ يَطِيبُ لَنَا أَنْ نَضْحَكَ وَنَلْهُو، وَإِخْوَانُنَا وَأَهْلُنَا فِي سُورِيَا يُقْتَلُونَ وَيُسَجَّنُونَ
وَيُعَذَّبُونَ أَمَامَ مَرَأَى الْعَالَمِ الَّذِي يَدْعِي رِعَايَةَ حُقُوقِ الْإِنْسَانِ؟ الْعَالَمُ الْمُتَقَدِّمُ يَدْعِي
الْحَضَارَةَ، وَيَسُوعُ لَنَا كَلِمَةَ الْحُرِّيَّةِ، وَالْحُرِّيَّةُ مَا هِيَ إِلَّا شِعَارٌ سِيَاسِيٌّ لِإِنْهَاكَ الشُّعُوبِ
الْعَرَبِيَّةِ اقْتِصَادِيًّا وَسِيَاسِيًّا. إِنَّهُمْ يُنَادُونَ بِعَدَمِ التَّدْخُلِ فِي شُؤُونِنَا، فِيمَا بَوَارِجُهُمْ تَدْرُعُ
الْبَحْرَ جِيئَةً وَذَهَابًا، كَيْمَا يُحْكِمُوا الْخِنَاقَ عَلَيْنَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَكَيْمَا نَكُونَ الزُّنُوجَ
الْعَرَبِ أَوْ الْعَبِيدَ الْعَرَبِ، فَبَالِلِهِ مَتَى نَنْتَصِرُ لِبَعْضِنَا الْبَعْضُ؟! إِنْ مِنْ أَهْدَافِ الدُّوَلِ الْكُبْرَى
خَلَقَ الشَّقَاقَ وَالْفُرْقَةَ وَالْعَدَاءَ بَيْنَ أَبْنَاءِ الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ مَحَلِّيًّا وَإِقْلِيمِيًّا.

أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ، لِنَتَفَهَّمْ حَقِيقَةَ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ، وَلِنَلْتَفِ حَوْلَ بَعْضِنَا الْبَعْضُ، وَنَبْنِدِ الْفُرْقَةَ
وَالْعُنْصَرِيَّةَ وَالْقَبِيلِيَّةَ، وَنُحَاوِلْ جَمْعَ شَتَاتِ بَعْضِنَا، وَلَوْ بِالتَّضَامُنِ الْوُجْدَانِيِّ الَّذِي يُؤَسِّسُ
لِلْاجْتِمَاعِ وَالْإِيثَارِ، وَإِنَّا فِي مَرَكَبٍ وَاحِدٍ، وَإِنَّ الْإِرْهَابَ لَيْسَ سِوَى إِرْهَابِ الدُّوَلِ
الْعُظْمَى لِلْحُمْلَانِ الْوَدِيعَةِ. فَمَتَى نُحِسُّ أَنَّ أَحْوَجَ مَا نَكُونُ إِلَى بَعْضِنَا بَعْضًا، لِكَيْ يُعِيدَ
أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ وَالْحُرِّيَّةِ حِسَابَاتِهِمْ، وَيَعْتَرِفُوا بِحُقُوقِ الشُّعُوبِ الْمُضْطَهَّدَةِ.

أَيُّهَا الْأَحِبَّاءُ، إِنْ لَمْ نُفَكِّرْ فِي إِشْغَالِ الدُّوَلِ الْكُبْرَى بِقَضَايَا عَالَمِيَّةٍ أُخْرَى فَلَنْ يَتَرَكُونَا
وَشَانُنَا، فَفَكِّرُوا، قَرُّوْا، خَطِّطُوا، وَتَدَبَّرُوا وَلَا تَتَدَابَّرُوا، وَلَا يَقُلْ أَيُّ مِنْكُمْ كَمَا قَالَ الْيَهُودُ
لِمُوسَى: {أَذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} [الْمَائِدَةُ، آيَةُ: 24].

سِيمُفُونِيَّةُ الْغَنَمِ لِلْمُوسِيقَارِ الْعَالَمِيِّ الْكُنْدِيِّ

مععأأأأ ماأأأأأأ مععأأأ.

الرَّاعِي: تعا تعا.. سكسك سك.

الْغَنَمُ: مععأأأأ ماأأأأأأ مععأأأ.

الرَّاعِي: تع تع.. سكسك سك.

الْجَزَّارُ: الذَّبْحُ السَّلْخُ.

الرَّاعِي: الطَّبْخُ الطَّبْخُ.

نَأْكُلُهُمْ أَكْلًا.

الْغَنَمُ: مععأأأأ ماأأأأأأ مععأأأ.

الرَّاعِي وَالْجَزَّارُ: الْأَغْنَامُ تَظَاهَرُ رَفْضًا لِلذَّبْحِ، الظُّلْمِ، الْفَقْرِ، الْمَرَضِ، الرِّشْوَةِ، وَاسْتِبْدَادِ قِضَاةِ الْأَرْضِ.

الرَّاعِي لِلْجَزَّارِ: اذْبَحْهُمْ.

الْجَزَّارُ: كَمْ أَنْتَ سَتَذْبَحُ مِنْهُمْ؟ فَهُمْ بِالْآلَافِ.

الرَّاعِي: اذْبَحْهُمْ لِنَعِيشَ عَلَى أَشْلَاءِ الْمَوْتِ.

الْجَزَّارُ: أَرَى الْأَغْنَامَ تَكْشُرُ عَنْ أَنْيَابِ الثَّأْرِ.

الرَّاعِي: اذْبَحْ مِنْهُمْ سَيَخَافُ الْكُلُّ.

الْجَزَّارُ: أَخْشَى مِنْ حَدِّ الْقَرْنِ.

وَأَخْشَى مِنْ حَشْدِ الْحَشْدِ.

الرَّاعِي: مَاذَا نَفْعَلُ فِي الْأَمْرِ؟

الْجَزَّارُ: نُعْطِيهِمْ بَرَسِيمًا وَشَعِيرًا وَبُذُورًا.

نَسْقِيهِمْ مِنْ مَاءٍ مَمْطُورٍ.

فَالظُّلْمُ إِذَا مَا جَرَحَ الْعَدْلُ يَثُورُ.

كَرَّمَنِي الْعَصْرُ

لَيْسَ لَدَيَّ مَا أَخَافُ عَلَيْهِ، فَشَعَارِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. وَمَجْدِي نِلْتُهُ فِي حَيَاتِي، وَقَدْ كَرَّمَنِي الْعُظَمَاءُ مِنْ أَهْلِ عَصْرِي، فَلَسْتُ بِحَاجَةٍ إِلَى تَكْرِيمِ الْجُهَلَاءِ.

مُعَانَاةُ الْفَنَانِ

لَا تَجْعَلْ حَيَاتَكَ مُرْتَبِطَةً بِأَدِيبٍ أَوْ شَاعِرٍ، فَهُوَ نَسِجٌ مُخْتَلَفٌ يُصِيبُ مَنْ لَا يَعْرِفُ اخْتِلَافَاتِهِ بِالْمَلَلِ وَالضِّيقِ، فَهُوَ يَعِيشُ فِي عَزْلَةٍ، وَيَخْلُو إِلَى نَفْسِهِ مُصَاحِبًا التَّأْمُلَ الْقَلَقَ وَالْمَجَاهِدَةَ عَلَى اسْتِنطاقِ الْمَجْهُولِ، وَأَمَّا أَنْ تَلْتَمِسَ لَهُ الْعُذْرَ فِي تَقَلُّبَاتِهِ الْمِرَاجِيَةِ أَوْ تَرْحَلَ عَنْهُ، فَهُوَ كَأَنْ يَصْطَنِعَ لَكَ مِنْ تَقَلُّبَاتِهِ الْمِرَاجِيَةِ عَقْلَانِيَّةَ الْوُجُودِ وَعُدُوبَةَ الْحَيَاةِ، وَيُشْعِلَ لَكَ الظُّلُمَاءَ نُورًا تُبْصِرُ بِهِ حَقِيقَةَ الْأَشْيَاءِ، وَيَفْتَحُ لَكَ أَبْوَابَ الْمَغْلَقِ وَالْمُسْتَحِيلِ، وَهُوَ مَنْ احْتَبَسَ عَقْلَهُ وَقَلْبَهُ فِي سَبِيلِ الْحَيَاةِ. يَجْعَلُ مِنَ الْمَهِّ شِفَاءً لِلْآخِرِينَ، وَلَكِنَّكَ تَظُنُّهُ أَسْعَدَ إِنْسَانٍ، وَهُوَ الْمُعَذَّبُ بِفِكْرِهِ وَقَلْبِهِ، فَلَا تُصَاحِبْ فَنَانًا إِذَا لَمْ تُدْرِكْ حَقِيقَةَ مُعَانَاةِ الْفَنَانِ.

عَوْرَاتُ

هَلْ نِمْتُمْ أَيُّهَا الْأَحْبَاءُ عَنْ عَوْرَاتِ الْوَقْتِ؟ أَيْكُونُ الْجِنْسُ هُوَ آخِرَ تَطَلُّعَاتِكُمُ الرُّوحِيَّةِ؟ دَعُونَا نَسْأَلُ عَنِ الرَّغَبَاتِ وَالْأُمْنِيَّاتِ، دَعُونَا نَعْرِفُ مَنْ نَحْنُ فِي هَذَا الْكُونِ.

رَفَقًا أَنِهَا الزَّمَنُ

أَرْجُوكَ أَيُّهَا الْأَمَلُ أَنْ تَحْتَفِيَ بِالزُّهُورِ مِنْ أَبْنَائِنَا الشَّبَابِ وَالشَّبَابَاتِ، أَرْجُوكَ أَنْ تَخْلَصَهُمْ مِنْ كَوَابِسِ الْهُمُومِ وَالْأَمِّ الْخُصُومِ، أَمْلَأْهُمْ بِالْحُبِّ وَالْعَزِيمَةِ، وَهَبْهُمْ الْقُوَّةَ عَلَى مُجَاهَدَةِ الرِّزْقِ، وَأَغْنِهِمْ عَنِ الْحَاجَةِ وَالسُّوَالِ، فَظُرُوفُ الْعَصْرِ أَصْبَحَتْ مُكَلَّفَةً، وَالْعَيْشُ أَصْبَحَ مُحَاطًا بِهَالَاتٍ مِنَ التَّغْيِيرِ، وَحَالَاتٍ مِنْ اقْتِنَاصِ الْفُرْصِ، عَلَى حِسَابِ الضُّعْفَاءِ. وَالْكَفَافَاتِ لَمْ تَعُدْ ذَاتَ قِيَمَةٍ إِلَّا عِنْدَ الْغَرِيبِينَ الَّذِينَ يَحْكُمُونَ الْعَالَمَ، وَيَتَحَكَّمُونَ فِي مَصَائِرِ الشُّعُوبِ وَأَرْزَاقِهِمْ وَثَرَوَاتِهِمْ.

أَرْجُوكَ وَأَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ أَيُّهَا الْأَمَلُ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى هَؤُلَاءِ الشَّبَابِ، وَأَنْ تَمْنَحَهُمُ الْفُرْصَ لِيَعِيشُوا سَعْدَاءَ أَعْرَاءَ. فَالْمُسْتَقْبَلُ لَا يُبَشِّرُ إِلَّا بِالْإِنْحِطَاطِ الْأَخْلَاقِيِّ وَالتَّشَرُّدِ وَالتَّسَكُّعِ عَلَى أَبْوَابِ الْفَاقَةِ وَالْعُوزِ.

أَرْجُوكَ أَيُّهَا الْأَمَلُ، أَرْجُوكَ أَيُّهَا الْأَمَلُ، أَرْجُوكَ أَرْجُوكَ، فَأَوْلَادُنَا فَلذَاتُ أَكْبَادِنَا الَّتِي تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ.

أَخَافُ مِنْكَ عَلَيْكَ

أَنَا الطَّائِرُ الْغَرِيبُ وَالْعَاشِقُ الْحَبِيبُ. دَعْنِي أَحِبَّكَ بِذَكَائِي لَا بِغَبَائِكَ. دَعْنِي أَحْسَكَ فَرَحَ أَيَّامِي، لَا نَقَمَةَ الْوَدَاعِ عَلَى مَشَارِفِ الرَّحِيلِ، تَبْدَأُ أَوْلَى هَمَسَاتِي لِأَقُولَ لَكَ: إِنِّي لَا أَحِبُّ الْجِرَاحَ، وَأَبْغِضُ الْبُغْضَ، وَأَتَلَمَّسُ بَقَايَا الْعُمُرِ فِي هَدَاةِ الْحِمَا الْكُوْنِيِّ. مِلْتُ مِنْ أَنْ أَدَارِيكَ عَلَى وَقَعِ هُمُومِ الصَّبْرِ، أَرْفُضُ أَغْذَارَ الصَّلَفِ الْمُتَمَلِّئِ بِالْحَقْدِ، كُنْ بَعْضَ تَارِيخِي الْعَظِيمِ، كُنْ إِلَهَامِي حِينَ تَنْبُقُ أَعْيَادُ الْفَجْرِ عَلَى مُحِيَا الرَّبِيعِ.

أَسْرَفْتُ عَلَى نَفْسِكَ فِي وَهْمِ امْتِلَاكِي، فَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ أَكُونَ أَحَدَ مُقْتَنَاتِكَ الْمُضْوَوعَةِ عَلَى زُجَاجِ أَحْلَامِكَ.

أَرْجُو أَلَّا تُحَطِّمَ نَفْسَكَ عَلَى أَعْتَابِ بَرَاءَتِي، لَتَعُودَ وَتُلْقِي بِاللَّائِمَةِ عَلَى بُدُورِ أَيَّامِي،
وَتَتَوَهَّمَنَّ أَنِّي كُنْتُ الْبَادِي فِي قَطْعِ شَرَايِينِ الْعُمَرِ.
آه مِنْكَ وَعَلَيْكَ، حِينَ أَكُونُ بِدَايَاتِكَ وَتَكُونُ نِهَايَاتِي.
آه مِنْ صَبْرِي عَلَى اغْتِرَابِ رُوحِكَ، فَأَنَا أَخَافُ مِنْكَ عَلَيْكَ.

الْبَسْمَةُ الشَّحِيحَةُ فِي مِصْرَ

هَذِهِ سَطُورٌ فِي إِطْلَاقِ أَوَّلِ مُبَادَرَةٍ نَفْسِيَّةٍ فِي مِصْرَ:
مَاذَا لَوْ اسْتَمَرَّتِ الْأَوْضَاعُ السِّيَاسِيَّةُ كَمَا هِيَ الْآنَ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ؟ وَمَاذَا لَوْ اسْتَمَرَّتِ
الْأَوْضَاعُ الْاِقْتِصَادِيَّةُ عَلَى وَضْعِهَا الرَّاهِنِ لِفَتْرَةٍ أَطْوَلٍ؟ مَاذَا لَوْ اسْتَمَرَّتِ حُكُومَةٌ وَسُلْطَةٌ
وَنُخْبَةٌ أَقْلٌ مِنْ مُسْتَوَى الشَّعْبِ؟ وَمَاذَا لَوْ لَمْ يُعَجَّلِ اللَّهُ بِالْفَرَجِ الْقَرِيبِ؟ هَلْ يَمُوتُ
الْمِصْرِيُّونَ مِنَ الْقَهْرِ النَّفْسِيِّ؟ هَلْ يَتَوَالَى شُهَدَاءُ الْحُبِّ لِهَذَا الْوَطَنِ مَرَضًا وَكَمَدًا؟!
يَقُولُ عُلَمَاءُ النَّفْسِ: إِنَّ الْمِصْرِيِّينَ فَقَدُوا سِمَاتِ كَانَتْ فِيهِمْ لِآلَافِ السِّنِينَ، مَاتَتْ
الضَّحْكَةُ وَغَابَتِ الْبُهْجَةُ، وَأَصْبَحَتِ الْبَسْمَةُ شَحِيحَةً بَيْنَ النَّاسِ. لَمْ نَعُدْ هُنَاكَ قَفْشَاتٍ
وَلَا نِكَاتٍ، وَلَا مُمْتِنَعُونَ وَلَا حَكَائُونَ. بَلْ أَصْبَحَتْ مَجَالِسُهُمْ بِمُعْظَمِهَا صَالُونَاتٍ لِإِدَارَةِ
النَّكَدِ!

إِلَهِي

إِلَهِي أُحِبُّكَ بِفَطْرَتِكَ لَا بِاِكْتِسَابِي، وَأُطِيعُكَ بِقُدْرَتِكَ لَا بِقُدْرَتِي، وَأَعْصِيكَ بِضَعْفٍ نَفْسِي الْأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ، وَعِلْمِي بِحِلْمِكَ أَطْمَعَنِي بِرَحْمَتِكَ، وَغُفْرَانُكَ الزَّمَنِي طَلَبَ عَفْوِكَ. أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّي عَبْدُكَ. لَكَ مَا تَشَاءُ بِقُدْرَتِكَ الْأَزَلِيَّةِ، الَّتِي لَا يَعْلَمُ خَيْرَهَا وَشَرَّهَا إِلَّاكَ. وَالْخَطِيئَةُ شَرَفٌ حِينَ يُخْطِئُ الْعَبْدُ وَيَتُوبُ. إِنَّا لَوْ لَمْ نَكُنْ مُخْطِئِينَ لَمَا عَارَضَنَا مَشِيتُكَ، فَكُنَّا كَالشَّيْطَانِ الَّذِي كَابَرَ عَلَى أَمْرِ رَبِّهِ وَخَرَجَ مِنْ رَحْمَتِهِ إِلَى هَلَاكِهِ الْأَبَدِيِّ. وَلَكِنَّا نُخْطِئُ لِنَرَى نَقْصَنَا، وَنَرَى كَمَالَكَ عَلَى مَخْلُوقَاتِكَ. أَفَأَنْتَ مُعَذِّبُنَا يَا مَوْلَايَ بِكُلِّ نَقِصَةٍ فِيْنَا، لَكَ أَمْرُهَا وَلَنَا فِعْلُهَا؟ نَرْتَكِبُهَا عَلَى عِلْمٍ بِجَهْلِنَا وَعِلْمٍ بِعِلْمِكَ ضَعْفُنَا وَقِلَّةَ حِيلَتِنَا. إِنَّ فِي مَعْصِيَتِنَا طَاعَتَكَ، إِذْ أَرَدْنَا خَطَايَيْنِ وَأَرَدْنَا مُسْتَغْفِرَيْنِ.

هَذَا نَحْنُ نُخْطِئُ كَيْ نَسْتَغْفِرَكَ. فَقُوَّتُكَ لَا تُعَادِلُ ضَعْفُنَا، وَفَضْلُكَ لَا يُقَابِلُ جُحُودَنَا، وَكَرَمُكَ لَمْ يَدْخُلْهُ بُخْلٌ يَمْنَعُ عَطَاءَكَ. وَمِنْ كَمَالِ عَظَمَتِكَ وَكِبَرِ ذَاتِكَ أَنْكَ جَعَلْتَ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ وَالرِّزْقَ مِنْكَ إِلَيْكَ وَعَلَيْكَ وَلَدَيْكَ، وَإِلَّا لَأَسْرَفَ الْخَلْقُ ظُلْمًا عَلَى بَعْضِهِمُ الْبَعْضَ. فَاعْفُ عَمَّنْ تَعْلَمُ أَنَّهُمُ الْخَطَاوُونَ الْمُسْتَغْفِرُونَ.

أَنْتَ أَعْظَمُ مَنْ أَنْ يَقِفَ أَمَامَكَ مُذْنِبٌ، وَتَعْلَمُ أَنَّهُ مُذْنِبٌ بِضَعْفِهِ، فَتَوَّخِذْهُ، لِأَنَّ عَفْوَكَ وَرَحْمَتَكَ وَرِضَاكَ أَكْبَرُ مِنَ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ.

يَا رَبِّ، لَيْسَ عِنْدِي مِنْ شَيْءٍ أَقُولُهُ لَكَ إِلَّا أَنِّي عَبْدُكَ الضَّعِيفُ الْمُذْنِبُ الْفَقِيرُ الْفَقِيرُ إِلَى رَحْمَتِكَ. ارْحَمْنَا ضَعَفَاءَ، جُهَلَاءَ، فَقَرَاءَ، عُصَاةَ، حُفَاةَ، عُرَاةَ، وَقَانِطِينَ إِلَّا مِنْ رَحْمَتِكَ. أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ يَا اللَّهُ بِعِلْمِكَ الْمَكْنُونِ فِي سِرِّ مَلَكُوتِكَ، أَنْ تَجْعَلَنَا خَالِصِينَ مُخْلِصِينَ لَكَ، وَيَكُونَ رِضَاكَ عَنَّا وَعَلَيْنَا هُوَ رِضَانَا مِنْكَ.





إِهْدَاءٌ

إِلَى عُمْرِي



الْخُصُوصِيَّةُ

أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ، أَنَا مُؤْمِنٌ بِالْخُصُوصِيَّةِ فِي الْإِبْدَاعِ الْفِكْرِيِّ عَلَى سَعَتِهِ وَضُرُوبِهِ وَأَشْكَالِهِ، لَا أَفَرِّقُ بَيْنَهُ فِي النُّوعِ وَلَكِنْ فِي الْقُدْرَةِ التَّعْبِيرِيَّةِ.

هَلْ جَرَّبْتَ عَزِيزِي الْقَارِئُ أَنْ تَسْتَكْشِفَ قُدْرَةَ اللَّهِ فِيكَ حِينَ مَنَحَكَ -إِضَافَةً إِلَى مُكَوِّنَاتِ الْجِسْمِ- ذَلِكَ الْعَقْلَ الَّذِي لَوْ انْطَلَقَ مِنْ عَقَالِهِ فِي بَصِيرَةِ الْوَعْيِ لَاسْتَخْرَجْتَ مِنْ أَفَاوِيْقِهِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَأَصْبَحْتَ أَحَدَ الْقَادِرِينَ عَلَى الْخَلْقِ وَالِابْتِكَارِ؟ لِمَذَا يَضْرِبُ الْأَحْبَابُ وَالِدَّةً وَالْخَجَلُ وَالسُّكُونُ بِأُطْنَابِهِ عَلَى الْعُقُولِ؟.

أَنْتَ يَا قَارِئِي قِيَمَةٌ أَبْدَعَهَا اللَّهُ، وَالْقِيَمَةُ الْإِنْدَاعِيَّةُ مِنَ الْإِلَهِ مُتَحَسِّدَةٌ فِيكَ، وَلَكِنَّكَ تَعِيشُ تَحْتَ ظِلَالِ الْخَوْفِ وَالتَّبَعِيَّةِ الْفِكْرِيَّةِ وَكَأَنَّكَ تَنْظُرُ أَنَّ الْكُونَ الْفِكْرِي وَالْخَيَالَ الْإِبْدَاعِي لَمْ يُخْلَقْ إِلَّا لِعَبْرِكَ! هُنَا أَنْتَ تُخْطِئُ وَأَنْتَ تُنْكِرُ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكَ إِذْ وَهَبَكَ هَذَا الْعَقْلَ الَّذِي لَهُ خُصُوصِيَّةٌ مُتَفَرِّدَةٌ لِإِبْدَاعِكَ الْخَاصِّ وَتَفَكِيرِكَ الْخَاصِّ.

عُدْ يَا عَزِيزِي إِلَى آيَاتِ مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ الْإِلَهِيِّ وَتَدَبَّرْ كَمْ مَرَّةً ذَكَرَ اللَّهُ مَا لِلْعَقْلِ مِنْ وَاجِبَاتٍ حِينَ يَقُولُ {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ}... {أَفَلَا يَعْقِلُونَ} أَوْ بِمَا مَعْنَاهُ لَا بِنَصِّهِ دَعْوَةٌ إِلَى التَّفَكُّرِ وَالتَّدَبُّرِ وَالتَّعَقُّلِ. اللَّهُ يَدْعُو الْعَقْلَ الْإِنْسَانِي إِلَى التَّدَبُّرِ فِي آيَاتِهِ الْكُونِيَّةِ لِيَرَى عَظِيمَ صُنْعِهِ فِيكَ عِنْدَمَا تَكْتَشِفُ إِحْدَى الظَّوَاهِرِ الْكُونِيَّةِ، أَوْ أَنْ تُبْدِعَ فِي مَجَالٍ يُقَدِّمُ لِلْإِنْسَانِيَّةِ عَمَلًا مَحْمُودَ الْأَثَرِ، أَوْ حِينَمَا تُبْدِعُ فِي الشَّعْرِ أَوْ أَحَدِ ضُرُوبِ الْفَنِّ وَالْعِلْمِ، وَأَنْتَ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ مُحَاسَبٌ وَعَاصٍ لِمَا أَرَادَكَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَهُ إِذَا لَمْ تُعْمَلْ عَقْلُكَ كَمَا أَرَادَ لِمَا أَرَادَ. لَنْ يَكْتَمِلَ الْإِنْسَانُ فِكْرًا إِلَّا بِإِضَافَةِ فِكْرِيَّةٍ مِنْ إِنْسَانٍ آخَرَ. فَإِنَّ الْعُلُومَ وَالْفُنُونَ وَالِاِكْتِشَافَاتِ وَالِإِبْدَاعَاتِ وَالْعَبَقَرِيَّاتِ وَالدَّكَاءِ لَيْسَتْ وَقْفًا عَلَى أَحَدٍ وَلَا حِكْرًا لَهُ أَوْ عَلَيْهِ؛ لَا.. إِنَّمَا بَعْدَ إِعْمَالِ الْعَقْلِ فِيكَ أَنْتَ تَنْقُصُ مِنَ الْعَطَاءِ وَالتَّكَامُلِ حِينَ تُثَبِّطُ الْعَقْلَ عَنْ دَوَائِعِهِ الْخَلْقِيَّةِ وَتَحْجُبُ شَيْئًا هُوَ فِيكَ وَضَمْنِ عَنَاصِرِ تَكْوِينَاتِ عَقْلِكَ. مَا دَامَ اللَّهُ أَبَدَعَ الْكُونَ بِكُلِّ مَجَرَّاتِهِ الْمُعْجِزَةِ وَهَيُولَاهُ الْعَظِيمِ وَأَنْتَ فِي سُبَاتٍ عَقْلِيٍّ، فَذَلِكَ هُوَ الْجُحُودُ وَالتَّنْكَرُّانُ لِنِعْمَةِ الْعَقْلِ. وَفِي نَظَرِي أَنَّ الْإِنْسَانَ فِكْرٌ وَرُوحٌ وَجِسْمٌ، سَيَذْهَبُ الْجِسْمُ وَيَتَحَلَّلُ وَتَبْقَى الرُّوحُ الَّتِي تَصْعَدُ إِلَى بَارِيهَا، وَيَبْقَى الْفِكْرُ أَثَرًا بَعْدَ عَيْنٍ يَتَحَدَّثُ بِاسْمِكَ فِي الْخَالِدِينَ.

أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، أَنْتَ مُعْجِزٌ فِي خَلْقِكَ، فَأَرِنَا مُعْجِزَةً مَّا أَوْدَعَهُ اللَّهُ فِيكَ، وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ بِالْعَمَلِ عَلَى إِظْهَارِ مَا فِيكَ لَا حَاجَةَ كَيْ لَا تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ لِأَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكَ.

22 ديسمبر 2018

الفكر السياسي بين الاستقطاب وبين التنوع

هكذا نرى تفكك الفكر العالمي، فهو لم يعد فكراً سيادياً تلتف حوله النخب العموم في العالم؛ بل هو من يخضع النخب له حيث أصبح الفكر السياسي في معظم الدول متفرعاً عن الفكر السياسي العالمي يعمل موظفاً يؤدي مهمات مقررة عليه يقوم فقط بالترويج والتنفيد وليس من اختصاصه التدخل في القرارات بالجرح أو التعديل أو الرفض أو القبول. ذلك ليس من شأن الفكر السياسي المتفرع من الفكر السياسي العالمي المعاصر.

فقرارات الفكر السياسي العالمي هي مناهج موضوعية ومصممة ومنسقة ومربّبة، قد عمل عليها فكر بحثي يقنن مبادئه ويقوم بتدريسه للعامة فكراً ليس اختيارياً بل قسرياً يكون لدارسه ومعتنقيه حق الانضمام إلى النخب في كل قطر يقبل بالانضمام تحت لواء المدارس الفكرية السياسية للأقوى بحيث يمارس كل موقع سياسي ما يصدر إليه من الفكر السياسي الأعلى، وله بعض الخصوصيات مكافئة له على الإذعان للفكر الأعلى. كان الناس في الماضي يتبعون مدارس فكرية متعددة يكون الانتماء إليها من خلال القناعات لأساليب الطرح الإبداعي حيث كانت مناهج يدرسها العامة ولهم حق الانتماء إلى فكر بعينه في مفرداته وتنوعاته، ما فتح للفكر العالمي بكل أشخاذه حق التلاحق وتطوير النظريات واستلهاهم الإبداعات في تخليق النطف الفكرية في أقطار المعمورة.

ونحن عندما نقول الفكر السياسي العالمي هو المتفرد بالقرارات لا ننكر أو نلغي مجاميع الأفكار في العلوم والفنون والآداب بكل أشكالها؛ ولكن نحن نقول بأن كل تلك التنوعات الفكرية مهما تفردت وتميزت فهي تقع تحت مناهج ومقررات الفكر السياسي العالمي، فلا يمكن لأي فكر أن يعلن استقلاله أو انتماء النخب إليه دون مباركة الفكر السياسي العالمي. وهذا الاستقطاب الأحادي يجعل كل مناهج العقل الإبداعي رهيناً لما تسمح به المناهج السياسية المقررة، وإلا فإن أي فكر خلاق لا يلقي ما يؤيده من الدعم الأممي لأنه تجاوز حدوده في إعلان فكر لا يخدم الفكر السياسي العالمي أولاً، وتظل الفضيلة العظمى للفكر السياسي العالمي المنوط بالقوى العظمى هو

حِمَايَةُ أَيِّ فِكْرٍ مُبْدِعٍ حِينَ يَكُونُ قَدْ أَكَّدَ انْتِمَاءَهُ، وَدَفَعَ مَا يَتَوَجَّبُ عَلَيْهِ فَرِيضَةُ مُقَدَّمَةِ لِحَاظِ الْفِكْرِ السِّيَاسِيِّ الْعَالَمِيِّ؛ لَكِنَّهُ بِالْمُقَابِلِ أَوْضَعَفَ الْفِكْرَ الْإِبْدَاعِيَّ بَلِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمْنَعُ وَصُولَهُ إِلَى الْعَامَّةِ، الْأَمْرَ الَّذِي تَرَكَ هَالَاتٍ كَبْرَى مِنَ الْإِحْبَاطَاتِ الْفِكْرِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ فَأَحْجَمَ الْمُبْدِعُونَ وَالْعُلَمَاءُ التَّطْبِيقِيُّونَ وَالشُّعْرَاءُ وَالْأَدَبَاءُ عَنْ مُمَارَسَةِ طُقُوسِهِمْ لِلإِنْتِاجِ الْفِكْرِيِّ الْمُتَنَوِّعِ، مِمَّا أَوْجَدَ بَيْنَهُ حَاضِنَةً وَمُنْتَجَةً لِلْفِكْرِ الْمُتَسَطِّحِ وَالسَّاقِطِ وَالسَّخِيفِ بِأَنْ يَحْتَلَّ مَوَاقِعَ لَيْسَتْ ذَاتَ بَالٍ وَلَا قَدَرٍ، وَلَكِنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ تَأْفَهُةً وَجَدَتْ مَنْ يَنْتَبِيهِ إِلَى تَفَاهُتِهَا مَا دَامَ هُنَاكَ مَرْدُودٌ مَالِيٌّ لِمِثْلِ هَذَا الْفِكْرِ وَهُوَ مَا نُشَاهِدُهُ وَنَعِيشُ أَحْدَاثَهُ وَوَاقِعَهُ الْأَلِيمَ. وَنَتِيجَةُ لَذَلِكَ نَتَجَّ وَاقِعٌ جَدِيدٌ مِنَ الْغِنَى وَالثَّرَاءِ لِفَنَاتٍ مُعْتَنِفِي تِلْكَ الْأَفْكَارِ التَّافَهُةِ، وَمِنْ هَذَا الْخَلْقِ الْعَجِيبِ نَشَأَتْ ثَقَافَاتُ الطَّبَقَاتِ الْمُتَرَفِّةِ السَّاقِطَةِ الْجَدِيدَةِ، وَالْقَتَّ بِظِلَالِهَا عَلَى النُّخْبِ الَّتِي تُرَوِّجُ لِلانْتِمَاءِ إِلَيْهَا لِتُصْبِحَ ضَمْنِ مَنْظُومَةِ الْقِيَمِ الْجَدِيدَةِ لِلْأَجْيَالِ الْقَادِمَةِ.

الْفِكْرُ الْخَلَاقُ مُوجُودٌ، إِنَّمَا هُوَ مُوظَّفٌ لَدَى الْفِكْرِ السِّيَاسِيِّ لَا يَعْتَدُّ بِالْفَرْدِيَّةِ الْمُبْدِعَةِ وَإِنَّمَا هُوَ إِبْدَاعٌ مَدْفُوعٌ لِلثَّمَنِ لِلْفِكْرِ السِّيَاسِيِّ، لَهُ الْحَقُّ فِي اسْتِغْلَالِهِ، وَلَهُ الْمِلْكِيَّةُ الْفِكْرِيَّةُ فِي نَتَاجِهِ، وَلَهُ حُدُودٌ لَا يَسْتَطِيعُ تَجَاوُزَهَا.

فِي الْحَقِيقَةِ نَحْنُ نَرَى أَنَّ ذَلِكَ الْاسْتِفْطَابَ قَدْ نَظَّمْ خُطَوَاتِهِ وَاتَّجَاهَاتِهِ لِيَكُونَ ذَا هُويَّةٍ وَشَخْصِيَّةٍ اِغْتِبَارِيَّةٍ اسْتَوْعَبَتْ كُلَّ النُّفُوسِ تَحْتَ ذَرِيْعَةِ الْإِمْتِثَالِ لِلنِّظَامِ الْعَالَمِيِّ السَّائِدِ وَالْخُرُوجِ عَلَى تَشْرِيعَاتِهِ وَتَبْنُوْدِهِ لَا يَصْرُ إِلَّا بِالْفَرْدِ أَوْ الْجَمَاعَةِ الَّتِي لَا تُؤْمِنُ بِمَنَهِجِهِ وَمُقَرَّرَاتِهِ وَقَرَارَاتِهِ؛ لِذَا فَهُوَ مُحْكَمُ التَّنْظِيمِ مُجَابٌ بِطَوَاعِيَّةٍ مَهْمَا كَانَتْ سَلْبِيَّاتُهُ؛ لِأَنَّ الرَّفْضَ هُوَ كَمَنْ يُعَرِّدُ خَارِجَ السَّرْبِ، أَوْ كَمَنْ يَصْرُخُ فِي فَلَاةٍ، وَإِنْ قُلْنَا إِنَّ فِكْرَ الْاسْتِفْطَابِ السِّيَاسِيِّ الْعَالَمِيِّ سَيَكُونُ هُوَ الْمُقَرَّرَ لِلْمُقَدَّرَاتِ لَكِنَّهُ لَمْ يَضَعْ فِي حُسْبَانِهِ وَضَمَّنَ حِسَابَاتِهِ أَنَّ الْأَفْكَارَ الْمُسْتَفْطَبَةَ وَالْمُوظَّفَةَ لَدَى الْفِكْرِ السِّيَاسِيِّ الَّتِي تَرَى أَنَّ التَّفَكِيرَ وَالْإِبْدَاعَ هُمَا رَهْنٌ لِلْفِكْرِ السِّيَاسِيِّ فَإِنَّهَا سَتَفَلَّتْ فِي هَمَجِيَّةِ الْخُرُوجِ عَنِ النِّظَمِ الْعَالَمِيَّةِ، وَسَتَصَرَّفُ وَفَقَ مَنَهِجِ السَّقُوطِ النَّفْسِيِّ حِينَ تُحْسِنُ بِفَقْدَانِ مُقَوِّمَاتِ الْعَيْشِ الْكَرِيمِ، وَإِنَّهَا تَعْمَلُ لِصَالِحِ النُّخْبِ السِّيَاسِيَّةِ وَهِيَ تَعِيشُ مَذَلَّةَ الْفَقْرِ وَالْهَوَانِ وَالْجُوعِ، فَرَسَالَتُهَا سَتَكُونُ هِيَ نَفْسَ رِسَالَةِ مَجْمُوعَاتِ الشُّرَاتِ الصُّفْرِ بِفَرَنْسَا، وَسَوْفَ يَكُونُ لِتَصَرُّفَاتِهَا أَسْوَأَ الْأَثَارِ عَلَى أَقْطَارِهَا بِحَيْثُ إِنَّهَا سَتَحْتَرِفُ التَّخْرِيبَ وَالنَّهْبَ وَالْحَرْقَ

والتكسير لكل مكتسبات الأوطان، وإن كان الكثير يرفض الخروج أو الرفض لتلك المناهج لأنها تجارب قابلة للتحسين والتطوير لصالح المجموع لتصب في صالح الفرد؛ ولكن الأفكار التي لا تكون بقدر الفكر السياسي، والتي تستشعر وطأة الحياة؛ قد لا تستوعب المراحل الانتقالية لمستويات التطوير في النظريات المحققة لرفاهية بقية الأفكار الإنسانية، فكيف يفتنع الفقير والجائع والمدين وهو معرض للموت من جراء الفاقة والعوز؟ كيف تقدر بطون الجوع في أوروبا وأمريكا على التحمل والصبر دون أن يكون لها ما يسد رمقها ويشبع جوعها؟

إن العالم الإنساني يزداد تكاثراً، وسيزداد، ومقومات العيش مُحْتَكِرَةٌ في يد الفكر السياسي العالمي الذي يفترض أن يوظف الأفكار للإنتاج الزراعي والحيواني في جميع البلاد قبل أي فكر تقني كي لا يمتنى بهزيمة فكره وإشغال مواقع النفوس وهو شيء لا بد حاصل وهو ما سيقبّل النظرية الرأسمالية العالمية رأساً على عقب، وسيُتيح للفكر الإنساني استحداث نظريات تُعنى بالإنسان وتُخفف من ميزانيات تصنيع السلاح وميزانيات أخرى ليست ضرورية، ومن هنا نرى أن الأفكار التي احتكرتها الأفكار السياسية العالمية أو دللتها لها أو منعته من إنتاج أفكارها؛ هي أفكار رائدة ومُدافعة عن الأفكار السياسية حين تأخذ بمناهجها، لا أن تفرض هي مناهجها؛ لأن في تنوع الأفكار وانطلاق الابتداعات لخيرية الإنسان حماية لدوافع العبت والإضرار بالإنسان والأوطان.

15 يناير 2019

تَجْرِيبَةٌ

أَسِيلُ: أُمَاهُ، أَمَا وَجَدْتَ الْفَرْقَ بَيْنَ زَمَانِنَا وَزَمَانِكُمْ حَتَّى تَقُولِي؟
الْأُمُّ: بَلَى وَجَدْتُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً؛

الْحَيَاةُ تَغَيَّرَتْ.

بِالْأَمْسِ كُنَّا فِي جِهَادٍ وَنَصَبٍ،

كَانَتْ مَدَائِنُنَا قُرَى،

كُنَّا نَذُودُ الْمَاءَ مِنْ آبَارِ قَرْيَتِنَا عَلَى ظَهْرِ الْبِغَالِ أَوْ الْجِمَالِ أَوْ الْحَمِيرِ،

وَحِينَ تَمْتَلِئُ الْقَرْبُ

كُنَّا نَسِيرُ وَنَحْتَذِي بِحِذَاءِ هَذِهِ الْأَرْضِ اللَّهَبَ،

وَنَعُودُ ثَانِيَةً إِلَى مَضَارِينَا لِكَيْ نَطْهُوَ الطَّعَامَ

وَنَصْنَعَ اللَّبَنَ الْمَخِيضَ وَالْمَضِيرَ

وَنُخَبِزَ الْقَمْحَ دَقِيقَ الْخُبْزِ نَصْنَعُهُ نَضِيرًا، وَالسَّمْنُ كَانَ يَلْدُ مِنْ شَحْمِ الْخِرَافِ أَوْ الْمَعِيزِ.

وَكَانَ رِجَالُنَا يَرْعَوْنَ قَوَافِلَ الْأَنْعَامِ وَالْأَغْنَامِ فِي الصَّحْرَاءِ

حَتَّى إِذَا مَا جَنَّ لَوْنُ اللَّيْلِ عَادُوا بِالتَّعَبِ،

لَكِنْ يُمَيِّزُ عَصْرُنَا صِدْقُ الشُّعُورِ مَعَ الْبَشَرِ.

أَسِيلُ: وَهَلْ هَذَا الَّذِي يَقُومُ بِهِ الرِّجَالُ فِي قَبَائِلِكُمْ فَقَطْ؟

الْأُمُّ: لَا، بَلْ إِنَّ وَاجِبَهُمْ وَإِنْ قَلَّ الْأَهْمُ.

إِنَّهُمْ فِي الصَّيْدِ أَوْ فِي الْحَرْبِ هُمُ الرِّجَالُ وَفِرْسَانُ الْقَبِيلَةِ

إِنْ أَصَابَ الْقَوْمَ قَرْحٌ.

وَهُمْ بِوَقْتِ السَّلْمِ زُرَّاعٌ وَحُرَّاسٌ عَلَى صَوْنِ الدِّمَمِ.

أَسِيلُ: مَا الْفَرْقُ يَا أُمَاهُ فِيمَا بَيْنَ حَاضِرِنَا وَأَمْسٍ؟

الْأُمُّ: شَتَانِ يَا (إِبْنِي أَسِيلُ) بَيْنَ زَمَانِنَا وَزَمَانِكُمْ؛

فَرَمَانُنَا بِالْجُهْدِ صَعْبُ،
 قَدْ كَانَ هُمُ النَّاسِ حَصْدُ الْقُوْتِ لَا جَمْعَ الذَّهَبِ.
 الْأُمُّ: بُنَيَّ،
 رَأَيْتُ أَقْوَى الْمُعْجَزَاتِ بِهَذَا الْعَصْرِ هَذَا النَّتُّ
 وَالْجَوَالُ إِعْجَازُ عَجَبُ.
 أَسِيلُ: النَّتُّ يَا أُمَاهُ إِعْجَازُ التَّقْدِمِ فِي الْأُمَمِ،
 فَبِكُلِّ ضَغْطَةٍ زَرٍّ مِنْهُ يُرِيكَ
 عَوَالِمًا وَمَمَالِكًا وَيُرِيكَ آيَاتِ الْعَجَبِ،
 فَكَأَنَّمَا جُنٌّ تَلَبَّسَهُ يَصُورُ كُلَّ مَا قَدْ دَبَّ فِي الْأَرْضِ وَمَا قَدْ دَقَّ أَوْ مَا يَنْبُهِمْ،
 هُوَ عَالَمُ الْإِنْسَانِ يَا أُمِّي يُغَيِّرُهُ الزَّمَانُ
 بِفِكْرِ إِنْسَانِ الزَّمَانِ الْمُتَبَكِّرِ.
 الْأُمُّ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ مَنْ وَهَبَ الْعُقُولَ مِنَ الْمَعَارِفِ كُلِّ شَيْءٍ
 يَسْتَعِزُّ بِهِ الْأَنَامُ إِذَا عَقَلُوا.
 أَسِيلُ: أُمَاهُ، قَدْ طُفْنَا كَثِيرًا فِي الْمَدِينَةِ،
 وَرَأَيْتُ شَيْئًا مِنْ مَعَالِمِهَا الْمُبِينَةِ.
 أَوْ لَمْ تُحَسِّي الْجُوعَ يَقْرُصُنَا
 فَمَاذَا لَوْ نَعُودُ لِدَارِنَا
 كَيْ نَطْعَمَ الْأَكْلَ وَمَا صَنَعْتُ.. (أُمِينَةُ)؟
 الْأُمُّ: قُلْ هَذَا فَإِنِّي كَمْ أَحْسُ بِأَنَّكَ اشْتَقْتَ إِلَى حُضْنِ أُمِينَةٍ.
 أَسِيلُ: ههههه! لَا وَاللَّهِ لَيْسَ هَذَا الَّذِي أَعْنِيهِ يَا أُمِّي،
 فَمَا أُرِيدُ لَكَ التَّعَبُ
 وَبَعْدَ الْيَوْمِ سَوْفَ أُرِيكَ أَمْكَنَةً مَزِينَةً.
 الْأُمُّ: إِذَا نَعُودُ لِكَيْ أَرَى الْأَحْفَادَ

فَكَمْ أَنَا أَشْتَاقُ لِلْعَبَثِ الطُّفُولِيِّ الْبَرِيِّ
وَلِلرُّعُونَةِ فِي الطُّفُولَةِ.

الْأُمُّ: أَسِئِلُ، أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ يَا بُنَيَّ:
مَا عَمَلُكَ؟

لِاجِبَ عَنْكَ الْجَاهِلِينَ وَمَنْ سَأَلَ.

أَسِئِلُ: أَعْمَلُ يَا سَيِّدَتِي فِي الْاِقْتِصَادِ،
أَعْمَلُ مُسْتَشَارًا اِقْتِصَادِيًّا وَيَسْكُنُنِي الْعَمَلُ.

الْأُمُّ: وَكَمْ مُرْتَبَكَ؟

أَسِئِلُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ

أَتَقَاضِي أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ رِيَالٍ،

وَأُحْصِلُ فِي كُلِّ عَامٍ مَا يُحَقِّقُ لِي مِنَ الرَّبْحِ النَّسَبَ.

الْأُمُّ: تَقْصِدُ كُلَّ سَنَةٍ؟

أَسِئِلُ: بَلْ كُلِّ شَهْرٍ

أَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي قَدْ خَصَّنِي بِفَيْضِ النِّعَمِ.

الْأُمُّ: قَدْ قُلْتُ مَا شَاءَ الْإِلَهِ،

يُبَارِكُ فِيكَ وَهَابُ الْأُمَمِ،

وَلَسَوْفَ يُعْلِيكَ الَّذِي يَرْعَى حَيَاتَكَ بِالنِّسَمِ.

أَسِئِلُ: أُمَّاهُ، حَتَّى الْبَيْتِ مِلْكِي

وَمَرْكَبَتِي

وَلَدَيَّ أَرْضَ أَزْرَعُهَا خُضَارًا ثُمَّ فَاكِهَةً وَأَكُلُ مِنْ ثِمَارِ الْأَرْضِ قُوْتًا وَعِئْبَ.

الْأُمُّ: كَفَاكَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ شُرُورَ الْحَسَدِ، وَعَافَاكَ حَتَّى تَنَالَ الْأَرْبَ.

أَسِئِلُ: أَتَدْرِينَ أُمِّي بِأَنَّ دُعَاءَكَ لِلَّهِ فِي رَفْعَتِي وَأَنَّ الْقَدِيرَ أَجَابَ الطَّلَبَ؟

وَلَوْلَا رِضَاكَ وَلَوْلَا دُعَاكَ لَمَا أَمْطَرْتَنِي غُيُومَ الْمُزْنِ.

وَصَلْنَا إِلَى الدَّارِ سَيِّدَتِي فَفُكِّي حِزَامَ الْأَمَانِ.

لِنَدْخُلَ مَنْزِلَنَا بِالْقَرَى وَالرَّحَبِ.

الْأَطْفَالُ يَتَسَابِقُونَ إِلَى جَدَّتِهِمْ، يُنَادُونَ: جَدَّةُ، وَأُمِّي، إِنَّا شَوْقُ إِلَيْكَ، إِلَى الْقَصَصِ الْجَمِيلِ، وَإِلَى الدُّعَاةِ مِنْكَ، إِلَى عِظَاتِكَ وَالْأَدَبِ.

الْأُمُّ: يَا رَبُّ بَارِكْ لَهُمْ، وَأَسْعِدْ كُلَّ أَبْنَائِي وَأَحْفَادِي وَهَبْ.

يَرْنُ هَاتِفُ أَسِيلٍ: أَلُو، مَنِ الطَّالِبُ؟

أَنَا (طَارِفٌ) مِنَ الْمَكْتَبِ دُكْتُورُ، أُحِبُّ أَنْ أَنْقِلَ إِلَيْكُمْ فَحْوَى بَرْقِيَّةٍ عَاجِلَةٍ مِنَ الْمُدِيرِ الْعَامِّ يَطْلُبُ الْمِيزَانِيَّاتِ فَوْرًا، وَيَطْلُبُكُمْ الْحُضُورَ شَخْصِيًّا لِلْمُنَاقَشَةِ مَعَ أَعْضَاءِ مَجْلِسِ الْإِدَارَةِ.

أَسِيلٌ: لَيْسَ الْيَوْمَ مَوْعِدُنَا لِتَسْلِيمِ الْمِيزَانِيَّاتِ، فَابْعَثْ بِإِيْمِلٍ مُسْتَعَجِلٍ تُخْبِرُهُمْ بِذَلِكَ، وَتَذَكِّرُهُمْ بِأَنَّ الْإِتِّفَاقَ هُوَ بَعْدَ أُسْبُوعٍ مِنَ الْيَوْمِ حَتَّى نَسْتَكْمِلَ الْمُرَاجَعَةَ.

طَارِفٌ: حَاضِرٌ يَا دُكْتُورُ سَأَفْعَلُ.

يَصِلُ أَسِيلٌ فِي غُضُونِ الْمُرَاسَلَاتِ النَّصِيَّةِ عَبْرَ النَّتِّ إِلَى مَكْتَبِهِ كَعَادَتِهِ، وَإِذَا بِهِ يَتَلَقَّى مُهَاتِفَةً مِنَ الْمُدِيرِ الْعَامِّ يَطْلُبُ بِسُرْعَةٍ حُضُورَهُ مَعَ الْمِيزَانِيَّاتِ لِلْمُنَاقَشَةِ مَعَ أَعْضَاءِ الْمَجْلِسِ.

شَرَحَ لَهُ أَسِيلٌ أَنَّ هَذِي لُغَةٌ تَقُومُ عَلَى الْأَرْقَامِ يَجِبُ مُرَاجَعَتُهَا حَتَّى تَكُونَ دَقِيقَةً الْأَرْقَامِ، وَبِشَكْلِ لَا يَدْعُ مَجَالًا لِلْخَطَأِ وَالنِّسْيَانِ وَالْأَنَامِ.

الْمُدِيرُ الْعَامُّ: لَا يُمَكِّنُ إِقْنَاعُ أَعْضَاءِ الْمَجْلِسِ بِالتَّأْجِيلِ بَعْدَمَا اجْتَمَعَ الْجَمِيعُ؛ فَرَعَلَ مِنَ الْكَلَامِ.

أَسِيلٌ: يَا صَاحِبَ السَّعَادَةِ، نَحْنُ قَدْ حَدَدْنَا الْمَوْعِدَ عَلَى أَنْ يَكُونَ يَوْمَ الْأَحَدِ الْقَادِمِ؛ الْأَوَّلُ مِنْ رَبِيعِ الثَّانِي، وَلَا أَسْتَطِيعُ الْقُدُومَ، وَأَنَا لَمْ أَرَا جِيعَ الْعَمَلِ لِكُنِي أَتَحَمَّلُ مَسْئُولِيَّةَ مَا كَتَبْتُ أَمَّا مَعَكُمْ مُتَحَدِّثًا بِلِسَانِي.

الْمُدِيرُ الْعَامُّ يَحْتَدُّ فِي الْكَلَامِ مَعَ أَسِيلٍ وَيُهْدِّدُهُ بِالْفُضْلِ إِنْ لَمْ يَأْتِ وَمَعَهُ الْمِيزَانِيَّاتُ تَلُوحُ بِالتَّبَيَّانِ، أَوْ أَنَّهُ سَيَكُونُ جَانِبًا عَلَى نَفْسِهِ.

اخْتَمَّ أَسِيلٌ كَلَامَهُ مَعَ الْمُدِيرِ الْعَامِّ بِرَفْضِهِ الْحُضُورَ مَا لَمْ يُقَدِّمَ جُهِدَهُ الْمُتَفَانِيَّ وَيَكُنْ فِي حُسْنِ آدَاءِ الْعَالَمِ الْإِنْسَانِي.

لَكِنْ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِهِ الثَّانِي صَدَرَ الْقَرَارُ مِنْ مَجْلِسِ الْإِدَارَةِ بِفَضْلِهِ مَبْنِيًّا عَلَى مَا قَدَّمَهُ الْمُدِيرُ الْعَامُّ مِنْ تَوْصِيَّاتٍ وَاتِّهَامَاتٍ بَاطِلَةٍ حَتَّى يَشْتَفِيَ مِنْ كَسْرِ أَمْرِهِ، وَتَمَّ انْتِدَابُ أَحَدِ الْمُوظَّفِينَ الْمُتَخَصِّصِينَ لِاسْتِلَامِ كَامِلِ الْأَعْمَالِ مِنَ الْمُسْتَشَارِ أَسِيلٍ.

وَقَامُوا بِتَصْفِيَةِ حُقُوقِهِ الْمَالِيَّةِ، وَعَلَى وَجْهِهِ سَحَابَةٌ مِنَ الْأَلَمِ النَّفْسِيِّ حِينَ تَذَكَّرَ كَمْ قَدَّمَ مِنْ أَفْكَارٍ وَافْتِرَاحَاتٍ كَانَتْ سَبَبًا فِي نُهُوضِ تِلْكَ الشَّرَكَةِ الَّتِي كَانَ عَرَابَهَا، وَمِنْ أَوَّلِ الْعَامِلِينَ لَدَيْهَا طِيلَةً ثَلَاثِينَ عَامًا، وَهَكَذَا تَكُونُ نِهَائِيَّتُهُ وَهَذَا مَصِيرُهُ وَجَزَاؤُهُ مِنْهُمْ.

رَجَعَ إِلَى الْمَنْزِلِ وَهُوَ يُحَاوِلُ أَنْ يُخْفِيَ أَلَمَهُ وَحُزْنَهُ عَنِ أُمِّهِ وَزَوْجَتِهِ حَتَّى لَا يَتَكَدَّرَا عَلَى مَا لَحِقَ بِهِ وَعَلَيْهِ، وَكَتَمَ غَيْظَهُ، وَقَامَ بِصَلَاةِ رَكَعَتَيْنِ حَمْدًا لِلَّهِ عَلَى الْبَلَاءِ، وَذَهَبَ يَتَغَدَّى مَعَ الْوَالِدَةِ وَالزَّوْجَةِ يُحِيْطُهُ أَبْنَاؤُهُ، وَهُوَ يَنْصَعُ الْبَسَمَاتِ أُمَامَهُمْ حَتَّى انْتَهَى مِنَ الْأَكْلِ. تَحَدَّثَ مَعَ وَالِدَتِهِ قَلِيلًا ثُمَّ اعْتَذَرَ طَلَبًا لِلنُّومِ كَعَادَتِهِ وَذَهَبَ. وَفِي الْمَسَاءِ كَانَ يَجْتَمِعُ مَعَ الْأَهْلِ فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ قَدْ أَخَذَ إِجَازَةً لِكَيْ يَتَنَقَّلَ مَعَ وَالِدَتِهِ الْقَادِمَةِ مِنَ الْقَرْيَةِ لِلْمُكُوثِ أَيَّامًا مَعَ ابْنِهَا أَسِيلٍ، وَفَرَحَتْ أُمُّهُ وَزَوْجَتُهُ وَأَبْنَاؤُهُ حَيْثُ سَيَنَالُهُمْ قِسْطٌ مِنَ النَّزْهَةِ مَعَ وَالِدِيهِمْ وَجَدَّتِهِمْ وَيَنْعَمُونَ بِبَعْضِ الْوَقْتِ فِي التَّسْوِقِ. بَعْدَ عَشْرَةِ أَيَّامٍ طَلَبَتْ وَالِدَتُهُ الْعُودَةَ إِلَى دِيَارِهَا وَحَتَّى تَكُونَ قَرِيبَةً مِنْ زَوْجِهَا أَبِي أَسِيلٍ، وَرَكِبَتْ وَخَادِمَتَهَا سَيَّارَتَهَا الْمُعَدَّةَ لِلرَّحِيلِ فِي أَمَانِ اللَّهِ وَغَادَرَتَا الْمَدِينَةَ.

خَلَدَ أَسِيلٌ إِلَى التَّفَكِيرِ فِي عَمَلٍ جَدِيدٍ، وَجَاءَتْهُ عُرُوضٌ كَثِيرَةٌ كَانَتْ مُغْرِبَةً أَيْضًا، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَنْسَ قَضِيَّةَ فَضْلِهِ التَّعْسُفِيِّ؛ فَقَرَّرَ الْعَمَلَ وَحْدَهُ، وَكَانَتْ الصُّعُوبَاتُ فِي الْبِدَايَةِ كَثِيرَةً، وَلَكِنَّهُ اسْتَطَاعَ فِي غُضُونِ أَشْهُرٍ أَنْ يُنْشِئَ دَارًا لِلِاسْتِشَارَاتِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ، وَلَمَعَ نَجْمُهُ وَعَلَا صَيْتُهُ وَقَدَّمَ أَعْمَالًا وَطَنِيَّةً وَعِلْمِيَّةً فِي تَطْوِيرِ قُدْرَاتِ الشَّرَكَاتِ الْمُتَعَاقِدَةِ مَعَهُ تَسْتَحِقُّ الْإِشَادَةَ.

تَغْيِيرُ الْمَفَاهِيمِ

تَغْيِيرُ الْمَفَاهِيمِ فِي الْقَلْبِ وَالْعَقْلِ حَتَّى يَتَّحِدَا بِالرِّضَا وَالْقَبُولِ الْكَامِلِ بِصُورِ شَيْءٍ مِنْ أَهْمِّهَا:

الْكَلِمَةُ: وَهِيَ ذَلِكَ الصَّوْتُ الْمُنْعَمُ بِالْحُرُوفِ فِي كُلِّ لُغَةٍ لَكِي تُولَدَ الْكَلِمَةُ صَوْتًا يُؤَدِّي إِلَى فَهْمِ الْكَلِمَةِ، وَالْكَلِمَاتُ مَجْمُوعَةٌ فِي جُمْلَةٍ مَعْنَى؛ وَالْمَعْنَى فَهْمًا؛ وَالْفَهْمُ عِلْمًا وَمَعْرِفَةٌ وَدَرْسًا وَدِرَايَةً لِهَدَفٍ هُوَ الْفَهْمُ.

الرِّبَاطُ الْاجْتِمَاعِيُّ: حِينَ تُولَدُ مَجْمُوعَةٌ فِي مَكَانٍ مَا وَتَتَكَاثَرُ تَنْشَأُ الْقَرْيَةُ، حَتَّى تَكْبُرَ مَعَ الزَّمَانِ لِتَصْبِحَ مَدِينَةً يَقْطُنُهَا الْكَثِيرُ، وَيَتَعَاقَبُ عَلَيْهَا النَّاسُ بِالْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ، فَتَصْبِحَ اسْمًا عَالِقًا فِي ذَهْنِ الزَّمَانِ لَا تَتَغَيَّرُ، وَمِنْ هُنَا يَبْدَأُ تَوْحِيدُ الْمَفَاهِيمِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ تَمَّ بَيْنَ أَفْرَادِ الْقَرْيَةِ عَقْدُ ضَمْنِيٍّ بِالْعَيْشِ فِي الْقَرْيَةِ عَلَى إِرَادَةِ السَّلَامِ بِكُلِّ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ مَعْنَى السَّلَامِ فِي النَّفْسِ وَالْمَالِ وَالْأَهْلِ وَالْوَلَدِ، وَهَذَا مِنَ الْأَخْصِ الْأَهَمِّ بِالْقُرْبَى وَالْعِزَّةِ وَالسَّنَدِ وَالظَّهِيرِ لِلنَّفْسِ، وَيُحَقِّقُ أَكْثَرَ قُرْبٍ لِلْإِيمَانِ بِالْمَفَاهِيمِ.

الذِّكَاءُ: سُرْعَةُ مَعْرِفَةِ الْمُتَعَارَفِ عَلَيْهِ ضِمْنًا، ثُمَّ تَدْوِيرُهُ فِي الْعَقْلِ وَتَنْظِيمُهُ لِامْكَانِيَّةِ تَطْوِيرِهِ بِالْخَلْقِ وَالْإِبْتِكَارِ بِمَا يَنْدَرِجُ تَحْتَ مُسَمًّى الْإِبْدَاعِ قَوْلًا وَعَمَلًا عِلْمِيًّا أَوْ أَدْبِيًّا، فَيَكُونُ الذِّكَاءُ قَبَسًا وَامْضًا بِالْمَعْرِفَةِ، يَدْخُلُ كُهُوفَ الْأَفْكَارِ لِيَسْتَخْرِجَ كُنُوزًا مِنَ الْمَعْرِفَةِ، مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَثَمَنُهَا وَقِيمَتُهَا قَدْرًا كَقَدْرِ النَّفْسِ فِي السُّمُوِّ وَالْبُلُوغِ.

الْقُدْوَةُ: تَمَثُّلُ الْأَعْلَى وَالْإِنْجِدَابُ إِلَيْهِ تُحَفِّزُهُ الدَّهْشَةُ وَالرِّضَا وَالْقَنَاعَةُ إِعْجَابًا وَقِيَمَةً وَتَأَثُّرًا بِأَثَرِ الْحِكْمَةِ أَوْ الرِّئَاسَةِ أَوْ الْقُدْرَةِ عَلَى فَرَضِيَّةِ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ، وَلَوْ أَنَّ الْقُدْوَةَ تَكُونُ أَدَقَّ فِي التَّمَثُّلِ وَالْإِمْتِنَانِ بِالرَّغَبِ لَا بِالرَّهْبِ حِينَ تَقْبَلُ نَفْسٌ عَنْ رِضَا تَامٍ بِسِيَادَةِ نَفْسٍ عَلَى مَفَاهِيمِهَا الْخَاصَّةِ.

الْحِسُّ الْإِنْفِعَالِيُّ: وَهَذَا يَعْنِي مَعْرِفَةَ النَّفْسِ وَانْفِعَالَاتِهَا الْمُتَحَرِّكَةَ دَاخِلَهَا كَيْفَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَعَاطَلَ مَعَ طَبِيعَةِ الْأَشْيَاءِ وَالْأَصْدَادِ؟ وَكَيْفَ تَسْتَطِيعُ قِرَاءَةَ الْعَيْيِّ وَالْمُرْتَبِيِّ ضِمْنَ تَقْدِيرَاتِ الْفَرَضِيَّاتِ وَالْحَقَائِقِ وَالْمُمْكِنِ وَغَيْرِ الْمُمْكِنِ؟ وَمَتَى تَكُونُ فِي لَحْظَةٍ

قُوَّتِهَا أَوْ لَحْظَةَ ضَعْفِهَا؟ وَمَا الَّذِي يَحْكُمُ تَصَرُّفَاتِهَا؟ أَوْ يُفْلِتُ التَّصَرُّفَاتِ مِنْهَا؟ وَكَيْفَ تَفَكَّرُ فِي عِلَاجِهَا لِلصَّرَاعَاتِ النَّفْسِيَّةِ فِيهَا؟

الأسلوب الكلامي: كثيرًا ما يكون ردُّ الشخص في النقاش الكلامي: صحَّ، نعم، صادق، طبعًا، لا، خطأ، صواب. إلخ.

فإنَّ لَينَ المُحدِّثِ فِي الحَدِيثِ وَنَبَرَةَ الصَّوْتِ وَالِاهْتِمَامَ بِالْعَقْلِ وَالْقَلْبِ وَالْعَيْنِ تَجَاهَ الْآخِرِ يَعْمَلُ عَمَلُ السَّحْرِ فِي النُّفُوسِ.

وَنَحْنُ نَرَى أَنَّ تَغْيِيرَ الْمَفَاهِيمِ لَيْسَ بِالْأَمْرِ الصَّعْبِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ بِالْأَمْرِ السَّهْلِ أَيْضًا فِي جَوَانِبٍ مُخْتَلِفَةٍ حَتَّى تَتَوَفَّرَ الْقِنَاعَةُ بِالْخَيْرِ أَوِ الشَّرِّ كَمَا أَسْلَفْنَا لِنَتَحَقَّقَ الْقِنَاعَةَ الَّتِي بَدُونِهَا لَا يُمَكِّنُ فَرَضُهَا، وَإِنْ فُرِضَتْ فَهِيَ لَا تَلْبَثُ أَنْ تَزُولَ.

أَمَّا تَغْيِيرُ الْمَفَاهِيمِ فَهُوَ مَا دَارَ بِهِ الزَّمَانُ عَلَى الْأُمَمِ حَرْبًا أَوْ سَلَامًا لِتَكُونَ لِلْمَفَاهِيمِ وَلَايَةٌ عَلَى النَّفْسِ بِحُكْمِ عَقْدِ الرِّضَا بِقَبُولِ مَفْهُومٍ مِمَّنِ الْقَدِيمِ لِلْجَدِيدِ، وَبِالْعَكْسِ؛ لِأَنَّ الْمَفَاهِيمَ لَيْسَتْ جَامِدَةً، بَلْ هِيَ مُتَحَرِّكَةٌ إِثْرَ كُلِّ شَيْءٍ غَرِيبٍ جَدِيدٍ مُحْجُوبٍ؛ لِذَا فَهِيَ دَائِمًا تَقُومُ عَلَى الْأَسْئَلَةِ حَتَّى يَسْتَوْضِحَ وَيَكْتَشِفَ الْفَهْمُ نَفْسَهُ، وَيَرَى صُورَتَهُ لَا بَسًا جِسْمَهُ وَوَجْهَهُ، ذَائِعًا صَوْتَهُ، لِيَكُونَ هُوَ نَفْسُهُ ذَلِكَ الْمَفْهُومَ الَّذِي تَتَرَاخَمُ الْعُقُولُ عَلَى فَهْمِهِ.

24 مايو 2021

لَا بُكَاءَ عَلَى مَوْتِ الظَّالِمِينَ

إِلَى الَّذِينَ يَتَبَاكَوْنَ عَلَى الرَّئِيسِ (صَدَّامِ حُسَيْنٍ) وَيُحَاوِلُونَ أَنْ يُظْهِرُوهُ بَطْلًا قَوْمِيًّا فِي أُمَّةِ الْعَرَبِ، وَمُنَاصِلًا ضِدَّ الْإِسْتِعْمَارِ الْأَجْنَبِيِّ، وَيُلْبِسُونَهُ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ عَبَاءَةَ الزُّهْدِ وَالتَّقْوَى؛ أَنْ يَكُونُوا صَادِقِينَ مَعَ رَبِّهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، فَلَا تَأْخُذُهُمْ بِهِارِجُ الدَّعَايَةِ الْمَدْفُوعَةِ الثَّمَنِ؛ فَصَدَّامُ حُسَيْنٍ لَمْ يَكُنْ هَارُونَ الرَّشِيدَ، وَلَا الْمَأْمُونُ، وَلَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَلَا صَلَاحُ الدِّينِ الْأَيُّوبِيِّ؛ صَدَّامُ حُسَيْنٍ اغْتَصَبَ حُكْمَ الْعِرَاقِ لِخَمْسَةِ وَثَلَاثِينَ عَامًا كَانَ يَحْكُمُ شَعْبَ الْعِرَاقِ بِالْحَدِيدِ وَالنَّارِ، وَكَانَ يَقْتُلُ النَّاسَ قَتْلَ الذُّبَابِ لِمَجَرَّدِ هَمْسَةٍ ضِدَّ نِظَامِهِ، أَوْ ضِدَّهُ، وَلَمْ يَكُنْ لِلْإِنْسَانِ فِي نَظَرِهِ وَمُعْتَقَدِهِ الْخَاصَّ قِيَمَةً، وَالَّذِي يُشْفِقُ عَلَى صَدَّامِ الْآنَ فَلْيَسْأَلْ هَلْ رَحِمَ صَدَّامُ مَنْ قَتَلَهُمْ لِأَنْفَةِ الْأَسْبَابِ؟ وَكَيْفَ أَرْوَحَ أَرْوَاحًا وَأَنْفُسًا تَقُولُ رَبِّي اللَّهُ، وَهُوَ مَنْ خَلَقَهَا وَأَوْجَدَهَا. وَقَدْ يَقُولُ قَائِلٌ إِنَّ هَذَا قَدَرُهُمْ، فَأَقُولُ نَعَمْ، الْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ وَالرِّزْقُ هِيَ مِنْ مُقَدَّرِ الْأَقْدَارِ، وَإِذَا سَلَّمْنَا بِأَنَّ قَتْلَ الْأَبْرِيَاءِ هُوَ قَدَرٌ فَيَجِبُ أَنْ نُسَلِّمَ بِأَنَّ قَدَرَ صَدَّامٍ أَنْ يُقْتَلَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ، وَفِي ذَلِكَ التَّوْقِيتِ، وَإِلَّا فَلَوْ تَنَاقَشْنَا مَعَ الْعَقْلِ وَفَلَسَفَةِ الْأُمُورِ لَكَانَ هُنَاكَ أَكْثَرُ مِنْ حَلٍّ مُنْطَقِيٍّ يَجْعَلُ صَدَّامَ يَحْتَكِمُ إِلَيْهِ، وَيُخْرِجُهُ مِنْ ضَيْقِ الْأَسْرِ، وَضَيْقِ التَّأَزُّمِ وَالْأَزْمَةِ الَّتِي أَوْصَلَ نَفْسَهُ إِلَيْهَا، وَالتِّي كَابَرَ عَلَى كُلِّ الْحُلُولِ الَّتِي كَانَتْ مَعْرُوضَةً عَلَيْهِ فِيهَا آنَ ذَاكَ، وَلَكِنْ الَّذِي لَا يَعْرِفُ دِرَاسَةَ النَّفْسِيَّاتِ وَتَحْلِيلَهَا لَا يَعْرِفُ أَنَّ صَدَّامَ كَانَ يُعَانِي مِنْ مَرَضٍ عَضَالٍ لَا يُرْجَى بُرْؤُهُ؛ وَهُوَ مَرَضُ الْعِظَمَةِ، وَهُوَ مَرَضٌ مُسْتَفْحِلٌ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ لِمَنْ يُصَابُ بِهِ، وَالذَّلِيلُ أَنَّ حُلُولًا كَثِيرَةً كَانَتْ تُقَدَّمُ إِلَيْهِ، وَكَانَ لَا يَقْبَلُهَا، وَلَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، وَفِي النِّهَايَةِ رَأَيْنَاهُ يَتَوَسَّلُ إِلَى الشَّعْبِ، وَيَتَشَدَّقُ بِحُبِّ الْوَطَنِ، وَأَنَّهُ يَمُوتُ فِدَاءً لَهُ، وَنَسِيَ كَيْفَ كَانَ يُخْرِجُ مُسَدَّسَهُ مِنْ جَيْبِهِ وَيَقْتُلُ نَفْسًا بَرِيَّةً بِغَيْرِ حَقٍّ سِوَى إِشْفَاءٍ لِنَقْمَةِ نَفْسٍ دَمَوِيَّةٍ تَتَلَذَّذُ بِسَفْكِ دِمَاءِ الْأَبْرِيَاءِ مِنْ شَعْبِهِ. وَكَمَا يَقُولُ الشَّاعِرُ: أَسَدٌ عَلَيَّ وَفِي الْحُرُوبِ نِعَامَةٌ... ثُمَّ لِنَنْظُرِ الْعَاقِلُ كَيْفَ أَوْرَثَ صَدَّامُ تِلْكَ النَّفْسَ الدَّمَوِيَّةَ الْإِنْتِقَامِيَّةَ لِإِبْنَائِهِ فِي حَيَاتِهِ، وَعَلَى مَرَأَى مِنْهُ، فَكَمْ قَتَلَ ابْنُهُ عَدِيَّيْ أَنَا سَا وَهُوَ فِي لِيَالِي التَّلَهِّيِّ وَالْمُجُونِ وَالطَّرَبِ، وَكَمْ قَطَعَ السِّنَّةَ حُرَاسِهِ وَهُوَ فِي نَزْوَةِ السُّكْرِ وَالْعَرَبَدَةِ، وَكَمْ انْتَهَكَ مِنْ أَعْرَاضِ الْعَفِيفَاتِ مِنْ أَبْنَاءِ شَعْبِهِ بِمَا لَا يَقِلُّ عَنْ أَفْعَالِ هَنْتَرٍ وَهُولَاكُو، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الطَّغَاةِ وَالْمُسْتَبِدِّينَ وَالظَّالِمِينَ، وَلِنَنْظُرِ الْعَاقِلُ إِلَى التَّرَفِ

الَّذِي كَانَ يَعِيشُهُ صَدَّامَ، وَالْقُصُورَ الَّتِي كَانَ يَسْكُنُهَا، وَالْأَمْوَالَ الَّتِي كَانَ يَنْهَبُهَا مِنْ أَقْوَاتِ شَعْبِهِ الْمُسْتَضْعَفِ الْفَقِيرِ الْمَسَالِمِ، فَكَيْفَ تَأْخُذُنَا الشَّفَقَةُ وَالرَّحْمَةُ عَلَى مَنْ لَمْ يَرْحَمْ، وَلَمْ يُشْفِقْ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْفُقَرَاءِ، وَأَوْصَلَ الْعِرَاقَ إِلَى مَا وَصَلَ إِلَيْهِ الْآنَ مِنْ سُوءِ الْحَالِ وَهُوَ الْهَوْنُ الْمَالَ؟

ذَلِكَ الْعِرَاقُ الَّذِي كَانَ تُضْرَبُ بِهِ الْأَمْثَالُ فِي الْعِلْمِ وَالْعِلْمَاءِ الْعِظَامِ مِنَ الْعُقُولِ الَّتِي كَانَ لَهَا الْقَدْرُ وَالْقِيَمَةُ فِي عَوَالِمِ الْأَرْضِ، وَأَنَّهُ - وَاللَّهِ - سَبَبٌ رَئِيسٌ فِي ضِيَاعِ الْعِرَاقِ، وَتَشْرِيدِ أَهْلِهِ وَتَجْوِيعِهِمْ وَفَقْرِهِمْ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا أَعَزَّةً، ثُمَّ أَيْنَ ادِّعَاءُ مُنَاصَرَةِ الْقَوْمِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي كَانَ يَتَشَدَّقُ بِهَا وَقَتَ حُكْمِهِ وَهُوَ لَمْ يُطْلَقْ رِصَاصَةً وَاحِدَةً فِي مُوَاجَهَةِ الْعَدُوِّ الصُّهْيُونِيِّ مِذْ تَوَلَّى حُكْمَ الْعِرَاقِ؟ بَلْ حَتَّى عِنْدَمَا ضَرَبَتْ إِسْرَائِيلُ الْمُفَاعِلَ النَّوَوِيَّ الْعِرَاقِيَّ لَمْ يَقُمْ بِالرَّدِّ عَلَيْهَا بِضَرْبَةٍ مُمَثِّلَةٍ، وَمَتَى ضَرَبَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ غَرَاهُ الْأَمْرِيكَانُ، فَقَامَ بِإِطْلَاقِ ذَلِكَ الصَّارُوخِ الِيتِيمِ عَلَى أَطْرَافِ (تَلِّ أَيْب) وَلَمْ يُحْدِثْ أَيَّ أَضْرَارٍ بِالْعَدُوِّ الصُّهْيُونِيِّ، أَقُولُ لِمَنْ يَتَبَاكَى الْيَوْمَ عَلَى صَدَّامٍ إِنَّهُ فَاقَدَ الشُّعُورَ الْإِنْسَانِيَّ، وَأَذْكَرُكُمْ قَامَ (الْمَلِكُ فَهْدٌ) وَالرَّئِيسُ (حُسَيْنِي مُبَارَكٌ) وَكَثِيرٌ مِنَ الرُّؤَسَاءِ بِتَقْدِيمِ النُّصْحِ لَهُ بِأَنْ يَتَرَجَعَ عَنْ كِبَرِهِ وَصَلْفِهِ وَاسْتِبْدَادِهِ، وَتَعَدِّيهِ عَلَى جِيرَانِهِ، وَأَنِّي لِنَفْسٍ مَرِيضَةٍ بِمَرَضِ الْعِظَمَةِ أَنْ تَعُودَ عَنْ غِيَّهَا إِلَّا عِنْدَمَا تَرَى حَتْفَهَا! هَذَا هُوَ دَوَاءُ النُّفُوسِ الْمُسْتَبِدَّةِ لَيْسَ لَهَا عِلَاجٌ إِلَّا أَنْ تُسْقَى بِنَفْسِ الْكَأْسِ الَّتِي جَرَعَتْ بِهَا الْآخَرِينَ، وَهِيَ كَأْسٌ أَشْرَبَ مِنْهَا كُلُّ الْمُسْتَبِدِّينَ، فَأَيُّ فَضِيلَةٍ تُحَسَّبُ لَصَدَّامٍ، سِوَاءٍ لِلْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ أَوْ الْإِسْلَامِيَّةِ يَقُولُ بِهَا كُلُّ مَنْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ إِلَّا فَضِيلَةً وَاحِدَةً نَذَرَهَا لَهُ وَهُوَ عَلَى حَبْلِ الْمَشْفَقَةِ وَهُوَ يُرَدِّدُ: أَشْهَدُ إِلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ؛ عَلَهَا تَكُونُ مُنْجِيَةً لَهُ، وَتَشْهَدُ أَنَّهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا نُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا. نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَرْحَمَهُ، وَيَرْحَمَنَا، وَيَرْحَمَ الْمُسْلِمِينَ. وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ الْأَمِينِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبَعَ هُدَاهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

26 يوليو 2019

حَدِيثُ النَّفْسِ

حَدِيثُ النَّفْسِ لِنَفْسِهَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ صَوْتًا؛ إِنَّمَا هُوَ نَفَاشٌ وَجَدَلٌ صَامِتٌ بَيْنَ الْقَلْبِ وَالْعَقْلِ حَتَّى تَتِمَّ الْقَنَاعَةُ لِأَحَدِهِمَا بِصِحَّةٍ وَرَجَاحَةِ الطَّرْحِ وَالْفِكْرَةِ الَّتِي تَعُنُّ لِلْقَلْبِ الَّذِي يَبْعَثُهَا لِلْعَقْلِ لِلتَّحْكِيمِ لَا لِلْحُكْمِ؛ لِأَنَّ الْعَقْلَ مُنْعَدِمٌ الْعَاطِفَةِ إِذِ الْعَاطِفَةُ مَنَاطُهَا الْقَلْبُ، وَبَعْدَ الْإِحْتِكَامِ إِلَى الْعَقْلِ يَتَخَيَّرُ الْقَلْبُ وَيُفَاضِلُ بَيْنَ صَوَابِ الْعَقْلِ وَبَيْنَ صَوَابِ الْقَلْبِ، وَلِلْقَلْبِ حَقٌّ الْأَمْرِ بِالْفِعْلِ الَّذِي مَثَلُ الْقَنَاعَةِ بِالْفِكْرَةِ، فَيَقُومُ الْعَقْلُ بِإِرْسَالِ الْأَمْرِ الْقَلْبِيِّ لِبَقِيَّةِ أَجْزَاءِ الْجِسْمِ بِالتَّنْفِيزِ لِيَتَحَقَّقَ الْفِعْلُ. وَبَعْدَ الشُّرُوعِ فِي إِنْفَازِ إِرَادَةِ الْقَلْبِ تَكُونُ كُلُّ أَعْضَاءِ الْجِسْمِ مُنْتَظِرَةً لِلنَّاتِجِ الْمُتَحَقِّقَةِ سَلْبًا أَوْ إِيجَابًا، فَإِنْ كَانَتْ الْفِكْرَةُ حَقَّقَتْ إِرَادَةَ الْقَلْبِ إِيجَابًا أَطْمَآنً وَانْتَشَتْ كُلُّ أَعْضَاءِ الْجِسْمِ، وَإِنْ كَانَتْ النَّاتِجُ سَالِبَةً عَكَسَ التَّوَقُّعَاتِ حَلَّ الشُّعُورِ بِالنَّدَمِ وَالْأَسَفِ وَالْمَلَامَةِ، وَتَحْمَلُ رَدَّةَ الْفِعْلِ بِالْجَزَاءِ وَالْعُقُوبَةِ بِحُجْمِ قُوَّةِ الْفِعْلِ أَوْ ضَالَّتِهِ. وَنَسَحَبَ ذَلِكَ عَلَى الْفِعْلِ الْمُجْرَمِ بِالْحَاقِ الْأَضْرَارِ بِالْغَيْرِ، أَوْ الْفِعْلِ الذَّائِي الَّذِي يَكُونُ عِقَابُهُ النَّدَمَ وَاللَّوْمَ الَّذِي يَكُونُ هُوَ الْعُقُوبَةُ مِنَ النَّفْسِ عَلَى نَفْسِهَا فَتَرَى وَتَلْمَسُ سَيِّطَرَةَ الْقَلْبِ عَلَى كُلِّ أَجْزَاءِ النَّفْسِ، وَهُوَ الْأَمْرُ بِالتَّنْفِيزِ وَالْمُتَحَمِّلِ لِكُلِّ نَتَاجِ الْأَمْرِ عَلَى كُلِّ أَعْضَاءِ الْجِسْمِ، فَتَكُونُ الْمَسْئُولِيَّةُ عَلَى الْقَلْبِ وَحْدَهُ فِي الْإِنْتِصَارِ أَوْ الْهَزِيمَةِ، وَالنَّاتِجُ بِشَقِيَّتِهَا الْإِيجَابِيَّ وَالسَّلْبِيَّ يُعْلِنُ عَنْهَا الْعَقْلُ لِإِشْعَارِ بَقِيَّةِ أَعْضَاءِ الْجِسْمِ بِالنَّاتِجِ، فَتَقْلُبُ الْقَلْبُ غَيْرَ تَعَقُّلِ الْعَقْلِ، وَهُوَ مِنْ عَقَالِ الْأُمُورِ وَضَبْطِ مَعْيَارِيَّتِهَا، وَالْقَلْبُ وَالْعَقْلُ إِذَا تَوَافَقَا عَلَى الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ كَانَ هُنَاكَ التَّوَازُنُ الْمَحْمُودُ فِي النَّفْسِ الْعَاقِلَةِ لَا النَّفْسِ الْمُتَقَلِّبَةِ، فَيُنْعَتُ الْإِنْسَانُ بِالسَّوِيِّ حِينَ يَسَاوِي الْعَقْلَ مَعَ مَنْطِقِ الْقَلْبِ، وَعَكْسُ ذَلِكَ يَكُونُ الْإِنْسَانُ مُتَقَلِّبَ الْهَوَى خَاضِعًا لِعَوَاصِفِ التَّلْقَائِيَّةِ أَوْ الْبَرَاءَةِ أَوْ السَّدَاجَةِ أَوْ الْغَبَاءِ، فَإِذَا حَالَفَهُ التَّوْفِيقُ كَانَ لَا إِرَادِيًّا، وَإِذَا لَمْ يَحَالَفْهُ كَانَ غَيْرَ سَوِيِّ، كَمَا أَسْلَفْنَا الْقَوْلَ وَكِلَاهُمَا مُتَحَمِّلُ نَتَاجِ الْأَفْعَالِ وَرَدَّاتِ أَعْمَالِهَا، لَا يَعْذَرُهُمَا عَادِرٌ إِلَّا فَقْدَانُ أَهْلِيَّةِ الْعَقْلِ لِلْأَفْعَالِ الَّتِي ارْتَكَبَهَا، وَهُوَ مَنْ يَكُونُ فِي حُكْمِ الْمَجْنُونِ الَّذِي يَكُونُ تَصَرُّفُهُ خَارِجًا عَنِ الْإِرَادَةِ، وَتِلْكَ جِنَايَةُ الْعَقْلِ السَّقِيمِ لَا يُوَاخِذُ عَلَيْهَا الْقَلْبُ لِأَنَّهُ أَفْتَقَدَ مِيزَانَ تَقْدِيرِ الْأَشْيَاءِ فِي النَّفْسِ.

التَهْدِیدَاتُ الْمُفْتَعَلَةُ بِضَرْبِ الْمُنْشَآتِ الْبُتْرُولِيَّةِ فِي بَقِيقَ وَطَرَقِ الْحَسَمِ

الضَّرْبَةُ الْأَخِيرَةُ عَلَى مُنْشَآتِنَا النُّفُطِيَّةِ بِبَقِيقَ هِيَ جَرِيْمَةٌ بِكُلِّ الْإِعْتِبَارَاتِ إِذَا وَضَعْنَاهَا فِي مَوْضِعِ انْتِهَافِ سِيَادَةِ الدُّوَلِ عَلَى حُدُودِهَا، وَعَلَى مَوَارِدِهَا الْحَيَوِيَّةِ الَّتِي هِيَ فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ انْتِهَافٌ لِحُقُوقِ الشُّعُوبِ الْمُسْتَفِيدَةِ مِنَ الْبُتْرُولِ وَحَاجَتِهِمُ الضَّرُورِيَّةَ الْمُلِحَّةَ لِلْبُتْرُولِ، فَلَنْ تَكُونَ السُّعُودِيَّةُ هِيَ الْمُتَضَرَّرَةُ بِقَدْرِ الْأَضْرَارِ الَّتِي تَلْحَقُ بِدَوْلِ الْعَالَمِ الْمُسْتَفِيدِ بِمَادَّةِ الْبُتْرُولِ فِي حَيَاةِ وَاسْتِقْرَارِ الشُّعُوبِ، وَالْغَرِيبِ فِي الْأَمْرَانِ مَا يُنْقَلُ مِنْ أَخْبَارٍ تُشِيرُ إِلَى أَنَّ انْطِلَاقَ تِلْكَ الصَّوَارِيخِ لَمْ يَأْتِ مِنَ الْيَمَنِ كَمَا نَعُودُنَا قَبْلًا أَنْ يَأْتِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ حَلِيفِ الشَّيَاطِينِ (الْحُوثِيِّ)، وَإِنَّمَا أَتَتْ تِلْكَ الصَّوَارِيخُ مِنْ دَوْلَةٍ أُخْرَى، وَقِيلَ إِنَّهَا الْعِرَاقُ، وَلَمْ تَتِمَّ بِالضَّبْطِ مَعْرِفَتُنَا بِحَقِيقَةِ الْجَهَةِ الْمُتَوَرِّطَةِ فِي هَذَا الْعَمَلِ الْإِجْرَامِيِّ رَغْمَ اعْتِرَافِ مِيلِيشِيَّاتِ الْحُوثِيِّ بِأَنَّهَا صَادِرَةٌ مِنَ الْيَمَنِ وَمِنْهَا بِالذَّاتِ، وَهُوَ أَمْرٌ يَبْعَثُ عَلَى الشَّكِّ؛ فَهَلْ تَمَّ تَحْدِيدُ جِهَةِ انْطِلَاقِ تِلْكَ الصَّوَارِيخِ؟ وَهَلْ هِيَ مِنْ إِيْرَانِ، أَوْ الْعِرَاقِ، أَوْ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى تُصَبُّ الزَّيْتُ عَلَى النَّارِ؟ إِذَا عَرَفْنَا أَنَّ صَوَارِيخَ كَرْوَزِ هِيَ أَمْرِيكِيَّةُ الصَّنْعِ فَكَيْفَ وَصَلَ مِثْلُ تِلْكَ الصَّوَارِيخِ إِلَى يَدِ الْحُوثِيِّ أَوْ إِيْرَانِ، لِعِلْمِنَا أَنَّ الْقَطِيعَةَ بَيْنَ إِيْرَانِ وَأَمْرِيكَا تُؤَكِّدُ اسْتِحَالَةَ قِيَامِ تَعَاوُنٍ عَسْكَرِيٍّ بَيْنَهُمَا، أَوْ بَيْعِ السَّلَاحِ الْأَمْرِيكِيِّ لِإِيْرَانِ، فَأَمْرِيكَا تُقِيمُ حَظْرًا اقْتِصَادِيًّا وَعَسْكَرِيًّا عَلَى إِيْرَانِ مُنْذُ سَنَوَاتٍ؛ أَوْ رُبَّمَا هِيَ تَقْلِيدٌ لِصَوَارِيخِ كَرْوَزِ بِالْأَسْمِ فَقَطْ، وَهَلْ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنَّنَا نَشْهَدُ الْآنَ صُورًا جَدِيدَةً لِلِابْتِرَازِ الْأَمْرِيكِيِّ بِاللَّعِبِ بِإِيْرَانِ وَالْحُوثِيِّ وَالْعِرَاقِ كَأَدَوَاتٍ تَهْدِيدٍ وَتَحْرِيفٍ ضِدَّ السُّعُودِيَّةِ كُلَّمَا أَرَادَتْ ابْتِرَازَ السُّعُودِيَّةِ، وَهُنَا يُصْبِحُ الْأَمْرُ خَطِيرًا جَدًّا إِذَا كَانَ الْحَامِي الْمَرْعُومُ هُوَ الْمُحَرَّضُ وَالْمُهَدَّدُ فَإِنَّا نَقَعُ فِي حَيْرَةٍ مِنَ الْأَمْرِ، بِحَيْثُ لَمْ نَعُدْ نَدْرِي الْعَدُوَّ مِنَ الصَّدِيقِ! وَمِثْلُ هَذَا التَّهْدِيدِ سَيُصْبِحُ مُسْتَمِرًّا مَا دَامَ ابْتِرَازًا لِثَرَوَاتِ الدُّوَلِ وَالشُّعُوبِ، وَقَدْ أَسْلَفْنَا فِي مَقَالَاتٍ سَابِقَةٍ أَنَّ أَمْرِيكَا لَنْ تَتَوَقَّفَ عَنِ ابْتِرَازِ دَوْلِ الْمُنْطَقَةِ حَتَّى تَنْهَبَ كُلَّ ثَرَوَاتِ الْمُنْطَقَةِ؛ وَمَا تَصْرِيحَاتُ الرَّئِيسِ (تْرَامْب) عَلَنًا قَبْلَ فِتْرَةٍ عَنَّا بِبَعِيدٍ، وَلَمْ تَكُنْ خَافِيَةً عَلَى الْبُسْطَاءِ مِنَ الشُّعُوبِ أَوْ أَهْلِ السِّيَاسَةِ، أَنَّهُ يُقَدِّمُ الْحِمَايَةَ لِلدُّوَلِ بِمُقَابِلِ، فَلَا بُدَّ إِذَا مِنْ تَهْدِيدٍ يُحْدِثُهُ لِفَعْلٍ مُهَدَّدٍ، سَوَاءً وَهْمِيًّا أَوْ حَقِيقِيًّا مَدْعُومًا مِنْهُ كَيْ تَنْفِذَ مَوَاقِيقَ وَمُعَاهَدَاتٍ وَعُقُودَ الْحِمَايَةِ الَّتِي بِمُوجِبِهَا تَحْصُلُ عَلَى الْمُقَابِلِ الْمَادِّيِّ، وَهَكَذَا نَحْنُ نَدُورُ فِي عَجَلَةٍ مِنَ

الابْتِزَازَ لَنْ تَنْتَهِيَ مَا دَامَتْ سَلَعْتُهَا هِيَ تَحْرِيكَ الْبَعْضِ ضِدَّ الْبَعْضِ، لِتَجْنِيَ الْمَكَاسِبَ الْمُفْتَرَضَةَ قَانُونِيًّا لِأَدْوَارِ الْحِمَايَةِ الْمُفْتَعَلَةِ، وَأَنِّي لِهَذِهِ الدُّوَلِ التَّرَاجُعُ عَمَّا التَّرَمَّتْ بِهِ، وَخُصُوصًا وَأَنَّهَا وَقَعَتْ بَيْنَ الْمِطْرَقَةِ وَالسُّنْدَانِ، وَبَيْنَ فَكِي الْأَسَدِ الْأَمْرِيكِيِّ تَحْتَ خِيَارَيْنِ لَا ثَالِثَ لَهُمَا.. إِمَّا وَإِمَّا، وَهُمَا أَمْرَانِ أَحْلَاهُمَا مَرٌّ.

مَعَ الْعِلْمِ أَنَّ السُّعُودِيَّةَ لَيْسَتْ الْجَبْهَةُ الْبَسِيطَةُ فِي الْعُرْفِ الْعَسْكَرِيِّ، وَإِيرَانُ بِكُلِّ أَسْلِحَتِهَا لَنْ تَصُمِدَ فِي مُوَاجَهَةِ الْقُوَّةِ السُّعُودِيَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ، نَاهِيكَ عَنِ الْحُوثِيِّ، وَلَكِنْ أَيْدِي الشَّرِّ الَّتِي تَلْعَبُ بِالْمُعَادَلَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ هِيَ الَّتِي تَتَحَكَّمُ فِي مِيزَانِ تَرْجِيحِ الْغَالِبِ وَالْمَغْلُوبِ حِينَ نَعْتَرِفُ مَنْطِقِيًّا أَنَّ مَنْ يُدِيرُ اللَّعْبَةَ هِيَ الْقَوَى الْعُظْمَى بِلا أَذْنَى شَكٍّ، وَلَيُدْفَقُ النَّابَةُ فِي مُجَرَّيَاتِ الْأُمُورِ حِينَ تَكُونُ الْخُطَّةُ وَالْهَدَفُ شِرَاءَ السَّلَاحِ الْمُضَادِّ لِتِلْكَ الصَّوَارِيخِ الَّتِي فِي كُلِّ مَرَّةٍ سَيُوجِدُونَ سِلَاحًا آخَرَ مُتَطَوِّرًا يَسْتَوْجِبُ سِلَاحًا جَدِيدًا مُتَطَوِّرًا، وَإِلَى مَتَى سَتَتَحَمَّلُ الشُّعُوبُ تِلْكَ الْمُعَادَلَاتِ الْمُفْتَعَلَةَ وَالْخَشْيَةَ مِنَ الْمُوَاجَهَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ الَّتِي سَتَكُونُ دَمَارًا لِكُلِّ الْأَطْرَافِ، وَالْمُسْتَفِيدُ هُوَ الْأَقْوَى الَّذِي يُخَطِّطُ بِإِنْقَانٍ، وَدَوْلُ الْمُوَاجَهَةِ تَنْفِذُ مَكْرَهَةً لِحِمَايَةِ دَوْلِهَا وَشُعُوبِهَا وَمُكْتَسَبَاتِهَا وَثَرَوَاتِهَا. نَرَى أَنَّ حَلًّا مُوَقَّتًا يَطْرَأُ لِلِاسْتِعَانَةِ بِالدُّوَلِ الْمُحَايِدَةِ الدَّاعِيَةِ إِلَى السَّلَامِ أَنْ تَتَدَخَّلَ فِي إِيقَافِ إِيرَانِ وَالْحُوثِيِّ وَمِلِيشِيَّاتِ إِيرَانِ ضِمْنَ اتِّفَاقٍ وَقَفَ إِطْلَاقُ نَارِ يَتِمُّ بَعْدَهُ الْجُلُوسُ عَلَى طَاوِلَةِ الْمُفَاوَضَاتِ عَبْرَ تِلْكَ الدُّوَلِ، وَالزَّامُ إِيرَانَ بِعَدَمِ التَّعَدِّيِّ عَلَى دَوْلِ الْجَوَارِ، وَإِلَّا تَكُونُ كُلُّ الدُّوَلِ السَّاعِيَةِ لِلْسَّلَامِ فِي مُوَاجَهَتِهَا عَسْكَرِيًّا وَاقْتِصَادِيًّا؛ وَهُوَ أَمْرٌ يُوزَعُ الْأَدْوَارَ لئَلَّا تَكُونُ فِي يَدِ قُطْبٍ أَوْ دَوْلَةٍ بَعِيْنَهَا تَسْعَى إِلَى مَصَالِحٍ خَاصَّةٍ، وَلَهَا مَكَاسِبٌ مِنْ إِدَارَةِ تِلْكَ الْحُرُوبِ. وَمِنَ الْأَكِيدِ أَنَّ الَّذِي فِي عُقُولِ السَّاسَةِ الْعَرَبِ لَهُ تَصَوُّرٌ وَمَنْهَجٌ وَمَوْضُوعٌ مَحْسُوبٌ بِالْخِيَارَاتِ، خِلَافًا لِتَصَوُّرَاتِنَا الْبَسِيطَةِ لِأَنَّ الصُّورَةَ الْأَكْمَلَ وَاضِحَةٌ جَلِيَّةٌ أَمَامَهُمْ بِكُلِّ تَفَاصِيلِهَا وَهُمْ الْأَقْدَرُ وَالْأَجْدَرُ وَالْأَمْكَنُ عَلَى اتِّخَاذِ الْقَرَارَاتِ الْمُنَاسِبَةِ الَّتِي تُصَبُّ فِي حِمَايَةِ دَوْلِهِمْ وَشُعُوبِهِمْ وَثَرَوَاتِهِمْ، وَأَنَّا سَنَسْمَعُ وَنَرَى فِي قَادِمِ الْأَيَّامِ الرَّدَّ الْعَقْلَانِيَّ الْمُفْنِعَ وَالْمُطْمَئِنِّ لِتَوْضُعِ الْأُمُورِ فِي مَوَاضِعِهَا حَتَّى يَقِفَ كُلُّ عَادٍ وَمُؤْتَوِّرٍ وَحَاقِدٍ عِنْدَ حُدِّهِ وَيُشْرِقَ السَّلَامُ عَلَى دَوْلِ الْمِنْطَقَةِ مِنْ جَدِيدٍ، وَاللَّهُ مِنْ وَرَاءِ الْقَصْدِ.

صَدَقَ الرَّسُولُ

حِينَ قَالَ رَسُولُنَا الْعَظِيمُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ؛ الطَّيِّبُ وَالنِّسَاءُ وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ». أَوْ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحَابَتِهِ أَجْمَعِينَ. أَجَدُّ أَنَّهُ قَدْ اخْتَصَرَ أَثْمَنَ شَهَوَاتِ الْحَيَاةِ الَّتِي تَتَجَسَّدُ فِي النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ بِعُمُومِيَّتِهَا، وَتَظَلُّ الْخُصُوصِيَّةُ فِي اخْتِلَافِ الْعَقَائِدِ. بَدَأَ بِالطَّيِّبِ لِأَنَّهُ هُوَ مَا يَفْتَحُ سَرَائِينَ الْجِسْمِ فَيُشِيعُ الْبَهْجَةَ لِكَيْ تَأْتِيَ الْمُنْعَةُ الثَّانِيَّةُ وَهِيَ النِّسَاءُ، وَهِيَ الْمُنْعَةُ الْأَجْمَلُ الَّتِي هَيَّأَهَا الْعَطْرُ بَيْنَ طَرَفِي عِلَاقَةٍ، وَهُوَ الْقُرْبَانُ الْمُقَدَّمُ لِلْمُنْعَةِ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ، وَهُوَ خُلُقُ اللَّقَاءِ مِنَ الْمُكَدَّرِ لِلنَّفْسِ وَهِيَ الرِّيحُ الْخَبِيثَةُ الْعَفِنَةُ، وَهُوَ مَا يُنْفَرُ أَحَدُهُمَا مِنَ الْآخَرِ. ثُمَّ الصَّلَاةُ لِأَنَّهَا تَحْمِلُ عَلَى النِّظَافَةِ مِنْ مَوَاطِنَ تَجْمَعُ التَّخَمُّرُ لِلْعَوَالِقِ الثَّابِتَةِ عَلَى الْجِسْمِ وَالتَّخْلُصُ مِنْهَا لِيَكُونَ اللَّقَاءُ مُمْتَعًا وَمُشَهَّيًّا بَيْنَ الْمُتَقَارِبِينَ فِي الْخُلُوتِ وَاللِّقَاءَاتِ الْيَوْمِيَّةِ، وَتَكُونُ الْحَيَاةُ أَشْهَى وَأَمْتَع. ذَاكَ مَا اسْتَوْحَيْتُهُ مِنْ عِطْرِهَا. (العطر) رَوَايَةُ قَرَأْتُهَا مِنْ زَمَنٍ قَرِيبٍ لِأَحَدِ الرُّوَائِيَّينَ الْغَرِيبَيْنِ، وَفِيهَا مَا هُوَ مُغَايِرٌ لِسِحْرِ الْعِطْرِ.

29 سبتمبر 2017

الاستثمار الآمن والربحي في أرامكو

كَأَحَدِ رَجَالِ الْأَعْمَالِ السُّعُودِيِّينَ وَالْمُتَابِعِينَ لِلِاسْتِثْمَارَاتِ فِي الْعَالَمِ، أَرَى طَرَحَ أَهْلِهِمْ لَشَرَكَةِ أَرَامُكُو السُّعُودِيَّةِ سَوْفَ يَعُودُ بِفَائِدَةٍ رَبْحِيَّةٍ مَعْقُولَةٍ، وَلَا كَثُرَ أَمَانًا وَمُصَدَّقِيَّةً أَنَّهَا تَقَعُ تَحْتَ ضَمَانِ الدَّوْلَةِ. نَعَمْ هِيَ فُرْصَةٌ لِمَنْ أَرَادَ الْإِسْتِثْمَارَ الرَّبْحِيَّ الْآمِنَ فِي ظِلِّ مَا نَرَاهُ مِنْ هَزَاتٍ اِقْتِصَادِيَّةٍ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَسْوَاقِ الْمَالِ الْعَالَمِيِّ. وَحِينَ بَنَيْتُ رَأْيِي هَذَا لَمْ أَبْنِهِ إِلَّا بَعْدَ تَمْحِصٍ وَدِرَاسَةٍ مُقْنَعَةٍ لِاسْتِثْمَارٍ يَكُونُ طَوِيلَ الْأَجْلِ يُؤْتِي أَكْلَهُ بِإِذْنِ اللَّهِ بِعَوَائِدَ أَحْسَنُ مَا فِيهَا أَنَّهَا فَوَائِدُ رَبْحِيَّةٍ حَلَالٍ لَيْسَ فِيهَا وَلَا عَلَيْهَا شُبْهَةٌ، وَخُصُوصًا وَأَنَّهَا اسْتِثْمَارٌ فِي الْبِتْرُولِ الَّذِي يُعَدُّ شَرِيانَ حَيَاةِ الْأُمَمِ، وَهُوَ مَا لَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ إِنْسَانٌ نَاهِيكَ عَنِ الدَّوْلِ. إِنِّي أَعْتَبَرُهَا فُرْصَةً لَنْ تَتَكَرَّرَ فِي الْإِسْتِثْمَارِ فِي شَرَكَةِ أَرَامُكُو. أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ هَذَا الطَّرْحُ فَاتِحَةً خَيْرٍ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

5 نوفمبر 2019

النَّهَایَةُ

الْحَيَاةُ الدُّنْيَا أَطْوَلُ مِنَ الْأَعْمَارِ، وَكُلُّ مَخْلُوقٍ لَهُ عُمُرٌ يَقْصُرُ أَوْ يَطْوُلُ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الْمَخْلُوقاتِ، لَيْسَ هَذَا الْمُهْمُ؛ لَكِنَّ الْأَهْمَّ أَنَّ كُلَّ الشُّرُورِ وَالظُّلْمِ وَالْأَمْرَاضِ وَالْآلَامِ وَالْمُهِمُومِ لَا تَلْبُثُ أَنْ تَنْتَهِيَ وَتَزُولَ وَتُصْبِحَ نَسِيًّا مَنْسِيًّا بِمُجَرَّدِ لَفْظِ الْأَنْفَاسِ الْأَخِيرَةِ لِلْمَخْلُوقِ، وَسَوْفَ يَكُونُ فِي سُبَاتٍ دَائِمٍ، ثُمَّ بَعْدَ فِتْرَةٍ يَتَحَلَّلُ وَكَأَنَّ الَّذِي بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجِسْمِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَلَا رَابِطَ بَيْنَهُمَا وَلَا عِلَاقَةَ، فَالرُّوحُ تَنْسَى الْجِسْمَ، وَالْجِسْمُ يَكُونُ بَلَا أَيْ شُعُورٍ بِفَقْدَانِ الرُّوحِ، بَرَعَمَ أَنَّ الرُّوحَ كَانَتْ تَسْكُنُ ذَلِكَ الْجِسْمَ فَكِلَاهُمَا خُلِقَا وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا أَيْةٌ صِلَةٍ إِلَّا أَنْ تُودِّيَ الرُّوحُ مُهِمَّتَهَا كَشَاحِنَ لَوْقُودِ الْحَيَاةِ، وَالْجِسْمُ يَتَحَرَّكُ وَيَنْبُضُ إِلَى حِينٍ، ثُمَّ يَنْسَى كِلَاهُمَا الْآخَرَ. قَدَرِيَّةٌ عَجِيبَةٌ وَغَيْبٌ أَعْجَبُ، يَبْقَى أَلَمُ الْفَقْدِ فِي الْأَحْيَاءِ حَتَّى يَصِيرُوا إِلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ غَيْرُهُمْ، وَهَكَذَا فِي مَتَوَالِيَةِ مَوْتِيَّةٍ وَصَمَتِ أَبَدِيٌّ وَصُحْبَةٌ خَالِدَةٌ مَعَ التُّرَابِ أَوْ مَعَ ذَرَاتِ الرِّيحِ أَوْ قِيعَانِ الْبَحَارِ، وَلَكِنْ كُلُّ الْأَجْسَامِ تَتَحَلَّلُ أَوْ تُؤْكَلُ، وَالْأَكْلُ يُؤْكَلُ، كُلُّ يَذُوبُ فِي الْكُلِّ، الْمُهْمُ أَنَّ الَّذِي كَانَ شَيْئًا يُصْبِحُ لَا شَيْءَ، وَلِلَّهِ فِي خَلْقِهِ شُؤُونٌ.

26 نوفمبر 2018

الْغُثَاءُ

هَلْ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنَّ هَذِهِ الْحُرُوبَ فِي مَنَاطِقِ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ - وَبِالذَّاتِ فِي الْأَوْطَانِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ - الَّتِي نَعْتَقِدُ أَنَّهَا تُدَارُ مِنْ قِبَلِ الشُّعُوبِ الْعَرَبِيَّةِ وَالتُّرْكِيَّةِ وَالْفَارْسِيَّةِ وَلَمْ نَعِ حَقِيقَةَ اللُّعْبَةِ الَّتِي تَحَاكُ مِنْ أَمْرِيكََا وَرُوسِيَا وَأُورُوبَا وَإِسْرَائِيلَ، وَالَّتِي وُضِعَ لَهَا كَبْشُ الْفِدَاءِ (إِيرَانُ)، وَجَسَمُوهَا لَنَا وَخَشَا كَاسِرًا، وَإِيرَانُ أَوْهَنُ مِنْ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ، وَإِنَّ تِلْكَ الْحُرُوبَ هِيَ إِرْهَاصَاتٌ لِلْإِنْقِضَاضِ عَلَيْنَا وَعَلَى أَوْطَانِنَا وَتَفَاسِمِهَا، وَإِنَّ هُنَاكَ مُخَطَّطًا قَدْ تَمَّتْ مَنَاقِشَتُهُ وَاعْتِمَادُهُ مِنْ قَبْلِ تِلْكَ الدُّوَلِ مُنْذُ زَمَنِ لِلْإِطْبَاقِ الْعَسْكَرِيِّ عَلَى الْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ وَانْتِهَابِ خَيْرَاتِهِ وَثَرَوَاتِهِ، وَالْعَرَبُ وَالْمُسْلِمُونَ سَيَكُونُونَ الْعَبِيدَ الْجُدُدَ فِي مَوَاطِنِهِمْ، فَقَطُّ هُمْ

يَمْدُون أَيَادِيَهُمْ بِالسَّلَاحِ لِيَقْتُلَ بَعْضُنَا بَعْضًا. يَتَبَقَّى أَقْلُ الْقَلِيلِ، وَإِنَّ مُسْلَسَلَ تَدْمِيرِ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ لَمْ يَنْتَه فَهُوَ مُخَطَّطٌ يَنْفَذُ بِدِقَّةٍ وَبِنَجَاحٍ كَامِلٍ، وَسَاعَةُ الصَّفْرِ قَرِيبَةٌ جَدًّا، فَهَتَى يَئِي الْعَرَبُ وَالْمُسْلِمُونَ أَنَّ الذَّنَابَ الشُّقْرَ حَوْلَنَا تَسْتَعِدُّ لِلْإِنْقِضَاضِ عَلَيْنَا! فَإِذَا لَمْ تَتَوَقَّفْ عَنْ قَتْلِ بَعْضِنَا بَعْضًا فِي هَذِهِ الْأَوْطَانِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ وَتَنْتَبِهَ سَرِيعًا وَنُحَوِّلَ أَنْظَارَنَا إِلَى الْأَعْدَاءِ وَنَجْتَمِعَ نَحْنُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ لِلدِّفَاعِ عَنْ أَنْفُسِنَا وَمُكْتَسَبَاتِنَا وَمُقَدَّرَاتِنَا؛ فَإِنَّا سَنَكُونُ الْأَغْيَاءَ فِعْلًا، وَسَنَقُولُ كَمَا قِيلَ (أَكَلْنَا يَوْمَ أَكَلَ الثَّوْرُ الْأَبْيَضُ). فَمَنْ يَجْمَعُنَا مُسْلِمِينَ مَرَّةً أُخْرَى وَمُحَمَّدٌ - عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ - وَصَحَابَتُهُ الْعُرَّ الْمَيَامِينُ عَلَيْهِمُ رِضْوَانُ اللَّهِ قَدْ مَاتُوا، وَالرُّشْدُ غَادَرَ أَرْضَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يَشْتَرِيَ كُلُّ مُسْلِمٍ كَفَّهُ قَبْلَ أَنْ تَرْتَفِعَ أَسْعَارُ الْكَفَنِ وَتُدْفَنَ عُرَاةً مِنْ غَيْرِ كَفَنِ، فَأَقُولُ:

كُلُّ يُعَدُّ لَهُ الْكَفَنُ	قَتَلَ الْعُرُوبَةَ قَدْ أَذِنَ
وَالْمُسْلِمُونَ سَيُقْتَلُونَ	نَ وَلَيْتَهُمْ صَدَقُوا الزَّمَنَ
إِنَّ الذَّنَابَ تَحَلَّقَتْ	تَغْزُوا الْمَوَاطِنَ وَالْمُدُنَ
كَيْفَ الْخُنُوعُ أَصَابَنَا	وَرَمَى بِأُمْتِنَا الْوَهْنَ
صِرْنَا الْعَبِيدَ أَذَلَّةً	لِلْمُعْتَدِينَ بِلَا ثَمَنَ
مَنْ سَوُفَ يَجْمَعُنَا وَقَدْ	رَحَلَ النَّبِيُّ الْمُؤْتَمَنَ
نَحْنُ الْغُثَاءُ جَمِيعُنَا	بَلْ نَحْنُ كَالْأَوْهَامِ ظَنَ

17 نوفمبر 2019

كَيْفِيَّةُ الْمَعَاشِ الْحَيَاتِيِّ

كَيْفَ نَسْتَطِيعُ الْعَيْشَ فِي الْحَيَاةِ بِأَقْلٍ الْمَشَقَّاتِ؟ إِنَّهَا مُعَادَلَةٌ صَعْبَةٌ فَالْحَيَاةُ تَقُومُ عَلَى تَدَايِعَاتٍ زَمَنِيَّةٍ لِأَحْدَاثٍ كَوْنِيَّةٍ تَتَعَارَضُ وَتَتَوَافَقُ فِي صِرَاعٍ أَبَدِيٍّ أَرْزَلِيٍّ يُعْطِيهَا حَرَكَتِيَّةَ الْحَيَاةِ وَالْأَلَا لَأَلَّتْ إِلَى الْعَدَمِيَّةِ، فَكَانَ غِذَاءَ الْحَيَاةِ هُوَ ذَلِكَ الصِّرَاعُ الْيَوْمِيُّ الْمُتَجَدِّدُ، فَالثَّانِيَّةُ لَهَا خُصُوصِيَّةٌ أَنْتِظَارِ الْحَدَثِ السَّارِّ وَالْمُؤَلِّمِ، وَلِكُلِّ ثَانِيَّةٍ قَدَرِيَّةُ الْفِعْلِ أَوْ تَحْمُلُ تَبَعِيَّةُ الْفِعْلِ اسْتِدْرَاكًا أَوْ تَضْمِيدًا أَوْ اضْطِبَارًا عَلَى أَحْتِمَالِ حَدَثِيَّةِ الْفِعْلِ لِيَمْتَدَّ الْفِعْلُ مِنْ جُزْئِيَّةِ الثَّانِيَّةِ إِلَى الدَّقِيقَةِ إِلَى السَّاعَةِ إِلَى الْيَوْمِ، وَالْيَوْمُ هُوَ وَحْدَهُ مَنْ يَقْدُمُ السَّيْرَةَ الْمَرْوِيَّةَ، أَمَّا الْغَدُ فَهُوَ وَقَعَ تَحْتَ طَائِلَةِ الْأَمَلِ لَا يَدْخُلُ ضِمْنَ وَقَائِعِ الْأَحْدَاثِ لِأَنَّهُ لَمْ يَنْضَمَّ إِلَى وَقَائِعِ الْأَحْدَاثِ، إِذْ إِنَّهُ افْتَرَضِيُّ الْخُذُوثِ لِلنَّفْسِ؛ فَلِكُلِّ غَدٍ يَوْمٌ، وَلِكُلِّ يَوْمٍ غَدٌ، فَالنَّفْسُ لَا تَعَاقِبُ عَلَى أَفْعَالِ غَدٍ لَمْ تَعِشْ تَجَارِبَهُ وَلَمْ تَكُنْ فِيهِ، أَوْ تَثَابُ عَلَيْهِ لِأَنَّ الْفِعْلَ مُوقُوفٌ، أَمَّا الْيَوْمُ فَهُوَ الْمَعِيشُ لِلنَّفْسِ يَدْخُلُ فِي إِطَارِ الْحَدَثِ التَّجْرِبِيِّ وَيَقَعُ عَلَيْهِ شُرُوطُ الْعِقَابِ وَالثَّوَابِ. الْيَوْمُ لَهُ مَكْنَةُ الْفِعْلِ السَّلْبِيِّ وَالْإِيجَابِيِّ لِلْإِنْسَانِ وَلَيْسَ الْقَدَرِيُّ الَّذِي لَهُ غَنْصُ الْمُفَاجَأَةِ وَالتَّحْقِيقِ لِأَنَّهُ الْغَيْبِيُّ الْفَاعِلُ وَالْمَفْعُولُ رَغْمًا عَنِ الرِّفْضِ أَوْ الْقَبُولِ، نَحْنُ نَتَحَدَّثُ عَنِ الْفِعْلِ الْمُتَكَوِّنِ فِكْرًا وَقَصْدًا مِنَ النَّفْسِ حِينَ تَكُونُ الْقُدْرَةُ عَلَى إِنْشَائِهِ لِيَكُونَ فِي الْبَدَءِ جَنِينًا لِلْفِكْرَةِ ثُمَّ وَلِيدًا مُكْتَمِلًا لِلْفِعْلِ يَقَعُ تَحْتَ طَائِلَةِ الْحِسَابِ، هُنَا يَكُونُ لِلنَّفْسِ التَّعَامُلُ مَعَ السَّلْبِيِّ وَالْإِيجَابِيِّ لِلْفِعْلِ الْمُحْدَثِ لِلْوَقَائِعِ الَّتِي يَكُونُ فِي مَقْدُورِ النَّفْسِ الْإِمْتِنَاعُ أَوْ تَنْفِيزُ الْفِعْلِ، فَالنَّفْسُ تَنْوِي الْفِعْلَ وَلَهَا قُدْرَةُ الْإِمْتِنَاعِ، وَلَهَا قُدْرَةُ التَّنْفِيزِ، فِيهِ الْأَوَّلُ لَا يَتَحَقَّقُ الثَّوَابُ أَوْ الْعِقَابُ، وَفِي الثَّانِي يَتَحَقَّقُ بِالتَّنْفِيزِ شَكْلُ الْفِعْلِ، وَتَتَحَقَّقُ تَقْدِيرَاتُ الْحِسَابِ السَّلْبِيِّ وَالْإِيجَابِيِّ حَسَبَ التَّقْنِينِ الْإِنْسَانِيِّ لِتَوْقِيعِ الْجَزَاءِ، وَالْجَزَاءُ بِشَقِيهِ الْمُوَلِّمِ أَوْ الْمُسْعِدِ هُوَ حَادِثٌ نَتِيجَةٌ حَدَثٍ حَدَثَ رَبَّمَا جَرَّ إِلَى النَّدَمِ، وَرَبَّمَا حَمَلَ الْفَرَحَ وَالْهَنَاءَ لِلنَّفْسِ. وَيَبْقَى السُّؤَالُ فِي الْفِعْلِ السَّلْبِيِّ حَيْثُ النَّدَمُ يَقُولُ: هَلْ إِنِّي لَوْ لَمْ أَفْعَلْ كُنْتُ أَفْضَلُ حَالًا؟ وَلَكِنَّ النَّفْسَ غَيْرَ الْمُفَكِّرَةِ وَغَيْرَ الْعَاقِلَةِ لِلْفِعْلِ الْإِنِّي لَا تَسْتَطِيعُ كَبْحَ الْفِكْرَةِ السَّرِيعَةِ الَّتِي هِيَ بَعْكَسُ الْفِكْرَةِ الْمُتَعَقِّلَةِ قَبْلَ وَبَعْدَ تَحْقِيقِ الْفِعْلِ، وَكِلَاهُمَا يَصْدُرَانِ مِنَ الْقَلْبِ الْأَمْرِ وَالْمُسْوَغِ لِلْفِعْلِ مِنْ عَدَمِهِ، فَإِذَا شَرَعَتْ النَّفْسُ بِالتَّفَكُّيرِ لِلْقِيَامِ بِفِعْلٍ مَا يُنَاقِشُ الْقَلْبُ الْعَاقِلُ فِي تَبَعَاتٍ وَنَتَائِجِ الْفِعْلِ سَعِيدًا

كَانَ أَمْ مُؤَلِّمًا، وَفِي أَغْلَبِ الْأَحْيَانِ لَا يَكُونُ الْقَلْبُ الْعَاقِلُ خَارِجًا عَنْ دَائِرَةِ الصَّوَابِ، وَبِعَكْسِهِ يَكُونُ الْقَلْبُ الْمُتَسَرِّعُ الَّذِي يَفْتَقِرُ إِلَى الْأَنَاءَةِ وَالْحِكْمَةِ وَالْبَصِيرَةِ الَّتِي تَسْتَطِيعُ إِيقَافَ الْفِعْلِ أَوْ تَنْفِيزَهُ. سُؤَالٌ: هَلْ تَسْتَطِيعُ النَّفْسُ الْمُفَكِّرَةُ ذَاتُ الْقَلْبِ الْعَاقِلِ إِيقَافَ الْفِعْلِ الضَّارِّ؟ الْجَوَابُ: نَعَمْ؛ لِأَنَّ النَّفْسَ الْعَاقِلَةَ تَحْسَبُ لِلنَّاتِجِ. سُؤَالٌ: أَحْيَانًا يَزْكِبُ الْقَلْبُ الْعَاقِلُ الْفِعْلَ السَّالِبَ لِلْإِضْرَارِ، فَهَلْ يَتَعَارَضُ ذَلِكَ مَعَ رَجَاحَةِ الْقَلْبِ الْعَاقِلِ؟ الْجَوَابُ: لَا، إِنَّمَا يَنْدَرِجُ ذَلِكَ تَحْتَ قَنَاعَةِ الْإِرَادَةِ الْمُنْفَذَةِ لِلْفِعْلِ عَنْ قَصْدِ الْقَلْبِ الْعَاقِلِ، هُنَا يَكُونُ الْحِسَابُ عَلَى الْقَلْبِ الْعَاقِلِ وَهِيَ النَّفْسُ، وَيَكُونُ مُكْتَمِلًا لِأَدَوَاتِ الْعِقَابِ أَوْ الثَّوَابِ، حَتَّى وَلَوْ قُلْنَا بِتَقَلُّبَاتِ النَّفْسِ الْأَمَارَةِ بِالسُّوءِ أَوْ النَّفْسِ اللَّوَامَةِ أَوْ النَّفْسِ الْخَيْرَةِ، وَلَكِنَّهَا جَمِيعَهَا تَدْخُلُ تَحْتَ إِرَادَةِ الْقَلْبِ الْعَاقِلِ وَإِرَادَةِ الْقَلْبِ الْعَاقِلِ الْمُتَهَوِّرِ الَّذِي لَمْ يَعْمَلْ لَوْقَتَ بِالتَّرْوِي وَمُنَاقَشَةِ الْفِكْرِ لِلْقَلْبِ الْعَاقِلِ.

هَذِهِ جَدَلِيَّةٌ قَائِمَةٌ عَلَى فَرْضِيَّةٍ تَقْدِيرِيَّةٍ تَدْخُلُ فِي إِطَارِ الْخِيَالِ الْوَاقِعِيِّ، يَدْعُمُهَا أَسَانِيدُ التَّجْرِبِ لِلنَّفْسِ أَيًّا كَانَتْ عَاقِلَةً عَاقِلَةً أَمْ عَاقِلَةً مُتَهَوِّرَةً تَحْتَكِمُ إِلَى النَّيْجَةِ لَا إِلَى الْفِكْرِ، فَكَيْفَ يَتَأَتَّى لَنَا أَنْ نَعِيشَ مَعَ أَنْفُسِنَا بِأَقْلٍ مَشَقَّةٍ تَذْكُرُ، وَلَيْسَ بِدُونِ مَشَقَّةٍ؛ لِأَنَّ شَرِيعَةَ الْحَيَاةِ الْكَبْدُ، وَلَا يُوْجَدُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مُعَانَاةٌ مَعَ الْحَيَاةِ، وَلَكِنْ نَحْنُ نَحَاوِلُ أَنْ نُبَسِّطَ الْعَيْشَ لِلنَّفْسِ لِنُعْطِيَ قَدْرًا مِنَ التَّاهِيلِ لِلنَّفُوسِ عَلَى تَدَارُكِ الْوُقُوعِ فِي أَتُونِ الْأَلَمِ وَالنَّدَمِ وَالْعَيْشِ الْكَيْبِ الْمَازُومِ الْمُؤَدِّي إِلَى قَلْقِ الْإِنْسَانِ وَضِيقِ الْأَمَلِ وَاسْتِشْعَارِهِ بِالْمَلَمَلِ وَالضِّيقِ وَالشُّعُورِ بِقَسْوَةِ الْحَيَاةِ، كَمَا أَنَّ النَّفْسَ ذَاتُ الْقَلْبِ الْعَاقِلِ حِينَ تَعِيشُ اللَّحْظَةَ السَّعِيدَةَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَحَقِّقَ السَّعَادَةَ بِشَكْلِ مُضَاعَفٍ حِينَ تُهْدِي لِلْمَازُومِينَ بَعْضًا مِنْ أَشْكَالِ السَّعَادَةِ وَلَوْ بِأَقْلٍ قَدْرٍ، لَا أَنْ تَقُولَ نَفْسِي نَفْسِي؛ تِلْكَ مَظَنَّةٌ وَمَثَلَةٌ تُحْسَبُ سَلْبًا عَلَى الْقَلْبِ الْعَاقِلِ؛ لِأَنَّ النَّفْسَ فَأَيًّا كَانَتْ هِيَ تَعِيشُ مَعَ نَفُوسٍ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَعِيشَ بِمُفْرَدِهَا، وَهِيَ تَنْشُدُ الْإِسْتِنَاسَ بِالنَّفُوسِ الْأُخْرَى وَالْأَخْرَى عَنْ دَوَائِرِ الْحَيَاةِ وَاعْتَزَلَتْ وَتَتَكَبَّرُ الْوَسَائِلَ الْخَيْرَةَ لِمَعَاشِهَا، فَكُلُّ نَفْسٍ تُرِيدُ الْعَيْشَ بِسَلَامٍ بَرَّغَمَ تَبَايُنِ الْأَفْعَالِ، وَالْإِرَادَةِ لِلْقَلْبِ الْعَاقِلِ إِذَا وَصَلَتْ إِلَى قَنَاعَةِ التَّفْرِيقِ بَيْنَ الشَّرِّ وَالْخَيْرِ فَمِنْ الْمُؤَكَّدِ أَنَّهَا تُرِيدُ الْخَيْرَ، وَهُنَا يَكْمُنُ الْإِحْسَاسُ بِالرَّاحَةِ النَّفْسِيَّةِ مِثْلُ الَّذِي يَقُومُ بِعَمَلِ الْخَيْرِ تَجَدُّهُ فِي رَاحَةٍ وَسَعَادَةٍ عَلَى خِلَافِ مَنْ يَقُومُ بِفِعْلِ شَرِّيرٍ تَجَدُّهُ يَعِيشُ حَالَاتٍ صَعْبَةً مِنَ النَّدَمِ وَالْخَوْفِ وَالْقَلْقِ الَّذِي يُؤَدِّي بِهِ إِلَى الْمَرَضِ وَرُكُوبِ مَرَائِبِ الْهَمِّ وَانْتِظَارِ رَدَّاتِ الْفِعْلِ لِفِعْلِهِ. إِنَّ الْمَحَاوَلَةَ

عَلَى تَعْوِيدِ الْقَلْبِ الْمُفَكِّرِ الْعَاقِلِ عَلَى انْتِهَاجِ الْفِعْلِ الْخَيْرِ، وَكَذَلِكَ اجْتِنَابِ النَّفْسِ ذَاتِ الْقَلْبِ غَيْرِ الْمُفَكِّرِ لِلنَّاتِجِ وَإِحْلَالِهَا بَيْنَ النَّفُوسِ الْخَيْرَةِ بَعْدَ اسْتِشْفَائِهَا لِتَعُودَ أَكْثَرُ عَافِيَةٍ وَصَلَاحًا لِكَيْ تَشْعُرَ بِلَذَّةِ الْعَيْشِ بِقَدْرِ مَقْبُولٍ لَيْسَ مُكْتَمِلِ السَّعَادَةِ؛ لِأَنَّ دَيْمُومَةَ السَّعَادَةِ لَا يُمْكِنُ تَحْقِيقُهَا عَلَى وَتِيرَةٍ مُتَوَاصِلَةٍ حَيْثُ إِنَّ الْحَيَاةَ قَائِمَةً عَلَى تَعَادُلِيَّةٍ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ لَكِنَّا نُرِيدُ أَنْ نَصِلَ بِالنَّفْسِ إِلَى قَدَرٍ أَكْبَرَ مِنَ الشُّعُورِ بِالْأُطْمِئْنَانِ وَالرَّاحَةِ الْوَقْتِيَّةِ حَتَّى تُخَفَّفَ مِنْ حُمُولِ النَّفُوسِ الْجَائِمَةِ عَلَى الصُّدُورِ بِإِرَادَةِ أَكْبَرَ مِنْ إِرَادَاتِنَا وَشُكُولِ الْحَيَاةِ فِي مَوَانِعِهَا وَرَفْضِهَا وَتَقَلُّبَاتِهَا بِمَا تَحْمِلُهُ مِنْ دَوَاعِي الْفَقْرِ وَالْهَمِّ وَالْمَرَضِ وَالْحَاجَةِ.

فِي ظِلِّ هَذِهِ الْوَقَائِعِ التَّجْرِبِيَّةِ وَالْإِفْتِرَاضِيَّةِ يَظُلُّ السُّؤَالُ الْأَكْبَرُ وَالْأَعْظَمُ عَلَى النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ: لَوْ قُدِّرَ لَكَ أَنْ تَخْتَارَ بَيْنَ أَنْ تَكُونَ أَحَدَ أَبْنَاءِ الْحَيَاةِ بَعْدَ هَذِهِ الْمُعَانَاةِ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ فِي النِّهَايَةِ سَتَمُوتُ وَتَنْتَهِي، هَلْ تُوَافِقُ عَلَى أَنْ تُوَجَدَ فِي الْحَيَاةِ أَمْ أَنَّكَ تَرْفُضُ وَتَتَمَنَّى أَنْ تَكُونَ نَسِيًّا مَنْسِيًّا؟ سَوْأَلٌ مَطْرُوحٌ عَلَى الْإِنْسَانِ الْمُتَرْفِعِ وَالْفَقِيرِ.

وَفِي نِهَآيَةِ هَذِهِ الْجَدَلِيَّةِ أَرْجُو أَنْ أَكُونَ قَدْ قَدَّمْتُ مَادَّةً تَجْرِبِيَّةً عَاقِلَةً مَقْبُولَةً فِي مُحَآوَلَةِ الْعَيْشِ بِأَقْلٍ كُفْلَةٍ وَمَشَقَّةٍ نَفْسِيَّةٍ.

21 نوفمبر 2018

كُلُّ مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ

يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} (سورة الإسراء: 36)
وَفِي الْحَدِيثِ: «اعْمَلُوا فَكُلُّ مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ».
وَيَقُولُ الْمُتَنَبِّي:

وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرُهُ فِيهِ مَا لَا يَرَى
فِي عَصْرِنَا تَجَدُّ الْبَعْضِ يُقْحِمُ نَفْسَهُ فِي أُمُورٍ تَخْرُجُ عَنْ دَوَائِرِ اخْتِصَاصِهِ وَمَعْرِفَتِهِ،
فَقَطُّ هُوَ يُرِيدُ لَفْتَ النَّظَرِ إِلَى أَنَّهُ الْعَالَمُ وَالْفَاهِمُ بِمُجَرَّدِ أَنَّهُ قَرَأَ كِتَابًا فِي فَنٍّ مِنَ الْفُنُونِ أَوْ
عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ، فَتَجَدُّهُ وَقَدْ نَظَرَ وَأَدْلَى بِفِكْرِهِ فِي مَوْضُوعٍ يُجَانِبُهُ الْحَقُّ وَالصَّوَابُ فِيهِ (فَلَا
هُوَ فِي الْعَلِيقِ وَلَا اللَّجَامِ) كَمَا قَالَ الْمُتَنَبِّي. وَبِدُونِ أَذْنَى حَيَاءٍ وَأَمَامِ أَسَاطِينِ الْفَنِّ وَأَرْبَابِهِ
وَكَأَنَّهُ يَعِيشُ فِي غَابَةِ لَيْسَتْ مَحْكُومَةٌ إِلَّا بِقَوَانِينِ الطَّبِيعَةِ (الْقَوِيُّ يَأْكُلُ الضَّعِيفُ)؛ لَكِنَّ
الْحَقِيقَةَ فِي الْفِكْرِ الْوَاعِي وَالْعَقْلِ الْمُفَكِّرِ وَالْإِنْسَانِ الْمُتَقَفِّ الَّذِي يَحْتَرِّمُ نَفْسَهُ يَجِبُ أَلَّا
يُعَرِّضَ عَقْلَهُ لِلنَّاسِ لِيَسْخَرُوا مِنْهُ حِينَ يَتَحَدَّثُ فِي مَوْضُوعٍ لَيْسَ مِنْ اخْتِصَاصِهِ وَلَا ضِمَّنَ
دَوَائِرِ اهْتِمَامَاتِهِ حِينَ يَكُونُ مَجَالَهُ مُخَالَفًا لِمَا يُحَاوِلُ أَنْ يَتَعَرَّضَ لَهُ فِي طَرَحٍ مِنَ الطَّرُوحَاتِ.
نَعَمْ، إِنَّ الْفِكْرَ مُشَاعًا بَيْنَ الْبَشَرِ وَلَكِنَّهُ مَحْكُومٌ بِضَوَابِطِ الْعَقْلِ وَالتَّخَصُّصِ وَالْمَوَاهِبِ
لِكَيْ يُكْمَلَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا دُونَ إِخْلَالِ بَمَنْظُومَةِ الْقِيَمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ وَالْإِبْدَاعِيَّةِ،
فَهَذَا عَالَمٌ شَرْعِيٌّ.. وَذَاكَ مُهَنْدِسٌ.. وَآخَرُ طَيَّارٌ.. وَآخَرُ طَبِيبٌ.. وَآخَرُ رَسَّامٌ أَوْ شَاعِرٌ....

أَمَا أَنْ تَجْعَلَ عَقْلَكَ مَوْضِعًا لِاسْتِهْجَانِ أَهْلِ التَّخَصُّصَاتِ الْمُحَدَّدَةِ فَإِنَّكَ تَكُونُ مَرِيضًا
يَجِبُ إِمَّا أَنْ تَتَعَرَّضَ لِصَدْمَةٍ مَا لِكَيْ تُفِيقَ أَوْ إِذَا كَانَ مَرَضُكَ الْعَقْلِيُّ عُضَالًا فَذَلِكَ
يَسْتَوْجِبُ عِلَاجًا مِنْ نَوْعٍ آخَرَ وَهُوَ الْعِلَاجُ بِالصَّدَمَاتِ الْكَهْرِبَائِيَّةِ حَتَّى يَعُودَ الْعَقْلُ إِلَى
سَوِيَّتِهِ وَطَبِيعَتِهِ كَانَسَانٍ مُدْرِكٍ لِمَا يَقُولُهُ وَمَا يَتَصَرَّفُهُ، وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يُفَنِّدَ الصَّوَابَ مِنَ
الْخَطَأِ، وَلَا يَتَحَدَّثُ فِي مَوْضُوعٍ إِلَّا وَيَكُونُ مُتَخَصِّصًا فِيهِ، مَثَلًا لَوْ جَاءَ مَنْ يَتَحَدَّثُ فِي
الْفِيزِيَاءِ فَإِنَّهُ مِنَ الْعَيْبِ وَالْعَارِ أَنْ يَتَحَدَّثَ فِيهِ إِلَّا مَنْ لَهُ فَهْمٌ وَدِرَافَةٌ فِي عِلْمِ الْفِيزِيَاءِ،
وَقِسْ عَلَى ذَلِكَ كُلِّ الْعُلُومِ وَالْمَوَاهِبِ. لَكِنَّ الْعِيَّ لَا يَشْعُرُ بِاسْتِهْجَانٍ لِأَنَّ الشُّعُورَ لَدَيْهِ

مُخْتَلِطٌ بِاللَّاشُعُورِ، فَهُوَ يَهْرَفُ بِمَا لَا يَعْرِفُ، وَعَبَثًا تُحَاوِلُ أَنْ تَنْصَحَ شَخْصًا مِثْلَ هَذَا لِأَنَّهُ رَبَّمَا يُودِّي بِهِ السَّفَهُ إِلَى التَّطَاوُلِ عَلَيْكَ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ أَنْ تَدَعَهُ لِلزَّمَانِ فَرَبَّمَا يُوقِعُهُ جَهْلُهُ مَعَ جَاهِلٍ مِثْلِهِ أَوْ يَصْطِدِمَ بِوَاقِعٍ آخَرَ يُعِيدُ إِلَيْهِ صَوَابَهُ أَوْ يَعِيشَ مَمْسُوسًا بِشَيْطَانِهِ مُؤْمِنًا بَأَنَّ الصَّوَابَ هُوَ الْخَطَأُ وَالْخَطَأُ هُوَ الصَّوَابُ. وَنَقُولُ إِنَّ الْعَقْلَ نِعْمَةً لِمَنْ أَحْكَمَ عَقْلًا تَفْكِيرِهِ وَتَكَلَّمَ فِيهَا يَعْغِيهِ وَمَا هُوَ عَالِمٌ بِهِ، وَإِلَّا فَإِنَّهُ يَخْرُجُ عَنْ دَوَائِرِ الْعُقَلَاءِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

18 ديسمبر 2018

الفيس يسأل

الفيس مكتوب فيه: بِمَ تُفَكِّرُ؟ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ لَدَيْكُمْ وَأَنَا سَاجِبُ مَعَالِي الْفَيْسِ:
يَا مَعَالِي الْفَيْسِ، لَوْ قُلْتُ لَكَ بِمَ أَفَكَّرُ، هَلْ سَتَكُونُ مُسَاعِدًا وَقَاضِيًا لِمَا سَاجِبُكَ عَلَيْهِ؟ وَسَافَتَرَضُ جَدًّا أَنَّكَ قُلْتَ لِي نَعَمْ سَأَكُونُ كَمَا تُرِيدُ. إِذَا سَاجِبُكَ بِمَ أَفَكَّرُ.. أَفَكَّرُ يَا صَاحِبَ الْمَعَالِي الْفَيْسِ الْأَفْخَمِ، بِأَحْوَالِ النَّاسِ، أَفَكَّرُ بِالْفَقِيرِ وَالْمَسْكِينِ وَالضَّعِيفِ وَالْغَرِيبِ وَالْقَرِيبِ وَالْبَائِسِ الْمَحْرُومِ، أَفَكَّرُ بِالْمَرِيضِ، أَفَكَّرُ بِالْمُسْرَدِ الَّذِي تَرَكَ بَلَدَهُ مِنْ وَبِلَاتِ الْحُرُوبِ، أَفَكَّرُ بِالطُّفْلِ الْيَتِيمِ الَّذِي حَرَمَتْهُ الْحَيَاةُ حَنَانَ الْأُمُومَةِ وَرِعَايَةَ الْأَبَّةِ، أَفَكَّرُ فِي النِّسَاءِ الْمُطْلَقَاتِ اللَّاتِي يَحْتَضِنُ أَبْنَاءَ وَبَنَاتٍ لَيْسَ لَهُنَّ عَائِلٌ إِلَّا هُنَّ بَعْدَ اللَّهِ، أَفَكَّرُ فِي الْمَدِينِ الْمُعْسِرِ الَّذِي يَتَهَدَّدُ الْخَوْفُ بِعُقُوبَةِ السَّجْنِ، أَفَكَّرُ فِي الْمَظْلُومِ السَّجِينِ بغيرِ حَقٍّ، أَفَكَّرُ فِيمَنْ سَلَبَ مَالَهُ وَعَرَضَهُ وَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْتَصِرَ لِنَفْسِهِ، أَفَكَّرُ فِي الْجَرِيحِ جِسْمًا وَنَفْسًا، أَفَكَّرُ فِي الشَّبَابِ الَّذِينَ وَقَعُوا فَرِيسَةً لِأَصْحَابِ الشُّوءِ فِي تَعَاطِي الْمُخَدَّرَاتِ بِكُلِّ أَنْوَاعِهَا، أَفَكَّرُ فِي الْعَامِلِ وَالْعَامِلَةِ وَالْمُهَاجِرِ الَّذِينَ تَرَكُوا أَهْلَهُمْ وَوَطَنَهُمْ كَيْ يَوْمُنُوا لَهُمْ وَلَدَوِيهِمْ مَعِيشَتَهُمْ، أَفَكَّرُ فِيمَنْ ظَلَمَهُ الْقَوِيُّ وَهُوَ لَا يَلْوِي عَلَى شَيْءٍ سِوَى الصَّمْتِ وَالشُّكُوى بِالْقَلْبِ إِلَى اللَّهِ، كَثِيرٌ هُوَ مَا أَفَكَّرُ بِهِ يَا مَعَالِي الْفَيْسِ، وَكُلُّ مَا أَفَكَّرُ بِهِ هُوَ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِمُومِ النَّاسِ وَشِقَاءِ النَّاسِ مِنَ النَّاسِ. أَجِبْنِي يَا مَعَالِي الْفَيْسِ، كَيْفَ نُسَاعِدُ وَنُنْصِرُ فِي نَصْرَةِ هَؤُلَاءِ الْمَكْلُومِينَ. وَاللَّهِ إِنِّي بِقَدْرِ مَا اسْتَطِيعُ أَقْدَمُ، لَا تَظُنُّ أَنِّي فَقَطْ أَتَحَدَّثُ عَنْهُمْ وَلَكِنْ أَنَا لَا اسْتَطِيعُ وَحْدِي أَنْ أَسَاعِدَ هَذَا الْكَمَّ مِنَ الَّذِينَ دَارَتْ عَلَيْهِمُ الْأَيَّامُ وَتَرَكْتَهُمْ فِي وَجِيعَةٍ وَالْمِ وَغَمٍّ، وَفِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ حِينَ أَعْجَزَ أَرْفَعُ يَدِي إِلَى اللَّهِ فَادْعُو لِي وَلَهُمْ بِمَا أَرْجُوهُ فِي رَبِّي وَأَمَلُهُ فِيهِ، فَهَلْ تُسَهِّمُ مَعِي يَا مَعَالِي الْفَيْسِ بِرَفْعِ هُمُومِ الْمَهْمُومِينَ إِلَى كُلِّ قَلْبٍ رَحِيمٍ وَإِلَى كُلِّ قَادِرٍ كَرِيمٍ وَإِلَى كُلِّ مَسْئُولٍ عَظِيمٍ يُقِيلُ مِنْ عَثَرَاتِ النَّاسِ وَيُكْرِمُ مَنَوَاهُمْ وَيَسْمَعُ شَكْوَاهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَظِلَامَتَهُمْ وَيَخُونُ عَلَيْهِمْ؟ هَلْ تَسْتَطِيعُ يَا مَعَالِي الْفَيْسِ؟ إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ فَلَا تَسْأَلْنِي بَعْدَ ذَلِكَ بِمَ أَفَكَّرُ؟ مَعَ تَحِيَّاتِ إِنْسَانٍ يَشْقَى بِهِمُومِ أَخِيهِ الْإِنْسَانِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ.

18 ديسمبر 2018

أَنَا مَنْ يَهِينُ نَفْسَهُ إِذَا اغْتَرَّتْ

عندما أحسُّ بأنَّ نفسي تُغريني بِالْغُرُورِ فَإِنِّي - وَاللَّهِ - أَنَا مَنْ يَهِينُهَا فَتَعُودُ صَاغِرَةً إِلَى إِنْسَانِيَّتِهَا؛ لِأَنِّي جَرَبْتُ النَّفْسَ فِي أَحْوَالِهَا فَلَمْ أَجِدْ إِلَّا الْحَبَّ وَالتَّوَاضُعَ وَالْكَرَمَ هُوَ مَا يَرْفَعُ الْإِنْسَانَ مَكَانًا عَلِيًّا، وَمَنْ عَرَفَ الْحَيَاةَ مَعْرِفَةَ الْعَالَمِ بِسِرِّهَا وَجَهْرِهَا جَعَلَهَا مَطِيَّةً لِبُلُوغِ السُّمُوِّ وَطِيبَ الذِّكْرِ، وَمَنْ يَكُنْ جَاهِلًا بِهَا أَوْرَدَتْهُ مَوَارِدَ الْهَلَاكِ وَأَعْرَضَتْ عَنْهُ إِعْرَاضَ الْعَالَمِ عَنِ الْجَاهِلِ. وَلَكِنِّي عِنْدَمَا عَرَفْتُهَا كُنْتُ أَنَا الَّذِي أَعْرَضْتُ عَنْ مُغْرِبَاتِهَا وَسَفَاسِفِهَا؛ لَذَا فَهِيَ تَحَاوُلُ مَرَارًا أَنْ تُغْرِيَنِي بِمَالِهَا وَجَاهِهَا وَعَبَثًا تَحَاوُلُ مَعِيَ، وَلَكِنِّي تَصَالَحْتُ أَخِيرًا مَعَ الْحَيَاةِ أَنْ يَكُونَ لَهَا نَعِيمُ الدُّنْيَا وَيَكُونَ لِي نَعِيمُ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَطِيبُ الذِّكْرِ، وَاتَّفَقْنَا أَنَا وَهِيَ عَلَى ذَلِكَ، إِلَّا أَنَّهَا قَلِيلًا مَا تَحَاوُلُ الْخُرُوجَ عَمَّا اتَّفَقْنَا عَلَيْهِ فَتَرْمِينِي بِشَيْءٍ مِنَ التَّكْدِيرِ، وَأَنَا مَا زِلْتُ مُحَافِظًا عَلَى عَهْدِي مَعَهَا وَهِيَ تَتَجَاوَزُ بُنُودَ الْعَقْدِ بَيْنَنَا لِمَا مَا، وَلَكِنَّهَا كَثِيرًا مَا تَخَجَّلُ وَتَعُودُ أَذْرَاجَهَا إِلَى خَلَائِقِ الْخَيْرِ لِأَنَّهَا وَجَدَتْ أَنَّيَ غَيْرَ مُشْغَلٍ بِهَا، وَلَمْ أُعْنِ نَفْسِي بِطَلَبِ مِنْهَا؛ فَطَلَبَاتِي أَرْفَعُهَا لِرَبِّي وَهُوَ كَافِلٌ رِزْقِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي؛ لَذَا حِينَ وَجَدْتُ أَنَّيَ أُمْتِطِئُهَا وَلَمْ أَجْعَلْهَا تَمْتِطِيَنِي، رَكِبْتُ عَلَيْهَا وَلَمْ تَرْكَبْ عَلَيَّ صَارَتْ تَأْتِيَنِي عَلَى اسْتِخْيَاءٍ لِتَقْدَمَ لِي مَا أَمَرَهَا اللَّهُ بِهِ مِنْ عَطَاءٍ، أحيانًا تَسْتَحِي الْحَيَاةُ مِنَ الْكَرَامِ وَأَهْلِ الْحَقِّ وَالْعَقْلِ وَالْحِكْمَةِ حَتَّى لَا يَهْجُوهَا أَوْ يَشْكُوهَا إِلَى اللَّهِ، فَتَكْتَفِي بِمَا تَفْعَلُهُ بِالسُّدْجِ وَعَدِيمِي الْأَخْلَاقِ وَالْمُتَكَالِبِينَ عَلَيْهَا وَمَنْ هُمْ فِي صِرَاعٍ دَائِمٍ مَعَهَا وَعَلَيْهَا، أُولَئِكَ تَقْدِرُ عَلَى إِذْلَالِهِمْ وَإِنْزَالِ بَاسِهَا بِهِمْ وَعَلَيْهِمْ. خَرَجْتُ مِنْهَا بِحِكْمَةٍ بِالْعَةِ وَهِيَ: أَنَّكَ إِذَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ كَثِيرِ الْحَيَاةِ كَانَ قَلِيلُهَا هُوَ سَعَادَةُ نَفْسِكَ، وَالْعَكْسُ بِالْعَكْسِ.

22 ديسمبر 2018

الآمال العاجزة

جَمِيعُنَا يَحْمِلُ آمَالًا كَبِيرًا عَجَزَ أَصْحَابُهَا عَنْ تَحْقِيقِهَا، إِمَّا لِمَوَانِعِ الشَّرْطِ أَوْ لِقَوَاطِعِ الْجَهْلِ أَوْ انْتِهَازِيَةِ الْوَقْتِ أَوْ الْقُدْرَةِ عَلَى التَّهْمِيشِ خَوْفًا مِنَ الْأَنَا الْوَاعِيَةِ فِي تَغْرِيبِ الْأَنَا الْمُفْتَعَلَةِ وَكَسْرِ الْحَوَاجِزِ الْوَرَقِيَّةِ الَّتِي تُحِيطُهَا، وَكَثِيرٌ مِنَ الْأَمَالِ الْمُبْدَعَةِ تَظَلُّ حَبِيسَةً خَزَائِنِ الْعُقُولِ وَالْقُلُوبِ.

إِنَّهَا تَلِكُ الْأَصْدَاءُ الَّتِي تَحْكِي قِصَّةَ الرَّهَانِ الْخَاسِرِ دُونَ الْعَمَلِ عَلَى الْفَهْمِ الْمَعْرِفِيِّ لِلتَّمْيِيزِ وَالْمُقَارَنَةِ وَالتَّوْثِيقِ لِتَمَكِينِ الْقُدْرَةِ الْفِكْرِيَّةِ مِنْ مُمَارَسَةِ حَقِّهَا الْأَخْلَاقِي فِي التَّحَدُّثِ بِنِعْمَةِ الْعَقْلِ الَّذِي وَهَبَ فَتَحَ مَعَالِقَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ عِنْدَمَا تَقِفُ حُجُبُ التَّعْجِيزِ وَالتَّخْوِينِ وَالتَّخْوِيفِ وَالنَّقْدِ وَارْتِبَاكِ ثَبَاتِ الثِّقَةِ؛ حَائِلًا دُونَ التَّحْقِيقِ.

تَبْقَى الْأَمَالُ طُيُورًا مَقْصُوصَةً الْأَجْنَحَةِ تَسْكُنُ أَوْكَارَ الْعَجْزِ مُقْصَاةً عَنْ تَمَكِينِ الْقُدْرَةِ الْمَكْبُوتَةِ لِلْخَلْقِ وَالْإِبْدَاعِ وَالتَّحْلِيلِ إِلَى فِضَاءَاتٍ قَابِلَةٍ لِعَرْسِ بُدُورِ تَحْمِيلِ جِنَاطٍ لِأَفْكَارٍ غَيْرِ مَسْبُوقَةٍ الْخَلْقِ مُخْتَلِفَةِ الْأَلْوَانِ وَالطَّعْمِ وَالرَّائِحَةِ، إِنَّهُ ذَنْبُ التَّوَاكُلِ عَلَى نَمَاطِ الْمَعَارِفِ الْمُقْتَبَسَةِ مِنْ قَوَائِلِ الْفِكْرِ الْعَالَمِيِّ عَدَا الْفِكْرِ الْمُسْتَشْنَى مِنَ الْحُلُولِ إِلَى الْحُؤُولِ.

3 سبتمبر 2021

الشَّعْرُ قَضِيَّةٌ وَقُدْرَةٌ

يَصَابُ الْكَثِيرُ مِنَ الشُّعْرَاءِ فِي مَرَاكِحَ مِنْ حَيَاتِهِمْ الشَّعْرِيَّةِ بِالنُّضُوبِ الشَّعْرِيِّ الْوَقْتِي حِينَ تَنْصَرِفُ الْعَاطِفَةُ الشَّعْرِيَّةُ إِلَى انْشِغَالَاتِ حَيَاتِيَّةٍ، أَوْ إِلَى التَّوَقُّفِ عَنِ الْقِرَاءَةِ، أَوْ حِينَ يَقْسِرُونَ عَلَى مُحِيطَتِهِمْ أَوْ يُكَلِّفُونَهَا النُّظْمَ عَلَى غَيْرِ طَبِيعَةِ الشُّعْرَاءِ الْمُلهِمِينَ فَيَأْتِي عَلَى غَيْرِ مَفْهُومِ الشَّعْرِ. وَقَدْ سَبَقَ لِي أَنْ قُلْتُ إِنَّ الشَّعْرَ إِذَا لَمْ يَكُنْ قَضِيَّةً يُؤْمَنُ بِهَا الشَّاعِرُ فَهُوَ نَظْمٌ بَارِدٌ يُولَدُ خَدِيجًا، ثُمَّ لَا يَلْبَثُ أَنْ يَمُوتَ لِعَدَمِ تَوْفُرِ الشَّاعِرِيَّةِ الْمَطْبُوعَةِ، فَتَأْتِي الْأَبْيَاتُ مُتَكَلِّفَةً كَأَنَّهَا مُجَرَّدُ لَصِقِ كَلِمَاتٍ وَتَرْكِيبِهَا عَلَى بَعْضِهَا وَيَظُنُّ صَاحِبُهَا وَعَدِيمُو الذَّائِقَةِ الشَّعْرِيَّةِ أَنَّهَا شِعْرٌ وَهِيَ لَا تَمُتُ لِلشَّعْرِ بِصِلَةٍ إِلَّا النُّظْمُ.

وَعَلَى الشَّاعِرِ حِينَ يَفْتَقِدُ نَفْسَهُ الشَّعْرِيَّ أَنْ يَتَوَقَّفَ فِتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ وَلَا يَكْتُبَ إِلَّا إِذَا أَلَحَّ عَلَيْهِ الْإِنْفِعَالُ الشَّعْرِيُّ، وَوَجَدَ أَنَّ مَا سَيَكْتُبُهُ سَيَكُونُ مُتَجَاوِزًا لِمَا كَتَبَ مِنْ جَدِّ الشَّعْرِ؛ إِذْ لَيْسَ مُهِمًّا أَنْ يَكْتُبَ شِعْرًا يُقَلِّلُ مِنْ تَوْهُّجِهِ السَّابِقِ حَتَّى لَا يَفْقِدَ قُدْرَتَهُ عَلَى تَجَاوُزِ نَفْسِهِ. وَعَلَى الشَّاعِرِ الْمَطْبُوعِ - وَخُصُوصًا فِي هَذَا الْعَصْرِ الَّذِي يُطْبَلُ وَيُصَفَّقُ وَيُزَمَّرُ دُونَ وَعِيِ لِلْأَشْيَاءِ - أَلَّا يُقَارِنَ نَفْسَهُ بِشَاعِرٍ مَا لَتَبَايِنَ الْقُدْرَةِ وَاخْتِلَافِ ذَائِقَةِ الشُّعْرَاءِ وَجُودَةِ شِعْرِهِمْ مِنْ عَدَمِهَا.

فَلَا يَتَحَدَّى الشَّاعِرُ وَلَا يُنَافِسُ إِلَّا نَفْسَهُ فِي أَنْ يَرْتَفَعَ بِشِعْرِهِ إِلَى مَصَافِّ الشُّعْرَاءِ الْمُبْدِعِينَ، وَأَنْ يَكُونَ شِعْرُهُ لِمُحِبِّي الشَّعْرِ وَأَهْلِهِ وَمُرِيدِهِ وَلَيْسَ لِلْبُسْطَاءِ مِنَ النَّاسِ أَوْ الدَّهْمَاءِ الَّذِينَ لَمْ يَفْكُوا الْحُرُوفَ الْأَبْجَدِيَّةَ.

يَجِبُ عَلَى الشَّاعِرِ أَلَّا يُقَارِنَ نَفْسَهُ بِالظُّوَاهِرِ الشَّعْرِيَّةِ الَّتِي خَلَدَتْ أَسْمَاءُهَا بِشِعْرِ اجْتَرَحَ مَكَامِنَ الظَّلَامِ وَجَرَى عَلَى الْأَلْسِنَةِ وَحَفِظَتْهُ الذَّاكِرَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ وَاكْتَسَبَ الْفُحُولَةَ، سَوَاءً مِمَّنْ سَبَقَ أَوْ مِنَ الْمُعَاصِرِينَ أَوْ اللَّاحِقِينَ، وَعَلَى الشَّاعِرِ أَنْ يَهْتَمَّ بِشِعْرِهِ وَلَا يَتَقَافَرُ عَلَى الْكَلِمَاتِ وَالْمَعَانِي ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ قَدْ أَتَى بِالْمُعْجَزِ وَالْمُبْتَكِرِ، وَهُوَ إِنَّمَا قَالَ سَادِجًا مِنَ الْقَوْلِ هَجِينًا يَتْرُكُ لِشِعْرِهِ الْمَلَلَ وَعَدَمَ اسْتِكْمَالِ قِرَاءَةِ قَصِيدَتِهِ لِنَفَاهَتِهَا وَحَفْظًا لِلذَّاكِرَةِ الشَّعْرِيَّةِ لِلْمُبْدِعِ مِنْ أَنْ يُصِيبَهَا عَارِضٌ يُمِطُّ ذَرَاتٍ مِنَ الْغُبَارِ الَّذِي رُبَّمَا يُوَثِّرُ عَلَى الْعَارِفِ بِالشَّعْرِ وَضُرُوبِهِ وَآثَارِهِ وَتَأْثِيرِهِ عَلَى النَّفْسِ أَوْ فِيهَا، فَهَنَّاكَ شُعْرَاءَ بِالْمَلَايِينِ عَلَى قَوَارِعِ طُرُقَاتِ

الشَّعْرَ لَا يَهْتَمُّ بِشَعْرِهِمْ أَحَدٌ، أَمَّا الْإِسْتِثْنَاءَاتُ مِنَ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ أَصْبَحُوا مِثْلَ الظَّوَاهِرِ
الْكُونِيَّةِ كَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَغَيْرِهِمْ فَإِنَّهُمْ مَا زَالُوا كَوَاكِبَ الْعُصُورِ.
وَأَقُولُ آخِرًا كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ: (إِذَا الشَّعْرُ لَمْ يَهْزُكَ عِنْدَ سَمَاعِهِ فَلَيْسَ جَدِيرًا أَنْ يُقَالَ
لَهُ شَعْرٌ)

13 سبتمبر 2021

أَمَانُ اللَّهِ

أَمَانُ اللَّهِ لَكَ هُوَ الْخَطُّ الْأَحْمَرُ الَّذِي لَا يُمَكِّنُ لِأَحَدٍ اخْتِرَاقَهُ وَلَا بِالصَّوَارِيخِ النَّوَوِيَّةِ.
أَمَانُ اللَّهِ هُوَ حِجَابٌ سَاتَرَ مُتَحَرِّكٌ مَعَكَ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ وَصُوبٍ، وَهُوَ مُضَادٌّ لِلرِّصَاصِ
وَالصَّوَارِيخِ وَالطَّائِرَاتِ وَالْقَنَابِلِ.
أَمَانُ اللَّهِ هُوَ الدَّرْعُ الْوَاقِي مِنَ عَثَرَاتِ الزَّمَانِ وَمَصَائِبِهِ وَكَرْبِهِ وَنَكَبَاتِهِ.
أَمَانُ اللَّهِ هُوَ رِذَاءُ إِلَهِيٍّ يَحْفَظُكَ مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَعَادٍ وَمِنْ عَوَائِلِ الدَّهْرِ.
وَأَمَانُ اللَّهِ الْإِسْتِجَارَةُ بِاللَّطِيفِ وَأَعْظَمُ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَتَوْقِيرِهِ وَالتَّفَكِيرِ فِي الْخَالِقِ كَمْ هُوَ
كَبِيرٌ وَقَدِيرٌ وَغَنِيٌّ وَقَادِرٌ وَجَبَّارٌ وَقَهَّارٌ. هَذَا وَأَكْثَرُ يُلَخِّصُ صُورَةَ غَيْرِ مَرْتَبَةٍ لِلَّهِ لَا يُمَكِّنُ
أَنْ تُنْحَى مِنَ الْعُقُولِ حِينَ نَعْرِفُ بِأَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ. هُنَا يَجِبُ عَلَى الْفِكْرِ أَنْ يَتَوَقَّفَ
عَنِ التَّفَكِيرِ لِأَنَّهُ لَنْ يَصِلَ إِلَى تَخِيلِ صُورَةِ اللَّهِ وَإِنَّمَا هُوَ يَسْتَشْعِرُهُ حَقًّا فِي قَلْبِهِ، فِي نَفْسِهِ،
فِي رُوحِهِ، حَتَّى نَكُونَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُخْلِصِينَ فَنَرَاهُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - فِي الْجَنَّةِ رُؤْيَا الْعَيْنِ
بِأَمْرِهِ، وَقُدْرَتِهِ وَعِزَّتِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ.

21 سبتمبر 2021

أَهْلِيَّةُ الشَّعْرِ

إِنَّ الشَّعْرَ أَسْمَى مَنْ أَنْ يَكُونَ تَكْلُفًا أَوْ مُجَرَّدَ رَصْفِ كَلِمَاتٍ مِنْ خِلَالِ سَطُورٍ مُمَوَّسَقَةٍ
وَهُوَ لَيْسَ مَعْنَى مُتَأَوَّلًا مِنْ غَيْرِ فَهْمٍ.
كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ تَرْكِيبُ الْفَافِ بِدُونِ فِكْرَةٍ وَمَعْنَى.

وَيُصْبِحُ لِرَافًا عَلَى الْمُوهَبَةِ الشَّعْرِيَّةِ الْمُبْدَعَةِ أَنْ تُصْقَلَ بِالتَّجَرِبَةِ وَقِرَاءَاتِ فُنُونِ الشَّعْرِ
وَضُرُوبِهِ فِي عَصُورِهِ، وَإِضَافَةِ مَعْنَى يَخْرُجُ عَنْ مَعَانِي الْآخَرِينَ، فَإِنَّ الْإِعْتِمَادَ عَلَى الْمُوهَبَةِ
فَقَطْ سَيُؤَدِّي إِلَى فَقْرٍ وَإِفْلَاسٍ الْمُوهَبَةِ مِنْ لُغَةِ الشَّعْرِ الْمَطْبُوعِ إِلَى لُغَةِ الشَّعْرِ الْمُصْطَنَعِ
الَّذِي لَا حَيَاةَ فِيهِ وَلَا مَعْنَى وَلَا فِكْرَةَ. تِلْكَ جِنَايَةُ ادِّعَاءِ الشَّعْرِ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ أَوْ عَلَى
غَيْرِ هُدًى دُونَ مُكَابَدَةِ الْعَقْلِ وَالنَّظَرِ وَالْقَلْبِ عَلَى الْقِرَاءَةِ. أَوْ حِينَمَا نُرِيدُ أَنْ يَكُونَ لَنَا
أُسْلُوبُنَا الْمُتَفَرَّدُ الْمُغَايِرُ لِشَعْرِ الْآخَرِينَ، وَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ مَحْمَدَةً تُحَسَّبُ لِلشَّاعِرِ الْمُتَمَكِّنِ
وَلَا يَلْجَأُ إِلَى لِيٍّ أَعْنَاقِ الْكَلِمَاتِ وَالْمَعَانِي وَيَضَعُهَا كَارِهَةً فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهَا.

9 أكتوبر 2021

قَتْلُ الْمُسْلِمِينَ فِي كَشْمِيرَ

إِنَّ مَا تَقُومُ بِهِ السُّلْطَاتُ الْهِنْدِيَّةُ ضِدَّ إِخْوَانِنَا الْمُسْلِمِينَ فِي كَشْمِيرَ مِنْ قَتْلِ وَتَشْرِيدِ
وَأَنْتِهَاكَاتِ لِلْقَوَانِينِ وَالْأَعْرَافِ وَالْأَخْلَاقِ الْإِنْسَانِيَّةِ؛ يَجْعَلُنَا نُنَدُّ بِهَذِهِ الْأَعْمَالِ الْوَحْشِيَّةِ
الَّتِي لَا تُفَسِّرُ إِلَّا بِالْتَّطَرُّفِ وَإِرْهَابِ الدَّوْلَةِ وَالْعُنْصَرِيَّةِ ضِدَّ الْإِنْسَانِ وَالْأَذْيَانِ.

نَعَمْ، إِنَّا كَمُسْلِمِينَ نَتَأَلَّمُ مِمَّا يَلْحَقُ بِإِخْوَانِنَا الْمُسْلِمِينَ، سَوَاءً مُسْلِمُو كَشْمِيرَ أَوْ
الرُّوْهِنَجَا أَوْ أَيُّ مُسْلِمٍ فِي بِلَادِ الْعَالَمِ يَتِمُّ الْإِعْتِدَاءُ عَلَى حُقُوقِهِ الدِّينِيَّةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ وَالْمَالِيَّةِ
بِدَافِعِ الْحِقْدِ وَمُحَارَبَةِ الْأَذْيَانِ السَّمَاوِيَّةِ لِإِجْبَارِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى اعْتِنَاقِ الْعَقِيدَةِ الْهِنْدُوسِيَّةِ
أَوْ الْمَسِيحِيَّةِ رَهْبًا لَا رَغْبًا.

وَإِنَّهُ يَتَوَجَّبُ عَلَى الْمُسْلِمِ فِي كُلِّ بِلَادٍ لِلَّهِ نُصْرَةُ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ؛ لِقَوْلِ الرَّسُولِ الْحَبِيبِ
الْمُصْطَفَى - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ - : «أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا».
وَلَا أَقِلُّ مِنَ النُّصْرَةِ بِالْإِعْتِدَاءِ لَهُمْ بِنَصْرِ اللَّهِ لَهُمْ وَتَفْرِيجِ كَرْبِهِمْ بِحَقِّ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى
الْعِظَامِ الْكَرَامِ وَصِفَاتِهِ الْعُلَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ دِينَكَ بِهِمْ وَأَمْنَهُمْ وَانْجِدْهُمْ وَكُنْ لَهُمْ وَلَا تَكُنْ عَلَيْهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ عَيْدُكَ يَشْهَدُونَ
لَكَ بِاللَّوْهِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ، وَيَشْهَدُونَ بِمُحَمَّدٍ رَسُولِكَ وَنَبِيِّكَ مَبْعُوثًا بِوَحْيِكَ إِلَى الْأُمَمِ
وَالشُّعُوبِ وَالْأَقْوَامِ يَدْعُو بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ. اللَّهُمَّ أَنْصُرْهُمْ وَأَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ،
وَارْفَعْ شَأْنَهُمْ وَوَحِّدْ قُلُوبَهُمْ عَلَى حُبِّكَ، وَاجْمَعْهُمْ عَلَى قَوْلٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ.

12 أكتوبر 2021

العقل العربي

لِلَّذِينَ لَا يُكَبِّدُونَ أَنْفُسَهُمْ عَنَاءَ الْبَحْثِ عَنْ مُحِيطَاتِ الْعَقْلِ الْعَرَبِيِّ لَوْ عِلِمَ هَؤُلَاءِ أَوْ
بَحَثُوا فِي أَنْفُسِهِمْ عَنْ أَفْكَارٍ مُحَفَّزَةٍ لَهُمْ وَلِغَيْرِهِمْ فِي اسْتِنْهَاضِ دَوَاعِي الْبَهْجَةِ وَالسَّعَادَةِ
فِي الْعَمَلِ وَالْإِنْجَازِ لَا النَّوْمِ عَلَى الْعَلَاتِ وَالتَّبَاكِي عَلَى الْحُطُوطِ دُونَ فَرَضِ الْأَنَا بِجِدِّيَّةِ
الْعَمَلِ وَتَأْثِيرِهِ النَّفْعِيِّ لِلْإِنْسَانِ بِمَا لَا يَسْتَطِيعُ تَكَرُّنُهُ الْأَضْدَادُ بَعْدَ اكْتِسَابِ الْخِبْرَةِ
الْحَيَاتِيَّةِ عَلَى فَهْمِ دَوَافِعِ تَحْقِيقِ الْإِنْجَازِ وَعَدَمِ الْاسْتِسْلَامِ لِمَوَانِعِ الْإِحْطَاطِ. فَجَمِيعُنَا
مُهَيَّئُونَ لِأَنْ نَكُونَ أَزْقَامًا مُهِمَّةً فِي عَالَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ فَقَطْ نَحْنُ مُخْتَلِفُونَ مَعَ أَنْفُسِنَا فِي تَقْنِينِ
أَدْوَارِ الْأَعْمَالِ لَتَكُونَ نِظَامًا لَهُ حَظُّهُ مِنَ الدَّرَاسَاتِ الَّتِي تُصْبِحُ قَانُونًا لَهُ أَهْلِيَّةُ التَّنْفِيزِ
تَطْبِيقًا لِقَوَاعِدِ وَأُسُسِ الْمَعْرِفَةِ وَالْكَفَاءَةِ وَالتَّخَصُّصِ، غَيْرَ أَنَّ مَا آدَى إِلَى تَأَخُّرِ الْعَرَبِ هُوَ
الْعَقْلُ الْعَرَبِيُّ نَفْسُهُ حِينَ رَهَنَ عُمُرَهُ وَتَارِيخَهُ نَهَبَ صِرَاعَاتِ الْإِدْعَاءِ بِالْقُدْرَاتِ الْفَرْدِيَّةِ لَا
التَّفَكُّيرِ بِالْعَمَلِ الْجَمَاعِيِّ لِلْقُدْرَاتِ، وَإِنَّ مِنْ مُحِيطَاتِ الْعَقْلِ الْعَرَبِيِّ فِي رَأْيِنَا:
الْعَقْلُ الْعَرَبِيُّ: تَوَارَثَ الْفُوضُويَّةُ مِنَ السَّلَفِ لِلْخَلْفِ وَيَعْتَبَرُهَا الْمُعَبَّرُ عَنْ الْحُرِّيَّةِ
الْمَنْشُودَةِ.

الْعَقْلُ الْعَرَبِيُّ: تَرَبَّى عَلَى الْإِعْتِدَادِ بِالْأَنَا قَبْلَ الْمَجْمُوعِ.
الْعَقْلُ الْعَرَبِيُّ: يَسْتَوْحِشُ النِّظَامَ وَيَعْتَبِرُهُ تَقْيِيدًا لِحُرِّيَّاتِهِ الَّتِي يُرِيدُهَا مُطْلَقَةً بِلا حَسَبِ
أَوْ رَقِيبِ.

الْعَقْلُ الْعَرَبِيُّ: أَلِفَ التَّوَاكُلَ عَلَى أَفْكَارٍ وَقُدْرَاتٍ غَيْرِهِ إِلَّا مَا نَدَرَ.
الْعَقْلُ الْعَرَبِيُّ: لَيْسَ مُنْتَجًا لِلْأَفْكَارِ الْعَظِيمَةِ إِلَّا بِقُدْرٍ عَظْمَةٍ مَا يُنْتِجُهُ الْفَرْدُ اسْتِثْنَاءً.
الْعَقْلُ الْعَرَبِيُّ: لَا يَقُومُ عَلَى الدَّرَاسَةِ أَوْ النَّظَرِيَّةِ أَوْ التَّجَرِبَةِ فَهُوَ يَرَى أَنَّ الدَّرَاسَةَ أَوْ
النَّظَرِيَّةَ وَالتَّجَرِبَةَ إِنَّمَا تَخْضَعُ لِلْحَالَةِ النَّفْسِيَّةِ الْوَقْتِيَّةِ الْآنِيَّةِ وَالِاحْتِكَامِ لِلْحَدَثِ وَالْحُكْمِ
لِلْعَاقِبَةِ وَالتَّحْقِيقِ لِلنَّاتِجَةِ.

الْعَقْلُ الْعَرَبِيُّ: لَهُ مِنْ طَبِيعَةِ الْبَيْئَةِ الصَّحْرَاوِيَّةِ نَصِيبٌ كَبِيرٌ، فَمِنْ طَبِيعَةِ الصَّحْرَاءِ
الْوُغُورَةِ وَالْحَرَارَةِ وَالْغُبَارِ وَالْجَدْبِ وَقَلَّةِ نَزُولِ الْمَطَرِ وَعَدَمِ تَعَوُّدِ الْعُيُونِ عَلَى رُؤْيَةِ الْخَضَارِ
فِي غَابَاتِ مِنَ الشَّجَرِ، ذَلِكَ مَا وَلَدَ الْقَسَاوَةَ وَحُبَّ الدَّاتِ الَّذِي وَلَدَ فِي النَّفْسِ الْإِسْتِثْنَاءَ

وَالْآثَرَةُ دُونَ الْآخَرِينَ وَنُشُوءَ الْحُرُوبِ لِلِاخْتِصَاصِ بِمِلْكِيَّةِ النِّعْمَةِ الْفِطْرِيَّةِ وَالْقُوَّةِ وَالْمَنْعَةِ
وَعُبُودِيَّةِ الْبَشَرِ لِلنَّفْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ.
تِلْكَ هِيَ بَعْضُ مُحِبَّاتِ الْعَقْلِ الْعَرَبِيِّ الَّتِي قَعَدَتْ بِهِ وَبِفِكْرِهِ وَتَارِيخِهِ عَنِ الْإِسْهَامِ
فِي وَضْعِ اسْمِهِ عَلَى لَوْحَةِ الشَّرَفِ الْإِنْسَانِيَّةِ.

19 أكتوبر 2021

البَسْمَةُ

«تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ»، أَوْ كَمَا قَالَ سَيِّدِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

إِنَّ ذَلِكَ وَغَيْرُهُ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ هُوَ قِمَّةُ الْأَدَبِ النَّبَوِيِّ الَّذِي أَدَّبَنَا بِهِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. انْظُرْ كَيْفَ يَكُونُ لِلْبَسْمَةِ - فَضْلًا عَنْ كَوْنِهَا صَدَقَةً - فَالْبَسْمَةُ تَعْمَلُ عَمَلِ السَّحْرِ فِي النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ.

الْبَسْمَةُ: تَكْسِرُ حِدَّةَ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ وَالشَّحْنَاءِ.

الْبَسْمَةُ: قُرْبَى لِلْقُلُوبِ وَتَقَرُّبٌ إِلَى اللَّهِ وَخَلْقِهِ.

الْبَسْمَةُ: لُغَةً هَامِسَةً بِالنِّقَاءِ وَالصَّفَاءِ.

الْبَسْمَةُ: تُطْفِئُ نَارَ الْحِقْدِ.

الْبَسْمَةُ: بَسِيطٌ، فِعْلُهَا كَثِيرٌ خَيْرُهَا؛ لَذَا عَرَفَ سِرَّهَا وَسِحْرَهَا وَوَقَعَهَا عَلَى النَّفُوسِ سَيِّدُنَا الرَّسُولُ الْعَظِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَوْصَى أُمَّتَهُ بِهَا.

فَلَنَجْعَلَ الْبَسْمَةَ دَائِمًا عَلَى وُجُوهِنَا فَإِنَّهَا نُورٌ يُضِيءُ ظِلَامَ النَّفُوسِ، وَتُذِيبُ جَلِيدَ الصَّدِّ وَتَرْتَفِعُ بِالْقَدْرِ.

هَذَا هُوَ أَدَبُ النَّبِيِّ الَّذِي عَلَّمَنَا إِيَّاهُ وَرَبَّنَا عَلَيْهِ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ، هَذَا هُوَ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الَّذِي غَرَسَ الْخَيْرَ الَّذِي يَعِيشُهُ النَّاسُ الْأَخْيَارُ الْمُؤْمِنُونَ، فَلَنَبْتَسِمَ.

17 نوفمبر 2021

العلاج بالحمد لله

كَانَ يَسْتَنْدُ عَلَى رِيَّاحِ الْخُطُوبِ حَامِلًا بَقَايَا جِسْمٍ يُقَاوِمُ السَّقُوطَ فِي مَكَامِنِ الْعُرُوبِ، مُتَجَلِّدًا يَهْزَأُ بِالْوَقْتِ الْمُحْدِقِ بَعْيُونَ النَّاطِرِينَ السَّاهِرِينَ عَلَى انْتِظَارِ خَبَرِ رَحِيلِ الْحُبِّ وَالْفِدَاءِ وَالْبَذْلِ وَالتَّضْحِيَةِ عَنْهُمْ، فَهُوَ يَقْضِ مَضْجَعَهُمْ، وَهُمْ إِنَّمَا يُعَاوَنُونَ مِنْ إِحْسَاسٍ كَبِيرٍ بِهِزَانِهِمْ نُفُوسَهُمْ حِينَ يَرَوْنَهُ قَائِمًا أَوْ قَاعِدًا أَوْ سَائِرًا فَوْقَ قِمَمِ الْوَقْتِ، يُرِيدُونَ أَنْ يَقُولُوا لَهُ فَلْتَمَضْ وَلْتَمُتْ وَلْتَذْهَبْ إِلَى رَحَابِ الْجَنَّةِ بِكُلِّ جَمَالِهَا وَنِعْمِهَا، وَاتْرُكْ لَنَا الدُّنْيَا بِكُلِّ وَهْمٍ فِيهَا لَكِنِّي نَعِيشُهَا نَحْنُ دُونَ أَنْ نَرَاكَ، وَدُونَ أَنْ تَرَى مَخَازِينَنَا وَعِلَلَنَا وَنُفُوسَنَا وَانْحِطَاطَهَا الَّذِي رَفَعْتَهَا أَنْتَ عَنْهُ بِفَضْلِ اللَّهِ.. الْمُهِّمُ أَنْ تَرْحَلَ عَنِ الدُّنْيَا فَنَحْنُ لَا نُرِيدُكَ بِالْفِعْلِ؛ إِنَّمَا نَحْنُ نُرِيدُ كُلَّ شَيْءٍ حَقَّقْتَهُ مِنْ نَجَاحَاتٍ وَمَالٍ وَمَجْدٍ، وَإِنْ كُنْتَ أَعْطَيْتَ وَبَذَلْتَ وَقَدَّمْتَ؛ وَلَكِنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمَرَارُ الَّذِي نَحِشُهُ، وَإِنْ كَانَتْ كُلُّ خَلَائِقِكَ تَفُوحُ بِعَطْرِ النَّبَالَاتِ، وَلَكِنَّا نَسْتَشْعِرُ بِصَغَرِ أَنْفُسِنَا وَضَالَةِ أَحْجَامِنَا أَمَّا مَكَ. قَالَ لَهُمْ اانْسُونِي أَرْجُوكُمْ بِكُلِّ جُحُودِكُمْ وَلُؤْمِكُمْ وَسَفَالَتِكُمْ فَقَدْ نَسِيتُكُمْ، وَلَكِنْ هُنَاكَ غَيْرُكُمْ مِنْ حَافِظِي الْوُدِّ وَشَاكِرِي الْفَضْلِ وَالْخَيْرِ يَحْتَاجُونَ أَنْ أَعِيشَ لَهُمْ وَفِيهِمْ وَبَيْنَهُمْ. غَيْرَ أَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَنْسُوهُ أَوْ يُعَادِرُوا رِيَاضَهُ يَعِيشُونَ فِيهِ وَيَتَنَعَّمُونَ بِنِعْمِهِ وَهُمْ عَلَى أَلَمٍ يَعِيشُونَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَلَا هُمْ بِالَّذِينَ اهْتَدَوْا إِلَى صِرَاطِ الْحَقِّ، وَلَا هُمْ مَنْ عَالَجُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ ضَعَائِنِهِمْ الْمُزْمِنَةِ.

قَالَ لَهُمْ: لَقَدْ وَجَدْتُ لِكُلِّ الْأَمْرَاضِ عِلَاجًا حَتَّى الْقَاتِلِ مِنْهَا إِلَّا مَرَضَ الْحَقْدِ وَالْحَسَدِ وَالْكُرهِ وَالْبُغْضِ وَالنُّكْرَانِ وَمُقَابَلَةَ الْإِحْسَانِ بِالْإِسَاءَةِ، فَقَدْ عَزَّ عَلَيَّ وَعَلَى أَطْبَاءِ الْعَالَمِ إِيْجَادُ عِلَاجٍ لَهُ. لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ وَلَكِنَّهُ تَرَكَ أَمْرَهُ وَأَمَرَهُمْ لِلَّهِ وَهُوَ نِعَمُ الْمَوْلَى وَنِعَمُ النَّصِيرِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

11 ديسمبر 2021

مِنْ بَعْدِ أَبِينَا آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

وَبَعْدَ وَالِدَيْكَ، تَخَيَّرَ أَهْلَكَ

هُؤُلَاءِ الْأُصُولُ لَا يُمَكِّنُ تَبْدِيلُهُمْ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَمَا عَدَاهُمْ لَكَ الْحَقُّ فِي اخْتِيَارِ الْعَمِّ وَالْعَمَّةِ وَالْأَخِ وَالْأَخْتِ وَالْخَالَ وَالْخَالَةِ، فَلَا دُنَى بَعْدَ الْوَالِدَيْنِ وَمَنْ يَتَّبِعُهُ حِينَ لَا يَكُونُ صَالِحًا لَكَ الْحَقُّ فِي تَغْيِيرِهِ بِالْأَفْضَلِ مِنَ النَّاسِ، فَجَمِيعُ النَّاسِ - أَيْضًا - هُمْ مِنْ دَمِكَ وَلَحْمِكَ وَلَا مُشَاحَّةَ فِي اخْتِيَارِ مَنْ يُعِينُكَ عَلَى مَشَقَّةِ الْحَيَاةِ إِنْ يَكُونُوا هُمْ أَعْمَامُكَ وَعَمَّاتُكَ وَخَالَاتُكَ وَإِخْوَانُكَ وَأَخَوَالُكَ، وَمَا تَفَرَّعَ مِنْهُمْ مِنَ الطَّبِيبِينَ هُمْ أَهْلُكَ، فَلَيْسَ مَنْ شَاقَقَكَ وَنَاقَضَ نَفْسَهُ قَرِيبَكَ؛ بَلْ هُوَ عَدُوُّكَ فَابْتَغِ عَنْهُ وَتَبَدَّلْ بِهِ أَهْلًا جَدِّدًا صَالِحِينَ، وَالدَّلِيلُ: أَبُونَا نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: {قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} (سورة هود: 46) عِنْدَمَا قَالَ لِابْنِهِ: {يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ} (هود: 42) لِانْتِفَاءِ صِفَةِ الصَّلَاحِ بِأَحَدِ أَشْكَالِ الْعِصْيَانِ لِلرَّبِّ سُبْحَانَهُ فِي الْقُرْبَى وَالِدَيْنِ. الْأَقَارِبُ الْعُصَاةُ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِكَ.

13 ديسمبر 2021

مَعْرِفَةُ النَّفْسِ

مَا هِيَ النَّفْسُ؟ النَّفْسُ هِيَ الْإِرَادَةُ الْفَاعِلَةُ فِي الْخَلْقِ، وَهِيَ فِي رِبَاطِ تَكَامُلِيٍّ
عَمَلِيٍّ مَعَ الْقَلْبِ وَالْعَقْلِ، وَهِيَ مَنْ يُقَدَّرُ لِلْفِعْلِ أَمْرُهُ سَلْبًا أَوْ إيجابًا.
الرُّوحُ: لَيْسَ لَهَا عَمَلٌ إِلَّا تَوْصِيلَ شُحُنَاتِ الْحَيَاةِ إِلَى الْجِسْمِ.
الْجِسْمُ: هَيْكَلٌ لِحِمِيٍّ دَمَوِيٍّ عَظْمِيٍّ عَصَبِيٍّ مُسْتَقْبِلٌ لِلْأَمْرِ، مُنْفَذٌ لَهُ دُونَ إِرَادَةٍ خَاصَّةٍ
لَهُ.

كُلُّ الْأَفْعَالِ تَصْدُرُ مِنَ النَّفْسِ فِي مُكَوَّنَاتِهَا الْقَلْبِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ، كُلُّ تَبَعَاتِ الْأَفْعَالِ مِنَ
التَّعَبِ وَالْعِقَابِ وَالْثَوَابِ تَقَعُ عَلَى الْجِسْمِ. السَّعِيدُ أَوِ الْمُعَذَّبُ هُوَ الْإِحْسَاسُ.

13 ديسمبر 2021

نَارُ الرَّحْمَةِ

لَمْ تَكُنْ تِلْكَ النَّارُ الَّتِي رَأَاهَا نَبِيُّ اللَّهِ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - نَارَ عَذَابٍ حِينَ ضَلَّ
الطَّرِيقَ، وَلَيْسَتْ النَّارُ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ لَهَا مَعْنَى الْعَذَابِ كَنَارِ مُوسَى، فَهِيَ كَمَا قَالَ اللَّهُ
سُبْحَانَهُ عَلَى لِسَانِهِ: {إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ
أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى} (سورة طه: 10) فِي أَحْيَانٍ كَثِيرَةٍ تَكُونُ النَّارُ فِي الدُّنْيَا رَحْمَةً
بِمَنْ اضْطَلَى بِالْبُرْدِ، أَوْ مَصْدَرًا لِإِنْصَاجِ الطَّعَامِ، أَوْ أَنْ تَكُونَ هُدًى لِمَنْ ضَلَّ فِي الْمَهَامِ
وَالْقِفَارِ، يَجِدُ فِيهَا مَا يَهْدِي إِلَى الطَّرِيقِ الصَّوَابِ الْمُرَادِ سُلُوكُهُ.

29 يناير

طَبِيعَةُ التَّكْوِينِ

أَنْتَ فِي هَذَا الْكَوْكَبِ الْأَرْضِيِّ خُلِقْتَ بِمَا يَتَلَاءَمُ مَعَ طَبِيعَةِ تَكْوِينِهِ الَّذِي عَلَيْكَ أَكْثَرُ
مِنَ الَّذِي لَكَ لِأَنَّكَ مَحْكُومٌ بِمَا لِعَيْرِكَ، وَغَيْرُكَ مَحْكُومٌ بِمَا لَكَ.
أَنْتَ تُحَقِّقُ أَقْلَ قَدْرٍ مِنْ رَغْبَاتِكَ لِأَنَّ هُنَاكَ رَغْبَاتٍ تَتَفَاسِمُهَا مَعَ أَثْرَابِكَ وَأَضْرَابِكَ مِنَ
الْخَلْقِ، إِنْسَانِهِ وَحَيَوَانِهِ وَأَشْجَارِهِ وَمِيَاهِهِ.

أَنْتَ ذَرَّةٌ مِنْ دَرَزَاتِ الْكَوْكَبِ الْأَرْضِيِّ. أَنْتَ تَرَى فِي مِرَاتِكَ أَنَّكَ جِسْمٌ مُمْتَدُّ كَبِيرٌ، وَفِي
الْبُعْدِ الْبَعِيدِ أَنْتَ لَنْ تُمَثِّلَ حَتَّى نُقْطَةً، وَكُلَّمَا اقْتَرَبْتَ مِنْ نَفْسِكَ فِي مِرَاتِكَ تَكْبُرُ صُورَتُكَ
حَتَّى تَرَى أَنَّكَ أَكْبَرُ مِنَ الْكَوْكَبِ الَّذِي يَحْمِلُكَ، وَمِنْ هُنَا يَبْدَأُ فِي نَفْسِكَ الْإِحْسَاسُ
بِالتَّعَاطُفِ وَالتَّكَاثُرِ، وَأَنْتَ أَنْتَ فِي مُحِيطِكَ، وَالَّذِي يَتَعَاطَفُ فِيكَ الْبَصَرُ وَالْإِحْسَاسُ، أَيْ
إِنَّهُ يَتَبَادَرُ لِدَاتِكَ أَنَّكَ الْأَحَقُّ وَالْأَجْدَرُّ وَالْأَمْتَلُ وَالْأَقْدَرُّ وَالْأَفْضَلُ مِنْ غَيْرِكَ؛ لِذَلِكَ عَلَيْكَ
النَّظَرُ مِنَ الْبُعْدِ لِشَخْصِكَ حَتَّى تَرَى قَدْرَكَ بَيْنَ الْأَقْدَارِ، وَذَاتَكَ بَيْنَ الذَّوَاتِ، وَحَتَّى
لَا تَرَى فَقْطَ صُورَتِكَ مُكَبَّرَةً أَكْثَرَ وَتَتَعَدَّمُ لَدَيْكَ رُؤْيَا الْخَلْقِ وَهُمْ يَعِيشُونَ مَعَكَ عَلَى
الْكَوْكَبِ نَفْسِهِ، وَهَذَا الَّذِي يُعِيشُهُ فِينَا الْوَهْمُ الْخَادِعُ، وَيَجْعَلُنَا فِي غَيْرِ انْسِجَامٍ أَوْ رَاحَةٍ
نَفْسِيَّةٍ، لِأَنَّ الْأَرَادَةَ الْمَسْكُونَةَ فِينَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ هِيَ الْمُفْرَدَةُ وَهِيَ الْمُتَفَوِّقَةُ وَهِيَ الْمَالِكَةُ
وَهِيَ الْمُحَقِّقَةُ لِكُلِّ الْأَمَالِ وَالْأَهْدَافِ.

لَا تَنْسَ أَنَّكَ إِذَا أَرَدْتَ الْعَيْشَ بِسَلَامٍ وَسَلَامَةٍ مَعَ نَفْسِكَ أَنْ تَبْتَغِدَ عَنْهَا كَثِيرًا لِكَيْ تَرَاهَا
أَصْغَرَ مِنْ حَجْمِ الْوَهْمِ، حِينَهَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَعِيشَ بِسَلَامِ النَّفْسِ وَالسَّلَامَةِ مِنْ شُرُورِ النَّفْسِ.

3 يناير 2019

لَيْلَى وَفَيْسُ فِي الْعَصْرِ

إِنَّهَا لَيْلَى قَيْسَ بِكُلِّ عُذْرِيَّةٍ الْحُرَّةِ فِي الْحُبِّ وَالْهَيْامِ وَالشَّغَفِ، وَهُوَ قَيْسُهَا الْمُحِبُّ
الْوَالِدُ الْعَاشِقُ لَهَا، غَيْرَ أَنَّهُ فِي افْتِتَانِهِ بِهَا كَانَ يُقَاسِمُ النَّاسَ حُبَّهَا وَإِنْ اخْتَلَفَتِ الْمَعَايِيرُ
وَالْأَحَاسِيسُ، وَلَكِنَّهُ دَائِمُ الْغِيَابِ عَنْهَا وَهِيَ بَيْنَ عَيْنِهِ وَقُودِهِ، وَهِيَ تَظُنُّ أَنَّهُ غِيَابُ الْجَفَاءِ،
غَيْرَ أَنَّ مَا بِهِ غَيْرُ مَا بِهَا، وَنَظَرَتُهُ غَيْرُ نَظَرَتِهَا؛ فَهُوَ قَلْبٌ اصْطَفَاهُ رَبُّهُ لِلنَّاسِ وَهِيَ وَاحِدَةٌ
مِنْهُمْ وَإِنْ كَانَ لَهَا حَظْوَةٌ وَمَكَانَةٌ عَلَيْهِ فِي قَلْبِهِ لَمَا تَتَمَتَّعَ بِهِ مِنْ صِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ وَمَنْعَةٍ
وَسُودٍ، غَيْرَ أَنَّهُ عَاشِقٌ أَطْمَأَنَّ إِلَى أَنَّهَا مَعَهُ يَحْمِلُهَا فِي نَفْسِهِ أَيَّانَ ذَهَبٍ، وَلَا يَرَاهَا بَعِيدَةً..
بَلْ يَرَاهَا فِي دَاخِلِهِ تَعِيشُ اللَّحْظَةَ وَالْهَمَّ وَالْفَرَحَ وَالتَّرَحُّمَ مَعَهُ، وَكَمْ كَانَتْ تَسْتَشْعِرُ أَنَّهُ فِي
شُغْلٍ شَاغِلٍ عَنْهَا، وَكُلُّ خَوْفِهَا مِنْ أَنَّهُ يَبْحَثُ عَنِ الْأُنْثَى فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَأَنَّهَا أَحَدُ هَوَامِشِ
النِّسَاءِ لَدَيْهِ، وَهُنَا تَتَبَايُنُ الْأَحَاسِيسُ وَالنَّظَرَاتُ وَلِكُلِّ عُذْرَةٍ، إِنَّمَا يَظُنُّ هُوَ فِي غِيَابِهِ
مَفْطُورًا عَلَى غُلُوِّ الْهَمِّ وَنُشْدَانِ الْعُلَا وَطِيبِ الذِّكْرِ وَهِيَ تُسَاوِرُهَا الشُّكُوكُ وَتَتَصَادَى مَعَ
الْقَلْقِ وَالْحَيْرَةِ، وَتِلْكَ طَبِيعَةُ الْأُنْثَى.

تِلْكَ لَيْلَى الَّتِي تَجَاوَزَ حُبُّهَا الْمَكَانَ وَالزَّمَانَ، وَحَسِبَتْ أَنَّ قَيْسَهَا لَا يُبَادِلُهَا حَرَارَةَ الشُّعُورِ
الَّذِي تَسْتَشْعِرُهُ، وَلَهَا الْحَقُّ إِلَّا قَلِيلًا حِينَ لَا تَتَسَاوَى التَّطَلُّعَاتُ وَالْأَقْدَارُ وَالْأُمْنِيَّاتُ،
وَحِينَ تَكُونُ الْمُقَارَنَةُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ وَلَيْسَتْ بَيْنَ أَشْيَاءٍ كَثْرَ، هُنَا يَكُونُ التَّقْدِيرُ وَخَطْلُ الْعَدَدِ
فِي قَوَائِمِ الْحِسَابَاتِ الْأَخْلَاقِيَّةِ غَيْرَ دَقِيقٍ. صَحِيحٌ أَنَّ دَوَاعِيَ الشُّعُورِ مُخْتَلِفَةٌ بَيْنَ فِكْرَيْنِ،
كُلٌّ يَتَصَوَّرُ مَا يُبَرِّرُ لَهُ، الصَّحِيحُ فِيهِ وَالْخَطَأُ فِيمَنْ يُحِبُّ، حِينَ تَكُونُ النَّظَرَةُ الْأَحَادِيَّةُ هِيَ
الْمُتَرَجِّمَةُ لِحَقِيقَاتِ الْقَلْبِ، وَأَنَّ الْحَيَاةَ هِيَ فَقَطْ لِإِرْوَاءِ شَغَفِ أَنْثَى أَوْ رَجُلٍ دُونَ النَّظَرَةِ
الَّتِي تَجْتَمِعُ فِيهَا كُلُّ مَطَالِبِ الْآخَرِينَ، وَدُونَ كَمَالِ الصُّورَةِ فِي شُمُولِيَّةِ الْوَاجِبِ الْكُلِّيِّ لَا
الْجُزْئِيِّ أَوْ الزُّرُوعِ إِلَى فِلَسَفَةِ الْأَشْيَاءِ عَبْرَ مَنْظُورِ الْكُؤُنِ.

عِنْدَمَا نَعْرِفُ أَنَّ الطُّمُوحَ وَالتَّطَلُّعَ وَالْأَمَلَ وَالْقُدْرَةَ أَكْبَرُ مِنْ حَجْمِ جِسْمِ الْإِنْسَانِ فِي
ذَاتِيَّةِ شَخْصٍ حِينَ يَكُونُ أُمَّةً بِفِرْدِيَّتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَأَنَّهُ آيَةٌ أُخْرَى مِنْ آيَاتِ الْقَلَةِ الرَّائِدَةِ
وَالْقَائِدَةِ وَالْمُبْدِعَةِ وَالْمُتَعَاظِمَةِ عَلَى الْعَصْرِ وَجُمُوعِهِ، لَا مَرِيضًا بِحُبِّ الذَّاتِ أَوْ مُصَابًا

بِالْأَشْتِهَاءَاتِ الْغَرِيزِيَّةِ عَلَى إِطْلَاقِهَا. هُنَا، تَعْرِفُ عَنِ النُّفُوسِ الْكِبَارِ الَّتِي عَنَاهَا الْمُنْتَبِي فِي بَيْتِ شِعْرِهِ:

وَإِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ كِبَارًا تَعَبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامَ.
فَإِذَا تَمَنَّى أَنْ يَعِيشَ كَالْآخَرِينَ صَبَوَةَ الْحُبِّ وَلَذَّةَ الْمُتَعَةِ وَفِطْرَةَ النَّزْوَةِ، غَلَبَتْ عَلَيْهِ قُوَّةُ
أُخْرَى غَالِبَةٌ عَلَى مُبْتَغَاهِ حِينَ تَكُونُ أَهْدَافُهُ وَمَرَامِيهِ تُسَابِقُ الْغَايَاتِ إِلَى مُنْتَهَاهَا لِبُلُوغِهَا
قَبْلَ بُلُوغِ الْغَايَةِ غَايَتِهَا، وَذَلِكَ هُوَ الْمُعْجِزُ الَّذِي يُكَلِّفُهُ وَيَعْجِزُ عَنْ إِيقَافِهِ إِلَى الْحَدِّ الْأَقْلِ
أَوْ الْأَكْبَرِ، وَهُوَ عَاجِزٌ عَنْ تَحْجِيمِ قُدْرَاتِهِ حِينَ تَقْطَعُ عَلَيْهِ بِسُمُومِهَا سُرْعَةَ الضَّوِّ الْفِكْرِيِّ.
أَمَّا حِينَ تَكُونُ لَيْلَاهُ الصَّابِرَةُ الْعَاشِقَةُ الْجَمِيلَةُ الرَّقِيبَةُ الْحَبِيبَةُ تَتَرَقَّبُ لَحْظَةَ اللَّقَاءِ
الَّذِي يَمُرُّ مُسْرِعًا كَرِيحِ الْجُنُونِ تَهْبُّ فَلَا يَغْنِيهَا جَمَالُ الطَّبِيعَةِ فَتَرْمِي بِهَا إِلَى قَوَارِعِ
الْأَلَمِ مُسْتَبَدَّةً غَيْرَ رَاحِمَةٍ لِأَهَاتٍ وَأَنَاتٍ قَلْبٍ تَنَادَى بِاحْتِضَانِ رُوحِ النَّفْسِ لِرُوحِ النَّفْسِ
الْأُخْرَى الْمُحِبَّةِ.

فَكَيْفَ بِالَّذِي قَسَمَ قَلْبُهُ فِي جُسُومٍ كَثِيرَةٍ كَمَا قِيلَ؟ وَآتَى لِمَنْ شَغَلَتْهُ أَسْبَابُ الْمَعَالِي
عَنْ أَسْبَابِ الْهَوَى مِنْ الْوُقُوفِ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ؟ وَمَا السَّبِيلُ إِلَى مَلَامَةِ نَفْسٍ تُسَافِرُ لَيْلَ
نَهَارٍ إِلَى مَجَاهِلِ الْحَيَاةِ تَسْتَكْشِفُ خَوَارِقَ الْأَفَاقِ؟ لَوْ أَنَّ لَيْلَاهُ تَعَوَّدَ قَلِيلًا بِنَضَاجَةِ الْفِكْرِ
الَّذِي فِيهَا لَتَرَى أَنَّ قَيْسَ الْأُمْسِ كَانَ عَذْرِيًّا فَقَطْ فِي حُبِّهِ وَتَطَلَّعَهُ حَتَّى الْجُنُونِ وَأَنَّ قَيْسَهَا
الْيَوْمَ مُوزَعٌ بَيْنَ الْإِحْسَاسِ بِالشَّوَارِدِ مِنْ عِظَائِمِ الْأَمَالِ تَدْفَعُهُ إِرَادَةُ الْقَلَةِ الْمُقَدَّرِينَ لِإِقْيَادِ
شُغْلَةٍ ضَمْنِ مَشَاعِلِ الْمُعْجَزِينَ فِي الْأَرْضِ، وَإِنْ لَمْ يَبْلُغِ الْقِيَمَةَ وَالْقَدْرَ لَكِنَّهُ مَجْبُولٌ عَلَى
الْفِعْلِ وَالْعَمَلِ وَالتَّفَكُّرِ وَذَرْعِ شَوَاسِعِ الْبَسِيطَةِ فِي الْإِلْمَامِ وَالتَّسْجِيلِ لِبَكَارَةِ الرُّؤْيِ.

لَوْ عَرَفَتْ لَيْلَاهُ عِظَامَ الْهَمِّ لَعَذَرَتْ هِمَّتَهُ حِينَ يُرِيدُ وَلَا يَرْجُو، وَيَفْعَلُ وَلَا يَقُولُ،
حِينَئِذٍ سَتَذُرُّ كَيْفَ هُوَ حَالُ الْعِظَامِ فِي التَّارِيخِ الْكُونِيِّ الْإِنْسَانِيِّ؛ مُخْتَلِفُونَ فِي أَمْرَجَتِهِمْ
وَسُلُوكِيَّاتِهِمْ وَتَطَلَّعَاتِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ بِالْحُرِّيَّةِ، وَهُمْ فِي عَوَالِمَ غَيْرِ مَا رَأَاهَا وَيَرَاهَا الْآخَرُونَ!
فَمَتَى تَعَذَّرَ لَيْلَى قَيْسًا لِتَكُونَ عَوْنًا لَهُ لَا هَدْمًا لِأَحَدٍ شَوَامِخِ الْعُلَا رَبَّمَا فِي تَارِيخِ نَوَابِغِ
الْإِنْسَانِيَّةِ؟

الْفَقْرُ السَّلَاحُ الْقَادِمُ الْمَدْمَرُ

سَيَمْتَلِي الْعَالَمُ بِالْفُقَرَاءِ، وَسَيُصْبِحُ الْفَقْرُ لُغَةً الْعَصْرِ، حَتَّى الْكَفَافُ سَيُصْبِحُ نَادِرًا،
وَسَيَظِلُّ قَلَّةُ الْقَلَّةِ هُمْ مَنْ يَمْلِكُونَ الْمَالَ، وَهُمْ الْمُتَحَكِّمِينَ بِهِ، وَسَيَعُودُ مِنْ جَدِيدٍ زَمَنُ
الْعُبُودِيَّةِ وَلَوْ بِلِقْمَةِ الْعَيْشِ.

هَذَا لَيْسَ تَكْهُنًا أَوْ ظَنًّا أَلْقِيَهُ؛ إِنَّمَا هُوَ تَصَوُّرٌ حَقِيقِيٌّ لَوْقَائِعَ يَتَحَدَّثُ عَنْهَا وَقَعَ الْأُمَمُ
يَتَدَرَّجُ بِإِنْسَانِ الْعَصْرِ إِلَى الْحَالَاتِ الدُّنْيَا مِنَ الْقُدَرَاتِ الْمَالِيَّةِ، الْعَالَمُ يَسْتَنْزِفُ كُلَّ طَاقَاتِهِ
الْمَالِيَّةِ فِي تَصْنِيعِ الْأَسْلِحَةِ بِكُلِّ أَشْكَالِهَا وَأَنْوَاعِهَا، وَيَتَسَابَقُ عَلَى امْتِلَاكِ أَكْبَرِ تَرَسَانَةٍ مِنَ
الْأَسْلِحَةِ الْمُتَفَوِّقَةِ، وَكَأَنَّ الْكُلَّ فِي اسْتِعْدَادٍ لِحُوضِ حُرُوبِ النِّهَايَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ.

إِنَّمَا لَوْ نَظَرْنَا إِلَى الْأَمْوَالِ الطَّائِلَةِ الَّتِي تُصَرَفُ لِتَصْنِيعِ الْأَسْلِحَةِ لَوَجَدْنَا أَنَّهَا تَسْتَحْوَذُ
عَلَى الْقَدْرِ الْمَالِيِّ الْأَكْبَرِ، فَجَمِيعُ الْمُدْخَرَاتِ الضَّرِيئَةِ فِي الْعَالَمِ أَوَّلُ مَا تُوجَّهُ عَائِدَاتُهَا
لِتَصْنِيعِ السَّلَاحِ وَالْمُتَاجَرَةِ بِهِ عَلَى مُسْتَوَى الْأُمَمِ غَيْرِ الْمُصْنَعَةِ لِلْسَّلَاحِ وَتَأْتِي فِي مُقَدِّمَةِ
الدُّوَلِ الْمُصَدِّرَةِ لِلْسَّلَاحِ أَمْرِيكَا، ثُمَّ تَأْتِي رُوسِيَا، فَأُورُوبَا وَالصِّينُ، وَهَلُمَّ جَرًّا.

الْعَالَمَ الْيَوْمَ فِي تَطَوُّرٍ يَفُوقُ النَّظِيرَ، وَيَقِفُ عَلَى قِمَّةِ الْإِعْجَازِ التَّكْنُولِجِيِّ، فِيهِ اللَّحْظَةُ الْوَاحِدَةُ هُنَاكَ مُنتَجٌ جَدِيدٌ فِي كُلِّ أَغْرَاضِ الْحَيَاةِ، إِنَّمَا يَظِلُّ السَّلَاحُ وَتَقْنِيَاتُهُ الْجَدِيدَةُ السَّلْعَةُ الْأَهَمُّ فِي حَيَاةِ الدُّوَلِ لِلْحِفَازِ عَلَى سِيَادَتِهَا وَنِظَامِهَا عَلَى الْأَقْلِ دَاخِلِيًّا وَإِقْلِيمِيًّا، وَسَيَبْقَى الْإِهْتِمَامُ بِمَوَارِدِ الْغِذَاءِ فِي أَدْنَى مُسْتَوِيَاتِهِ فِي الدُّوَلِ الْفَقِيرَةِ لِعَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَى مُوَكَبَةِ الْقُدْرَةِ الْإِنْتِاجِيَّةِ الْمُتَحَكِّمَةِ، وَالَّتِي لَدَيْهَا الْمَيْكَنَةُ الْقَادِرَةُ عَلَى الزَّرَاعَةِ، وَمِنْ ثَمَّ عَلَى الْإِنْتِاجِ الْحَيَوَانِيِّ لَوْجُودِ الْمَرَاعِي الشَّاسِعَةِ لِتَرْبِيَةِ الْحَيَوَانِ، فَضْلًا عَنِ الْأَجْوَاءِ الْمُسَاعَدَةِ فِي الْأَسْتَحْوَاذِ لِكَيْ يُصْبِحَ الْعَالَمُ الثَّلَاثُ فِي احْتِيَاجٍ وَفِي قَبْضَةِ الدُّوَلِ الْمُنتَجَةِ، إِضَافَةً إِلَى الْقُدْرَةِ عَلَى تَصْنِيعِ فَيَرُوسَاتِ الْأَمْرَاضِ الَّتِي تَسُودُ الْعَالَمَ، وَإِلَى الْقُدْرَةِ عَلَى تَصْنِيعِ الدَّوَاءِ.

وَمِنْ نَافَلَةِ الْقَوْلِ أَنْ نَقُولَ إِنَّ الْأَعْدَادَ السُّكَّانِيَّةَ فِي الْعَالَمِ تَزْدَادُ بِشَكْلِ مَهُولٍ جَدًّا مِمَّا يَجْعَلُ قِيَمَةَ الْإِنْسَانِ زَهِيدَةً إِلَى جَانِبِ الْمُقْتَنِيَّاتِ وَالْحَاجَاتِ الْمُلْحَةِ وَالضَّرُورِيَّةِ، سَيُصْبِحُ الْإِنْسَانُ سَلْعَةً مِنَ السَّلْعِ الْقَابِلَةِ لِلتَّشْوِيقِ حِينَ يَكُونُ هُوَ أَحَدَ الْمُنْتَجَاتِ لِبَيْعِ أَعْضَاءِ الْإِنْسَانِ.

إِنَّمَا فِي مَخَاضِ صَعْبٍ لَا نَعِيشُهُ بِمَعْزِلٍ عَنِ شُعُوبِ الْعَالَمِ حِينَ نَفْتَقِرُ إِلَى التَّفَكِيرِ فِي الْإِنْسَانِ وَالْإِهْتِمَامِ بِصِحَّتِهِ وَغِذَائِهِ، وَنَتَّجُهُ إِلَى قَتْلِهِ فِي ظِلِّ هَذِهِ الْحُرُوبِ الَّتِي يَزْدَادُ أَوَارُهَا اشْتِعَالًا فِي كُلِّ يَوْمٍ، بَلْ فِي كُلِّ ثَانِيَةٍ لِأَتَقَهُ الْأَسْبَابُ، إِنَّمَا يَبْقَى السَّبَبُ الْأَهَمُّ فِي نَظَرِ الْمُتَحَكِّمِينَ بِالثَّرَوَاتِ هُوَ زِيَادَةُ ثَرَوَاتِهِمْ عَلَى حِسَابِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ دُونَ إِحْسَاسٍ بِقِيَمَةِ الْإِنْسَانِ عِنْدَمَا تَتَوَارَى الرَّحْمَةُ وَيُصْبِحُ الْهَدَفُ هُوَ عِبَادَةُ الْمَادَّةِ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

مَاذَا سَيَفْعَلُ الْفَقِيرُ الْكَادِحُ فِي ظِلِّ هَذِهِ الْمُتَغَيِّرَاتِ غَيْرِ الْأَخْلَاقِيَّةِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمُنْتَجُ لِحَالَاتِ الصَّبْرِ عَلَى قَهْرِ الظُّرُوفِ، وَمَا يَنْتُجُ عَنْهَا مِنَ الذِّلِّ وَالْعُبُودِيَّةِ وَالْقَهْرِ احْتِسَابًا لِلْقِيَمَةِ الْعَيْشِ الَّتِي لِأَجْلِهَا يَبْذُلُ كَرَامَتَهُ وَيَبِيعُ عَرْضَهُ؛ بَلْ كُلُّ مَا يَكُونُ لَهُ ثَمَنٌ لِلْحُصُولِ عَلَى قُوْتِ يَوْمِهِ لِإِشْبَاعِ بَطْنِهِ وَبُطُونِ أَبْنَائِهِ وَأَهْلِهِ.

مِنْ هُنَا نَحْنُ نَدْعُو إِلَى تَحْدِيدِ النُّسْلِ حَتَّى لَا نَزِيدَ فِي وَلَادَةِ الْمُعْدَمِينَ وَيَكُونُوا عِبْنًا عَلَى أَهْلِهِمُ الْمُتَضَوِّرِينَ جَوْعًا، وَنَدْعُو الْمُهَيِّمِينَ عَلَى مُقَدَّرَاتِ الشُّعُوبِ إِلَى شَيْءٍ مِنَ التَّعَقُّلِ وَالْبَصِيرَةِ فِي الْحَدِّ مِنْ تَصْنِيعِ السَّلَاحِ، وَتَقْدِيمِ الْمُسَاعَدَاتِ التَّقْنِيَّةِ لِلدُّوَلِ فِي

الْإِنْتاجِ الزَّرَاعِيِّ وَبَثِّ الْوُعْيِ الصَّنَاعِيِّ وَالْمُسَاعَدَةِ الْقَادِرَةِ عَلَى تَقْنِينِ الْاِكْتِفَاءِ الذَّاتِيِّ لِمُقَاوَمَةِ الْفَقْرِ وَالْبَطَالَةِ الَّتِي تَضْرِبُ بِأَثَارِهَا الدَّائِمَةِ فِي الشُّعُوبِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الشُّعُوبَ حِينَ تَسْتَشْعِرُ بَوَاطَةَ الْحَيَاةِ وَتَحْكُمُ الْقِلَّةَ فِي قُوَّتِهَا وَمَوَارِدِ رِزْقِهَا سَتَكُونُ مِنْ أَكْبَرِ عَوَامِلِ الْهَدْمِ وَالتَّخْرِيبِ وَارْتِكَابِ الْجَرَائِمِ وَتَهْدِيمِ كُلِّ مَأْثَرِ الْحَضَارَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ لِلْحُصُولِ عَلَى مَا يَسُدُّ الرَّمَقَ، وَحِينَ تَشْعُرُ أَنَّهَا عَدِمَتِ الْحُلُولَ وَأَنَّه لَمْ يَتَبَقْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَوْتِ شَيْءٌ؛ سَوْفَ تَقُومُ عَلَى حَرْبِ الْأَغْنِيَاءِ فِي كُلِّ بَلَدٍ وَالِاسْتِحْوَاذِ عَلَى مُمْتَلِكَاتِهِمْ وَتَحْطِيمِ كُلِّ مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَحَقَّ لَهُمْ ذَلِكَ؛ فَهُمْ بَيْنَ خِيَارَيْنِ: الْحَيَاةِ أَوْ الْمَوْتِ، وَهُمَا خِيَارَانِ أَحْلَاهُمَا مَرُّ الْفِكْرِ الْعَالَمِيِّ يَتَجُّهُ إِلَى تَحْصِينِ الْقِلَّةِ وَالِاهْتِمَامِ بِهَا، وَالْقِلَّةُ وَاقِعَةٌ بَيْنَ الْكَثْرَةِ، وَالْكَثْرَةُ سَيَكُونُ لَهَا الْكَلِمَةُ الْأَخِيرَةُ فِي اخْتِرَاقِ الْقِلَّةِ بِالسَّلْبِ وَالنَّهْبِ وَالْقَتْلِ، عِنْدَهَا سَيَزُولُ كُلُّ مَا جَنَاهُ وَيَجْنِيهِ الْقِلَّةُ بِالتَّبْدِيدِ وَالِامْتِلَاكِ لِلْكَثْرَةِ الْعَالِيَةِ، وَلَنْ يُجْدِيَ السَّلَاحُ نَفْعًا حِينَ يَكُونُ الْمَوْتُ هُوَ أَهَمُّ وَسِيلَةٍ لِبَقَاءِ الْأَكْثَرِيَّةِ السَّاحِقَةِ عَلَى الْأَرْضِ.

فَمَتَى يُفِيْقُ الْفِكْرُ الْعَالَمِيُّ مِنْ غَفْوَةِ النِّعَمِ لِيَشْعُرَ بِالْإِنْسَانِ الْمُعْدَمِ الَّذِي لَوْ لَمْ يَحْظَ بِالْقَدْرِ الْيَسِيرِ مِنَ الْإِهْتِمَامِ؛ فَسَيَكُونُ هُوَ السَّلَاحُ الْمُدمِّرُ لِلْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهَا.

21 يناير 2019

إِسَاءَاتُ الْأَقَارِبِ

إِذَا أَسَاءَ إِلَيْكَ بَعْضُ مَنْ أَهْلَكَ حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ، فَلَكَ فِي رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ - أَكْبَرُ الْعَزَاءِ، وَقَدْ أَسَاءَ إِلَيْهِ بَعْضُ مَنْ أَهْلَهُ إِسَاءَاتٍ بَالِغَةٌ لَا يَتَحَمَّلُهَا أَحَدٌ، وَمِنْهُمْ عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَظْهَرَ حَبِيبَهُ سَيِّدَ وَدِّ آدَمَ عَلَيْهِ وَعَلَى كُفَّارِ قُرَيْشٍ وَارْتَفَعَ لَوَاءُ الْإِسْلَامِ بِشَهَادَةِ إِلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَعَمَّ الْإِسْلَامُ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَبَاءَ كُلٌّ مِنْ عَادَى الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْخِزْيِ وَالْعَارِ وَالسَّارِ. أَفَلَا يَكُونُ لَنَا فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ؟ فَاعْلَمْ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يَمْكُرُ بِكَ وَيَكِيدُ لَكَ وَيُضْمِرُ لَكَ الشَّرَّ؛ هُمْ بَعْضُ مَنْ ضَلَّ مِنْ أَهْلِكَ سَوَاءَ السَّبِيلِ، دَافِعُهُ الْغُلُّ وَالْحِقْدُ وَالْحَسَدُ عَلَى ارْتِقَائِكَ وَرَفْعَتِكَ وَعُلُوِّ شَانِكَ وَفَضْلِكَ عَلَيْهِ، فَهُوَ يَحْتَرِقُ وَيَتَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ مِمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ، فَلَا تَبَالٍ وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ، وَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَسَيُوتِيكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ؛ مَرَّةً عَلَى الصَّبْرِ وَمَرَّةً عَلَى الْبِرِّ وَالْعَطَاءِ، وَقَدْ قِيلَ: «لَا تَمُوتُ النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ حَتَّى تُسَيَّءَ إِلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا»، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

28 يناير 2014

الكَلَامُ وَالصَّمْتُ

أَحَاوُلُ إِلَى الْآنَ أَنْ أَفْهَمَ لِمَاذَا يُشِيحُ الصَّمْتُ بِوَجْهِهِ لِلْجَهَةِ الشَّمَالِ وَالْيَمِينِ يَبْدِي مِنْهُ شَكْلُ الْكَلَامِ. وَبَيْنَ الصَّمْتِ وَالْكَلَامِ يَتَفَاعَلُ الْعَقْلُ فِي آنِيَةِ الْفِكْرَةِ الْمَدْعُوَةِ إِلَى إِرَادَةِ الْقَلْبِ فِي إِنْتَاجِ النَّبْضِ الْأَدَمِيِّ الْمُنْتَظَمِ فِي قَلْبِهِ، فَتَظَلُّ الْمُتَغَيَّرَاتُ الْفَوْضَوِيَّةُ هِيَ وَحْدَهَا الَّتِي تَفَاجِئُ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ بِضُرُورَةٍ تَقْبَلُ الْقَبِيحَ وَالْأَلِيمَ مَعَ الْجَمِيلِ وَالصَّحِيحِ، بِحَيْثُ يَكُونُ تَرْجَمَةً خَفِيَّةً لِقَاسَمٍ مُشْتَرَكٍ فِي الْفِعْلِ لَهُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ الْفَضِيلَةِ وَالرَّذِيلَةِ، وَبَيْنَ الْحُبِّ وَالْكُرهِ، أَضْدَادٌ كَثُرَ فِي تَجَاعِيدِ وَجْهِ الْحَيَاةِ.

وَحِينَ تَلُوذُ بِالصَّمْتِ فَإِنَّ التَّوَقُّعَ لَدَيْهَا أَشَارَ لَهَا بِاللَّاجِدَوِي إِلَّا زِيَادَةً أَلَمِ الْإِحْسَاسِ وَجَعَلَ حَالَةَ الْيَقَظَةِ لِلِاسْتِشْعَارِ الْفَوْرِيِّ بِمُتَابَعَةِ الْحَدَثِ وَهُوَ فِي أَحْسَنِ أَحْوَالِهِ وَالْإِنْضِبَاطِ وَالتَّزَوُّدِ بِكَمِّيَّاتٍ أُخْرَى مِنْ وَجَاهَةِ الْقَوْلِ الْمُؤَدِّي إِلَى الْفِعْلِ، وَهُوَ مَا يَجْعَلُ الْقِيَمَةَ الْعُظْمَى لِلنَّفْسِ الْعَاقِلَةِ الْمُفَكِّرَةِ كَيْ تُعِيدَ قِرَاءَةَ الْكَلَامِ وَتَعَابِيرِهِ فِي الْوُجُوهِ وَالْإِحَاطَةِ بِالْعَمِيقِ وَالْبَسِيطِ مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَالتَّعَامُلِ عَلَى قَدْرِهَا، دُونَ جُنُوحٍ أَوْ تَطَرُّفٍ أَوْ انْجَذَابٍ يُفْضِي إِلَى الظُّلْمِ.

فَمَاذَا لَوْ طَالَ الصَّمْتُ الْبَشَرِيُّ؟ عِنْدَهَا نَقُولُ إِنَّ الْعَالَمَ انْقَلَبَ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَى النِّعَمِ. كَثِيرٌ مِنَ الصَّمْتِ يَأْتِي بِفِعْلِ الرِّضَا، وَقَلِيلُهُ يَأْتِي عَنْ أَلَمٍ حَسِّيٍّ يَفْقِدُ قُدْرَتَهُ عَلَى حَمَلِهِ التَّرَاكُمِيِّ فَيَنْفَجِرُ خَارِجًا عَنْ ضَوَابِطِ النَّفْسِ حِينَ تَتَفَاعَلُ أَحْمَاضُ مُعَيَّنَةٍ فِي النَّفْسِ فَتَوْسُّسٌ لِسُعْلَةِ النَّقْمَةِ فِي الْكَائِنِ الْحَيِّ نُسَمِّيهِ بِالْغَضَبِ الْمُحْلُولِكِ السَّوَادِ، الْمُوَحِي بِالثَّأْرِ وَالْقَصَاصِ أَوْ الشُّكْرِ فِي الْقُدْرَةِ وَالتَّقْدِيرِ.

كَمَا أَنَّ الْكَلَامَ الْمَكْتُوبَ يَشْهَدُ عَلَى الزَّمَانِ عَلَى أَنَّ مَا زَلْنَا صُنَاعَ أَحْدَاثِ الْأَرْضِ حَيْثُ أَلْبَسْنَا الْأَرْضَ نُجُومًا كَنُجُومِ السَّمَاءِ، كُلُّ عِلْمٍ بَدَأَ بِالْكَلَامِ الصَّوْتِيِّ لَا يُمْكِنُ لِحَيٍّ أَنْ يَتَّخِذَ شِمَالَ الصَّمْتِ إِلَى مَذَاهِبِ أَهْلِ الصَّمْتِ إِلَّا كَمَا أَسْلَفْنَا فِي اللَّاجِدَوِي، وَأَمَّا كُلُّ أَغْرَاضِ الْحَيَاةِ يَنْسَحِبُ عَلَيْهَا صَوْتُ الْكَلَامِ الْمُنْعَمُ بِخُرُوفِهِ فِي الدَّلَالَاتِ. الْكَلَامُ هُوَ فَاتِحَةُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَلَكِنَّهُ يَبْنِي الْعُقُولَ وَيَبْنِي الْأُمَمَ وَالْأَوْطَانَ، وَكُلُّ إِنْسَانٍ خُلِقَ لَهُ اللِّسَانُ لِلْكَلَامِ، فَالْكَلَامُ هُوَ الْفِطْرَةُ، وَالصَّمْتُ هُوَ الْاِكْتِسَابُ.

السُّغْلُ بِالنَّفْسِ

أَتَمَنَى إِنِّشَاءَ شَرَكَةٍ عَالَمِيَّةٍ لِإِدَارَةِ الْوَقْتِ لِيَكُونَ مُنَظَّمًا أَكْثَرُ، وَأَنْ يَنْتَظِمَ الْإِنْسَانُ فِيهِ أَكْثَرَ لِيَكُونَ وَقْتُ الْإِنْسَانِ مُخَطَّطًا لَهُ فِي (سَيِّ دِي) فَقَطْ عَلَيْهِ أَنْ يَفْتَحَهُ وَيَعِيشَ أَحْدَاثَ حَيَاتِهِ بِنَفْسِهِ وَمَعَ نَفْسِهِ، وَيَتَّحِدَ بِالرُّوحِ وَلِلذَاتِ، بَعِيدًا عَنْ عَوَاطِفِ الْقَلْبِ، هَذَا الَّذِي تُطْبِعُ عَلَيْهِ النَّفْسُ حَالِيًّا. الْمُحَاوَلَاتُ جَادَّةٌ لِاسْتِثْصَالِ عُرَى وَشَائِجِ الْقَلْبِ لِيُصْبِحَ الْإِسْتِشْعَارُ بِالنَّفْسِ بِذَاتِهَا مُنْفَرِدَةً، وَيَهْوَنُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ، وَالتَّعِيسُ كَالسَّعِيدِ وَبِالْعَكْسِ. أَحْسُنْ أَنْ هَذَا الْخُلُقُ مُلْقَى بِهِ مِنْ لَحْظَةِ التَّكْوِينِ إِلَى الْأَرْضِ وَهُوَ مَا زَالَ يَهْوِي إِلَى الْأَرْضِ وَلَمْ يَصِلْ، لِذَلِكَ يُحَسُّ الْإِنْسَانُ بَعْدَ اسْتِقْرَارِ فِكْرِهِ وَقَوْلِهِ وَعَمَلِهِ. وَالْحَرَكَهُ عَلَى أَرْضٍ مُتَحَرِّكَةً فِي كُلِّ أَمْرٍ هُوَ بَدَايَةُ الشُّعُورِ بِبَدَايَةِ الْعَمَلِ. وَمِنْ هُنَا يَكُونُ ثَبَاتُ النَّفْسِ لِإِثْبَاتِ الْفِكْرِ الَّذِي تَتَنَاقَبُ الْأَهْوَاءُ وَيُغَيِّرُ بِالْمَنَى. وَحِينَ يَكُونُ لِإِدَارَةِ الْوَقْتِ إِنْتَاجٌ مُبْرَمَجٌ لِكُلِّ فَرْدٍ فِي الْحَيَاةِ، وَالْبَاقِي مِنْ وَقْتِهِ الْخَاصِّ يُبْرَمَجُهُ بَيْنَ الصُّحُورِ كَمَا دَرَسَتْ لَوْ قَتِ الْفَرَاغُ وَاللَّهُوُ يَأْتِي بَعْدَهَا الْعِشَاءُ وَالنَّوْمُ. هِيَ إِدَارَةٌ مِنْ نَوْعِ قَاسٍ أَرَدْتُ بِهَا أَنْ تُضْعِفَ قُوَّةَ الْقُدْرَاتِ الْعَدَائِيَّةِ عَلَى الْأَقْلِ فِي الْإِنْسَانِ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِانْتِظَامِنَا فِي بَرْنَامَجٍ يَسْتَوْعِبُ الْإِنْسَانَ عَامِلًا فِي الْمُجْمَلِ. نَعَمْ، لِمَاذَا يَكُونُ لَدَيْنَا وَقْتُ لِلْحُزَنِ أَوْ الْعُصْبِ وَلَيْسَ بِغَيْرِ الْعَمَلِ يَتَغَيَّرُ الْفِعْلُ فِي النَّفْسِ مِنْ عَادَةٍ قَدَرِيَّةٍ لِعَادَةٍ قَدَرِيَّةٍ أُخْرَى، وَيَكُونُ الْفَرَحُ وَالسَّعَادَةُ وَالِابْتِهَاجُ وَالسُّرُورُ وَالْهَنَاءُ وَالصِّحَّةُ هِيَ عَرُوضُ التَّجَارَةِ!

وَأَرَى أَنَّ حَاجَةً كَبِيرَةً تَسْتَدْعِينَا إِلَى تَعْوِيدِ النَّفْسِ الْمُرُونَةِ عَلَى حَسْمِ الصَّرَاعَاتِ الْفِكْرِيَّةِ بِتَسْجِيلِ مُشَاهَدَاتِهَا لِحَيَاتِهَا فِي كُلِّ ثَوَانِي الْيَوْمِ، فَتَشْتَاقُ بِالتَّعْوِيدِ عَلَى أَنْ تَكُونَ أَنْتَ شُغْلُكَ الشَّاعِلِ لِنَفْسِكَ فِيمَا يَجْعَلُكَ صَحِيحًا، وَلَكِنْ بِلَا عَوَاطِفِ.

5 فبراير 2019

سِيَّاسَةُ أَمْرِيكَ اللَّعِبُ بِالشَّرْقِ الْأَوْسَطِ

قُلْ لِلَّذِينَ يَتَخَرَّصُونَ بِأَنَّ الْعَلَاqَاتِ الْأَمْرِيكِيَّةَ الْإِيرَانِيَّةَ مُتَوَتِّرَةٌ، وَأَنَّ أَمْرِيكَ تُبْذِرُ غَضَبَهَا مِنْ إِطْلَاقِ الصَّوَارِيخِ الْبَالِسْتِيَّةِ؛ أَنْ يَتَرَبَّثُوا فِي إِطْلَاقِ الْأَحْكَامِ، فَالْسِّيَّاسَةُ الْأَمْرِيكِيَّةُ خَادِعَةٌ كَالسَّرَابِ. فَهَلْ نَسِيَ الْجَمِيعُ عِلَاقَاتِ إِيرَانِ بِأَمْرِيكَ خِلَالَ حُكْمِ أُوْبَامَا، وَكَيْفَ كَانَتْ تَشْيِي لِلْجَمِيعِ بَعْدَ رِضَى أَمْرِيكَ عَنْ إِيرَانِ، وَفَرَضُوا عُقُوبَاتٍ اقْتِصَادِيَّةً عَلَى إِيرَانِ، وَمَاذَا كَانَ يَتِمُّ فِي الْخَفَاءِ وَنُفُوذِ إِيرَانِ يَتَضَخَّمُ وَأَصْبَحَ لَهَا وَجُودٌ عَسْكَرِيٌّ مُهْدَّدٌ لِحَبِيرَانِهَا وَإِنْ كَانَ مَحْصُوبًا لَدَى قَادَةِ دَوْلِ الْخَلِيجِ بِالِاسْتِعْدَادِ لِمُوَاجَهَةِ أَيِّ احْتِمَالَاتٍ عُدُوَانِيَّةٍ عَلَيْهَا، وَقَدْ أَصْبَحَ لِإِيرَانِ مَنَاطِقُ نُفُوذٍ أَكْثَرُ مِنْ ذِي قَبْلُ، وَتَمَّ تَوْقِيعُ الْإِنْفَاقِيَّةِ النَّوَوِيَّةِ بَيْنَ أَمْرِيكَ وَإِيرَانِ فِي جَنِيفَ عَلَى التَّاجِيلِ، وَكَانَتْ تُمُولُ مِنْ قَبْلِ رُوسِيَا بِعِلْمِ أَمْرِيكَ بِالْأَسْلِحَةِ الْمُنْطَوْرَةِ، وَأَصْبَحَ لَدَيْهَا تَرْسَانَةٌ مِنَ الصَّوَارِيخِ الْبَالِسْتِيَّةِ لَا يُسْتَهَانُ بِهَا؛ لَذَا فَأَمْرِيكَ هِيَ صَانِعَةٌ لِهَذِهِ الرِّعَامَةِ الْإِيرَانِيَّةِ، وَإِيرَانُ لَا تَعْلَمُ أَنَّهَا كَبَشُ الْفِدَاءِ الَّذِي تُرَاهِنُ عَلَيْهِ أَمْرِيكَ لِتَحْقِيقِ أَهْدَافِهَا وَنَظَرِيَّاتِهَا، وَبَعْدَ اِتِّمَامِ فُصُولِ الْمُؤَامَرَاتِ سَوْفَ تُعِيدُهَا إِلَى جُحْرِهَا ثَانِيَّةً، وَلَكِنْ الْآنَ أَمْرِيكَ تَسْتَهْدِفُ الشَّرْقَ الْأَوْسَطَ بِعَامَّةٍ لَتَقْسِمِهِ إِلَى دُوَيْلَاتٍ، وَيَدْخُلُ فِي هَذَا الْإِطَارِ تَرْكِيَا الَّتِي تَسْعَى أَمْرِيكَ لِأَنْ يَكُونَ مَوْقِفُهَا ضَعِيفًا عَسْكَرِيًّا وَاقْتِصَادِيًّا، فَلَا يَغُرَّنْكُمْ هَذِهِ الزُّوَابِجُ الْاِفْتِعَالِيَّةُ مِنْ أَمْرِيكَ؛ فَأَمْرِيكَ تُرِيدُ تَحْقِيقَ الرِّعَامَةِ الْكَامِلَةِ عَلَى الْعَالَمِ - وَمِنْ ضَمْنِهِ الصِّينَ وَرُوسِيَا وَكُورِيَا الشَّمَالِيَّةَ - لِتَحْكَمَ قِيَادَ الْعَالَمِ وَتُحَقِّقَ الْإِمْبَرَاطُورِيَّةَ الْأَمْرِيكِيَّةَ إِذَا لَمْ تَصُحَّ الشُّعُوبُ وَالدُّوَلُ لِضَرْبِ مَصَالِحِ أَمْرِيكَ الْاِقْتِصَادِيَّةِ، ذَلِكَ هُوَ الَّذِي سَيُتَعَبُّ أَمْرِيكَ وَيَجْعَلُ مِنَ الصُّعُوبَةِ بِمَكَانِ اِخْضَاعِ الْعَالَمِ تَحْتَ إِمْرَتِهَا وَلَوَائِهَا، لِذَلِكَ عَلَيْنَا أَلَّا نَفْرَحَ كَثِيرًا بِتَصْرِيحَاتِ الْبَيْتِ الْاَبْيَضِ مِنَ اِمْتِعَاضِهِ وَاسْتِيَانِهِ مِنْ إِيرَانِ، وَأَنَّهُمْ رُبَّمَا يُعِيدُونَ فَرَضَ الْحِصَارِ الْاِقْتِصَادِيِّ عَلَى إِيرَانِ، وَإِنْ فَعَلَ الْأَمْرِيكَانُ فَاِيرَانُ أَيْضًا لَنْ تَعْدَمَ الْوَسَائِلُ كَمَا كَانَتْ عَلَى عَهْدِ أُوْبَامَا، وَإِنْ كُنْتُ أَعْتَقِدُ بِأَنَّ خَطَرَ إِيرَانِ لَيْسَ كَبِيرًا عَلَى الْخَلِيجِ وَالْمِنْطَقَةِ لِأَنَّ الْخَلِيجَ أَيْضًا لَهُ قُوَّةٌ وَاسْتِعْدَادٌ غَيْرُ مَرْئِيٍّ لِلْعِيَانِ، وَلِلدُّوَلِ الْخَلِيجِ تَحَالُفَاتٌ رُبَّمَا تُشْعَلُ حَرْبًا عَالَمِيَّةً بَيْنَ الدُّوَلِ الْكُبْرَى. الْأَهَمُّ مِنْ كُلِّ هَذَا دِرَاسَةُ أَبْعَادِ اللَّعْبَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ وَمُرَاقَبَتُهَا بِحَذَرٍ، وَعَدَمُ التَّسْلِيمِ بِكُلِّ مَا تَرْمِي إِلَيْهِ تَحْتَ مَزَاعِمِ الْحِمَايَةِ لِلدُّوَلِ الْمُسْتَضْعَفَةِ لِأَنَّ نَظْرِيَّةَ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ

الكبير لم تسقط، ولم تسقط أهدافها في تحقيق مآربها، فالقوضى الخلاقة في العالم الشرقي ما زالت آثارها قائمة والإرهاب الذي أسست له أمريكا عن طريق أمراء الحروب مثل القاعدة وداعش لم ينته، وما سوف يأتي من منظمات إرهابية جديدة غير القاعدة وداعش غير مستبعد من افتعاله، فأمريكا تلعب بكل الأوراق اللاأخلاقية واللائسانية بغية فرض السيادة على العالم، وكذلك روسيا والصين والهند التي سوف تدخل قريباً في معمة الصراعات السياسية، والتي سيكون لها أيضاً دور عسكري وهي تمثل جانب جيش الاحتياط لأمريكا، فعلى العالم أجمع أن يقف متحداً لإضعاف أمريكا اقتصادياً، وبغير ذلك سوف تستمر أمريكا في زعزعة العالم واستمرار الإرهاب لأنها هي من يصنع الإرهاب، لكن كلما ضعف الاقتصاد الأمريكي بدأ أقول النفوذ الأمريكي يتضاءل شيئاً فشيئاً، وتنشأ قوى تستطيع أن تقف في وجه الهيمنة الأمريكية ويسود شيء من التعادلية والندادة لزعزعة الداخل الأمريكي لتعيد حساباتها بأن فوق كل ذي قوة قوي آخر، وقوة الله أقوى وأعظم.

5 فبراير 2017

لَا تَسْأَلْ عَمَّا خَطَّهَ الْقَدَرُ

عَلَى مَسَرِّحِ الْحَيَاةِ، كُلُّ لَهُ أَدْوَارٍ تَمَثِّلِيَّةٍ يَجِبُ أَنْ يُؤَدِّيَهَا طَائِعًا مُخْتَارًا لِيَرَى فِيهَا كَيْفَ يَتَصَارَعُ الْأَمَلُ مَعَ الْأَلَمِ وَالشَّرُّ مَعَ الْخَيْرِ وَالْحَيَاةُ مَعَ الْمَوْتِ؟

أَنْتِ فِي زَمَنٍ فِيهِ الْعُصُورُ وَالسَّنُونَ وَالْأَحْقَابُ وَالْقُرُونُ إِنَّمَا أَنْتِ تُؤَدِّي أَدْوَارَكَ الْمُتَعَدِّدَةَ بِكُلِّ إِتْقَانٍ، كَذَلِكَ نَحْنُ.. هُنَاكَ مَنْ يُؤَدِّي دَوْرَ السَّعِيدِ أَوِ الشَّقِيِّ أَوِ الْعَامِلِ أَوِ الْمُفَكِّرِ أَوِ الرَّئِيسِ أَوِ الْمَرِيضِ أَوِ الْفَقِيرِ أَوِ الْغَنِيِّ... إلخ. أَنْتِ تَعُدُّهَا فِي الْحَيَاةِ جَهَادًا وَاكْتِسَابًا وَتَجَارِبَ وَطَلَبَ مَعِيشَةٍ وَارْتِقَاءَ وَغِنًى وَتَرَفًا وَنَعِيمًا، وَهُنَاكَ مَنْ يَعُدُّهَا عَوَازًا أَوْ فَقْرًا، وَمَنْ يُفَسِّرُهَا بِأَنَّ الْحَيَاةَ غَيْرُ عَادِلَةٍ فِي حِينٍ رَفَعَتْ غَيْرَ الْكُفِّ وَأَعْطَتْهُ وَكَرَّمَتْهُ، وَأَنْتِ صَاحِبُ الْقِيَمَةِ وَالْقَدْرِ عِلْمًا وَفَضْلًا وَعَمَلًا لَا تُرِيدُ الْحَيَاةَ أَنْ تَجْعَلَ قَدْرَكَ مِنْ بَيْنِ الْأَقْدَارِ لِأَنَّ الْحَيَاةَ تَعْمَلُ بِحَرَارَةِ مُفْرِطَةِ السَّرْعَةِ وَلَيْسَ مِنْ شَأْنِهَا الْعَوَاطِفُ. لَوْ تَحَسَّسْتَ نَفْسَكَ وَأَنْتِ تَنْبُضُ بِالْحَرَكَةِ وَتُمَارِسُ حَيَاتَكَ الطَّبِيعِيَّةَ بِقِنَاعَةٍ بِمَا فِيهَا مِنْ سُرُورٍ أَوْ أَكْدَارٍ، لَعَلِمْتَ مَاذَا تَعْمَلُ الْفَوَارِقُ فِي الْإِنْسَانِ عِنْدَمَا يَصِلُ غَايَةَ مَنَى النَّفْسِ إِلَى أَنْ تَكُونَ هِيَ وَحْدَهَا الْأَمْرَةُ وَعَدَاهَا الْمَأْمُورُ. لَمْ تَخْتَلِفِ الْحَيَاةُ عَمَّا قَالَهُ الرُّوَاةُ وَجَاءَتْ بِهِ الْكُتُبُ وَأَرْخَتْهُ السَّيْرُ فِي مَدُونَاتِهَا، فَالْكُلُّ مَجْبُولٌ عَلَى أَنْ يَعِيشَ فِتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ يَحْمِلُ فِيهَا مَا هُوَ قَادِرٌ عَلَى حَمْلِهِ، ثُمَّ يُعَادِرُ إِلَى غَيْرِ رَجْعَةٍ، فَمَا دُمْتَ تَحْيَا فَأَنْتِ أَدَاةٌ فَاعِلَةٌ لِعَمَلٍ شَيْءٍ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِكَ وَمِنْكَ؛ لِذَا عَرَفْنَا الْأَنَا الَّتِي فُطِرَتْ عَلَى الْعَمَلِ وَعَلَى حُبِّ التَّمَلُّكِ. الْكُلُّ يُرِيدُ كُلُّ شَيْءٍ لِأَنَّ النَّفْسَ تَبْتَهِجُ وَتُسَرُّ بِالْعَطَاءِ لَهَا وَتَأَلَّمُ إِنْ أَخَذَ مِنْهَا، لِأَنَّهَا مَشْغُولَةٌ بِالْمُسْتَقْبَلِ وَتَغْيُرُ الْأَحْوَالَ وَالْحُرُصَ وَالطَّمَعُ دُونَ إِنْعَامِ النَّظَرِ إِلَى أَنَّ الْكَثِيرَ مِنَ الْمُثْمَلِينَ أَدَّوْا أَدْوَارَهُمْ كَمَا أُرِيدَ لَهُمْ وَرَحَلُوا وَمَا زَالَ هُنَاكَ مَنْ يُؤَدِّي الْأَدْوَارَ نَفْسَهَا حَسَبَ طَبِيعَةِ تَضَخِيمِ دَوْرِ الْأَنَا وَهَالَةِ النَّفْسِ، وَتِلْكَ الْإِهْتِرَازَاتُ الطَّبِيعِيَّةُ الَّتِي تُسَوِّغُ لِلْبَشَرِ الْإِرْتِفَاعَ وَإِحْلَالَ مَفْهُومِ الْقِيَمَةِ وَالْقَدْرِ هِيَ نَرْجِسِيَّةٌ مُوجُودَةٌ فِي نُطْفَةِ التَّكْوِينِ. إِذَا لَيْسَ ثَمَّةَ لَوْمٍ عَلَى الشُّخُوصِ لِأَنَّ مِنْ عَمَلِ الْحَيَاةِ أَنْ تَنْظُمَ الْهُمُومَ فِي الْخَلْقِ لِمَيْكَنَةِ الْوَقْتِ، سَتَجِدُ الْكَثِيرَ يَضْحَكُ وَالْكَثِيرَ يَبْكِي، الْكُلُّ يَنْظُرُ إِلَى الْحَيَاةِ بَعَيْنِ الرَّجَاءِ وَهِيَ تَنْظُرُنَا بَعَيْنِ السَّمَاءِ، لِذَلِكَ يَجِبُ أَنْ نَحَاوِلَ أَنْ نَكُونَ بَعِيدًا بِقَدْرِ كَبِيرٍ عَنْ أَنْوَاتِنَا وَنُفُوسِنَا لِأَنَّ تَرَكَمَاتِ الْأَحَاسِيْسِ الْمُفْرِطَةِ فِي تَغْيِي الْعَدْلِ أَوْ الْبَاطِلِ إِنَّمَا هُمَا يَخْرُجَانِ عَنْ جَدَلِيَّةِ الصَّوَابِ وَالْخَطَا إِلَى مِيرَاثِ الْخَلَايَا الْجِنِّيَّةِ فِي

تَأْصِيلِ مَفْهُومِ الْأَنَا حِينَ تَغْلِبُ الْفِطْرَةُ عَلَى آمَالِ النَّفْسِ وَإِرَادَتِهَا، وَيَكُونُ مِنْ شَأْنِهَا إِعْمَالُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ كَمُسْلِمَاتٍ تُحِيلُ إِلَى فِعْلٍ مُسْتَوْجِبِ الْحُصُولِ وَالْوُقُوعِ، وَهُنَا يَكُونُ التَّقْدِيرُ لِلْقَدَرِ الْقَادِرِ فِي صُنْعِ الْخَلَائِقِ وَالْأَحْدَاثِ. مَا يَأْخُذُنَا إِلَى الْأَوْهَامِ وَالْخَيَالَاتِ، وَحَتَّى لَوْ أَصَبْنَا غَايَةَ الْحَقِّ فَهُوَ مِنْ خَيْرِ الْمَشِيئَةِ لِلْخَلْقِ تَقْدِيرُ الْمُقَدَّرِ، فَلَا تَسْأَلُ عَمَّا خَطَّهَ الْقَدَرُ.

11 فبراير 2019

الْوَصِيَّةُ

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ: أُوصِيكَ بِأَنْ تَقِفَ عَلَى حَافَةِ إِطَارِ الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ لَا دَاخِلَهَا، وَاعْبُدِ اللَّهَ تَوْحِيدًا وَتَقْدِيسًا وَيَقِينًا دُونَ الدُّخُولِ إِلَى سَاحَاتِ الْأَرْضِ، فَفِيهَا سَيَتَلَوْتُ طَهْرَكَ وَتَتَلَطَّحُ نَفْسُكَ بِعَوْرَاتِ الْبَشَرِ، وَيَتَسَخَّرُ نَقَاؤُكَ وَصَفَاؤُكَ بِأَذْرَانِ الشَّكِّ وَالظَّنِّ، وَسَتَفْتَقِدُ عَقْلَكَ فِي فُقْدَانِ حِكْمَةِ أَهْلِ الْأَرْضِ لِحِكْمَةِ سَلَامِ الْحَيَاةِ وَسَلَامَتِهَا مِنْ قَوَارِعِ الشَّرِّ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ، أَنْتَ حِينَ تَقِفُ عَلَى حَافَةِ إِطَارِ الْأَرْضِ سَتَرَى بِعَيْنِكَ كَيْفَ يَكُونُ صِرَاعُ الْأَحْيَاءِ لِلنُّصْرَةِ الْبَاطِلِ عَلَى الْحَقِّ، وَتَرَى السَّيَّارَةَ مِنَ الظُّلَامِ وَهُمْ يَسْكُنُونَ بُيُوتَ الْعَارِ الْمُبْنِيَّةِ مِنْ جَلَامِيدِ الدَّمَاءِ الْأَدَمِيَّةِ، وَتَرَى السَّاكِنِينَ فِي أَقْبِيَةِ الْبُؤْسِ وَهُمْ يَقْتَاتُونَ الْأَلَمَ وَالْفَقْرَ وَالْعَوَزَ وَقَدْ خَلَطُوا مِنَ الذِّلِّ وَالْمُتْرَبَةِ وَالْهَوَانِ عَجِينًا يَصْنَعُونَ مِنْهُ خَبْزَ يَوْمِهِمْ يَطْعُمُونَهُ لِيَسُدُّوا بِهِ رِمَقَهُمْ لِيَقِيمُوا بِهِ الْأَوْدَ فِي سِتْرِ هَيْكَلِ عِظَامِهِمْ بِجُلُودِ تَفَحَّمَ لَوْنُهَا مِنْ مُكَابَدَةِ الْهُمُومِ وَازْتِرَاقِ الشَّقَاءِ كَرْهًا لَا رِضَى، حَتَّى يُجِيزَ لَهُمْ سَدَنَةُ الظُّلَمِ الْقَبُولَ بِهِمْ فِي الْحَيَاةِ عَلَى شُرُوطِ الْعُبُودِيَّةِ لِسَادَةِ الْأَرْضِ، وَإِلَّا كَانَ عِقَابُهُمْ عَظِيمًا يَكْرَعُونَ سَمَّ الْعَيْشِ، أَوْ يَكُونُ جَزَاؤُهُمْ وَمَصِيرُهُمْ الْمَرَضَ وَالْمَوْتَ عَلَى أَيْدِي كُفَّارِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَأَنْصَارِ دُعَاةِ الْعَدَمِيَّةِ لِلضُّعْفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ، انْظُرْ مِنْ بَعِيدٍ لَتَرَى الْعَالَمَ وَهُوَ يَصْطَخِبُ وَيَخْتَرِبُ بُغْيَةَ السِّيَادَةِ وَالْغَنَائِمِ الَّتِي يَتَقَاتِلُونَ عَلَيْهَا وَهِيَ الْأَوْهَامُ وَالْعَدَاوَاتُ، وَالْعُدَوَانُ يُنْشِبُ أَظْفَارَهُ فِي الْجَمِيعِ، فَأَهْلُ الْأَذْيَانِ يَتَقَاتِلُونَ انْتِصَارًا لِأَذْيَانِهِمْ، وَأَهْلُ الْمَالِ يَتَقَاتِلُونَ طَمَعًا لَزِيَادَةِ أَمْوَالِهِمْ، وَأَهْلُ السِّيَاسَةِ وَالْحُكْمِ وَالْمَنَاصِبِ يَتَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ تَحْكُمِ الْقِلَّةِ فِي الْكَثَرَةِ، إِنَّهُمْ وَحُوشُ ضَارِيَّةٍ فَاقَتْ وَحُوشَ الْغَابِ. أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ، إِنَّ اعْتِقَادَكَ بِالْخَيْرِ ضَرْبٌ مِنَ الْجَهْلِ وَالْوَهْمِ وَالتَّضَلُّيلِ، فَقَدْ فُطِرَ الْكُلُّ عَلَى الْعَدَاءِ وَالْعَدَاوَةِ وَالْعُدْوَانِ وَالشَّحْنَاءِ وَالْبَغْضَاءِ وَحُبِّ الدَّائِ وَالْتِمَذُّبِ بِمَذَاهِبِ الْأَنَا الْقُوَّةِ الْقَادِرَةِ عَلَى امْتِلَاكِ الْأَنْوَاتِ جَمِيعِهَا، وَكُلُّ يَعْتَقِدُ ذَلِكَ، وَكُلُّ يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا فَرْدًا لَهُ الْأَمْرُ وَالْحُكْمُ وَالْمَشِيئَةُ وَالتَّقْدِيرُ، وَنَسُوا أَنَّهُمْ مَخْلُوقُونَ لِمَنْ خَلَقَ وَأَبْدَعَ وَسَوَّى وَقَدَّرَ هَذَا الْكَوْنَ الْعَظِيمَ؛ وَهُوَ رَبُّ الْخَلْقِ، الْوَاحِدُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ وَلَا شَبِيهٌ وَلَا مِثْلٌ وَلَا نَظِيرٌ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ، أَرَأَيْتَ صُنَاعَ آلَاتِ الدَّمَارِ وَهُمْ يَنْتَقِمُونَ وَمِمَّنْ وَلِمَنْ، إِنَّهُمْ يَنْتَقِمُونَ
لِلْإِنْسَانِ مِنْ إِنْسَانِهِ لِلْهَيْمَةِ وَالسَّيْطَرَةِ وَالطَّمَعِ فِي الْاِسْتِثَارِ بِخَيْرَاتِ الْأَرْضِ لُثْلَةً وَطُعْمَةً
وَقِلَّةً عَلَى حَسَابِ الْأَمَمِ، وَلَوْ تَفَكَّرَ إِنْسَانُ الْقُوَّةِ وَالْجَبْرُوتِ قَبْدَلٌ مَا صَنَعَ مِنْ أَدَوَاتِ
الْخَرَابِ وَالْقَتْلِ وَالتَّدْمِيرِ لَأَسْتَطَاعَ الْعَالَمُ كُلُّهُ - إِنْسَانُهُ وَحَيَوَانُهُ - الْحَيَاةَ عَلَى رَغْدٍ مِنَ
الْعَيْشِ، وَلَمَّا وُجِدَ فَقِيرٌ وَلَا مُعْدَمٌ وَلَا جَائِعٌ وَلَا مُحْتَاجٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَلَكَانَتْ لُغَةُ
الْحَيَاةِ الْحُبِّ، وَأَنْعَدَمَ الْكُرْهُ وَالْبُغْضُ وَالْغِلُّ وَالْحَقْدُ وَالْحَسَدُ، وَلَسَادَ الْعَدْلُ وَالْمَسَاوَاةُ
بَيْنَ الْخَلْقِ، لَكِنَّهَا الْفِطْرَةُ تَفْعَلُ فَعْلَهَا؛ لِذَا فَالْحَلُّ لِكَيْ تَأْمَنَ شَرُّ الْحَيَاةِ أَنْ تَقِفَ عَلَى
طَرَفِ دَائِرَةِ الْأَرْضِ تَنْظُرُ أَحْدَاثَ الزَّمَانِ وَأَهْلَهُ بَعِيدًا عَنْ أَنْ تَكُونَ أَحَدَ الظَّلَامِ فِي
الْأَرْضِ، فَمَا تَحُونُكَ الْحِكْمَةُ بِأَنَّ الْأَرْضَ وَالْخَلْقَ خَلَقُوا لِلْبُغْضَاءِ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ، لَا تَقُلْ إِنَّهُ الْإِحْبَاطُ، بَلْ انْظُرْ وَفَكِّرْ فِي مَالِ الْخَلْقِ، وَعِنْدَمَا تَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ
شَيْءٍ سَيُؤُولُ إِلَى خَرَابٍ وَدَّمَارٍ، وَأَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُ سَيَضْرِبُ بَعْضُهُ بَعْضًا فِي حُرُوبٍ قَادِمَةٍ
يَكُونُ فِيهَا هَلَاكُ الْخَلْقِ وَالْأَرْضِ؛ سَوْفَ تَعْرِفُ أَنَّ الْأَرْضَ وَالْخَلْقَ فِي مَخَاضٍ عَسِيرٍ
لِلْخَلَاصِ مِنَ الْحَيَاةِ؛ فَتَمَتَّعْ بِوَقْتِكَ الْقَلِيلِ دُونَ عَنَاءٍ، وَانْظُرْ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ خَلْفِ زُجَاجٍ
شَفَافٍ، وَلَا تَهْتَمَّ كَثِيرًا بِهَا؛ فَإِنَّ الْأَرْضَ آيَلَةً لِلْسُقُوطِ بِفِعْلِ أَعْدَاءِ الْحَيَاةِ. وَالْحُكْمُ لِلَّهِ.

6 فبراير 2022

رَأْيِي الْخَاصُّ فِي النِّزَاعِ بَيْنَ رُوسِيَا وَأُكْرَانِيَا

تَتَكَهَّنُ التَّحْلِيلَاتُ السِّيَاسِيَّةُ بِأَنَّ رُوسِيَا سَوْفَ تَغْزُو أُوكْرَانِيَا فِي الْقَادِمِ مِنَ الْأَيَّامِ بَعْدَ مُحَاوَلَةِ أُوكْرَانِيَا الْإِنْضِمَامَ إِلَى حِلْفِ النَّاتُو، وَمِنْ وَجْهَةِ نَظَرِي فَإِنَّ هَذَا التَّصْعِيدَ هُوَ تَكْتِيكٌ خَبِيثٌ مِنْ أَمْرِيكَا لِمُحَاوَلَةِ تَضْيِيقِ الْخِنَاقِ عَلَى رُوسِيَا بَعْدَ الْحَرْبِ الْبَارِدَةِ الَّتِي فَكَّكَتِ الْإِتِّحَادَ السُّوفِيَّيَّ وَقَوَّضَتْ حَرَكَيَّةَ الرُّوسِ بَعْدَ تَحَرُّرِ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْبِلَادِ الَّتِي كَانَتْ تَحْتَ الْإِتِّحَادِ السُّوفِيَّيَّ، وَأَنَّ أَمْرِيكَا كَمَا نَرَاهَا تُمَثِّلُ الْقُطْبَ الْوَاحِدَ الْأَقْوَى عَالَمِيًّا لِمَا تَمْتَلِكُهُ مِنْ قُوَّةٍ عَسْكَرِيَّةٍ مُتَفَوِّقَةٍ عَلَى كُلِّ الْقُوَى، كَمَا أَنَّ اقْتِصَادَ أَمْرِيكَا فِي وَضْعٍ مُتَمَاسِكٍ إِلَى الْآنَ وَلَكِنَّ حَرْبًا مَعَ رُوسِيَا وَحُلَفَائِهَا سَوْفَ تَكُونُ وَضْعًا كَارِثِيًّا بِالنِّسْبَةِ لِمَرْكَزِ أَمْرِيكَا السِّيَادِي عَلَى الْعَالَمِ، وَقَدْ يُؤَثِّرُ عَلَيْهَا اقْتِصَادِيًّا بِشَكْلِ كَبِيرٍ كَمَا هُوَ الْحَالُ الَّذِي سَوْفَ يُؤَدِّي إِلَى ضَعْفَةِ الْاِقْتِصَادِ الرُّوسِيِّ؛ لِذَلِكَ فَالْأَمْرُ لَا يُمْكِنُ اخْذُهُ بِبَسَاطَةٍ فِي التَّقْدِيرِ بِأَنَّ أَمْرِيكَا سَتَنْجَحُ هَذِهِ الْمَرَّةَ مِنْ زَعَزَعَةِ رُوسِيَا دُونَ أَنْ تَكُونَ أَمْرِيكَا أَيْضًا فِي وَضْعِ الْخَسَارِ الْكَبِيرِ لِقُوَّتِهَا وَمَرْكَزِهَا الْإِمْبَرَاطُورِيِّ؛ إِذْ إِنْ أَمْرِيكَا سَوْفَ تُلْحَقُ بِنَفْسِهَا أَضْرَارًا أَكْثَرَ مِنْ رُوسِيَا مَعَ اخْتِمَالَاتِ فُقْدَانِ مَرْكَزِهَا الْفِيَادِي بَيْنَ الدُّوَلِ، الْأَمْرُ الَّذِي يَجْعَلُنِي أَقُولُ بِأَنَّ اخْتِمَالَاتِ التَّرَاجُعِ الْأَمْرِيكِيِّ عَنْ قَرَارِهَا بِضَمِّ أُوكْرَانِيَا إِلَى حِلْفِ النَّاتُو، وَأَنَّ كُلَّ الْمُؤَشِّرَاتِ السِّيَاسِيَّةِ تُؤَكِّدُ أَنَّ بُوتِنَ لَنْ يَقْبَلَ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ انْضِمَامَ أُوكْرَانِيَا إِلَى حِلْفِ النَّاتُو وَلَوْ كَلَّفَهُ ذَلِكَ الدُّخُولُ فِي حَرْبٍ نَوَوِيَّةٍ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَعْنِي أَنَّ رُوسِيَا سَتَكُونُ تَحْتَ الْهَيْمَنَةِ لِلْقُوَّةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ وَالْأُورُوبِيَّةِ لَوْ تَسَاهَلَ الرُّوسُ أَوْ أَبَدُوا أَيَّ تَسَوِيَّاتٍ لَا تُعْطِيهَا السَّيْطَرَةَ عَلَى دُوَلِ الْجَوَارِ مَنَعًا لِمَا يُضْعِفُ جَانِبَهَا أَمَامَ الْقُوَّةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ، وَفِي وَقْتٍ قَرِيبٍ، وَهُوَ مَا يُؤَدِّي إِلَى تَطْوِيقِ رُوسِيَا وَمُحَاوَلَةِ انْهَاءِ قُوَّتِهَا بِالْكَلْبَةِ، وَهُوَ مَا سَيَجْعَلُ (بُوتِنَ) لَا يَتَرَدَّدُ فِي إِحْبَاطِ الْخُطَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ لِضَمِّ أُوكْرَانِيَا إِلَى مُعَسْكَرِهَا. وَمِنْ جَانِبِنَا نَرَى أَنَّ لِبُوتِنَ كُلَّ الْحَقِّ أَنْ يَقِفَ هَذِهِ الْوَقْفَةَ الصَّارِمَةَ فِي وَجْهِ التَّكْتِلِ الْأَمْرِيكِيِّ الْأُورُوبِيِّ، وَأَنْ يُجَنِّدَ كُلَّ قُوَّاتِهِ لِمَنْعِ هَذَا التَّخْطِيطِ؛ وَإِلَّا أَصْبَحَتْ حُدُودُ رُوسِيَا مُتَنْهَكَةً، وَفِي مَرَمَى قُوَّاتِ حِلْفِ النَّاتُو، الْأَمْرُ الَّذِي يَجْعَلُنَا نَسْتَبْعِدُ الْمَغَامَرَةَ الْأَمْرِيكِيَّةَ أَمَامَ الْجَدِيدَةِ الرُّوسِيَّةِ فِي قَرَارِهَا فِي الْحَرْبِ الَّتِي رُبَّمَا تَكُونُ حَرْبًا نَوَوِيَّةً إِذْ إِنَّا نَرَى أَنَّ لَا خِيَارَ أَمَامَ الرَّئِيسِ بُوتِنَ إِلَّا مَنْعُ حُدُوثِ هَذَا الْإِنْضِمَامِ لِأُوكْرَانِيَا إِلَى حِلْفِ النَّاتُو بِكُلِّ مَا يَسْتَطِيعُ

مِنْ قُوَّةٍ وَلَوْ كَلَّفَهُ ذَلِكَ الدُّخُولَ فِي حَرْبٍ نَوَوِيَّةٍ مَعَ أَمْرِيكَ وَأُورُوبَا، وَهُوَ مَا يَجْعَلُنَا نَقُولُ إِنَّ التَّنَازُلَ الْأَمْرِيكِيَّ الْأُورُوبِيَّ هُوَ الْأَقْرَبُ إِلَى التَّهْدِئَةِ، أَوْ إِنَّ حَلًّا آخَرَ سَوْفَ يَكُونُ هُوَ الْحَلُّ الْوَفِيِّ، وَهُوَ إِبْقَاءُ الْحَصَارِ عَلَى أُوْكَرَانِيَا إِلَى أَمَدٍ حَتَّى يَتَرَاجَعَ الْأَمْرِيكَانُ وَأُورُوبَا عَنْ هَذِهِ الْخُطَةِ الْمَجْنُونَةِ الَّتِي سَوْفَ تُوَدِّي إِلَى إِشْعَالِ الْعَالَمِ بِحَرْبٍ عَالَمِيَّةٍ تَأْكُلُ الْأَخْضَرَ وَالْيَاسَ عَلَى الْأَرْضِ، وَتُنْهِى الْعَالَمَ، وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي يُخِيفُ أَمْرِيكَ أَكْثَرَ، وَلَوْ أَبَدْتَ تَجَلُّدَهَا وَأَعْلَنْتَ عَنْ عُقُوبَاتٍ عَلَى رُوسِيَا لِعَلِمَهَا بِأَنَّ (بُوتِنَ) لَا يَهْزُلُ وَأَنَّهُ جَادٌّ فِي اتِّخَاذِ قَرَارِ الْحَرْبِ لَوْ اضْطُرَّ إِلَى ذَلِكَ؛ لِذَا فَتَحُنْ نَرَى أَنَّ لَا حَرْبَ بِالْمَعْنَى التَّقْلِيدِيَّ أَوْ الْإِنْفِعَالِيَّ سَوْفَ تُجَازَفُ وَتُغَامَرُ بِهَا أَمْرِيكَ وَحُلَفَاؤُهَا أَمَامَ رُوسِيَا وَحُلَفَائِهَا، وَأَعِدْكُمْ أَنَّ أَمْرِيكَ سَتَتَرَاجَعُ مُرْغَمَةً وَإِلَّا خَسِرَتْ مَكَانَتَهَا الْعَالَمِيَّةَ، وَالْحَقُّ بِنَفْسِهَا هَزِيمَةٌ اقْتِصَادِيَّةٌ سَوْفَ تُشَلُّ مِنْ قُوَّتِهَا الْمَالِيَّةِ فِي دَعْمِ مَشَارِعِهَا التَّنْمُوِيَّةِ وَالصَّنَاعِيَّةِ وَالتَّقْنِيَّةِ مِمَّا يُوَثِّرُ عَلَيْهَا سَلْبًا، وَيَتَرُكُ الْمَجَالَ لظُهُورِ التَّيْنِ الْأَحْمَرِ وَهُوَ الصِّينُ فِي قِيَادَةِ الْعَالَمِ، لِقُوَّةِ الصِّينِ اقْتِصَادِيًّا وَإِمْكَانِيَّاتِهَا الْعَسْكَرِيَّةِ وَالصَّنَاعِيَّةِ وَالتَّقْنِيَّةِ الْمُتَسَارِعَةِ، فَعَلَى الْمُتَكَهِّنِينَ بِهَزِيمَةِ رُوسِيَا أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى الْقَضِيَّةِ الْأُوْكَرَانِيَّةِ نَظْرَةً جَدِيَّةً، وَيَتَرَكُوا الْوُقُوعَ فِي وَهْمِ التَّخَرُّصَاتِ وَالْفَرَضِيَّاتِ وَالْخَيَالَاتِ عِنْدَمَا تَكُونُ هَذِهِ الْقَضِيَّةُ قَضِيَّةَ مَصِيرٍ، فَمَا أَنْ تُحَافِظَ رُوسِيَا عَلَى مَوْقِعِهَا وَقُوَّتِهَا أَمَامَ الْعَالَمِ أَوْ الْأَذْعَانِ لِأَمْرِيكَ وَأُورُوبَا، وَخُصُوصًا وَأَنَّ الْقُوَّةَ الرُّوسِيَّةَ تَأْتِي فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ بَعْدَ أَمْرِيكَ، وَأَنَّهَا الْمُعْتَدَى عَلَى مَوْقِعِهَا وَنُفُوذِهَا فِي الْمِنْطَقَةِ بِمَا يُخْطَطُ لِإِنْهَائِهَا كَدَوْلَةٍ عَظْمَى؛ وَهُوَ الْخِيَارُ الصَّعْبُ الَّذِي تَتَوَهَّمُ أَمْرِيكَ بِتَحْقِيقِهِ، وَدُونَ ذَلِكَ خَرُطُ الْقِتَادِ، فَعَلَى الَّذِينَ يَرَاهُنُونَ عَلَى هَزِيمَةِ رُوسِيَا أَنْ يُعِيدُوا حِسَابَاتِهِمْ، وَيَعْلَمُوا أَنَّ رُوسِيَا سَتَخْرُجُ مِنْ هَذِهِ الْأَزْمَةِ بِوَجْهِ الْمُنتَصِرِ، وَأَنَّ أَمْرِيكَ لَنْ تُسَفِّهَ عَقْلَهَا فِي الْإِصْرَارِ عَلَى حَرْبٍ عَالَمِيَّةٍ تُنْهِى مَرَاكِزَ الْقُوَى الْعَالَمِيَّةِ، وَهِيَ أَوَّلُهَا، لِذَا فَاعْلَبْ ظَنِّي أَنَّ تُرَاوِحَ الْقَضِيَّةِ الرُّوسِيَّةِ الْأُوْكَرَانِيَّةِ فِي مَكَانِهَا مُقْتَنَعَةٌ بِحَصَارِ رُوسِيَا لِأُوْكَرَانِيَا إِلَى أَنْ تَعُودَ أَمْرِيكَ وَحُلَفَاؤُهَا إِلَى الْعَقْلِ وَالرَّشَادِ وَعَدَمِ الْمُجَازَفَةِ بِنَفْسِهَا وَالْعَالَمِ مِنْ خِلَالِ تَصَرُّفَاتِهَا الْحَمَقَاءِ، وَخُصُوصًا وَأَنَّ الْعَالَمَ أَجْمَعَ عَدَا الْمُتَمَصِّلِحِينَ مِنْهَا يَكْرَهُ أَمْرِيكَ نَتِيجَةً لِأَفْعَالِهَا الْمُعَادِيَّةِ لِلْإِنْسَانِيَّةِ، وَإِنَّ غَدًا لِنَظَرِهِ قَرِيبٌ.

أُوْكَرَانِيَا كَبِشُ الْفِدَاءِ بَيْنَ أَمْرِيكَ وَرُوسِيَا.

النَّفْسُ

إِنَّ سَيِّئَاتِ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ تُؤَدِّي إِلَى اغْتِيَالِ الْخُلُقِ الْإِنْسَانِيِّ، وَكَأَنَّ الْإِيمَانَ بِقَدَرِيَّةِ الْحَيَاةِ تَفْتَقِرُ إِلَى الْيَقِينِ وَإِلَى الْحِكْمَةِ وَالْبَصِيرَةِ وَالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، وَمِنْ الْمَعْرُوفِ أَنَّ لِلنَّفْسِ سَطْوَةً وَجُرْأَةً وَغَفْلَةً، وَهِيَ إِذَا شَطَحَتْ وَخَرَجَتْ عَنْ قَوَانِينِ الطَّبِيعَةِ وَنَامُوسِهَا اخْتَارَتْ السَّفَرَ إِلَى مَجَاهِلٍ يَسْكُنُهَا الظَّلَامُ تَتَخَبَّطُ فِي دِيَاغِيرِهِ، كَالَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ، فَالرَّغْبَةُ وَالتَّمَنِّي وَالْإِشْتِهَاءُ مِنْ خُلُقِ النَّفْسِ الْعَالِمَةِ بِكَيْفِيَّةِ إِدَارَةِ الْإِرَادَةِ فِي تَحْقِيقِ الْغَايَةِ الْمُرَادَةِ، وَإِنَّ الْإِرَادَةَ تَتَفَاعَلُ بِالْعَمَلِ لِتَحْقِيقِ الْأَمَلِ فِي شَطْرِيهِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّيرِ.

وَحِينَ تَكُونُ التَّجَارِبُ هِيَ مِيزَانَ الْأَشْيَاءِ فَمَا ثَقُلَ مَوَازِينُهُ أَوْ قَلَّ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ يَعْتَمِدُ عَلَى كَثَرَةِ التَّجَارِبِ لِتَأْسِيسِ نَوَازِعِ النَّفْسِ اكْتِسَابًا، فَتَرَى أَنَّ الصَّرَاعَ الْخَفِيَّ فِي الذَّاتِ مِنْ خَوْفٍ وَشَجَاعَةٍ وَصِدْقٍ وَكَذِبٍ وَحَقٍّ وَزُورٍ.. إلخ؛ خَلَاتِقٌ تَدْخُلُ فِي تَدَجِينِ النَّفْسِ، وَتَكُونُ مَا اضْطَلَحَ عَلَيْهِ بِ (طَبِيعَةِ النَّفْسِ) أَوْ فِطْرَتِهَا، وَالْإِلْتِزَامُ بِأَبَدِيَّةِ الْعَادَةِ الَّتِي اقْتَضَتْهَا التَّجَارِبُ لِتُمَثِّلَ الشَّخْصِيَّةَ الْوَاحِدَةَ الصَّالِحَةَ أَوْ الطَّالِحَةَ. فَالْصَّالِحَةُ لَهَا مَدَارِكُ تَعِي الْفِعْلِ الَّذِي يَكُونُ أَفْعَالًا بِالْجُهْدِ وَالْجِهَادِ عَلَى اسْتِكْشَافٍ وَاقِعٍ جَدِيدٍ يَرْتَفِعُ بِالذَّاتِ فَوْقَ ذَوَاتٍ بَعِيْنَهَا لِإِثْبَاتِ الْقُدْرَةِ وَالْكِفَايَةِ.

وَبِعَكْسِهَا تَكُونُ النَّفْسُ الَّتِي اكْتَسَبَتْ مِنْ تَجَارِبِهَا الْإِسْتِكَانَةَ وَالنُّوْمَ وَالْبَلَادَةَ وَالتَّعَوُّدَ عَلَى الطَّلَبِ، قَدْ تَأَلَّفَتْ مَعَ الْعَادَةِ، فَهِيَ بَعْدَ الْأَلَمَامِ بِفَوَائِدِ التَّجَارِبِ وَالتَّعَايُشِ مَعَهَا عَيْشَ التَّلْمِيذِ لِأُسْتَاذِهِ إِلَّا أَنْ يَرْكَنَ إِلَى الْمَلَلِ وَالرُّتُوبِ وَالْإِتْكَالِ، فَإِذَا خَرَجَتْ النَّفْسُ عَنْ دَائِرَةِ الْعَقْلِ، وَجَنَحَ بِهَا الْوَهْمُ إِلَى أَنْ يَقْعِدَهَا الْقَوْلُ عَنِ الْعَمَلِ؛ تِلْكَ النَّفْسُ لَا تُدْرِكُ حَقِيقَةَ وَاقِعِهَا أَبَدًا، بَلْ إِنَّهَا تُسَوِّغُ الْعَجْزَ بِالسَّفَهِّ وَالْقُبْحِ، مِنْ هُنَا نَقُولُ: إِنَّ هُنَاكَ فِطْرَةَ شَرِّيرَةٍ وَأُخْرَى خَيْرَةٍ فِي كُلِّ نَفْسٍ تُعْلَنُ عَنْ طَبِيعَتِهَا بِقَدْرِ حَجْمِ التَّجَارِبِ وَتَأْثِيرِهَا عَلَى النَّفْسِ.

21 فبراير 2019

الْوَهْمُ الْخَادِعُ

يَقْتَسِمُونَ أَرْزَاقَ الْعِبَادِ، وَيَسْتَمِرُّونَ دُونَ وَازِعٍ مِنْ ضَمِيرٍ وَلَا خَوْفٍ مِنَ اللَّهِ الْمُنْتَقِمِ..
يَقُولُونَ لَا تَتَحَدَّثُوا عَنِ الْفَقْرِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَذُوقُوا مَرَارَةَ الْفَقْرِ.. حَتَّى الزَّكَاةَ الَّتِي هِيَ رُكْنٌ
مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ لَا يُخْرِجُونَهَا، بَلْ يَحْتَالُونَ عَلَى إِخْرَاجِهَا وَإِعَادَتِهَا إِلَى أَرْضِدَتِهِمْ ثَانِيَةً،
يُعَلِّلُونَ ذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْفُقَرَاءَ لَهُمُ الْجَنَّةُ، وَأَنَّ عَلَيْهِمُ الصَّبْرَ لِيَنَالُوا الْجَنَّةَ. وَيَلْهَمُ أَيُّهَزُؤُونَ
مِنْ قُوَّةِ اللَّهِ؟ وَيَحِمْهُمْ! إِلَى مَتَى وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ عَنِ انْتِقَامِ اللَّهِ وَهُوَ يَقْتَرِبُ مِنْهُمْ؟ تَبَّ لَهُمْ
لَمْ يَنْظُرُوا إِلَى أَبْعَدَ مِنْ بُطُونِهِمْ وَمَلْدَاتِهِمْ، أَيُّ عَبَاءٍ هَذَا الَّذِي لَا يُفِيقُ إِلَّا بَعْدَ الْهَلَاكِ
وَالسُّقُوطِ! أَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ عَقْلٌ رَشِيدٌ يَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ الْمُسْتَقْبَلَ لَيْسَ فِي صَالِحِهِمْ؟ أَلَا قَاتَلَ
اللَّهُ الْجَهْلَ وَالطَّمَعَ وَالْجَوَرَ وَالْخِدَاعَ وَالْكَذِبَ وَوَهْمَ الْبَقَاءِ.

21 فبراير 2012

مُجَانِبَةُ الْحَقِّ

عِنْدَمَا يَحِيدُ الْإِنْسَانُ عَنِ الْحَقِّ تَبَرُّزُ لَهُ النَّصِيحَةُ، وَتَتَجَسَّدُ الْعِبْرَةُ لِتُعِيدَ الْإِنْسَانَ إِلَى الْحَقِّ، فَإِنْ لَمْ يَعُدْ وَتَمَادَى فِي غِيَّهِ فَقَدْ سَمَحَ لِلزَّمَانِ بِتَأْدِيهِ وَعِقَابِهِ، وَعِقَابُ الزَّمَانِ كَثِيرًا مَا يَكُونُ مُوجِعًا، فَهُوَ كَالْقَاضِي الَّذِي يُصْدِرُ حُكْمًا بِالتَّغْزِيرِ، وَالْحَدُّ غَيْرُ قَابِلٍ لِلِاعْتِدَارِ وَالنَّدَمِ.

وَكَثِيرًا مَا يَرْتَكِبُ الْحَمَاقَاتِ مَنْ سَفَهَ نَفْسَهُ، وَكَبُرَتْ عَلَيْهِ ذَاتُهُ، وَتَضَخَّمَتِ الْأَنَا فِيهِ، فَلَمْ يَعُدْ قَادِرًا عَلَى تَوْجِيهِهَا التَّوَجِيهَ الصَّحِيحَ وَالسَّلِيمَ، فَيَصْطَلِمُ بِجِبَالِ الْحَقَائِقِ الَّتِي بَعْدَ أَنْ تُدْمِيهِ تُعْرِيه أَمَامَ النَّاسِ، حِينَ يَكْتُبُ التَّارِيخُ عَلَى جَبِينِهِ سِيرَةَ حَيَاتِهِ الْمَمْلُوءَةَ بِالْخِيَّاتِ وَالْعَثَرَاتِ وَالْبَاطِلِ، شَاهِدَةً عَلَيْهِ بِصِمَاتِ الْوَقَائِعِ بِشَهَادَةِ يَدِهِ وَعَقْلِهِ وَعَيْنِهِ وَلِسَانِهِ بِمَا أَسْرَفَ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ. وَكَمْ يَجْرُ الْجَهْلُ صَاحِبَهُ إِلَى الْهَلَاكِ دُونَ إِدْرَاكِ مَنْهُ لِسُوءِ الْعَاقِبَةِ، حِينَ يُنْكِرُ الْحَقَّ وَالْعَطَاءَ وَالنَّعَمَ الْمُزْجَاةَ إِلَيْهِ بِلَا كَدٍّ أَوْ تَعَبٍ، وَهُوَ وَاقِفٌ ضِدَّ نَفْسِهِ فِي تَرْسُمِ الْهُدَى وَتَهْدِيمِهَا عَلَى جَهْلٍ مِنْهُ!

وَمَا يُثِيرُ الشَّفَقَةَ عَلَى النَّفْسِ الْجَاهِلَةِ أَنَّهَا كَالْفَرَّاشِ الَّذِي تَجْدِبُهُ الْوَأْنُ النَّارِ وَتَسْتَهْوِيهِ حَتَّى يَقَعَ حَرِيقًا فِيهَا، أَلَا قَاتَلَ اللَّهُ الْجَهْلَ.

22 فبراير 2019

مَتَى يَكْتَشِفُ الْعِلْمُ خَلِيَّةَ الشَّرِّ لِيَقْتَلِعَهَا؟

أَحَاسِيسُ لَا يُمَكِّنُ التَّنَصُّلُ مِنْهَا: الْفَرْحُ وَالْغَضَبُ وَالْحُبُّ وَالْكُزُّ وَالْأَلَمُ وَالنَّدَمُ وَالنَّصْرُ وَالْهَزِيمَةُ. أَكَادُ أَجْزِمُ أَنَّ الْخَلْقَ جَمِيعَهُ تَأْتِي مَكُونَاتُهُ لِسِيرِ عَمَلِيَّةِ الْحَيَاةِ مِنْ شُحْنَاتٍ لَخَلَائِقَ مَعْنَوِيَّةٍ تَنْسَحِبُ عَلَى كُلِّ الْخَلَائِقِ الْكُونِيَّةِ فِيهَا مِنْ كُلِّ خَلِيقَةٍ وَضِدَّهَا، صِفَاتٌ لَهَا اِرْتِبَاطٌ وَثِيقٌ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ، بَلْ تِلْكَ الصِّفَاتُ سَلْبًا وَإِيجَابًا هِيَ الْمُحَرِّكَ الْأَسَاسِيَّ لِعَمَلِيَّةِ الْحَيَاةِ.

وَيُلْحِقُ السُّؤَالُ الْكُونِيَّ.. كَمْ نِسْبَةُ الشَّرِّ؟ وَكَمْ نِسْبَةُ الْخَيْرِ؟ اِعْتِمَادًا عَلَى مَا يَصْدُرُ مِنْ نَشْرَاتٍ إحصائيةٍ لِلجَرِيْمَةِ عَلَى مُسْتَوَى الْعَالَمِ خِلَالِ الْحَقَبِ الْأَخِيرَةِ مِنَ الْعَصْرِ، ثُمَّ نِسْبَةُ الْعَمَلِ الْخَيْرِ؟ ثُمَّ هَلْ هُنَاكَ عِلَاقَةٌ لِلشَّرِّ أَوْ الْخَيْرِ فِي تَطَوُّرِ أَسْبَابِ الْحَيَاةِ إِلَى الْأَفْضَلِ وَالْأَحَدَثِ وَالْأَهَمِّ؟ أَوْ تَرَاجُعِهَا إِلَى الْأَسْوَأِ؟ وَمَا تَأْثِيرُ غَلَبَةِ نِسْبَةِ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ لِمَعْرِفَةٍ إِلَى أَيْنَ يَتَجَّهُ الْعَالَمُ؟ وَمَدَى تَأْثِيرِ الْعِلْمِ وَالتَّوَعُّعِ عَلَى الْإِنْسَانِ لِجَانِبِ الْخَيْرِ كَنُمُودَجٍ قَابِلٍ لِلتَّطَوُّرِ الْأَخْلَاقِيِّ مِنْ عَدَمِهِ؟ هَلْ يَكْتَشِفُ الْعِلْمُ جِينَةَ الْخَيْرِ الْإِنْسَانِيِّ، وَيَسْتَطِيعُ عَزْلَهُ عَنِ خَلِيقَةِ الشَّرِّ فِي الْمُخِّ الْإِنْسَانِيِّ، أَوْ اسْتِصْالَ جِينَةِ الشَّرِّ عَنْ آخِرِهَا فِيهِ؟ رُبَّمَا يَأْتِي الْعِلْمُ يَوْمًا بِبَرَزْمَجَةِ أَقْوَالٍ وَأَفْعَالِ الْإِنْسَانِ، فَلَا يَقُومُ إِلَّا بِمَا هُوَ مُبَرَّمَجٌ عَلَيْهِ كَالرَّجُلِ الْآلِيِّ، عِنْدَهَا يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ التَّصَرُّفُ فِي سُلُوكِيَّاتِ الْإِنْسَانِ، وَرُبَّمَا يُمَكِّنُ التَّحَكُّمَ فِي الْكَثِيرِ مِنَ التَّصَرُّفَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ بِمَا يَلَائِمُ نَفْسِيَّاتِ أَهْلِ الْعُصُورِ... رُبَّمَا.

25 فبراير 2019

بَايْدِنَ وَالسِّيَاسَةُ التَّقْلِيدِيَّةُ

الْمُتَابِعِ لِلْسِّيَاسَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ مُنْذُ تَوَالِي رُؤَسَائِهَا إِلَى عَهْدِ الرَّئِيسِ بَايْدِنَ لَنْ يَجِدَ تَحَوُّلاً يُذَكِّرُ عَنْ سَابِقِيهِ، وَقَدْ أَصْبَحَتِ السِّيَاسَةُ الْأَمْرِيكِيَّةُ مَكْشُوفَةً وَمَعْرُوفَةً؛ تَبْدَأُ بِالنَّهْوِيمِ وَتَنْتَهِي بِالتَّكْمِيمِ. وَالنَّهْوِيمُ: وَهُوَ إِرْسَالُ رَسَائِلَ إِعْلَامِيَّةٍ ضِدَّ الدُّوَلِ الْمُؤَثِّرَةِ فِي الْقُرَرَاتِ الْعَالَمِيَّةِ حَتَّى يَظَنَّ البُسْطَاءُ أَنَّ أَحَدَانَا جَسَماً سَتَقَعُ فِي الصِّينِ أَوْ رُوسِيَا أَوْ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ وَغَيْرِهَا مِنَ الدُّوَلِ حَتَّى يَسْتَطِيعُوا تَسْوِيقَ الْمُنْتَجِ الْكَلَامِيِّ لِيَكُونَ مَعْرُوضاً لِلْمَسَاوِمَاتِ. وَهُنَاكَ مَنْ يَشْتَرِي هَذَا الْمُنْتَجَ خَوْفاً وَرَهَباً مِنْ سَطْوَةِ أَمْرِيكَا، وَهُنَاكَ مَنْ يُعْرِضُ عَنْهُ بِالصَّمْتِ وَالتَّرْقُبِ حَتَّى تُحَقِّقَ كُلُّ إِدَارَةٍ أَمْرِيكِيَّةٍ أَغْرَاضَهَا فِي الْإِبْتِرَازِ، وَنَهَبِ ثُرَوَاتِ الشُّعُوبِ، لَكِنِّي تَجَنَّحُ إِلَى التَّكْمِيمِ؛ وَهُوَ: لَمَلَمَةُ الْأَوْرَاقِ وَإِعَادَةُ كُلِّ الْعِلَاقَاتِ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ وَكَأَنَّ شَيْئاً لَمْ يَحْدُثْ.

وَلَا يَعْنِي ذَلِكَ أَنَّهَا تَخْرُجُ خَاسِرَةً فِي مُنَاوَرَاتِهَا السِّيَاسِيَّةِ، بَلْ سَتُحَقِّقُ مَا تُرِيدُ، وَهُوَ تَحْسِينُ وَضْعِهَا الْاِقْتِصَادِيِّ عَلَى حِسَابِ الدُّوَلِ الْقَادِرَةِ مَالِيّاً عَلَى إِشْبَاعِ نَهْمِهَا وَشِرَاهَتِهَا لِلْمَالِ؛ لِأَنَّ سَاسَةَ أَمْرِيكَا لَا يُهْمُهُمْ إِلَّا سَدُّ الْعَجْزِ الْاِقْتِصَادِيِّ، وَتَحْسِينُ مَوَاقِعِ الْبُطَالَةِ الَّتِي تَضْرِبُ بِآثَارِهَا الْمُؤَلَمَةَ عَلَى الشَّعْبِ الْأَمْرِيكِيِّ، وَمُحَاوَلَةُ تَضْمِيدِ جَرَاحَاتِ حَالَاتِ الْفَقْرِ وَالْعَوَزِ الَّذِي يَعِيشُهُ الْمَوَاطِنُ الْأَمْرِيكِيُّ، وَإِلَى تَطْوِيرِ قُدْرَاتِهَا الْعِلْمِيَّةِ لِلْفَضَاءِ وَالْأَسْلِحَةِ الْبَيُولُوجِيَّةِ؛ هَذَا هُوَ مُلْخَصُ لِسِيَاسَةِ أَمْرِيكَا.

وَلِذَلِكَ لَا بُدَّ مِنْ رَفْعِ مُسْتَوَى الْاِقْتِصَادِ لَدَيْهَا وَلَوْ مَاتَتْ كُلُّ الشُّعُوبِ جُوعاً وَعَوَزاً إِلَّا هِيَ، مَا دَامَتْ تَمْتَلِكُ وَسَائِلَ التَّرْهِيْبِ وَالتَّرْغِيبِ فَلْيَذْهَبِ الْجَمِيعُ إِلَى الْجَحِيمِ لَتَظَلَّ أَمْرِيكَا. وَلَوْ أَرَادَتْ أَمْرِيكَا تَرْشِيدَ الصَّرْفِ عَلَى صِنَاعَةِ الْأَسْلِحَةِ الْمُدْمِرَةِ لَسَدَّتْ كُلَّ ثَغَرَاتِ الْعَجْزِ الْمَالِيِّ الَّذِي يَنْتَابُهَا دُونَ الْحَاجَةِ إِلَى زَعْرَعَةِ الدُّوَلِ وَالشُّعُوبِ، وَدُونَ إِثَارَةِ الْحُرُوبِ وَالنَّعْرَاتِ الطَائِفِيَّةِ وَالتَّطَرُّفِ وَالْإِرْهَابِ بَيْنَ الْأُمَمِ، وَلَكِنَّ سِيَاسَةَ الْقُوَّةِ وَالسَّيْطَرَةِ وَهَدَفَ الْإِمْبِرَاطُورِيَّةِ الْوَاحِدَةِ لَا تَرْضَى وَلَا تَقْبَلُ إِلَّا بِفَرَضِ رَهْبَةِ الْقُوَّةِ حَتَّى يَدِينِ الْعَالَمُ لَهَا. وَفِي الْأَخِيرِ نَقُولُ كَمَا يَقُولُونَ: إِنَّهَا السِّيَاسَةُ!

وَسُحْقًا لَهَا مِنْ سِيَاسَةِ تَقْوَمَ عَلَى انْتِهَاكِ الْقِيَمِ وَالْأَخْلَاقِ وَتَدْمِيرِ الْإِنْسَانِ وَالْأَرْضِ
لِتَأْكِيدِ وُجُودِهَا الْقِيَادِي لِلْعَالَمِ.

وَسَنَنْتَظِرُ أَرْبَعَ سَنَوَاتٍ لَوْلَايَةِ الرَّئِيسِ بَائِدِن، وَسَنَرَى كَيْفَ تُدَارُ الْأَحْدَاثُ، وَكَيْفَ
سَتَكُونُ التَّوَقُّعَاتُ؟ وَمَاذَا سَتَكُونُ النَتَائِجُ؟ وَإِنَّ غَدًا لِنَظَرِهِ قَرِيبٌ.

27 فبراير 2021

مُعَانَاةُ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ ﷺ

لَكَمْ أُودِيتَ يَا سَيِّدِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ! وَلَكَمْ تَحَمَّلْتَ مِنْ أَهْلِكَ وَقَوْمِكَ وَإِنْسَانِكَ مَا
لَا يَتَحَمَّلُهُ إِنْسَانٌ! وَلَوْ لَمْ تَكُنْ نَبِيًّا وَرَسُولًا مُخْتَارًا مِنَ اللَّهِ رَبِّمَا كُنْتَ قَدْ غَادَرْتَ الْبَشَرَ،
وَاعْتَكَفْتَ فِي جَبَلِ النُّورِ أَوْ غَارِ ثَوْرٍ تَعْبُدُ اللَّهَ حَتَّى تَلْقَاهُ؛ لِأَنَّهُمُ الْبَشَرُ يَا سَيِّدِي النَّبِيُّ
لَا يُقِيمُونَ عَلَى حَقٍّ، وَيَفْزَعُونَ إِلَى الْبَاطِلِ، اغْتِنَامًا لِلْفُرْصِ بَعِيدًا عَنِ التَّفَكِيرِ فِي تِجَارَةِ
الْمَثَلِ وَالْأَخْلَاقِ الَّتِي بِهَا يَدْخُلُ الْإِنْسَانُ مِصْمَارَ التَّسَامِي عَلَى الْأَضْدَادِ، نَاهِيكَ عَنْ جَنَّةٍ
عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، لَا انْكِسَارًا فِي خَلِيقَةٍ تَكُونُ عُثْوَانًا أَبَدِيًّا
يُلْهَجُ بِاسْمِهِ فِي عَالَمِ الشَّقَاءِ.

مَاذَا أَقُولُ يَا سَيِّدِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَّا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِي وَحَبِيبِي وَفَرِّدْ قَلْبِي وَعَيْنِي
وَعَقْلِي حَبِيبِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

8 مارس 2019

الطَّيْبَةُ

إِذَا كُنْتَ طَيِّبَ النَّفْسِ عَفِيفَهَا فَانْتَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ؛ أَوَّلُهُمَا: الصَّبْرُ عَلَى ضَعَائِنِ الْقُلُوبِ الْفَارِغَةِ مِنَ الْأَمَلِ وَالْعَمَلِ، الْمَمْلُوءَةِ بِالشَّهَوَاتِ وَالْهَوَى، وَثَانِيَهُمَا اخْتِيَارُ الْعُزْلَةِ مَنْفَى اضْطِرَارِيًّا لِحِفْظِ نَفْسِكَ مِنْ شَتَاتِ الْعَقْلِ وَخَيْرَةِ الْقَلْبِ. وَكِلَا الْخِيَارَيْنِ فِيهِمَا عَنِ الضِّيقِ فَسْحَةٌ لِلْقُلُوبِ الطَّيْبَةِ، فَبَيْنَ الصَّبْرِ وَالْعُزْلَةِ مَكَانٌ لِحِفْظِ النَّفْسِ عَنِ الْهَوَى حِينَ تَكُونُ آثَارُ الْهَنَاءِ مَوْسُومَةً بِالنَّقْصِ.

يَتَّخِذُ الْعَاقِلُ الصَّادِقُ الْأَمِينُ مِنَ الصَّبْرِ تَعْبِيرًا لِقَلَّةِ الْحِيلَةِ وَالْمُكْنَةِ وَالْإِقْتِدَارِ، وَعِنْدَمَا يَعْزُّ الصَّبْرُ نَظْرًا لضعفِ الْقُدْرَةِ وَالْإِقْتِدَارِ عَلَى حَمْلِ الْمَكَارِهِ يَكُونُ لِلْعُزْلَةِ قِيمَةٌ لِلْعَيْشِ مَعَ الْغَيْبِ فِي وَحْدَةِ النَّفْسِ؛ لِأَنَّ الزَّمَانَ يَحْمِلُ الشَّرَّ فِي فِطْرَتِهِ، وَمَا يُقَالُ عَنْ خَيْرِيَّةِ الْحَيَاةِ مَا هِيَ إِلَّا كَلِمَةٌ لِعِزَاءِ النَّفُوسِ، لَيْسَ لَهَا أَصْلٌ مَأْتُوْرٌ فِي السَّيْرِ الْمَخْفِيَّةِ فِي النَّفْسِ الَّتِي لَمْ تُغْلَنْ قَطُّ إِلَّا عَنْ اسْتِثْنَاءَاتٍ لِلْعِظَةِ وَالتَّذَكُّرِ، حِينَ يَكُونُ الْعِدَاءُ هُوَ حَقِيقَةُ الْوُجُودِ الْكُونِيِّ، وَالْمَأْتُوْرُ هُوَ اخْتِلَاقُ أَسْبَابِ التَّعَادِي وَفِطْرَةِ الْعِدَاءِ.

يَقُولُونَ لِبَعْضِهِمْ أَخَوَانِ، وَيَتَسَمَّوْنَ بِأَخِي، وَيَنَادُونَ بِأَخٍ، وَالْأَصَحُّ أَنْ نَقُولَ لِبَعْضِنَا: أَهْلًا عَدُوِّي. لَا تَكْذِبُوا، قُولُوا الْحَقَّ.. أَلَسْتُمْ فِي خَوْفٍ مِنْ بَعْضِكُمْ بَعْضًا؟ وَفِيكُمْ مَا يَجْعَلُ الْخَوْفَ رَهْبَةً مَخْلُوقَةً وَمَجْبُودَةً عَلَى الْكُذْبِ وَالتَّفَاقِ وَالْغَدْرِ وَالنَّهْبِ وَالْغِيَةِ وَالْحَقْدِ وَالْحَسَدِ وَغَيْرِهِ؟

لَا تَقُلْ لِي إِنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ مِنْ هَذِهِ لَهَا مَا يُقَابِلُهَا فِي الْخَيْرِ، ثُمَّ تَقُولُ: الطَّيْبَةُ الصَّادِقُ الْوَفَاءُ الْوُدُّ الصَّفَاءُ السَّعَادَةُ الْهُيَامُ الْإِحْسَانُ.. إلخ؛ فَتَلِكُ مَفْعُولَةٌ وَهَذِهِ مَقُولَةٌ. فَخُذْ عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ كَيْفَ يَقْوَى الْإِنْسَانُ وَيَتَجَرَّأُ وَيَنْوِي قَتْلَ إِنْسَانِهِ؟ أَيْ خَيْرٌ لِلْإِنْسَانِ وَأَيُّ خَيْرِيَّةٍ لِلْحَيَاةِ؟! فَالْإِنْسَانُ عَدُوٌّ لِلْإِنْسَانِ، وَسَائِرُ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ أَعْدَاءُ لْجِنْسِهَا وَلِغَيْرِ جِنْسِهَا. فَكُرْ مَعِي هَلْ وَجَدَ مَنْ لَمْ يَشْكُ مِنَ الْحَيَاةِ وَمِنْ بَاسِهَا وَظُلْمِهَا؟ ثُمَّ هَلْ وَجَدَ مَنْ اسْتَدَامَتْ عَلَيْهِ بُلْهَنِيَّةُ النِّعَمِ فَمَا تَكَدَّرَ قَطُّ؟

ثُمَّ قُلْ لِي عَنْ نَامُوسِ الْحَيَاةِ، لَا آيَاتٍ تَشْرِيْعُ الْحَيَاةِ وَفَرْضِيَّةٌ كَيْتُونَتَهَا، فَهَذَا لَا يَخْرُجُ عَنِ الْأَمَلِ وَالْعِزَاءِ فِي النَّفْسِ، أَمَّا الْوَاقِعُ الْكُونِيُّ فَهُوَ بِالْفِطْرَةِ شَرِيْرٌ. وَلَا تَحَاجِّجْنِي إِلَّا بِمَا

أَنْتَ تَشْعُرُ بِهِ، فَإِذَا كُنْتَ ذَلِكَ الْإِنْسَانَ الَّذِي لَمْ يُخْطِئْ قَطُّ فَأَنْتَ طَيِّبُ الْفِطْرَةِ اسْتِثْنَاءً، وَلَا تَتَحَدَّثُ عَنْ عِصْمَةِ نَبِيٍّ أَوْ وَلِيِّ أَوْ صَالِحٍ، فَإِنَّمَا الْإِسْتِثْنَاءُ قُدْرَةٌ، وَنَحْنُ نَتَحَدَّثُ عَنْ وَاقِعِ الْكُونِ لَا إِرَادَةَ التَّكْوِينِ.

فَلَمَنْ وَجَدَ طَيِّبَ النَّفْسِ اسْتِثْنَاءً فَلَيْسَ لَهُ فِي حَيَاتِهِ إِلَّا الصَّبْرُ أَوْ الْعَزْلَةُ.

11 مارس 2019

عَدَاوَةُ الْأَدْيَانِ

مَا هَذَا الَّذِي يَجْرِي فِي نِيُوزِلَنْدَا؟ وَمَا ذَنْبُ الْإِنْسَانِيَّةِ تُقْتَلُ دُونَ ذَنْبٍ، بَلِ الذَّنْبُ كُلُّهُ الْإِنْتِمَاءُ إِلَى الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ.

أَصْبَحَ الْمُسْلِمُونَ يُعَاقَبُونَ عَلَى إِسْلَامِهِمْ بِالْقَتْلِ دُونَ مُسَوِّغٍ شَرْعِيٍّ أَوْ قَانُونِيٍّ أَوْ أَخْلَاقِيٍّ، إِلَّا أَنَّ الْحَقْدَ وَالْخَوْفَ مِنَ الْإِسْلَامِ أَنْ يَتَمَدَّدَ فِي أُرُوبًا وَأَمْرِيكَا هُمَا مَا يَجْعَلَانِ أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ بَيْنَ الْفِتْنَةِ وَالْأُخْرَى يَقُومُونَ بِأَبْشَعِ الْأَعْمَالِ ضِدَّ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ. حِينَ تَغْلُغَلِ الْإِسْلَامَ وَأَصْبَحَ يَهْتَوِي الْكَثِيرُ الَّذِينَ عَرَفُوا أَخْلَاقَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَبَيْنَ الْأَدْيَانِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} (سُورَةُ الْكَافُرُونَ: 6).

إِنَّ هَذَا الْحَادِثَ الْجَلَلَ يَتَطَلَّبُ أَوَّلًا مُعَاقَبَةَ تِلْكَ الْهَيْئَاتِ وَالْمُنْظَمَاتِ الَّتِي جَعَلَتْ مِنْ كُرْهِ الْإِنْسَانِ لِلْإِنْسَانِ مِنْهَجًا يُدْرَسُ، وَتَتَغَذَّى بِهِ النُّفُوسُ الضَّعِيفَةُ وَالْعُقُولُ الْخَرِبَةُ الَّتِي تَضِيقُ بِالْأَدْيَانِ وَالشَّعَارَاتِ وَالْإِنْتِمَاءَاتِ، وَتَحَاوِلُ دَائِمًا تَرْهِيْبَ أَبْنَاءِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَفِي ظَنِّهِمْ أَنَّ ذَلِكَ سَيُخَفِّفُ الْمُسْلِمِينَ، وَيَمْنَعُ مِنْ انْتِشَارِ دِينِ الْإِسْلَامِ؛ وَهُوَ أَمْرٌ سَيَزِيدُ مِنْ انْتِشَارِ الْإِسْلَامِ أَكْثَرَ فَاكْثَرَ. فَلَا تَتَعَجَّبُوا أَيُّهَا الضَّالُّونَ إِذَا عَادَتْ قُوَّةُ الْإِسْلَامِ، وَأَصْبَحَ حُكْمُ الْعَالَمِ إِسْلَامِيًّا.

رَحِمَ اللَّهُ الشُّهَدَاءَ، وَأَهْلَكَ أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ. {وَنَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ} (سُورَةُ الصَّفِّ: 12).

16 مارس 2019

السَّيِّئُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ

{قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} (هُود: 46).

تفسيرِي الشَّخْصِيّ - برغم اختلاف التَّفاسِيرِ فِي شَرْحِ الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ - أَنَّ اللَّهَ يُخَاطَبُ نَبِيَّهُ نُوحًا - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عِنْدَمَا أَغْرَقَ ابْنَهُ وَمَنْ مَعَهُ، فَرُبَّمَا أَحْسَسَ نُوحٌ بِالْحُزْنِ وَالْأَلَمِ عَلَى فَقْدِهِ ابْنَهُ، وَقَدْ أَخَذَتْهُ عَاطِفَةُ الْأَبُوَّةِ، وَمَا كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَحْدُثَ ذَلِكَ الْفَقْدُ، فَقَوْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) تَخْفِيفٌ لِنُوحٍ مِنْ أَلَمِ الْفَقْدِ بِقَوْلِهِ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ حَتَّى تَحْزَنَ عَلَيْهِ، لِمَاذَا؟ لِأَنَّ عَمَلَ هَذَا الْإِبْنِ غَيْرُ صَالِحٍ، فَلِذَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِكَ، فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ.

رُبَّمَا كَانَ الْمُرَادُ أَيُّ: لَا تَحْزَنَ عَلَيْهِ، وَلَا تُكْثِرِ النَّدَمَ وَالتَّسْأُولَ عَلَى فَقْدِهِ، وَكَأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِنُوحٍ: لَوْ كَانَ عَمَلُهُ صَالِحًا لَأَسْتَحَقَّ أَبُوْتُكَ لَهُ، وَلَكِنَّ عَمَلَهُ غَيْرُ صَالِحٍ يَسْتَوْجِبُ أَلَّا يَكُونَ ابْنُكَ؛ وَلِذَا يَعِظُهُ اللَّهُ أَلَّا يَأْسُو عَلَيْهِ حَتَّى لَا يَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ.

وَنَرَى مِنْ سَالِفِ الْعُصُورِ أَنَّ الْكَثِيرَ مِنَ الْأَبْنَاءِ هُمْ مَصْدَرُ شَقَاءٍ وَعَنَاءٍ لِوَالِدِيهِمْ بِمَا يَفْعَلُونَهُ مِنْ سُوءٍ، وَمَا يَزْتَكِبُونَ مِنْ جُرْمٍ يَكُونُ عَارًا يَسْتَوْجِبُ نُكْرَانَ ذَلِكَ الْإِبْنِ مِنْ انْتِمَائِهِ لِوَالِدِيهِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنْهُ؛ لِمَا جَرَّهُ بِأَفْعَالِهِ الْفَاسِقَةِ مِنْ تَشْوِيهِ قَدْ يُحَسَّبُ عَلَيْهِمَا، وَيُلَامَا عَلَيْهِ لَوْ رَضِيَا بِهِ، فَلَا يَجِبُ أَنْ يَتَحَمَّلَ جَرِيرَتَهُ أَبَوَانِ صَالِحَانِ رَبِّيَاهُ عَلَى الْخَيْرِ، لَكِنَّ نَفْسَهُ الْخَبِيثَةَ أَبَتْ عَلَيْهِ أَنْ يَرِثَ الصَّلَاحَ مِنْهُمَا، وَاتَّخَذَهُ الشَّرَّ الَّذِي يَجْلِبُ سُوءَ السُّمْعَةِ، فَلَا يَجِبُ أَنْ يَنْسُبُوهُ إِلَيْهِمَا فِي الْعَمَلِ لَا فِي ثُبُوتِ النَّسَبِ، وَهَذَا أَشَدُّ إِيْلَامًا عَلَى النَّفْسِ مِنْ وَقْعِ السَّهَامِ عِنْدَمَا يَسِيءُ الْوَلَدُ إِسَاءَةً بِالْغَةِ عَلَى شَرَفِ التَّرْبِيَةِ وَكَرَامَةِ الْوَالِدَيْنِ، فَيَكُونُ الْمَخْرُجُ لَهُمَا الْبَرَاءَةُ وَالتَّحَلُّلُ مِنَ الْعَمَلِ الْفَاسِدِ الَّذِي ارْتَكَبَهُ ذَلِكَ الْإِبْنُ؛ حَتَّى لَا يُسَاوُوا بِفِعْلِهِ، وَتَأْكُلُهُمُ النَّاسُ بِالسِّنْتِمْ لَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا بِعَمَلِ ذَلِكَ الْإِبْنِ، وَلَكِنَّ الْبَرَاءَةَ الْمَعْنَوِيَّةَ مِنْهُ تُبْرِئُ سَاحَةَ الْوَالِدَيْنِ مِنْ عَمَلِهِ، فَبِعَمَلِهِ ذَلِكَ يَكُونُ ابْنًا فَاسِدًا لَا يَسْتَحِقُّ شَرَفَ الْإِنْتِمَاءِ إِلَى وَالِدِيهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

أَمْرُهَا إِلَى اللَّهِ

كَثُرَ الْجَدَلُ بَعْدَ وَفَاةِ الدُّكْتُورَةِ نَوَالِ السَّعْدَاوِيِّ، وَقَدْ تَنَاوَلَهَا الْبَعْضُ كَمَا دَرَّةٍ يَسْتَخْلِصُونَ مِنْهَا آرَاءً تُؤَدِّي إِلَى الْكُفْرِ وَالزُّنْدَقَةِ وَتَفْنِي آيَاتِ اللَّهِ وَتَخْطِئُهَا وَتَصُوبُ مَا تَرَاهُ يَخْدُمُ أَفْكَارَهَا بِمَا يَتَلَاءَمُ وَآرَاءَهَا الَّتِي قَالَتْ بِهَا عَنْ الْحَجِّ أَنَّهُ وَثِيَّةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَعَنِ الْحِجَابِ أَنَّهُ ضِدُّ الْأَخْلَاقِ، وَنَفَتْ وُجُودَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَتَكَلَّمَتْ عَنْ عَدَمِ عَدَالَةِ الْإِسْلَامِ فِي الْمَوَارِيثِ؛ حَيْثُ فَضَّلَ الذَّكَرَ عَلَى الْأُنْثَى، وَسَخَّرَتْ مِنَ اللَّهِ وَتَحَيَّرَهُ لِلدُّكُورَةِ لِأَنَّهَا تَعْتَقِدُ بِزَعْمِهَا دُكُورِيَّةَ الْإِلَهِ، وَظَنَّتْ جَهْلًا مِنْهَا بِتَعَدُّدِ الْإِلَهِاتِ كَمَا فِي الْهِنْدِ أَوْ الصِّينِ...

وَهِيَ آرَاءُ كَثُرَ، لَا قَبْلَ لَنَا بِهَا، لَيْسَ عَجْزًا مِنَّا فِي الرَّدِّ عَلَيْهَا، وَلَكِنَّهُ انْصَافٌ لِنَفْسِنَا مِنَ الْخَوْضِ فِي آرَاءٍ لَا تَسْمِنُ وَلَا تُغْنِي مِنْ جُوعٍ؛ لِأَنَّ لَنَا عُقُولًا نُفَكِّرُ بِهَا، وَأَذَانًا نَسْمَعُ بِهَا، وَالسَّنَةُ نَتَكَلَّمُ بِهَا.

وَحِينَ نُفَكِّرُ فِي مَا قَالَتْهُ الدُّكْتُورَةُ نَوَالِ فَنَحْنُ نُعْمِلُ الْعَقْلَ حِينَ نَرَى بِالْفِكْرِ اعْتِمَادًا عَلَى حَاسَةِ السَّمْعِ وَالنَّظَرِ وَالْقَلْبِ، ثُمَّ نَتَحَدَّثُ بِاللِّسَانِ كَمَا تَحَدَّثَتْ هِيَ؛ وَلَكِنْ بِفِكْرِ مُنْضَبِطٍ لَا يَجْعَلُ مِنْ حُرِّيَةِ الْقَوْلِ وَالْخُرُوجِ عَنِ الْمَعْقُولِ حُجَّةً لِتَبْرِيرِ أَقْوَالِنَا وَأَفْعَالِنَا؛ لَكِنَّا تَكُونُ خَارِجَةً عَنِ التَّفَكِيرِ السَّلِيمِ؛ لِأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ يَحْتَوِي فِي خَلْقِهِ عَلَى هَذَا الْعَقْلِ الْمُفَكِّرِ فِي الْخَيْرِ أَوْ الشَّرِّ، وَهُنَاكَ الْكَثِيرُ مِنَ الْعُقُولِ الَّتِي تَرْفُضُ السَّفَهَ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَتَمَجِّدُ الْعَقْلَ فِي عَقْلَانِيَّتِهِ الْحَكِيمَةِ الرَّاشِدَةِ فِي تَقْدِيرِ الْأُمُورِ، وَوَضْعِهَا فِي مِيزَانِ الْمُنْفَعِ، أَوْ الْمُنْقُوصِ الَّذِي يَسْعَى إِلَى التَّطَرُّفِ الْمَمْجُوجِ وَالْمُسْتَهْجَنِ وَالْمَرْفُوضِ. الْمُهْمُ، بَلْ وَالْأَكْثَرُ أَهْمِيَّةً - وَالَّذِي رَبَّمَا لَمْ يَلْحَظْهُ الْكَثِيرُ أَوْ الْبَعْضُ - أَنَّ الدُّكْتُورَةَ نَوَالِ قَالَتْ، وَكَأَنَّهَا تَنُحُو بِاللَّائِمَةِ عَلَى (أَب) كَانَ يَقُولُ لَهَا: جَادِلِي الْإِلَهِ، وَابْعَثِي لَهُ رِسَائِلَ نِقَاشِيَّةٍ فِي كُلِّ سُؤَالٍ تُرِيدِينَ إِجَابَتَهُ، وَقَدْ فَعَلَتْ بِزَعْمِهَا بِطُفُولِيَّةِ التَّفَكِيرِ، وَلَمْ تَتَلَقَّ جَوَابًا كَمَا قَالَتْ، وَ(أُمُّ) لَمْ تَأْخُذْ عَلَى يَدَيْهَا، فَتَرَكَتْهَا تَخُوضُ مَجَاهِلَ صَعْبَةٍ فِي تَشْكِيلِ رُؤْيَيْهَا وَسُلُوكِيَّاتِهَا وَفِكْرَهَا. وَكَأَنَّهَا تُلْقِي بِاللَّائِمَةِ عَلَى أَبَوَيْهَا فِي تَأْسِيسِ مَدَارِكِهَا عَلَى حُرِّيَّةِ عَقْلِيَّةٍ غَيْرِ سَوِيَّةٍ، وَتَرَكَتْ لِفِكْرِهَا الْعَنَانَ أَنْ يَنْطَلِقَ إِثْرُ كُلِّ فُضَاءٍ يَخْضَعُ لِتَأْمَلَاتِهَا،

وَهَذَا جَانِبٌ مُهِمٌّ لَا يَنْبَغِي إِغْفَالُهُ؛ حَتَّى نَعْرِفَ - وَمِنْ قَوْلِهَا - أَنَّهَا رَكِبَتْ مَرَكَبَ التَّطَرُّفِ فِي الْقَلْبِ وَالْعَقْلِ بَعْدَ أَنْ وَجَدَتْ التَّشْجِيعَ وَالتَّأْيِيدَ مِنْ وَالِدَيْهَا.

إِذَا نَفَهُمْ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ هُنَاكَ خِلَالًا فِي الْبَيْتِ أَدَّى إِلَى تَرْبِيَةٍ وَتَنْشِئَةٍ مُنْفَلَتَةٍ وَغَيْرِ صَحِيَّةٍ، وَهَذِهِ الطَّائِفَةُ الْكُبْرَى لَوْ أَخَذْنَا بِحَدِيثِ: «يُولَدُ الْمَوْلُودُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ يَنْصَرَانِهِ أَوْ يَمَجَّسَانِهِ»، فَكَأَنَّا نَرَى أَنَّ السَّبَبَ الْأَوَّلَ الَّذِي أَسَّسَ فِكْرَ الدُّكْتُورَةِ نَوَالِ هُوَ الْأَبُ وَالْأُمُّ، وَخُصُوصًا الْأُمُّ الَّتِي قِيلَ عَنْهَا:

الْأُمُّ مَدْرَسَةٌ إِذَا أَعَدَدَتْهَا أَعَدَّتْ شَعْبًا طَيِّبَ الْأَعْرَاقِ

مِنْ هُنَا نَحْنُ نَسْتَشْفُ تَكْوِينَ حَيَاةِ نَوَالِ السَّعْدَاوِي بِدَايَةٍ لَنَرَى وَنَلْحَظَ الْجَنَائَةَ الْكُبْرَى الَّتِي جَنَّاها الْأَبَوَانِ عَلَى الدُّكْتُورَةِ نَوَالِ، وَكَمَا قَالَ الْمَعْرِي:

هَذَا جَنَاهُ أَبِي عَلَيَّ وَمَا جَنَيْتُ عَلَى أَحَدٍ

حَتَّى نَتَلَمَّسَ ذَلِكَ الْجُنُوحَ الْمُفْرِطَ فِي التَّفْكِيرِ الَّذِي أَخْرَجَهَا عَنْ مَحَجَّةِ الصَّوَابِ إِلَى ضَلَالَةِ التَّفْكِيرِ الْمَرِيضِ.

وَكَمْ سَمَحْتُ لِي فُرْصٌ كَثِيرَةٌ بِالْجُلُوسِ مَعَ مَنْ هُمْ أَكْثَرُ جُنُوحًا وَتَطَرُّفًا وَعَدَاوَةً لِلهِ وَرَسُولِهِ، بَلْ وَأَنْبِيَائِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَهُمْ مِنْ كِبَارِ مَلَا حِدَةِ الْعَرَبِ، مِثْلَ: عَبْدِ اللَّهِ الْقَصِيمِيِّ حِينَ قَابَلْتُهُ فِي شَقَّتِهِ بِالْمَنْبِيلِ بِالْقَاهِرَةِ، وَتَجَاذَبْنَا أَطْرَافَ الْحَدِيثِ، فَمَا وَجَدْتُ فِيهِ فِكْرًا يَقْدِرُ مَا وَجَدْتُ فِيهِ حَقْدًا وَكُرْهًا وَعِنَادًا وَمُكَابَرَةً فِي الْعَقْلِ أَدَّى إِلَى ذَلِكَ التَّطَرُّفِ، فَلَمْ يَأْتِ بِجَدِيدٍ عَنِ الْفِكْرِ الْإِلْحَادِيِّ يَسْتَحِقُّ إِضَافَتَهُ إِلَى نَظَرِيَّاتِ الْمَلَا حِدَةِ الْغَرِيبِينَ.

ثُمَّ جَلَسْتُ مَعَ الدُّكْتُورِ الْمُلْحِدِ مُحَمَّدٍ أَمِينِ الْعَالَمِ حِينَ زَارَنِي فِي فُنْدُقِ الشَّيْرَاتُونِ بِالْقَاهِرَةِ، وَهُوَ الَّذِي حَاضَرَ مَرَّةً فِي الْأَزْدُنِ، وَاسْتَشْهَدَ بِدِيَوَانِي الصَّغِيرِ (الْجِرَاحُ تَتَجَّهُ شَرْقًا) لِتَدْعِيمِ مَوْضُوعِهِ الَّذِي حَاضَرَ عَنْهُ، وَلَمْ أَجِدْ - أَيْضًا - مُسَوِّعًا أَوْ مُبَرِّرًا أَوْ إِضَافَةً تَذَكَّرُ فِي الْفِكْرِ الْإِلْحَادِيِّ.

وَكَذَلِكَ جُورُجُورِ الشَّاعِرِ هُوَ مِنْ نَفْسِ ذَلِكَ الْفَصِيلِ الَّذِي كَانَتْ دَوَافِعُهُ تَقُومُ عَلَى الْحَقِّ عَلَى الْإِلَهِ الْحَقِّ، وَكَانَهُمْ بِجَهْلِهِمْ يَنْصِبُونَ أَنْفُسَهُمْ أُنْدَادًا لِلَّهِ، كَمَا كَتَبَ الْقَصِيمِيُّ كِتَابًا عَنْوَنَهُ بِـ (الْكُونُ يُحَاكِمُ الْإِلَهِ) لَنْ يَجِدَ الْفَارِيُّ فِي كُلِّ كُتُبِ الْقَصِيمِيِّ وَمُحَمَّدٍ أَمِينِ الْعَالَمِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْمَلَا حِدَةِ مَا يَرَوِي غُلَّةُ الصَّدِيِّ، لِيُرَوِيَ شَغَفَ مَجْمُوعَاتِ الْمَلَا حِدَةِ فِي شَتَى بِلَادِ الْعَالَمِ، وَرَبَّمَا هُوَ تَنْفِيسُ شَيْطَانِيٍّ عَنْ حَقْدِ دَفِينٍ أَوْ مَاسٍ غَلَبَتْ عَلَى الطَّبْعِ السَّلِيمِ فِي تَرَكِيبَاتِ أَثْمَالِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَضَلَّهُمُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ، أَوْ هُوَ فِكْرٌ انْتِهَازِيٌّ بُعِيَّةَ الذُّيُوعِ وَالشُّهْرَةِ لَا يَقُومُ عَلَى حَقَائِقِ عِلْمِيَّةٍ مَلْمُوسَةٍ يُمَكِّنُ أَنْ تُسَاعِدَهُمْ عَلَى إِحْيَاءِ أَفْكَارِهِمْ وَآرَائِهِمْ الْمَوْوُودَةِ قَبْلًا فِي مَهْدِهَا.

وَالَا لَوْ أَنَّهُمْ أَعْمَلُوا عَقُولَهُمْ دُونَ عَوَاطِفِهِمْ الْخَاصَّةِ وَدَوَافِعِهِمُ الْمُكَابِرَةِ وَالْمُغَرَّرِ بِهَا، وَحَلَّلُوا، وَتَدَارَسُوا، وَدَرَسُوا، وَفَهَّمُوا حَقِيقَةَ الْكُونِ وَالتَّكْوِينِ؛ لَقَدَّمُوا فِكْرًا فِي أَقْلِهِ مَقْبُولًا كَمَا دَةِ لِلنَّقَاشِ بِمَوْضُوعِيَّةٍ، وَكَمَا فَعَلَ إِبْلِيسُ مَعَ رَبِّهِ؛ فَقَدْ كَانَ إِبْلِيسُ عَاقِلًا جِدًّا، فَهُوَ لَمْ يُنْكِرْ وُجُودَ الْإِلَهِ، بَلْ سَجَلَ مَوْقِفًا سَمَحَ لَهُ الْإِلَهِ بِهِ فِي قَوْلِهِ: {فَبِعِزَّتِكَ لَا غُوبِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} (سُورَةُ ص: 82)، مُنْتَهَى الْإِيمَانِ مِنْ إِبْلِيسَ بِوُجُودِ اللَّهِ، وَهُوَ فَقَطْ إِنَّمَا كَابَرُ، وَعِنْدَمَا أَرَادَ الْإِضْرَارَ عَلَى الْعِصْيَانِ لَمْ يَغْفُلْ عَنْ عِزَّةِ اللَّهِ فَاقْسَمَ بِهَا، وَهَذَا مُنْتَهَى الْإِيمَانِ بِرَغَمِ جُنُوحِ إِبْلِيسَ وَتَلْبِيسِ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ، وَلَكِنْ.. إِبْلِيسُ فِي نَظَرِي مُؤْمِنٌ بِوُجُودِ اللَّهِ، وَهَذَا مَنْ يَتَّخِذُهُ الْمَلَا حِدَةُ إِلَهُهُمْ وَقَائِدَهُمْ فِي التَّمَرُّدِ وَالتَّحَرُّرِ مِنْ قَدَرِيَّتِهِ وَسُلْطَانِهِ، فَلَمْ يَنْفِ إِبْلِيسَ وُجُودَ اللَّهِ، بَلْ أَكَّدَهُ بِقَسَمِهِ بِعِزَّةِ اللَّهِ!

وَلَكِنْ هُنَاكَ وَقْفَةٌ مَعَ كُلِّ مَا قَالَتْهُ وَكَتَبَتْهُ الدُّكْتُورَةُ نَوَالُ، وَقَدْ قَرَأْتُ أَفْكَارَهَا مُنْذُ أَنْ كُنْتُ أَدْرُسُ الْحُقُوقَ بِجَامِعَةِ الْقَاهِرَةِ مُنْذُ حَدَاثَةِ سِنِّي عُمَرِي، وَلَمْ أَسْتَفِدْ مِنْهَا شَيْئًا، لِأَنَّ كُلَّ هَمَّهَا تَبْدِيلُ كَلِمَاتِ اللَّهِ لِكَيْ تَتَوَافَقَ مَعَ آرَائِهَا مِثْلَ قِرَاءَتِهَا لِسُورَةِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَبَدَلْتُهَا جَهْلًا مِنْ عِنْدِ نَفْسِهَا بِقُلْ هِيَ اللَّهُ أَحَدًا! وَمِنْ هَذَا التَّلْبِيسِ الْكَثِيرِ الَّذِي أَوْرَدَتْهُ فِي مَقُولَاتِهَا وَكَتَبَتْهُ فِي كُتُبِهَا. كُلُّ ذَلِكَ يُعْطِينَا الْحَقَّ فِي تَكْفِيرِهَا لَا التَّفْهِيمَ عَنِ اللَّهِ أَنَّهَا فِي النَّارِ؛ لِأَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ دُخُولُهُمَا أَوْ الْخُرُوجُ مِنْهُمَا لَيْسَ مِنْ تَقْدِيرَاتِنَا أَوْ قَدَرَاتِنَا، فَنَحْنُ أَمَامَ إِلَهٍ وَرَبٍّ هُوَ مَنْ لَهُ وَحْدَهُ الْإِرَادَةُ وَالْفِعْلُ وَالْأَمْرُ فِيمَا يَمْلِكُ، وَعَبَثًا نَحَاوُلُ أَنْ نَقَرَّرَ مَا لَيْسَ لَنَا بِحَقٍّ، إِنَّمَا نَقُولُ: أَمَرْنَا وَأَمَرَهَا إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ غَفَرَ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَ، وَهَذِهِ مِنَ الْمُسْلِمَاتِ الْعَقْلِيَّةِ، فَكَيْفَ نَسْمَحُ لِنَنْفُسِنَا أَنْ نُقَدِّرَ وَنُقَرَّرَ عَنِ اللَّهِ! بَلْ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ جَهْلِ مَنْ يَخُوضُ فِي قَدَرِيَّةٍ

الله، وَيُعْتَبَرُ سَفَاهَةً مِنَ الْعُقُولِ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِاسْمِ اللَّهِ عَنْ إِرَادَتِهِ، وَتُقَرَّرَ نِيَابَةٌ عَنْهُ بِمَا لَيْسَ لَهَا بِهِ عِلْمٌ.

لِذَلِكَ؛ نَحْنُ لَا نَعْلَمُ مَا إِذَا كَانَتْ الدُّكْتُورَةُ نَوَال مَاتَتْ عَلَى تَوْبَةٍ مِنْهَا وَمَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ، أَمْ كَانَتْ مِنَ الضَّالِّينَ، حَتَّى لَوْ أَخَذْنَا بظَاهِرِ أَقْوَالِهَا وَأَفْعَالِهَا، وَلَكِنَّا لَا نَدْرِي عَنْ خَاتِمَتِهَا؛ فَالْقُلُوبُ بِيَدِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ، وَالَّذِي نَقُولُهُ عَنْ ظَاهِرِ أَقْوَالِهَا وَأَفْعَالِهَا أَنَّهَا ضَالَّةٌ، وَعَلَى جَهْلٍ وَجَهَالَةٍ وَتَجْهِيلٍ.

نَخْلُصُ إِلَى أَنَّ الدُّكْتُورَةَ نَوَال حَرَقَتْ كُلَّ تَارِيخِهَا الْفِكْرِيِّ بِإِصْرَارِهَا وَعِنَادِهَا وَصَلَفِهَا بِجَعْلِ مُنَاوَعَةِ الْخَالِقِ قَضِيَّتَهَا وَشُغْلَهَا الشَّاعِلَ، حَتَّى أَعْمَاهَا ذَلِكَ عَنْ اسْتِحْدَاثِ نَظَرِيَّاتٍ فِكْرِيَّةٍ تَهْدِفُ إِلَى الْمُسَاهَمَةِ فِي خَلْقِ مَا يَكُونُ شَقَاءً لِسَعَادَةِ الْإِنْسَانِ، وَتَذَلِيلِ مَصَاعِبِهِ، وَتَيْسِيرِ عَسِيرِهِ، وَرَفْعِ عَثَارِهِ.

أَمَّا أَمْرُهَا فَهُوَ إِلَى اللَّهِ؛ إِنْ شَاءَ غَفَرَ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَ (فَمَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَى اللَّهِ؟).

25 مارس 2021

حُدُودُ الْعَقْلِ

عَائِدٌ إِلَى الْحَيَاةِ مِنَ الْعَدَمِ كَعَائِدٍ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ، فِي الْأُولَى حَقِيقَةُ الْوَاقِعِ الْمَشْهُودِ، وَفِي الثَّانِيَةِ فِكْرٌ يَقُومُ عَلَى فَرَضِيَّاتِ التَّأْوِيلِ.

فِي الْمَشْهَدِ الْكُونِيِّ نَبْضٌ وَحَرَكَيةٌ لِلْمُتَجَسِّدِ شَكْلًا وَاتِّرًا، وَفِي الْفَرَضِيَّاتِ جُثٌّ كَلَامِيَّةٌ أَوْ خَيَالَاتٌ لَا حَرَكَاتٍ بِهَا وَلَا نَبْضَ، تَتَأَوَّلُهَا الْعُقُولُ بِالْفِكْرِ التَّحْلِيلِيِّ وَالْخَيَالِيِّ، فَهِيَ ضَرْبٌ مِنْ ضُرُوبِ التَّأْمِيلِ فِي الْحُدُوثِ، أَوْ مُحَاوَلَةٌ عَرَسِ الْحَيَاةِ فِي عَدَمِيَّةِ الْوَهْمِ، اعْتِمَادًا عَلَى مُمَارَسَاتِ الظَّنِّ وَالتَّخَرُّصِ انْتِظَارًا لِضَرْبَةِ حَظٍّ فِي حَيَاةِ الْمَجْهُولِ، يَنْتَصِرُ فِيهِ الْعَقْلُ بِالتَّحْقِيقِ، أَوْ يَقَعُ فَرِيَسَةً لِلتَّقَوُّلِ عَلَى الْأَشْيَاءِ الْمَحْسُوسِ الْمُتَخَلِّقِ مِنَ الظُّنُونِ فِي دَوَائِرِ وَمَحَطَّاتِ الْأَسْئَلَةِ الْمُلْحَةِ، وَهِيَ نَتَاجُ الْعَقْلِ الْمُفَكِّرِ، لَكِنَّهَا تَبْقَى أَسْئَلَةً عَاجِزَةً عَنْ خَلْقِ حَقَائِقِ التَّأْوِيلِ وَالْإِفْتِرَاضِ، وَتِلْكَ هِيَ صَدْمَةُ الْعَقْلِ الْمُفَكِّرِ حِينَ يُعْجِزُهُ الْجَوَابُ.

صَحِيحٌ أَنَّ الْعَقْلَ مُنْتَجِعٌ لِلْمَعْرِفَةِ، وَغَيْرُ صَحِيحٍ أَنْ يُنْتَجَعَ مِنَ الْغَيْبِ مَعْرِفَةٌ، وَذَلِكَ مَا يُحَاوِلُهُ الْعَقْلُ الْمُفَكِّرُ، وَحِينَ يَعْجِزُ يَعُودُ فَيَحِيلُ إِلَى الْقَدَرِيَّةِ كُلِّ عَجْزِهِ اعْتِرَافًا بِانْعِدَامِ الْمُمْكِنَةِ، لِيُبَيِّنَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْإِسْتِحْيَاءِ أَنَّ عَجْزَ الْعَقْلِ الْمُفَكِّرِ يَسْتَطِيعُ، وَلَكِنَّ الْمَحْجُوبَ هُوَ السَّبَبُ، فَهُوَ لَا يُرِيدُ أَنْ يَتَجَسَّدَ كَحَقَائِقِ مَلْمُوسَةٍ، وَهَذَا مِنْ حَقِّهِ، فَلِكُلِّ شَيْءٍ أَهْلِيَّةٌ وَحُرِّيَّةٌ، كَمَا لِلْغَيْبِيَّاتِ أَهْلِيَّةٌ وَحُرِّيَّةٌ فِي عَدَمِ التَّجَسُّدِ كَرُؤَى قَابِلَةٍ لِلتَّفَاعُلِ مَعَ النَّابِضِ وَالْحَيِّ وَالْوَاقِعِيِّ، فَيَرَاهَا الْعَقْلُ مِنْ خَلْفِ الْعَجْزِ أَنَّ غَيْبًا مَا مَوْجُودٌ وَلَهُ حَيَاةٌ، وَلَكِنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَرْنِيِّ وَالْمَشْهُودِ أَسْتَارُ الْغَفْلَةِ، وَانْعِدَامُ الْمَدَارِكِ الَّتِي يَحُدُّهَا جِدَارٌ مَنِيعٌ مِنَ التَّمَثُّلِ كَحَقَائِقَ مُنْتَجَعَةٍ لِلشَّيْءِ لَا لِلْأَشْيَاءِ.

كَثِيرًا مَا يَقُولُ الْعَقْلُ الْمُفَكِّرُ إِنَّ الْمَحْجُوبَ هُوَ قُدْرَةُ الْقَدَرِ فِي الْإِمْتِنَاعِ بِفِعْلِ قَدَرِيٍّ عَنِ التَّفَاعُلِ مَعَهُ وَهُوَ الصَّوَابُ.

اسْتِفْتَاءُ شَبَابِ أَمْرِيكََا

فِي اسْتِفْتَاءٍ مَعَ بَعْضِ الشَّبَابِ الْأَمْرِيكِيِّ كَمَا نُقِلَ لِي أَجَازُوا قَتَلَ كِبَارِ السَّنِّ بِفَيْرُوسِ كُورُونَا، وَعَذَرُهُمْ أَنَّ كِبَارَ السَّنِّ يَجِبُ أَنْ يُغَادِرُوا الْحَيَاةَ كَيْ يَنْعَمَ الشَّبَابُ بِالْحَيَاةِ وَخَيْرَاتِهَا، وَيَرِثُوا كِبَارَ السَّنِّ، مُتَوَهِّمِينَ بِانْتِهَاءِ صِلَاحِيَّتِهِمْ عَلَى كَوْكَبِ الْأَرْضِ، وَنَسُوا أَوْ تَنَاسَوْا أَنَّ كِبَارَ السَّنِّ هُمْ مَنْ زَرَعُوا الْأَرْضَ لَهُمْ وُزُودًا وَسَعَادَةً، وَآتَرَوْهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَتَحَمَّلُوا الْمَشَاقَّ حَتَّى يَنْعَمُوا بِرَبِيعِ الْحَيَاةِ.

هَذَا لِسَانُ حَالِ الْبَعْضِ مِنَ الشَّبَابِ الْقَاسِي الْقَلْبَ، فَكَيْفَ وَالْكَبَارُ يَتَمَنُّونَ لَهُمْ الْحَيَاةَ، وَهُمْ يَتَمَنُّونَ الْمَوْتَ لِلْكَبَارِ؛ إِنَّهُمْ الْوُحُوشُ الْأَدَمِيَّةُ، وَكَأَنَّ الْأَرْضَ ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ بِمَا رَحِبَتْ فَطَمَعُوا فِي حَيَاتِنَا وَفِي لُقْمَةِ عَيْشٍ تَسُدُّ رَمَقَنَا، أَوْ كَأَنَّ كِبَارَ السَّنِّ جَائِثُونَ عَلَى صُدُورِهِمْ.

فَهَلْ يَقْبَلُ هَؤُلَاءِ الْبَعْضُ حِينَ يَكْبُرُونَ أَنْ يَضِيقَ بِهِمْ شَبَابُ الْغَدِ؟
تَبًّا لِفَكْرٍ يَحْمِلُ مَعَاوِلَ هَدْمِ الدُّنْيَا عَلَى جَهْلٍ مِنْهُ بِالْأَجَالِ وَالْأَعْمَارِ وَالْأَزْزَاقِ! أَقُولُ لَهُمْ: كَمَا كَبِرْنَا وَمِتْنَا سَتَكْبُرُونَ وَتَمُوتُونَ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ الْخُلْدُ.

أَيُّهَا الشَّبَابُ، لَا تَتَعَجَّلُوا مَوْتَنَا، فَنَحْنُ نُحِبُّكُمْ وَنَتَمَنَّى لَكُمْ الْحَيَاةَ أَصْحَاءً. فَقَطِّ ائْتَرُكُونَا لِحَالِنَا إِذَا ضَبَقْتُمْ ذَرْعًا بِنَا حَتَّى يُتِمَّ اللَّهُ أَمْرَهُ، وَتَرْحَلْ دُونَ أَنْ تَجْرَحُونَا عَلَى نِهَآيَةِ حَيَاتِنَا، هِيَ هَكَذَا الدُّنْيَا وُدٌّ وَكُرَّةٌ.. فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ.

29 مارس 2020

صَبَاحُ الْأَمَلِ

صَبَاحُ الْأَمَلِ الضَّاحِكِ عَلَى فُؤَادِ الرِّضَا
فِي الْقُلُوبِ آمَالٌ لَا تَنْتَهِي بِرَغْمِ أَكْدَارِ الْحَيَاةِ وَالْآمِهَا.

نَقُولُ: إِنَّ رَبِيعًا قَادِمًا سَوْفَ يَنْتَشِلُنَا مِنْ أَرْمَاتِ النَّفْسِ وَسَوَاءِ الْعَصْرِ وَتَرَاجِيعِ الشُّكُوى. نَسْتَعْرِضُ فِي يَوْمِنَا هُمُومَنَا، وَنَسْتَدْرِجُ الْحُلُولَ، وَنَسْتَدْعِي انْفِرَاجَاتِ الضِّيقِ الْمُلْحِ وَالْجَائِمِ عَلَى الصُّدُورِ. نَنْظُرُ إِلَى أَمَلٍ يَفْتَحُ لَنَا كُوَّةً فِي سَوَادِ الرَّهْبَةِ وَالرُّعْبِ وَالْقُنُوطِ، وَعِنْدَ تَعَاظِمِ الْمَكَارِهِ نَتَوَسَّلُ الْبَسْمَةَ الْمَكْسُورَةَ عَلَى شِفَاهِ الصَّبْرِ، فَجَدُّ أَنْ لَيْسَ ثَمَّةَ شَيْءٍ يُعِيدُنَا إِلَى حَيَوِيَّتِنَا إِلَّا الْأَمَلُ فِي غَدٍ جَدِيدٍ يَحْمِلُ تَبَاشِيرَ الْبَهْجَةِ وَالسُّرُورِ، وَيَسْتَبْدِلُ هُمُومَ الْمُتَوَجِّدِينَ بِأَسَارِيرِ الْبَهْجَةِ فِي انْبِعَاطَاتِ نَسَائِمِ الْأَمَلِ.

وَمَاذَا بِمَقْدُورِنَا أَنْ نَفْعَلَ غَيْرَهُ أَوْ نَسْتَمْطِرَ غَيْمَاتِهِ إِلَّا الْأَمَلُ، وَهُوَ ذَلِكَ النُّورُ الَّذِي يُخْرِجُنَا مِنْ ظُلُمَاتِ أَنْفُسِنَا إِلَى نُورِ الْعَيْشِ وَالْبَقَاءِ. وَعَزَاءُ النَّفْسِ أَنَّهُ لَا أَحَدَ مِنَ الْأَحْيَاءِ فِي هَذَا الْوُجُودِ إِلَّا وَبِهِ غُصَّةٌ مِنَ الزَّمَانِ، وَلَا عِلَاجَ لَهَا إِلَّا التَّرَكُّ وَالْإِهْمَالُ وَالْعَمَلُ عَلَى مَا يُوجِبُ الْعَمَلَ، فَهَزِيمَةُ النَّفْسِ لَا تُحَلُّ إِلَّا بِالْإِسْتِسْلَامِ دُونَ الْعَمَلِ عَلَى تَفْرِيجِ شُحُنَاتِ الْهُمُومِ بِالْخُلُوصِ مِنْهَا كُلَّمَا طَرَقَتْ أَبْوَابُ الْحُلُومِ، وَلَيْسَ بِغَيْرِ ذَلِكَ تَسْتَقِيمُ لَنَا الدُّنْيَا، كَمَا يَقُولُ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى ظَمِئْتَ وَآيُ النَّاسِ تَصْفُو مَسَارِبُهُ

30 مارس 2021

بُكَاءٌ وَصَمْتُ

ضَحِكْتُ كَثِيرًا وَبَكَيتُ كَثِيرًا.

بَكَيتُ عِنْدَمَا رَأَيْتُ الْحُبَّ يَبْنِي الْإِنْسَانَ وَأَخِيهِ الْإِنْسَانَ مُجَرَّدَ كَلَامٍ، وَهُوَ يَهْجُرُهُ فِي النَّائِبَاتِ، بَلْ وَيَهْرُبُ مِنْهُ خَشْيَةً الْأَصَابَةِ بِالْمَرَضِ، بَلْ أَصْبَحَ مَرِيضُ الْكُورُونَا عَدُوًّا لِلْإِنْسَانِ بِغَيْرِ ذَنْبٍ وَلَا جَرِيرَةٍ سِوَى ابْتِلَاءِ اللَّهِ، وَهُوَ أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ وَنَتِيجَةٌ مُؤَكَّدَةٌ لِلْجَمِيعِ حُبًّا فِي الْحَيَاةِ، وَلَا مَلَامَةً عَلَى ذَلِكَ، فَكُلُّنَا يَكْرَهُ الْمَرَضَ وَالْمَوْتَ وَهِيَ الْفِطْرَةُ. وَضَحِكْتُ مِنْ جَهْلِنَا الَّذِي يُنْسِينَا عَقُوبَةَ اللَّهِ حِينَ أَحْسَسْتُ أَنَّنَا فَرَطْنَا كَثِيرًا فِي جَانِبِ اللَّهِ، نَدْعُوهُ فِي الْمَصَائِبِ وَالنَّكَبَاتِ حَتَّى إِذَا نَجَّانَا عُدْنَا إِلَى ارْتِكَابِ الْمَعَاصِي، وَكَانَا قَدْ أَمِنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَنَقِمَتِهِ.

اللَّهُمَّ أَصْلَحْ فَسَادَ قُلُوبِنَا، وَقَرِّبْنَا إِلَيْكَ، نَعْمَلْ عَلَى رِضَاكَ بِالطَّاعَاتِ وَالصَّالِحَاتِ، وَجَنِّبْنَا مَا يُغْضِبُكَ مِنَّا، وَارْزُقْنَا الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، فَوَاللَّهِ يَا رَبُّ إِنَّنَا أَضْعَفُ مِنْ نَمْلَةٍ عَلَى صَخْرَةٍ فِي لَيْلٍ دَامِسٍ.

لَكَ الْمُلْكُ وَالْمَلَكُوتُ، رَبَّنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا، إِنَّكَ نِعَمُ الْمَوْلَى وَنِعَمُ النَّصِيرِ. وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا يَلِيْقُ بِذَاتِكَ وَعَظَمَتِكَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ. لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ، تَقَدَّسَتْ رَبَّنَا فِي عِلَاقِكَ. وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى خَلِيلِكَ وَحَبِيبِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ.

5 أبريل 2020

الْكُورُونَا أَيْضًا قَدَرٌ

مِثْلُ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ وَالْكَوَارِثِ تَمُرُّ عَلَى الْإِنْسَانِ حَتَّى وَإِنْ كَانَتْ مِنْ فِعْلِ الْإِنْسَانِ، فَإِنَّهُ يَكُونُ سَبَبًا فِي صِنَاعَتِهَا، وَلَنْ تَنْتَشِرَ وَلَا يَكُونُ لَهَا تَأْثِيرٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ.

يَقُولُ مَنْ يَقُولُ مُتَخَرِّصًا إِنَّ الْخَلْقَ - أَوْ بَعْضَهُ - سَوْفَ يَفْنَى مِنْ جَرَاءِ مَرَضِ كُورُونَا، وَهُوَ كَلَامٌ مُرْسَلٌ غَيْرُ حَقِيقِيٍّ وَوَاهِمٌ أَيْضًا؛ فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ بَالِغُ أَمْرِنَا، وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَلَكِنَّ الْفَنَاءَ الْكُلِّيَّ لِلْخَلْقِ لَنْ يَتِمَّ إِلَّا بِتَحَقُّقِ آيَاتِ اللَّهِ الَّتِي جَاءَتْ عَنْ سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ وَمَا جَاءَ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ.

إِذَا، فَقَبْلَ الْفَنَاءِ الْآخِرِ لِلْخَلْقِ وَالْأَرْضِ لَا بُدَّ مِنْ ظُهُورِ مَا لَمْ يَظْهَرْ بَعْدُ، وَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، فَلَمْ يَظْهَرْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَلَمْ تَظْهَرْ الدَّابَّةُ، وَلَمْ يَأْتِ الْمَهْدِيُّ، وَلَمْ يَنْزِلْ عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - حَتَّى تَكُونَ الْقِيَامَةُ الْكُبْرَى.

فَلْتَطْمَئِنَّ نَفُوسُ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ بِأَنَّ الْقِيَامَةَ لَا تَقُومُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فِينَا الصَّالِحُونَ الْمُوَحِّدُونَ بِاللَّهِ، فَمَوْعِدُ قِيَامِ السَّاعَةِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، وَالْقِيَامَةُ آتِيَةٌ حِينَ يُتِمَّ اللَّهُ أَمْرَهُ وَكَلِمَاتِهِ، وَلَكِنْ رَبِّمَا لَيْسَ الْآنَ كَمَا أَشْرْنَا أَنْفَا.

فَعَلَيْنَا أَنْ نَغْنَمَ الْفُرْصَةَ فِي الْعُودَةِ إِلَى اللَّهِ بَعْدَ هَذَا الْبَلَاءِ الَّذِي يُشَبِّهُ النَّذِيرَ لِلْبَشَرِ كَيْمَا يَعْرِفُوا قَدْرَ ضَعْفِهِمْ، وَأَنْ هَلَكَ هُمْ لَنْ يُعْجِزَ اللَّهُ شَيْئًا، وَلَكِنَّهُ الرَّحِيمُ وَاللَّطِيفُ بِنَا، فَهُوَ يَمْهَلُ عِبَادَهُ لِيَعُودُوا إِلَى جَادَّةِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ قَبْلَ أَنْ يَخْتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ، فَيَكُونُوا مِنَ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ يَسْتَحِقُّونَ عَذَابَ اللَّهِ.

اللَّهُمَّ رُدَّنَا إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، وَلَا تَوَاحِدْنَا بِذُنُوبِنَا، وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا، وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

5 أبريل 2020

تَعَادُلِيَّةُ التَّكْوِينِ

نُورٌ وَنَارٌ، كِلَاهُمَا يَقْبَسُ مِنْ شَمْسٍ وَاحِدَةٍ، أَحَدُهُمَا مُشْرِقٌ وَالْآخَرُ حَارِقٌ، أَضْلُهُمَا وَاحِدٌ وَفُرُوعُهُمَا تَحْتَقِبُ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ، مَفْعُولَانِ لَا فَاعِلَانِ مَسْكُونَانِ بِقَدَرِيَّةٍ قَادِرَةٍ، الْأَوَّلُ يَمْحُو الظَّلَامَ، وَالثَّانِي حَارِقٌ لِمَا دَبَّ عَلَى الْكَوْنِ، تَمَثَّلَ لِلصَّيْرُورَةِ خَلْقًا مُخْتَلَفًا أَجْنَاسُهُ وَصِفَاتُهُ عِنْدَمَا تَخْلُقُ مِنَ الْعَدَمِيَّةِ السَّدِيمِيَّةِ انْفِجَارُ الشَّمْسِ، وَأَضْحَى ظَاهِرًا لِلْعَيَانِ مَا هُوَ مَخْبُوءٌ فِي دَوَاخِلِ الْكَوْنِ لِيَأْتِيَ مِنَ الْعَدَمِ نَبْضُ الْأَشْيَاءِ تَتَجَسَّدُ خَلْقًا مَرْتَبًا يَتَوَالَدُ وَيَتَنَاسَلُ فِي دَيْمُومَةٍ اتَّصَفَتْ وَتَسَمَّتْ بِالْحَيَاةِ كَانَتْ فِي بَدَايَاتِهَا إِلَى نِهَائِيَّتِهَا.. هِيَ سُؤَالٌ مُتَعَدِّدٌ مُتَجَدِّدٌ لَا يَنْتَهِي حَتَّى يَنْتَهِيَ الْعَقْلُ فِي الْخَلْقِ لِيُظِلَّ السُّؤَالُ الْوَاحِدَ الْأَبَدِيَّ: لِمَاذَا خَلَقَ الْكَوْنُ؟ وَالْمَجْرَاتُ وَالْخَلْقُ صُلْبًا وَطِينًا وَنَارًا وَمَاءً، وَمِنْهُمْ تَنَاسَلُ الْأَشْبَاءُ وَالْأَضْدَادُ فِي قَنَاعَةٍ تَامَةٍ وَرِضَى، وَإِنْ شَابَهُ الْكَثِيرُ مِنَ التَّعَبِ وَالتَّذَمُّرِ وَالْحُزَنِ وَالْغَضَبِ مِنْ جَلَالِ الْأَحْدَاثِ وَقَسَاوَةِ الْعَيْشِ، إِلَّا أَنَّهُ مَصِيرٌ مُحَبَّبٌ لِكُلِّ شَيْءٍ مُوجُودٍ عَلَى فِضَاءَاتِ الْكَوْنِ، لَا تَجِدُ خَلْقًا رَافِضًا لِلْحَيَاةِ، بَلْ هُوَ مُتَمَسِّكٌ بِهَا، رَافِضٌ لِلْمَوْتِ وَالْعَدَمِيَّةِ، مُتَشَبِّثٌ حَتَّى وَهُوَ يُحْتَضِرُ فِيهَا وَيَنْتَهِي.

وَحِينَ يَنْسَحِبُ عَلَى الْخَلْقِ الْآدَمِيَّ مَعْنَى الْوُجُودِ يَتَأَكَّدُ بِالنَّبْضِ فِي قَبْضِ الْقَلْبِ وَانْفِتَاحِهِ لِحَرَيَانِ الدَّمِ الْمُحَرِّكَ لِلْأَجْسَامِ وَالْمُهَيَّيَّ لِلطَّاقَاتِ بِالْأَفْعَالِ، كُلُّ ذَلِكَ فِي الْإِنْسَانِ مِنْ تَغْيِيرٍ فِي الْجِسْمِ دَاخِلِيًّا يَنْصَرِفُ عَلَى خَارِجِهِ مِنْ انْفِعَالَاتٍ وَتَنْصَرُّفَاتٍ فِي دَوْرَةٍ يَوْمِيَّةٍ، فَيَكُونُ هُوَ الْمُتَغَيِّرُ فِي ثَوَانِيهِ وَدَقَائِقِهِ وَسَاعَاتِهِ وَأَيَّامِهِ، فَحِينَ يَخْتَلُ نِظَامُ أَحَدِ أَعْضَاءِ الْجِسْمِ يَخْتَلُ التَّنْصَرُّفُ الْخَارِجِيُّ لِلْإِنْسَانِ، وَمَا يَصْحَبُ ذَلِكَ مِنْ اغْتِلَالٍ دَاخِلِيٍّ يُؤَدِّي إِلَى اغْتِلَالٍ خَارِجٍ، فَتَأْتِي التَّنْصَرُّفَاتُ سَلْبِيَّةٌ فِي الْأَفْعَالِ وَالسُّلُوكِيَّاتِ فِي عُضْوٍ أَوْ أَعْضَاءٍ صَاحِبِهَا شَيْءٌ مِنَ الْخَلَلِ فِي نِظَامِ الْأَدَاءِ الَّذِي بِصِحَّتِهِ تَصِحُّ الْأَفْعَالُ، وَيَكُونُ الْفِعْلُ إِيْجَابِيًّا رُبَّمَا إِلَى حَدٍّ مَا.

وَلَكِنْ كَيْفَ نَفَسَّرُ أَفْعَالَ الْعَقْلِ بَيْنَ السَّلْبِ وَالْإِيْجَابِ فَتَصِفَ بِالْحِكْمَةِ إِنْسَانًا، وَبِالتَّطَرُّفِ وَعَدَمِ الرُّشْدِ آخَرَ وَهُوَ سَلِيمُ الْمُخَّ.. فَفِي أَغْلَبِ الْأَحْيَانِ يَكُونُ التَّأْثِيرُ وَالتَّقْدِيرُ مُنْصَرِفًا إِلَى سَلَامَةِ الْغِذَاءِ وَسَلَامَةِ الْوَلَادَةِ وَسَلَامَةِ التَّزْوِجِ وَالْاِكْتِسَابِ الْعِلْمِيِّ وَالْقُدْرَةِ

الْخَارِقَةُ لِقَرَاءَةِ الْحَيَاةِ وَالشُّخُوصِ وَالْخَلْقِ مِنْ حَوْلِ الْإِنْسَانِ، مِنْ ذَلِكَ يُوَلَّدُ الْعَقْلُ الْعَاقِلُ وَالْعَقْلُ نِصْفُ الْعَاقِلِ وَالْعَقْلُ الْجَاهِلُ، وَلِكُلِّ قُدْرَةٍ عَقْلِيَّةٍ تَقْدِيرٌ فِي حَجْمِ الْفِعْلِ وَطَاقَاتِهِ الَّتِي تَخْتَلِفُ وَتَخْلُقُ التَّمَايِزَ بَيْنَ الْبَشَرِ فِي الْأَفْعَالِ الْمُنتَجَةِ وَالْمُبْدَعَةِ إِلَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِالْعَبَقَرِيَّةِ وَالذِّكَاةِ الْخَارِقِ، فَهُوَ نَتَاجُ غَيْبِيٍّ كَالظَّوَاهِرِ الْكُونِيَّةِ الَّتِي تَتَجَاوَزُ الْقُدْرَةَ الْمَأْلُوفَةَ وَالْمُعْتَادَ عَلَى مَعْرِفَتِهَا فِي عُلُوقِهَا وَارْتِقَائِهَا أَوْ عَبَائِهَا وَانْحِدَارِهَا. وَعَلَى كُلِّ قُدْرَةٍ تَسْحَبُ النَّاسُ الصِّفَاتِ عَلَى الْإِنْسَانِ، فَتَقُولُ بِالْإِنْسَانِ الْحَكِيمِ أَوِ السَّوِيِّ أَوِ الْعَاقِلِ، وَضِدَّهُ الْعَاثِرُ وَالسَّاقِطُ وَالسَّفِيهِ وَالْمُجْرِمُ، وَغَيْرِهِ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي لَا تَنْتَهِي.

نَطْرُحُ سُؤَالَ: مَاذَا لَوْ قُدِّرَ لِلْعِلْمِ الْقُدْرَةُ عَلَى زَرْعِ الْمُخِّ الْعَبَقَرِيِّ فِي جُمُجْمَةِ رَأْسِ يَتَسِمُ بِالْغَبَاءِ، هَلْ تَنْجَحُ مِثْلُ هَذِهِ الْعَمَلِيَّةِ؟ وَهَلْ يَسْتَطِيعُ الْعِلْمُ تَحْوِيلَ الْغَيْبِيِّ إِلَى ذِكِيٍّ أَوْ عَبَقَرِيٍّ، أَوْ حَتَّى سَوِيٍّ الْعَقْلِ وَالتَّفَكِيرِ؟ ذَلِكَ الْأَعْجَازُ الْمُعْجَزُ يَتِمَّنَاهُ الْكَثِيرُ وَيَرْفُضُهُ الْقَلَّةُ، فَالْبَعْضُ يَرَى أَنَّ الْجَهْلَ فِي الْجَاهِلِ نِعْمَةٌ كَنِعْمَةِ الذِّكَاةِ عِنْدَ الذَّكِيِّ، وَفِي كُلِّ الْأَحْوَالِ لَيْسَ لِلْكَفَاءَاتِ أَوْ الْعَبَقَرِيَّةِ أَوْ الذِّكَاةِ قُدْرَةٌ عَلَى الْغِنَى أَوْ الْفَقْرِ أَوْ الْمَنْصَبِ؛ تِلْكَ تَقْدِيرَاتٌ خَاصَّةٌ لِلْحُظُوظِ تَخْضَعُ لِمَعَايِيرِ عَصِيَّةٍ عَلَى الْفِعْلِ الْبَشَرِيِّ، وَلَهَا تَقْدِيرٌ يَخْضَعُ لِحِكْمَةِ الْمُقَدَّرِ لِلْأَقْدَارِ.

جَمَالُ الْأَوْطَانِ

مِنْ جَمَالِ الْأَوْطَانِ أَنْ تَسْكُنَ بِهَا الْحُقُولُ وَالْمَزَارِعُ حِينَ يَكُونُ لَهَا وَجْهٌ حَضَارِيٌّ، لَا أَنْ تُسْتَغَلَّ أَرْضُهَا لِلْمَصَانِعِ وَالْعِمَارَاتِ دُونَ أَنْ يَكُونَ لَهَا مُتَنَفِّسٌ لِمَدِينَةٍ مِنَ الْمُدُنِ، وَخُصُوصًا إِذَا كَانَتْ دَاخِلِيَّةً كَمَكَّةَ، فِي حِينَ أَبْقَتِ الْمَدِينَةُ وَالطَّائِفُ عَلَى بَعْضِ الْمَزَارِعِ تَكَادُ تُخْتَصُّ بِزِرَاعَةِ الْوَرْدِ وَالْقَلِيلِ مِنَ الْفَوَاكِهِ وَالْخَضَارِ تَزِيدُ عَلَيْهَا الْمَدِينَةُ الْمُنَوَّرَةُ بِالثُّمُورِ، وَفِي الْإِمْكَانِ أَنْ تُسْتَغَلَّ الْمَسَاحَاتُ الشَّاسِعَةُ حَوْلَ مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ لِإِقَامَةِ الْمَزَارِعِ الْمُنتِجَةِ غَذَائِيًّا، وَتَكُونُ دَاخِلَهَا مُنْتَجَعَاتٌ سِيَاحِيَّةٌ، لِحَيَوِيَّةِ الْمَدِينَةِ، وَاسْتِشْعَارِ الْجَمَالِ الْأَرْضِيِّ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى تَجْدِيدِ النَّشَاطِ فِي النَّظَرِ وَالْقَلْبِ وَالْعَقْلِ.

نَعَمْ، تَغَيَّرَتْ مَكَّةُ وَأَهْلُهَا وَنَسِجُهَا الْعُمَرَانِيُّ، أَخَذَتْ بَعْدَ الْحَنِينِ وَالْقُرْبِ وَالْحُبِّ شَوَاسِعَ مِنَ الْبَعِيدِ. أَرَى أَنَّ الْمَزَارِعَ وَالْبَسَاتِينَ مَا نَحْتَاجُهُ لَتَرْقِيقِ الطَّبَاعِ وَالْعُودَةِ إِلَى بَعْضِ الْقِيَمِ الَّتِي تَكَادُ أَنْ تَرَحَّلَ مَعَ مَا رَحَلَ مِنْ كَثِيرِهَا. النَّفْسُ الْمَازُومَةُ فِي هَذَا الْعَصْرِ بِحَاجَةٍ إِلَى الْجَمَالِ الزَّرَاعِيِّ لِكَسْرِ حَدِّ انْفِعَالَاتِ النَّفُوسِ السَّرِيعَةِ.

3 فبراير 2019

عَصْرُ الْقَطِيعَةِ وَالْفِرَارِ مِنَ الْحَبِّ

مِنْ فِتْرَةٍ وَأَنَا أَعِيشُ حَالَةً مِنَ الْحُزَنِ الْكَبِيرِ وَالسَّوْدَاوِيَّةِ الْمُوجِعَةِ حِينَ تَأَمَّلْتُ وَاقِعًا جَدِيدًا حَلَّ عَنْ وَاقِعِ عِشْنَاهُ، وَمَا كَانَ فِينَا مَنْ يَسْتَطِيعُ الْبُعْدَ عَنْ أَهْلِهِ وَأَقَارِبِهِ اسْتِشْعَارًا بِقِيَمَةِ الْعِرْزَةِ وَالْجَمَاعَةِ وَالْأَلْفَةِ وَالْأَنْسِ، فَقَدْ كَانَ تَرَابُطًا لَا مَحْدُودًا يَفْرِضُهُ وَاقِعُ الْبَدَلِ وَالْمُوَاسَاةِ وَالنُّصْرَةِ.

وَمُنْذُ ثَلَاثِينَ عَامًا مَضَتْ بَدَأْتُ تَظْهَرُ مَلَامِحَ بَسِيطَةٍ، فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ كَانَتْ تَتَسَمَّ بِطَابَعِ الْإِسْتِقْلَالِيَّةِ، ثُمَّ فَجَاءَتْ تَغْيِيرَاتُ الْأَحْوَالِ وَصَارَ هَجْرُ الْأَقَارِبِ وَإِثَارَةُ النَّعْرَاتِ وَالْفُوقِيَّاتِ مَحَلَّ نَظَرِ الْمُفَكِّرِ وَالْمُتَأَمِّلِ فِيمَا وَصَلَ إِلَيْهِ النَّاسُ، عَلَى الْأَقْلَى فِي الْإِطَارِ الْعَرَبِيِّ؛ لِأَنَّ الْأُورُوبِيِّينَ وَالْأَمْرِيكِيِّينَ قَدْ تَرَبَّوْا عَلَى الْإِنْسِلَاخِ مِنْ ذَوِيهِمْ مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ، وَنَحْنُ نَكَادُ أَنْ نَصِلَ إِلَى مَا وَصَلُوا إِلَيْهِ، وَقَدْ فَقَدْنَا ذَلِكَ التَّرَابُطَ الَّذِي كُنَّا نَجْتَمِعُ عَلَيْهِ.

وَهَا نَحْنُ الْيَوْمَ وَكَأَنِّي أَحْسُ أَنَّ الْقَرَابَةَ وَالْقَرِيبَ وَالْقَرْبَى صَارَتْ هَمًّا عَلَى النُّفُوسِ يَجِبُ التَّخْلُصُ مِنْهُ، وَأَصْبَحَ الْبُعْدُ وَالتَّبَاعُدُ بَيْنَ الْأَقَارِبِ سِمَةً الْعَصْرِ الَّذِي حَبَّبَ الْإِنْسِلَاخَ مِنْ عُزُوقِ النَّسَبِ وَالرَّحِمِ وَالْأُخُوَّةِ، وَقُلُّ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ. بَقِيَ بَعْضُ الْأَصْدِقَاءِ الَّذِينَ اخْتَفَظُوا بِالْقَلِيلِ مِنَ الْإِرْثِ الْأَخْلَاقِيِّ وَالْاجْتِمَاعِيِّ يَسْأَلُونَ عَنْ بَعْضِهِمْ، وَأَيْضًا فِي أَصِيقِ الْحُدُودِ.

ذَابَتِ الثِّقَّةُ وَحَلَّ مَحَلَّهَا الْحَذَرُ مِنَ الْقَرِيبِ قَبْلَ الْبَعِيدِ.

فَهَلْ هُوَ فِعْلُ الْحَضَارَةِ وَالتَّمْدِينِ؟ أَوْ هُوَ إِحْسَاسٌ بِالْمَلَمَلِ مِنَ الْقَرِيبِ حِينَ كَانَتْ الْفُرُوضُ وَالْوَاجِبَاتُ وَالْإِلْتِزَامُ قِيَمًا مُتَّبَعَةً، وَكَانَتْ مُتَبَعَةً لِلنُّفُوسِ فِي وَقْتٍ لَمْ نَحِسْ بِهَذَا التَّعَبِ، وَلَمْ نَسْتَشْعِرْ بِضَرُورَةِ الْفُرْقَةِ وَالتَّفَرُّقِ قَبْلًا.

كَأَنَّمَا تَعَبَ الْإِنْسَانُ مِنَ الْإِنْسَانِ، وَلَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ أَنَّ سَطْوَةَ النَّفْسِ وَحُبَّ الذَّاتِ وَاعْتِقَادَ الْحُرِّيَّةِ بَعِيدًا عَنْ إلْزَامِ النَّفْسِ بِنِظَامِ الْفَرَضِ وَالْعَيْبِ وَالتَّزْيِيَةِ عَلَى الصَّحِّ وَالْخَطَأِ؛ أَثْقَلَ عَلَى النَّفْسِ لِمُمَارَسَةِ حَيَوِيَّتِهَا وَطَبِيعَتِهَا إِلَّا بِالْإِنْسِلَاخِ عَنْ وَاقِعِ مَعِيشٍ إِلَى وَاقِعٍ أَكْثَرَ انْفِلَاتًا، وَخَوْضِ تَجَرِبَةِ الذَّاتِ الْوَاحِدَةِ الْمُسْتَقْلَةِ عَنِ الذَّوَاتِ، وَكَأَنِّي أَرَى مَا لَمْ أَكُنْ

أَحْسَبُهُ وَأَعْتَقْدُهُ فِي سُورَةِ مِنَ سُورِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَلَكِنَّهُ مُسْتَبَقٌ لَوْقَتِهِ وَحِينِهِ فِي قَوْلِ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

{فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ
يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ} (سُورَةُ عَبَسَ: 33).

وَلَكِنَّ الْمُؤَسِّفَ أَنَّ الصَّاحَّةَ لَمْ تَحْنِ بَعْدُ وَكُلُّ يَفِرُّ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ!
أَقُولُ لَمْ تَأْتِ الصَّاحَّةُ حَتَّى نَقْتَنِعَ بِأَمْرِ اللَّهِ، لَكِنَّا نَرَى النَّاسَ وَكَأَنَّهُمْ سَمِعُوا الصَّاحَّةَ
فَهَرَّبُوا هُرُوبَ غَيْرِ مُودَّعٍ، وَلَكِنَّهُ هُرُوبُ الْحُبِّ مِنَ الْحُبِّ، وَإِقَامَةُ بَدِيلٍ لَهُ؛ حُبُّ الْكُذْرِ
لِلْكَذْرِ.

تَأَمَّلْتُ كَيْفَ كُنَّا نَنَامُ فِي غُرْفَةٍ صَغِيرَةٍ خَمْسَةَ أَوْ سِتَّةَ أَشْخَاصٍ أَوْ أَقَلُّ أَوْ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ،
وَمَا كُنَّا نَشْعُرُ بِالضِّيقِ مِنْ بَعْضِنَا، بَلْ كُنَّا نَزَاحِمُ عَلَى النَّوْمِ بَجَنِّبِ وَالِدَيْنَا أَوْ جُدُودِنَا، وَمَا
الَّذِي مِنْ نَوْمٍ بِقُرْبِ تِلْكَ الْقُلُوبِ الْحَانِيَةِ الْجَمِيلَةِ. كَانَتْ الْأَلْفَةُ وَالْعِشْرَةُ حَتَّى بَيْنَ الْجِيرَانِ
وَالْأَصْدِقَاءِ، كَانُوا يَقُومُونَ بِزِيَارَةِ مُحِبِّهِمْ أَوْ أَهْلِهِمْ أَوْ أَصْدِقَائِهِمْ، وَيَمْكُثُونَ عِنْدَهُمْ
بِالْأَسَابِيعِ أَوْ الْأَيَّامِ عَلَى قَلَّةِ ذَاتِ الْيَدِ، إِلَّا أَنَّ الْحُبَّ كَانَ هُوَ الشَّرَابُ وَالطَّعَامُ وَالِدَوَاءُ.
أَصْبَحَ الْعَصْرُ مُرِيبًا وَمُخِيفًا وَالْيَمَّا، تَقَطَّعَتِ الْعُرُوقُ وَالْجُدُورُ، وَتَفَكَّكَتِ الْأَوَاصِرُ،
وَأَصْبَحْنَا فِي فَرَاغٍ رُوحِيٍّ وَنَفْسِيٍّ وَحَسِّيٍّ.

نَعَمْ، كُلُّ مُعَانَاتِنَا النَّفْسِيَّةِ هِيَ نِتَاجُ قَطْعِ وَشَائِجِ الْقُرْبَى وَالصَّدَاقَةِ، وَقَدْ تَغَانَى الْبَعْضُ
عَنِ الْبَعْضِ، وَأَسْهَمَتْ كُورُونَا أَيْضًا مُسَاهَمَةً فَعَّالَةً فَرَضَتْهَا الضَّرُورَةُ الْمُلِحَّةُ عَلَى الْخَلْقِ،
وَجَاءَتْ لِتَقَرَّرَ قَرَارًا وَاجِبَ النِّفَازِ بِضُرُورَةِ التَّبَاعُدِ حِفَاطًا عَلَى النَّفْسِ مِنَ النَّفْسِ. أَصْبَحَ
الْإِنْسَانُ مُصْدَرَ ضَرَرٍ لِلْإِنْسَانِ يَجِبُ الْإِبْتِعَادُ عَنْهُ!

إِنَّهَا الصَّاحَّةُ السَّابِقَةُ لِأَوَانِهَا، أَوْ لَعَلَّهَا هِيَ، فَحَيَّ عَلَى الْفِرَارِ.

مَنْهَجُ الْفِكْرِ الْمَعَاوِرِ

الْفِكْرُ هُوَ ذَلِكَ الْهَيُولِيُّ الْعَظِيمُ فِي كَوْنِيَّةِ الْعَقْلِ، كَانَ وَمُنْذُ الْقَدَمِ يَتِمُّثَلُ فِي الصَّفْوَةِ مِنْ مُفَكِّرِي الْعُصُورِ قَبْلَ انْضِوَائِهِ تَحْتَ مُسَمَّى الْفَنِّ الَّذِي يَنْفَرَعُ مِنْهُ الشَّعْرُ وَالْأَدَبُ وَالْفَلَسَفَةُ وَالْقِصَّةُ وَالرَّوَايَةُ وَالرَّسْمُ وَالنَّحْتُ وَالتَّصْوِيرُ، وَقَدْ سَارَتْ بِهِ الْمَوَاهِبُ، وَكَانَ لِكُلِّ فَنٍّ رُؤَاؤُهُ وَحُدُودُهُ وَمُتَابِعُوهُ عِبْرَ حَقَبٍ تَوَالَتْ عَلَيْهَا الْحَقَبُ، اثْبَتَ فِيهَا الْعَقْلُ الْبَشَرِيُّ انْتِمَاءَهُ لِلْجَمَالِ الْكُونِيِّ بِمَا يُجَسِّدُهُ مِنْ هَمٍّ وَانْفِعَالٍ نَفْسِيٍّ يُخْرِجُ مِنْ رَحِيقِهِ فَنًّا مُخْتَلِفًا أَنْوَاعُهُ وَالْوَانَهُ وَتَأْثِيرَاتُهُ عَلَى النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ فِي فَتْحِ أَبْوَابِ الْمَجْهُولِ وَالْمُعْلَقِ وَالْغَيْبِيِّ الْمَتَّاحِ اسْتِبْصَارُهُ.

وَقَدْ نَبَغَ الْكَثِيرُ وَبَرَزَ فِي عَالَمِ الْفَنِّ الَّذِي لَمْ يَدْعُ، وَيَظْهَرُ وَيَنْتَشِرُ مِنْهُ إِلَّا الشَّعْرُ فِي أَوَّلِ مُحَاكَاةِ الْفَنِّ فِي عَالَمِ الْعَرَبِ مُنْذُ امْرِئِ الْقَيْسِ وَمَنْ جَائِلُهُ أَوْ أَتَى بَعْدَهُ، وَاتَّخَذَ أَبْعَادًا وَشُكُولًا مُتَنَوِّعَةً فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ، وَخَرَجَ عَنِ الْغَرَضِ الْوَاحِدِ الْمُتِمُّثَلِ فِي الشَّعْرِ، وَفُتِحَتْ دَارُ الْحِكْمَةِ - الَّتِي أَقَامَهَا الْمَأْمُونُ - لِتُدْرَعَ آفَاقًا أُخْرَى وَإِبْدَاعَاتٍ شَتَّى أَفَادَتْ الْفِكْرَ الْإِنْسَانِيَّ وَتَلَاقَحَتْ مَعَهُ.

وَفِي كُلِّ أَحْوَالِ الْفَنِّ كَانَتْ الرِّيَادَةُ لِلشَّعْرِ الَّذِي عُرِفَتْ بِهِ الْعَرَبُ، وَقِيلَ عَنْهُمْ: إِنَّهَا الْأُمَّةُ الشَّاعِرَةُ.

نَرَى الْيَوْمَ تَحْدِيدَ إِقَامَةِ الْفَنِّ بِعَامَّةٍ، وَجَعَلَ كُلُّ أَنْهَارِهِ الْعَذْبَةِ تَصُبُّ فِي عَالَمِ السِّيَاسَةِ، فَلَمْ يَعْذُ ذَلِكَ الْفَنُّ هُوَ الَّذِي تَرَبَّتْ عَلَيْهِ الذَّائِقَةُ الْعَرَبِيَّةُ، وَأَصْبَحَ يَصُبُّ فِي آبَارِ السِّيَاسَةِ حِينَ قُيِّدَتْ حُرِّيَّتُهُ، وَأَصْبَحَ فَرَضًا عَلَى أَهْلِ الْفَنِّ أَنْ يَنْتَمُوا إِلَى شَيْعٍ وَأَحْزَابٍ وَمَذَاهِبٍ وَقِيمٍ وَأَعْرَافٍ جَدِيدَةٍ كُلُّهَا تَدُورُ فِي فَلَكِ السِّيَاسَةِ، فَتَدَاعَتْ رِسَالَةُ الْفَنِّ، وَأَضْمَحَلَتْ، وَتَكَادُ تَنْدَثِرُ وَتُصْبِحُ مِنْ تَرَاثِ الْعَابِرِينَ!

لَقَدْ ابْتَلَعَتْ سِيَاسَةُ الْقُوَّةِ كُلَّ الْفُنُونِ، وَمَا نَسْمَعُهُ أَوْ نَقْرُوهُ هُوَ مَا لَا نَسْتَشْعُرُهُ أَوْ نَتَفَاعَلُ مَعَهُ حَسِيًّا وَاسْتِشْرَافِيًّا، بَلْ إِنَّ السِّيَاسَةَ فِي مُجْمَلِهَا لَمْ يَعْذُ يَعْنِيهَا الْفَنُّ بِقَدْرِ مَا يَعْنِيهَا ابْتِكَارُ النُّظَرِيَّاتِ الْمُقَيَّدَةِ لِلْعُقُولِ الْمُفَكِّرَةِ إِلَّا بِأَمْرِ السِّيَاسَةِ فِيمَا تَحْتَاجُهُ مُدْعَمًا لَوْجُودِهَا فَقَطْ.

وَمَعْرُوفٌ أَنَّ الْفَنَّ لَا يُؤْلَدُ فِي ظِلِّ التَّقْيِيدِ أَوْ الْفَرَضِ، فَالْفَنُّ لَا يُؤْلَدُ إِلَّا فِي فِضَاءَاتِ الْحُرِّيَّةِ، وَهُوَ مَا يَفْتَقِدُهُ الْيَوْمَ أَرْبَابُ الْفَنِّ وَمُرِيدُوهُ.

لِأَنَّ الْفَنَّ لَيْسَ مِهْنَةً وَلَكِنَّهُ مَوْهَبَةٌ، وَالْمَوْهَبَةُ أَيَّا كَانَ نَوْعُهَا أَوْ اتَّجَاهُهَا تَمُوتُ وَتَنْتَبِهُ حِينَ تُغْلَقُ دُونَهَا أَبْوَابُ الْحُرِّيَّةِ الْفِكْرِيَّةِ، وَحِينَ يُفْرَضُ عَلَى الْعَقْلِ الْإِنْعِلَاقُ إِلَّا فِيمَا يُمَجِّدُ السِّيَاسَةَ وَالسِّيَاسِيِّينَ؛ ذَلِكَ مَا جَعَلَ الْفَنَّ مُجَرَّدَ سِلْعَةٍ تَبَاعُ وَتُشْتَرَى، وَلَيْسَتْ فِي سَبِيلِ الْفَنِّ خَالِصَةٌ.

لَقَدْ أَفْرَعَتْ عُقُولُ أَهْلِ الْفَنِّ مِنَ الْفَنِّ قَسْرًا حَتَّى لَا يَتَحَرَّرَ الْفِكْرُ الْإِنْسَانِيُّ مِنْ عُبودِيَّةِ الْأَنْظِمَةِ وَالتَّسْوِيقِ لَهَا فَقَطْ، فَانْعَزَلَ الْفِكْرُ الْمُنتَجِ لِضُرُوبِ الْفَنِّ، وَلَمْ تَعُدِ الْأَوْطَانُ تُقَاسُ بِقِيَمَةِ عُلَمَائِهَا وَشُعَرَائِهَا وَمُفَكِّرِيهَا وَأَدْبَائِهَا، بَلِ الْقِيَمَةُ لِلْهُيُوتِ الْوَطَنِيَّةِ أَصْبَحَتْ تُقَاسُ بِالْقُوَى الْإِعْتِبَارِيَّةِ الْمُتَمَثِّلَةِ فِي السَّلَاحِ وَالتَّكْنُولُوجِيَا وَالتَّقْنِيَّاتِ وَالْمَالِ وَالسَّيْطَرَةِ عَلَى كُلِّ الْحُرِّيَّاتِ؛ لِتَكُونَ مَأْجُورَةً وَمُنْتَظَمَةً فِي عِقْدِ السِّيَادَةِ السِّيَاسِيَّةِ، وَهُوَ أَمْرٌ سَيَدْفَعُ بِالْفِكْرِ الثَّقَافِي وَالْمَعْرِفِيِّ إِلَى هَوَّةٍ سَحِيقَةٍ مِنَ الْجَهْلِ وَالْإِتْكَالِيَّةِ وَالتَّشْتِ، وَالتَّحَوُّلِ إِلَى قِطْعٍ مِنَ الْمَاشِيَّةِ لَا هَمَّ لَهُ إِلَّا الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ وَالتَّمَتُّعُ بِلَذَّةِ اللَّحْظَةِ، وَهَذَا ضِدُّ الْفِطْرَةِ الَّتِي مَا خَلَقَ الْعَقْلُ فِي خِلَاقِهَا إِلَّا لِلتَّفَكُّرِ وَالتَّأَمُّلِ، وَتَجَسُّدِ الْمَرِيَّ كَحَقَائِقِ، وَالْمُتَأَمُّلِ كَفَرَضِيَّاتٍ تَسْعَى إِلَى إِثْبَاتِ الْحَقَائِقِ الْكُؤْنِيَّةِ.

الآن، يَعْيشُ الْفَنُّ فِي عَصْرِ مَمْنُوعٍ فِيهِ التَّعْبِيرُ عَنِ الْحَقَائِقِ وَعَنِ الْآلَمِ وَعَنِ الْقِيَمَةِ لِلْعَقْلِ الْمُؤْهَبِ. أَضْحَى كُلُّ شَيْءٍ مَحْكُومًا بِتَشْرِيعَاتِ قَانُونِ التَّجْهِيلِ، عَلَى عِلْمٍ بِسُوءِ الْمُنْقَلَبِ، وَتَلْبِيسِ الْعُقُولِ الْمُفَكِّرَةِ بِثَقَافَةٍ وَاحِدَةٍ لَا فِكْرَ يَعْلو عَلَى الْفِكْرِ السِّيَاسِيِّ فِي الْعَالَمِ؛ هَذِهِ هِيَ الثَّقَافَةُ الْمُبْتَكِرَةُ.

أَيُّهَا الْعَقْلُ الْمُفَكِّرُ، قِفْ مَكَانَكَ لَا تَفَكِّرْ، نَحْنُ مَنْ يُفَكِّرُ عَنْكَ، وَأَنْتَ فَقَطْ الْمُنْفَذُ لِأَفْكَارِنَا، ذَلِكَ هُوَ الْعَقْلُ السِّيَاسِيُّ الَّذِي اخْتَرَلَ كُلَّ الْعُقُولِ فِيهِ.

مِنْ ذَلِكَ نَعْرِفُ أَنَّ مَا لِحَقَ بِالْفَنِّ الْفِكْرِيِّ وَجَمِيعِ مُعْطِيَاتِهِ مِنْ تَشْرُدْمٍ وَتَقَرُّمٍ وَاضْمِحْلَالٍ هُوَ بِسَبَبِ إِحْلَالِ فَنِّ الْفِكْرِ السِّيَاسِيِّ فَقَطْ دُونَ غَيْرِهِ، حَتَّى يَسُودَ ظِلَامُ الْجَهْلِ مَرَّةً أُخْرَى، فَمَتَى يَأْتِي مَنْ يُخْرِجُنَا مِنَ الظَّلَامِ إِلَى النُّورِ؟ وَمَا زِلْنَا نَنْتَظِرُ نَزُولَ الْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

29 مارس 2021

لُغَةُ الْكِتَابَةِ

فِي لُغَةِ الْكِتَابَةِ الْمُحْفُوفَةِ بِالْخَوْفِ يَكُونُ لِأُسْلُوبِ التَّوْرِيَةِ فَهْمٌ لَغَيْرِ الْبُسْطَاءِ وَالْدَّهْمَاءِ
مِنَ النَّاسِ حِينَ يَتَعَلَّقُ ذَلِكَ بِحُقُوقِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ لِلْمُجَاهَرَةِ بِالْحَقِّ قُوَّةٌ وَوَاجِبٌ أَخْلَاقِيٌّ
وَدِينِيٌّ مُلْزِمٌ.

أَمَّا فِي الْجَانِبِ التَّهْذِيبِيِّ لِلنُّفُوسِ فَمِنْهُ مَا يَسْتَحِقُّ الْمُجَاهَرَةَ، وَمِنْهُ مَا يَتَطَلَّبُ التَّقِيَّةَ إِذَا
كَانَ هُنَاكَ خَطَرٌ عَلَى النَّفْسِ الْقَائِلَةِ بِالْمُجَاهَرَةِ بِهِ، وَيُعَدُّ سَفْهًا وَطِيْشًا يَتَحَمَّلُ مَسْئُولِيَّتَهُ
مَنْ جَهَلَ قَدْرَ نَفْسِهِ.

إِنَّمَا هُنَاكَ أُمُورٌ بَشَرِيَّةٌ تَتَعَلَّقُ بِالْأَخْلَاقِ حِينَ يَفْتَقِدُ الشَّخْصُ اللَّبَاقَةَ وَاللِّيَاقَةَ، وَيَأْخُذُهُ
الْكِبَرُ، فَيُسَفِّهُ عَقْلَهُ بِالتَّعَدِّيِّ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ، بِمَا يَجْرَحُ النُّفُوسَ، وَيَكْسِرُ الْخَوَاطِرَ دُونَ حَقِّ
وَدُونَ جَرِيرَةٍ، فَيَكُونُ مِنْ حَقِّ الْوَلِيِّ أَوْ الْعَالِمِ أَوْ النَّابِهِ أَنْ يُعِيدَهُ إِلَى جَادَةِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ،
فَعُقُوبَةُ الْمَسَاسِ بِأَحَاسِيْسِ النَّاسِ يَكُونُ فِي أَحْوَالٍ كَثِيرَةٍ غَيْرِ مَرِيٍّ حِينَ تَكُونُ الْمَعَانِي
مَدْسُوسَةً خَلْفَ جِدَارٍ فَنَ كِتَابَةِ الْمَعْرِفَةِ، فَيَذْهَبُ أَذْرَاجُ الرِّيَّاحِ فِي عَقْلِ الْبُسْطَاءِ، وَيَبْقَى
رَهْنُ التَّمَحِيصِ وَالتَّدْقِيقِ وَاجْتِلَاءِ الْفِكْرَةِ، وَالْهَدَفِ مِنْهَا فِي عُقُولِ النَّابِهِينَ.

حِينَ تَجْهَلُ النَّفْسُ أَقْدَارَهَا، وَتَعْتَمِدُ عَلَى رِفْعَةٍ وَقُدْرَةٍ مُوْهُومَةٍ، وَتَنْسَى وَاجِبَاتِ
التَّعَامُلِ مَعَ الشُّعُورِ الْإِنْسَانِيِّ فِي عُنْجَهِيَّةٍ مَقِيَّتَةٍ، وَصَلَفٍ وَاسْتِبْدَادٍ غَيْرِ مَرْدُودٍ بِعَقْلِ أَوْ
قَلْبٍ أَوْ حَقِّ يَسْتَوْجِبُ الدِّفَاعَ عَنْهُ، أَوْ ضَرٌّ يَتَطَلَّبُ رَدَّهُ بِقُدْرِهِ أَوْ الدِّفَاعَ عَنِ الظُّلْمِ،
وَبِمَا لَا يُلْحِقُ ضَرَّرًا بِالنَّفْسِ الْقَائِلَةِ الْعَاقِلَةِ، وَالْمُدْرِكَةِ لِمَا تَقُولُ هُنَا، فَالْأَوْلَى أَنْ
يُبَادِرَ أَهْلُ الْحِكْمَةِ بِالتَّصَدِّيِّ وَالْوُقُوفِ فِي مَرَاجَعَةِ الْمُعْتَدِي حَتَّى يَعُودَ إِلَى رُشْدِهِ،
وَيَعْلَمَ أَنَّ لِكُلِّ فِعْلٍ رَدَّةً فِعْلًا، رُبَّمَا هُنَاكَ مَنْ يَعْرِفُ وَيَعْرِضُ عَنْ جُهَاْلَهَا، إِنَّمَا إِذَا
كَانَ مِمَّنْ يَزْعُمُ الْعِلْمَ وَالْفَهْمَ وَالْأَدَبَ، فَإِنَّ مِنْ أَوْجِبِ الْوَاجِبَاتِ أَنْ تُرَبِّهَ مَكَامِنَ
الْخَطَأِ فِي إِصَابَةِ قَوْمٍ بِجَهَالَةٍ؛ لِعُرُورِ فِي مَالٍ أَوْ جَاهٍ أَوْ مَنْصِبٍ، فَتَبْدَأُهُ بِالْحُسْنَى، فَإِذَا
تَكَابَرَ وَاسْتَمَرَّ فِي غِيِّهِ هُنَا يَسْتَوْجِبُ الْعُقُوبَةَ الشَّدِيدَةَ مِنَ الْمُجْتَمَعِ أَوْ الْوَلِيِّ أَوْ النَّظَامِ.

فَكَيْفَ وَقَدْ نَرَىٰ أَنَّ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ تُهْدَبَ نَفْسٌ أَسْفَرَتْ عَنْ وَجْهِ الْقُبْحِ وَالنَّيْلِ
مِنَ النَّاسِ بِلَا حَقٍّ أَوْ ذَنْبٍ يَقْتَضِي الدِّفَاعَ عَنِ النَّفْسِ وَالذُّودَ عَنْ كَرَامَتِهَا، فَلَوْ كَانَ
خَطَأً لَزِمَ الْإِعْتِدَارُ طَالَمَا لَمْ يُلْحَقْ أَذَى مَادِّيًّا مَلْمُوسًا، وَعِنْدَمَا يَفْتَقِدُ مُعْتَدٍ إِلَى لُغَةِ
الْعُذْرِ وَتَمَادَى وَجَبَ كَمَا قُلْنَا مِنْ وَضْعِهِ فِي مَكَانِهِ الصَّوَابُ؛ حَتَّى يَعْرِفَ أَنَّ مَشَاعِرَ
النَّاسِ لَيْسَتْ مَمْلُوكَةً لَهُ لَكِي يَنْفُتَ مَرَضُهُ وَضِيقُهُ، وَيُفَجِّرَ نَارَ ثَوْرَتِهِ وَحِقْدِهِ عَلَى
الْآخَرِينَ، فَهَنَّاكَ ضَوَابِطُ أَخْلَاقِيَّةٍ قَامَ عَلَيْهَا الْعَقْلُ وَالْقَلْبُ فِي تَجَاوُزِهَا عِنْدَ بَسَاطَتِهَا
يَكُونُ الْعُذْرُ عِقَابًا لَهَا، وَعِنْدَمَا تَحْمِلُ الْإِيذَاءَ الْبَدَنِيِّ أَوْ الْمَالِيَّ فَهَنَّا اسْتَوْجَبَ فَاعِلُهَا
عُقُوبَةً أَشَدَّ مِنْ قَبْلِ الْوَلِيِّ لِلرَّدْعِ؛ حَتَّى لَا يَسْتَهِينَ بِهَا الْكُلُّ، وَيَتَعَذَّرَ التَّعَاشُ الْإِنْسَانِي
مَعَ الْكُلِّ. وَاللَّهُ الْهَادِي لِحَيْرِ الْأَعْمَالِ وَالْأَمَالِ وَالْأَقْوَالِ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

5 أبريل 2020

وَبَاءُ جُنُونِ الْبَشَرِ

أَفَرَزَ مَرَضُ كُورُونَا مَرَضًا آخَرَ هُوَ مَرَضُ جُنُونِ الْبَشَرِ وَالنَّيْلِ مِنْ بَعْضِنَا بَعْضًا عَلَى صَفَحَاتِ هَذَا النَّتِّ.

هَذَا يَسْتَمُّ هَذَا، وَذَلِكَ يَتَّهِمُ ذَاكَ، وَكَأَنَّ هُنَاكَ ثَأْرًا أَوْ تَصْفِيَاتٍ حِسَابَاتٍ قَدِيمَةٍ بَيْنَ هَذَا وَذَلِكَ.

الْعَالَمُ يَتُّنُّ مِنْ وَطْأَةِ مَرَضِ كُورُونَا، وَالْبَعْضُ مُتَفَرِّغٌ لِسَنِّ حَمَلَاتٍ عَدَائِيَّةٍ ضِدَّ الْبَعْضِ لِنَرَى أَنَّ قَامُوسًا جَدِيدًا يَحْوِي كَثِيرًا مِنَ الْبَدَآءِ وَالسَّفَالَاتِ وَالْمُوبِقَاتِ أَضْحَى هُوَ الْبَدِيلُ عَنِ قَامُوسِ الْأَخْلَاقِ.

هَلْ أَصَابَ النَّاسَ مَسٌّ مِنَ الْجِنِّ حَتَّى خَرَجُوا عَنْ نِطَاقِ الْخُلُقِ السَّوِيِّ وَعَنِ الْمَأْلُوفِ وَالْفِطْرَةِ وَالْعَادَةِ وَالْعُرْفِ؟

فَكَيْفَ وَقَدْ جَنَّ الْكَثِيرُ وَخَرَجُوا عَنِ اللَّيَاقَةِ وَالْأَدَبِ وَالْإِحْتِرَامِ لِنَرَى هَذَا التَّخَاصُّمَ غَيْرَ الْمُبَرَّرِ؟

إِنَّ جُنُونَ الْبَشَرِ يَكَادُ يَعْمُ الْعَالَمُ أَكْثَرَ مِنْ كُورُونَا، وَالْخَشْيَةُ أَنْ يَتَحَوَّلَ هَذَا الْجُنُونُ إِلَى وَبَاءٍ عَالَمِيٍّ يَضَعُوبُ عِلَاجَهُ، وَالْخَوْفُ الْأَكْبَرُ أَنْ يَتَعَذَّرَ عِلَاجُ هَذَا الْجُنُونِ، بَلْ وَيُضْبَحَ هُوَ الطَّاعُونَ الْأَكْبَرُ الَّذِي يَقْتُلُ الْعَالَمَ، وَيُنْذِرُ بِحُرُوبِ الْمَجَانِينِ، وَيَتَعَذَّرُ وُجُودَ مُسْتَشْفِيَّاتٍ تَكْفِي لِعِلَاجِ مَرَضِ جُنُونِ الْبَشَرِ.

احذَرُوا أَيُّهَا الْعُقَلَاءُ مِنْ مَرَضِ جُنُونِ الْبَشَرِ؛ فَهُوَ الْمَرَضُ الَّذِي سَيَدْمُرُ الْكَرَّةَ الْأَرْضِيَّةَ، لَا مَرَضُ كُورُونَا.

14 أبريل 2020

لَحْظَةُ الْغَضَبِ

كُلُّ نَابِضٍ بِالْحَرَكََةِ شَيْءٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ خَلَقَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ.
حِينَ نَغْضِبُ وَنَثُورُ يَجِبُ أَلَّا نَدْعُو أَوْ نَشْتِمَ الشَّيْءَ الَّذِي أَبْدَعَ اللَّهُ صُنْعَهُ وَتَكْوِينَهُ
وَأَوْجَدَهُ.

مَاذَا لَوْ فِي لَحْظَةِ الْغَضَبِ كُنَّا نَشْتِمُ وَنَدْعُو عَلَى اللَّاشِيءِ حَتَّى لَا نَقَعَ فِي مَوَاطِنِ الْإِثْمِ؟
فَنَقُولَ: لَعَنَ اللَّهُ اللَّاشِيءَ، وَأَضَرَّ اللَّهُ بِاللَّاشِيءِ، وَحَقَّرَ اللَّهُ اللَّاشِيءَ، وَأَهْلَكَ اللَّهُ
اللَّاشِيءَ.

أَمَّا فِي حَالَةِ الظُّلْمِ الَّذِي يَقَعُ عَلَى النَّفْسِ فَإِنَّ الشَّيْءَ يَكُونُ حَاضِرًا بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ.
وَأَيْضًا يَجِبُ أَلَّا نَدْعُو وَلَا نَشْتِمَ الشَّيْءَ، بَلْ نُحِيلْ أَمْرَهُ الظَّالِمَ إِلَى اللَّهِ، فَنَقُولَ: اللَّهُمَّ
عَذْلَكَ وَقِصَاصَكَ فِيمَنْ ظَلَمَنِي، فَلَا أَسَامُحُ ظَالِمِي، وَهَذَا كَيْ لَا نَقْتَصَّ قِصَاصًا لَيْسَ أَكْبَرَ
وَأَشَدَّ مِنَ الْقِصَاصِ الَّذِي يَتَوَلَّى اللَّهُ أَخْذَهُ لِلْمُؤْمِنِ.

17 أبريل 2021

فَكَّرُوا فِي الْحَيَاةِ

عندما نفكر نجد أن أكثر من أفكارنا قد فكر بها الأولون والآخرون، فنحبط ونقعّد عن التفكير؛ لكن التفكير نهر جار لا يتوقّف، ولم يأسن، بل هو متجدّد، فقط علينا أن نفكر كيف يكون لأفكارنا قيمة تكون إضافةً مبتكرةً للفكر الإنساني، تسهم بفاعلية في معرفة المتوقّع بعد انهيار العالم اقتصادياً، وما الحلول الفكرية التي تستنقذ الإنسان من براثن الجوع والفقر والمَرَضِ؟ بل كيف نستطيع الحفاظ على أوقاتنا من الماء والخبر لنعيش؟ العالم يسير كالهوام لا يدرك سوء المصير الذي يعن في قوادم المجهول والغيب، لكن القارئ الجيد لزمان عداد أهله يزيد على سبعة مليارات، وعلى ارتفاع معدلات نسب الفقر، وعلى تفاقم الحروب؛ سيدرك أن مستقبلاً قاتلاً يلوح ويلوح ببؤس العالم إن لم نطلق الفكر للعقول الملهمة في توسيع دوائر ومساحات الإنتاج، وإيقاف تصنيع السلاح لمحاولة منع اضطناع الحروب، وإلا فالقادم مؤذن بالخراب المدمر للإنسان قبل قيام القيامة الكبرى؛ لأننا لا نفكر، بل هناك أمريكا والصين وروسيا وأوروبا وغيرهم يفكرون نيابةً عنا، لانعدام حق التفكير في الحياة، إلا التفكير في الموت هو غير الممنوع، فكروا في الحياة قبل الموت، وفكروا في الموت بعد الحياة.

18 أبريل 2021

إِنَّمَا الْمُسْلِمُونَ إِخْوَةٌ

أَوَّلًا: نُرِيدُ أَنْ نَعْرِفَ - بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ - مَا هُوَ الْإِسْلَامُ، وَمَنْ هُوَ الْمُسْلِمُ، وَمَنْ هُوَ الْكَافِرُ.
ثَانِيًا: الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ أَقْرَأُ بِأُخُوَّةٍ - بِتَشْدِيدِ الْوَاوِ - الْمُسْلِمِينَ، وَلَكِنْ دُونَ تَمْيِيزٍ إِلَّا بِالتَّقْوَى (لَا فَرْقَ بَيْنَ عَرَبِيٍّ وَعَجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى)، وَهُنَاكَ دِلَالَاتٌ كَثُرَ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ، وَلَكِنْ فِي كُلِّ الْعُصُورِ - وَخُصُوصًا الْعَصْرُ النَّبَوِيُّ - لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ تَمْيِيزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بِإِنشَاءِ مَجْمُوعَةٍ أَوْ حِزْبٍ يُسَمَّى (إِخْوَانًا مُسْلِمِينَ).

إِذَا مَاذَا نُسَمِّي بَقِيَّةَ الْمُسْلِمِينَ فِي كَافَّةِ أَرْجَاءِ الْمَعْمُورَةِ؟ وَنَسْأَلُ: هَلْ كُلُّ مَنْ يَعِيشُ بِمَعْرِزٍ عَنْ حِزْبِ الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ لَيْسُوا مُسْلِمِينَ؟ وَهَلْ هَذَا يَعْنِي أَنَّهَا فَتَوَى بِالْإِنْصَوَاءِ تَحْتَ لَوَاءِ حِزْبِ الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ لِكَيْ يُثَبَّتَ الْمُسْلِمُ لِضِعَافِ الْفَهْمِ أَوْ الْمُتَغَلِّقِينَ فِكْرِيًّا وَالْمُتَرَمِّتِينَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ؟ وَهَلِ الْإِسْلَامُ هُوَ شَكْلٌ وَصَوْتُ أَمْ عَقِيدَةٌ وَنِيَّةٌ صَادِقَةٌ وَإِيمَانٌ بِاللَّهِ، وَلَيْسَ إِيْمَانًا بِحِزْبٍ أَوْ إِنْسَانٍ أَوْ مَجْمُوعَةٍ؟ وَإِلَّا فَإِنَّ الْإِنْتِمَاءَ إِلَى الْأَحْزَابِ وَالْأَشْخَاصِ مِنْ دُونِ اللَّهِ هُوَ شَرُّ بَوَاحٍ، فَالْمُسْلِمُ يَعْبُدُ اللَّهَ الْوَاحِدَ الْأَحَدَ الْفَرْدَ الصَّمَدَ، وَإِلَّا كَيْفَ يَكُونُ مُسْلِمًا، وَنَحْنُ نَعْرِفُ أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ الْإِسْتِسْلَامُ لِلَّهِ بِالطَّاعَةِ وَالْخُلُوصِ لَهُ مِنَ الشَّرْكِ.

ثَالِثًا: مَا مَعْنَى أَنْ نَنْسَبَ إِلَى مَنْ يُخَالِفُ حِزْبَ الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ بِالْعِلْمَانِيَّةِ؟ وَالْعِلْمَانِيَّةُ هِيَ نَظَرِيَّةٌ غَرْبِيَّةٌ أَمْرِيكِيَّةٌ، وَلَيْسَتْ دِينًا يَعُولُ عَلَيْهِ عَقَائِدِيًّا، بَلْ هُوَ يَدْخُلُ فِي إِطَارِ السِّيَاسَاتِ الْعَالَمِيَّةِ الَّتِي تَنْتَهِجُهَا الْحُكُومَاتُ، وَلَهُمْ تَفْسِيرَاتُهُمْ وَلَنَا تَفْسِيرَاتُنَا فِي هَذِهِ التَّسْمِيَةِ، وَلَنَا أَنْ نَأْخُذَ مَا يَتَّفِقُ وَعَقِيدَتُنَا وَالشَّرِيعَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ الصَّحِيحَةَ.

رَابِعًا: عِلْمُ أَصُولِ الدِّينِ هُوَ مَشَاعٌ وَلَيْسَ حِكْرًا عَلَى فِئَةٍ أَوْ طَائِفَةٍ أَوْ مَجْمُوعَةٍ أَوْ حِزْبٍ، فَإِنَّ الشَّرْعَ الْحَنِيفَ مَأْخُوذٌ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَمَا عَمِلَ بِهِ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ

- عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وَالتَّابِعُونَ، وَاجْتِهَادِ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ، وَمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ بِالْإِجْمَاعِ. أَمَّا التَّرْتُمُ وَالْتَنَطُّ وَاحْتِكَارُ الدِّينِ فِي فِكْرِ شَيْخٍ أَوْ عَالِمٍ يَدَّعِي وَيَهْرُفُ بِمَا لَا يَعْرِفُ؛ فَكَمَا قِيلَ: هُمْ رِجَالٌ وَنَحْنُ رِجَالٌ، وَلِكُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أُمِّهِاتِ الْكُتُبِ الْفِقْهِيَّةِ وَالْمِظَانِ الَّتِي تَعَارَفَ عَلَى أَنَّهَا تَأْخُذُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْمُطَهَّرَةِ، فَمَا عَلَيْنَا فِي الدِّينِ مِنْ حَرْجٍ، وَلَمْ تَكُنِ الْمَذَاهِبُ الْأَرْبَعَةُ وَالْإِجْتِهَادُ إِلَّا تَخْفِيفًا عَلَى الْمُسْلِمِ، بِرَغْمِ أَنَّ بَابَ الْإِجْتِهَادِ لَيْسَ بِالْمَعْمُولِ بِهِ إِلَّا فِي أَضْيَاقِ الْحُدُودِ فِي الْعَصْرِ الْحَاضِرِ، فَكَمْ بَلَيْنَا فِي هَذَا الْعَصْرِ بِالْمُتَمَشِّخِينَ وَالْمُتَفَقِّهِينَ وَالْمُتَاعِلِمِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّخِذُ الْعِلْمَ الدِّينِيَّ وَسِيلَةً يَنْتَسِرُ بِهَا لِأَغْرَاضٍ خَاصَّةٍ دُنْيَوِيَّةٍ، وَيَكْتَسِبُ بِهَا وَجَاهَةً عِلْمِيَّةً وَدِينِيَّةً عَلَى حِسَابِ الْبُسْطَاءِ وَالِدَّهْمَاءِ، أَوْ بُعْيَةٍ مَنَاصِبٍ لِلشَّرَاءِ.

وَمَعْرُوفٌ أَنَّ الْمَعْقُولَ وَالْإِسْلَامَ أَنْ يَكُونَ الْعَالِمُ مِنَ الَّذِينَ يَزْهَدُونَ فِي الدُّنْيَا، وَيَبْتَغُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَالْآخِرَةَ وَجَنَّةَ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، لَا مَنْ يَبْحَثُ عَنْ كُرْسِيِّ وَيَدَّعِي الْعِلْمَ، فَالْأَحْوَطُ لِرَجُلٍ الدِّينِ أَنْ يَبْتَغِدَ عَنْ مُغْرِيَاتِ الْمَنَاصِبِ الدُّنْيَوِيَّةِ.

1 أغسطس 2016

السَّفَهُ الشَّعْرِيُّ

انْظُرُوا إِلَى بَعْضِ الْأَعْلَامِ الْعَرَبِيِّ الْجَاهِلِ كَيْفَ سَوَّقَ اسْمَ مُحَمَّدٍ دَرَوِيشَ وَطَبَّلَ لَهُ بِأَنَّهُ شَاعِرٌ، وَلَوْ كَانَ غَيْرُ الْجُهَلَاءِ الْمَاخُودِينَ بِالْهَالَةِ الْمُطْفَأَةِ لَعَرَفُوا ذَلِكَ الَّذِي وَصَمَ الشَّعْرَ الْعَرَبِيَّ بِكَلَامِ الْمَجَانِينِ. كَلِمَاتٌ مَرْصُوصَةٌ كَرَصِيفٍ مُكْسَّرٍ عَلَى جَوَانِبِ الْأَمْكِنَةِ، فَأَيُّ شَعْرٍ يَقُولُ ذَلِكَ الْمَخْدُوعُ. انْظُرُوا مَعِيَ اللَّهُ لِلْكَلِمَاتِ الْمُتَقَاطِعَةِ الَّتِي لَا يُفْهَمُ مِنْهَا شَيْءٌ يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ مَا لَا يَسْتَطِيعُ قَوْلَهُ، فَيَعْتَرُ لِأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ صِيَاعَةَ الشَّعْرِ، وَلَيْسَ هُوَ الشَّخْصُ الْمَوْهُوبَ لِقَوْلِ الشَّعْرِ.

أَفِيقُوا أَيُّهَا الْجُهَلَاءُ مِنْ غَبَائِكُمْ، وَاتْرُكُوا التَّبَعِيَّةَ الْإِعْلَامِيَّةَ، فَالشَّعْرُ أَكْبَرُ مِنْ هَذَيْنِ هَذَا الْهَازِي بِكَلِمَاتِ الْمَجَانِينِ، فَمَا يَقُولُهُ لَيْسَ أَكْثَرَ مِنْ تَرْقِيعِ لِلْكَلِمَاتِ وَرَصْفِهَا، وَيُظَلُّ الْأَعْلَامُ الْعَرَبِيُّ الْجَاهِلُ يُسَوِّقُهُ لِلْمُهْتَرِنِينَ وَالْجُهَلَةِ، فَنَرَاهُ يَمُوتُ مَوْتَيْنِ: مَوْتُ حَقِيقِيٍّ، وَمَوْتُ شَعْرِيٍّ، فَهُوَ حِينَ صَدَّقَ أَكْذُوبَةَ الْوَهْمِ الْخَادِعِ (كَسْرَابٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً)، وَحِينَ انْتَسَبَ لِعَقْلِ مَلِيٍّ بِالتَّرَهَاتِ وَالسَّدَاجَاتِ أَوْقَعَ عَقْلَهُ فِي الْمَجْهُولِ الْفَنِيِّ بِمَا هِيَ الشَّعْرُ. فَأَيُّ شَعْرٍ قَالَ ذَلِكَ الْمُتَسَلِّقُ عَلَى أَفْتَانِ الشَّعْرِ، فَإِنْ مَا زَعَمَهُ شِعْرًا سَيَمُوتُ فِي عُقُولِ أَصْحَاءِ الْفِكْرِ الْإِنْسَانِيِّ؛ لِأَنَّهُ يَفْتَقِدُ إِلَى الطَّبَعِ الشَّعْرِيِّ وَالْمَوْهَبَةِ الشَّعْرِيَّةِ. مَسْكِينٌ هُوَ، وَمَسَاكِينٌ مَنْ صَفَّقُوا لَهُ وَيُصَفِّقُونَ لَهُ؛ لِأَنَّهُمْ وَهُوَ أَجْهَلُ مَا يَكُونُ بِالشَّعْرِ، وَحَفِظَ اللَّهُ شِعْرَنَا الْعَرَبِيَّ مِنْ مَلَا حِدَةِ الشَّعْرِ. أَقُولُ صَفَّقُوا أَكْثَرَ أَيُّهَا الْمَجَانِينُ، فَلَيْسَ عَلَى الْمَجْنُونِ حَرَجٌ.

21 ديسمبر 2015

أَهْلِيَّةُ الْجُنُونِ

كُنْتُ أَحَاوِلُ أَنْ أَتَعَقَّبَ ظَاهِرَةَ الْجُنُونِ فِي مَدْلُولَاتِهِ الْإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي تَطَّرَقَ إِلَيْهَا الْفَلَاسِفَةُ الَّذِينَ عُنُوا بِدِرَاسَةِ وَتَحْلِيلِ الْجُنُونِ، وَإِنْ كُنْتُ قَدْ اسْتَفَدْتُ فِي الْمُجْمَلِ بَعْضَ النَّظَرِيَّاتِ الَّتِي قَالَ بِهَا مُنْظَرُوهَا مُنْذُ الْقُرُونِ الْوُسْطَى وَإِلَى قَرْنِنَا الْحَاضِرِ.

وَقَدْ تَنَاوَلَ ظَاهِرَةَ الْجُنُونِ بِمَوْضُوعِيَّةٍ عِلْمِيَّةٍ وَأَخْلَاقِيَّةٍ الْفِيلَسُوفُ الْفَرَنْسِيُّ الْعَالَمِيُّ (ميشيل فوكو) فِي كِتَابِهِ (تَارِيخُ الْجُنُونِ فِي الْعَصْرِ الْكِلَاسِيكِيِّ)، وَإِنْ كُنْتُ أَرَى أَنَّ جَانِبَ الْعَاطِفَةِ فِي الْكِتَابِ يَمِيلُ إِلَى مُحَاوَلَةِ الْإِنْتِصَارِ لِلنَّفْسِ الْفَاقِدَةِ لِلتَّمْيِيزِ، وَتَجْرِيْمِهَا لِلْمُحَاوَلَاتِ الْعِلَاجِيَّةِ بِطَرُقٍ اعْتَبَرَهَا غَايَةً فِي الْقَسْوَةِ؛ إِذْ لَا يُمْكِنُ أَنْ نَنْفِي عَنِ الْمَجْنُونِ الشُّعُورَ غَيْرَ الْمُنْظَمِ، وَالْإِحْسَاسَ الْآنِيَّ الْمُحَدَّدَ بِالشُّعُورِ بِالْأَلَمِ، وَالتَّعْبِيرَ عَنْ حَالَةِ يَجْدُهَا الْمَجْنُونُ تَعْبِيرًا يَتَنَفَّسُهُ، لِذَلِكَ أَقُولُ بَعْدَ فَقْدَانِ الْعَقْلِ بِالْكَلِيَّةِ حِينَ نَرَى أَنَّ الْمَجْنُونِ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَنَامُ وَيَضْحَكُ، وَيَحَاوِلُ أَنْ يُعَبِّرَ بِجُنُونِهِ عَنْ شَيْءٍ مَا يَشْعُرُ بِهِ كَالْبُكَاءِ أَوْ الْإِنِينِ أَوْ الصَّرَاحِ فِي الْأَلَمِ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُ أَنَّهُ يَقُولُ أَوْ يَعْلَمُ عَنْ مَنَطِقِ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ؛ وَلَكِنَّهُ يُعَبِّرُ عَنْ إِرَادَةِ الْجُنُونِ، بَلْ هُوَ يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى قَابِلًا لِلتَّعْبِيرِ عَنِ الْحَاجَةِ الْمُلِحَّةِ الْمُفْتَرَضَةِ وَالْفَاعِلَةِ، وَتِلْكَ الْإِرَادَةُ تُعْطِيهِ حَقًّا بَسِيطًا فِي الْحَيَاةِ كَأَيِّ كَائِنٍ حَيٍّ لَهُ حُقُوقٌ وَلَيْسَ عَلَيْهِ حُقُوقٌ.

وَمِنْ خِلَالِ تَفْحُصِي لِحَيْثِيَّاتِ الْبَحْثِ فِي الْكِتَابِ فَإِنِّي أَكَادُ الْحُجَّ عَلَى جَانِبِ لَمْ يَتَطَّرَقَ إِلَيْهِ الْكَثِيرُ مِنْ دَارِسِي وَمُحَلِّلِي وَمُنْظَرِي هَذِهِ الظَّاهِرَةِ، وَهُوَ أَنَّ ظَاهِرَةَ الْجُنُونِ تُلْغِي عَنِ الْمَجْنُونِ الْقَوْلَ وَالْفِعْلَ الْمُجْرَمَ وَغَيْرَ الْمُجْرَمِ، وَهَذَا مَعْرُوفٌ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ تُعْطِيهِ الْحَقَّ كُلَّ الْحَقِّ فِي الْإِنْسَانِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ لِيَكُونَ لَهُ أَهْلِيَّةٌ إِنْسَانِيَّةٌ تُؤَكِّدُ بِحُقُوقِهِ فِي الْحَيَاةِ، وَحُقُوقِهِ فِي كُلِّ نَعَمٍ وَخَيْرَاتٍ وَمَوْجُودَاتِ الْحَيَاةِ الطَّبِيعِيَّةِ، كَمَا أَنَّ لَهُ حَقَّ الْإِرْثِ وَالتَّوْرِيثِ، وَلَا أَعْتَقِدُ أَنَّهُ يُمْنَعُ مِنْ حَقِّ الزَّوْاجِ إِنْ كَانَ فِي ذَلِكَ رَاحَةً لَهُ وَعِلَاجٌ؛ لِذَا وَجَدْتُ أَنَّ إِضَافَتِي هَذِهِ تُعْطِي بَعْدًا آخَرَ رُبَّمَا لَمْ يَأْتِ عَلَيْهِ فَلَاسِفَةُ الْعُصُورِ، وَأَقُولُ: (إِنَّ أَهْلِيَّةَ الْمَجْنُونِ الْإِنْسَانِيَّةِ) تُعْطِيهِ كَامِلَ الْحُقُوقِ الطَّبِيعِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ، لَتُمَثِّلَ تِلْكَ الْأَهْلِيَّةُ أَهْلِيَّةً عَاجِزَةً الْقُدْرَةَ عَلَى التَّمْيِيزِ، وَلَكِنْ هِيَ أَهْلِيَّةٌ إِنْسَانِيَّةٌ تُعْطِي وَتَتَعَامَلُ مَعَ الْمَجْنُونِ بِالْعَقْلِ الْعَاقِلِ بِأَنَّهُ إِنْسَانٌ لَهُ حُقُوقٌ كَأَيِّ إِنْسَانٍ، وَلَا عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ حُقُوقٌ لِإِنْسَانٍ.

تَنْوِيهِ

أَنَا ضِدُّ الْأَلْقَابِ الَّتِي تُمنَحُ لِلشَّاعِرِ، مِثْلُ: شَاعِرِ مَكَّةَ، أَوْ شَاعِرِ النَّيْلِ، أَوْ شَاعِرِ الْقُطْرَيْنِ، وَخُصُوصًا وَقَدْ كَانَ لِي مَعْرَكَةٌ أَدَبِيَّةٌ مَعَ الْأَدِيبِ الْكَبِيرِ الْفَرِيقِ يَحْيَى الْمَعْلَمِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - عِنْدَمَا طَلَبَ مِنِّي أَنْ أُوَافِقَ عَلَى مَنْحِ الشَّاعِرِ الْأَسْتَاذِ عَلِيِّ أَبُو الْعَلَا - رَحِمَهُ اللَّهُ - لَقَبَ شَاعِرِ مَكَّةَ، وَرَفَضْتُ التَّسْمِيَةَ بِهَذَا اللَّقَبِ؛ لِأَنَّ الشَّاعِرَ فِي نَظْرِي عَالَمٌ وَحْدَهُ، فَهُوَ يَتَجَاوَزُ الْأَوْطَانَ وَالْأَزْمَنَةَ، وَالشَّاعِرُ الْحَقُّ يَخْلُقُ بِشَعْرِهِ الْخُلُودَ، وَلَنْ تَزِيدَهُ الْأَلْقَابُ شَيْئًا مِنَ الْمَجْدِ إِنْ لَمْ يَكُنْ شَعْرُهُ هُوَ الَّذِي يَكْتُبُ لَهُ الْخُلُودَ حِينَ يَكُونُ مُؤَثَّرًا، وَيَمَسُّ أَحَاسِيسَ النَّاسِ، وَيَهْتَمُّ بِقَضَايَا الْإِنْسَانِ وَالْأَوْطَانِ، وَيَسْعَى إِلَى خَيْرِيَةِ الْحَيَاةِ.

أَمَّا إِطْلَاقُ الْأَلْقَابِ فَالشَّاعِرُ وَإِنْ رَفَضَهَا ضِمْنًا فِي نَفْسِهِ فَهُوَ لَا يَمْلِكُ الْحَجَرَ عَلَى آرَاءِ النَّاسِ؛ لِأَنَّ الْفِكْرَ نِعْمَةُ الرَّبِّ عَلَى النَّاسِ، وَالْكَلِمَةُ مُشَاعَةٌ لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ كَتَمَ صَوْنَهَا وَهِيَ تَصْدِغُ بِالْحَقِّ، وَيَكْفِينِي أَنَّنِي وَقَفْتُ بِشَعْرِي تَجَاهَ قَضَايَا أُمْتِي عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ، وَقَضَايَا الْأُمَمِ وَالْأَوْطَانِ فِي بُنْدِ الظُّلْمِ وَتَجْرِيمِ الظَّالِمِ بِكُلِّ جُرْأَةٍ، ذَلِكَ مَا جَعَلَ نُقَادَ الْأَدَبِ وَحَذَافَةَ الْكِبَارِ يَلْمُسُونَ صِدْقَ الرُّؤْيَى، وَجَلَالََةَ الْحِكْمَةِ، وَفَرَادَةَ الْأُسْلُوبِ، وَمَا حَظَّيْتُ بِهِ مِنْ تَكْرِيمٍ فِي الْمَحَافِلِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْدَوْلِيَّةِ هُوَ شَرَفٌ لَا أَدْعِيهِ، وَلَمْ أَكُنْ أَسْعَى إِلَى اقْتِنَاصِ الْفُرْصِ إِلَّا مَا قَسَمَهُ اللَّهُ لِي، وَهُوَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَسَيَبْقَى مَحَلٌّ فَخْرِي مَا وَافَقَ الْفِطْرَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ مِنْ اَزْدِهَاءٍ لَمْ يُخَالِطْهُ كِبَرٌ أَوْ غُرُورٌ أَوْ تَصَنُّعٌ بِمَا حَبَانِي اللَّهُ بِهِ مِنْ تَقْدِيرِ الْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ وَالْمُتَقَفِّينَ وَالْأَدْبَاءِ وَالشُّعْرَاءِ الْكِبَارِ، سَوَاءً عَلَى الْمُسْتَوَى الْعَرَبِيِّ أَوْ الْمُسْتَوَى الْعَالَمِيِّ؛ لِتَكُونَ سِيرَةُ حَيَاتِي تَارِيخًا مُضِيًّا بِحُرُوفِ الْأَلْقَى عَلَى صَفَحَاتِ الْكُتُبِ الَّتِي كَتَبَهَا أَصْحَابُ الْقِيَمَةِ وَالْقَدَرِ مِنْ أَرْبَابِ الْفَنِّ وَسَدَنَتِهِ عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بَاسِرَاحِيلَ) وَشَاعَرِيَّتِهِ وَشِعْرِهِ، وَعَنْ إِنْسَانِيَّتِهِ وَوَطَنِيَّتِهِ وَحُبِّهِ لِأَهْلِهِ وَأُمَّتِهِ وَأَوْطَانِهِ الْعَرَبِيَّةِ لَا يُنْكِرُهَا إِلَّا حَاقِدٌ أَوْ حَاسِدٌ يُجَافِي الْحَقَّ وَالْمَنْطِقَ وَالْوَاقِعَ.

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ كُلَّ مَا وَفَّقَنِي إِلَيْهِ خَالِصًا لَوَجْهِهِ، ثُمَّ لِقَوْمِي وَوَطَنِي الْعَرَبِيِّ الْكَبِيرِ وَالْوَطَنِ الْإِسْلَامِيِّ الْأَكْبَرِ. أَشْكُرُ رَئِيسَ وَأَعْضَاءَ اللُّجْنَةِ الْقَائِمَةِ عَلَى تَنْظِيمِ احْتِفَالِيَّةِ تَكْرِيمِي، وَأَقْدِمُ شُكْرًا خَاصًّا إِلَى صَاحِبِ السُّمُوِّ الْمَلِكِيِّ الْأَمِيرِ خَالِدِ الْفَيْصَلِ بْنِ عَبْدِ

الْعَزِيزِ؛ مُسْتَشَارِ خَادِمِ الْحَرَمَيْنِ، وَأَمِيرِ مَنْطِقَةِ مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ الَّذِي لَهُ الْيَدُ الْعُلْيَا فِي تَكْرِيمِي بِمَكَّةَ، بِمَا وَجَّهَ بِهِ - حَفِظَهُ اللَّهُ -، رَاجِيًا مِنَ اللَّهِ أَنْ يَحْفَظَ بِلَادِي وَشَعْبَهَا الْأَبْيَّ، وَيُعَلِّيَ دَرَجَاتِ الْجَمِيعِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَأَنْ يُهَيِّئَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشْدًا؛ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

9 ديسمبر 2016

الخُرُوجُ مِنْ أَرْزَامَاتِ النَّفْسِ

كَيْفَ تَفْرَحُ وَأَنْتَ مَهْمُومٌ: عِنْدَمَا يُلَامِسُ قَلْبَكَ الْهَمُّ أَعْطِهِ مِنْ وَقْتِكَ بِضْعَ دَقَائِقَ مِنَ الْحُزْنِ وَالْغَضَبِ وَالْأَلَمِ، ثُمَّ حَاوِلْ أَنْ تَخْلُدَ إِلَى النَّوْمِ، فَإِذَا اسْتَيْقَظْتَ مِنْ نَوْمِكَ مَارِسْ عَادَاتِكَ الْيَوْمِيَّةَ بِكُلِّ طَبِيعِيَّةٍ، ثُمَّ تَحَدَّثْ مَعَ أَيِّ شَخْصٍ حَتَّى تَسْتَفْرِغَ كُلَّ الْكَلَامِ الَّذِي تَوَدُّ قَوْلَهُ، لَا تَهْتَمَّ كَثِيرًا بِرَدِّهِ فَعَلْ مَنْ تَحَدَّثْتَ مَعَهُ إِنْ كَانَ سَلْبًا أَوْ إِيْجَابًا، أَنْتَ بِذَلِكَ تَشْعُرُ بِالرَّاحَةِ الْوَقْتِيَّةِ، وَلَكِنَّ هَمَّكَ مُوجُودٌ، لَكِنْ انْكَسَرَتْ حِدَّةُ الْهَمِّ، وَبَعْدَهَا فَكْرٌ فِي هُمُومِ النَّاسِ وَأَيْهِمْ أَعْظَمُ مِنْكَ هَمًّا، وَكَيْفَ اضْطَبَّرَ عَلَى حَمْلِ هَمِّهِ الْكَبِيرِ وَأَنْتَ مَشْغُولٌ بِهَمِّكَ الصَّغِيرِ، ثُمَّ قَارِنْ بَيْنَ الْعَافِيَةِ وَبَيْنَ الْمَرَضِ، وَبَيْنَ الْحَيَاةِ وَبَيْنَ الْمَوْتِ، وَبَيْنَ الْعَمَلِ وَالْفَرَاغِ، وَبَيْنَ الْفَرَحِ وَالْتَرَحِّ.

حَاوِلْ أَنْ تَنْشَغَلَ بِوَرْدَةٍ أَوْ بِشَجَرَةٍ أَوْ بِطِفْلِ أَوْ بِأَيِّ شَيْءٍ بَسِيطِ التَّعَامُلِ مَعَهُ، ثُمَّ فَكِّرْ بَعْدَهُ فِي تَرْتِيبِ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْحُلُولِ لِمُسْكِتِكَ، وَضَعْ ثَلَاثَةَ حُلُولٍ تُسَاعِدُ عَلَى تَجَاوُزِ مُحِنتِكَ، مِنْهَا تَخَيَّلْ أَنَّكَ لَسْتَ مُوجُودًا فِي الْحَيَاةِ، أَوْ أَنَّ هَمَّكَ لَيْسَ هَمَّكَ، بَلْ هُوَ هَمُّ غَيْرِكَ، أَوْ أَنَّكَ تَقْدِرُ عَلَى تَجَاوُزِ الْمُسْكِةِ الَّتِي أَهَمَّتَكَ، أَكِيدُ أَنَّ مَا أَهَمَّكَ لَا يَهْمُ النَّاسَ كَثِيرًا وَأَنْتَ مِنَ النَّاسِ، فَحَاوِلْ أَنْ تَسْتَأْنِسَ بِالنَّاسِ.

وَفِي كُلِّ الْأَحْوَالِ اسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَفَوِّضْ أَمْرَكَ إِلَيْهِ، وَسَتَرَى مَعَ تَقَادُمِ الْأَيَّامِ أَنَّ شَيْئًا مَا حَدَثَ وَتَغَيَّرَ، وَأَنَّ بَارِقَةَ أَمَلٍ تَحَقَّقَتْ دُونَ إِرَادَةِ مِنْكَ؛ إِنَّمَا هِيَ مِنْ طَبَائِعِ الْحَيَاةِ الَّتِي لَا يَدُومُ هَمُّ وَلَا سُرُورٌ، إِنَّمَا كُلُّ هَمٍّ زَائِلٌ إِنْ أُعْطِيَتْهُ الْوَقْتُ الْكَافِي لِكَيْ يَتَحَوَّلَ مِنَ الْمُوَاجَهَةِ إِلَى الْهَامِشِ، وَعِنْدَمَا تَسْتَصْغِرُ الدُّنْيَا تَصْغُرُ الْهُمُومُ فِي نَفْسِكَ. اللَّهُمَّ فَرِّجْ عَن كُلِّ مَهْمُومٍ.

1 مايو 2019

الْخَطَأُ مَبْعَثُ الصَّوَابِ

عِنْدَمَا أَرَادَنَا اللَّهُ أَنْ نَكُونَ جُنَاةَ الْخَطِيئَةِ أَرَادَنَا لِحِكْمَةٍ يَعْلَمُهَا وَيُعَلِّمُهَا خَلْقَهُ أَنْ يَكُونَ خَلَقَنَا اللَّهُ لِإِعْمَارِ الْأَرْضِ، وَلَا تَعْمُرُ الْأَرْضُ إِلَّا بِحَرَكَةِ الْجِسْمِ، وَحَرَكَةُ الْجِسْمِ شَرَايِينُ وَأَوْرِدَةٌ تَتَوَاصَلُ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى الْمَخِّ الَّذِي يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْعَقْلِ الْمُنْتَجِ لِلْفِكْرِ، وَالْحَرَكَةُ مُنْشَأُ الْأَعْمَالِ وَالْأَفْعَالِ، وَلِكُلِّ عَمَلٍ وَفِعْلٍ أَلَمٌ وَأَمَلٌ، وَمِنْ خِلَالِهِمَا يَنْتُجُ الْأَثَرُ إِنْ سَلَبًا أَوْ إِيْجَابًا، فَحِينَ تَبْدَأُ النَّفْسُ بِالشُّعُورِ بِالْحَرَكَةِ تَسْتَشْعِرُ بِالْقُوَّةِ بِاسْتِغْلَالِ كُلِّ أَعْضَاءِ الْجِسْمِ لِجَانِبِ التَّجَرِبَةِ أَوْ الْمُعَامَرَةِ لِلْعِلْمِ وَالْإِدْرَاكِ كَيْ تَحْدُثَ الْمُعَامَرَةُ، وَلَا بُدَّ مِنَ التَّسْلِيمِ بَانَ لِلْحَرَكَةِ بِكُلِّيَّاتِهَا الْعُضْوِيَّةِ فَهَمًّا، وَأَنَّ عَامِلَ الْخَطَأِ قَرِينُ الْحَرَكَةِ، إِذَا لَا بُدَّ مِنَ الْخَطَأِ كَيْ نَعْرِفَ الصَّوَابَ. لِذَلِكَ كَانَتْ الْخَطِيئَةُ هِيَ الَّتِي تُحَرِّكُ الْفِعْلَ لِيَنْتُجَ التَّحْقِيقُ لِلْإِرَادَةِ، وَالْخَطِيئَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا فِعْلٌ عَكْسُ الْفَضِيلَةِ الَّتِي تَدْعُو إِلَى الزُّهْدِ وَإِلَى الدَّعَةِ وَالسُّكُونِ وَالْعَمَلِ إِلَى الْقُوَّةِ أَكْثَرَ مِنَ التَّهَافُتِ عَلَى جَمْعِ النُّفُودِ وَالْفُنُوعِ، وَهَذِهِ الْخَلَائِقُ الْمَحْمُودَةُ وَالْمَفْرُوضَةُ فِي الْخَلْقِ حَقًّا، إِلَّا أَنَّ تِلْكَ الْخَلَائِقُ يَجِبُ إِلَّا يَكُونُوا إِلَّا فِي السَّمَاءِ، وَلَكِنَّهُمْ اسْتِثْنَاءٌ يَسْهُلُ عَدُّهُمْ فِي الْأَرْضِ، وَلَيْسَ لَهُمْ وُجُودٌ إِلَّا إِذَا تَحَايَنْتِ الْفُرْصُ لِنَفَرٍ مِنَ النَّاسِ يَرَوْنَهُمْ كَالْقَمَرِ وَهُوَ فِي كَمَالِ ضِيَائِهِ، وَهُوَ لَا هِمَّتُهُمْ عَلَى الدِّينِ أَحْرَصُ، وَعَلَى الطَّلَبِ أَمْنَعُ، وَإِلَى التَّقْوَى أَجْدَى وَأَنْفَعُ. وَلَكِنَّ الْأَرْضَ لَا يَبْنِيهَا إِلَّا حَرَكَةُ الْأَفْوِيَاءِ، وَالْقُوَّةُ حَمَالَةٌ أَخْطَاءٍ، وَإِنْ خَلَتْ مِنْ ضَرٍّ غَيْرٍ مُدْمِرٍ فِي الْكَثِيرِ، وَإِلَّا انْسَحَبَتْ عَلَيْهِمْ خِيُوطُ الْخُرُوجِ مِنَ النَّامُوسِ الْكُونِيِّ، وَكَمَا قُلْنَا قَبْلًا مِنْ أَنَّ الْخَطَأَ هُوَ الَّذِي بَنَى الْفَهْمَ فِي الْعُقُولِ، إِذَا إِنَّ الصَّوَابَ أَمِيلٌ إِلَى الْهُدُوءِ، وَلَا يَحْتَاجُ كَثِيرًا إِلَى حَرَكَةِ الْجِسْمِ لِحَقِيقَةِ ثَوَابِتِهِ الْخُلُقِيَّةِ كَالصَّامِتِ. وَنَحْنُ نَقْصِدُ بِالْخَطَأِ الَّذِي يَدْخُلُ فِي عَفْوِ اللَّهِ، لَا خَطَأٌ يَقُومُ عَلَى الظُّلْمِ وَالْجُرْمِ وَالْقَتْلِ وَالتَّدْمِيرِ أَوْ الْجُنُونِ، فَذَلِكَ يَخْرُجُ عَنْ دَائِرَةِ الْفَهْمِ الْكُونِيِّ لِحَقِيقَةِ خَلْقِ الْخَلْقِ فِي الْبِنَاءِ وَتَذَلِيلِ كُلِّ صَعْبٍ إِلَى مُمَكِّنٍ سَهْلٍ.

وَأَنَا أَقُولُ: إِنَّ لَا شَيْءَ يَبْنَى فِي الْأَرْضِ مَادِّيًّا أَوْ مَعْنَوِيًّا إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ مَنْ يَبْنِيهِ الْخَطَأُ، لِوُجُودِ الْجَهْلِ وَالنَّسْيَانِ وَالْعَدَاوَةِ وَغَيْرِهَا، إِذَا لَا بُدَّ مِنْ أَنَّ الصَّوَابَ لَا يَكُونُ بِغَيْرِ الْخَطَأِ صَحِيحًا، فَطَالَمَا قُلْنَا عَنِ الصَّوَابِ فَلَا بُدَّ لِكَيْ يَكُونَ صَحًّا أَوْ خَطَأً مِنَ التَّجَرِبَةِ،

وَالْأَيْ كَيْفَ يَكُونُ الصَّوَابُ صَوَابًا وَعَلَى مَاذَا؟ فَلْنَنْظُرْ إِلَى الْأَفْعَالِ وَنَحْنُ بِكُلِّ مَا تَحْمِلُ
نَفْسٌ مِنَ الْأَخْطَاءِ نُذِرُكَ كَيْفَ يَكُونُ الْخَطَأُ عَلَيْنَا فَضِيلَةٌ فِي الْعَمَلِ عَلَى مَعْرِفَةِ الصَّوَابِ،
وَالْعَمَلِ عَلَى سُلُوكِهِ لِتَحْقِيقِ مَا رِبِ النَّفْسِ فِي الْحَيَاةِ، ثُمَّ لِكَيْ تَتَفَاعَلَ الْقُدْرَاتُ الْجَسْمِيَّةُ
فِي تَحْقِيقِ الْإِرَادَةِ الْمُتَجَرِّدَةِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ إِلَّا لَوَجْهِ الْفِعْلِ الَّذِي يَتَوَجَّهُ أَوَّلًا لِلْمَعْرِفَةِ
الَّتِي لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَقُومَ إِلَّا بِالْخَطَأِ.

15 مايو 2022

مُحَاكَمَةُ الْفِطْرَةِ

قَالَ لِي مُحَدِّثِي: إِنَّ النَّاسَ اعْتَقَدُوا أَنَّ قَابِيلَ الَّذِي قَتَلَ أَخَاهُ هَابِيلَ قَدْ مَاتَ، وَإِنَّ إِخْوَةَ يُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَدْ مَاتُوا؛ لَكِنَّ الْحَقِيقَةَ أَنَّ مَوْتَهُمْ مَبْنِيٌّ عَلَى حَقِيقَةِ الْخَيَالِ الْإِفْتِرَاضِيِّ لَا افْتِرَاضِ خَيَالِ الْحَقِيقَةِ، فَفِي حَقِيقَةِ الْخَيَالِ الْإِفْتِرَاضِيِّ تَدْعِيمٌ لِلْوَقَائِعِ الَّتِي جَرَتْ بِبُتُوبِ الْمَوْتِ لَهُمْ، وَفِي افْتِرَاضِ خَيَالِ الْحَقِيقَةِ اثْبَاتٌ لِعَدَمِ الْمَوْتِ، فَعِنْدَمَا نَتَحَقَّقُ مِنْ أَنَّ الْمَوْتَ صَيْرُورَةُ الْكَائِنَاتِ الْحَيَاتِيَّةِ وَغِيَابٌ وَانْعِدَامٌ الصُّورَةِ الْمَرْتَبَةِ لِلْكَائِنِ الْحَيِّ تَتَجَلَّى لَنَا فِي صُورَةِ الْعَدَمِ بِنَقِيضِهَا، فِيمَا يُدَلِّلُ عَلَى الْوُجُودِ لِنَتْلِكَ الْكَائِنَاتِ الْأَسْطُورِيَّةِ الَّتِي أَضَحَّتْ إِفْرَارًا بِعَدَمِيَّةِ الْوُجُودِ وَحَيَاةِ الْعَدَمِيَّةِ فِي مِرَاةِ الْإِنْبِثَاقِ الصَّحْوِيِّ لِكَائِنَاتِ الْمَعْدُومِ، لَيْسَ عَلَى سِيرَةِ تَرَاجُعِ أَمْثُولَةِ أَهْلِ الْكَهْفِ، وَلَيْسَ فِي الْمُمْكِنَةِ التَّفْصِيلِ كَمَا قِيلَ رَجْمًا بِالْغَيْبِ، إِذْ إِنَّ الْأَحْدَاثَ مُعَيَّنَةً عَنِ الْعُيُونِ وَالْقُلُوبِ إِلَّا مَا رَوَتْهُ الْكُتُبُ السَّمَاوِيَّةُ، وَمَا اسْتَدَلَّ عَلَيْهِ مِنْ خِلَالِ الْأَثَرِيَّاتِ غَيْرِ الْمُؤْتَقَةِ بِشَوَاهِدِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ إِلَّا مَا تَعَارَفَ عَلَيْهِ الْعَقْلُ بِالرُّوَايَةِ وَالتَّوَاتُرِ، وَمَا جَاءَ عَلَى لِسَانِ الْأَنْبِيَاءِ لِيَكُونَ التَّصْدِيقُ مِنْ عَدَمِهِ لَيْسَا هُمَا الْقَضِيَّةُ، وَإِنَّمَا تَكُونُ الْقَضِيَّةُ الصَّادِقَةُ غَيْرِ الْمُحَرَّفَةِ هِيَ فِي تَجْسِيدِ الْكَائِنِ الْإِفْتِرَاضِيِّ لِيَخِيَالِ الْحَقَائِقِ حِينَ يَنْبَعُ مِنْ مَرْقَدِهِ الْوَهْمِيِّ إِلَى افْتِرَاضِيَّةِ حَقَائِقِ الْخَيَالِ لِيَكُونَ الْمَعْدُومُ أَثَرًا مُوْجُودًا تَأْثِيرًا فِي أَرْزَلِيَّةِ التَّكْوِينِ، بِحَيْثُ نَرَى مِنْ خِلَالِ خَيَالِ حَقِيقَةِ الْمَرْتَبِيِّ صُورَةَ الْمُنْدَثِرِ وَالْمُتَعَاقِبِ عَلَيْهِ مِنْ شُخُوصِ الْمُحْدِثِينَ لِلْأَثَرِ، وَهُمْ لَا يُمَثِّلُونَ الْأَهَمِّيَّةَ بِقَدَرِ مَا يَهُمُّ فِي تَجْسِيدِهِمْ خَلْقًا أَرْزَلِيًّا غَيْرَ قَابِلٍ لِلْإِنْقِرَاضِ أَوْ الْعَدَمِ، طَالَمَا أَنَّ الْفِكْرَ مُنْشَغِلٌ بِالتَّعَاقِبِ وَالتَّوَاتُرِ لِحِفْظِ مَكْنُونِ الْأَحْدَاثِ الْمَرْوِيَّةِ لِيَخِيَالِ الْعَقْلِ الْمُتَوَارِثِ لِيَخِيَالِ الْحَقِيقَةِ، لَا حَقِيقَةَ الْخَيَالِ بِفَرْضِيَّتِهَا، وَإِنَّمَا يَكُونُ الْمُتَحَقِّقُ أَنَّ الرُّوَايَاتِ أَصْبَحَتْ تُمَثِّلُ مَشَاهِدَ حَاضِرَةٍ فِي الْأَزْمَانِ يَتَنَاقَلُهَا الْفِكْرُ عَبْرَ أَجْيَالِهِ وَعُصُورِهِ تَصْدِيقًا لَا تَأْوِيلًا جَدِيدًا يَنْتَقِصُ أَوْ يَتَزَيَّدُ عَلَى الْمَوْرُوثِ خَيَالِيًّا إِذَا أَصَابَ تَأْكِيدُنَا عَلَى أَنَّ الزَّمَانَ كَانَ بَدَائِيًّا يُسْتَشْرَفُ وَقَائِعُهُ مِنْ طُفُولَةِ الْبَدَايَاتِ إِلَى شَبَابِ الْيَقِينِ الْإِفْتِرَاضِيِّ.

مِنْ ذَلِكَ نَرَى أَنَّ شَخْصِيَّاتِ الْمَرْوِيِّ عَنْ قَتْلِ قَابِيلَ لِهَابِيلَ، وَعَنْ رَوَايَةِ إِخْوَةِ يُوسُفَ حِينَ الْقُوَّةِ صَغِيرًا فِي غِيَابَةِ الْحُبِّ؛ لِنَكُونَ مَعْنِيَيْنِ كَثِيرًا بِدَوَاعِ الْغَيْرَةِ وَالْحِقْدِ وَالْحَسَدِ الَّتِي تُؤَكِّدُ حَيَاةَ الْأَحْدَاثِ وَالْوَقَائِعِ فِيهِمْ وَمِنْهُمْ، وَفِي الْكَائِنَاتِ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَتَدْفَعُ بِعَدَمِ

التَّوَهُّمُ وَالتَّخَرُّصُ وَالْكَذِبُ مِنْ خِلَالِ تَجْسِيدِ حَقِيقَةِ صَدَقِ الرِّوَايَاتِ، وَتَكْذِيبِ احْتِمَالَاتِ الْأَسَاطِيرِ، بَلْ يَتَأَكَّدُ لِلْفِكْرِ الْوَاعِي مِنْ خِلَالِ صِفَاتِ مَا جَاءَ عَلَى وَقَائِعِ تَعَاقُبِ الزَّمَانِ عَنِ الْغِلِّ وَالْحَقْدِ وَالْحَسَدِ أَنَّ قَابِيلَ وَهَابِيلَ وَإِخْوَةَ يُوسُفَ لَمْ يَمُوتُوا؛ إِنَّمَا هُمْ أَحْيَاءُ فِي الْأَفْعَالِ وَالصِّفَاتِ، أَرْلِيُونَ لَمْ يَمُوتُوا قَطُّ حَتَّى هَلَكَ الْأَرْضَ عَلَى مَا انْطَبَعَتْ بِهِ فِطْرَةُ الْعَدَاوَاتِ وَمُوجِبَاتِهَا لِتَحْيَا الْكَائِنَاتُ عَلَى جَرَائِرِ الْمَوْرُوثِ، وَتُصْبِحَ هِيَ أَشْخَاصَ قَابِيلَ وَهَابِيلَ وَإِخْوَةَ يُوسُفَ بِالْأَثَرِ الْفِطْرِيِّ لَا بِالتَّأْثِيرِ الْاِكْتِسَابِيِّ، وَخُصُوصًا وَشَوَاهِدُ الْحَالِ هِيَ مُصَدِّقِيهِ عَدَمَ مَوْتِهِمْ؛ لِأَنَّ الْمَوْتَ خَيَالُ افْتِرَاضِيٍّ لَمْ تَتَحَقَّقْ صِحَّتُهُ بِوُجُودِ تَعَاقُبِهِ فِي الْكَائِنَاتِ الْخَلْقِيَّةِ الَّتِي مَا فَتَتْ تَرِينًا شُخُوصَهُمْ وَأَشْكَالَهُمْ وَعَدَاوَتَهُمْ وَأَنْتَاهَا كُهُمْ لِكُلِّ تَعَارِيفِ الْمُنْطَقِ وَالْعَقْلِ وَالْمَعْقُولِ، إِذْ كَيْفَ مَاتُوا إِذَا كُنَّا نَرَاهُمْ عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ فِي الْإِنْسَانِ الْمُكَرَّرِ وَالْمُقَدَّلِ لِأَفْعَالِ الْجَرَائِمِ الْعُدَوَانِيَّةِ نَفْسِهَا، وَنَفْسِ الْقَدْرِ الَّذِي يَنْتَهِي فِي كَلِّيَّاتِهِ وَجُزْئِيَّاتِهِ بِالْعَدَاءِ بَدَايَةٍ، وَبِالْقَتْلِ نَهَايَةٍ، حِينَ تَكُونُ الدَّوَاغِعُ غَرِيزِيَّةً فِي النُّفُوسِ، شِفَاءً لِمَا يُخْلِفُهُ الظُّلْمُ وَحُبُّ الْأَنَا وَحُبُّ التَّمْلِكِ الْفَرْدِيِّ لِلْأَشْيَاءِ الَّتِي أَغْرَتِ الْأَنْوَاتُ فِي فَرْدِيَّتِهَا لِتَسْتَأْتِرَ بِحُقُوقِ الْمَجْمُوعِ بِأَنْتِهَاجِ فَرْدِيٍّ أَوْ جَمَاعِيٍّ لِتَمْلِكَ يَنْتَهِي فَرْدِيًّا وَجَمَاعِيًّا بِاسْتِغْلَالِ كُلِّ عَوَامِلِ الْقُدْرَةِ عَلَى الْاِسْتِبْدَادِ وَالْاِسْتِعْبَادِ، لِيَهْنَأَ الْقَوِيُّ بِتَرَاثِ الضَّعِيفِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ شَرِيعَةَ السَّمَاءِ تُجَرِّمُ الْعَدَاوَاتِ وَالظُّلْمَ، وَلَكِنَّهَا تَرَكَّتِ الْخِيَارَاتِ الْعَدَائِيَّةَ وَالْعُدَوَانِيَّةَ مَفْتُوحَةً الْأَبْوَابَ وَمُطْلَقَةً الْأَيْدِي لِلظُّلْمِ، لِذَا يَجِبُ إِلَّا نَلُومَ وَلَا نَعَاقِبَ وَلَا نُجَرِّمَ الْعَدَاوَةَ وَالتَّبَاغُضَ وَالظُّلْمَ الْمُنْتَهِي بِالْقَتْلِ بِقَدَرٍ مَا نُجَرِّمُ الْفِطْرَةَ، فَكَيْفَ يُسْأَلُ الْجَانِي عَنْ جِنَايَةِ ارْتِكَبَهَا وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهَا كُلُّ الظُّلْمِ عِنْدَمَا نَقِيدُ الْمُطْلَقَ وَنُطْلِقُ الْمُقَيَّدَ، ثُمَّ نَعُودُ بِاللَّائِمَةِ عَلَى الْجِنَاةِ مِنْ كُلِّ أَنْوَاعٍ وَأَصْنَافِ الْكَائِنَاتِ الْمَفْطُورَةِ عَلَى الظُّلْمِ، وَهُنَا نَخْلُصُ إِلَى حَقِيقَتَيْنِ: الْأُولَى: أَنَّ قَابِيلَ وَهَابِيلَ وَإِخْوَةَ يُوسُفَ مَا مَاتُوا أَبَدًا، فَحَيَاةُ الظُّلْمَةِ وَالْمُجْرِمِينَ وَالْقَتْلَةَ مَا زَالَتْ تَجْسِيدًا مُحَقَّقًا لَهُمْ وَمِنْهُمْ فِي تَعَاقُبِ الظُّلْمِ فِي إِنْسَانِهِمْ.

وَالثَّانِيَّةُ: لَا يُمَكِّنُ لَنَا تَجْرِيْمُهُمْ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، إِنَّمَا التَّجْرِيمُ يَقَعُ عَلَى فِطْرَةِ الْعَدَاوَةِ وَالظُّلْمِ، فَلَوْ لَمْ تَكُنْ فِطْرَةُ الْعَدَاوَاتِ وَالظُّلْمِ وَحُبُّ الذَّاتِ وَحُبُّ التَّمْلِكِ مُوجُودَةً لَمَا كَانَ الْقَتْلُ وَالظُّلْمُ وَالْكَرْهُ وَالتَّبَغُّضُ مُوجُودًا بِالْمُطْلَقِ، وَلَمْ تَكُنْ الْقُوَّةُ الظَّالِمَةُ مَوْرُوثًا كَوْنِيًّا يَتَعَاقَبُ عَلَيْهِ النَّبْضُ الْخَلْقِيُّ، وَتَتَعَاقَبُ عَلَيْهِ الْأَزْمَنَةُ وَالْعُصُورُ وَالْدُّهُورُ وَالْآيَامُ عَلَى غَلْبَةِ الظُّلْمِ لِلْحَقِّ مِنَ الْأَقْوِيَاءِ عَلَى الضُّعَفَاءِ.

عَلَمَاءُ التَّخْرِيجِ مِنَ الدِّينِ

مِنْ أَدَبِ الْعِلْمِ إِلَّا تَتَحَدَّثَ فِيْمَا لَا تَعْلَمُ، وَأَنْ تُوَكِّلَ كُلَّ مَوْضُوعٍ إِلَى الْمُتَخَصِّصِينَ الْعَالَمِينَ بِهِ؛ وَلَكِنَّا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ نَجِدُ الْكَثِيرَ يَتَحَدَّثُ وَيُفْتِي وَيُعَلِّقُ بِدُونِ عِلْمٍ وَلَا فَهْمٍ، فَقَطَّ لِكَيْ يَبْرُزَ اسْمُهُ عَلَى (الْمِيدْيَا) بِأَنَّهُ عَلِيمٌ بِكُلِّ الْعُلُومِ، وَأَنَّهُ صَاحِبُ فِكْرٍ يَتَجَاوَزُ أَهْلَ الْعِلْمِ النَّوْعِيِّ وَالْمُتَخَصِّصِينَ وَالِدَّارِسِينَ، وَهُنَا تَرَى آفَةَ الْجَهْلِ، وَقَدْ أَصْبَحَ لَهَا أَنْصَارٌ وَمُرِيدُونَ وَمُسْتَمْعُونَ وَمُشَاهِدُونَ، وَصَارَ أَقْرَبَ شَيْءٍ إِلَى الشُّهْرَةِ تَخْصِيصُ قَنَوَاتٍ لِلْخَلَاعَةِ وَالْعُهْرِ وَالشَّمِّ وَالْقَذْفِ لِأَعْرَاضِ النَّاسِ وَالْخُصُومَاتِ غَيْرِ الْمُبَرَّرَةِ، بَلْ إِنَّ تِلْكَ الْخُصُومَاتِ هِيَ مَثَارُ الْوُصُولِ إِلَى الشُّهْرَةِ دُونَ وَازِعٍ مِنْ ضَمِيرٍ أَوْ حَيَاءٍ، بَلْ إِنَّ الْقُبْحَ وَالتَّبَجُّحَ وَالْإِنْفِلَاتِ الْأَخْلَاقِيَّ يَرَاهَا أَصْحَابُهَا مَدْعَاةً إِلَى الْفَخْرِ حِينَ تَظْهَرُ أَسْمَاؤُهُمْ، وَأَصْبَحَ عِلْمُ الْعُلُومِ فِي التَّعَرِّيِّ وَالتَّفْسُخِ وَالْإِسَاءَةِ إِلَى الدِّينِ وَالْعِرْضِ كَمَا أَرَادَ لَنَا دَعَاةُ الْحُرِّيَةِ وَاللَادِينِيِّينَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يُحَوِّلُوا الْمُسْلِمِينَ الْمُحَافِظِينَ إِلَى دِينِهِمْ وَقِيَمِهِمْ وَعَادَاتِهِمْ، وَإِلَى قَطِيعِ الْبَهِيمَةِ الْحَيَوَانِيَّةِ، وَقَدْ نَجَحُوا إِلَى حَدٍّ كَبِيرٍ فِي تَحْوِيلِ السَّوَادِ الْأَعْظَمِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قَبِيلَةِ الْإِنْحِلَالِ الْأَخْلَاقِيَّ، وَالتَّنْصُلِ مِنْ كُلِّ الْقِيَمِ وَالْأَعْرَافِ وَالْمَثَلِ الَّتِي تَعَارَفْنَا عَلَى أَنَّهَا أَهَمُّ الشَّعَارَاتِ الَّتِي يَفْتَخِرُ بِهَا الْمُسْلِمُ، وَالْقَادِمُ أَسْوَأُ، صَارَ الْعَيْبُ وَالْحَيَاءُ مُسْتَهْجَنًا وَمُسْتَهْزَأًا بِهِمَا، وَأَصْحَى الْعَيْبُ وَعَدَمُ الْحَيَاءِ مُحَبِّبَيْنِ إِلَى النَّفْسِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبِّي، نَجِدُ أَنَّ ادِّعَاءَ التَّقَدُّمِ وَالْحُرِّيَةِ هُمَا بِأَنْ تَهْجُرَ كُلَّ مَا كَانَ قَائِمًا مِنْ ثَوَابِتِ الدِّينِ وَالْقِيَمِ، وَنَرَى أَنَّ مَا قَادَ إِلَى هَذِهِ الِهْمَجِيَّاتِ وَالْإِنْفِلَاتِ الْأَخْلَاقِيَّ وَمُسَبِّبَاتِهِ ذَلِكَ الْحَجْرُ الْمَفْرُوضُ عَلَى الْعُقُولِ، وَفَرَضَ قَوَاعِدَ دِينِيَّةٍ قَسْرِيَّةٍ مُنْتَهَكَةٍ لِحُقُوقِ الْإِنْسَانِ مِنْ خِلَالِ ثَلَاثَةِ مِنْ أُدْعِيَاءِ الْعِلْمِ الدِّينِيِّ أَسْهَمَتْ إِلَى حَدٍّ كَبِيرٍ فِي تَضْعِيفِ وَتَكْرِيهِ الْبَعْضِ فِي الدِّينِ، بِمَا تَجَنَّوْا بِهِ عَلَى الدِّينِ وَالْقِيَمِ، وَبَثَّ تَعَالِيمَ خَاصَّةٍ هَدَفَهَا الْهَيْمَنَةُ وَالسَّيْطَرَةُ عَلَى الْإِنْسَانِ، وَخَلَقَ مَجْمُوعَاتٍ تَسْتُنُّ بِسَنَنِهِمْ تَحْتَ مِظَلَّةِ الْعُسْفِ وَالْإِكْرَاهِ وَالْمَهَانَةِ وَالْإِبْتِدَالِ وَالْعُنْصَرِيَّةِ، حَتَّى خَلَقُوا أَجْيَالًا كَرِهَتْ الدِّينَ، وَكَرِهَتْ الْقِيَمَ وَالْأَخْلَاقَ، وَرَأَتْ أَنَّ الْخَلَاصَ مِنْ جَبَرُوتِ تِلْكَ الطَّغْمَةِ هُوَ الْخُرُوجُ عَلَى الْعَقِيدَةِ، إِذْ إِنَّ لِكُلِّ فِعْلٍ رَدَّةً فِعْلًا، فَالْتَنَطُّعُ وَالْإِذْلَالُ لِكِرَامَاتِ النَّاسِ وَلَدَ مِنْ خِلَالِ سَدَنَةِ الدِّينِ الزَّائِفِينَ أَجْيَالًا تَكْرَهُ كُلَّ دَعْوَةٍ إِلَى تِلْكَ الْأَخْلَاقِيَّاتِ الْمُنْحَازَةِ إِلَى إِكْرَاهِ النَّفْسِ عَلَى تَعَالِيمِ الْأَذْيَانِ الْمُسْتَطْحَةِ

وَالْخَوَاءُ مِنْ حَقِيقَةِ تَعَالِيمِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ، فَكُلُّ مَنْ يُخْطِئُ تَلَحُّقَ بِهِ وَصْمَةُ الْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ وَالزُّنْدَقَةِ، وَأَصْبَحَتْ لُغَةُ التَّكْفِيرِ سَهْلَةً، وَرَاحَ كُلُّ شَيْخٍ يَخْلُقُ لِنَفْسِهِ سُلْطَةً يُعَاقِبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَلَوْ كَذِبًا وَزُورًا، حَتَّى تَرَكُوا فِي نَفُوسِ الشَّبَابِ الذِّلَّ وَالْخَوْفَ وَالْإِتِّصَاعَ وَالْإِكْرَاهَ بِسُلْطَةِ زَائِفَةٍ لَا تَقُومُ عَلَى أَحْكَامِ الدِّينِ.

وَلَيْتَدَكَّرُ مَعِيَ الذَّاكِرُونَ عَنْ مَآسٍ كَثِيرَةٍ كَانَتْ تُرْتَكَبُ فِي حَقِّ شَبَابِ الْأُمَّةِ مِنْ ضَرْبٍ وَامْتِهَانٍ، كَمَنْ كَانَ يُرَبِّي شَعْرَهُ، وَمَنْ يُطِيلُ ثَوْبَهُ، وَمَنْ يُغْنِي أَوْ يَضْرِبُ عَلَى آلَةِ الْعُودِ وَالْمَعَازِفِ!

لَكُمْ تَحْمَلُ شَبَابُ الْأُمَّةِ مِنْ بَعْضِ إِرْهَابِي الدِّينِ الْكَثِيرِ مِنَ الْأَضْرَارِ الْبَدَنِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ، وَتَضْلِيلِهِمْ بِالِانْتِسَابِ إِلَى الْجِهَادِ الْإِرْهَابِيِّ فِي مُخْتَلَفِ الْأَمْصَارِ، حَتَّى رَأَيْنَا الْيَوْمَ النِّقْمَةَ وَالْإِعْرَاضَ وَالْمُوَاجَهَةَ بِالْعَدَاوَاتِ وَالْكَرِهَ لِبَعْضِ رِجَالِ الدِّينِ الَّذِينَ أَسْرَفُوا فِي حَقِّ الْمُجْتَمَعَاتِ بِذَلِكَ الْإِرْهَابِ الْمُتَسَلِّطِ عَلَى الشَّبَابِ بِدَلِّ أَخَذِهِمْ بِاللِّينِ وَالْحُسْنَى، حَيْثُ نَرَى أَنَّ الدِّينَ يَدْعُو لِلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ وَأَقْوَمُ، لَا بِفَرْضِ الْعُقُوبَاتِ إِلَّا فِي الْحُدُودِ، يَقُولُ سُبْحَانَهُ لِرَسُولِهِ الْعَظِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِظَ الْقَلْبُ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} (سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: 159). وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} (سُورَةُ النَّحْلِ: 125).

أَلَيْسَ هَذَا مَا جَاءَ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ؟ فَأَيُّ شَرِيعَةٍ أُعْطِيَ لِنَتِكَ الزُّمْرَةِ الْحَقِّ فِي انْتِهَاكِ الْحُقُوقِ وَإِزْهَاقِ أَرْوَاحِ النُّفُوسِ؟ حَتَّى جَدَّ الزَّمَانُ وَعَرَفَ النَّاسُ أَنَّ حَقِيقَةَ الدِّينِ لَا تَقُومُ عَلَى الْإِكْرَاهِ وَالتَّرْهيبِ وَالْعُقُوبَةِ لِاتِّفَهِ الْأَسْبَابِ.

كَمَا كُنَّا فِي الْمَاضِي نُسَمِّي كُلَّ صَاحِبِ لِحْيَةٍ بِالشَّيْخِ، وَنَخَافُ مِنْهُ وَنَخْشَى عِقَابَهُ، وَنَسْعَى إِلَى رِضَاهُ، فَقَطَّ لِأَنَّهُ يَدَّعِي أَنَّهُ رَجُلٌ دِينٍ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ فِي الدِّينِ شَيْئًا، وَهُنَا جَعَلَ النَّاسُ الْخَوْفَ مِنْ رِجَالِ الدِّينِ أَكْثَرَ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ، وَإِنَّ هَذِهِ وَهَذَا وَتِلْكَ هِيَ الَّتِي عَصَفَتْ بِنُفُوسِ الشَّبَابِ، وَأَشَاعَتْ فِي نَفُوسِهِمُ الْحِقْدَ وَالْكَرَاهَةَ وَالْبَغْضَاءَ لِبَعْضِ رِجَالِ الدِّينِ، وَرَأَيْنَا الْيَوْمَ مَعَادَاةَ الْكَثِيرِ لِنَتِكَ الثَّلَاةِ الظَّالِمَةِ مِنْ رِجَالِ الْحِسْبَةِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَنَّ وَلِيَّ الْأَمْرِ أَدْرَكَ بِعَقْلِ الْوَاعِي السَّلْبِيَّاتِ لِنَتِكَ الْمَرْحَلَةِ، فَقَلَّصَ أَدْوَارَهُمْ وَسُلْطَتَهُمْ وَسُلْطَانَهُمْ حَتَّى لَا يُخْرِجُوا النَّاسَ مِنَ الدِّينِ، وَالدِّينُ مِنْهُمْ بَرَاءٌ.

وَالدِّينُ لَمْ يَدْعُ إِلَى الْإِكْرَاهِ، وَلَا إِلَى إِذْلَالِ كَرَامَاتِ النَّاسِ، بَلْ إِنَّ الدِّينَ دَعَا إِلَى حِفْظِ
الْإِنْسَانِ فِي مَالِهِ وَعِرْضِهِ وَنَفْسِهِ، فَمِنْ أَيْنَ جَاءَ أَمْثَالُ هَؤُلَاءِ الْجُهْلَاءِ بِدِينِهِمُ الَّذِي فَصَّلُوهُ
بِمَقَاسَاتٍ وَمَعَايِيرَ تَتَّفَقُ مَعَ حَقْدِهِمْ وَبُغْضِهِمْ وَفَرَضَ مَا لَمْ يُفَرِّضْ؟ وَسَيَأْتِي يَوْمٌ لَا يَكُونُ
لِمِثْلِ هَؤُلَاءِ الْقِسَاةِ الْقُلُوبَ مَوْقِعٌ وَلَا طَاعَةٌ لَهُمْ، بَلْ كُلُّ سَيَاخِذِ الدِّينِ بِالْوَسْطِيَّةِ الَّتِي دَعَا
إِلَيْهَا الْإِسْلَامُ، وَبِمَقُولَةِ: اسْتَفْتِ قَلْبَكَ.

وَإِنَّ ذَلِكَ الْعُنْفُوانَ وَالْجَبْرُوتَ هُوَ الَّذِي أَسَاءَ لِدِينِ اللَّهِ، وَجَعَلَ الْكَثِيرَ يَخْرُجُ عَنِ الدِّينِ
كَمَا رَوَتْ الرُّوَايَاتُ عَنِ الْحَجَّاجِ وَزَوْجَتِهِ حِينَمَا كَانَ يَقْرَأُ سُورَةَ النَّصْرِ {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ
وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ
تَوَّابًا} فَكَانَتْ وَهِيَ أَمَامَهُ تَقُولُ: وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَخْرُجُونَ مِنْ دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، فَكَانَ يَقُولُ
لَهَا الْحَجَّاجُ: بَلْ يَدْخُلُونَ يَا امْرَأَةَ، فَقَالَتْ لَهُ: أَمَّا فِي زَمَانِكَ فَيَخْرُجُونَ.

28 مايو 2020

فِتْيَةُ الصَّبْرِ

إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ أَرَادُوا إِلَى الْحَقِّ مَطِيَّةً، فَغَالَبَهُمْ أَهْلُ الْبَاطِلِ حِينَ أَشْرَعَ لَهُمُ الظُّلْمُ أَبْوَابًا يَلْجُونَ فِيهَا إِلَى رَمَائِمِ الدُّنْيَا، يَجْمَعُونَ مِنْ قَدَرِ الْبُهْتَانِ مَا أَفْرَحَهُمْ يَوْمًا مِنَ الزَّمَانِ، فَاصْطَبَرَ الْفِتْيَةُ عَلَى يَقِينٍ أَنَّ الْكِرَامَ لَا تَقِيمُ أَفْرَاحَهَا عَلَى شِمَتِ بِقَوَارِعِ الْإِلْدَاءِ، فَمَا يَثْبُتُ زَمَانٌ وَلَا يَقِفُ عَلَى ضِيَمِ الرُّحَمَاءِ، وَمَا يَلْبَثُ إِلَّا وَقْدَ اقْتَصَرَ عَلَى عَدَلٍ، وَجَارَ عَلَى جَوْرِ، وَأَبْدَلَ مِنْ بَعْدِ كَرْبٍ فَرْجًا، فَالنَّصْرُ مَعَ الْحَقِّ نَصْرَانِ: نَصْرُ الْحَقِّ وَنَصْرُ الصَّبْرِ. وَالنَّصْرُ مَعَ الظُّلْمِ مَرْهُونٌ بِالْهَزِيمَةِ وَإِنْ تَطَاوَلَ فِي الْأَزْمَانِ وَاسْتَقْوَى بِالشَّيْطَانِ. وَلَنْ تَسْتَقِرَّ نَفْسٌ عَمَدَتْ إِلَى الظُّلْمِ، وَلَا يَرْتَاخَ لَهَا بَالٌ وَلَا حَالٌ وَهِيَ تَدْرِي مَا تَلْبَسَتْهُ وَأَفْنَعَهَا عَلَى مُصَاحَبَةِ الْبُهْتَانِ، وَكَانَهَا نَسِيَتْ أَنَّ الدَّهْرَ لَا يَنْسَى، وَالْحَقُّ لَا يَمُوتُ، وَالْعِقَابُ دُنْيَوِيًّا وَآخِرَوِيًّا لَهُ مَوْعِدٌ لِلْفِعْلِ، فَمَنْ رَحَلَ سَيَتْرُكُ لِعَقِبِهِ لَعْنَةَ الظُّلْمِ، وَسُوءَ الْمُتَقَلِّبِ، وَقَلَى النَّاسَ لَهُ؛ فَلَا يَحْمَدُونَهُ فِي السَّرَّاءِ وَلَا يَصِلُونَهُ فِي الضَّرَّاءِ، وَلَكِنْ كَيْفَ تَجْمَعُ قُلُوبُ أُمَّةٍ عَلَى الرُّشْدِ وَهِيَ شَتَّى فِي مُرَادِهَا وَمَرَامِيهَا وَقَنَاعَاتِهَا عَلَى أَنَّ الْحَقَّ وَإِتْيَانَهُ يُمَثِّلُ شَرَفَ النَّفْسِ وَقُوَّةَ الْيَقِينِ وَرَفْعَةَ الْقَدْرِ، لِذَا فَإِنَّهُمْ فِتْيَةٌ عَكَفُوا عَلَى الصَّبْرِ، يُعَلِّمُونَ الْقُلُوبَ أَنَّ فِي النَّاسِ مَكَارِهِ تَمُوتُ عَقِيمَةً السَّنَدِ وَالْوَلَدِ. وَمَا تَرَى تَبْقَى بِالذِّكْرِ الْحَسَنِ مَدَى الْأَمَدِ، وَهَكَذَا هُمْ الْفِتْيَةُ الشُّمُّ، وَهَكَذَا الْخَلْقُ فِي الْأَبَدِ.

1 يونيو 2022

القرين

أَصْدُقْ أَنَّ الْإِنْسَانَ مَعَهُ قَرِينٌ، وَهُوَ لَيْسَ فَرْدًا، بَلْ هُوَ وَالْقَرِينُ كَالظَّلَالِ الَّتِي تَسِيرُ مَعَنَا، وَهُوَ تَأْكِيدٌ - أَيْضًا - لِمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ {قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتَهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ} (سُورَةُ ق: 27)، وَهَذَا مَنْ كَانَ قَرِينَهُ الشَّيْطَانُ، إِذَا الْقَرِينُ لَهُ دَوْرٌ فِي سَعَادَةِ الْإِنْسَانِ أَوْ شَقَايِهِ. الْقَرِينُ مُؤَثِّرٌ وَمُؤَثَّرٌ عَلَيْهِ، فَدَائِمًا نَحْنُ نَتَلَمَّسُ الْقَرِينَ كَثِيرًا فِي أَفْعَالٍ طَيِّبَةٍ أَوْ سَيِّئَةٍ، فَهُوَ أَنَا وَهُوَ وَأَنْتَ وَهُوَ، وَهُوَ مَنْ يُلَازِمُنَا وَيَسْكُنُنَا وَنَسْكُنُهُ، وَيُؤَافِقُنَا وَنُؤَافِقُهُ، وَيَمْنَعُ أَوْ يَقْبَلُ الْقَوْلَ وَالْفِعْلَ فِينَا وَمِنَّا، مُشَارِكًا عَلَيَّ رِضَى أَوْ كَرِهٍ، يَتَنَازَعُ الْقَرِينُ مَعَ إِنْسَانِهِ، وَلَكِنَّهُ يَمْضِي مَعَهُ وَيَتَوَافَقُ مَعَهُ، فَالْقَرِينُ يَحْيَا ظِلًّا شَفَافًا فِي إِنْسَانِهِ، وَيَمُوتُ مَعَهُ شُعُورًا وَإِحْسَاسًا وَقَوْلًا وَعَمَلًا، وَهُوَ كَمَا أَتَخَيَّلُهُ خَلْقًا هَلَامِيًّا كَأَنَّهُ تَوَامُ الْإِنْسَانِ شَبَهَا لَيْسَ لَهُ صُورَةٌ خَلْقِيَّةٌ مَنْظُورَةٌ كَالْمَاءِ وَالْهَوَاءِ، إِنَّمَا نَحْنُ نَتَحَدَّثُ مَعَ الْقَرِينِ فِي الْخَطَا وَالصَّوَابِ حِينَ نَقُولُ: (لَوْ فَعَلْتُ كَذَا لَمَا تَعَرَّضْتُ لِكَذَا)، وَكَأَنَّنَا نَعْتَبُ عَلَيَّ أَحَدَ مَا لَعَدَمَ مَنَعْنَا مِنْ فِعْلِ شَيْءٍ، فَهُوَ كَمَا يُقَالُ عَنِ الْإِنْسَانِ إِنَّهُ (يُلُومُ نَفْسَهُ) (وَيَزْجُرُ نَفْسَهُ)، أَوْ إِنَّهُ: (يُحَدِّثُ نَفْسَهُ)، وَلَكِنِّي أَحْسَبُ أَنَّهُ يُحَدِّثُ الْقَرِينَ السَّاكِنَ مَعَهُ فِي جِسْمِهِ وَنَفْسِهِ وَرُوحِهِ. (خَيَالٌ افْتِرَاضِيٌّ).

2 يونيو 2022

السَّجَلُ الْكُونِيُّ

لَيْسَ فِي مَضَامِينِ مَعَانِي الْمَوْتِ الْعَدَمُ، فَمَنْ وَقَعَتْ عَلَيْهِ الْإِرَادَةُ الْخَالِقَةُ فَهُوَ شَيْءٌ، وَالشَّيْءُ حَدَثٌ، وَالْأَحْدَاثُ حِينَ تُنْتِجُ آثَارَهَا تَكُونُ تَجَسُّيماً وَتَجَسُّيْداً مُتَحَرِّكاً فِي سَجَلِ التَّكْوِينِ اسْماً وَجِسْماً وَرُوحاً وَأَعْضَاءً تَتَحَوَّلُ إِلَى غِيَابٍ لَا إِلَى فَنَاءٍ، فَمُنْذُ الْأَزَلِّ وَهَذَا السَّجَلُ الْكُونِيُّ بِهِ كُلُّ مَخْلُوقٍ وَقَدْ تَجَسَّدَ صُوراً وَأَشْكَالاً تَظَلُّ مِنْ ثَوَابِتِ الْخَلْقِ وَالتَّكْوِينِ. وَإِنَّ كُلَّ الَّذِينَ قِيلَ عَنْهُمْ مَاتُوا، نَعَمْ مَاتُوا، أَيْ فَارَقُوا قَلِيلاً وَيَغِيبُونَ طَوِيلًا، إِنَّمَا هُمْ أَحْيَاءٌ يُرْزَقُونَ فِي عَوَالِمِ الْقَدَرِيَّةِ الْفَاعِلَةِ بِالْقُدْرَةِ وَالتَّقْدِيرِ وَالْإِرَادَةِ، وَلَوْ فَكَّرَ الْعَقْلُ لَمَا قَالَ بِالْفَنَاءِ وَقَالَ بِالْغِيَابِ، وَتَحَوَّلَ الشُّوْنُ الْإِرَادِيَّةُ فِي الْمَيِّتِ إِلَى خُصُوصِيَّاتٍ غَيْبِيَّةٍ، إِنَّمَا يَظَلُّ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ صُورَتُهُ الْمُتَحَرِّكَةُ فِي أَرْزَاقِ الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ، طَالَمَا أَنَّهَا حَدَثَتْ فَهِيَ فِعْلٌ لَا يَنْتَهِي، بَلْ يَسْتَمِرُّ، وَكُلُّ مَخْلُوقٍ يُعَدُّ ذَاتًا قَائِمَةً بِذَاتِهَا لَهَا حِسُّهَا وَشَكْلُهَا وَصُورَتُهَا وَفِعْلُهَا الْخَاصُّ، وَإِنْ تَجَانَسَتْ بِالْقَرَابَةِ الَّتِي تَتَأَصَّرُ بِالدَّمِ وَالنَّسَبِ، إِلَّا أَنَّ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ اسْتِشْعَارَهُ الْخَاصَّ بِالْمُتَعَةِ وَالْأَلَمِ، وَحِينَ نَتَأَمَّلُ وَنَتَفَكَّرُ فِي الْكُونِ الْخَلْقِيِّ، ثُمَّ نَقْرَأُ أَسْمَاءَ الْخَلْقِ فِي سَجَلِ الْكُونِ نَجِدُ أَنَّ فِي هَذَا السَّجَلِ رَقْمٌ مِنْ عَدَادِ أَرْقَامِ مَرْقُومَةٍ وَمَحْفُوظَةٍ لَا يُمَكِّنُ إِلَّا وَأَنْ تَكُونَ مَعْرُوفَةً جَيِّناً وَبَصْمَةً وَفِعْلاً وَحَدَّثاً لَمْ يَأْتِ فَارِعَاً، إِنَّمَا جَاءَ مُؤَثَّرًا وَمُتَأَثِّرًا، لِذَلِكَ هُوَ فِي حَضْرَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حَاضِرًا وَغَائِبًا بِالْمَوْتِ فِي عَوَالِمِ الْغِيَابِ، وَلَيْسَ الْفَنَاءُ وَالْعَدَمُ.

12 يونيو 2022

القيم الهادمة

الانقلاب على القيم الأخلاقية باسم الحضارة والتّمدّن ومواكبة الأمم المتقدّمة مدعاة إلى القلق النفسي، وإشغال لمواقف الحيرة في المجتمعات المحافظة دون ترسم الأهداف التي تحقّق التعادلية بين الانقلابات من عبودية القيم والمفاهيم القديمة التي سادت وأصبحت مسلمات قدرية في الأمة العربية المسلمة، وبين قيم تفرض واقعاً جديداً مستمداً من حضارات الأمم الملهمة المبدعة، إنّما هو ما يشكل اهتزازات في الفكر العربي تجعله مشتتاً بين الافتناع وبين الرّفص حين تكون الطّروحات غير مُقنعة لما يعتورها من خلخلة من عدم وجود الفكر الجدلي الذي يدعم مقومات الأفكار العالمة حين تكون النظرة إلى الأشياء تتمّ بعوامل الإنهيار والتقليد دون مواءمة أو انسلاخ يؤكّد صحة الذهاب إلى اعتناق مذاهب القديم أو الجديد، ودون استعداد نفسي يقوم على دراسة بحثية تتكامل فيما بين الفكر الفلسفي والفكر العملي لإنتاج الفكر الباني كما فعلت أمريكا وروسيا واليابان والصين كنماذج تحذو حذوها كثير من الدول، كل ذلك الانقلاب الذي يسعى إليه الفكر العربي مهدّد بالفشل إذا لم يصاحبه مدّ من الحرية المقننة التي تتركّ فسحة للعقل المبدع في شتى الاتجاهات، بعيداً عن الممنوع والمحظور وأهواء النفوس.

إذا، فإنّ مستقبل الأمة العربية سيراوح مكانه مُعتمداً على المنتج الفكري للدول المتقدّمة، وستظلّ كلمة (الشعوب المتخلّفة) ملازمة للأمة العربية حتّى يكون الأخذ بمعايير لا تتفاوت في التقدير والتنظير والعمل على تحقيق القدرة الفاعلة، وهو أمر يغيب عن مدركات العقل العربي الذي حذف من قواميسه كلمات الرّهان والسباق والعدل والمساواة والتشجيع والاعتراف والصدق والإخلاص والوعى، طالما أنّ ركائز الهدم أكثر دعماً من ركائز البناء الفكري.

14 يونيو 2019

عُشَّاقُ الْحَيَاةِ

لَعَلَّ عُمْرًا رَبِيعِيًّا يُولَدُ فِي خَرِيفِ أَعْمَارِنَا يُعِيدُ لَنَا شَيْئًا مِنَ الْحُبِّ الصَّادِقِ، وَيَغْمُرُنَا
بِدَفءٍ أَحَاسِيسِنَا الَّتِي رَبَطَتْ فِيمَا بَيْنَ قُلُوبِنَا وَنَفُوسِنَا وَرَعَبَاتِنَا وَشَهَوَاتِنَا وَمُتَعَةٍ أَيَّامِنَا.
رُبَّمَا نُشْرِقُ تَارَةً أُخْرَى وَنَحْتَضِنُ بَعْضَنَا عِنْدَمَا نَعْرِفُ كَيْفَ نُؤَانِمُ بَيْنَ قَلْبِنَا وَقَلْبٍ مِنْ
نَحِبٍّ، وَعِنْدَمَا نَسْتَأْصِلُ دَوَاعِي الْفَوْضَى فِي الْإِرَادَةِ.
أَقُولُ: رُبَّمَا تَعُودُ آمَالُنَا مِنْ جَدِيدٍ وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ كَيْفَ كَانَتْ الْبَهْجَةُ ضَاحِكَةً مُسْتَبْشِرَةً
فِي وَضَاءَةٍ وَجَمَالِ رَوْضٍ يَتَعَالَى فِيهِ النَّخْلُ شَامِخًا، وَتَتَوَرَّدُ فِيهِ الْبُدُورُ وَهِيَ تُطِلُّ مِنْ بُحُورِ
السَّمَاءِ حَتَّى يَغْشَاهَا النُّعَاسُ عَلَى كَتِفِي وَأَنَا أَتَرَقَّبُ شُرُوقَ وَجْهِهَا الشَّمْسِ، أَتَحَسَّسُهَا قَادِمَةً
إِلَيَّ فِي هَذِهِ الصَّبَاحَاتِ تَتَلَبَّسُهَا وَتَتَلَبَّسُنِي، ثُمَّ مَاذَا؟ ثُمَّ نَقْطِفُ لَذَّةَ أَعْمَارِنَا وَاشْتِهَاءَاتِنَا
مِنْ نَسَائِمِ الْهَوَى وَهِيَ تَمُرُّ تَحْمِلُنَا إِلَى مَرَاتِعِ الصَّفَاءِ لِتَكُونَ هِيَ الْجَنَّةُ فِي الْأَرْضِ وَالرَّحْمَةُ
فِي السَّمَاءِ، إِنَّهَا حَبِيبَتِي وَهِيَ أَرْضُ الْمَلَذَّاتِ وَالطَّيِّبَاتِ، رُبَّمَا نُولَدُ مِنْ جَدِيدٍ كَالْفُصُولِ،
وَنُوقِفُ أَعْمَارَنَا عَلَى فَصْلِ الرَّبِيعِ، حَتَّى لَا يَتَقَادَمَ بِنَا الْخَرِيفُ مَرَّةً أُخْرَى، وَنَعُودَ سِيرَتَنَا
الْأُولَى عُشَّاقَ الْحَيَاةِ.

20 يونيو 2022

الرَّهَانُ الصَّغْبُ الْقَبِيلَةُ

دُهُورٌ مَضَتْ كَانَ النَّاسُ أَكْثَرَ وُدًّا وَرَحْمَةً وَإِحْسَاسًا بِبَعْضِهِمُ الْبَعْضُ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، تَجَدُّهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مُتَكَاتِفِينَ مُتَكَافِلِينَ مَعَ إِخْوَانِهِمْ، فَتَجَدُّ الْقَبِيلَةُ يَرَأْسُهَا شَيْخٌ يَخْتَلِفُ إِلَيْهِ أَبْنَاءُ الْقَبِيلَةِ لِيَجْمَعَهُمْ عَلَى التَّأْزِرِ فِي مُوَاجَهَةِ الْفَقْرِ وَالْعُوزِ، وَبَدَلِ الْمَالِ وَالْجَاهِ لِكُلِّ مَنْ قَعَدَتْ بِهِ الظُّرُوفُ الْقَاهِرَةُ، فَقَدْ كَانَتْ الْقَبِيلَةُ تُمَثِّلُ لِحِمَّةٍ وَكِيَانًا يَقُومُ عَلَى الْحُبِّ وَالْفَصْلِ فِي النَّزَاعَاتِ بَيْنَ أَفْرَادِهَا، وَصَدَّ أَيُّ عُدْوَانٍ يَقَعُ عَلَى أَبْنَائِهَا وَمَحَارِمِهَا، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يُحَسَّبُ لِلْقَبِيلَةِ حِسَابُهَا بَيْنَ الْقَبَائِلِ، وَلَهَا هَيْبَتُهَا، شَأْنُهَا شَأْنُ بَاقِي الْقَبَائِلِ، وَقَدْ التَّصَقَّتْ صِفَاتُ الْكَرَمِ وَالنَّخْوَةِ وَالشَّهَامَةِ وَالْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ وَالشَّرَفِ بِالْقَبِيلَةِ. وَفِي الْحُرُوبِ كَانَتْ تَتَمَيزُ الْقَبِيلَةُ بِأَبْطَالِهَا وَقُرَّسَانِهَا وَعُدَّتِهَا وَعَتَادِهَا، وَإِنْ كَانَتْ آلَةُ الْحَرْبِ لَا تَخْرُجُ عَنِ السَّيْفِ وَالْجَنْبِيَّةِ وَالرُّمَحِ وَالسَّهْمِ، وَعِنْدَمَا تَطْوَرُ الزَّمَنُ أَصْبَحَ لِلْبُنْدُقِيَّةِ وَالْبَارُودِ شَأْنٌ عَظِيمٌ فِي صَدِّ الْعُدْوَانِ وَرَدِّ الْمُعْتَدِينَ، ثُمَّ تَقَلَّبَ الزَّمَنُ وَتَطَوَّرَتْ أَحْدَاثُهُ وَتَطَوَّرَتْ مَعَهُ آلَةُ الْحَرْبِ كَمَا نَشْهَدُ الْيَوْمَ بِمَا لَا يُقَارَنُ بَعْضُ مِنَ الْعُصُورِ الْمَاضِيَةِ، وَرَأَيْنَا أَنَّ الْقَبِيلَةَ تَطَوَّرَتْ مَعَ تَطَوُّرِ الْحَضَارَةِ، وَتَخَفَّفَتْ مِنْ تِلْكَ الْعَصَبِيَّاتِ تَجَاهَ الْعَادَاتِ وَالتَّقَالِيدِ الضَّيِّقَةِ، وَتَجَاهَ الْمَرْأَةِ وَالْأَبْنَاءِ، فَبِقَدْرِ أَصْبَحَ الْمَمْنُوعُ مَسْمُوحًا، وَأَصْبَحَ هُنَاكَ هَوَامِشٌ كَبِيرَةٌ لِمُشَارَكَةِ الْمَرْأَةِ لِلرَّجُلِ فِي إِدَارَةِ شُؤُونِ الْحَيَاةِ، وَبَرَزَتْ شَخْصِيَّةُ الْمَرْأَةِ الْفَاعِلَةِ وَالْمُؤَثِّرَةِ فِي الْحَيَاةِ بِمَا لَمْ يَعُدْ عَيْنًا وَسُفُورًا وَخُرُوجًا عَلَى الْقَبِيلَةِ، إِنَّمَا عُدَّ ذَلِكَ مِنْ بَابِ إِعَانَةِ الرَّجُلِ عَلَى تَكَالُيفِ الْحَيَاةِ، وَتَيْسِيرًا لِكُلِّ مَا هُوَ مَعْسُورٌ وَمَازُومٌ فِي النَّفْسِ، وَفِي سُبُلِ التَّعَايُشِ بِمَا لَا يُمَثِّلُ إِسْفَافًا أَوْ ابْتِدَالًا أَوْ تَفْسُخًا، بَلْ مَا زَالَتْ قِيَمٌ وَعَادَاتُ الْقَبِيلَةِ مُتَجَدِّدَةٌ وَمُتَوَارِثَةٌ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ فِي أَطْرَ وَطَرَائِقَ تَوَائِمَ بَيْنَ الْجَدَّةِ وَبَيْنَ الْقَدَمِ فِي تَنَاعُمٍ حَسِّيٍّ لَا يُودِّي إِلَى انْفِصَامٍ كَامِلٍ لِلْمُورُوثِ، وَأِنَّمَا هُوَ يَلَائِمُ وَيُجَانِسُ وَيُقَرِّبُ بَيْنَ تِلْكَ الْقِيَمِ وَالْعَادَاتِ وَبَيْنَ الْقِيَمِ الْعَصْرِيَّةِ بِمَا لَا يَخْدِشُ الْحَيَاءَ، وَلَا يَذْهَبُ بِالْأَخْلَاقِ فِي تَشْرِيعَاتِهَا الدِّينِيَّةِ الْمُحَافِظَةِ عَلَى ثَوَابِتِ الْعَقِيدَةِ.

21 يونيو 2021

المَدِينَةُ

لِلْمَدِينَةِ سُمُولِيَّةٌ التَّأَثُّرِ السَّرِيعِ بِالثَّقَافَاتِ الْوَافِدَةِ عَلَيْهَا، وَالْإِمْتِزَاجِ إِلَى حَدٍّ كَبِيرٍ مَعَ مُعْطَيَاتِ الْعَصْرِ الَّذِي تَعِيشُهُ، وَأَنْ تَمَسَّكَتْ بِثَوَابِتِ الْقِيَمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ الدِّينِيَّةِ، وَأَنْفَتَحَتْ فِي غَيْرِهَا لِتُمَثِّلَ الْعَصْرَةَ، وَالْحَضَارَةَ تَتَكَامَلُ مَعَهَا فِي شُكُولٍ وَتَخْتَلِفُ فِي شُكُولٍ؛ لِيَكُونَ لَهَا هُوِيَّةٌ ثَقَافِيَّةٌ بَيْنَ الْأُمَمِ، تَلَكُ مِنْ طَبَائِعِ الْأَشْيَاءِ، إِنَّمَا ظَلَّ الْقَاسِمُ الْمُشْتَرَكُ الَّذِي يَحْكُمُ الْقَرْيَةَ وَالْقَبِيلَةَ، وَيَحْكُمُ الْمَدِينَةَ ثَوَابِتُ الدِّينِ، فَهِيَ الَّتِي لَمْ تَتَأَثَّرْ بَيْنَهُمَا، وَإِنَّمَا تَجَسَّدَتْ بَيْنَهُمَا خُلُقًا دِينِيًّا لَا يَقْبَلُ التَّغْيِيرَ وَلَا الْخُرُوجَ بِأَيَّةِ حَالٍ عَنْ أَهْدَافِهِ وَشُرُوطِهِ وَالتَّزَامَاتِ وَفُرُوضِهِ، ذَلِكَ مَا جَذَبَ الْقَبِيلَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَمَا أَخَى بَيْنَ أَفْرَادِ الْمَدِينَةِ وَأَفْرَادِ الْقَبِيلَةِ، حَتَّى رَأَيْنَا الْيَوْمَ ذَوْبَانَ الْقَبِيلَةِ بِالْكُلِّيَّةِ فِي الْمَدِينَةِ، وَذَوْبَانَ الْمَدِينَةِ فِي الْقَبِيلَةِ، فَلَمْ تَعُدِ الْقَبِيلَةُ ذَلِكَ الْكَيَانَ الْمُنْعَلَقَ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى أُنْبَاءِ الْقَبِيلَةِ وَحْدَهَا؛ بَلْ تَأَثَّرَ الْبَعْضُ بِالْبَعْضِ، وَمَثَلُوا تَكَامُلًا إِنْسَانِيًّا مُتَفَاهِمًا مُتَجَانِسًا مُتَزَاوِجًا مُتَرَاحِمًا، لَهُ مَا لَهُ وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِ فِي وئَامٍ وَالتَّحَامٍ، وَإِنْ ظَلَّتِ الْقَبِيلَةُ مُرْتَكِزًا لِلتَّعْرِيفِ بِالْأُصُولِ وَالنَّسَبِ وَالْحَنِينِ بِحُكْمِ الْوِلَادَةِ وَالنَّشْأَةِ، وَتِلْكَ فِطْرَةُ النَّفُوسِ.

الْمُفْتَقِدُ مِنْ قِيَمِ الْقَبِيلَةِ وَالْمَدِينَةِ

مَعَ أَنَّ الْعَرَبَ جَمِيعًا انْخَرَطُوا فِي عَالَمِيَّةِ الْحَضَارَةِ الْأُمَمِيَّةِ إِلَّا أَنَّ هَامِشًا كَبِيرًا يَفْصِلُ بَيْنَ الثَّقَافَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَبَيْنَ ثَقَافَاتِ الْأُمَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَالتِّي مَثَلَتْ لَدَيْهَا الْحُرِّيَّةُ أَبْعَادًا غَيْرَ خَاصَّةٍ لِلْمَمْنُوعِ أَوْ الْمُحْظُورِ فِي التَّنْصُلِ مِنْ كُلِّ الْقِيَمِ الَّتِي تُحَرِّمُ إِمْتَاعَ النَّفْسِ بِالْمُحَرَّمِ وَغَيْرِهِ؛ وَلَكِنَّهَا اهْتَمَّتْ لِتَقْنِينِ قَانُونٍ يُبِيحُ الْمُحَرَّمِ ضِمْنَ بُنُودِ تَكُونُ مُحَلِّلَةً لِلْفِعْلِ، وَالتَّرَمَّتْ بِهَا سُعُوبُهَا، وَاعْتَبَرَتْهَا قِيَمًا وَنِظَامًا مَشْرُوعًا لِلْكَلِّ يَحْمِيهِ الْقَانُونُ.

تِلْكَ قِيَمُهُمُ الْمُتَجَاوِزَةُ عَنْ قِيَمِ مُجْتَمَعٍ مَا زَالَ وَقَعًا تَحْتَ مِظَلَّةِ الْمُحَافَظَةِ عَلَى الْحُرْمَاتِ وَعَلَى الْمُقَدَّسَاتِ، وَعَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْعَادَاتِ وَالْأَعْرَافِ الَّتِي تُمَثِّلُ فِي مَجْمُوعِهَا الْقِيَمَ الْعَرَبِيَّةَ وَالْإِسْلَامِيَّةَ، وَلَكِنَّا نَشْهَدُ فِي عَصْرِنَا الْحَاضِرِ مُحَاوَلَاتٍ لَتَذْوِيبِ تِلْكَ الْقِيَمِ وَاسْتِبْدَالِهَا بِالْقِيَمِ الْجَدِيدَةِ الَّتِي تَدْعُو إِلَيْهَا الدُّوَلُ الْمُتَقَدِّمَةُ لِلانْسِلَاحِ بِالْكُلِّيَّةِ عَنِ الدِّينِ وَعَنِ الْعَادَاتِ وَالتَّقَالِيدِ، فَتُصْبِحُ مِنْ مُكَوِّنَاتِ الثَّقَافَاتِ (الْأُورُومِيكِيَّةِ) وَهُوَ تَحَوُّلٌ لَا يُمَكِّنُ لَهُ أَنْ يَتَحَقَّقَ فِي الْمُجْتَمَعَاتِ الْعَرَبِيَّةِ أَوْ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى إِطْلَاقِهِ، وَحَتَّى مَنْ يُرَاهِنُ عَلَى أَنْ يُحْدِثَ انْقِلَابًا عَلَى تِلْكَ الْقِيَمِ وَالْمَفَاهِيمِ وَالْأَعْرَافِ فَإِنَّهُ لَمْ يَقْرَأْ تَارِيخَ الْعَرَبِ عَبْرَ أَرْمَنِيَّةِ وَحَقْبِهِ وَعُصُورِهِ؛ حَيْثُ إِنَّ الشَّعْبَ الْعَرَبِيَّ لَهُ خُصُوصِيَّاتٌ فِطْرِيَّةٌ وَطَبِيعَةٌ اسْتِثْنَائِيَّةٌ، فَلِلصَّحْرَاءِ الْعَرَبِيَّةِ وَحَرَارَةِ الْأَرْضِ الْعَرَبِيَّةِ مِرَاجِيَّةٌ خَاصَّةٌ لَا تُبَدِّلُهَا وَلَوْ شَاءَتْ النُّفُوسُ الْعَرَبِيَّةُ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، هَذِهِ هِيَ تَرْكِيبَةُ النَّفْسِ الْعَرَبِيَّةِ، لَيْسَتْ مُلْتَزِمَةً مَعَ الْوَقْتِ، وَلَا مَعَ النِّظَامِ، وَلَا مَعَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ قَسْرِيًّا وَتَعَسُفِيًّا، فَالنَّفْسُ الْعَرَبِيَّةُ فُطِرَتْ وَتَكُونَتْ عَلَى هَوَاءِ الْجِبَالِ الَّذِي سَرَى فِي دِمَاءِ الْعَرَبِيِّ، فَهُوَ لَا يَطِيقُ الْبُعْدَ عَنْ ذَلِكَ الْهَوَاءِ؛ لِأَنَّهُ يُمَثِّلُ غِذَاءَ رُوحِهِ وَقَلْبِهِ وَعَقْلِهِ.

الْعَرَبِيُّ لَا يَهْتَمُّ بِالْمَالِ بِقَدْرِ اهْتِمَامِهِ بِحَيَاةِ الْحُرِّيَّةِ الَّتِي تَرْبِطُهُ بِبَسَاطَةِ الْحَيَاةِ، فَلَيْسَ لَدَيْهِ مَا يَخَافُ عَلَيْهِ إِلَّا كَرَامَتُهُ وَحِمَاةُ وَأَرْضُهُ، وَمَا عَدَاهُ لَا يُمَثِّلُ لَهُ الْقِيَمَةَ الْكُبْرَى، إِذْ كَانَ صَعْبًا عَلَى الْعَرَبِيِّ أَنْ يَتَحَوَّلَ بِالْكُلِّيَّةِ عَنْ فِطْرَتِهِ وَإِنْ تَكَالَبَتْ عَلَيْهِ الظُّرُوفُ، فَهُوَ لَا مَحَالَةَ يَعُودُ إِلَى فِطْرَتِهِ الصَّحْرَاوِيَّةِ الْجَبَلِيَّةِ الْحَارَّةِ، فَمِنْهَا تَتَغَذَّى رُوحُهُ وَدَمُهُ، وَإِلَّا كَانَ رُوحًا بِلا قَلْبٍ وَلَا عَقْلٍ، مِثْلُهُ مِثْلُ الْأُورُوبِيِّ أَوْ الْأَمْرِيكِيِّ الَّذِي فُطِرَ عَلَى بَيْئَتِهِ، وَغَدَا

لِكُلِّ شَعْبٍ وَكُلِّ أُمَّةٍ خُصُوصِيَّةٌ لَا تَسْتَطِيعُ الْإِنْسِلَاحُ مِنْهَا إِلَّا بِالْمَوْتِ، لِذَا فَالْعَرَبِيُّ يَقْبَلُ بِكُلِّ الثَّقَافَاتِ نَظْرِيًّا، وَحِينَ التَّفَاعُلِ تَجِدُهُ يَتَعَامَلُ بِثِقَافَتِهِ مِنْ خِلَالِ مَوْرُوثِهِ الْفِطْرِيِّ، وَرُبَّمَا يَبْرِجُ الثَّقَافَاتِ وَيُشَكِّلُهَا حَسَبَ الْمَوْرُوثِ الْفِطْرِيِّ، فَلَا يَلْحَظُ الرَّائِي الْمُقَارِنُ بَيْنَ ثَقَافَاتِ الشُّعُوبِ التَّفَاعُلِ الْخَفِيِّ لِلْمَوْرُوثِ الْعَرَبِيِّ؛ بَلْ يَرَى شَكْلًا مِنْ أَشْكَالِ التَّقْلِيدِ لِلْحَضَارَةِ الْعَالَمِيَّةِ فِي ظَاهِرِهِ فَقَطْ، فَمُنْذُ مِائَاتِ السِّنِينَ وَالْعَرَبِيُّ شَكْلٌ يُقَارَبُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَسَحْنَةٌ لَا تُخْطِئُهَا الْعَيْنُ حِينَ تَنْظُرُهَا، فَتَقُولُ: إِنَّهُ عَرَبِيٌّ الْوَجْهَ وَاللِّسَانَ، وَحَتَّى الْمُسْتَعْرَبِينَ تَأْتُرُوا بِهِذِهِ الْبَيْتَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَأَصْبَحُوا جُزْءًا مِنْهَا وَمِنْ مُكَوِّنَاتِهَا الصَّحْرَاوِيَّةِ وَالْجَبَلِيَّةِ وَالْحَرَارِيَّةِ لَا يَقْبَلُونَ بِغَيْرِهَا أَمَّا وَأَبَا.

فَالْتَّحَدِّي وَالرَّهَانَ عَلَى سَلْخِ الْعَرَبِ مِنْ عُرُوبَتِهِمْ إِنَّمَا هُوَ عَبَثٌ وَضَيَاعٌ وَقْتُ، لَا يَقْبَلُ التَّغْيِيرُ إِلَّا بِتَغْيِيرِ الدِّمِّ وَالْعَقْلِ وَالْقَلْبِ بِزِرَاعَةِ أَعْضَاءٍ وَنَقْلِ دَمِ أَمْرِيكِيِّ أَوْ أَوْرُوبِيِّ بِدَلِّ الدِّمِّ الْعَرَبِيِّ، عِنْدَهَا يُمَكِّنُ أَنْ تَتَبَدَّلَ الْقِيَمُ الْعَرَبِيَّةُ بِالْقِيَمِ الْأُورُومَرِيكِيَّةِ؛ لِتَتَغَيَّرَ الْأَسْمَاءُ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ وَأَحْمَدَ وَحَسَنَ إِلَى (مَائِكِلَ وَجُونِ وَدِيفِيدَ)، فَلَا يَرَاهُنَّ أَحَدٌ عَلَى الْعَرَبِ فِي تَبْدِيلِ عُرُوبَتِهِمْ بِالْإِخْلِيلِ مِنَ الثَّقَافَاتِ وَالْقِيَمِ الَّتِي تَتَعَارَضُ مَعَ الثَّوَابِتِ الدِّينِيَّةِ، بَلْ وَمَعَ أَخْلَاقِ الْعَرَبِيِّ الَّتِي فُطِرَ وَتَرَبَّى عَلَيْهَا، وَمَهْمَا تَبَدَّلَ الْعَرَبِيُّ سَيَعُودُ سِيرَتَهُ الْأُولَى عَرَبِيًّا كَانَ أَوْ مُسْتَعْرَبًا، فَالْصَّحْرَاءُ وَالْجَبَلُ وَالْحَرَارَةُ هِيَ الْمَكُونُ الَّذِي يَسْكُنُ الدِّمُّ الْعَرَبِيُّ، فَلَا تَرَاهُنَا عَلَى غَيْرِ الْمُمْكِنِ وَغَيْرِ الْمُسْتَطَاعِ وَغَيْرِ الْمَعْقُولِ، وَالصَّحِيحُ أَنْ يَقْبَلَ الْعَرَبِيُّ التَّطَوُّرَ فِي الْعِلْمِ وَالْأَخْذَ بِأَسْبَابِهِ وَمُسَايَرَةَ الْحَضَارَةِ، لَا أَنْ يَتَطَوَّرَ فِي هَجَرِ الْعُرُوبَةِ وَالتَّنْصُلِ مِنْهَا، فَهِيَ هُوِيَّتُهُ الَّتِي عَرِفَ بِهَا، وَلَنْ يَتَبَدَّلَ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ بِالَّذِي هُوَ أَذْنَى حَتَّى قِيَامِ السَّاعَةِ.

الثَّقَافَةُ الْجَدِيدَةُ

يَقُولُونَ: لِكَيْ تَكُونَ مُتَحَضِّرًا وَمُتَقَدِّمًا مِثْلَنَا؛ عَلَيْكَ بِأَنْ تَفْعَلَ مِثْلَنَا، وَتَعْمَلَ عَلَى حُرِّيَّةِ التَّفْسُخِ وَالْإِنْحِلَالِ وَكُلِّ شَيْءٍ ضِدِّ الْأَخْلَاقِ، وَإِذَا لَمْ تَفْعَلْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ غَضَبَنَا وَبَاسَنَا الشَّدِيدَ، وَإِنَّ طَلَبَاتِ الْإِنْضِمَامِ بِسَيْطَةٍ جَدًّا، فَقَطِّ حَاوِلْ وَمَارِسْ وَاعْمَلْ لِلْفَسَادِ الْأَخْلَاقِيِّ الَّذِي مَارَسْنَاهُ طِيلَةَ عُهُودٍ، وَالَّذِي بِذَلِكَ قُلْنَا إِنَّهَا الْحُرِّيَّةُ صَانِعَةُ الْأُمَمِ وَالْحَضَارَاتِ، وَنُورِدُ لَكَ بَعْضًا مِنْ شُرُوطِ الْعُضُويَّةِ لِلْإِنْضِمَامِ لِعَالَمِ الْفَسَادِ لِتَسْجِيلِ أَسْمَائِكُمْ، وَتُعْلِنُوا مُشَارَكَاتِكُمْ وَتُؤَكِّدُوا انْتِمَاءَكُمْ، فَالْيَكُمُ الشُّرُوطُ:

1 - الإِعْتِرَافُ بِكُلِّ أَنْوَاعِ الْحَرَامِ، وَمِنْهَا: الزَّنا وَالْخَمْرُ وَالشُّدُودُ الْجَنَسِيُّ وَمُمَارَسَةُ جِنْسِ الْمَحَارِمِ؛ لِكَيْ تُصْبِحَ هَذِهِ الدُّنْيَا وَفِيهَا كُلُّ مَكَارِهِهِ الْهَمْجِيَّةِ وَالْإِنْحِطَاطِ وَالسُّفُولَةِ وَالْخِسَّةِ وَالْفُسُولَةِ.

2 - نَحْنُ عَلَى أَبْوَابِ عَصْرِ غَرِيبٍ مُرِيبٍ، وَفِيهِ كُلُّ شَيْءٍ عَجِيبٍ، وَهُمْ بِتِلْكَ التَّنَاقُضَاتِ إِنَّمَا يَطْلُبُونَ الْغَاءَ الْأَدْيَانِ، فَلَا يُوجَدُ دِينَ يُجِيزُ مُمَارَسَةَ الْحَرَامِ فِي كُلِّ الشَّرَائِعِ. إِنَّ الدُّنْيَا تَزْدَادُ فُجْرًا وَظُلْمًا وَهَمًّا كَبِيرًا.

فَمَنْ ذَا الَّذِي يَقْبَلُ بِالْدُّنْيَةِ وَالْدُّوْنِيَّةِ فِي دِينِهِ؟ إِلَّا مَنْ سَفِهَ عَقْلَهُ؛ لِأَنَّ الْحَيَاةَ قَائِمَةً عَلَى مَعَايِيرِ الْأَخْلَاقِ، وَإِنَّهَا أَصْدَاءُ مَزَامِيرِ الْغَفْلَةِ تُنْذِرُ بِالْقِيَامَةِ، فَاللَّهُمَّ أَرِنَا الْحَقَّ حَقًّا وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ، وَأَرِنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ.

23 يونيو 2022

عَزَلَةُ الْفَنَانِ وَالْمُفَكِّرِ

يَمِيلُ الْعَالَمُ وَالشَّاعِرُ وَالْأَدِيبُ وَالْمُفَكِّرُ إِلَى الْعَزَلَةِ، وَيَعَشَقُ الْوَحْدَةَ، وَيَتَّحِدُ مَعَ الْخِيَالِ لِخَلْقِ عَوَالِمٍ أَكْثَرَ مُتَعَةً لَوْ عَرَفَهَا الْعَوَامُ لَحَسَدُواهُمْ عَلَيْهَا، فَهُمْ يَسْتَحْضِرُونَ الْخَلْقَ أَجْمَعَهُ وَقْتَ مَا يَشَاوُونَ، وَيَصْرِفُونَهُمْ وَقْتَ مَا يَشَاوُونَ، هُمُ التُّعَسَاءُ السَّعِيدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ، إِنَّمَا هُمْ يَرْتَفِعُونَ بِأَقْدَارِهِمْ عَنِ الْجُهْلَاءِ وَالْبُسَطَاءِ، وَإِنَّهُمْ فِي عَزَلَتِهِمْ إِنَّمَا يُضَيُّونَ ظِلَامَ الْقُلُوبِ وَالْعُقُولِ، هُمُ الْعُلَمَاءُ بِحَقٍّ وَلَيْسَ الْعُلَمَاءُ رِجَالُ الدِّينِ، فَرِجَالُ الدِّينِ هُمُ الْفُقَهَاءُ فِي الدِّينِ مُفَسِّرُونَ لِشَرِيعَةِ اللَّهِ الْمُوجُودَةِ فِي الْكُتُبِ، وَإِلَّا لَأَصْبَحَ الْكُلُّ عُلَمَاءً لِأَنَّهُمْ حَفَظُوا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ النَّبَوِيَّةَ، إِلَّا الْمُجْتَهِدِينَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَ مَا عَجَزَ عَنْهُ السَّلَفُ كَالْبَحَارِيِّ وَابْنِ كَثِيرٍ وَأَرْبَابِ الْمَذَاهِبِ كَالشَّافِعِيِّ وَالْحَنَفِيِّ وَالْحَنَبَلِيِّ وَالْمَالِكِيِّ، فَهَؤُلَاءِ الْفُقَهَاءُ.

أَمَّا الَّذِينَ أَنَارَ اللَّهُ بَصِيرَتَهُمْ فَفَتَحُوا مَعَالِقَ الْمَجْهُولِ فِي سَتَى الْعُلُومِ النَّظَرِيَّةِ وَالتَّطْبِيقِيَّةِ مِثْلَ: إِسْحَاقَ نِيُوتَنَ وَابْنَ سِينَا وَابْنَ خَلْدُونٍ وَأَيْنِشَتَايْنِ وَالْفَارَابِيِّ وَابْنَ رُشْدٍ، وَعُلَمَاءِ الطَّبِّ، وَعُلَمَاءِ الذَّرَّةِ، وَعُلَمَاءِ الْفَلَكِ، وَمَنْ هُمْ عَلَى شَاكِلَتِهِمْ، هَؤُلَاءِ هُمُ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ قَدْرَ اللَّهِ حَقَّ قَدْرِهِ، وَيُخْطِئُ مَنْ يُسَمِّي رَجُلَ الدِّينِ بِالْعَالِمِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكْتَشِفْ قُدْرَةَ اللَّهِ فِي عَوَالِمِهِ، وَإِنَّمَا هُمْ رِجَالُ الدِّينِ كَالْحَوَارِيِّينَ وَالْكَهَنَةَ وَالرُّهْبَانَ فِي الْأَدْيَانِ، يَقُولُ اللَّهُ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} (سُورَةُ فَاطِرٍ: 28)، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ عَنَاهُمُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، الَّذِينَ يَفْتَحُونَ الْمُسْتَعْلَقَ فِي كَوْنِ اللَّهِ؛ لِيَعْرِفَ الْخَلْقُ قَدْرَ اللَّهِ وَقُدْرَتَهُ فِي كَوْنِهِ الْعَظِيمِ، وَيَدْخُلُ فِي مَنْظُومَتِهِمُ الشُّعْرَاءُ وَالْأَدَبَاءُ وَالْمُفَكِّرُونَ الَّذِينَ يَكْتَشِفُونَ الْفُضِيلَةَ وَيُشِيحُونَ عَنِ الرَّذِيلَةِ، فَيَنْشُرُوا الْخَيْرَ وَالْحُبَّ وَالنَّقَاءَ وَالصِّفَاءَ فِي النُّفُوسِ، هَؤُلَاءِ هُمُ الْعُلَمَاءُ الْمُلْهَمُونَ مِنَ اللَّهِ، وَأَعْظَمُ مِنْهُمْ الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ وَالْمَلَائِكَةُ، فَصَحَّحُوا مَعْلُومَاتِكُمْ عَمَّنْ هُمُ الْعُلَمَاءُ الْحَقِيقِيُّونَ، فَالْعَالِمُ مَنْ أَبَدَعَ، لَا مَنْ فَسَّرَ وَشَرَحَ وَحَفَظَ مَا فِي الْمُتُونِ وَالْكِتَابِ، وَلَا مَنْ أَطَالَ شَعْرَ عَارِضِيهِ {وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ} إِلَّا إِنَّهُ اللَّهُ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ.

حُكْمُ الْمَشِيئَةِ

لِمَحْكَمَةِ الْأَرْضِ حُكْمٌ، وَلِمَحْكَمَةِ السَّمَاءِ حُكْمٌ، وَلَكِنَّ أَحْكَامَ مَحْكَمَةِ السَّمَاءِ أَمْضَى وَأَقْدَرُ؛ لِأَنَّ مَحْكَمَةَ الْأَرْضِ قُضَائُهَا الْبَشَرُ، وَمَحْكَمَةُ السَّمَاءِ قَاضِيهَا الْإِلَهُ، وَالْبَشَرُ يَمْلِكُونَ الْعَمَلَ وَلَا يَمْلِكُونَ الْمَشِيئَةَ، وَإِنَّ الْعَمَلَ فِعْلٌ، وَالْمَشِيئَةَ قَدَرٌ مُقَدَّرٌ لِلْإِرَادَةِ الْخَلْقِيَّةِ، وَالْمَشِيئَةُ أَمْرٌ يَصْدُرُ مِنْ وَاحِدِ الْقُدْرَةِ وَالْقُوَّةِ وَالْإِرَادَةِ، وَهُوَ الْمُقَدَّرُ وَالْفَاعِلُ وَحْدَهُ، يَرْمِي رَمِيًّا بِالْقَضَاءِ أَوْ رَمِيًّا بِالْأَسْبَابِ؛ لِتَحْقِيقِ الْمَشِيئَةِ لِلْفِعْلِ الْقَادِرِ وَحْدَهُ عَلَى التَّنْفِيزِ، وَالتَّحْقِيقُ لِلْأَمْرِ الْقَادِرِ الَّذِي يَعْجُزُ عَنْ رَدِّهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا فَوْقَهُمَا وَمَا تَحْتَهُمَا وَمَا بَيْنَ حُجُبِ الْغُيُوبِ.

فَأَمَّا مَنْ ظَنَّ ظُلْمًا أَوْ عَدْلًا أَصَابَ فَإِنَّمَا هُوَ كَالَّذِي يَأْتِي ذَنْبًا دُونَ ذَنْبٍ، إِنَّمَا هِيَ مَشِيئَةُ الْقُدْرَةِ الْوَاحِدَةِ الْقَادِرَةِ عَلَى إِنْفَازِ الْإِرَادَةِ وَالَّتِي بِهَا تَخِرُّ الْجِبَالُ مِنْ فَوْقِهَا وَمِنْ أَسْفَلِ مِنْهَا، وَأَمَّا مَنْ وَافَقَ فِعْلُهُ فِعْلَ الْقَضَاءِ فَذَلِكَ وَإِنْ اسْتَوْجَبَ الْعِقَابَ فَإِنَّهُ أَيْضًا لَا يَخْرُجُ عَنْ مَشِيئَةِ الْإِرَادَةِ الْفَاعِلَةِ لِيَكُونَ الْفِعْلُ وَاقِعًا لَا مُحَالَةً بِسَبَبٍ، أَوْ دُونَ سَبَبٍ، وَبِاخْتِيَارٍ أَوْ دُونَ اخْتِيَارٍ، أَوْ بِالرَّفْضِ، لِيَحِلَّ الْقَبُولُ رَاغِمًا وَقَادِرًا عَلَى قُدْرَةِ الْإِمْتِنَاعِ فِيهِ، وَذَلِكَ مَا يَنْسَحِبُ عَلَى حَوَادِثِ الْأَيَّامِ فِي الْخَيْرِ وَفِي الشَّرِّ. وَإِنَّ مَوْتَ فُلَانٍ هُوَ فِي الْمَشِيئَةِ وَاقِعٌ وَلَكِنْ تَخَلَّلَهُ الْأَسْبَابُ، وَمِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ نَعْرِفُ أَنَّ مَنْ قَتَلَ إِنَّمَا كَانَ سَبَبًا وَاقِعًا تَحْتَ قَدَرِ الْمَشِيئَةِ، كَذَلِكَ مَنْ قُتِلَ، وَأَنْ يَتَحَمَّلَ تَبَعَاتِ هَذَا الْفِعْلِ وَعُقُوبَتَهُ، وَيَجْرِي عَلَيْهِ الْقِصَاصُ، فَكَيْفَ يَحِقُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَزَيَّدَ أَوْ يَتَنَقَّصَ مِنَ الْفِعْلِ، وَعَلَيْهِ سَفَهُ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ إِذَا كَانَ مُقَدَّرًا فِي الْمَشِيئَةِ الْقَادِرَةِ سَلَفًا.

النُّكْتَةُ الْمِصْرِيَّةُ وَالنُّكْتَةُ السَّعُودِيَّةُ

اشْتَهَرَ الْمِصْرِيُّونَ بِخِفَةِ الظِّلِّ وَقَوْلِ النُّكْتَةِ مُنْذُ عَصُورٍ، جَعَلَتْ لَهُمْ مِيزَةً وَخَاصِيَّةً فِي النُّفُوسِ، تَتَفَاعَلُ مَعَهَا فِي طَرِيقَةِ الْإِلْقَاءِ، وَحَيْثِيَّةِ الْمَوْضُوعَاتِ، وَالنُّكْتَةُ تُمَثِّلُ كَلِمَةً وَمَعْنَى تَانِيَتَيْنِ مِنْ فِكْرٍ ذَكِيٍّ مُبْدِعٍ يَنْشَأُ مِنْ خِلَالِ دَوَافِعِ انْفِعَالِيَّةٍ تَقْدَحُ زِنَادَ الْعَقْلِ فِي حَالَاتِ الضِّيقِ وَالضُّجْرِ، وَكَثَرَتْهَا تُعَبِّرُ عَنِ انْفِجَارَاتِ نَفْسِيَّةٍ يَصْنَعُهَا الْقَهْرُ وَالْفَقْرُ وَالْأَلَمُ وَبُؤْسُ الْحَالِ، فَتَكُونُ صَوْتًا مُعَبِّرًا عَنِ الرَّفْضِ لِحَالَاتٍ سِيَاسِيَّةٍ أَوْ اجْتِمَاعِيَّةٍ حِينَ يَتَعَذَّرُ النُّقْدُ الْمُبَاشِرُ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُمَارَسَاتِ الْخَطَا وَالْقَاهِرَةِ، تَكُونُ مَدْعَاةً لِتَغْيِيرِ سِيَاسَةٍ أَضَرَّتْ بِالشُّعُوبِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ، فَهِيَ تَرْمِي بِقَنَابِلِ الْكَلِمَاتِ الْحَارِقَةِ؛ لِتَكُونَ سِلَاحًا لِلتَّنْفِيسِ عَنْ هُمُومِ الشُّعُوبِ وَضِيقِهَا وَتَذَمُّرِهَا تَجَاهَ تِلْكَ السِّيَاسَاتِ الْمُؤَثِّرَةِ عَلَى مُقَدَّرَاتِ الشُّعُوبِ وَمُكْتَسَبَاتِهَا حِينَ تَمَسُّ أَرْزَاقَهَا وَحَيَاتَهَا وَأَنْسَانِيَّتَهَا بِأَشْكَالٍ يَتَجَسَّدُ فِيهَا الْقَسْرُ وَالْإِفْرَاطُ وَالْإِهْمَالُ لِلْمَطَالِبِ الصَّرُورِيَّةِ لِحَيَاةِ الْأَفْرَادِ، وَيَكُونُ هُنَاكَ بُعْدٌ بَيْنَ السَّاسَةِ وَالشُّعُوبِ عِنْدَمَا يَعْجِزُ النُّقْدُ الْمُبَاشِرُ عَنْ تَحْقِيقِ الْإِسْتِجَابَةِ لِلْمَطَالِبِ، وَيَشْعُرُ الْإِنْسَانُ بِالْخَوْفِ مِنْ تَبَعَاتِ النُّقْدِ الصَّرِيحِ عِنْدَمَا لَا يَكُونُ لِتِلْكَ الْكَلِمَاتِ مَسَاحَةٌ مِنَ الْحُرِّيَّةِ فِي التَّعْبِيرِ، وَتَكُونُ لُغَةُ الْمُصَارَحَةِ مَحْفُوفَةً بِالْأَخْطَارِ، فَتَتَّخِذُ النُّكَاثُ أُسْلُوبًا لِلتَّعْبِيرِ عَمَّا يَعْتَمِلُ فِي الْإِنْسَانِ مِنْ مَوَاجِدِ الْعَيْشِ وَمَرَارَاتِهِ، وَفِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ تَخْرُجُ النُّكْتَةُ عَنِ الْإِطَارِ السِّيَاسِيِّ لِتَأْتِيَ تَعْبِيرًا مُضَادًّا لِسُلُوكِيَّاتٍ مُجْتَمَعِيَّةٍ تُحَاوِلُ الْمَسَاسَ بِالدِّينِ وَالْقِيمِ وَالْعَادَاتِ الْمُتَعَارَفِ عَلَيْهَا عِنْدَ انْفِلَاتِ الْمُجْتَمَعِ وَمُمَارَسَةِ الْهَجِينِ وَالشَّاذِّ وَالْغَرِيبِ، فَيَكُونُ لِلنُّكْتَةِ تَأْثِيرٌ عَلَى الْأُمَّةِ فِي إِعَادَتِهَا إِلَى الْأَخْلَاقِ وَاحْتِرَامِ النِّظَامِ، وَمُرَاعَاةِ الْمَثَلِ الَّتِي تَسُودُ الْمُجْتَمَعَاتِ حَتَّى يَظُلَّ الْإِنْسَانُ مُحَافِظًا عَلَى إِزْتِهَ الْقِيَمِيِّ كُلَّمَا دَعَاهُ التَّفْسُخُ وَالْإِبْتِدَالُ فِي طَرِيقَةِ التَّعَامُلِ لِحِفْظِ الْحُقُوقِ وَتَادِيَةِ الْوَاجِبَاتِ؛ لِتَحُلَّ النُّكْتَةُ مَحَلَّ النُّقْدِ الْمُوَاجِهَةِ، وَتَأْتِي عَلَى شَكْلِ ضَحَكَاتٍ لِلَّهْوِ وَالتَّسْلِيَةِ، وَفِي عُمَقِهَا الْمَعْنَوِيِّ تَكُونُ تَرْبِيَةً لِلنُّفُوسِ الَّتِي تَسْعَى لِلْعَبَثِيَّةِ وَالِاسْتِهَانَةِ بِتَعَالِيمِ الدِّينِ، غَيْرَ مُكْتِرِثَةٍ لِلْعَوَاقِبِ الْوَحِيمَةِ الَّتِي تَنْتَظِرُهَا حِينَ يَخُونُهَا التَّفْرِيقُ بَيْنَ الْمُضْحِكِ وَبَيْنَ الْمُبْكِي مِنَ السُّلُوكِيَّاتِ.

وَحِينَ نَأْخُذُ مَضْرَ نُمُودَجًا لِإِجَادَةِ افْتِعَالِ النُّكْتَةِ فَلَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ بَاقِيَ الشُّعُوبِ لَا تَتَحَقَّقُ فِيهَا اسْتِعْمَالَاتُ النُّكْتَةِ الَّتِي تَخْتَلِقُهَا الْمَعَانَاةُ، فَتَرْسُمُ جَوًّا مِنَ الْمَرَحِ يَرْمِي فِي حَيَاتِيَّاتِهِ إِلَى نَقْدِ الدَّوْلَةِ أَوْ الْمُجْتَمَعِ، وَهُنَاكَ مِنَ النُّكَاتِ مَا يُؤَثِّرُ إيجابًا، وَمَا يُؤَثِّرُ سلبًا يُعَاقِبُ عَلَيْهِ الْقَائِلُ حَتَّى بَغْيَرِ تَشْرِيعِ قَانُونِيٍّ، وَلَمْ تَقُمْ دَوْلَةٌ بِتَنْظِيمِ قَانُونٍ يُقَنِّنُ نِظَامًا يُجَرِّمُ النُّكَاتِ، إِنَّمَا يَنْسَحِبُ ذَلِكَ عَلَى قَانُونِ الضَّرَرِ وَالْخُرُوجِ عَنْ نَوَابِتِ الْقِيمِ لِأَمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ يُجَرِّمُهَا الشَّارِعُ فِي حِينِهَا، بِحَسَبِ الضَّرَرِ الْاجْتِمَاعِيِّ أَوِ الْفَرْدِيِّ أَوِ السِّيَاسِيِّ.

الشَّيْءُ اللَّافِتُ أَنَّ الْمُجْتَمَعَ السُّعُودِيَّ لَمْ يَكُنْ صَاحِبَ نُكْتَةٍ مِنْ قَبْلُ، وَلَكِنَّا فِي الْآوَنَةِ الْأَخِيرَةِ بَتْنَا نَسْمَعُ النُّكْتَةَ السُّعُودِيَّةَ كَثِيرًا، وَهُوَ مَا يُدْهَشُ، وَيَدْعُو لِلِاسْتِغْرَابِ وَالتَّسْأُولِ: كَيْفَ أَصْبَحَ الشُّعْبُ السُّعُودِيُّ صَاحِبَ نُكْتَةٍ تَجْرِي عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ؟ وَإِنْ كَانَتْ فِي أَكْثَرِهَا بَرِيَّةً تَهْتَمُ بِالتَّنْفِيسِ عَنِ النَّفْسِ، لَا نِكَاتًا نَاقِدَةً سِيَاسِيًّا، إِنَّمَا يُمْكِنُ أَنْ نُطْلِقَ عَلَيْهَا: «نِكَاتٌ» لِلتَّرْفِيهِ وَالْأُنْسِ مِنْ جَرَاءِ الضِّيقِ وَالْكَبْتِ وَالْهَمِّ الَّذِي رَمَتْ بِهِ حُمُولُ الْحَيَاةِ الثَّقِيلَةِ عَلَى كَوَاهِلِ النَّاسِ، مِنْ جَرَاءِ الْحُرُوبِ وَالْإِنْتِهَاكَاتِ الَّتِي تَتَعَرَّضُ لَهَا النُّفُوسُ وَالشُّعُوبُ، وَوُعُورَةِ مَسَالِكِ الْحَيَاةِ، كُلُّ ذَلِكَ أَنْتَجَ إِبْدَاعَ النُّكْتَةِ السُّعُودِيَّةِ؛ لِلتَّخْفِيفِ عَنِ النَّفْسِ الْعَامِلَةِ؛ لِلكَثِيرِ مِنْ مَصَاعِبِ الْعَيْشِ الْكَرِيمِ فِي ظِلِّ الزِّيَادَةِ السُّكَّانِيَّةِ، وَقِلَّةِ الْمَوَارِدِ الْمَالِيَّةِ الَّتِي بَدَأَ الْأَحْسَاسُ بِهَا فِي عَصْرِنَا الْحَاضِرِ، وَاضْهَتِ النُّكْتَةُ السُّعُودِيَّةُ أَحَدَ الْإِبْدَاعَاتِ السُّعُودِيَّةِ الْمُخَفَّفَةِ مِنْ ضُغُوطَاتِ الْعَصْرِ عَلَى النُّفُوسِ، وَبِالْفِعْلِ فَإِنَّ النُّكْتَةَ السُّعُودِيَّةَ حَلَّتْ بِقُوَّةٍ، وَفِيهَا مِنَ الْبَهْجَةِ وَالضَّحِكِ وَالْإِنَارَةِ مَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ عَنْهُ: إِنَّ النُّكْتَةَ السُّعُودِيَّةَ صَارَتْ وَقِعًا حَسِيًّا مَلْمُوسًا بِالصَّوْتِ وَالصُّورَةِ وَالْكَلِمَةِ وَالْمَعْنَى.

3 يُولْيُو 2020م

الفلسفة والحكمة

تَعْرِيفِي الشَّخْصِيَّ لِلْفَلَسَفَةِ وَالْحِكْمَةِ غَيْرُ مُشَاكِهِ أَوْ مُشَاكِلٍ لِجَمِيعِ الآرَاءِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي تَعْرِيفَاتِ فَلَاسِفَةِ الْعَالَمِ وَحُكْمَانِهَا:

فَالْفَلَسَفَةُ: هِيَ كُلُّ مَا يَقُومُ عَلَى التَّأَمُّلِ وَالْفَرَضِيَّةِ وَالتَّجَرِبَةِ وَالتَّطْبِيقِ؛ لِلْوُصُولِ إِلَى حَقِيقَةِ الْأَشْيَاءِ الْخَلْقِيَّةِ الْكُونِيَّةِ وَالْمَادِّيَّةِ الْمَلْمُوسَةِ وَالْحِسِّيَّةِ الْمَحْسُوسَةِ بِالشُّعُورِ وَبِالْإِدْرَاكِ بِالْقَلْبِ وَالْعَقْلِ لِمَاهِيَةِ الْأَشْيَاءِ، دَقِيقِهَا وَعَظِيمِهَا.

أَمَّا الْحِكْمَةُ فَهِيَ قُدْرَةُ اسْتِثْنَائِيَّةٍ لِلِاخْتِكَامِ وَالْحُكْمِ الْجَازِمِ الْمُؤَكَّدِ لِكُلِّ الْآرَاءِ اللَّفْظِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ فِي الْبَشَرِ، لَا تَقْبَلُ النَّقَاشَ وَلَا التَّأْوِيلَ وَلَا التَّخْيِيرَ، تَجْمَعُ خِلَاصَةَ التَّأَمُّلِ وَالْفَرَضِيَّةِ وَالتَّجَرِبَةِ وَالتَّطْبِيقِ فِي النَّفْسِ؛ اثْبَاتًا لِكُلِّ الْحَقَائِقِ الْكُونِيَّةِ، تَجْتَمِعُ عَلَى الصَّوَابِ دُونَ الْخَطَا، وَهِيَ تَنْتُجُ عَنْ مَعْرِفَةٍ وَاسِعَةٍ بِالْعُلُومِ الْكُونِيَّةِ، قَوَامُهَا الْمَوْهَبَةُ أَوْ الْاِكْتِسَابُ الْمُؤَدِّي إِلَى الْحِكْمَةِ الَّتِي هِيَ جَوْهَرُ الْفَهْمِ وَالْعِلْمِ.

وَدَّ: شَرْحُ يُضَافُ إِلَى مَا سَبَقَ أَنْ كَتَبْتَهُ عَنْ نَظَرِيَّتِي فِي (الْفَلَسَفَةِ وَالْحِكْمَةِ):

أَوَّلًا: فَإِنَّ الْفَلَسَفَةَ لَيْسَتْ مِنْهَجًا إِلَّا فِي اِكْتِسَابِهَا دَرْسًا وَتَحْصِيلًا، كَمَا دَرَجَةٌ مُحَدَّدَةٌ لِعَرَضِ الدِّرَاسَةِ فِي مَوْضُوعٍ مِنَ الْمَوْضُوعَاتِ فَقَطْ.

ثَانِيًا: لَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ الْفَلَسَفَةُ بِعَامَّةٍ هِيَ سُؤَالًا وَشَكًّا فَقَطْ، بَغَيْرِ مَا ذَكَرْتُ، وَإِلَّا كَانَ إِسْقَاطًا عَلَى حُمُولَةِ الْمَعْنَى الْفَلَسَفِيِّ الْعَامِّ، وَذَلِكَ مَا لَمْ يَتَحَدَّثْ بِهِ عُلَمَاءُ الْفَلَسَفَةِ إِلَّا فِي خُصُوصِيَّةٍ مَا، مِثْلَ الْفَلَسَفَةِ الدِّيكََارْتِيَّةِ الَّتِي بَحَثْتُ عَنْ الْيَقِينِ.

ثَالِثًا: حِينَ نَقُولُ بِعُمُومِيَّةِ الْفَلَسَفَةِ فَإِنَّهَا لَنْ تَخْرُجَ عَنْ إِطَارِ التَّأَمُّلِ وَالْفَرَضِيَّةِ وَالتَّجَرِبَةِ وَالتَّطْبِيقِ.

رَابِعًا: فَإِنَّ عِلْمَ الْفَلَسَفَةِ لَا يَتَعَلَّقُ بِالدِّيَانَاتِ فَقَطْ، بِقَدْرِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّأَمُّلِ وَالْفَهْمِ.

خَامِسًا: هَلْ هُنَاكَ مَنْ يَتَأَمَّلُ وَيَفْتَرِضُ وَيَجَرِّبُ وَيُطَبِّقُ وَهُوَ لَا يَعْمَلُ الْعَقْلَ الْمَفَكَّرَ، وَتِلْكَ رُؤْيَا ضَيَّرَ، لَا تَدْخُلُ فِي حِسَابَاتِ الْعَقْلِ الْعَاقِلِ.

سادساً: إِنِّي لَمْ أَقُلْ بِالْمُقَارَنَةِ بَيْنَ الْفَلَسَفَةِ وَالْفَلَّاسَةِ الْعَرَبِ، أَوْ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ الْعَرَبِيِّينَ؛ لِأَنَّ الْفَلَسَفَةَ عَالَمٌ كَبِيرٌ يَجْمَعُ فِي طَيَّاتِهِ كُلَّ فَلَاسِفَةِ الْعَالَمِ وَفَلَسَفَةِ الْأَشْيَاءِ. سابعاً: إِنَّ الْفَلَسَفَةَ فِي عُمُومِيَّتِهَا لَيْسَتْ مِنْهَجًا، وَإِنَّمَا هِيَ عِلْمٌ شَامِلٌ جَامِعٌ فِي الْعَقْلِ الْإِنْسَانِيِّ.

ثامناً: فَإِنَّ الشَّكَّ أَحَدُ دَوَافِعِ الْفَلَسَفَةِ الْأَسَاسِيَّةِ.

تاسعاً: قَدْ قُلْتُ فِي مَعْرِضِ كَلَامِي عَنِ (الْفَلَسَفَةِ وَالْحِكْمَةِ): إِنَّ هَذَا رَأْيِي الْخَاصُّ، لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ أَوْ شَبِيهُ أَوْ نَظِيرٌ، وَلَمْ أَبْنِ عَلَى آرَاءِ السَّابِقِينَ أَوْ الْلاحِقِينَ. كَمَا أَنَّ الْقُرْآنَ يَدْعُو إِلَى الْفَلَسَفَةِ، وَجُلُّهُ فَلَسَفَةٌ لِلْكَوْنِ؛ لِيُثَبَّتَ الْيَقِينُ. وَلِنُنْظُرَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {أَفَلَا يَعْقِلُونَ} [يس: 68]، {لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الحشر: 21]، {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ} [النساء: 82]، تِلْكَ دَعْوَةٌ إِلَى الْفَلَسَفَةِ التَّائُمِّلِيَّةِ فِي خَلْقِ اللَّهِ وَكَوْنِهِ بِقَدْرِ الْمُتَّاحِ لِلْعَقْلِ الْإِنْسَانِيِّ.

24 يُولْيُو 2022

السِّيَاسَةُ الْجَدِيدَةُ

إِنَّ اللَّعْبَةَ السِّيَاسِيَّةَ الْجَدِيدَةَ لَيْسَتْ فِي إِشْعَالِ حَرْبٍ عَالَمِيَّةٍ، بَلْ عَلَى الْإِتِّفَاقِ بَيْنَ الْقُوَى الْعُظْمَى عَلَى تَقَاسُمِ الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ وَثُرَوَاتِهَا فِيمَا بَيْنَ الْأَقْوِيَاءِ، وَفِي النَّهَايَةِ سَوْفَ يَجْتَمِعُونَ عَلَى تَحْدِيدِ مَنَاطِقِ النُّفُوذِ وَالْهَيْمَنَةِ، وَتَرْسِيمِ الْحُدُودِ الْإِسْتِعْمَارِيَّةِ عَلَى حِسَابِ الْحِمْلَانِ الْوَدِيعَةِ.

لَا يُمْكِنُ لِتِلْكَ الدُّوَلِ الْكَبِيرَةِ أَنْ يَبْلُغَ بِهَا الْغَبَاءُ أَنْ تُدْمَرَ مُكْتَسَبَاتُ أَقَامَتِهَا عَلَى مَدَى عُقُودٍ مِنَ الزَّمَانِ بِرِصَاصَةِ طَائِشَةٍ، بَلْ كُلُّ شَيْءٍ مُحْسُوبٌ لَدَيْهَا، وَالَّذِي نَرَاهُ الْآنَ مِنْ حُرُوبٍ هُوَ لِأَعْلَامِ أَطْرَافِ الْقُوَى الْعُظْمَى أَنَّهُمْ مُوجُودُونَ بِقُوَّةٍ عَلَى الْمَسْرَحِ الْعَالَمِيِّ؛ حَتَّى يَأْخُذَ كُلُّ طَرَفٍ نَصِيْبَهُ الْمُسَاوِي مِنْ مَسَاحَةِ الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ وَتَوَزِيعِ الثَّرَوَاتِ الْمُسْتَلَبَةِ مِنَ الدُّوَلِ الضَّعِيفَةِ، هَذِهِ هِيَ الْقُضِيَّةُ وَالْمُشْكَلَةُ الَّتِي سَوْفَ تَنْتَهِي بِالْوِفَاقِ عَلَى خَارِطَةِ التَّقْسِيمِ الْعَالَمِيِّ.

4 أَيْسُطُس 2022م

السَّامَاتُ

قُلُوبُ الْبَشَرِ مَفْطُورَةٌ عَلَى السَّامَاتِ وَتَشْفِي بَعْضُهَا بِفَضَائِحِ بَعْضٍ، إِلَّا مَنْ آمَنَ وَاتَّقَى وَعَرَفَ أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِدَارِ مُقَامٍ، وَإِنْ هُوَ التَّذْيُومُ بِالسَّامَاتِ فِي إِنْسَانٍ، فَالْعَاقِبَةُ عَلَيْهِ، فَسَتُورُ الدَّوَائِرِ، وَيُبْتَلَى، فَيُسَمَّتْ بِهِ الْقَاصِي وَالِدَّائِي.

أَيُّهَا الْمُقْتَفُونَ عَثَرَاتِ النَّاسِ احْمَدُوا اللَّهَ أَنْ عَافَاكُمْ مِمَّا ابْتَلَى بِهِ كَثِيرًا، وَادْعُوا لِمَنْ زَلَّتْ قَدَمُهُ بِالْعَافِيَةِ وَصَلَّاحِ أَمْرِهِ، وَادْعُوا الْخَلْقَ لِلْخَالِقِ؛ فَإِنَّا فِي دَارِ ابْتِلَاءٍ، فَمَنْ نَجَّاهُ اللَّهُ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ رَمَاهُ الدَّهْرُ بِوَيْلَاتِهِ فَلْيَصْبِرْ عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ، وَيَحْمَدْهُ عَلَى الْبَلَاءِ، وَيَسْأَلْهُ تَعْظِيمَ الْأَجْرِ، فَالْبَلَاءُ لَيْسَ نِقْمَةً إِلَّا عَلَى الْكَافِرِينَ وَالظَّالِمِينَ، أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِذَا ابْتَلَاهُ اللَّهُ عَظَّمَ لَهُ الْأَجْرَ، وَقَرَّبَهُ إِلَيْهِ بِالصَّبْرِ وَالطَّاعَاتِ، وَخَتَمَ لَهُ بِالصَّالِحَاتِ، وَلْيَنْظُرِ الْعَاقِلُ إِلَى الْعَزَاءِ لِلنُّفُوسِ فِي الْبَلَاءِ وَالْمَحْنِ؛ إِذْ هُوَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ؛ إِذْ يَقُولُ - سُبْحَانَهُ -: {أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ} [العنكبوت: 2].

وَلَيْسَ هُنَاكَ أَكْثَرُ ابْتِلَاءٍ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، وَهُمْ أَحِبَّاءُ وَخُلَصَاؤُهُ، فَقَدْ ابْتَلَاهُمْ حَتَّى يَعْلَمَ - سُبْحَانَهُ - الصَّابِرِينَ مِنْهُمْ، وَتَقْدِيرُهُ لِدَرَجَاتِ الصَّبْرِ بِحَسَبِ دَرَجَاتِ الْإِبْتِلَاءِ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانَا مِمَّا ابْتَلَى بِهِ كَثِيرًا، اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَاخْتِمْ لَنَا بِخَاتِمَةِ عُقْبَى الدَّارِ، وَالْحَقْنَا بِالصَّالِحِينَ، وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا لِلْإِسْلَامِ، وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

16 أغسطس 2019م

قَبْلَ الرَّحِيلِ

سَتَبْقَى كَلِمَاتٌ لَمْ أَقْلَهَا، وَتَمَنَيْتُ أَنْ أَقُولَهَا قَبْلَ الرَّحِيلِ.. لَا أَذْرِي وَلَسْتُ مُتَذَكِّرًا، إِلَّا أَنِّي أَعْرِفُ أَنَّ لَدَيَّ الْكَثِيرَ الَّذِي لَمْ أَقْلَهُ، وَالَّذِي أَعْتَقَدُ أَنَّهُ سَيُعَادِرُ مَعِيَ إِلَى مَدِينَةِ الصَّمْتِ وَالْكُتْمَانِ، أَتَعَزَّى بِهِ رَفِيقًا مَعِيَ فِي وَحْدَتِي، وَأَنِيسًا يُصَاحِبُ خَلَوَتِي، فَمَا عُدْتُ أَفْرُقُ بَيْنَ الْحُزْنِ وَالسَّعَادَةِ، فَكِلَاهُمَا سَيَّانٌ، وَلَسْتُ أَبْهَ بِمَنْ سَرَّنِي أَوْ ضَرَّنِي لِأَنَّ رَحِيلَ الْإِحْسَاسِ نَتَاجُ لِرَحِيلِ الرُّوحِ، وَسُبْحَانَ مَنْ لَهُ فِي خَلْقِهِ شُؤُونٌ.

سَوْفَ أَنْظُرُ إِلَى مَا هِيَآتٍ أُخْرَى تَتَعَلَّقُ بِقَدْرِي فِي عَالَمِ الْأَقْدَارِ، فَإِنْ أَحْسَنْتُ فِي دُنْيَايَ فَلِي مِنَ الذِّكْرِى دُعَاءُ الطَّيِّبِينَ، وَإِنْ أَسَأْتُ فَمَا لِي إِلَّا ضَعْفِي، لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ خَلَقَنِي وَسَوَّانِي وَكَتَبَنِي فِي عِدَادِ خَلَائِقِهِ فِي الْوُجُودِ، وَفِي الْعِيَابِ، فَكُلُّ نَفْسٍ تَحْمِلُ هَمَّهَا وَحِيدَةً مُنْفَرَدَةً، لَا تَقْوَى عَلَى تَغْيِيرِ أَحْوَالِهَا؛ لِذَا فَمَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ هُوَ الدُّعَاءُ بِأَنْ يُؤْتِيَ اللَّهُ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَيُزَكِّيَّهَا، هُوَ خَيْرٌ مِنْ زَكَاةَا، وَمَا حَالَتِي إِلَّا كَحَالَةِ الْخَلْقِ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَلَا سَبِيلَ لِي إِلَّا النَّجْوَى إِلَى اللَّهِ، وَالْإِلْتِجَاءُ إِلَيْهِ، طَالِبًا عَفْوَهُ وَرَحْمَتَهُ، مُوَكَّلًا أَمْرِي إِلَيْهِ، فَمَاذَا يَفْعَلُ الْعَبْدُ وَالْمَعْبُودُ اللَّهُ هُوَ الْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ، وَهُوَ الَّذِي إِنْ شَاءَ غَفَرَ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَ؟ فَمَصِيرُنَا إِلَيْهِ، وَعَجْزُنَا هُوَ صُورَةُ ارْتِهَانِنَا إِلَيْهِ، وَأَمَلُنَا فِيهِ عِزَاءُ الْمُتَعَبِّينَ، وَسَلْوَانُ الْعَاجِزِينَ، وَهُوَ مَنْ يَرَانَا فِي عَثَرَاتِنَا، وَمَنْ يَحِنُّ عَلَيْنَا وَيَلْطَفُ بِنَا وَيَرْحَمُنَا، وَفِي كُلِّ الْأَحْوَالِ لَنْ أُخْفِيَ سِرِّي عَنِ اللَّهِ، وَكَيْفَ وَهُوَ يَعْلَمُ مَا فِي الصُّدُورِ، وَوَحْدَهُ يَعْلَمُ غُيُوبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ؟ اللَّهُمَّ إِذَا جِئْتُ إِلَيْكَ فَانْتَ تَعْلَمُ بِحَالَتِي وَهَوَانِي إِلَيْكَ، وَلَنْ تَضِيقَ بِي رَحِمَتُكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، فَلَيْسَ لِي إِلَّا أَنَّنِي لَمْ أَشْرِكْ بِكَ شَيْئًا، وَأَنَّنِي لَمْ أَظْلِمُ، وَلَمْ أَنْكَرْ فَضْلَكَ عَلَيَّ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا الَّذِي حَمَدْتُكَ وَأَحْمَدُكَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَأَحْبَبْتُكَ، فَكَانَ حُبُّكَ شِفَاءً لِنَفْسِي فِي دُنْيَايَ، وَلَا أَظُنُّ بِكَ إِلَّا خَيْرًا حِينَ أَمْضِي إِلَيْكَ، وَالْحَقُّ بِكَ، فَلَا يَكُونُ - يَا رَبِّي - غَضَبُكَ عَلَيَّ حَائِلًا وَلَا مَانِعًا وَلَا قَاطِعًا لِفَضْلِكَ وَغُفْرَانِكَ، فَمَا حِيلَتِي وَقَدْ أَخْطَأْتُ وَأَذْنَبْتُ وَعَصَيْتُ، إِلَّا عَظَمَةُ قُدْرَتِكَ عَلَى الْعَفْوِ وَالسَّمَاحِ، فَقَدْ تَعَبْتُ مِنْ حَمْلِي أَوْزَارًا لَمْ أَكُنْ أَتَمَنَّى اقْتِرَافَهَا وَلَكِنَّهَا نَفْسِي الْأَمَارَةُ بِالسُّوءِ، وَشَيْطَانُهَا اللَّذَانِ اسْتَعِيدُ بِكَ مِنْهُمَا، وَأَعْتَرِفُ بِذُنُوبِي؛ لِعِلْمِي بِأَنِّي الضَّعِيفُ الْمَائِلُ بَيْنَ يَدَيَّ رَحِمَتِكَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

تَأَخَّرَ الْفِكْرُ الْعَرَبِيُّ

هُوَ كِتَابٌ جَيِّدٌ فِي طَرَحِهِ، وَقَدْ جِئْنَا كَثِيرًا عَلَى كَثِيرِهِ فِيمَا كَتَبْنَاهُ فِي كُتُبِنَا الْفَلَسَفِيَّةِ قَبْلًا، فِي اسْتِقْرَاءِ لِدَوَخِلِ النَّفْسِيَّاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَلُغَةِ الْفَهْمِ، فَمَا كُنَّا بِأَكْثَرِ مِمَّا أَوْرَدَهُ كِتَابُ «طِبَائِعِ الْإِسْتِبْدَادِ وَمَصَارِعِ الْإِسْتِعْبَادِ»، لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ الْكُوَكِبِيِّ، الَّذِي عَرَفَ كَيْفَ يَكُونُ التَّنْظِيرُ لِلنَّفْسِيَّاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَتَأْلِيهِ حُكَايَاهَا، وَدُونَ ذَلِكَ فَهَمُّ عَلَى فَهْمٍ وَاحِدٍ يَتَجَسَّدُ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَحُبِّ الْمَالِ وَالْجِنْسِ وَالْمَرْأَةِ، وَبَقِيَّةِ الْإِسْتِهَاءَاتِ الْوَقْتِيَّةِ، وَالْخُنُوعِ، وَلَدَيَّ مَبْحَثٌ فِي هَذَا الطَّرْحِ لَمْ أَقْمِهِ إِلَّا عَلَى مَرَجِعِيَّتِي الشَّخْصِيَّةِ وَالتَّجْرِبِيَّةِ، كَحَالِ ابْنِ عَمِّي الْعَالِمِ ابْنِ خَلْدُونِ الْكِنْدِيِّ، مُعْتَمِدًا عَلَى مُرَاجِعَتِي لِتَارِيخِ الْأُمَمِ، مُحْتَذِيًا بِمَا أَصَابَ أُرُوبًا فِي عَصُورِ الْجَذْبِ الْفِكْرِيِّ وَالصَّرَاعَاتِ الْقَوْمِيَّةِ، حَتَّى خَرَجْتُ مِنْ كَهْفِ التَّمْيِيزِ وَالْعُنْصَرِيَّةِ وَالتَّكْتُلَاتِ الْعَصَبِيَّةِ، إِلَى رَحَابَةِ الْمُشَارَكَةِ فِي تَصْنِيعِ الْفِكْرِ الْجَمْعِيِّ الَّذِي جَمَعَ الْقَوْمِيَّةَ الْأُورُوبِيَّةَ عَلَى تَجَاوُزِ الْجَهْلِ إِلَى الْفِكْرِ الْمُنْتَحِلِ لِلْإِبْدَاعِ فِي شَتَّى الْإِتْجَاهَاتِ الْبَانِيَّةِ، وَالْمَوْضُوعِ هَذَا لَا يَكْفِيهِ الْبُحُوثُ الَّتِي قُدِّمَتْ عَلَى وَاجْهِهَ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ؛ فَمَا زَالَ هُنَاكَ انْقِطَاعٌ وَتَمَانُعٌ وَتَخْوِيفٌ مِنْ حُرِّيَّةِ الْبِنَاءِ الْفِكْرِيِّ فِي أُمَّةٍ تُؤْمِنُ بِالْخُصُوصِيَّةِ وَالْفَرْدِيَّةِ وَالْقَبْلِيَّةِ وَالتَّنَازُرِ بِالْعِرْقِيَّاتِ وَالْإِثْنِيَّاتِ، وَلَا تَجْعَلُ قَرَابَةَ الْفِكْرِ فَوْقَ قَرَابَةِ الدَّمِ وَالْعِرْقِ، تِلْكَ هَمَجِيَّةُ السُّلُوكِ وَالْإِرَادَاتِ الْعَقْلِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، فَقَلِيلًا قَلِيلًا يَكْبُرُ الْإِحْسَاسُ الْعَرَبِيُّ عِنْدَمَا تُسْتَبَدَّلُ بِالْحَاجَاتِ الْمُلْحَةِ نَقَائِصُ الْفِكْرِ الْإِتْبَاعِيِّ إِلَى الْفِكْرِ الْإِبْدَاعِيِّ وَالْإِبْتِدَاعِيِّ، وَالْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ قَرِيبٌ مِنَ التَّفَلُّتِ مِنْ حَبْسِ الْأَفْكَارِ فِي وَحْدَانِيَّةِ الْفِكْرِ وَعُبُودِيَّةِ الْأَنَا الْمُتَفَرِّدَةِ. إِنَّ الْعَقْلَ الْعَرَبِيَّ لَا يَعْتَرِفُ بِالتَّجَرُّبَةِ، وَلَا التَّمَحْيِصِ لِلتَّجَارِبِ الزَّمْنِيَّةِ وَالْأُمَمِيَّةِ، وَالْأَوَّلَى إِعَادَةُ قِرَاءَةِ التَّارِيخِ وَصِيَاغَةُ مُجْرِيَاتِهِ وَأَحْدَاثِهِ بِشَكْلِ صَادِقٍ، وَحُرِّيَّةٍ تَتَسَمَّى بِالشَّجَاعَةِ؛ لَنَكُونَ عَلَى قَدَرٍ مُتَسَاوٍ مَعَ صُنَاعِ الْقَرَارَاتِ الدَّوْلِيَّةِ، فَدَوْرَاتِ الزَّمَانِ تَصُبُّ فِي صَالِحِ الْوَقْتِ الْعَرَبِيِّ، وَلَكِنْ سَيَكُونُ الْمَخَاضُ عَسِيرًا وَمُكَلِّفًا. وَلَكِنْ دَوْلَةُ الْفِكْرِ الْخَلَاقِ سَتَعُودُ وَاعِدَةً بِالْعُلَا وَالْمَجْدِ عَلَى يَدِ الْمُخْلِصِينَ مِنْ بِنَاةِ الْإِنْسَانِ وَالْأَوْطَانِ.

التَّحَوُّلُ بَيْنَ الْفَنِّ الْأَخْلَاقِيِّ الْإِنْسَانِيِّ

وَالْفَنِّ التَّدْمِيرِيِّ الْعَسْكَرِيِّ فِي الْفِكْرِ الْعَصْرِيِّ الْوَاقِعِيِّ

لَنْ نَدْعِي جُزَافًا، وَلَنْ نُبَالِغَ إِذَا قُلْنَا: إِنَّ مَنَابِرَ الْفَنِّ بِكُلِّ أَنْوَاعِهِ وَتَشْكِيلَاتِهِ وَصُورِهِ الْمُتَعَارَفِ عَلَيْهَا فِي الشَّعْرِ - وَهُوَ رَأْسُ الْفُنُونِ -، وَالْقِصَّةِ، وَالْدَّرَامَا، وَالرَّوَايَةِ، وَالْمَسْرُوحَةِ، وَالرَّسْمِ، وَالنَّحْتِ، وَالنَّثْرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْفُنُونِ، قَدْ تَضَاعَلَّ وَخَبَا صَوْتُهَا فِي الْعَالَمِ، وَكَأَدَّ أَجْزَمُ أَنَّ تِلْكَ الْفُنُونُ قَدْ تَأَثَّرَتْ شُكُولُهَا وَتَلَبَّسَتْ أَشْكَالًا تَنْصُوي تَحْتَ اسْمِ الْفُنُونِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْعَسْكَرِيَّةِ، فَزَيَّ أَنْ لُغَةَ الْفُنُونِ، وَمَذَاهِبُ مَا اضْطَلَحَ عَلَيْهِ «فَنُّ إِنْسَانِيٌّ»، وَمَدَارِسُهُ، قَدْ تَبَدَّلَ مِنَ الْكِلَاسِيكِيَّةِ وَالرُّومَانْسِيَّةِ وَالْوَاقِعِيَّةِ وَالتَّجْرِيدِيَّةِ وَالْبِرْنَانِيَّةِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَذَاهِبِ، إِلَى مَذَاهِبٍ يُمَكِّنُ أَنْ نُسَمِّيَهَا مِنْ خِلَالِ تَطْبِيقِ أَسْمَاءِ الْفُنُونِ بِأَنْوَاعِهَا وَمُصْطَلَحَاتِهَا؛ لِتَكُونَ الْمُصْطَلَحَاتُ ذَاتَهَا، وَالْأَسْمَاءُ نَفْسَهَا، إِنَّمَا هِيَ الْآنَ تَأْخُذُ مَعَايِيرَ نُفَرْدُهَا وَنُسْقِطُهَا عَلَى فُرُوعِ الْفُنُونِ؛ لِتَكُونَ هِيَ الْحَدَاثَةُ الْجَدِيدَةُ، أَوْ إِذَا تَجَاوَزْنَا قُلْنَا: إِنَّهَا نَظَرِيَّةُ عَسْكَرَةِ السِّيَاسَةِ، إِذَا طَبَّقْنَاهَا عَلَى مُخْتَلِفِ الْفُنُونِ؛ لِنَقُولَ الْيَوْمَ الشَّعْرُ السِّيَاسِيُّ، أَوْ الْقِصَّةُ الْعَسْكَرِيَّةُ، وَالْقِصَّةُ وَالرَّوَايَةُ السِّيَاسِيَّةُ، وَالرَّسْمُ وَالتَّصْوِيرُ وَالنَّحْتُ الْعَسْكَرِيُّ الْمَاسَاوِي، الَّذِي يُصَوِّرُ الْقَتْلَ وَالْدَّمَارَ الَّذِي لِحَقِّ الْإِنْسَانِ وَالْأَوْطَانِ فِي عَصْرِنَا الرَّاهِنِ.

كُلُّ الْفُنُونِ الَّتِي كَانَتْ مَثَارًا وَغَايَةً لِلْأَخْلَاقِ انْسَحَبَ عَلَيْهَا الْإِبْدَاعُ فِي تَصْنِيعِ السَّلَاحِ الْقَاتِلِ لِلْفَضِيلَةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ، وَتَقَرَّمَ وَتَشَرَّدَمَ الْفَنُّ، لَيْسَ فِي الْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ فَحَسَبُ، بَلْ فِي الْعَالَمِ الْإِنْسَانِيِّ كُلِّهِ، وَتَبَدَّلَتْ أَسْمَاءُ أَسَاطِينِ الْفُنُونِ الْإِبْدَاعِيَّةِ إِلَى أَسْمَاءٍ فَرَضَتْهَا الْحَالَاتُ الْوَاقِعِيَّةُ لِأَمْرَاءِ الْحُرُوبِ وَصُنَاةِهَا وَقَادَتِهَا، فَأَضْحَى الشَّعْرُ مَزِيجًا بَيْنَ الْقُبْلَةِ وَالصَّارُوخِ وَالِدَّبَابَةِ وَالرَّشَاشِ وَالطَّائِرَةِ الْحَرْبِيَّةِ، هَذَا هُوَ عَصْرُ الْفَنِّ الْحَرْبِيِّ: إِبْدَاعُ فِي تَصْنِيعِ آلَةِ الدَّمَارِ الْكُونِيِّ، لَيْسَ لِلْفُنُونِ الْأَخْلَاقِيَّةِ بِكُلِّ وَصُوفِهَا وَأَشْكَالِهَا وَأَنْوَاعِهَا وَأَسْمَائِهَا إِلَّا التَّطْبِيقُ عَلَى مَوَادِّهَا، فَنَقُولُ الشَّعْرَ الْحَرْبِيَّ، الْقِصَّةَ وَالرَّوَايَةَ الْحَرْبِيَّةَ، الرَّسْمَ وَالنَّحْتُ وَالتَّصْوِيرَ الْحَرْبِيَّ، وَقَسَّ عَلَى ذَلِكَ تَطْبِيقًا عَلَى مَجَامِعِ الْفَنِّ، فَقَدْ تَحَجَّمَ الْفَنُّ بِكُلِّ أَنْوَاعِهِ، وَخَفَتْ صَوْتُهُ، بَلْ يَكَادُ يُصْبِحُ مِنْ أَسَاطِيرِ الْأَوَّلِينَ لِيَحِلَّ بَدِيلًا عَنْهُ الْفَنُّ الْحَرْبِيُّ وَالسِّيَاسِيُّ، وَالْفِكْرُ التَّنْظِيرِيُّ لِنَوَازِعِ السَّيْطَرَةِ وَالْإِسْتِبْدَادِ وَالْإِسْتِثَارِ الْخَاضِعِ لِفُنُونِ الْقُوَّةِ

وَأَبْدَاعَاتِهَا، كَمَا ذَهَبَ نَتَشِيهِ الْفِيلْسُوفُ الْأَلْمَانِيُّ؛ لَذَا يَمُوتُ الْفَنُّ الْأَخْلَاقِي الْإِنْسَانِي وَأَرْبَابُهُ، وَيُصْبِحُ شَيْئًا مِنَ الذِّكْرِيَّاتِ، وَضَرْبًا مِنْ نَوَافِلِ التَّسْلِيَةِ يَتَنَدَّرُ بِهِ أَهْلُ الْفَرَاغِ الْوَقْتِي؛ لِيَقُولُوا: كَانَ هُنَاكَ تَرَاثٌ فِي أُمِّ عَاشَتْ عَلَى تَرْفِ الْخَيَالِ الْفِكْرِي فِي زَمَنٍ قِيلَ عَنْهُ: زَمَنُ الْفُنُونِ، كَمَا نَتَذَكَّرُ وَنَتَذَكَّرُ الْعَصْرَ الْجَاهِلِيَّ، وَعَصْرَ صَدْرِ الْإِسْلَامِ، وَالْعَصْرَ الْأُمَوِيَّ، وَالْعَصْرَ الْعَبَّاسِيَّ، وَمَا تَلَاهَا مِنْ عَصُورٍ فَتِيَّةٍ، إِلَى أَنْ أَتَى هَذَا الْعَصْرُ الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ فَنُّ الْإِبْدَاعِ الْعَسْكَرِيِّ الدَّمَوِيِّ، وَلَمْ يَعْذُ ثَمَّةَ رَابِطٍ بَيْنَ الْفُنُونِ الْأَخْلَاقِيَّةِ وَالْفُنُونِ الْجَدِيدَةِ التَّدْمِيرِيَّةِ، وَارَى أَنْ يُقَنَّ لِلْفَنِّ الْإِحْتِرَابِيَّ الْجَدِيدِ شُكُولُهُ وَمَذَاهِبُهُ وَأَنْوَاعُهُ؛ حَتَّى يَتَطَابَقَ مَعَ وَقَائِعِهِ الْمُعَاصِرِ حِينَ نُسَجِّلُهُ إِبْدَاعًا مُخْتَلِفًا وَمُخَالَفًا لِنَامُوسِ الْفِكْرِ الْخَلَاقِ، نُدُونُهُ تَارِيخًا إِبْدَاعِيًّا بِتَفَوُّقٍ وَقُدْرَةٍ فِي تَدْمِيرِ الْفِكْرِ الْخَلَاقِ لِكِرَامَةِ الْإِنْسَانِ وَحَيَاتِهِ، وَاعْتِبَارُ الْفِكْرِ الْإِبْدَاعِيِّ هُوَ الَّذِي يَقُومُ عَلَى تَدْمِيرِ الْإِنْسَانِ وَالسَّيْطَرَةِ وَالْإِسْتِبْدَادِ، وَأَنْتِهَابِ جَمَالِ النَّفْسِ وَالْأَرْضِ، وَتَحْوِيلِهِ إِلَى فِكْرِ عَسْكَرِيٍّ صَرَفٍ يَقُومُ عَلَى قَتْلِ الْقَوِيِّ لِلضَّعِيفِ، وَإِذْلَالِهِ وَاسْتِعْبَادِهِ، تِلْكَ هِيَ الْحَقِيقَةُ الَّتِي نَحَاوُلُ أَنْ نُصَوِّرَهَا بِالْحُبِّ وَالْجَمَالِ وَالْخُلُقِ؛ لِلخُرُوجِ مِنْ أَرْمَاتِنَا النَّفْسِيَّةِ، وَلَكِنَّهَا مُغَايِرَةٌ لِحَقَائِقِ الْوَاقِعِ الْأَرْضِيِّ الَّذِي تَجَسَّدَتْ فِيهِ شَرَائِعُ التَّوْحُّشِ الْفَنِّيِّ لِلْغَابَةِ الْخُلُقِيَّةِ. فَسَلَامٌ عَلَى الْفَنِّ الْأَخْلَاقِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَرَحِمَ اللَّهُ زَمَانَ الْفَنِّ الَّذِي كَانَ يَسْعَى إِلَى خَيْرِيَّةِ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَاةِ.

1 أُوْكْتُوبَر 2019م

البدؤ والبداوة

لَيْسَ مِنَ الْعَقْلِ أَنْ نُطْلِقَ كَلِمَةَ «بَدَوِيٌّ»، أَوْ «بَدُوٌّ»، عَلَى أَهْلِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ؛ لِلْفَخْرِ عَلَى تَأْصِيلِ الْإِنْتِمَاءِ الْقَبْلِيِّ فَقَطْ، وَخُصُوصًا عِنْدَمَا نَعْلَمُ أَنَّ كَلِمَةَ «الْبَدَاوَةُ» لَيْسَتْ أَصْلًا أَوْ جِنْسِيَّةً أَوْ هُوِيَّةً، وَإِذَا عَرَفْنَا أَنَّ كَلِمَةَ «بَدَوِيٌّ» أَوْ «الْبَدُوُّ» هُمَا الْمَكُونَانِ الْأَسَاسِيَانِ، وَهُمَا الْقَاسِمُ الْمُشْتَرَكُ بَيْنَ جَمِيعِ الْبَشَرِ مِنْ عَرَبِيَّهِمْ وَأَعْجَمِيَّهِمْ، وَهُمْ مُنَحْدِرُونَ مِنْ أَصُولِ بَدَوِيَّةٍ فِي تَرْكِيبَتِهَا الْفِطْرِيَّةِ، حِينَمَا نَعْلَمُ أَنَّ كَلِمَتِي «الْبَدُوُّ»، و«الْبَدَاوَةُ» تَعْنِيَانِ الْبَدَاءَ وَالْبَدَايَةَ لِلْإِنْسَانِ الْمَجْبُولِ عَلَى تَفْكِيرٍ بَسِيطٍ غَيْرِ مُنْتَجٍ لِلْمُجْتَمَعَاتِ، وَغَيْرِ مُتَجَاوِزٍ لِأَعْمَالِ التَّفْكِيرِ فِي الْإِبْدَاعِ، وَإِنَّمَا كُلُّ مَا يَشْغَلُهُ هُوَ تَوْفِيرُ لُقْمَةِ الْعَيْشِ عَنْ طَرِيقِ الرِّعْيِ وَالزَّرَاعَةِ وَجَمْعِ الْحَطَبِ؛ لِلطَّبْخِ وَالتَّدْفِيقِ، بِمَا يُؤَدِّي إِلَى إِرَادَةِ الْفِكْرِ غَيْرِ الْإِيجَابِيِّ، وَالرِّضَا بِالْقَلِيلِ دُونَ الْكَثِيرِ؛ فَنَاعَةً مِنْهُ عَلَى مَحْدُودِيَّةِ الْإِحْتِيَاجِ وَبَسَاطَةِ الْحَيَاةِ الَّتِي فُطِرَ عَلَيْهَا، وَلَا يُرِيدُ أَنْ يُطَوِّرَ تَفْكِيرَهُ؛ إِحْسَاسًا مِنْهُ بِأَنَّ هَذِهِ الْبَسَاطَةَ هِيَ كُلُّ شَيْءٍ يَطْمَحُ إِلَيْهِ. وَكَلِمَةُ «الْبَدُوُّ» عَكْسُ «الْحَضَرِّ»، و«الْحَضَارَةِ»، الَّتِي تَتَعَدَّدُ فِيهَا الْأَفْكَارُ الْمُنْتَجَةُ لِلتَّطَوُّرِ فِي اسْتِحْدَاثِ مَفَاتِنِ الْأَشْيَاءِ الْمُبْدَعَةِ، وَاسْتِحْدَامِهَا فِي تَنْمِيَةِ قُدْرَاتِ الْعَمَلِيِّ وَالْفِكْرِيِّ فِي الشُّعُوبِ عَلَى مُصَاحَبَةِ الْخَلْقِ وَالِابْتِكَارِ وَالسَّبَاقِ إِلَى تَحْقِيقِ قِيَادَةِ الذَّاتِ لِلْمَجْمُوعِ، وَانْضِوَاءِ الْمَجْمُوعِ تَحْتَ لَوَاءِ الذَّاتِ الْعَالِمَةِ بِالْاِكْتِسَابِ الْفِكْرِيِّ، لَا الْإِنْتِسَابِ الْفِطْرِيِّ. وَمِنْ هُنَا نَذْرُكَ أَنَّ تَأْصِيلَ كَلِمَةِ «الْبَدَاوَةُ» الْمُسْتَقَّةَ مِنْهَا كَلِمَتَا «بَدَوِيٌّ» و«بَدُوٌّ»، مِنْ «بَدَأَ»، إِنَّمَا هِيَ تَشْتَمِلُ فِي إِطْلَاقِهَا عَلَى الْجُذُورِ الْأَوَّلِيَّةِ لِنَبْتَةِ بَدَايَةِ الْبَشَرِ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ فَخْرًا لِلْعَاقِلِ بِقَدْرِ مَا هِيَ كَلِمَةٌ تَعْنِي التَّخَلُّفَ وَالِاسْتِكَانَةَ وَالتَّعَوُّدَ عَلَى رُوتِيْنِيَّةِ الْفِعْلِ الْإِنْسَانِيِّ وَتَوَاتُرِيَّتِهِ، وَالَّذِي لَمْ يَمَارِسْ مَفْهُومَ التَّجَاوُزِ الْإِبْدَاعِيِّ لِتَغْيِيرِ عَوَالِمِ الْأَرْضِ، وَاسْتِحْدَاثِ الْأَجْدَى وَالْأَفْضَلِ وَالْأَقْوَى وَالْأَحْسَنِ وَالْأَمْتَعِ؛ لِتَحْقِيقِ قُدْرِيَّةِ الْحَيَاةِ فِي إِعْمَارِ الْأَرْضِ، لَا الْعَيْشِ بِفِكْرِ الْإِتِّجَاهِ الْوَاحِدِ عَلَى رِعَايَتِهَا وَالْفَنَاعَةِ بِزَهْدٍ مَوَارِدِهَا، ثُمَّ الْمَوْتِ دُونَ وَضْعِ بَصْمَةِ الذَّاتِ عَلَى كِتَابِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ.

مُلْحَقٌ لِمَقَالِي السَّابِقِ عَنِ الْبَدَاوَةِ

فِي مَقَالِي عَنِ الْبَدَاوَةِ عَلَّقَ نَفَرٌ مِنَ النَّاسِ بِسَطْحِيَّةٍ مُتَنَاهِيَةٍ، وَعَدَمَ الْفَهْمِ الْجَيِّدِ وَالْمُتَعَمَّقِ لِمَا عَنَيْتُهُ لِمَقْصُودِ فِكْرَةِ الْمَقَالِ وَمَعَانِيهِ. وَذَلِكَ مَا أَحْزَنَنِي مِنْ تَفْسِيرٍ لَمْ يُلَاقِ تَعْلِيْقَهُ عَلَى بَيَانِي، فَأَنَا عَنَيْتُ تَثْبِيتَ فِكْرَةِ عَدَمِيَّةِ الْبَدَاوَةِ، وَتَأْصِيلَهَا فِي عَصْرِنَا الْحَاضِرِ، وَنَحْنُ فِي الْقُرْنِ الْوَاحِدِ وَالْعِشْرِينَ، وَعَلَى مَشَارِفِ الْقُرْنِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ، وَكَيْفَ أَجِيزُ لِنَفْسِي - عَلَى فَهْمٍ مِنِّي - أَنْ أَتَعَرَّضَ لِلتَّفْرِيقِ بَيْنَ الْبَدَاوَةِ وَالْحَضَارَةِ؟ وَالْبَدَاوَةُ لَيْسَتْ مَوْجُودَةً إِلَّا فِي أَسَاطِيرِ الْأَوَّلِينَ، وَحَتَّى حِينَ نَسْتَرْجِعُ رَأْيَ ابْنِ خَلْدُونٍ عِنْدَمَا اسْتَعْرَضَ فِكْرَةَ الْبَدَاوَةِ وَالْبَدُوِ الرُّحْلَ، وَقَالَ عَنْ أُمَّةِ الْأَعْرَابِ بِأَنَّهُمْ أُمَّةٌ تَعْتَمِدُ فِي طُرُقِ مَعَاشِهَا عَلَى الرَّعْيِ وَالْبَحْثِ عَنِ الْكَلَأِ وَالزَّرَاعَةِ الْبَسِيطَةِ، وَالْحُرُوبِ الْقَبِيلِيَّةِ، فَكَانَ يَتَحَدَّثُ عَنْ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ، وَكَانَ حَظُّهَا مِنَ الْبَدَاوَةِ مَا دَوَّاهُ ابْنُ خَلْدُونٍ عَنْ تَارِيخِ أُمَّةٍ كَانَتْ تَسُوْدُهَا الْبَدَاوَةُ، فَأَعْمَلَ قَلَمَ التَّارِيخِ فِيهَا وَلَهَا، بِمَا لَا يُعَارِضُ قَوْلُهُ قَوْلِي، وَلَا قَوْلِي قَوْلَهُ، وَشَتَانَ بَيْنَ قَوْلِي وَقَوْلِهِ؛ لِأَنَّ مَا أَقَامَ ابْنُ خَلْدُونٍ عَلَيْهِ قَوْلَهُ كَانَ تَارِيخًا صَادِقًا سَجَلَهُ فِي حِينِهِ وَوَقْتِهِ، وَمَا قُلْتُهُ أَنَا جَاءَ فِي عَصْرِ مُخْتَلِفٍ عَنْ عَصْرِ الْبَدَاوَةِ الْقَدِيمَةِ الْمَحْكِيَّةِ وَالْمَرْوِيَّةِ فِي الْمُتُونِ وَالْمُطَانِّ وَالْمُوسُوعَاتِ التَّارِيخِيَّةِ. وَلَكِنَّ الْبَعْضَ - هَذَا هُمُ اللَّهُ - تَسَطَّحُوا فِي الْقِرَاءَةِ لِدَرَجَةِ أَنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا فِكْرَةَ مَقَالِي سَالِفِ الذِّكْرِ، وَظَنُّوا - بِالْفَهْمِ الْقَاصِرِ الْبَسِيطِ - أَنِّي أَسْعَى لِلْمُفَاضَلَةِ بَيْنَ الْحَضَارَةِ وَالْبَدَاوَةِ الَّتِي أَنْكَرْتُ وُجُودَهَا فِي عَصْرِ التَّقْنِيَّاتِ الْحَدِيثَةِ وَالْعَوْلَمَةِ الَّتِي دَوَّبَتْ كُلَّ مَعْنَى لِلْبَدَاوَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي عَصْرِ الْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ الْقَدَامَى، الضَّارِبِينَ فِي أَعْمَاقِ جُذُورِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ وَالتَّارِيخِ. وَأَعْرِفُ أَنِّي أَتَفَرَّدُ بِأُسْلُوبِ كَلَامِي صَعْبٍ عَلَى الْبُسْطَاءِ وَالِدَّهْمَاءِ، وَهَذِهِ مَوْهَبَةٌ حَبَانِي بِهَا اللَّهُ، كَمَا حَبَا غَيْرِي بِخُصُوصِيَّاتٍ أَزْفَعُ وَأَكْبَرُ وَأَعْظَمُ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ، يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ؛ لَذَا كُنْتُ أَنْصَحُ بِقِرَاءَةِ مَقَالَاتِي بِصَبْرٍ وَجَلَادَةٍ، وَبَصِيرَةٍ، وَبَوَعِي وَذَهْنِيَّةٍ مُتَفَتِّحَةٍ عَلَى الشَّقَافَاتِ، لَا أَنْ يَتَنَاوَلَهُ كُلُّ مَنْ هَبَّ وَدَبَّ؛ لِأَنَّهُ لَنْ يَخْرُجَ بِفَهْمٍ الْمُتَفَقِّهِ وَالْفَاهِمِ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَلَى قُدْرَةٍ وَمُكْنَةٍ مِنَ التَّعَمُّقِ فِي الْكَلِمَةِ وَمُرَادِفَاتِهَا وَمَعَانِيهَا الظَّاهِرِيَّةِ وَالتَّأْوِيلِيَّةِ الرَّامِزَةِ الَّتِي يَعْرِفُهَا قَلِيلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالتَّارِيخِ، كَغَيْرِهِمْ مِنْ أَرْبَابِ صِنَاعَةِ التَّارِيخِ وَالبَلَاغَةِ اللَّفْظِيَّةِ وَالْمُتَخَصِّصِينَ فِي السَّيْرِ الْإِنْسَانِيَّةِ؛ لَذَا فَقَدْ جَنَحَ الْبَعْضُ عَنْ فَهْمِ مَقَالِي، وَظَنُّوا أَنِّي أَمَقْتُ الْبَدَاوَةَ فِي عَصْرِهَا وَوَقْتِهَا وَزَمَانِهَا

وَمَكَانِهَا الَّذِي اخْتَقَبْتَهُ، وَهُوَ مَا أُبْرِئُ نَفْسِي مِنْهُ، لَكِنِّي كُنْتُ أَمُوتُ مَنْ يَدْعِي وُجُودَ
الْبَدَاوَةِ فِي زَمَنِ الْحَضَارَةِ، وَأَزِيدُ عَلَى عَدَمِ وُجُودِ الْبَدَاوَةِ وَالْبَدْوِ الرَّحْلَ بَعْدَ أَنْ امْتَرَجَ
الْبَدْوِيُّ بِسَنَنِ الْآخَرِينَ الْمُقَنَّنِينَ لِصِنَاعَةِ عَصْرِنَا، بِمَا فِيهِ مِنْ سِبَاقَاتِ تِقْنِيَةٍ وَتَكْنُولُوجِيَا
أَضَحَتْ إِعْجَازًا لَا يُمَكِّنُ تَجَاهُلُهُ. وَإِذَا وَضَعْنَاهُ فِي مُقَارَنَةِ بَيْنِ الْقَدِيمِ وَالْجَدِيدِ وَمَثَلْنَاهُ
وَتَمَثَلْنَاهُ فَمَنْ مَنَا سَيْرَ كَبِّ الْحَمِيرِ وَالْبِغَالِ وَالْجَمَالِ وَالْخَيُْولِ أَوْ الْوُجُنَاتِ لِيَسَافِرَ بِهَا
فِي شَوَاسِعِ الْأَرْضِ بَعْدَ صِنَاعَةِ السَّيَّارَاتِ وَالْقَطَارَاتِ وَالطَّائِرَاتِ، وَمَنْ مَنَا لَمْ يَسْتَعْمِلِ
الْفَرْشَاءَ وَمَعْجُونَ الْأَسْنَانِ؟ وَمَنْ مَنَا لَا يَسْتَعْمِلُ الْعِطْرَ وَالصَّابُونَ وَالشَّامْبُوَ وَالْمُشْطَ
فِي تَهْدِيبِ شَعْرِهِ وَتَنْمِيقِهِ وَتَنْسِيقِهِ وَتَنْظِيفِهِ، وَكُلَّ جَسَدِهِ، مِنَ السَّمَنِ وَالشَّحْمِ وَالْقَمَلِ
الَّذِي كَانَ مِنْ سِمَاتِ الْبَدَاوَةِ قَدِيمًا؟ وَمَنْ مَنَا يَسْتَعْمِلُ الزَّرِيرَ وَالشَّرْبَةَ وَالْقِرْبَةَ بَعْدَ وُجُودِ
الثَّلَاجَاتِ؟ وَمَنْ مَنَا لَا يَسْتَعْمِلُ مُكَيِّفَاتِ التَّبْرِيدِ فِي بَيْتِهِ؟ وَمَنْ مَنَا الَّذِي يَسْكُنُ الْخِيَامَ
وَيُبُوتِ الْخُدُورِ؟ وَمَنْ مَنَا لَمْ يَسْتَفِدْ وَيَتَعَامَلْ مَعَ التَّقْنِيَّاتِ الْمُبْتَكِرَةِ فِي الْمَلْبَسِ وَالْمَأْكَلِ
وَالْمَشْرَبِ، وَاسْتَعْمَالَ الشُّوكَةِ وَالسَّكِينِ وَالْمِلْعَقَةِ، وَلَمْ يَسْتَعْمِلِ الْبُوتَاجَارَ وَالْمَايَكْرُوفِ
وغير ذلك مِنَ الْأَدَوَاتِ وَالْمُبْتَكِرَاتِ الَّتِي سَخَّرَهَا الْإِنْسَانُ لِلْإِنْسَانِ؟ فَأَيُّ بَدَاوَةٍ نَدْعِيهَا
بَعْدَ ذَلِكَ فِي جَزِيرَتِنَا الْعَرَبِيَّةِ وَالْدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ؟ نَاهِيكَ عَنْ كُلِّ بِلَادِ الْعَالَمِ الَّذِي كَانَ عَلَى
الْفُطْرَةِ بَدْوِيًّا، ثُمَّ تَطَوَّرَ إِلَى حَدَاثَةِ الْعَصْرِ وَمُقْتِنَاتِهِ التَّقْنِيَّةِ بَعْدَ الثَّوْرَةِ الصَّنَاعِيَّةِ. ذَلِكَ مَا
هَدَفْتُ إِلَيْهِ فِي مَقَالَتِي. نَعَمْ، فَإِنَّ الْأَوَائِلَ مِنَ النَّاسِ كَانُوا بَدَوًا، وَكَانَ الْبَشَرُ بَدْوِيًّا، إِلَى أَنْ
أَصْبَحْنَا - نَحْنُ الْبَدَوُ - فِي الْعُصُورِ الْقَدِيمَةِ نَعُدُّ فِي هَذَا الْعَصْرِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالطَّمُوحِ
وَالنُّصُوجِ، فِكْرًا مُبْدَعًا يُشَارِكُ فِي الصَّنَاعَاتِ فِي أَمْرِيكََا وَأُورُوبَا، بِعُقُولٍ وَأَيْدٍ وُلِدَتْ مِنْ
بَدَاوَةِ الْقَدَمَاءِ؛ لِنُصْبِحَ أُنْدَادًا لِدَعَاةِ الْحَضَارَةِ، نُحَاوِلُ السَّبْقَ وَنُحَاوِلُ أَنْ نُسَهِّمَ وَنُشَارِكَ
فِي إِعْمَارِ الْأَرْضِ مُنْذُ الْعَصْرِ النَّبَوِيِّ وَالْأُمَوِيِّ وَالْعَبَّاسِيِّ، إِلَى هَذَا الْعَصْرِ الَّذِي نَعِيشُهُ.
هُوَ هَذَا الَّذِي عَنِتُّ، وَالَّذِي غَمَّ عَلَى الْبَعْضِ، فَأَخْضَعُوا عُقُولَهُمْ لِتَفْسِيرَاتِ الْمُقَارَنَةِ غَيْرِ
الْمَوْجُودَةِ، كَيْ نُقَارِنَ بِهَا وَعَلَيْهَا، وَمِنْهَا، فِيمَا بَيْنَ الْبَدَاوَةِ وَالْحَضَارَةِ، وَقُلْتُ: إِنَّ الْبَدَاوَةَ
تَعْنِي التَّخْلُفَ، وَتَمْجِيدُ الْعَادَةِ، وَتَعْنِي السُّكُونََ وَالِدَّعَةَ، لَا الْقِيَمَ الَّتِي يَتَّصِفُ بِهَا الْعَرَبِيُّ،
وَالْخُلُقَ الْعَالِيَّ، وَقُلْتُ: إِنَّ الْعَرَبَ شَهِدُوا أَعْظَمَ حَضَارَةٍ عَلَى يَدَيِ رَسُولِنَا الْأَعْظَمِ - صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الَّذِي جَاءَ بِالْوَحْيِ الَّذِي كَانَ يَدْعُو إِلَى التَّفَكُّرِ وَالتَّأَمُّلِ وَالْعَمَلِ وَالِاتِّكَارِ
لِخَيْرِيَّةِ الْبَشَرِيَّةِ. فَمَنْ سَيَرْضَى الْيَوْمَ بِأَنْ يَعِيشَ عَصْرَ الْبَدَاوَةِ؟ إِلَّا مِنْ أَجْلِ التَّفَكُّهِ وَالتَّنَدُّرِ،

أَوْ مِنْ أَجْلِ دِرَاسَةِ تَطَوُّرِ الْإِنْسَانِ الْبَدَائِيِّ؛ لِيَكُونَ الرَّجُلُ الْعَصْرِيُّ الْحَضَارِيُّ الْمُعْتَدَّ بِعُلُوِّ قَدْرِهِ وَرَفْعَةِ شَأْنِهِ الَّذِي يَتِمَّتْ بِكُلِّ مَجَالَاتِ الْإِبْتِكَارِ وَالْخَلْقِ وَالصَّنَاعَاتِ الْحَدِيثَةِ. وَمَنْ يَظُنُّ أَنَّ الْبَدَاوَةَ هِيَ هُويَّةٌ أَوْ جِنْسٌ أَوْ عِرْقٌ أَوْ أَصْلٌ نَفَاحِرُهُ، أَوْ اسْمٌ قَبِيلَةٍ، فَقَدْ ضَلَّ، وَلَنْ نَقْبَلَ مِنْهُ تَأْصِيلَ غَيْرِ الْمُؤَصِّلِ لَهُ. أَرْجُو أَنْ أَكُونَ قَدْ بَيَّنْتُ لِأَصْحَابِ الْفَهْمِ الْمَحْدُودِ فِكْرَةَ مَقَالِي؛ حَتَّى يَتَبَيَّنُوا مَا ادَّعَاهُمْ عَلَى عُقُولِهِمْ. اقْرَؤُوا جَيِّدًا وَتَعَمَّقُوا فِي الْمَعَانِي، وَاهْتَمُّوا بِأَبْعَادِ الْكَلَامِ، وَفَسِّرُوا مَا بَيْنَ السُّطُورِ فِي الظَّاهِرِ الْمُحْتَمَلِ، وَالتَّرْمِيزِ الْمُتَصَوَّرِ؛ لِكَيْ نَتَّكَمَلَ بِالْوَعْيِ، وَلَا يَسُودَنَا الظَّنُّ، وَعَدَمُ الْإِلْمَامِ، وَنَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ. وَهَذَا فَإِنَّا لَا أَقْصِدُ شَخْصًا بَعِيْنَهُ، بَلْ أَفْسُرُ حَقِيقَةَ الْبَدَاوَةِ فِي وَقْتِهَا، وَالْحَضَارَةِ الَّتِي نَعِيشُهَا الْآنَ.

18 فبراير 2023م

السُّودَانُ لَيْسَ الْبِدَايَةَ وَلَا النِّهَايَةَ

لَيْسَ هُنَاكَ أَيْ دَاعٍ لِهَذِهِ الْحَرْبِ الْمُفْتَعَلَةِ وَالْمُشْتَعَلَةِ فِي السُّودَانِ سِوَى الْإِسْتِمْرَارِ فِي تَنْفِيزِ النَّظَرِيَّةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ (الشَّرْقُ الْأَوْسَطُ الْكَبِيرُ) وَأَدَوَاتِهَا: (الْفَوْضَى الْخَلَاقَةُ) وَ(تَدْوِيلِ الْمُسْكِلَاتِ)، وَقَدْ بَدَأَتِ الْمَسْرَحِيَّةُ الْكُومِيْدِيَّةُ الدِّمَوِيَّةُ الْإِسْتِعْمَارِيَّةُ بِحَرْبِ الْعِرَاقِ، ثُمَّ (الرَّبِيعِ الْعَرَبِيِّ) فِي تُونِسَ وَلِيْبِيَا، ثُمَّ تَغَيَّرَتْ أَدَوَارُ اللَّعْبَةِ السِّيَاسِيَّةِ لِإِذْكَاءِ الصَّرَاعَاتِ بَيْنَ دَوْلِ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ وَإِضْعَافِ قُدْرَاتِ الدُّوَلِ عَسْكَرِيًّا وَاقْتِصَادِيًّا؛ لِتُخْصِنَ أَجْنَةَ الْعِدَاوَاتِ وَاسْتِفْرَاحِهَا فِي تِلْكَ الدُّوَلِ، دَاخِلِيًّا وَخَارِجِيًّا؛ حَتَّى تَكْبُرَ وَتَكُونَ قَدْ تَعَذَّتْ عَلَى اكْتِسَابِ ثِقَافَةِ الْحُرُوبِ وَالثَّارِ وَالتَّدْمِيرِ لِإِنْسَانِهَا وَلِأُوطَانِهَا، بِتَسْوِيعَاتٍ غَيْرِ مُبَرَّرَةٍ، إِذَا عَرَفْنَا أَنَّ أَمْرِيكَا تَسْتَفْطِبُ عُقُولًا فِي التَّنْظِيرِ وَالتَّخْطِيطِ لِإِدَارَةِ تِلْكَ الصَّرَاعَاتِ الْمُفْتَعَلَةِ؛ حَتَّى تَظَلَّ سَيِّدَةُ الْعَالَمِ، وَهِيَ الْإِمْبِرَاطُورِيَّةُ الْمُتَفَرَّدَةُ بِحُكْمِ الْعَالَمِ، وَهِيَ تَلْبَسُ كُلَّ أَثْوَابِ الْخَدَائِعِ، وَتَتَلَوَّنُ بِكُلِّ أَلْوَانِ الطِّيفِ الْبَرَّاقَةِ الَّتِي تَدُسُّ السُّمَّ فِي الدِّسَمِ؛ لِتَحْقِيقِ أَهْدَافِهَا، وَالْعَالَمُ جَمِيعُهُ لَيْسَ فِي غَفْلَةٍ، وَلَكِنَّهُ يُوجَلُّ النَّظَرُ وَالْفَهْمُ لِمُضْرِبِ كُلِّ الْمَصَالِحِ الَّتِي تَتَغَيَّاها أَمْرِيكَا لِتَنْدَجِينَ إِنْسَانِ الْعَالَمِ. إِنَّ الْعَالَمَ يَعْرِفُ شُرُورَ أَمْرِيكَا، وَلَكِنَّهُمْ يُفَضِّلُونَ دَائِمًا الْإِنْتِظَارَ، تَقْوَدُهُمُ الْأَوْهَامُ، لَا الْأَمَالُ، إِلَى غَدٍ يُشْرِقُ بِالْحُرِّيَّةِ وَالْكَرَامَةِ وَالسَّعَادَةِ. الْجَمِيعُ يَقُولُ: إِنَّ عَدَا جَدِيدًا سَيَبْرُغُ بِزَوَالِ أَمْرِيكَا وَكُلِّ قُوَى الْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ عَلَى إِنْسَانِ الْأَرْضِ، مِنْ إِنْسَانِ الْأَرْضِ، وَلَكِنَّهُمْ يَسْتَمْهِلُونَ أَقْدَارَهُمْ حِينًا مِنَ الدَّهْرِ، فَتَرَاهُمْ فِي مَخَاضٍ، وَفِي حَيْرَةٍ، وَفِي تَبَعِيَّةٍ وَطَاعَةٍ وَخَوْفٍ، يُنْفَذُونَ عَلَى غَيْرِ رِضَا مَا يُؤْمَرُونَ بِهِ، وَقَدْ سَلَبَهُمُ الدَّلَّ وَالْخَوْزُ كُلَّ مُقَوِّمَاتِ الْإِرَادَةِ الْفَاعِلَةِ لِنُصْرَةِ الْإِنْسَانِ لِأَخِيهِ الْإِنْسَانِ، وَمَا هَذِهِ الْحَرْبُ الْمُوقَدَةُ نِيرَانُهَا فِي السُّودَانِ إِلَّا اسْتِمْرَارٌ لِأَهْدَافٍ مَذْرُوسَةٍ وَمُقَنَّنَةٍ، فَلِكُلِّ هَدَفٍ وَقْتُ مَعْلُومٍ، وَلِكُلِّ وَطَنٍ خَدِيعَةٌ وَذَرِيعَةٌ لِهَيْدِيمِهِ وَتَهْدِيمِ قِيَمِهِ وَثِقَافَتِهِ؛ حَتَّى يَكُونَ مُنْضَوِيًّا تَحْتَ ثِقَافَةِ أَمْرِيكَا وَقِيَمِهَا؛ لِضِمَانِ الْحَيَاةِ بِالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالسَّكَنِ، وَلَوْ فِي قُمْقَمٍ؛ حَتَّى يُحِسَّ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَمْنِ الْوَقْتِيِّ الَّذِي يَسْلُكُهُ فِي نِظَامِ الْعُبُودِيَّةِ وَالْإِسْتِعْبَادِ، فَالَّذِي لَهُ وَعَلَيْهِ فَقَطُ: أَفْعَلْ كَذَا، وَلَا تَفْعَلْ كَذَا. كُلُّ ذَلِكَ يَحْدُثُ وَيَجْرِي وَيَحْصُلُ مِنْ حَالَاتٍ تَأْجِيلِ الْفِعْلِ الْمُضَادِّ إِلَى انْتِظَارِ الْحَدَثِ الْوَاقِعِ بِالْعُذْرِ الْوَاهِمِ بِالتَّغْيِيرِ لِلْأَفْضَلِ، وَهُوَ الَّذِي يَأْتِي بِعَكْسِ التَّوَقُّعِ فِي غِيَابِ الْإِرَادَةِ وَالْعَزِيمَةِ وَالتَّضَحِّيَةِ؛ لِقِيَامِ عَالَمٍ يَجْعَلُ

لِلْإِنْسَانِيَّةِ قَدْرَهَا وَحَقَّهَا فِي الْعَيْشِ الْكَرِيمِ، كَمَا أَرَادَهُ اللَّهُ فِي تَكْرِيمِ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَمَا دَعَتْ إِلَيْهِ الْأَذْيَانُ فِي بَذْرِ بُذُورِ الْحُبِّ وَالتَّآخِي، لَا الْكُرهِ وَالْعُدُوَانِ، وَسَتَظِلُّ الْحَالَةَ نَفْسُهَا وَاحِدَةً ثَابِتَةً، مَا لَمْ تَتَغَيَّرِ النُّفُوسُ؛ لِتَكُونَ عَلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ فِي الْوُقُوفِ أَمَامَ ظُلْمِ الْإِنْسَانِ لِأَخِيهِ الْإِنْسَانِ. إِنَّهَا مُشْكِلَةٌ مُعَقَّدَةٌ، لَنْ يَحْلَهَا إِلَّا قِيَامُ الْقِيَامَةِ، وَإِلَّا فَلَا حَلَّ، بَرَّغَمَ وُجُودِ الْحَلِّ الَّذِي يَتِمُّ فِي الْحُبِّ وَالرَّضَا، وَاقْتِسَامِ خُبْزِ الْأَرْضِ دُونَ الْأَطْمَاعِ، وَحُبِّ الذَّاتِ، وَتَبَذِّ الْحَقْدِ وَالْحَسَدِ وَالْكَرْهِ وَالْبُغْضِ وَالتَّارَاتِ. أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ: إِنَّ الْحَلَّ مَوْجُودٌ وَمَعْرُوفٌ، وَلَكِنَّ الْحَلَّ يَعْجِزُ عَنِ الْحَلِّ فِي نَفُوسِ أَلْفَتِ أَنْ تَعِيشَ عَلَى تَأْجِيلِ مَوْتِهَا إِلَى الْغَدِ الْقَرِيبِ عَلَى يَدِ أَمْرِيكَ، قَاتِلَةِ الْأَخْلَاقِ وَالْإِنْسَانِ.

9 مَآيُو 2023م

جُمْهُورِيَّةُ سَبَا الْعَرَبِيَّةِ

أَيُّهَا الرَّئِيسُ عِيدَرُوسُ الزَبِيدِيُّ، عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ فِي الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.
وَأِنَّا نَقُولُ بِلِسَانِ حَضْرَمَوْتٍ، وَالْحَضَارِمِ مِنْ أَهْلِ سَبَا وَأَهْلِ الْأَخْقَافِ الَّتِي ذُكِرَتْ فِي الْقُرْآنِ: إِنَّ قَوْلَكُمْ بِالْإِنْفَصَالِ قَوْلٌ تَوَيْدُهُ كُلُّ الْمُنْظَمَاتِ وَالْهَيَّاتِ وَالْمُؤَسَّسَاتِ الْمُجْتَمَعِيَّةِ وَالشَّعْبِيَّةِ، وَهُمْ أَهْلُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ الَّذِينَ يُؤَيِّدُهُمُ الشَّعْبُ الْحَضْرَمِيُّ فِي قَرَارِ الْإِنْفَصَالِ عَنِ الشَّمَالِ، وَإِنَّهَا فُرْصَةٌ لَنْ تُعَوَّضَ، إِنْ لَمْ يَتِمَّ اقْتِنَاصُهَا وَاسْتِثْمَارُهَا فِي هَذَا الْوَقْتِ، وَقَدْ رَجَعَتْ حَضْرَمَوْتُ إِلَى أَهْلِهَا بَعْدَ أَنْ فَرَّطَ فِيهَا الْبَيْضُ، وَضَحِكَ عَلَيْهِ عَلِيٌّ عَبْدُ اللَّهِ صَالِحٌ، وَكَادَتْ أَنْ تَذْهَبَ، وَأَنْ تَذْهَبَ خَيْرُ أَتْنَاهَا وَمُكَتَسَبَاتُهَا الطَّبِيعِيَّةُ لِلشَّمَالِ؛ لِيُظِلَّ أَهْلُ حَضْرَمَوْتٍ فِي فَقْرِ وَجُوعٍ وَتَبِعِيَّةٍ وَاسْتِعْبَادٍ لِلشَّمَالِ، عَلَيْكَ أَنْ تُوظِفَ الْحِكْمَةَ، كَمَا أَنَّهُ لَا يَغِيبُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى الْجَمِيعِ أَنَّ هُنَاكَ بَوَادِرَ حَرْبٍ تَدُورُ رَحَاَهَا بَيْنَ الْجَنُوبِ وَالشَّمَالِ، وَهُوَ أَمْرٌ لَا يَغِيبُ عَنِ أَهْلِ الْحِكْمَةِ وَالْفُطَانَةِ؛ لِأَنَّ الْحُوثِيَّ لَنْ يَقْبَلَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ حَضْرَمَوْتُ تَابِعَةً لِلشَّمَالِ، وَنَحْنُ - أَبْنَاءُ حَضْرَمَوْتٍ - لَنْ نَقْبَلَ، وَلَيْسَ هُنَاكَ عَاقِلٌ يَرْضَى بِأَنْ تَكُونَ حَضْرَمَوْتُ وَالْجَنُوبُ تَحْتَ سَيْطَرَةِ الشَّمَالِ، وَيَنْهَبُ ثَرَوَاتِهِ وَاسْتِعْمَارِهِ شِمَالِيًّا، وَلَكِنْ إِذَا تَدَبَّرْنَا الْأَمْرَ وَاحْتَكَمْنَا إِلَى الْعَقْلِ وَالْمَنْطِقِ فَإِنَّ الْقَوْلَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ وَاحِدًا، وَغَيْرُ مُجْزَأٍ، وَهِيَ كَلِمَةٌ: لَا، وَكُلُّ لَا، لِعَوْدَةِ الْجَنُوبِ إِلَى تَبِيعِيَّةِ الشَّمَالِ؛ لِذَا نَحْنُ نَقُولُ بَعْدَ سِنَايُوهَاتٍ يَجِبُ الْعَمَلُ عَلَيْهَا:

1 - الْغَاءُ أَيُّ مَشَاوِرَاتٍ، أَوْ مُنَاقَشَاتٍ مَعَ الشَّمَالِ بِكُلِّ أَطْيَافِهِ، وَإِعْلَانُ الْجُمْهُورِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الْحَضْرَمِيَّةِ دَوْلَةً مُوَحَّدَةً مُسْتَقِلَّةً.

2 - الْعَمَلُ عَلَى إِنْشَاءِ هَيْكَلِيَّةِ الْجَيْشِ الْجَنُوبِيِّ وَإِعَادَتِهِ بِإِحْلَالِ الشَّبَابِ الْجَنُوبِيِّ وَتَدْرِيهِهِ؛ لِيَكُونَ قَادِرًا عَلَى الدِّفَاعِ عَنْ أَرْضِهِ وَبِلَادِهِ فِي الْجَنُوبِ الْحَضْرَمِيِّ، وَتَجْهِيزِهِ بِالْمُعَدَّاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ مِنْ خِلَالِ تَسْوِيقِ النِّقْطِ الْمَوْجُودِ فِي شَبْوَةٍ؛ لِيَكُونَ ثَرْوَةً قَوْمِيَّةً لِلْجَنُوبِ فَقَطْ، لَيْسَ لِلشَّمَالِ حَقٌّ فِيهَا، وَاسْتِمْرَارِ الْبَحْثِ أَكْثَرَ عَنِ الثَّرَوَاتِ الطَّبِيعِيَّةِ، وَمِنْ ضَمْنِهَا زِيَادَةُ التَّنْقِيبِ عَنِ الْبِتْرُولِ فِي مَنَاطِقَ أُخْرَى مِنَ الْبِلَادِ، وَاسْتِثْمَارِهَا فِي شِرَاءِ الْأَسْلِحَةِ مِنْ مَصَادِرِهَا الْعَالَمِيَّةِ.

3 - بَتْ رُوحُ الْأُخُوَّةِ وَالتَّرَابُطِ الْاجْتِمَاعِيِّ فِي الْاجْتِمَاعِ عَلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ فِي عَدَمِ قَبُولِ الْإِنْضِمَامِ إِلَى الشَّمَالِ بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ وَالْمُغْرِبَاتِ الْكَاذِبَةِ وَالْخَادِعَةِ لِأَبْنَاءِ الْأُمَّةِ؛ لَكِنِّي تَصَبَّحَ لُقْمَةً سَائِعَةً فِي فَمِ الشَّمَالِيِّينَ يَطْعَمُونَهَا دُونَ أَهْلِ الْجَنُوبِ، وَتُصَبِّحَ لَهُمُ السِّيَادَةُ وَالرِّيَاسَةُ، وَيَكُونُ الْجَنُوبُ ذِيلاً هَامِشِيّاً، لَيْسَ لَهُ حَوْلٌ وَلَا قَوْلٌ، وَلَا طَوْلٌ، وَلَا حَقٌّ لِلْجَنُوبِ فِي تَطْوِيرِ بِلَادِهِمْ بِمَا لَدَيْهَا مِنْ نُرُوتٍ، وَاسْتِغْلَالِ مَوَارِدِهَا، وَهُوَ حَقٌّ مُكْتَسَبٌ، خَصَّهَا بِهِ اللَّهُ، لَيْسَ لِلشَّمَالِ عَلَيْهِ وَصَايَةٌ أَوْ حَقٌّ عَلَى مُقَدَّرَاتِ بِلَادِ الْجَنُوبِ.

4 - عَقْدُ الْإِتِّفَاقِيَّاتِ الْمَشْرُوطَةِ الْبَعِيدَةِ عَنِ الْهَيْمَنَةِ مَعَ أَمْرِيكََا وَالْغَرْبِ فِي التَّنْقِيبِ وَالتَّطْوِيرِ، وَفِي شَتَى الْمَوَارِدِ الْوُطَنِيَّةِ، نَظِيرِ نِسْبِ مَالِيَّةٍ تَكُونُ حَقّاً لَهُمْ، يَنْتَهِي بِمُدَدِ مَوْفُوتَةٍ مَعْلُومَةٍ، وَمِنْ ثَمَّ تَعُودُ تِلْكَ الْمَوَارِدُ كَامِلَةً لِأَصْحَابِ الْأَرْضِ، وَتَظَلُّ الْإِرْتِبَاطَاتُ قَائِمَةً عَلَى نِظَامِ احْتِرَامِ الْمُبَادِئِ السِّيَاسِيَّةِ الْمَقَرَّرَةِ فِي نِظَامِ هَيْئَةِ الْأُمَمِ الْمُتَّحِدَةِ وَبُنُودِهَا وَمَبَادِيئِهَا، فِي كُلِّ الْمَجَالَاتِ وَالْمَمَالَاتِ الَّتِي تَعُودُ عَلَى إِنْسَانِ الْجَنُوبِ وَعَلَى دَوْلِ الْعَالَمِ بِالْحِفَاطِ عَلَى الْأَمْنِ وَالسَّلَامِ وَالْمُشَارَكَاتِ الْإِقْتِسَادِيَّةِ الَّتِي يَسْتَفِيدُ مِنْهَا الْجَمِيعُ.

5 - دَعْوَةُ الْمُغْتَرِبِينَ مِنْ أَبْنَاءِ الْجَنُوبِ، وَتَوْفِيرِ الْمَنَاشِطِ وَالْأَسْوَاقِ التِّجَارِيَّةِ؛ لِيَعْمَلُوا فِي وَطَنِهِمْ وَيُفِيدُوا وَيَسْتَفِيدُوا، وَبِذَلِكَ تَنْشَأُ الشَّرَكَاتُ وَالْمُؤَسَّسَاتُ الْوُطَنِيَّةُ التِّجَارِيَّةُ الَّتِي تَسْتَقْطِبُ الْيَدَ الشَّبَابِيَّةَ الْعَامِلَةَ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى، وَتَوْظِفُهُمْ بَعْدَ تَأْهِيلِهِمْ فِي الْإِخْتِصَاصَاتِ الْعَمَلِيَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ لِنَتِشِيطِ دَوْرَةِ الْحَيَاةِ الْإِقْتِسَادِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَتَحْفِيزِ الْهَمِّ وَالْعَزَائِمِ عَلَى مَفْهُومِ وَطَنِ جَنُوبِيٍّ وَاحِدٍ، وَأُمَّةٍ جَنُوبِيَّةٍ وَاحِدَةٍ.

6 - تَغْيِيرُ اسْمِ الْجَنُوبِ الَّذِي فِيهِ ضَعْفٌ، وَلَا يُعْلَنُ عَنْ هُوِيَّةِ وَطَنِ قَوِيٍّ لَهُ أَهْلِيَّةُ الْأَوْطَانِ، فَمَثَلًا يُسَمَّى الْجَنُوبُ:

جُمْهُورِيَّةُ سَبَا الْعَرَبِيَّةِ، أَوْ: جُمْهُورِيَّةُ حَضْرَمَوْتَ الْعَرَبِيَّةِ.

هَذَا وَاللَّهُ مِنْ وَرَاءِ الْقَصْدِ.

فَلَسَفَة

تَعْلَمُكَ الدُّنْيَا عَكْسَ فِطْرَتِكَ فِي تَعَامُلِكَ مَعَ النَّاسِ، فَأَنْتَ إِذَا تَمَسَّكَتَ بِقِيمِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالْوَفَاءِ وَالْحُبِّ وَالطَّيْبَةِ فَإِنَّكَ حَتْمًا سَتَفْشَلُ فِي تَحْقِيقِ تِلْكَ الْقِيَمِ عَلَى أَرْضِ الْوَاقِعِ، وَتَضْطَهِمُ بِالنَّوَايَا النَّفْسِيَّةِ فِي نَفُوسِ الْبَشَرِ، الَّتِي يَغْلِبُ عَلَيْهَا الظَّنُّ بِسُوءِ النُّفُوسِ، فَتَتَعَامَلُ بِعَدَائِيَّةٍ طَبَعٌ مُكْتَسَبٌ يَفْرِضُهُ عَقْلٌ مَجْبُولٌ عَلَى الصَّرَاعِ بَيْنَ النَّوَايَا.

فَالنَّوَايَا بِشَقِيهَا - الطَّيِّبِ وَالسَّيِّئِ - تَعْمَلُ فِي النُّفُوسِ، وَتَتَعَامَلُ بِقَنَاعَاتٍ تَحْسِبُهَا بِحَسَابَاتِهَا فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ؛ لِإِبْرَازِ شَخْصِيَّةِ الْأَنَا؛ اِعْتِقَادًا مِنْهَا بِالتَّمَيُّزِ وَالِدِّهَانِ وَالذِّكَاةِ، وَتَحْقِيقًا لِلنَّصْرِ فِي الْخَيْرِ أَوْ الشَّرِّ بِمَا تَتَفَقَّ عَلَيْهِ قَنَاعَةُ النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ.

وَإِنَّا سَوْفَ نَجِدُ صُعُوبَةً فِي التَّفْرِيقِ بَيْنَ النَّفْسِ الْخَيْرَةِ وَالنَّفْسِ السَّيِّئَةِ؛ إِذْ إِنَّ فِطْرَةَ الْخَيْرِ لَيْسَتْ فِي كَمَالٍ دَائِمٍ، كَذَلِكَ فِطْرَةُ الشَّرِّ، وَلَكِنَّ مَا يَفْرُقُ بَيْنَ النَّفْسِ وَالنَّفْسِ هُوَ التَّبَايُنُ بَيْنَ كَمِيَّةِ الْخَيْرِ فِي نَفْسٍ، وَكَمِيَّةِ الشَّرِّ فِي نَفْسٍ، فَالنَّفْسُ السَّوِيَّةُ الَّتِي قَرَأْتَ فِلْسَفَةَ الْحَيَاةِ يَعْقِلِيَّةِ الدَّارِسِ وَالْمُتَعَلِّمِ وَالْمُسْتَفِيدِ مِنَ التَّجَارِبِ وَالْمُتَأَمِّلِ، وَهِيَ الْمَفْطُورَةُ عَلَى الطَّيْبَةِ وَالْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالْعُطْفِ وَالرَّحْمَةِ، هِيَ الَّتِي تَجِدُ الصُّعُوبَةَ فِي تَحْقِيقِ مَثَلِ التَّعَايُشِ الْأَخْلَاقِيِّ وَالْإِنْسَانِيِّ؛ اِعْتِقَادًا بِخَيْرِيَّةِ النُّفُوسِ؛ تَأْسِيًا مِنْهَا بِفِطْرَتِهَا، فَتَفْشَلُ حِينَ تَضْطَهِمُ بِنُفُوسِ الشَّرِّ، وَهُنَا يَبْدَأُ التَّفَكِيرُ وَالسُّؤَالُ: كَيْفَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَوْثُرَ فِي نَفْسِ فِطْرَتِهَا الشَّرِّ؛ لِاجْتِنَابِهَا إِلَى طَبِيعَةِ الْخَيْرِ وَفِطْرَتِهِ مِنْ طَبِيعَتِهَا وَفِطْرَتِهَا الشَّرِّيرَةِ إِذَا كَانَتْ قَنَاعَةُ النَّفْسِ الشَّرِّيرَةِ تَفْتَرِضُ أَنَّهَا تُمَارِسُ فِطْرَتَهَا عَلَى أَنَّهَا الصَّوَابُ، وَتَرَى أَنَّهَا هِيَ الْفِطْرَةُ لِلْمُمَارَسَاتِ الْعَمَلِيَّةِ، وَأَنَّهَا بَدُونِ فِطْرَتِهَا الشَّرِّيرَةِ لَنْ تَبْلُغَ أَهْدَافَهَا وَتَحَقِّقَ غَايَاتِهَا؟ وَهُنَا تَكْمُنُ الصُّعُوبَةُ بَيْنَ فَهْمَيْنِ: أَيُّ الْفِطْرَتَيْنِ هِيَ الْأَصْلُ؟ الْخَيْرُ أَمْ الشَّرُّ؟ فَإِذَا قُلْنَا بِالْخَيْرِ صِفَةً وَذَاتًا، تَصْدَى الشَّرُّ لِيُغْلِبَنَّ صِفَاتِهِ وَذَاتِيَّتُهُ حَتَّى لَا يَفْقِدَ أَهْلِيَّتَهُ، وَهَدَمَ شَخْصِيَّتَهُ لِمَصْلَحَةِ الصِّفَةِ وَالذَّاتِيَّةِ الْآخَرَى، فَجَدُّ أَنْ كُلًّا مِنْهُمَا يُدَافِعُ وَيَنْتَصِرُ لِحَقِّ وَجُودِهِ، سَوَاءً الْخَيْرُ أَوْ الشَّرُّ، وَفِي كُلِّ الْأَحْوَالِ كُلُّ فِطْرَةٍ تُغْرِى الْآخَرَى بِالتَّطَبُّعِ وَالْإِنْجِدَابِ لَهَا، وَإِنْ كُنَّا نَفْهَمُ أَنَّ فِطْرَةَ الْخَيْرِ هِيَ الْأَفْضَلُ وَالْأَجْدَى نَفْعًا، وَلَكِنَّهُ فَهْمٌ غَيْرُ مُفْنِعٍ لِفِطْرَةِ الشَّرِّ الَّتِي تَعْرِفُ حَقِيقَةَ الْكُرهِ فِيهَا وَمِنْهَا وَعَلَيْهَا، وَأَنْ لَا أَحَدٌ يُرِيدُ أَنْ يَنْتَمِيَ إِلَى فِطْرَةِ الشَّرِّ، وَلَكِنَّهَا تُمَارِسُهُ كَفِطْرَةٍ تَغْلِبُ عَلَيْهَا الْقَنَاعَةُ الْكَامِلَةُ بِالْمُمَارَسَةِ، إِذَا يَجِبُ عَلَى

النَّفْسُ السَّوِيَّةُ الْخَيْرَةُ أَنْ تُمَارَسَ أَضْعَبَ مُمَارَسَاتِ الْإِرَادَةِ الْفَاعِلَةِ فِي التَّحَوُّلِ مِنْ وَآلِي؛
لِذَا فَإِنَّمَا نُؤَسِّسُ مَفْهُومَنَا عَلَى أَنَّ فِطْرَةَ الْخَيْرِ هِيَ الْمَعْلَمُ، وَأَنَّ فِطْرَةَ الشَّرِّ هِيَ الْمُنْتَلَقِي،
وَعَلَى الْمَعْلَمِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ الْخَيْرَةِ وَتَبْيَانِ مَحَامِدِهَا وَمُمَيِّزَاتِهَا فِي الْإِرْتِقَاءِ
بِالْقِيَمِ وَسَلَامَةِ النَّفْسِ، وَتِلْكَ مُجَاهِدَةٌ فِيهَا صُعُوبَةٌ كَبِيرَةٌ فِي التَّحَوُّلِ بَيْنَ الْفَيْئَةِ وَالْآخَرَى
لِدَوَاعِي أَحْدَاثِ اللَّحْظَةِ الْفَارِضَةِ عَلَى النَّفْسِ إِرَادَةَ الْفِعْلِ بِشَقِيهِ - الْخَيْرِيِّ وَالشَّرِّيرِ -؛ لِذَا
قِيلَ: بِالْحِكْمَةِ، وَقِيلَ: بِالصَّبْرِ، وَقِيلَ: بِالصَّابِرِ، وَقِيلَ: بِالدَّفْعِ بِآلِيَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَلَكِنَّ
النُّفُوسَ لَيْسَتْ فِي كَمَالِ حَالَاتِهَا لَكِي يَتِمَّ التَّعَامُلُ مَعَهَا بِسَطْحِيَّةِ الْقِيَمِ وَحُجِّيَّةِ الْكَمَالِ
حِينَ يَتَعَذَّرُ الْإِمْتِثَالُ، لَكِنْ عَلَيْكَ أَنْ تَجْعَلَ فِي نَفْسِكَ الْقُدْرَةَ عَلَى تَحْمِلِ النُّفُوسِ وَأَنْتَ
تَعْلَمُ بِجَهْلِ كَمَالِ مَخْلُوقَاتِهَا فِي انْتِهَاجِ خَيْرِ النَّفْسِ، وَسَيَكُونُ حِمْلُكَ ثَقِيلًا فِي تَكْلُفِ
الصَّبْرِ وَالْمُصَانَعَةِ وَالْجِدَالِ وَالْمُنَاقَشَةِ فِي إِيصَالِ الْحَقِّ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ، وَهَذَا يَجِبُ أَنْ
تَحِيدَ قَلِيلًا عَنْ مُمَارَسَةِ الْقِيَمِ وَالْحَقِّ وَالْمَثَلِ، بَلَى بِإِيْهَامِ النَّفْسِ الْجَاهِلَةِ وَالْمُتَمَنِّعَةِ عَنْ
قَبُولِ الْحَقِّ بِأَنَّهَا هِيَ الْأَصُوبُ فِي الْجُزْءِ، لَا فِي الْكُلِّ، وَأَنَّ مَا تَفَعَّلَهُ وَتَقُولُهُ فِيهِ جَوَانِبٌ مِنَ
الصَّوَابِ، وَأَنَّكَ مَا خُوِذَ بِالْدَّهْشَةِ فِي طُرُقِ تَفْكِيرِهَا، وَلَا تُبَدِّ الْمُعَارَضَةِ فِي كُلِّيَّاتِ النَّفَاسِ،
بَلْ حَوَّزَ طُرُقَ إِيصَالِ الْحَقِّ عَبْرَ طُرُقِ التَّجَاهُلِ، لَا الْجَهْلِ، وَالتَّغَاوُلِ، لَا الْعَفْلَةَ، وَالتَّغَابِي،
لَا الْغَبَاءِ؛ لَكِي تَصِلَ إِلَى تَحْقِيقِ هَدَفِكَ فِي بُلُوغِ الْوُصُولِ بِالنَّفْسِ الْجَاهِلَةِ إِلَى الْعِلْمِ
وَالْقَنَاعَةِ؛ تَدْرُجًا بِهَا دُونَ تَسْفِيهِ أَوْ تَعْرِيزِ بِجَهْلٍ أَوْ ضَعْفٍ فِي مَفَاهِيمِ النَّفْسِ الْجَاهِلَةِ
وَالْمَفْطُورَةِ عَلَى الشَّرِّ فِي كُلِّ مَرَحَلَةٍ مِنْ مَرَاكِحِ جَهْلِ النَّفْسِ بِخَيْرِيَّةِ الْحَيَاةِ وَالنُّفُوسِ،
عَلَى أَنْ تَعْلَمَ أَنَّكَ أَيْضًا تَمْلِكُكَ نَوَازِعُ مِنَ الشَّرِّ وَالْخَيْرِ، وَلَكِنْ فِطْرَةُ الْخَيْرِ فِيكَ مُرْتَفَعَةٌ،
وَنِسْبَةُ الشَّرِّ فِيكَ مُنْخَفِضَةٌ إِلَى أَذْنَاهَا، وَلَكِنَّكَ لَسْتَ خُلُوعًا مِنْ تَبَاعَاتِهَا فِي حَوَادِثِ تَقْتَضِيهَا
الْحَالَاتُ الَّتِي تُسَيِّطِرُ عَلَيْهَا كَوَارِثُ الْحَيَاةِ وَمَكَارِهِ الْهُمُومِ وَالضِّيقِ وَالْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالْفَقْرِ
وَالْمَرَضِ، وَغَيْرِهِ مِمَّا يَكُونُ سَبَبًا فِي الصَّرَاعَاتِ بَيْنَ كُلِّ الْخَلَائِقِ. وَالْحَكِيمُ مَنْ عِلِمَ
الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ، وَمَنْ اسْتَطَاعَ تَعْوِيدَ النَّفْسِ عَلَى الْجِدْلِ فِي تَقْوِيمِ النُّفُوسِ بِالْقُوَّةِ الَّتِي
تُوْهِمُ بِالضَّعْفِ وَالْهَزِيمَةِ الْمُفْتَعَلَةِ لِجَانِبِ الْجَهْلِ؛ حَتَّى تَحَقِّقَ أَهْدَافَهَا، وَمَنْ ثُمَّ تَحَقَّقَ
غَايَاتِهَا وَتَبْلُغَ النَّصْرَ عَلَى شَرِّ النُّفُوسِ. وَبِغَيْرِ ذَلِكَ لَنْ يَنْتَهِيَ الصَّرَاعُ بَيْنَ نَفْسٍ عَالِمَةٍ
بِالْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَالْعَدْلِ، وَنَفْسٍ جَاهِلَةٍ بِالْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَالْعَدْلِ. وَلَمَّا اللَّهُ الدُّنْيَا فِي ثَقَلَاتِهَا
وَجُنُوحِهَا عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ؛ حَتَّى يَتَعْلَمَ الْبَاطِلُ أَنَّهُ مَرْدُودٌ وَمَكْرُوهٌ، وَأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَعُودَ
مِنْ بَاطِلِهِ إِلَى الْحَقِّ؛ لِنِسْتَقِيمِ الْحَيَاةِ، وَهِيَئَاتِ.

الْأَجْيَالُ وَمَوَارِقُ الْأَهْدَافِ

نَحْنُ نَعِيشُ عَلَى أَطْلَالِ قُلُوبِ الطَّيْبَةِ وَالْوُدِّ الَّتِي رَحَلَ سُكَّانُهَا إِلَى الْبَعِيدِ الْغَيْبِيِّ، وَقَدْ تَرَكُوا الْأَثَرَ الْجَمِيلَ فِينَا.

وَهُمْ إِنَّمَا يَنْشُدُونَ أَنْ نَكُونَ خَيْرَ خَلْفٍ لَخَيْرِ سَلَفٍ، فَهَلْ حَقَّقْنَا مَا حَاوَلُوهُ وَأَرَادُوهُ وَدَعَوْا إِلَيْهِ فِي انْبِثَاقِ أَنْوَارِ الْأُمَّةِ الْعَالِمَةِ، أَمْ أَنَّنَا زَاهِدْنَا فِي أَنْ نُعْمَلَ الْعَقْلَ، وَرَضِينَا بِحَيَاةٍ تَسْتَعِينُ بِعُقُولٍ غَيْرِهَا عَلَى دَعَا وَاسْتِكَانَةٍ نَحْنُ نُؤْصِلُهَا فِي مَوَانِعِ الْجِدَّةِ وَالْعَزِيمَةِ وَالْفِكْرِ الْخَلَّاقِ.

وَالَّذِي أَرَاهُ أَنَّ أُمَّةَ الْإِسْلَامِ تَحْتَاجُ إِلَى وَقْتٍ لِإِعَادَةِ صِيَاغَةِ خِطَابِهَا الْفِكْرِيِّ مَعَ الْحَيَاةِ؛ لِتَتِمَكَّنَ مِنْ تَأْهِيلِ نَفْسِهَا مَرَّةً أُخْرَى كَأَمَّةٍ لَا تَرَى زَادًا غَيْرَ زَادِ الْمَعْرِفَةِ؛ حَتَّى تَرْتَفِعَ رَأْيَةُ الْإِسْلَامِ مِنْ جَدِيدٍ، وَلَكِنْ لَيْسَ الْآنَ، بَلْ هُنَاكَ مِائَتُ السَّنِينَ حَتَّى تُوَلَدَ الْأُمَّةُ الْحُرَّةُ الْمُفَكِّرَةُ النَّاهِضَةُ الْعَالِمَةُ الَّتِي سَوْفَ تَبْعَثُ قُوَّةَ الْإِسْلَامِ مِنْ جَدِيدٍ.

10 يُونِيُو 2021م

عَاشِقُ الْخَيْلِ ابْنِي الْفَارِسِ صَالِح

كُلُّ الشُّعْرَاءِ الْغَنَائِيِّينَ الْعُذْرِيِّينَ وَالْعُشَاقِ وَالْمُغْرَمِينَ وَالْمُحِبِّينَ تَغْنَوُ بِالْغَيْدِ الْحَسَنِ وَالْخُودِ اللَّدَانِ، وَالْكُوعِبِ ذَوَاتِ الدَّلَالِ وَالْحَنَانِ، وَالْغَوَانِي الْخُورِ الْعَيْنِ وَالْأَمَالِيدِ الرِّزَانِ، وَالْقُدُودِ وَالْجِيدِ وَالْخُدُودِ الْمُطَعَمَةِ بِالْجُمَانِ، وَتَغَالُوا فِي تَوْصِيفِهِنَّ وَتَشْبِيهِهِنَّ فِي جَمَالِهِنَّ وَفُتُونِهِنَّ وَحُسْنِهِنَّ وَسِحْرِهِنَّ فِي كُلِّ قَلْبٍ عَاشِقٍ وَلَهَانَ، إِلَّا ذَلِكَ الْكُنْدِيُّ الْفَارِسِ صَالِحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِأَسْرَاحِيلِ الَّذِي أَسْقَطَ كُلَّ صِفَاتِ الْجَمَالِ عَلَى خِيُولِهِ وَأَفْرَاسِهِ، وَرَاحَ يَتَسَبَّبُ بِهِنَّ كَمَا تَشَبَّبَ جَدُّهُ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ بِالْغَوَانِي، فَكَانَ يَتَنَدَّرُ فِي شِعْرِهِ بِالْغَوَانِي مِنْ خَيْلِ الْجَمَالِ الْعَرَبِيِّ. إِنَّهُ ابْنِي حَفِظَهُ اللَّهُ صَالِحُ بِأَسْرَاحِيلِ الَّذِي جَمَعَ كُلَّ غَرَامِهِ وَهَيَامِهِ وَعَشْقِهِ وَفُتُونِهِ، وَصَبَّهَ فِي تَشْبِيهِهِ مُبَدَّعَ عَلَى الْخَيْلِ، فَمَا وَجَدْتُ مَنْ هَامَ عَشْقًا بِالْخَيْلِ مِثْلَهُ فِي الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، فَقَدْ مَلَكَ عَلَى قَلْبِهِ وَلَبَّهَ حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَتْرُكْ فِي وَصْفِهِ الشُّعْرَاءَ أَوْ الْحَمْرَاءَ أَوْ السُّودَاءَ مِنْ خَرَائِدِ الْخِيُولِ الْعَرَبِيَّةِ وَصْفًا إِلَّا وَصَفَهُنَّ بِهِ.

كَمْ حَاوَلْتُ ثَنِيَّةً عَنْ هَذَا الْعَشْقِ لِيَتَّخِذَ لَهُ بَدِيلًا فَمَا اسْتَطَعْتُ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا، وَكَانَتْهُ رُغْمَ تَهَيُّمِهِ بِالْغَيْدِ الْحَسَنِ مِنَ النِّسَاءِ فَإِنَّ الْخَيْلَ كَانَ لَهَا عَشْقٌ أَبَدِيٌّ؛ فَهُوَ إِذَا كَانَ مَهْمُومًا أَوْ قَلِقًا هَفَا إِلَى مَرْبِطِ خِيُولِهِ يَسْتَأْنِسُ بِهِنَّ وَمَعَهُنَّ فِي صَبَوةٍ عُذْرِيَّةٍ الْهُوَى، فَيَعُودُ عَلَى مَسَرَّةٍ وَسَعَادَةٍ لَا يَمَانِلُهَا عَشْقٌ أَوْ هَوَى أَوْ هَيَامٌ، فَتَارَةً يُشَبِّهُهُنَّ بِالرِّيمِ، وَأُخْرَى بِالطَّبْيِ وَالْغَزَالِ وَالْمَهَا. أَجَلٌ.. غَرِيبٌ هُوَ فِي نَصْبِيهِ وَتَهَيُّمِهِ بِشَوَارِدِ جَمَالِ خِيُولِهِ الْعَرَبِيَّةِ حَتَّى رُحْتُ أَطْلُقَ عَلَيْهِ عَاشِقَ الْخَيْلِ بِلَا مُنَازَعٍ. رَأَيْتُهُ وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ الْعَشْقَ فِي الْقَلْبِ إِحْسَاسٌ يَغْرِسُهُ اللَّهُ فِي الْقُلُوبِ الَّتِي تَجَلَّى لَهَا الْحُبُّ السَّمَائِيُّ فِي أَسْمَى وَأَنْهَى صُورِهِ لِيَجْسَدَ مِنْ صَدَاقَتِهِ لِلْخَيْلِ مَعَانِي الْفُرُوسِيَّةِ وَالشَّهَامَةِ وَالْكَرَمِ وَالْكَرَامَةِ، وَالْأَخْلَاقِ الْعَالِيَةِ جَمِيعِهَا، وَإِلَّا لَمَا عَشَقَ الْخَيْلَ الَّتِي تَجْمَعُ الْقِيَمَ الْخَلَاقَةَ.

لَعَلَّهُ جَعَلَ مِنْ بَيْتِ شِعْرِ لِحَدِّهِ الْمُتَنَبِّي مِنْهَاجًا لِارْتِبَاطِهِ بِالْخَيْلِ، وَهُوَ مَنْ قَالَ:
وَمَا الْخَيْلُ إِلَّا كَالصَّدِيقِ قَلِيلَةً...

الْأَمْنُ وَالْمَرْحَلَةُ

«الأمن» و«المرحلة» عنوانان لمحاضرة الدكتور فهد الشليمي في منتدى الشيخ محمد صالح باسرا حيل - رحمه الله - الثقافي الأدبي

كَلِمَةُ الدُّكْتُورِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَالِحٍ بَاسْرَاحِيلَ

«الأمن».. أي أمن يقصده سعادة الدكتور فهد؟ هل يقصد بداية الأمن العربي أم الأمن العالمي أم الأمن السعودي على وجه الخصوص؟ فإذا أخذنا بطرف عن الأمن العالمي، فهو أمن آمن تدعمه القوانين الوضعية للدول التي تطبق على شعوب كل دولة بدون تمييز، ويخضع لدستور البلاد. وأنا أتحدث عن الدول المتقدمة. والذي جعل الأمن مكيًا في تلك الدول هو تطبيق القوانين على الجميع بمساواة في الحقوق والواجبات. لذا كانت الشعوب في تلك الدول صمام الأمان للأمن في أوطانها وبين شعوبها.

أما إذا تحدثنا عن الأمن العربي فهو مخترق، وهو أمن غير آمن. ونُدلل على ذلك بسوريا واليمن والعراق ولبنان إلى حد ما، فالدول غير الآمنة التي ذكرنا دول غير مستقرة سياسيًا، تهب عليها رياح الاختلاف بين شعوبها وقياداتها، وتتدخل الدول الكبرى التي لها أهداف سياسية في عدم استقرارها وتمزيق لحمة شعوبها. وعندما ترى تلك الدول أن أهدافها قد تحققت فسوف تُعطي شيئًا من الأمان والاستقرار لتلك الدول.

وإذا كان المقصود الأمن السعودي فهو أمن آمن، وضمانته الشعب الذي ارتضى حكامه على كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين). واستطاع حكامه خلق روح من التواعة والإمتزاج الروحي والقلبي بين الحاكم والشعب والاقتصاد القوي. فهذه الضمانات الثلاث من أهم مبادئ الاستقرار والأمن والأمان. فهي ركائز عالية الأهمية. وهل بعد القرآن والسنة والشعب والاقتصاد القوي - بفضل الله - ضمانات لأمن المملكة؟ لذا فالأمن في المملكة العربية السعودية مستقر باستقرار حكومتها واقتصادها الكبير الذي يصب في قنواتها النهضة؛ لبناء الوطن كله دون استثناء شأنها شأن بقية دول الخليج.

وَعِنْدَمَا نَتَحَدَّثُ عَنِ الْاهْتِرَازَاتِ الْأَمْنِيَّةِ فِي وَطَنٍ مَا يَجِبُ أَنْ نَنْظُرَ إِلَى دُسُورِهِ وَقَوَانِينِهِ، وَمَدَى تَطْبِيقِ الْقَوَانِينِ بَعْدَالَةٍ وَمَسَاوَاةٍ بَيْنَ شَعْبِهِ. وَالضَّمَانَةُ الْكُبْرَى لِلدُّوَلِ الَّتِي تَخْلُقُ الْأَمْنَ هِيَ اقْتِصَادُ تِلْكَ الدُّوَلِ الَّذِي يُحَقِّقُ الضَّرُورِيَّاتِ لِلشُّعُوبِ عَلَى أَقْلٍ تَقْدِيرٍ، وَمُحَاوَلَةُ الْوُقُوفِ بِتِلْكَ الشُّعُوبِ عِنْدَ حَدِّ الْكَفَافِ حِينَ يَسْتَطِيعُ تَجْنِيْبُهَا مَذَلَّةَ الْفَقْرِ. فَهَذَا يَتَحَقَّقُ الْأَمْنُ. وَلَكِنَّهُ أَيْضًا أَمْنٌ مُخْتَرَقٌ لَا يَخْلُو مِنَ التَّقْلِبَاتِ وَالْفَوْضَى أحيانًا.

ثُمَّ نَأْتِي عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرَ مِنْ عُنْوَانِ الْمُحَاضَرَةِ وَهُوَ «الْمَرْحَلَةُ». فَهَلِ الْمَقْصُودُ بِالْمَرْحَلَةِ: الْأَيَّامُ وَالْمُعَاصِرَةُ وَالْوَقْتُ وَالزَّمَنُ؟ أَمْ الْمَقْصُودُ: الْمَسَافَةُ الَّتِي يَتَحَقَّقُ فِيهَا اكْتِمَالُ خُطَّةِ الْأَمْنِ، أَمْ أَنَّ الْأَمْنَ فِي بَلَدٍ مَا يَتَطَلَّبُ الْوَقْتُ لِثَبَاتِ الْمَرْحَلَةِ الزَّمْنِيَّةِ أَوِ النَّهْضِيَّةِ لَا التَّمَرُّحْلِ الَّذِي يَتَطَلَّبُ الْوَقْتُ لِكَيْ تَسْتَقَرَّ مَرْحَلَةٌ مَا مِنْ مَرَاكِحِ الْأَهْدَافِ الْمُتَحَقِّقَةِ مِنْ خِلَالِ الْإِرَادَاتِ السَّاعِيَةِ لِثَبَاتِ الْغَايَةِ لِتِلْكَ الْمَرْحَلَةِ وَجَعَلَهَا حَقِيقَةً تَارِيخِيَّةً قَابِلَةً لِلتَّحْلِيلِ وَالنَّقْدِ، أَوِ التَّمَيُّزِ الَّذِي يُؤَكِّدُ نَجَاحَ الْمَرْحَلَةِ فِي تَوْقِيتِ زَمَنٍ مَا يَتَعَاَصَرُ مَعَ نُشُوءِ الْمَرْحَلَةِ وَالْعَيْشِ فَعَلِيًّا وَوَاقِعِيًّا بِنَتَاجِ مُعْطِيَّاتِهَا؟ وَهُوَ مَا يَجْعَلُنَا نَقُولُ: إِنَّ الدُّوَلِ الْمُتَقَدِّمَةَ قَدْ تَمَرَّحَلَتْ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى ثَبَاتِ مَرَاكِحِهَا عَلَى مَرْحَلَةٍ تُعَاصِرُهَا وَهِيَ رَاضِيَةٌ عَنْهَا. أَمَّا بَعْضُ الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ فَمَا تَزَالُ فِي دَوَائِرِ التَّمَرُّحْلِ التَّقَدِّمِيِّ وَالْحَضَارِيِّ عِنْدَمَا تَتَجَاوَزُ مُشْكَلَاتِهَا السِّيَاسِيَّةَ وَالْاِقْتِصَادِيَّةَ.

وَعِنْدَمَا نَتَحَدَّثُ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ عَنْ وَطَنِنَا «السُّعُودِيَّةِ» فَنَحْنُ نَرَى أَنَّنَا نَتَجَاوَزُ التَّمَرُّحْلَ إِلَى ثَبَاتِ الْمَرْحَلَةِ الْمُسْتَهْدَفَةِ تَحْقِيقًا، مِنْ خِلَالِ تَحْقِيقِ رُؤْيَا الْأَمِيرِ الشَّابِّ مُحَمَّدَ بْنَ سَلْمَانَ وَلِيِّ عَهْدِ الْمَمْلَكَةِ. وَهُوَ الرِّهَانُ الصَّعْبُ وَالسَّهْلُ عَلَى هِمَّةٍ وَعَزِيمَةٍ هَذَا الشَّابِّ الْمُتَحَدِّيِّ عَلَى أَنْ تَكُونَ السُّعُودِيَّةُ مِنَ الدُّوَلِ الْكُبْرَى اِقْتِصَادِيًّا وَتَقْنِيًّا وَصِنَاعِيًّا وَفِكْرِيًّا وَعِلْمِيًّا. وَنَحْنُ نَلْمِسُ التَّمَرُّحْلَ الَّذِي يَأْخُذُنَا إِلَيْهِ هَذَا الْأَمِيرُ الَّذِي نَرَى بِالفِعْلِ أَنَّهُ يَتَجَاوَزُ الْمَرَاكِحَ لِتَحْقِيقِ ثَبَاتِ الْمَرْحَلَةِ النَّهْضِيَّةِ، بَلْ وَيَتَجَاوَزُهَا إِلَى مَرَاكِحِ مُتَقَدِّمَةِ أَكْثَرِ فَأَكْثَرُ. نَسْأَلُ اللَّهَ لَهُ الْعَوْنَ وَالثَّبَاتَ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْمَرْحَلَةُ الَّتِي يَتَطَّلَعُ إِلَيْهَا نَابَهُو الْوَطَنِ وَمُتَابِعُو خُطَوَاتِهِ الَّتِي سَبَّشُرُ فِي قَادِمِ الْأَيَّامِ بِمَوْلِدِ وَطَنِ وَأُمَّةٍ يُشَارُ إِلَيْهَا بِالْبَنَانِ بَيْنَ الْأَمَمِ وَالْأَوْطَانِ. وَاللَّهُ مِنْ وَرَاءِ الْقُصْدِ.

حَالَةُ الْإِنْسَانِ الْمَعَاصِرِ

فِي عُمْرَةِ مَشَاكِلِ الْاِقْتِصَادِ الْعَالَمِيِّ بَدَأَ الْإِنْسَانُ يَسْتَشْعِرُ الْحُمُولَ الْكَثِيرَةَ وَالثَّقِيلَةَ الَّتِي لَمْ يَكُنْ يَسْتَشْعِرُهَا وَلَمْ تَكُنْ فِي حِسَابَاتِهِ.
فَالْإِنْسَانُ الْعَرَبِيُّ عَاشَ بِالْبَرَكَةِ؛ يَأْتِيهِ رِزْقٌ يَوْمَهُ مُعْتَمِدًا عَلَى مَوَاهِبِ اللَّهِ لَهُ، شَاكِرًا حَامِدًا لِلَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُ مِنْ فَضْلِهِ. وَنَرَى كَيْفَ تَحُولُ الْأَحْوَالُ عَلَى الْأَحْوَالِ كَمَا قَالَ الْمُتَنَبِّي رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَمَا يَدُومُ سُرُورٌ مَا سُرِرْتَ بِهِ وَلَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفَائِتُ الْحَزَنُ
وَهَكَذَا الدُّنْيَا لَا تَسْتَمِرُّ عَلَى حَالٍ. وَقَدْ مَرَّتْ مِثْلُ هَذِهِ الدَّوَرَاتِ الْمُفَاجِئَةِ فِي حَيَاةِ النَّاسِ فَقِيرِهِمْ وَغَنِيِّهِمْ. فَكَانَ الْكُلُّ كَحَالِنَا يَنْتُنُّ وَيَتَأَلَّمُ مِنْ تَكَالِيفِ الزَّمَانِ عَلَيْهِ حِينَ الْفَى عَلَيْهِ حُمُولًا تَزِيدُ عَلَى طَاقَتِهِ وَقُدْرَتِهِ. وَقَدْ قَصَّ عَلَيْنَا الْقُرْآنُ فِي سُورَةِ نَبِيِّ اللَّهِ يُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مِثْلَ ذَلِكَ التَّحَوُّلِ الزَّمَنِيِّ وَالْمَعِيشِيِّ، وَعَرَفْنَا مِنَ الْقُرْآنِ السَّنِينَ الْعِجَافَ. وَنَحْنُ نَرَى كُلَّ شَيْءٍ تَرْتَفِعُ قِيمَتُهُ إِلَّا الْإِنْسَانَ. وَنَتَأَمَّلُ الْآنَ فِي مُعَانَاةِ النَّاسِ مِنْ ارْتِفَاعِ رُسُومِ الْكَهْرَبَاءِ وَالْمَاءِ، وَالضَّرَائِبِ وَالزَّكَاةِ وَالِدَّخْلِ، وَالْمُرُورِ وَالْمُخَالَفَاتِ، وَالْجَوَازَاتِ وَتَذَاكِرِ السَّفَرِ وَالْجَمَارِكِ، وَالْهَاتِفِ وَالنَّتِّ، وَارْتِفَاعِ أَسْعَارِ السَّلْعِ الْغِذَائِيَّةِ وَأَسْعَارِ الدَّوَاءِ وَأَسْعَارِ السِّيَّارَاتِ. وَالْأَكْثَرُ الَّذِي لَا رَقِيبَ عَلَيْهِ أَسْعَارُ صَيَانَةِ السِّيَّارَاتِ وَقِطْعِ الْغِيَارِ الْمَتْرُوكَةِ بِلَا حَسِيبٍ وَلَا رَقِيبٍ عَلَى وَكَالَاتِ السِّيَّارَاتِ. إِضَافَةً إِلَى أَنَّكَ حِينَ تَدْخُلُ سَيَّارَتَكَ إِلَى أَيْ وَكَالَةٍ لِلْسِّيَّارَاتِ يَسْرِقُ بَعْضُ الْعَامِلِينَ قِطْعَ الْغِيَارِ السَّلِيمَةِ لِيُعِيدُوهَا مَرَّةً أُخْرَى إِلَى سَيَّارَتِكَ بِقِيَمَةٍ أُخْرَى! هَذِهِ الْمَشَاكِلُ يَعِيشُهَا الْمَوَاطِنُ الْعَرَبِيُّ فِي الْعَصْرِ الْحَاضِرِ؛ لِذَا فَإِنِّي أَقْتَرِحُ انْشَاءَ هَيْئَةٍ عَلِيًّا لِدِرَاسَةِ وَتَقْيِيمِ الْأَوْضَاعِ لِإِيجَادِ حُلُولٍ لِتَخْفِيفِ تِلْكَ الْأَغْيَاءِ الْمُزْهِقَةِ لِلْإِنْسَانِ، وَتَفْعِيلِ دَوْرِ الْبُنُوكِ فِي الْإِقْرَاضِ عَلَى مُدَدٍ طَوِيلَةٍ مَيَسَّرَةَ لِلْمُشَارَكَةِ مَعَ حُكُومَاتِ الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ فِي تَدْلِيلِ صُعُوبَاتِ الْحَيَاةِ، وَهُوَ مَا تَفْعَلُهُ الْبُنُوكُ فِي الدُّوَلِ الْمُتَقَدِّمَةِ كَأَمْرِيكَا وَدُولِ أَوْرُبَّا وَشَرْقِ آسِيَا، لَا أَنْ تَكُونَ بُنُوكًا جَامِدَةً تَسْتَفِيدُ وَلَا تُفِيدُ. كَمَا نَتَمَنَّى مِنْ كُلِّ قَلْبٍ رَحِيمٍ فِي أُمَّتِنَا الْعَرَبِيَّةِ النَّظَرَ بِعَيْنِ الْمَسْئُولِ أَمَامَ اللَّهِ تَجَاهَ إِخْوَانِهِ الْمَوَاطِنِينَ. فَمِنْ أَيْنَ لِلْمَوَاطِنِ الْفَقِيرِ أَوْ بَسِيطِ الْحَالِ أَنْ يُنْفِقَ عَلَى حَاجَاتِهِ الضَّرُورِيَّةِ

- فَضْلًا عَنِ الْكَمَالِيَّةِ - وَهُوَ يَعُولُ أُسْرَةً أَفْرَادَهَا يُرِيدُونَ كُلُّهُمْ أَنْ يَنَالُوا قِسْطًا مِنْ أُمْنِيَّاتٍ تَرْفُدُهُمْ بِالْعَيْشِ الْكَرِيمِ؟ حَتَّى لَا يَتَحَوَّلَ إِلَى عُنْصُرٍ فَاسِدٍ فِي الْمُجْتَمَعَاتِ يَسْلُكُ مَسَالِكَ غَيْرِ شَرْعِيَّةٍ وَغَيْرِ أَخْلَاقِيَّةٍ فِي تَأْمِينِ وَتَوْفِيرِ لُقْمَةِ الْعَيْشِ، مُرْتَكِبًا كُلَّ الْمُخَالَفَاتِ لِكَيْ يُحَقِّقَ لَهُ وَلِأُسْرَتِهِ عَيْشَ الْكَفَافِ بِأَقْلٍ الْقَلِيلِ الَّذِي يَرْفَعُهُ عَنْ مَذَلَّةِ السُّؤَالِ، وَيَقِيهِ وَأَهْلَهُ الْعَوَزَ وَالطَّلَبَ مِنَ النَّاسِ، أَوْ انْتِهَاجَ سُلُوكِ الْجَرِيمَةِ، وَكَمَا قِيلَ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّ رَاعٍ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ».

الشَّكْوَى أَصْبَحَتْ عَامَّةً، فَهَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى تَخْفِيفِ أَعْبَاءِ الْحَيَاةِ مِنْ عَلَى عَاتِقِ الْمَوْاطِنِ الْعَرَبِيِّ، ثُمَّ مِنَ الْإِنْسَانِ عَلَى أَخِيهِ الْإِنْسَانِ إِذَا تَوَفَّرَتْ لَهُ الْقُدْرَةُ؟ أَمَّا إِذَا حَالَ وَضَعُهُ دُونَ ذَلِكَ فَعَلَيْهِ الدُّعَاءُ لِأَخَوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا دَامَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ.

التَفَاوُلُ بِالْخَيْرِ

كَعَادَةِ الْإِنْسَانِ يَتَفَاءَلُ بِالْخَيْرِ حَتَّى لَوْ كَانَتْ سُحُبُ الشَّرِّ تَسْبِجُ فِي بَحَارِ الْفَضَاءَاتِ حَامِلَةً فِي زَخَاتِهَا مَوَاطِرَ السُّوءِ. لَكِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُرِيدُ أَنْ يَعِيشَ الْوَحْشَةَ وَالْقَلَقَ وَالْحَيْرَةَ فِي نَفْسِهِ؛ فَيَقْتَفِي الْأَمَلَ، وَالْأَمَلُ حَمَالٌ أَوْجُهُ فِي التَّوَقُّعِ؛ وَلِذَا كَانَ الْأَمَلُ مَلَاذًا لِلْإِنْسَانِ لِأَنَّهُ يُعَبِّرُ عَنِ الْخَيْرِ لَا عَنِ الشَّرِّ، فنَقُولُ: نَتَأَمَّلُ خَيْرًا، وَلَا يَصِحُّ أَنْ نَقُولَ: نَتَأَمَّلُ شَرًّا، وَإِنَّمَا نَقُولُ: نَتَوَجَّسُّ شَرًّا. وَلَأنَّ النَّفْسَ الْبَشَرِيَّةَ نَزَّاعَةً إِلَى مَا يَسُرُّهَا لَا مَا يَكْدُرُهَا وَيُؤْلِمُهَا؛ تَتَبَدُّ الشَّرِّ فِي حَقِيقَةِ سُلُوكِيَّاتِهَا، وَإِنْ كَانَ الشَّرُّ أَحَدَ مُكَوِّنَاتِ طَبِيعَتِهَا كَالْخَيْرِ، فَإِنَّهَا لَا تَقْبَلُ وَضْمَهَا بِالشَّرِّ، إِنَّمَا الشَّرُّ يُفَرِّضُ عَلَيْهَا فَتَفْعَلُهُ وَفِي قَرَارَةِ نَفْسِ النَّفْسِ تَرْفُضُهُ وَتَتَنَدَّمُ كَثِيرًا عَلَى فِعْلِهِ. وَأَحْيَانًا يَكُونُ فِي الشَّرِّ الْخَيْرُ، وَفِي الْخَيْرِ الشَّرُّ؛ فَمَوْتُ إِنْسَانٍ شَرٌّ قَدْ يَكُونُ فِيهِ خَيْرٌ لَوَرِثَتْهُ... وَهَكَذَا.

لِذَا، نَحْنُ نَأْمَلُ أَنْ يَكُونَ عَامِنًا الْجَدِيدُ نَاسِخًا لِشُرُورِ عَامِ مَضَى، وَاعِدًا بِبُشْرِيَّاتِ عَامِ جَدِيدٍ يَحْمِلُ السَّعَادَةَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ، مُنْهِيًا لِكُلِّ أَحْدَاثِ الْيَمَةِ مَرَّتَ عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَكُونُ فِيهَا صَفَاءُ السَّرَائِرِ وَنَقَاءُ الْقُلُوبِ مِنْ أَدْرَانِ الْحَقْدِ وَالْبَغْضَاءِ وَالشَّحْنَاءِ، تَسُودُ فِيهِ رَاحَةُ الْبَالِ وَسَلَامَةُ الْحَالِ، وَاجْتِمَاعٌ عَلَى الْهَنَاءَةِ، وَاحْتِمَالُ بَعْضِنَا بَعْضًا، وَإِصْلَاحُ ذَاتِ بَيْنِنَا. فَالْعُمُرُ أَقْصَرُ مِنْ طُولِ الْقَسْوَةِ وَالْإِضْرَارِ بِبَعْضِنَا بَعْضًا؛ لِأَنَّ انْتِصَارَاتِنَا عَلَى بَعْضِنَا هَزَائِمٌ حِينَ يَرْكَبُنَا اللَّهُمَّ وَالنَّدَمُ. وَارَى أَنْ أَعْظَمَ النَّصْرَ وَأَجْمَلُهُ وَأَثْمَنُهُ هُوَ انْتِصَارُنَا عَلَى نَفُوسِنَا عِنْدَمَا نَحْمِلُهَا عَلَى الصَّبْرِ عَلَى كَرَاهَةِ مَا يَنْتَابُنَا مِنْ سَوَاءَاتِ بَعْضِنَا تَجَاهَنَا. فَلْنَحْتَضِنُ بَعْضِنَا بَعْضًا، وَنَصْدُقْ فِي مَوَدَّاتِنَا، وَنَعْفُ عَنْ عَدَاوَاتِنَا، وَنُفَكِّرْ: مَنْ مِنَّا الَّذِي لَنْ يَكُونَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ لِقَاءٌ فِي عَامِنَا هَذَا؟ فَكُلُّنَا مُهَيَّوونَ لِلسَّفَرِ وَالرَّحِيلِ عَنِ الدُّنْيَا. فَلْنَرْحَلْ وَقَدْ تَطَهَّرْنَا مِنْ أَدْرَانِ الْبُغْضِ وَالْكُورِ، نَسْتَقِ وَنَسْتَقْبِلُ كَلِمَاتِ هِيَ «رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَدْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَدُعَاتِهِ». فَاللَّهُمَّ أَحْسِنْ خَاتِمَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا بِخَيْرِ الْأَعْمَالِ وَصَالِحِهَا، وَاجْمَعْنَا عَلَى الْخَيْرِ وَالْوُدِّ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَصَلَّى اللَّهُمَّ عَلَى سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.

مَعْرِفَتِي بِاللَّهِ

النَّبْضُ فِي الْقُلُوبِ لُغَاتٌ تَتَحَدَّثُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَتُسَبِّحُهُ، وَكَأَنَّ كُلَّ نَبْضَةٍ حِينَ نَسْمَعُهَا بِسَمَاعَةِ الطَّبِيبِ تَقُولُ: اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ. وَهَذَا مَكْمَنُ عَظَمَةِ الْخَالِقِ الَّذِي بِيَدِهِ مَقَالِيدُ كُلِّ شَيْءٍ. الَّذِي قَالَ وَيَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ.

فَاللَّهُ لَفْظَةٌ كَوْنِيَّةٌ لِقُدْرَةِ أَرْزَلِيَّةٍ. إِنَّهَا كَلِمَةُ الْقَدَرِ الَّذِي يَتَحَقَّقُ بِالْقَادِرِ مَتَى أَرَادَ وَيُرِيدُ، وَإِرَادَتُهُ هِيَ صَوْتُ الْأَفْعَالِ النَّافِذَةِ الْمُحَقِّقَةِ لِلْإِرَادَةِ الْإِلَهِيَّةِ {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}.

فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى الْهُيُولَى الْبَعِيدَةِ فِي الْفَضَاءِ، وَجَمِيعِ خَلْقِ اللَّهِ مِنَ النُّجُومِ وَالْكَوَاكِبِ، وَغَيْرِهَا مِمَّا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَعْقِلَهُ؛ نَسْتَشْعِرُ كَثِيرًا مِنَ الْعُمُقِ فِي الْإِيمَانِ يَقِينًا وَحَقًّا لَا يَقْبَلُ الْمُجَادَلَةَ وَلَا التَّوَابِلَ، بِعَظَمَةِ مُتَفَرِّدَةِ وَقُوَّةِ خَارِقَةِ وَإِرَادَةِ نَافِذَةٍ، وَتَدْبِيرِ يَفُوقِ الْأَعْجَازَ وَيَفُوقُ الْإِمْكَانَ. فَكَيْفَ وَهُوَ الَّذِي لَا تَأْخُذُهُ سَنَةٌ وَلَا نَوْمٌ، وَهُوَ الرَّقِيبُ الْحَسِيبُ، يَرَى مَا لَا نَرَاهُ، وَيَعْلَمُ مُبْتَدَأَهُ وَمُنْتَهَاهُ، وَهُوَ مَنْ يُحَاسِبُ عَلَى الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ حَقًّا وَعَدْلًا جَارِيًّا عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ. فَاللَّهُ بِهِ وَحْدَهُ عَرَفْنَا اللَّهَ سُبْحَانَهُ فِي مَلَكُوتِهِ حِينَ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ، وَحِينَ يَعْلَمُ الْغَيْبَ، وَحِينَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ.

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، شَهَادَةَ الْعَارِفِ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَمُلْكِهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. ثُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ذُلًّا وَعُبُودِيَّةً لَهُ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَخْرًا بِعِزَّتِهِ وَقُوَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى الْعَالَمِينَ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدِي وَقُرَّةَ عَيْنِي وَقَلْبِي وَجَمِيعَ جَوَارِحِي هُوَ نَبِيُّ اللَّهِ وَرَسُولُهُ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، الْمُبْعُوثُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

مَمْلَكَةُ الْحُبِّ الْإِنْسَانِيِّ

لِمَاذَا يَجِبُ أَنْ نَغْتَسِلَ بِدِمَائِنَا حَتَّى نُوَارِيَ الْكُرْهَ وَالْحَقْدَ وَالْبَغْضَاءَ فِي نُفُوسِنَا؟ لِمَاذَا نُرِيدُ أَنْ نَكُونَ وَحْدَنَا الْقَابِضِينَ عَلَى نَعِيمِ الدُّنْيَا دُونَ غَيْرِنَا؟ لِمَاذَا لَا يَكُونُ الْإِثَارُ لَا الْأَثَرُ طَبِيعَتَنَا؟ لِمَاذَا نَسْتَوْحِشُ الضَّعِيفَ وَالْمُسْكِينَ وَنَضْعُ مَرَاتِبَ الْإِنْسَانِ دُونَ النَّظَرِ إِلَى قَلْبِهِ وَعَقْلِهِ؟ كَيْفَ الْحَالُ لَوْ أَنْشَأْنَا مَمْلَكَةً نُسَمِّيَهَا مَمْلَكَةُ الْحُبِّ الْإِنْسَانِيِّ، لَا يَدْخُلُهَا حَاقِدٌ أَوْ حَاسِدٌ أَوْ كَارِهٌ، تَقُومُ عَلَى الْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ وَعَلَى إِدْخَالِ السَّعَادَةِ إِلَى كُلِّ الْقُلُوبِ؟ لَذَا، فَمَنْ يُرِيدُ الْإِنْتِمَاءَ إِلَى مَمْلَكَةِ الْحُبِّ الْإِنْسَانِيِّ فَعَلَيْهِ تَسْجِيلُ اسْمِهِ حَتَّى نَسْتَقْطِبَ لَهَا الْخَيْرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْمُؤَثِّرِينَ غَيْرَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ إِثَارًا، عِنْدَهَا نَعْلَمُ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَغْتَنِي بِالْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ.. بِوَرْدَةٍ.. بِقُبْلَةٍ.. بِاخْتِصَانِ الْقُلُوبِ الْمُتَعَبَةِ. فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْتَمِيَ إِلَى مَمْلَكَةِ الْحُبِّ الْإِنْسَانِيِّ فَلْيُسْجَلِ اسْمُهُ هُنَا لِيَكُونَ الْبَذْرَةُ الْأُولَى لِنَشْوءِ مَمْلَكَةِ الْحُبِّ الْإِنْسَانِيِّ.

شُرُوطُ الْإِنْتِمَاءِ إِلَى هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ:

اسْتِصْصَالُ الصَّغَائِنِ وَالْحَقْدِ وَالْبَغْضِ وَالْكُرْهِ.

الْمُشَارَكَةُ فِي نَعِيمِ الْأَرْضِ كُلِّهِ بَيْنَ الْكُلِّ بِالتَّسَاوِيِ وَالْعَدْلِ فِي الْقِسْمَةِ وَالِافْتِسَامِ.
الْعَمَلُ لِصَالِحِ الْمَجْمُوعِ.

نَبْذُ الذَّاتِ.

الِابْتِسَامُ فِي وَجْهِهِ بَعْضِنَا بَعْضًا.

الِاهْتِمَامُ بِالْمَرِيضِ وَالْمَوْجُوعِ وَالْفَقِيرِ وَالْمُسْكِينِ.

الْحُنُوُّ عَلَى بَعْضِنَا بَعْضًا فِي الشَّدَائِدِ وَالْأَزْمَاتِ؛ نَبْكِي مَعَ الْبَاكِ، وَنَحْزَنُ لِحُزْنِهِ، وَنَسْعُدُ مَعَهُ فِي سَعَادَتِهِ وَكَانَهَا سَعَادَتُنَا جَمِيعًا.

غَيْرُ مَسْمُوحٍ فِي هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ بِحَمْلِ السَّلَاحِ أَوْ أَيِّ أَدَاةٍ قَاتِلَةٍ أَوْ مُدْمِرَةٍ لِلْإِنْسَانِ.

مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْتَمِيَ إِلَى مَمْلَكَةِ الْحُبِّ الْإِنْسَانِيِّ عَلَيْهِ أَنْ يُسْجَلَ اسْمُهُ.

تَرَى هَلْ نَجِدُ شُعُوبًا وَأُمَمًا تَقْبَلُ الْإِنْتِمَاءَ لِهَذِهِ الْمَمْلَكَةِ بِشُرُوطِهَا تِلْكَ؟

الصَّلَاةُ بَيْنَ الْكَوَارِثِ وَالْمَصَائِبِ وَبَيْنَ النَّوْمِ وَالنَّسْيَانِ

إِنَّ الصَّلَاةَ فِيمَا بَيْنَ الْمَصَائِبِ وَالْكَوَارِثِ وَالْمَشَاكِلِ وَالْهُمُومِ وَبَيْنَ النَّوْمِ وَالنَّسْيَانِ صِلَةٌ قَوِيَّةٌ جَدًّا فِي التَّحَمُّلِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى التَّفَكِيرِ السَّلِيمِ لِلتَّعَامُلِ مَعَ الْهَمِّ أَوِ الْمُسْكَلَةِ أَوِ الْمُصِيبَةِ أَوِ الْكَارِثَةِ.

فِي الْبِدَايَةِ، إِنَّ الْمَصَائِبَ وَالْكَوَارِثَ وَالْمَشَاكِلَ وَالْهُمُومَ تَسْتَكْرِهَهَا النَّفْسُ الْإِنْسَانِيَّةُ؛ فَهِيَ قَوَارِعُ يَدْخُلُ فِيهَا شَكْلُ الْمُفَاجَأَةِ. وَلَا تَدْخُلُ فِي حِسَابَاتِ التَّقْدِيرِ، بَلْ فِي حِسَابَاتِ الْقَدْرِ وَالتَّقْدِيرِ الْإِلَهِيِّ. وَتَبَايُنُ الْقُدْرَةِ عَلَى التَّحَمُّلِ لِلْحُظَوِيِّ عِنْدَ التَّعَرُّضِ لِلْأَحْدَاثِ وَالْوُقُوعِ فِيهَا. فَهَنَّاكَ مَنْ تَنْزِلُ عَلَيْهِ الْأَحْدَاثُ أَوِ الْحَدَثُ كَالصَّاعِقَةِ الَّتِي تَشُلُّ أَوْصَالَهُ وَتَفَكِّيرَهُ فَيَغْمَى عَلَيْهِ، وَمَنْ يَدْخُلُ فِي عَاصِفَةٍ مِنَ الْبُكَاءِ، وَمَنْ يُحَاوِلُ الصَّبْرَ إِمَهَالًا لِلتَّفَكِيرِ فِي الْحَدَثِ وَطَرِيقَةِ التَّعَامُلِ مَعَهُ. وَفِي كُلِّ الْأَحْوَالِ يَكُونُ لِلصَّبْرِ الْقَهْرِيُّ وَالْقَسْرِيُّ وَحَدَهُ اسْتِقْبَالُ الْحَدَثِ؛ فَلَيْسَ لِلنَّفْسِ قُدْرَةٌ عَلَى مَنَعِ وَقُوعِ الْأَحْدَاثِ أَوْ دَفْعِهَا قَبْلَ حُدُوثِهَا؛ لِجَهْلِهَا الْعِلْمَ الْمُسَبِّقَ بِالْحَوَادِثِ الْكُونِيَّةِ أَوِ الْكَارِثِيَّةِ عَلَى النَّفْسِ أَوْ عَلَى النَّفُوسِ الْمُصَابَةِ بِالْمُصِيبَةِ.

وَلَا يَسْتَطِيعُ الصَّبْرُ أَنْ يُحَقِّقَ فِعْلَهُ إِلَّا بِتَحْقِيقِ أَدَوَاتِهِ الَّتِي يَتَوَفَّرُ عَلَيْهَا مِنْ خِلَالِ قُوَّةِ التَّحَمُّلِ لِلْحُظَوِيِّ ثُمَّ الْخُلُودِ إِلَى النَّوْمِ الْإِفْتِرَاضِيِّ بِالْوُجُوبِ الْإِعْتِيَادِيِّ لِلْإِنْسَانِ، وَبِهِ تَكُونُ أَوَّلَى مَرَاكِحِ الْقُدْرَةِ عَلَى اسْتِقْبَالِ الْحَدَثِ وَتَجْلِيَّتِهِ، لِيَعْمَلَ التَّفَكِيرُ عَمَلَهُ فِي طَرِيقَةِ التَّعَامُلِ مَعَ الْحَدَثِ الْوَاقِعِ. وَبِتَكَرَّرِ النَّوْمِ تَتَبَاعَدُ الْمَسَافَاتُ الزَّمَنِيَّةُ بَيْنَ حِدَّةِ اسْتِقْبَالِ الْحَدَثِ الْإِنِّيِّ وَاسْتِمْهَالِ رُدُودِ الْأَفْعَالِ حَتَّى يَحُلَّ التَّفَكِيرُ بِالتَّدْبِيرِ وَالتَّدَبُّرِ لِلْوُصُولِ إِلَى الْقَنَاعَةِ فِي مَا بَعْدَ، لِيَأْتِيَ دَوْرُ التَّنَاسِيِ التَّدْرِيجِيِّ الَّذِي تُفَرِّزُهُ مَادَّةُ النَّسْيَانِ، حَتَّى يَكُونَ بِتَقَادُمِ الْأَيَّامِ وَالسَّنِينَ وَالْحَقَبِ مُنْدَرِجًا فِي طَيِّ هَامِشِ النَّسْيَانِ، لَا النَّسْيَانِ الْكَلْمِيِّ؛ إِنَّمَا يَظَلُّ الْحَدَثُ مُهَمِّشًا وَلَكِنَّهُ يَعِيشُ فِي دَائِرَةِ الذِّكْرِيَّاتِ تَمَثُّلًا وَاسْتَحْضَارًا عِنْدَ الْحَاجَةِ الْمُلِحَّةِ. وَلَكِنْ تَبْقَى دَرَجَةُ الْإِنْفِعَالِ بِهِ وَلَهُ أَقَلُّ تَأْثِيرًا. بَلْ رُبَّمَا تَكُونُ مُنْعَدِمَةً التَّأْثِيرِ. وَتِلْكَ الَّتِي يُقَالُ عَنْهَا نِعْمَةُ النَّسْيَانِ، وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ لَيْسَتْ نَسْيَانًا كَامِلًا؛ إِنَّمَا تَدْرُجُ لِأَقْصَى قُدْرَاتِ التَّحَمُّلِ لِلْحَدَثِ، وَتَضَاوُلِ حَجْمِهِ وَوُقُوعِهِ فِي النَّفْسِ حَتَّى يُصْبَحَ ذِكْرَى

لَيْسَ إِلَّا. حَيْثُ لَا يَكُونُ النَّسْيَانُ مُكْتَمَلًا إِلَّا بِالْجُنُونِ أَوْ فَقْدَانِ الذَّاكِرَةِ. لَذَا، فَالْتَّنَاسِي الْمَفْرُوضُ عَلَى النَّفْسِ فِي جُزْئِيَّاتِهِ هُوَ الْمَعْوَلُ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ النَّسْيَانُ؛ لِأَنَّ الصَّحِيحَ هُوَ التَّذَكُّرُ الْهَامِشِيُّ لَا النَّسْيَانُ الْكُلِّيُّ.

14 سِبْتَمْبَر 2019

الإشعاع الإعلامي المدمر للفكر الإنساني الخلاق

السَّلَاحُ الْجَدِيدُ الَّذِي غَفَلَ عَنْهُ الْبُسْطَاءُ وَالْذَهْمَاءُ وَأَصْحَابُ الْمَقَاعِدِ الْوَثِيرَةِ هُوَ «الْإِشْعَاعُ الْإِعْلَامِيُّ» الْمَدْمَرُ لِلْفِكْرِ الْخَلَاقِ. وَقَدْ بَدَأَ مُنْذُ ظُهُورِ عَالَمَيْنِ؛ الْأَوَّلُ هُوَ «نِيكولا تِسْلَا» الَّذِي وُلِدَ فِي صِرْبِيَا عَامَ 1856م. وَتِسْلَا مُخْتَرِعٌ وَفِيزِيَائِيٌّ وَمُهَنْدِسٌ كَهْرِبَائِيٌّ وَمُهَنْدِسٌ مِيكَانِيكِيٌّ. وَهُوَ صِرْبِيٌّ أَمْرِيكِيٌّ، اشتهر بإسهاماته في نظام التيار المتردد الرئيسي. اِكْتَسَبَ تِسْلَا خُبْرَةً فِي التَّهَاتُفِ وَالْهَنْدَسَةِ الْكَهْرَبِيَّةِ قَبْلَ هَجْرَتِهِ إِلَى الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ سَنَةَ 1884م لِلْعَمَلِ لَدَى تُوْمَاسِ أَدِيسُونِ فِي مَدِينَةِ نِيُورُوكَ (هَذِهِ الْمَعْلُومَاتُ عَنْ تِسْلَا مَنْقُولَةٌ مِنْ جُوجَل).

الْعَالَمُ الثَّانِي هُوَ «أَلْبِرْت آيْنِسْتَاين». عَالِمٌ فِيزِيَاءُ أَلْمَانِيٌّ الْمَوْلَدُ، سُوِيْسْرِيٌّ وَأَمْرِيكِيٌّ الْجَنَسِيَّةِ. اشتهر بـ«أَبِي النَّسْبَةِ» بِاعْتِبَارِهِ وَاضِعَ نَظَرِيَّتِي النَّسْبَةِ الْخَاصَّةِ وَالنَّسْبَةِ الْعَامَّةِ الشَّهِيرَتَيْنِ اللَّتَيْنِ كَوْنَتَا اللَّبَنَةَ الْأُولَى لِفِيزِيَاءِ النَّظَرِيَّةِ الْحَدِيثَةِ. تَارِيخٌ وَمَكَانُ الْمِيلَادِ 1879م فِي أُولَمِ بِالْأَلْمَانِيَا (هَذِهِ الْمَعْلُومَاتُ مَنْقُولَةٌ أَيْضًا مِنْ جُوجَل).

وَلَكِنِّي نَدْخُلُ إِلَى الْهَدَفِ مِنْ هَذَا الْمَقَالِ، فَإِنَّا نَقِيِّمُ مُسْتَوَيِي الذِّكَاةِ الْعَقْلِيَّ لِهَذَيْنِ الْعَالَمَيْنِ اللَّذَيْنِ تَمَيَّزَا بِهِمَا؛ حَتَّى إِنَّا نَرَى أَنَّهُمَا تَجَاوَزَا حُدُودَ الذِّكَاةِ وَالْعَبَقَرِيَّةِ إِلَى مَسِّ شَيْطَانِيٍّ فِي فِكْرِ إِنْسَانٍ؛ حِينَ اسْتَطَاعَا - قَادِرَيْنِ بِأَمْرِ اللَّهِ - بُلُوغَ أَعْلَى مُسْتَوَيَاتِ الْإِعْجَازِ الْعِلْمِيِّ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَمِنْ الْخَيْرِ مَا أَفَادَ الْبَشَرِيَّةَ مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي أَحَالَتْ الْمُسْتَحِيلَ إِلَى حَقَائِقَ قَدِمَتْ مَا نَرَاهُ مِنْ سَبْقِ عِلْمِيٍّ خَلَقَ حَضَارَةً يَتَفَاعَلُ مَعَ مُعْطِيَاتِهَا الزَّمَانُ وَالْمَكَانُ، وَارْتَفَعَ بِالْأَمَمِ فِي تَحْقِيقِ حَاجَاتِهَا الضَّرُورِيَّةِ، بَلْ خَلَقَ حَضَارَةً لَا تُقَارَنُ بِحَضَارَاتِ الْأَمَمِ الْبَائِدَةِ وَالْحَاضِرَةِ كُلِّهَا. وَفِي الشَّرِّ فَقَدْ تَأَخَّيَا مَعَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فِي تَصْنِيعِ الْمَوَادِّ

الْمُدْمَرَّة مِنْ قُدْرَةِ عَلَى صِنَاعَةِ الزَّلَازِلِ وَالْبَرَائِكِينَ وَالْفَيْضَانَاتِ وَالْقَنَابِلِ النَّوَوِيَّةِ، الَّتِي بِهَا سَادَتْ أَمْرِيكَ وَأَوْرُبَا وَرُوسِيَا وَالصِّينَ وَكُورِيَا الشَّمَالِيَّةُ وَالْهِنْدُ وَالْبَاكِسْتَانُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عَوَالِمِ الْأَرْضِ وَخَلَقَهَا.

وَمِنْ تِلْكَ الْعُلُومِ خُلِقَتْ كُلُّ الصَّنَاعَاتِ التَّكْنُولُوجِيَّةِ، وَقُدِّمَتْ تَقْنِيَّةٌ عَالِيَةُ النَّظَرَاتِ وَالْأَفْعَالِ الْخَيْرِيَّةِ وَالتَّدْمِيرِيَّةِ، تَحْتَ قِيَادَةِ الشَّيْطَانِ الْأَكْبَرِ الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ الَّتِي يَتَّخِذُهَا كَثِيرٌ مِنَ الْأُمَمِ إِلَهًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَيُدْعُونَ لَهَا خَوْفًا وَطَمَعًا وَرَهْبَةً وَاسْتِجْدَاءً لِرَحْمَتِهَا، وَطَلَبًا لِلرِّزْقِ وَالْعَوْنِ وَالْغِذَاءِ وَالْمَاءِ وَالِدَّوَاءِ.

وَالْجَدِيدُ مِنَ الْأَسْلِحَةِ الْفَتَاكَةِ بِالشُّعُوبِ هُوَ «الْإِشْعَاعُ الْإِعْلَامِيُّ» الْمُدْمَرُ لِلْفِكْرِ الْإِنْسَانِيِّ الْخَلَاقِ الْخَيْرِ وَالْمُتَوَازِنِ مَعَ قُدْرَةِ الْحَيَاةِ. فَقَدْ أَصْبَحَتْ الشُّعُوبُ خَائِفَةً تَتَرَقَّبُ كَوَارِثَ الْقُوَّةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ الْمُصْطَنَعَةِ، الَّتِي مِنْ أَهَمِّ أَهْدَافِهَا سَحْقُ الشُّعُوبِ الْمُسْتَضْعَفَةِ وَالْإِسْتِيلَاءُ عَلَى مَقَدَّرَاتِهَا وَمُكْتَسَبَاتِهَا وَتَفْرِيعُهَا مِنَ الْحَيَاةِ، أَوْ تَفْرِيعُ الْحَيَاةِ مِنَ الشُّعُوبِ، بَدْءًا بِالشُّعُوبِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي تَكْتَنِزُ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ؛ إِذْ إِنَّهَا فِي نَظَرِهَا شُعُوبٌ لَا تَسْتَحِقُّ الْحَيَاةَ بَرَّغَمَ مَا قَدَّمَهُ عُلَمَاءُ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ مُنْذُ عَصُورٍ، وَهِيَ مِنْ اسْتِفَادَاتٍ مِنْ عُلُومِهِمْ وَلَمْ تُشِرْ إِلَى جُهِودِهِمْ إِلَّا لِمَامًا، وَبَالَغَتْ فِي الْإِحْتِفَاءِ بِتَقْدِيمِهَا الْحَضَارِيِّ وَالتَّكْنُولُوجِيِّ دُونَ ذِكْرِ لِلْعُلَمَاءِ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّ مِنْ نَافِلَةِ الْقَوْلِ أَنْ يَسْخَرَ الْقَوِيُّ مِنَ الضَّعِيفِ وَهُوَ فِي عُنْفُونِ قُوَّتِهِ الْقَادِرَةِ الْفَاهِرَةِ الْمُتَمَكِّنَةِ. وَلَمْ يَكُنْ أَمْسُ الزَّمَانِ بَعِيدَ وَهُمْ يُعْمَلُونَ الْمَكَائِدَ وَيُشِيعُونَ الْقَتْلَ وَيَجْرِبُونَ سِلَاحَ الْفَتَكِ وَالْهَلَكَ فِي كُلِّ الْأُمَمِ الْمُسْتَضْعَفَةِ مِنْ تَخْلِيْقِ الْفَيْرُوسَاتِ الْقَاتِلَةِ وَالْأَسْلِحَةِ السَّاحِقَةِ الْمَاحِقَةِ، غَيْرَ عَابِثِينَ بِقُوَّةِ اللَّهِ الْخَالِقِ ذِي الْقُوَّةِ الْمَتِينِ فِي نَظَرَةِ عِلْمَانِيَّةِ الْحَادِيَّةِ وَجُودِيَّةِ مَادِّيَّةِ.

وَسِلَاحُ «الْإِشْعَاعِ الْإِعْلَامِيِّ» تَبَثُّهُ أَمْرِيكَ وَأَذْنَابُهَا مِنَ الْحُلَفَاءِ الَّذِينَ بَشَرُوا بِ«الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ الْجَدِيدِ»، الَّذِي اضْطَنَعُوا لَهُ الْأَفْلَامَ السِّينِمَائِيَّةَ عَلَى لِسَانِ وَعَيْنِ الْخِيَالِ الْعِلْمِيِّ الَّذِي تَبَثُّهُ قَنَوَاتُهُمُ التَّلَفَازِيَّةُ قَدِيمًا وَجَدِيدًا. وَهِيَ لَمْ تَكُنْ أَفْلَامًا لِلتَّسْلِيَةِ وَمَلَأَ الْفَرَاغَ النَّفْسِيَّ بِقَدْرِ مَا هِيَ إِرْهَاصَاتُ لَوْقَائِعَ، وَوَاقِعَ لِأَحْدَاثٍ قَادِمَةٍ تَحْصُدُ الْإِنْسَانَ وَالْأَخْضَرَ وَالْيَابِسَ، تَخْطِيطًا وَتَدْبِيرًا أَعَدَّ لَهُ سَلَفًا لِمِلْكِيَّةِ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ وَتَقَاسُمِ خَيْرَاتِهِ وَأَرْزَاقِهِ وَسَحْقِ شُعُوبِ الْمِنْطَقَةِ كَمَا قُلْنَا فِي شِعْرِنَا، وَفِي مَقَالَاتِنَا الْمَنْشُورَةِ مِنْ خِلَالِ صَفَحَاتِ مُؤَلَّفَاتِنَا وَكُتُبِنَا الْمَطْبُوعَةِ، عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ الَّذِي يُحَاكُ لَنَا وَلِهَذِهِ الْأُمَمِ الْمُسْتَضْعَفَةِ،

وَمُحَاوَلَةٍ إِضْعَافِ قُوَّةِ أَكْثَرِيَّةِ الْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ الَّذِي يَهْمُهُمْ اقْتِصَادِيًّا، دُونَ الرَّمْيِ بِحَجَرٍ فِي طَرِيقِهِمْ لِإِعْثَارِهِمْ وَإِعْنَاتِهِمْ لِمَنْعِ الْإِسْتِمْرَارِ فِي تَحْقِيقِ نَظَرِيَّاتِهِمْ الْهَدَامَةِ لِلشُّعُوبِ الْبَسِيطَةِ، وَكَانَ فِي الْإِمْكَانِ ذَلِكَ، غَيْرَ أَنَّ عُقْلَاءَ وَأَمَنَاءَ الشُّعُوبِ انْطَلَتْ عَلَيْهِمُ الْحِيلُ بَعْدَ أَنْ اسْتَسْلَمُوا لِسِلَاحِ «الْإِشْعَاعِ الْإِعْلَامِيِّ الْمُدْمِرِ»، وَأَخْبَطُهُمْ وَقَعَدَ بِهِمْ مَقَاعِدَ الدَّعَةِ وَالْإِسْتِكَانَةِ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَطَلَبِ الرَّحْمَةِ، حَتَّى قَرَّرَ الْأَعْدَاءُ الْيَوْمَ إِفْنَاءَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ، وَجَاءُوا بِنَظَرِيَّةِ «الْمِلْيَارِ الذَّهَبِيِّ»، طَائِفِينَ أَنَّ الْحَيَاةَ مِلْكُهُمْ وَطَوْعُ إِرَادَتِهِمْ، وَأَنَّ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ بِيَدِهِمْ! بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَتِ الشُّعُوبُ الْمُسْتَضْعَفَةُ قِيَادَ أَمْرِهَا لَهُمْ، وَكَانُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِعِينَ، فَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَالْخِذْلَانُ وَشَتَاتُ الْأَمْرِ، وَبَاءُوا بِغَضَبِ اللَّهِ الَّذِي حَذَّرَهُمْ، فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ عَذَابَ الْهُونِ الشَّدِيدِ الْمُبِيدِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ.

فَلَا يَعْتَدِرُ مُعْتَدِرٌ وَقَدْ قَدَّمَ لَهُمُ اللَّهُ الْمَحَاضِيرَ، وَرَضُوا بِمَا أَمَرَ بِهِ الْأَعْدَاءُ دُونَ أَمْرِ اللَّهِ، وَتَفَرَّقَ جَمْعُهُمْ، وَجَعَلُوا بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ يَتَفَانُونَ، وَالْأَعْدَاءُ يَنْظُرُونَ فَرَحِينَ بِتَفْرِيقِ صُفُوفِهِمْ، سَاخِرِينَ مِنْ أُمَّةٍ نَامَتْ عَلَى عِلَاتِهَا، وَأَوْكَلَتْ أَمْرَهَا لِأَعْدَائِهَا حَتَّى قَعَدُوا لَهَا وَاسْتَبَاحُوا حُرْمَاتِهَا وَانْتَهَكُوا دِينَهَا، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَا هُوَ قَادِمٌ مِنَ الْفَنَاءِ. فَلْيَحْيَا «الْمِلْيَارُ الذَّهَبِيُّ» وَلْيَذْهَبْ مَنْ رَضِيَ الضَّعْفَ وَالذَّلَّ إِلَى جَحِيمِ الْأَعْدَاءِ. إِنَّ الْقَادِمَ فَنَاءُ الْكَثَرَةِ وَبَقَاءُ أَقَلِّ الْقَلَّةِ.. إِنَّهُمْ «الْمِلْيَارُ الذَّهَبِيُّ».

15 سِبْتَمْبَرِ 2019

العقل والقلب

غُرُورُ النَّفْسِ يَصْنَعُهُ الْقَلْبُ مِنْ خِلَالِ اشْتِهَائِهِ الْفَوْضَوِيَّةِ، وَهُوَ إِنَّمَا يَهْدِمُ الْمُؤَهَّبَةَ وَيَمَحَقُ الذِّكَاءَ وَيُرَبِّي الضَّعَائِنَ، وَيُرَاكِمُ الشَّخْنَاءَ وَيُكَلِّفُ النَّفْسَ؛ فَيُنْسِيهَا أَنَّهَا هِيَ، وَالْحَقِيقَةُ أَنََّّهُ هُوَ أَنْتَ لَا هُوَ. فَقَدْ تَغْفُلُ نَفْسُكَ عَنْكَ وَتَهْرُبُ مِنْكَ وَتَتْرُكَكَ فِي مَجَاهِلِ الْمَطْنَاتِ وَغَوَائِلِ الْعَثَرَاتِ؛ فَتَضِلُّ فِي وَهْمِ الذَّاتِ.

لِذَا؛ لَا تَتَّبِعْ بِنَصَائِدِ فِكْرِكَ إِلَّا لِمَنْ سَمِعَ فَأَوْعَى وَقَدَّرَ فَهَدَى، لِتَرَى نَفْسَكَ فِي تَفَرُّدِهَا أَوْ فِي تَغَرُّبِهَا ضَاحِكَةً مِنْكَ، بَاكِئَةً لَدَيْكَ، وَأَنْتَ تَسْتَفْتِحُ مَجَاهِلَ الدُّرُوبِ وَتَسْتَنْطِقُ الْحُرُوفَ، وَتَعْرِفُ أَنَّ كَلِمَةً مَا تَحُطُّ مِنَ الْقَدْرِ وَأُخْرَى تَجْعَلُ قَدْرًا لِلْقَدْرِ.

وإِنَّ لِلْحَدِيثِ مَعَ صَامِتِ الْأَشْيَاءِ رَاحَةً، وَفِي الْجَهْلِ بِمَعْرِفَةِ جَدِيدِهَا رَجَاحَةً. فَمَنْ أَغْرَاهُ الْأَغْرَاءُ فَقَدْ ابْتُلِيَ، وَمَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا نَدِمَ، وَمَنْ أَخَذَ بِقَدْرِ مِنَ الْمُتَعَةِ سَلِمَ. فَبِالْعَقْلِ وَحْدَهُ تَنْتَظِمُ الْحَيَاةُ دُونَ أَنْ يُخَامِرَ الْقَلْبُ الْعَقْلَ؛ لِأَنَّ عَاطِفَةَ الْقَلْبِ مَدْعَاةٌ لَوْلَائِدِ الْخَطِيئَةِ وَمَآثِمِ الرِّذِيلَةِ؛ فَالْقَلْبُ مَنْبُعُ الشَّهَوَاتِ، وَالْعَقْلُ مِيزَانُ الْأُمُورِ بِالْقِسْطِ. إِنَّ النَّائِمَ عَلَى الْعِلَاتِ هُوَ الْمُتَوَجِّدُ؛ فَالْقَلْبُ لَا يَنَامُ كُلُّهُ، بَلْ بَعْضُهُ حِينَ تَسْتَفِزُّهُ أَسْبَابُ الْأَفْعَالِ وَرُدُودُ أَفْعَالِ الْأَفْعَالِ، فَتَغْشَى النَّفْسُ حَيْرَةً مِنْ كَثَرَةِ ثِقَلِ الْحُمُولِ، وَتَتَوَعَّجُ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ.

فَالْقَلْبُ مُنْفَلِتٌ الْإِرَادَةِ بِحُكْمِ الْعَاطِفَةِ، وَالْعَقْلُ مَحْكُومٌ الْإِرَادَةِ بِحُكْمِ الْقَلْبِ. وَلَوْ كَانَ مُسْتَطَاعًا انْفِلَاتَ الْعَقْلُ مِنَ الْقَلْبِ لَأَسْتَقَامَتِ الْحَيَاةُ كَمَلَانِكَةِ السَّمَاءِ، وَلَكِنْ دُونَ مُتَعَةٍ وَدُونَ الْإِحْسَاسِ بِالْحَاجَةِ إِلَى الْمُتَعَةِ؛ بَلْ بِبَصِيرَةٍ لَا تَعْرِفُ الْخَطَأَ وَلَا الْعِصْيَانَ وَلَا الرَّغْبَةَ فِي الْأَشْيَاءِ وَلَا الْإِنْجِذَابَ لِلْجَمَالِ أَوْ الْقُبْحِ إِلَّا بِقَدْرِ الْحِكْمَةِ لَا الْحُكْمِ؛ لِأَنَّ الْعَقْلَ يَكُونُ فَاقِدًا لِلشَّهْوَةِ مُسَخَّرًا لِلتَّقْدِيرِ لَا لِلْقُدْرَةِ، وَلَوْ قُدِّرَ لِلْعَقْلِ الْإِرَادَةُ لَمَا رَضِيَ بَأَنْ يَتَسَاوَى الْجَوْعَانُ بِالشَّبْعَانِ وَلَا الْمُرْتَوِي بِالْعَطْشَانِ، وَمِنْ ذَلِكَ نَسْتَشْعِرُ أَنَّ مَا أَشْغَلَ النَّفْسَ فَهُوَ مِنْ هَوَى الْقَلْبِ، وَمَا أَتَزَنَ فَهُوَ مِنْ تَقْدِيرِ الْعَقْلِ، وَلَكِنَّ الْعَقْلَ مَسْلُوبُ الْإِرَادَةِ؛ لِأَنَّ الْفَاعِلَ وَالْأَمْرَ هُوَ الْقَلْبُ، وَهُوَ وَحْدَهُ مَنْ يَجْرُ الْجَرَائِرُ - خَيْرَهَا وَشَرُّهَا - عَلَى الْإِنْسَانِ.

بَيْنَ عَصْرَيْنِ

حوَارِ شِعْرِي

هُدَى: لِمَ يَا أَبِي عَفَتَ الْمَنَامَ وَلَمْ تَنَمْ؟
 أَوْتَمَّ شَيْءٌ قَدْ عَشَاكَ وَقَدْ أَلَمَ؟!
 الأب: أَسَمِعْتَ فِي الدُّنْيَا الَّذِي قَدْ عَاشَ مَا أَضْنَاهُ هَمٌّ؟!
 هُدَى: حَقًّا صَدَقْتَ أَبِي، وَلَكِنِّي أَحْسُكَ أَنْتَ تَسْتَخْفِي الْأَلَمَ.
 الأب: لَا يَا هُدَايَا اسْتَبْشِرِي لَا تَجْعَلِي دُنْيَاكَ غَمً.
 فَشُكُولُ دُنْيَانَا تُصَادِفُنَا فَمِنْ كُرْهِ نُصَارِعُهُ لَدَمً،
 قَدْ زَادَ حِمْلُ الْأَرْضِ عَنْ حِمْلِ خَفِيفٍ فِي الْقَدَمِ.
 أَتَذَكَّرُ الْأَعْرَابَ قَدْ عَاشُوا عَلَى عَيْشِ الزَّرَاعَةِ أَوْ عَلَى الصَّيْدِ أَوْ الْحَرْبِ.. عَلَى رَغِي
 الْغَنَمِ.

كَانَتْ مَسَاكِنُهُمْ بُيُوتَ الشَّعْرِ أَوْ سُكُنُوا الْخِيَمَ.
 مِنْ حَوْلِ مَكَّةَ كُلِّهَا كَانَتْ قُرَى
 أَمَّا مَدِينَةُ مَكَّةَ فَجَمِيعُهَا أَرْضُ الْحَرَمِ.
 قَدْ جَاءَ «إِسْمَاعِيلُ» يَسْكُنُهَا وَ«هَاجِرُ» أُمُّهُ تَرْعَاهُ رَغِي أَبٍ وَأُمٍّ.
 كَانُوا الظَّمَاءَ وَمَكَّةَ قَدْ كَانَ وَادِيهَا عَدِيمَ الْمَاءِ لَا مَا
 كَانَ طَمً.

كَانَتْ تَرْوُحُ إِلَى الصَّفَا وَتَعُودُ لِلْمَرْوَى تُفَشِّشُ
 عَنْ دَفِينِ الْمَاءِ تَحْتَ الْأَرْضِ جَمً.
 كَيْ تَرْتَوِي ظَمًا وَتَرْوِي طِفْلَهَا لِتَعِيشَ لَا تَشْكُو السَّقَمَ،
 حَتَّى تَمْلِكَ يَأْسَهَا مِنْهَا وَأَنْسَتِ الْعَدَمَ.
 وَيَسَاءَ رَبُّ الْخَلْقِ بِاسْتِخْرَاجِ مَاءِ الْأَرْضِ إِعْجَازًا وَمِنْ تَحْتِ الْقَدَمِ.

هِيَ «زَمْزَمُ» وَهِيَ الَّتِي زَمَّتْ جَزِيلَ الْمَاءِ زَمْ.
 عَادَ الْحَلِيلُ لِأُمَّنَا «أُمُّ الْقُرَى» لِلَّهِ يَبْنِي بَيْتَهُ مَهْوَى الْأُمَمِ.
 نَزَلَتْ قَبِيلَةُ «جُرْهُمَ» فِيهِمْ وَقَدْ حَكَمْتَ وَكَانُوا هُمْ عِظَامَ الْقَوْمِ هُمْ.
 وَلَا تَنْهَمُ عَبَثُوا بِمَكَّةَ يَسْتَيْحُونَ الْمَحَارِمَ وَالْحَرَمَ؛
 بَاءُوا بِفَقْدِ الْمُلْكِ فِيهِمْ وَالنَّعَمِ.
 حَكَمْتَ خُرَاعَةَ بَعْدَ «جُرْهُمَ» حِينَ مُلْكُهُمْ انْهَزَمَ،
 وَلِحِكْمَةٍ سَادَتْ «قُرَيْشُ» لِكَيْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ فِينَا الْعَلَمَ.
 هُدَى: يَهْنِكَ يَا أَبَتِي؛ قَصَصْتَ عَنِ الْعُصُورِ وَكَيْفَ عَاشَ النَّاسُ مِنْ رَهْطٍ لِقَوْمِ.
 لَوْ نِمْتَ يَا أَبَتَاهُ، أَجْهَدَكَ الْكَلِمَ؟!
 الْأَبُ: أَنَا لَا أَنَامُ وَفِي الدُّنَا سَهَرْتُ عُيُونٌ بِالْأَلَمِ.
 هُدَى: إِنِّي أُحَاوِلُ أَنْ أُسَلِّيَ عَنْ فُؤَادِكَ مَا أَهَمُ.
 الْأَبُ: لَا يَا هُدَى مَنْ كَانَ يَحْمِلُ هَمَّ إِنْسَانِ الْحَيَاةِ حَوَى الْهُمُومَ وَلَمْ يَنْمِ.
 يَصْحُو الْإِبْنُ «نَادِرُ» لِيَجِدَ «أَبَاهُ» وَ«أُخْتَهُ» سَاهِرَيْنِ يَتَسَامَرَانِ.
 نَادِرُ: لِمَ يَا أَبِي هَذَا الشُّهَادُ وَلَمْ تَنْمِ؟!
 الْأَبُ: لَا شَيْءَ يَا ابْنِي سِوَى أَنَّ الْحَقَائِقَ تَبْهِيهِمْ.
 نَادِرُ: إِنِّي سَأَسْهَرُ مَعَكُمْ فَالْوَقْتُ لَمَلَمَ مِنْ عُيُونِي النَّوْمَ لَمْ.
 الْأَبُ: كُنَّا نَحْدُثُ عَنْ صَدَى الْمَاضِي وَعَنْ بَعْضِ الْعُصُورِ إِلَى النَّبِيِّ وَعَصْرِهِ عَصِرِ
 الْقِيَمِ.

وَأُرِيدُ مِنْكَ وَمِنْ هُدَى تَتَحَدَّثَانِ عَنِ الْفَوَارِقِ بَيْنَ عَصْرَيْنَا وَأَيُّهُمَا الْأَهِمُّ؟
 هُدَى: شَتَانِ يَا أَبَتِي كَثِيرٌ بَيْنَ عَصْرَيْنَا كَعَصْرِ الْفَاتِحِينَ
 وَعَصْرِنَا؛ الْإِعْجَازُ فِي كُلِّ الْعُلُومِ قَدْ انْتَضَمَ.
 عَصْرُ نَعِيشِ زَمَانَهُ، عَصْرُ تَجَاوَزِ بِالْعُقُولِ إِلَى الْقِمَمِ.
 لَكِنَّ فِيهِ الْهَمُّ أَضْعَافٌ مُضَاعَفَةُ الْقِسَمِ.

عَصْرُ الْجَدِيدِ بِخَيْرِهِ وَبِشَرِّهِ فِينَا اقْتَحَمَ.
وَبِهِ الْجَمَالُ وَلَيْتَهُ مِنْ غَيْرِ دَمَ.
الْأَبُ: إِنِّي رَأَيْتُكَ تَرْتَضِينَ مِنَ الرِّضَا بَعْضًا وَلَيْسَ رِضًا أَتَمَّ.
هُدًى: هَذَا مُحَالٌ يَا أَبِي أَنْ تَرْتَضِيَ كُلَّ النُّفُوسِ بِكُلِّ فَهَمٍّ.
بَلْ كَيْفَ نَرْضَى بِالرِّضَا مِثْلَ الْأَسِيرِ وَقَدْ رَغِمَ؟
الْأَبُ: وَأَنْتَ يَا «نَادِرُ» حَدِّثْ عَنْ فَوَارِقِ بَيْنِ عَصْرَيْنَا إِلَيْهَا نَحْتَكِمَ!
نَادِرُ: إِنِّي أُؤَيِّدُ بَعْضَ مَا قَالَتْ «هُدًى»؛
فَحَدِيثُهَا عَقْلٌ، وَبَعْضُ كَلَامِهَا فِيهِ حِكْمٌ،
وَأُضِيفُ أَنَّ لِكُلِّ عَصْرٍ أُمَّةً وَلَهَا حِكْمٌ،
تَحْيَا النُّفُوسَ كَمَنْ تَغَرَّمَ أَوْ غَنِمَ،
لَوْ أَنَّ هَوْنًا صَاحَبَ الْإِنْسَانَ لَاجْتَذَبَ الْهَمَمَ،
وَيَزُولُ ظُلْمُ الظَّالِمِينَ وَسَوْفَ تَنْكَشِفُ الظُّلُمُ.
مَنْ يَدْعِي مَجْدًا بِلَا مَجْدٍ تَحْطُمُ وَانْهَدَمَ.

20 سِبْتَمْبَرِ 2021

فَلَسَفَةُ ثَقَافَةِ الْمَعْرِفَةِ

التَّعَمُّيمُ وَسَبْقُ الْأَحْدَاثِ بِالتَّخَرُّصَاتِ الَّتِي تَصُدُّرُ عَنْ فَوْرَةِ غَضَبٍ لَا يَنْتَمِيَانِ إِلَى
فَلَسَفَةِ الْمَعْرِفَةِ. دَائِمًا لَا يَكُونُ تَوَقُّعُ النُّتَاجِ قَبْلَ وَقُوعِهَا وَالْوُقُوفُ عَلَى حَقَائِقِهَا إِلَّا
شَيْئًا مِنَ التَّعْبِيرِ اللَّحْظِيِّ الْمُنْدَفِعِ، وَلَيْسَ إِلَّا تَنْفِيسًا لَا يَمُتُّ إِلَى الْفِكْرِ الْفَلَسَفِيِّ
الثَّقَافِيِّ الْوَاعِي بِصِلَةٍ. حَرِيٌّ بِالْفِكْرِ الْفَلَسَفِيِّ أَنْ يَطْرَحَ الْفَرْضِيَّةَ وَيَتَابَعَهَا، وَيُعْطِيَ
الْعَقْلَ وَالْقَلْبَ فُرْصَةً لِإِثْبَاتِ التَّوَقُّعِ الْإِيجَابِيِّ أَوْ السَّلْبِيِّ، وَمِنْ ثَمَّ يَأْتِي الْحُكْمُ الَّذِي
يَكُونُ قَدْ جَمَعَ فَأَوْعَى؛ لِيَكُونَ الْقَطْعُ وَالْجَزْمُ عَلَى حَقِيقَةٍ مَا قَدْ خَضَعَ لِلتَّجَرُّبَةِ
وَالْتَّمَحِيصِ وَالْمُقَارَنَةِ. فَإِنَّ الْأَفْكَارَ الْمُنْتَجَةَ لَا تُؤْخَذُ عَلَى عِلَاتِهَا وَلَا تَخْضَعُ لِلْأَهْوَاءِ
الْقَلْبِيَّةِ الَّتِي تَحْكُمُهَا الْعَوَاطِفُ الْآنِيَّةُ، وَذَلِكَ هُوَ مَا تَقُومُ عَلَيْهِ فَلَسَفَةُ ثَقَافَةِ الْأَفْكَارِ
عِنْدَ عُلَمَاءِ الْفَلَسَفَةِ. الْمَوْضُوعُ صَعْبٌ فِي جِدِّيَّتِهِ الْجَدَلِيَّةِ، سَهْلٌ عِنْدَ تَسْطِيحِهِ وَأَخْذِهِ
عَلَى مَحْمَلٍ أَنَا أَقُولُ فَقَطْ، وَمَا أَقُولُ اعْتِقَادًا وَظَنًّا لَا يَقْبَلُ الْمُجَادَلَةَ وَالْمُنَاقَشَةَ.
لِذَا؛ تَجِبُ الْعَوْدَةُ إِلَى الْقَلْبِ، وَمِنْ ثَمَّ الْإِحْتِكَامُ إِلَى الْعَقْلِ. وَبَعْدَ التَّجَرُّبَةِ يُمَكِّنُ
إِصْدَارَ مَا يَتَّفِقُ مَعَ الْعَقْلِ وَالْقَلْبِ، مُتَّحِدِينَ لَا مُنْفَرِدِينَ؛ وَإِلَّا كَانَ ذَلِكَ غَوَافِيَّةً كَلَامِيَّةً
فَاقِدَةً لِمَقْوَمَاتِ الْفِكْرِ السَّلِيمِ.

21 سِبْتَمْبَرِ 2023

قِصَّةُ قَصِيرَةٍ مِنْ وَاقِعِ الْحَيَاةِ

تَخَيَّلْهَا بَيْنَ حَدَائِقِ عَيْنَيْهِ تَنْثُرُ أَنْهَارَ الصَّبَاحَاتِ عَلَى أَدِيمِ عُمُرِهِ. يُلْفُ بِذِرَاعَيْهِ غُصْنِ قَدَّهَا الْمَمْسُوقِ، وَيَمْشِيَانِ تَحْتَ شَتَاءٍ يَهْتِنُ عَلَى شِفَاهِ الصَّمْتِ؛ لِيُبَلِّلَ جَفَافَ الْحَيَرَةِ الَّتِي تَنْتَابُهُمَا، وَعُيُونُهُمَا لَا تَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ، كَأَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا يَخَافُ عَلَى صَاحِبِهِ أَنْ يَضِيعَ مِنْهُ فَلَا يَجِدُهُ.

يَهْمِسُ إِلَيْهَا: أَحْبُكَ.

تَهْمِسُ إِلَيْهِ: وَأَنَا أَحْبُكَ.

يَحْضِنُ بِيَدِهِ يَدَهَا الْبَارِدَةَ مِنْ صَقِيعِ الْخَوْفِ، وَهِيَ تُحَسُّ بِدِفْءِ يَدِهِ، تَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَيَنْظُرُ إِلَيْهَا، وَكَأَنَّهُمَا يَتَنَاجِيَانِ بِلُغَةِ الْعُيُونِ عَنْ عَدِ حَالِمِ بِالرَّبِيعِ، تَتَمَايَلُ فِيهِ الْأَرَاهِيرُ كَأَنَّهَا تَحْتَفِلُ بِعُرْسِ قَلْبَيْنِ، جَمَعَهُمَا الْهَوَى بَعْدَ اغْتِرَابٍ كَادَ أَنْ يَقْطَعَ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ وَشِجَةِ عَشْقٍ.

هَمَسَ إِلَيْهَا: أَخِيرًا عُدْتُ لِي، بِرَغْمِ أَعْذَارِ الْوَقْتِ وَامْتِنَاعِ الْأَمَلِ؛ خِيفَةً مِنْ ظُنُونِ تَشْيِ بَأْنٍ أَكُونُ وَاحِدًا مِنْ صُنَاعِ خَدِيعَةِ الْأُنْثَى لِاقْتِنَاصِ نَزَوَاتِ النَّفْسِ وَشَهَوَاتِهَا، وَهِيَ مَنْ قَرَأَ تَفَاصِيلَ الْعَشْقِ الْوَقْتِي الَّذِي يُمَارِسُهُ الْكَثِيرُ مِنَ الرِّجَالِ فِي زَمَنِ قَدْ تَبَدَّلَ فِيهِ الْخَبِيثُ بِالطَّيِّبِ، وَهَانَتْ فِيهِ الْقِيَمُ وَالْأَخْلَاقُ، وَصَارَ يَبِيعُ الْعَفَافَ وَيَشْتَرِي الذِّمَمَ الْعِجَافَ.

وَحِينَ أَنْسَتْ فِيهِ سِمَاتِ الْأَمَانِ أَسْلَمَتْ إِلَيْهِ قِيَادَهَا، وَرَأَتْ فِيهِ الْحَبِيبَ الَّذِي أَمِنَتْ عَلَى قَلْبِهَا لَدَيْهِ. قَالَتْ لَهُ: سَامَحْنِي، فَكَمْ كُنْتُ قَاسِيَةً عَلَيْكَ؛ حَقْدًا مَنِيَّ عَلَى رِجَالِ الْعَالَمِ الَّذِينَ يَتَلَهَّوْنَ بِأَعْرَاضِ النِّسَاءِ.

نَظَرُ إِلَيْهَا وَهُوَ يَقُولُ لَهَا: إِبْهَ أَيْتُهَا الْقَاسِيَةُ عَلَيَّ، وَالظَّالِمَةُ لِي، لَسْتُ أَنَا مَنْ تَحْضُهُ النَّزَوَاتُ عَلَى اقْتِرَافِ الرَّذِيلَةِ، وَلَوْ أَرَدْتُ فَهَنَّاكَ مِنْ بَنَاتِ اللَّيْلِ وَالْهَوَى مَنْ تُطْفِئُ أَوَارَ شَهَوَاتِي، وَلَكِنِّي رَأَيْتُكَ يَوْمًا وَأَنْتِ تَصَاحِكِينَ الْقَمَرِ خُلْسَةً عَنْ عُيُونِ الرُّقَبَاءِ، فَتَجَسَّدَتْ لِي صُورَةٌ مِنْ نِسَاءِ السَّمَاءِ، فَتَهَيَّئْتُ بِكَ، وَرَأَيْتُ فِيكَ حُلْمًا جَدِيدًا يُؤْنِسُ وَحْدَتِي، وَيَحْفَظُنِي عَنِ الشُّبُهَاتِ وَأَذْرَانِ الْفُسَادِ.

قَالَتْ لَهُ: سَأَكُونُ لَكَ الَّتِي أَرَدْتُ، وَتَكُونُ لِي مَا أُرِيدُ.

ضَمَّهَا إِلَيْهِ، وَقَبَّلَ يَدَهَا، وَقَبَّلَتْ يَدَهُ، وَعَادَا إِلَى نُزُلِهِمَا وَهُمَا غَائِبِينَ فِي غَمْرَةِ الْهَيَامِ.
كَانَ يَعْمَلُ هُوَ فِي شَرَكَةِ تَبِيعِ الْأَجْهَرَةِ الْكَهْرَبَائِيَّةِ، وَكَانَ رَاتِبُهُ لَا يَتَجَاوَزُ خَمْسَةَ آلَافِ
رِيَالٍ، وَكَانَتْ هِيَ مُدْرَسَةً فِي إِحْدَى الْمَدَارِسِ الثَّانَوِيَّةِ لِلنِّبَاتِ، وَكَانَتْ تَتَقَاضَى رَاتِبًا قَدْرُهُ
عِشْرُونَ أَلْفَ رِيَالٍ، وَهُوَ قَدْ وَرَثَ مِنْ وَالِدَتِهِ الْبَيْتَ الَّذِي كَانَ لَهَا بَعْدَ وَفَاتِهَا، يَسْكُنُ
مَعَهُمَا وَالِدُهُ الشَّيْخُ الْعُجُوزُ الَّذِي يَقُومُ هُوَ بِخِدْمَتِهِ، وَكَانَ الْمَنْزِلُ يَتَكُونُ مِنْ أَرْبَعِ غُرَفٍ،
مِنْهَا غُرْفَةٌ لِوَالِدِهِ، وَصَالُونٌ، وَغُرْفَتَانِ نَوْمٍ.

كَانَ يَقُومُ بِعَمَلٍ إِضَافِيٍّ؛ لَكِنِّي يَسْتَطِيعُ الْوَفَاءَ بِمَصَارِفِهِ هُوَ وَزَوْجَتُهُ وَوَالِدِهِ، وَكَانَا
سَعِيدَيْنِ، وَعِنْدَمَا تَسَلَّمَتْ رَاتِبَهَا الشَّهْرِيَّ جَاءَتْ إِلَيْهِ وَقَدَّمَتْهُ لَهُ؛ لَكِنِّي تَسَاعَدَ فِي مَصَارِفِ
الْبَيْتِ. رَفَضَ الْمَبْلَغَ الَّذِي قَدَّمَتْهُ إِلَيْهِ، وَقَالَ لَهَا: بِإِمْكَانِكَ أَنْ تَصْعِيهِ فِي حِسَابِكَ الْبَنْكِيِّ،
وَأَنَا مَنْ يَصْرَفُ عَلَى بَيْتِهِ وَزَوْجَتِهِ. حَاوَلْتُ أَنْ تُثْنِيَهُ عَنْ قَرَارِ الرَّفْضِ، لَكِنَّهُ -وَبِكُلِّ
هُدُوءٍ- قَالَ لَهَا: أَرْجُوكِ لَا تُحَاوِلِي مَرَّةً أُخْرَى، إِذَا أَرَدْتَ الْعَيْشَ مَعِي؛ حَتَّى لَا أَحْسِرَ
بِفَقْدَانِ رُجُولَتِي. نَزَلْتُ لِرَغْبَتِهِ، قَبَّلْتُهُ، وَتَجَادَبَا أَطْرَافَ النِّكَاتِ، وَانْتَهَى بِهِمَا الْحَدِيثُ إِلَى
الْخُلُودِ إِلَى النَّوْمِ؛ حَتَّى يَسْتَطِيعَا الْقِيَامَ مُبَكَّرًا لِيَذْهَبَ كُلُّ مِنْهُمَا إِلَى عَمَلِهِ.

اسْتَيْقَظَا فِي الصَّبَاحِ، قَامَتْ هِيَ بِإِعْدَادِ الْإِفْطَارِ، وَأَعَدَّ هُوَ إِفْطَارَ وَالِدِهِ، وَذَهَبَ إِلَيْهِ،
وَوَجَدَهُ يَقْرَأُ مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ، جَلَسَ إِلَى جَوَارِهِ يُؤَنِّسُهُ بِبَعْضِ الْأَحَادِيثِ، وَشَرِبَ مَعَهُ
الشَّايَ، وَاسْتَأْذَنَ وَالِدَهُ لِلذَّهَابِ إِلَى عَمَلِهِ، فَأَذِنَ لَهُ وَالِدُهُ وَدَعَا لَهُ.

بَعْدَ الْإِفْطَارِ خَرَجَ هُوَ وَزَوْجَتُهُ لِيُوصِلَهَا إِلَى مَدْرَسَتِهَا وَيَذْهَبَ هُوَ إِلَى عَمَلِهِ كَالْمُعْتَادِ،
وَفِي طَرِيقِهِ إِلَى الْعَمَلِ اصْطَدَمَتْ بِهِ حَافِلَةٌ نَقَلَ، أُصِيبَ فِي الْحَادِثِ وَنُقِلَ إِلَى الْمُسْتَشْفَى
فِي غَيْبُوبَةٍ تَامَّةٍ، وَقَدْ أَدَّى الْحَادِثُ إِلَى تَهَشُّمِ السَّيَّارَةِ الَّتِي لَمْ يُكْمَلْ سَدَادُ أَقْسَاطِهَا، وَتَمَّ
الْإِتِّصَالُ بِزَوْجَتِهِ مِنْ خِلَالِ جَوَّالِهِ الَّذِي وَجَدَهُ الْأَطِبَّاءُ، وَكَانَتْ لَمْ تَنْهَ وَقْتُ دَوَامِهَا بَعْدُ.
أَخَذَتْ سَيَّارَةَ «تَاكْسِي» وَذَهَبَتْ إِلَى الْمُسْتَشْفَى وَهِيَ فِي حَالَةٍ دُغْرٍ، وَدُمُوعُهَا تَنْسَكِبُ
عَلَى خَدَّيْهَا، وَصَلَتْ إِلَى الْمُسْتَشْفَى، سَأَلَتْ مُوَظَّفَ الْإِسْتِقْبَالِ عَنْ زَوْجِهَا بِالْإِسْمِ، اتَّصَلَ
الْمُوَظَّفُ وَاسْتَخْبَرَ عَنْ الْحَالَةِ، قِيلَ لَهَا بِأَنَّ زَوْجَهَا فِي غُرْفَةِ الْعَمَلِيَّاتِ. ظَلَّتْ تَنْتَظِرُ
وَقَامَتْ بِالْإِتِّصَالِ بِشَقِيقِهَا، وَطَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يَحْضُرَ إِلَيْهَا سَرِيعًا؛ لِأَنَّهَا فِي حَالَةٍ انْتِهْيَارٍ.
حَاوَلَ شَقِيقُهَا تَهْدِئَتَهَا بِبَعْضِ الْكَلِمَاتِ، وَاسْتَقْلَلَ سَيَّارَتَهُ، وَحَضَرَ إِلَيْهَا فَوَجَدَهَا فِي حَالَةٍ
هَلَعٍ وَبُكَاءٍ، وَهُوَ يُحَاوِلُ تَهْدِئَتَهَا، وَبَعْدَ سَاعَاتٍ أَخْبَرَهَا الْمُوَظَّفُ بِأَنَّ الْعَمَلِيَّةَ انْتَهَتْ لِلنَّوْمِ،

وَأَنَّ زَوْجَهَا الْآنَ فِي غُرْفَةِ الْإِفَاقَةِ، وَيَحْتَاجُ إِلَى بَعْضِ الْوَقْتِ لِكَيْ تَسْتَطِيعَ رُؤْيَتَهُ، وَبَعْدَ سَاعَاتٍ اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَدْخُلَ إِلَيْهِ، وَهُوَ بَيْنَ الصُّحُورِ وَالنَّوْمِ، رَأَتْهُ وَهُوَ مُسَجًى عَلَى السَّرِيرِ، وَكَانَتْ صَدَمَتُهَا أَكْبَرَ عِنْدَمَا قَالَ لَهَا الطَّبِيبُ: نَحْنُ عَمِلْنَا مَا فِي وُسْعِنَا وَالْبَاقِي عَلَى اللَّهِ. وَارْدَفَ قَائِلًا: الْحَمْدُ لِلَّهِ، أَزَلْنَا آثَارَ النَّزِيفِ فِي الْمَخِّ، وَتَمَّ تَجْبِيرُ الْكُسُورِ الَّتِي أَصِيبَ بِهَا فِي يَدَيْهِ وَسَاقِيهِ، وَبَعْدَ سَاعَاتٍ سَنُوصِلُهُ إِلَى الْغُرْفَةِ الْمُعَدَّةِ لَذَلِكَ. وَطَلَبَ مِنْهَا الطَّبِيبُ أَنْتَظَرَاهُ فِي الْغُرْفَةِ الْمُعَدَّةِ لَهُ. ذَهَبَتْ وَشَقِيقُهَا يُسَاعِدُهَا وَيَسْنِدُهَا إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى الْغُرْفَةِ وَهِيَ فِي بُكَاءٍ شَدِيدٍ، إِلَى أَنْ وَصَلَ زَوْجُهَا إِلَى الْغُرْفَةِ، وَبَدَأَ يَتَعَرَّفُ عَلَيْهَا وَهُوَ يَنْتَسِمُ إِلَيْهَا، كَأَنَّهُ يُحَاوِلُ التَّهْدِئَةَ مِنْ رَوْعِهَا، اسْتَسَلَمَتْ لِقَضَاءِ اللَّهِ، وَبَقِيَتْ بِجَوَارِهِ أَيَّامًا حَتَّى بَدَأَ يَتِمَانُلُ لِلْعَافِيَةِ. وَبَعْدَ أَيَّامٍ حَضَرَ الطَّبِيبُ وَأَخْبَرَهَا بِأَنَّ زَوْجَهَا مُصَابٌ بِشَلَلٍ نِصْفِيٍّ، وَيَحْتَاجُ إِلَى عِلَاجٍ طَبِيعِيٍّ؛ لِتَأْهِيلِهِ شَيْئًا فَشَيْئًا؛ لِيَعُودَ إِلَى حَالَتِهِ الطَّبِيعِيَّةِ، وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى بَعْضِ الْوَقْتِ.

بَعْدَ شَهْرٍ سَمَحَ لَهُ الطَّبِيبُ بِالْخُرُوجِ، وَقَامَتْ هِيَ بِسَدَادٍ مَصَارِيفِ الْمُسْتَشْفَى، وَعَادًا إِلَى الْبَيْتِ، وَكَانَ وَالِدُهُ يَبْكِي وَهُوَ يَرَى ابْنَهُ الْوَحِيدَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ؛ فَهُوَ الَّذِي كَانَ يَرْعَاهُ وَيَقُومُ عَلَى خِدْمَتِهِ، غَيْرَ أَنَّ الْإِبْنَ كَانَ مُتَمَاسِكًا رَاضِيًا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، وَقَدْ هَدَأَ مِنَ أَلَمِ وَالِدِهِ وَفَجِيعَتِهِ فِيهِ.

مَرَّتِ الشُّهُورُ عَلَيْهِ وَهُوَ نَائِمٌ عَلَى سَرِيرِهِ، وَزَوْجَتُهُ تَقُومُ بِخِدْمَتِهِ وَخِدْمَةِ وَالِدِهِ الْعَاجِزِ، وَتَذْهَبُ إِلَى مَدْرَسَتِهَا كُلَّ صَبَاحٍ وَهِيَ تُخْفِي حُزْنَهَا عَلَى مَا أَصَابَ زَوْجَهَا. تُحَاوِلُ أَنْ تَبْدُو مُتَمَاسِكَةً أَمَامَهُ؛ حَتَّى لَا يَتَضَاعَفَ حُزْنُهُ وَالْمُهِ، وَكَانَ هُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَدُمُوعُهُ تَنْسَكِبُ مِنْ عَيْنَيْهِ، غَيْرَ عَابِيٍّ بِنَفْسِهِ، بَلْ هُوَ مُشْفِقٌ عَلَى زَوْجَتِهِ الَّتِي سَتَتَحَمَّلُ أَعْبَاءَ وَالِدِهِ وَأَعْبَاءَ الْبَيْتِ وَالْمَصَارِيفِ بَعْدَ أَنْ فَقَدَ وَظِيفَتَهُ وَتَمَّ فَضْلُهُ مِنْ عَمَلِهِ.

شَعَرَتْ زَوْجَتُهُ بِصُدَاعٍ وَغَثَيَانٍ اسْتَمَرَّ لِعِدَّةِ أَيَّامٍ، وَبَعْدَ مُرَاجَعَةِ الطَّبِيبِ أَخْبَرَهَا بِأَنَّهَا حَامِلٌ، وَكَانَ خَبْرًا مُفْرِحًا لِلزَّوْجَيْنِ، قَلَّلَ مِنْ مُعَانَاتِهِمَا، وَبَعْدَ شُهُورٍ رَزَقَهُمَا اللَّهُ بِطِفْلٍ جَمِيلٍ، حَمَلَ إِلَيْهِمَا بَشَائِرَ السَّعَادَةِ.

وَلَمْ يَطُلِ الْوَقْتُ حَتَّى تُوَفِّيَ وَالِدُهُ، وَبَدَأَ هُوَ فِي التَّمَانُلِ إِلَى الشِّفَاءِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَصَاهُ فِي الْمَشْيِ.

مَرَّتِ السُّنُونُ وَهُوَ رَهِينُ الْبَيْتِ، فَهِيَ تَذْهَبُ لِلْعَمَلِ فِي الصَّبَاحِ وَتَعُودُ ظَهْرًا لَتَقُومَ بِإِعْدَادِ الطَّعَامِ، وَهُوَ كَانَ يَرْعَى الطِّفْلَ، وَقَدْ بَدَأَ الطِّفْلُ يَشْتَدُّ عَوْدَهُ وَيَكْبُرُ، كَانَ ذَلِكَ الطِّفْلُ هُوَ الْأَمَلُ الَّذِي حَطَمَ كُلَّ دَوَاعِي الْأَلَمِ النَّفْسِيِّ الَّذِي خَلَفَهُ الْحَادِثُ.

مَرَّتِ الْأَيَّامُ وَكَبِرَ الطِّفْلُ وَتَخَرَّجَ فِي الْجَامِعَةِ، بَعْدَ أَنْ دَرَسَ فِي قِسْمِ الْاِقْتِصَادِ وَالْعُلُومِ السِّيَاسِيَّةِ، وَتَمَّ تَعْيِينُهُ فِي وَزَارَةِ الْخَارِجِيَّةِ، وَلِسُنَوَاتٍ قَضَاهَا بَيْنَ الْعَمَلِ وَبَيْنَ رِعَايَةِ أَبَوَيْهِ. وَكَانَتْ الْمُفَاجَأَةُ الْأَكْبَرُ عَلَى الْإِبْنِ حِينَمَا قَرَّرَتِ الْوَزَارَةُ تَعْيِينَهُ بِإِحْدَى السَّفَارَاتِ فِي مَنْصِبٍ مَرْمُوقٍ، وَلَكِنَّهُ قَدَّمَ اعْتِذَارَهُ لِلْوَزَارَةِ، وَوَجَدَ الْمُعِينَ الَّذِي تَفَهَّمُ مُشْكِلَتَهُ، وَتَمَّ تَعْيِينُهُ فِي مَنْصِبٍ مَرْمُوقٍ فِي وَزَارَةِ الْخَارِجِيَّةِ.

ابْتَسَمَ الْحَظُّ لِلْأُسْرَةِ، وَقَدْ وَقَعَ اخْتِيَارُ الدَّوْلَةِ لِيَكُونَ نَائِبًا لِلْوَزِيرِ، وَبَدَأَتْ بِشَائِرِ السَّعَادَةِ تَعُودُ إِلَى الْأُسْرَةِ، وَقَدْ تَحَسَّنَ وَضْعُهُمْ، وَانْتَقَلُوا إِلَى مَنْزِلٍ أَشْبَهَ مَا يَكُونُ بِالْقَصْرِ، فِيهِ كُلُّ الضَّرُورِيَّاتِ وَالْكَمَالِيَّاتِ، وَبَعْضُ الْخَدَمِ الَّذِينَ جَاءَ بِهِمْ لِمُسَاعَدَةِ وَالِدِهِ وَوَالِدَتِهِ، وَكَانَ يَتَفَانَى فِي حُبِّهِمَا وَإِسْعَادِهِمَا بِكُلِّ مَا يَسْتَطِيعُ، وَتَبَدَّلَ الْوَاقِعُ الْأَلِيمُ إِلَى حَيَاةٍ جَدِيدَةٍ تَحْمِلُ إِلَيْهِمْ جَمَالَ الصَّبْرِ وَلَذَّةَ الْعُوضِ مِنَ اللَّهِ.

مَرَّ الزَّمَانُ جَمِيلًا عَلَيْهِمْ، وَقَدْ تَزَوَّجَ الْإِبْنُ وَأَنْجَبَ أَبْنَاءً وَبَنَاتٍ مَلُؤُوا حَيَاةَ الْأُسْرَةِ بِالسَّعَادَةِ وَالْهَنَاءِ، وَفِي خُلُوةِ الْأَبَوَيْنِ تَذَكُّرُ الْمَاضِي الْأَلِيمِ، وَحَمْدُ اللَّهِ عَلَى أَنْ مَنْ عَلَيْهِمَا بِالْعَطَاءِ بَعْدَ الْفَاقَةِ وَالْعُوزِ، وَأَصْبَحَ الْأَبُ وَالْأُمُّ يَقُومَانِ بِتَقْدِيمِ الْمُسَاعَدَاتِ الْمَالِيَّةِ لِمَنْ يَقْصِدُهُمَا مِنَ الْمُحْتَاجِينَ، وَكَانَ الْإِبْنُ يَرَى مَرَاسِمَ الْبَهْجَةِ عَلَى أَبَوَيْهِ.

قَالَ الْأَبُ لِرُزُوجَتِهِ: أَرَأَيْتِ كَيْفَ يَبْدُلُ اللَّهُ الْأَحْوَالَ؟ وَقَدْ تَحَوَّلَتْ حَيَاتُهُمَا بِهَذَا الْإِبْنِ إِلَى رِفَاهِيَةِ الْحَيَاةِ، وَقَدْ قَامَ الْإِبْنُ بِالسَّفَرِ لِإِكْمَالِ عِلَاجِ الْأَبِ حَتَّى أَصْبَحَ قَادِرًا عَلَى الْمَشْيِ، وَقَامَ الْإِبْنُ بِعَمَلِ مَشْرُوعٍ لَوَالِدِهِ؛ لِكَيْ يَنْشَغَلَ بَعْدَ سِنِي الْفَرَاغِ الَّتِي قَضَاهَا بَيْنَ الِثَّمِّ وَالْمَرَضِ، وَعَادَتِ الْحَيَاةُ تَضْحَكُ مِنْ جَدِيدٍ لَهُمْ.

كَانَ الْأَبُ كُلَّمَا تَذَكَّرَ مُعَانَاةَ زَوْجَتِهِ مَعَهُ يَذُرْفُ دُمُوعُهُ عَلَى ذَلِكَ الْمَاضِي الْأَلِيمِ، وَهُوَ يَقْبَلُ رَأْسَهَا وَيَدَيَّهَا، وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ تَقُولُ لَهُ: فَلْنَسَسَ الْمَاضِي، وَنَعِشِ الْحَاضِرَ، فَكَمْ يَمُرُّ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ مَصَائِبَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يُغَيِّرُ الْأَحْوَالَ.

الْقَلْبُ هُوَ الْمَصْدَرُ

إِذَا عَرَفْنَا بِأَنَّ الشُّعُورَ يَتِمُّثَلُ فِي الْقَلْبِ، وَلَيْسَ فِي الْعَقْلِ الْمُفَكِّرِ، وَأَنَّ الْعَقْلَ لَيْسَ مَنَاطُ الْحُكْمِ، بَلْ هُوَ مَنَاطُ الْإِحْتِكَامِ، وَالْحُكْمُ هُوَ لِلْقَلْبِ فِي كُلِّ تَقَلُّبَاتِهِ؛ عِنْدَهَا نَعْرِفُ أَنَّ الْعَقْلَ مُنْفَذٌ فَقَطْ لِإِرَادَةِ الْقَلْبِ، كَمَا أَنَّ الْقَلْبَ هُوَ مَصْدَرُ الْفَرَضِيَّاتِ إِيْجَابًا أَوْ سَلْبًا، وَإِيْجَابِيَّاتُهُ اتِّحَادٌ بَيْنَ حُكْمِ الْقَلْبِ، مُوَافِقٌ لِلْإِحْتِكَامِ إِلَى الْعَقْلِ، وَهُنَا تَكُونُ الْفَرَضِيَّةُ نَتِيجَةً مُكْتَمَلَةً. أَمَّا فِي حَالَةِ عَدَمِ قَنَاعَةِ الْعَقْلِ بِالْفَرَضِيَّةِ فَإِنَّهُ تَكُونُ تَبِعَةُ الْحُكْمِ عَلَى الْقَلْبِ وَحْدَهُ، وَلَا يُسْأَلُ الْعَقْلُ عَنْ خَطَا التَّنْفِيزِ، بَلْ يُنْفَذُ إِرَادَةُ الْقَلْبِ رَغْمًا عَنْهُ، وَلَيْسَ لَهُ حَقُّ الْإِعْتِرَاضِ أَوْ الرَّفْضِ. وَفِي كُلِّ الْحَالَاتِ الْإِيْجَابِيَّةِ أَوْ السَّلْبِيَّةِ فَإِنَّ الْقَلْبَ دَائِمًا مُنْحَازًا لِفَرَضِيَّتِهِ فِي الصَّحِيحِ أَوْ الْخَطَا، وَهُوَ الْمُتَحَمِّلُ لِلتَّبِعَةِ وَحْدَهُ. وَالْعَقْلُ لَيْسَ لَهُ رَأْيٌ، إِنَّمَا هُوَ مِيزَانٌ لِصَحَّةِ الْفَرَضِيَّةِ مِنْ عَدَمِهَا، إِذَا عَرَفْنَا أَيْضًا أَنَّ الْفِكْرَ عَقْلٌ، وَالْعَقْلُ فِكْرٌ، لِنَجْزِي عَلَيْهِ كُلَّمَا أَسْلَفْنَا بِهِ الْقَوْلَ، وَمِنْ هُنَا يَجِبُ التَّفْرِيقُ بَيْنَ الْعَقْلِ وَالْقَلْبِ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} [الحج: 46]. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

23 سِبْتَمْبَرِ 2023م

الآداب الحيوانية الإنسانية

سُئِلَتِ الْكِلَابُ الضَّالَّةُ فِي الْأَرْضِ - وَعَلَيْهَا غُبَارُ السَّفَرِ - : لِمَاذَا أَنْتِ ضَالَّةٌ؟
فَأَجَابَتِ الْكِلَابُ الضَّالَّةُ:
إِنَّنَا مَا زِلْنَا نَبْحُ فِي الْأَرْضِ.
فَقَالُوا لَهَا:
عَنْ مَآذَا تَبْحَثُونَ؟
قَالَتِ الْكِلَابُ الضَّالَّةُ:
لَقَدْ ضَاعَ فِي الْأَرْضِ أَعْلَى شَيْءٍ، وَمَا زِلْنَا نَبْحُ عَنْهُ وَلَمْ نَجِدْهُ.
قَالُوا: وَمَا هُوَ؟ عَلَّنَا نَعْتُرُ عَلَيْهِ وَتَتَقَاسَمُهُ مَعَكُمْ.
أَجَابَتِ الْكِلَابُ الضَّالَّةُ: وَلَكِنَّهُ شَيْءٌ لَا يُقَسَّمُ، وَلَا يُبَاعُ، وَلَا يُشْتَرَى.
قَالُوا: إِذَا مَا هُوَ؟
قَالَتِ الْكِلَابُ الضَّالَّةُ: هُوَ (الْوَفَاءُ).

9 مَآيُو 2021م

تَبَدَّلَتْ

كَالْمُسْتَلْهِمِ أَفْرَاحِي مِنْكَ.. أَنْتَظِرُ كَثِيرًا أَنْ تَأْتِي.. مُذْ كُنْتُ لِأَشْوَاقِي حُلْمًا، بَلْ أَمَلًا،
بَلْ قَدَرًا.

حِينَ أَتَيْتِ عَلَى مَوْعِدِ حُبِّي طَوَفْتُكَ مُدْنًا فِي قَلْبِي وَحَدَائِقَ عُمْرِي.
حِينَ اخْتَرْتَ السُّكْنَى فِي قَلْبِي كُنْتُ صَبَاحَاتِي الْمُشْرِقَةَ الْبَسَمَاتِ، وَكُنْتُ رَبِيعًا فِي
صَيْفِي، كُنْتُ.

وَعَزَفْتُكَ قِيثَارَةَ حُزْنِي، وَالطَّيْرُ يُحَاكِي أَصْدَاءَ الْأَنْغَامِ، يُغَرِّدُ، يُحْيِينِي، لَكَانَكَ مَنْ
بَعَثَتْ فِي نَفْسِي نَصْرِي، وَالْيَوْمَ - وَبَعْدَ رِيَّاحِ الْغُرْبَةِ فِي الْأَعْوَامِ وَفِي نَفْسِي، أَوْ بَعْدَ الْعِلْمِ
بِقُبْحِ الْعَصْرِ، وَرَغْمِكَ أَنْتِ - تَبَدَّلَتْ.
غَيَّرْتُكَ فِي نَفْسِي.
غَيَّرْتُ الْبَهْجَةَ مُذْ كَانَتْ أَنْتِ.

2 نُوفَمْبَرِ 2020م

مُحَاكِمَةُ النَّفْسِ

حِينَ يَكُونُ الْأَلَمُ أَقْدَرَ عَلَى الْحَمْلِ، وَالصَّفْحُ بَوَابَةَ النَّصْرِ، وَالصَّمْتُ حَارِسَ الْعَثَرَاتِ،
وَالْعُمُرُ طَائِرًا مُخَضَّبًا بِالْجِرَاحِ، وَحَوْلَكَ سُمَارُ الْوَقْتِ وَقَنَاصُ الْحِظْوَةِ وَالْحِظُّ، لَا تَدْعُ
الزَّهْرَ وَحِيدًا فِي الْبَيْدَرِ، خُذْ مَعَكَ الزَّهْرَ يُسَافِرُ لِلْأَعْيَادِ، فَلَكُمْ تَحْتِمِلُ الدَّهْرَ سُهَادًا وَجِهَادًا،
وَعَلَى الْمَدِّ ظِلَالًا مِنْ إِنْسَانٍ.

أَنْتَ الْإِنْسَانُ الْأَقْرَبُ لِلْإِنْسَانِ.

حَتَّامٌ تَعِفُّ وَكَانَ لَكَ النَّدْمَانُ

وَعُدَّتْ وَقَلْبُكَ فِي أَسْفٍ يَنْدَمُ.

فَقَطَّقْتَ الزَّهْرَ وَقَدْ أَبْقَيْتَ الشُّوكَ.

وَلَمْ تَشْكُرْ لِلسَّاقِي سُقْيَاهُ، وَلَمْ تَأْلَمْ.

كَالظُّلْمِ الْمُسْرِفِ فِي حَقِّ الْعَدْلِ.

وَأَنَا أَوْ أَنْتَ ضَحِيَّةُ (طِيبِ) الْقَلْبِ.

وَكَمْ يَشْرَبُ مِنْ نَهْرِكَ

مَنْ لَا يَعْرِفُ عَنْ إِثَارِ النَّهْرِ.

دُعَاءُ إِلَى اللَّهِ

اللَّهُمَّ يَا مَالِكَ الْمُلْكِ، تَعَبْنَا مِنَ التَّفَكِيرِ فِي الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ، وَفِي الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَفِي غَضَبِكَ وَرِضَاكَ، وَفِي وَقْفَتِنَا يَوْمَ الْفَرَعِ الْأَكْبَرِ.

تَعَبْنَا يَا مَوْلَايَ؛ فَأَنْزِلِ السَّكِينَةَ عَلَيْنَا، كَمَا أَنْزَلْتَهَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَبَشِّرْنَا بِمَغْفِرَةٍ مِنْكَ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ.

وَنَحْنُ نَعْتَرِفُ يَا مَوْلَايَ بِجَهْلِنَا بِعِلْمِكَ، إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا، وَنَعْتَرِفُ لَكَ بِالْوَحْدَانِيَّةِ. لَكَ الْمُلْكُ وَخَدُكَ، وَلَكَ الْقُوَّةُ وَالْجَبَرُوتُ، فَقِنَا غَضَبَكَ، وَاجْعَلْ رِضَاكَ فِيمَا يُرِضُكَ عَنَّا، وَارْزُقْنَا الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، وَاعْنِنَا بِحِلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَكُنْ لَنَا، وَلَا تَكُنْ عَلَيْنَا، وَأَدْخِلْنَا فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ.

يَا رَبُّ، أَنْتَ قُلْتَ - وَقَوْلُكَ الْحَقُّ -: {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا} [النساء: 147].

لَكَ الْحَمْدُ يَا مَوْلَايَ حَتَّى تَرْضَى، مُؤْمِنِينَ بِكَ إِلَهًا وَاحِدًا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَاصْرِفْ عَنَّا الْبَلَاءَ وَالْأَمْرَاضَ وَالْهُمُومَ، وَفَرِّجْ الْكُرُوبَ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِمَنْ لَكَ حَقٌّ عَلَيْنَا، وَلِلْمُسْلِمِينَ. سُبْحَانَكَ يَا مَوْلَايَ، بَشِّرْنَا بِرِضَاكَ، وَأَسْعِدْنَا بِهِ؛ نَكُنْ لَكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ. وَانصُرْنَا عَلَى الْبَاطِلِ، وَأَذِلَّ الطُّغَاةَ وَالْجَبَابِرَةَ وَالْمُنَافِقِينَ، وَأَصْلَحْ فَسَادَ قُلُوبِنَا؛ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

10 سِبْتَمْبَر 2021م

مَنَاجَاةُ عَبْدٍ لِلرَّبِّ

يَا رَبُّ، كُلُّ الَّذِي نُرِيدُهُ أَنْ تُقَرِّبَنَا إِلَيْكَ، وَتُعَرِّفَنَا بِجَهَنَّمَ، وَتُنَوِّرَ قُلُوبَنَا بِحُبِّكَ.
يَا رَبُّ، أَنْتَ رَبُّ عَظِيمٍ، نَحَاوِلُ أَنْ نَتَخَيَّلَكَ، فَتَعْجِزُ عَنْ تَصْوِيرِ ذَاتِكَ، إِلَّا أَنْ قُوَّةَ
فِي قُلُوبِنَا تُحَسِّنُ بَانَكَ اللَّهُ، فِينَا وَفَوْقَنَا وَعَلَيْنَا. وَفِي كُلِّ لَحْظَةٍ نَرَى اللَّهَ وَنَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ
بِالنَّجْوَى وَالِدُّعَاءِ، وَفِي كُلِّ نَبْضَةٍ قَلْبٍ فِي الْخَلْقِ نَرَى اللَّهَ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ وَشَرٍّ نَرَى اللَّهَ،
وَفِي كُلِّ هَمٍّ وَفَرَجٍ نَرَى اللَّهَ، كُلُّنَا يَرَى اللَّهَ فِي نَفْسِهِ حَقًّا، فَضْلًا عَلَى أَنَّنَا سَرَى اللَّهَ
جَهَنَّمَ فِي الْجَنَّةِ. نَسْأَلُهُ الثَّبَاتَ عَلَى الْهُدَى وَالْيَقِينِ وَالْتَّقَى، وَنَسْأَلُهُ أَنْ نَكُونَ مِنْ عِبَادِهِ
الْمُخْلِصِينَ لَهُ وَإِلَيْهِ سُبْحَانَهُ، وَإِلَّا يَحْرِمَنَا لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ حِينَ يَمُنُّ عَلَيْنَا
بِالْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقِينَ بِفَضْلِهِ وَقُدْرَتِهِ وَإِحْسَانِهِ، أَمَّا مَنْ يُفَكِّرُ فِي تَصَوُّرِ اللَّهِ، أَوْ يَتَخَيَّلُهُ
فِي الدُّنْيَا، فَهُوَ مَنْ لَمْ يَسْتَوْعِبْ قِصَّةَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْجَبَلِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ
دَكَا، حِينَ تَجَلَّى لَهُ. الْحَمْدُ لِلَّهِ أَنْ لَنَا رَبًّا يَرَانَا، وَيَرَعَانَا، وَيُدَافِعُ عَنَّا، وَيُدَبِّرُ لَنَا، الْحَمْدُ
لِلَّهِ أَنَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَإِلَّا فَلَوْ كَانُوا آلِهَةً عِدَّةً لَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ؛ كَمَا
قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاةٍ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَعْظَمَتِهِ نَفُوزٌ، وَبِسُلْطَانِهِ نُلُودٌ، وَبِقُدْرَتِهِ نَعْتَصِمُ، وَإِلَيْهِ نَحْتَكِمُ، وَعَلَيْهِ
نَتَوَكَّلُ، وَبِهِ نَسْتَعِينُ. نَسْأَلُهُ وَنُطَلِّبُهُ وَنَدْعُوهُ أَنْ نَكُونَ مِنَ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ [يونس: 62]، وَنَدْعُوهُ بِقَوْلِهِ الْحَقِّ: {رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا
يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ} [آل عمران: 194].

12 سِبْتَمْبَر 2021م

طَلَبُ الْعَبْدِ لِلرَّبِّ

وَاللَّهُ مَا طَلَبَ الْعَبْدُ رَبَّهُ وَهُوَ مُخْبِتٌ وَذَلِيلٌ لَهُ وَرَاجٍ لَهُ إِلَّا فَرَجَ اللَّهُ عَنْهُ مَا أَهَمَّهُ، مِنْ مَرَضٍ وَعَوَزٍ وَدَيْنٍ وَحَاجَةٍ مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
نَسَّأَلُ اللَّهَ بِحَقِّ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى الْعِظَامِ الْكَرَامِ أَنْ يَرْفَعَ عَنَّا وَعَنْكُمُ وَعَنْ أَهْلِنَا وَأَهْلِكُمْ وَأَبْنَانَنَا وَأَبْنَائِكُمْ وَذُرِّيَّاتِنَا جَمِيعًا كُلَّ مَرَضٍ، وَيَشْفِيَ كُلَّ مَرِيضٍ، وَيُعْطِيَ كُلَّ سَائِلٍ سُؤْلَهُ.
يَا قَرِيبُ يَا مُجِيبُ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

2 نوفمبر 2021م

التَّصَحُّرُ الْعَاطِفِيُّ

حَتَّى الْأَفْرَاحُ تَأْتِي خَفِيفَةً وَسَرِيعَةً وَبَسِيطَةً، تَمْضِي كَلَمَحِ الْبَرْقِ حِينَ يَكُونُ الْقَلْبُ مُثْقَلًا بِهِمُومِ النَّاسِ، يُحَاوِلُ أَنْ يَكُونَ بَلَسَمًا عَلَى كُلِّ الْجَرَاحَاتِ، وَقَاضِيًا لِلنَّاسِ الْحَاجَاتِ، وَعُمْرًا يَسْعُدُ بِهِ كُلُّ النَّاسِ. أَجْمَلُ شَيْءٍ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تُضْحِيَ فِي سَبِيلِ الْحَيَاةِ، وَتَعِيشَ أَفْرَاحَ انْتِصَارَاتِهَا مَعَ الْخَلْقِ عَلَى بَعْضِ مَوَانِعِ الرَّجَاءِ. وَإِنْ مَنْ جَرَّبَ أَنْ يَكُونَ سَعِيدًا سَيَعْرِفُ أَنَّ قِمَّةَ السَّعَادَةِ فِي أَصْدِقَاءٍ يُقَدِّمُونَ لَكَ وَجَبَاتٍ عَظِيمَةً مِنَ الْحُبِّ وَالْوَفَاءِ وَالْعَطَاءِ وَالسَّعَادَةِ وَالتَّسْلِيِ بِشَيْءٍ مِنَ اللَّهِو الْبَرِيِّ، وَلَوْ أَنَّ عَصْرَنَا يَتَعَهَّدُنَا بِالْعُرْبَةِ فِيمَا بَيْنَنَا، وَعَدَمِ الْإِحْسَاسِ بِالْآخِرِينَ مِنْ أَصْحَابِ الْحَاجَاتِ، وَمَا نَرَاهُ الْيَوْمَ هُوَ مُحَاوَلَةٌ تَقْطِيعِ أَوَاصِرِ الْمَوَدَّاتِ وَالرَّحِمَاتِ فِي النُّفُوسِ، كَأَنَّ صَدْمَةَ كَهْرِبَائِيَّةٍ أَحَاطَتْ بِقُوَّتِهَا فَأَصَابَتْ الْقُلُوبَ بِهَذَا التَّصَحُّرِ الْعَاطِفِيِّ.

2 فبراير 2019م

سؤال وجواب

تسألني: هل أنت متضايق أو (زعلان)؟

سألتها: لماذا؟

قالت: من الأبيات التي كتبتها، وكأنك تشكوهما أو ضيقاً!

قلت لها: بالعكس، أنا في حزن الله وأمانه، وليس معنى أن أكتب أبياتاً شعريّة فيها من المرار أنني مهموم أو متضايق؛ بالعكس، يجب أن تعرفني أنني فتان، أحاول اضطياًد المعاني البكر حتى آتي بما لم يقله الأوائل.
قالت: كنت أظن غير ذلك.

27 نوفمبر 2021م

أحمد الله

عليك أن تحمد الله حين يرزقك صُحبة من الكرام والأوفياء؛ هؤلاء هم المكسب الحقيقي.

هذا الذي أحمد الله عليه أكثر؛ فأنتم من زرعتم في قلبي حبكم، بنقاء قلوبكم، وصفاء نفوسكم الطاهرة. أيها الكرام، لكم دعاء المحب أن يحفظكم، ويُعلي أقداركم، ويرزقنا وإياكم من حيث لا نحسب.

الرزق ليس مالا فقط؛ الرزق العظيم هو أنتم بحق، فكثيراً ما ينتابنا الوهن والالَم، فأجدكم نعم الإخوان والأجباء والأوداء. وعندما قلت بأنني عثرت على كنز فأنني صادق؛ فكثري هو أنتم، حين تلم بي أحداث الزمان، أو بأحدنا، فندعو لبعضنا بالعفو والعافية والخير. لو عقل أهل الفكر أن الحب دولة، أهلها هم أهل الجنة؛ لنسوا كل شيء إلا أن يحب بعضنا بعضاً، ويسأل بعضنا عن بعض، ويحس بعضنا ببعض؛ هذا هو الغنى الكامل. أسأل الله ألا يحرمني منكم، ولا من دعائكم في حياتي.

10 فبراير 2021م

إِلَى أُمِّي

كُلَّ سَنَةٍ وَأَنْتِ الرَّبُّ وَالزُّهُورُ وَالْخَضْبُ وَالْحُبُّ وَالْهَنَاءُ وَالسَّعَادَةُ يَا حَبِيبَتِي وَسَيِّدَتِي،
يَا مَنْ لَا يُجَازِيكَ إِلَّا اللَّهُ.

يَا رَبُّ، أَنْزِلْ أَفْرَاحَ السَّمَاءِ عَلَى أُمِّي. يَا رَبُّ، أَنْعِمْ عَلَيْهَا وَأَسْعِدْ قَلْبَهَا بِمُزُونِ فَضْلِكَ.
يَا رَبُّ، اجْعَلِ الْبُشْرَى سَنَاهَا، وَالْهَنَاءَ رَدَاهَا، وَرِضَاكَ عَلَيْهَا نُورَ قَلْبِهَا وَابْتِسَامَ مُحْيَاهَا.
كُلَّ عَامٍ وَأَنْتِ شُمُوسُ أَعْمَارِنَا يَا أُمِّي. اللَّهُمَّ أَكْرَمَهَا بِكَرَمِكَ، وَحَفَهَا بِمُغْفَرَتِكَ، وَوَالِدِي،
وَالْمُسْلِمِينَ. لَا حَرَمَنَا اللَّهُ مِنْكَ يَا أُمِّي. وَأَسْبَغْ عَلَيْكَ مِنْ غُيُوثِ الرَّحْمَةِ وَالْعَفْوِ وَالْعَافِيَةِ مَا
يُبْهِجُ قَلْبَكَ وَيُزِيلُ هَمَّكَ وَيَرْفَعُ دَرَجَاتِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَبِي، وَالْمُسْلِمِينَ. كُلُّ ثَانِيَةٍ
وَأَنْتِ الْحُبُّ يَا أُمِّي.

1 مارس 2017م

الصَّبْرُ رِزْقٌ

حِينَ يَرْزُقُكَ اللَّهُ الصَّبْرَ وَالسَّكِينَةَ فِي الْأَزْمَاتِ فَأَنْتِ مَشْمُولٌ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ، تَحْمَدُهُ
عَلَيْهَا.

لَمْ أَخَفْ مِنْ مَرَضٍ كُورُونَا بِقَدْرِ خَوْفِي مِنَ اللَّهِ؛ فَنَحْنُ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ سَنَمُوتُ، طَالَ
الْعُمُرُ أَوْ قَصُرَ، وَعِنْدَمَا نَمُوتُ نَنْتَهِي كُلَّ مَشَارِعِنَا وَارْتِبَاطَاتِنَا وَمَسْئُولِيَّاتِنَا فِي الْحَيَاةِ،
وَيَكُونُ شَأْنُنَا مُرْتَبِطًا بِالْغَيْبِ وَتَشْرِيعِهِ الْإِلَهِيِّ وَقَدَرِيَّتِهِ.

هَذِهِ الْكَارِثَةُ - أَوِ الْأَزْمَةُ، أَوِ الْمَرَضُ - قَرَّبَتْنَا إِلَى اللَّهِ أَكْثَرَ، وَالزَّمَنَّا الرُّجُوعَ إِلَيْهِ
بِالِاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ؛ لِأَنَّا فِي هَذِهِ الْأَزْمَةِ لَمْ يَعْذُ يَسْغُلْنَا شَيْءٌ أَكْثَرَ مِنْ انْشِغَالِنَا بِمُحَاسَبَةِ
أَنْفُسِنَا عَلَى مَا أَسْرَفْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا مِنْ ارْتِكَابِ الذُّنُوبِ وَالْمُوبِقَاتِ وَالْخَطَايَا حِينَ كُنَّا فِي
غَفْلَةٍ أَفْقًا مِنْهَا عَلَى هَذَا الْخَطَرِ الدَّاهِمِ الَّذِي أَوْقَفَ الْعَالَمَ وَلَمْ يُقْعِدْهُ.

خَوْفُنَا مِنَ اللَّهِ وَالْعَوْدَةُ إِلَيْهِ هُمَا مَا يُنْقِذُنَا مِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، فَتَعَالَوْا نَفِرْ إِلَى اللَّهِ
وَنَسْأَلْهُ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ.

22 مارس 2020م

بِسَبَبِ كُورُونَا

عَصْرٌ رَهِيْبٌ، رَأَيْنَا فِيهِ كَيْفَ يَهُونُ الْإِنْسَانُ عَلَى أَخِيهِ الْإِنْسَانِ، وَكَيْفَ يَهْرُبُ الْحَبِيْبُ مِنْ حَبِيْبِهِ، وَالْقَرِيبُ مِنْ قَرِيْبِهِ؛ بِسَبَبِ هَذَا الْمَرَضِ اللَّعِيْنِ، حَتَّى فِي دَفْنِ الْإِنْسَانِ لِإِنْسَانٍ يَكُونُ فِيهِ الْحَذَرُ وَالْخَوْفُ مِنْ إِنْسَانٍ كَانَ قَبْلًا مِلءَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْقُوَادِ، حَتَّى الصَّلَاةُ عَلَى مُتَوَفَى الْكُورُونَا، لَا يُصَلَّى عَلَيْهِ إِلَّا عَنْ بُعْدٍ. الْكُلُّ يَفِرُّ مِنَ الْكُلِّ، التَّوَاصُلُ فَقَطُّ بِالتَّلْفُوفِ، حَتَّى إِنِّي صِرْتُ أَخْشَى انْتِقَالَ الْمَرَضِ بِالتَّلْفُوفِ؛ إِنَّهَا الْقِيَامَةُ بِشَكْلِ مُصَغَّرٍ.. لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

22 مارس 2020م

وَصَفُ الدُّنْيَا اسْتِقْرَاءً

أَكْبَرُ وَصْفٍ لِلدُّنْيَا أَنَّهَا جِيْفَةٌ أَرْكَمَتْ بِرَوَائِحِهَا النَّتْنَةَ أُنُوفَ الْأَحْيَاءِ بِهَا، فَلَا هُمْ كَرِهُوهَا وَنَبَذُوهَا وَعَفَوْا وَاسْتَعْصَمُوا مِنْهَا وَعَنْهَا بِالْبُعْدِ عَنْ قُبْحِهَا وَعَفَنِهَا، وَلَا هُمْ دَفَنُوهَا سَوَاتِئَهَا، وَكَانَتْهُمْ عَجَزُوا، كَمَا عَجَزَ قَابِيلُ عَنْ مُوَارَاةِ سَوَاةِ أَخِيهِ هَابِيلَ، حِينَ قَتَلَهُ، وَقَدْ تَرَكُوا سَوَاتِ الدُّنْيَا جُثَّةً مُقَدِّيَةً يَرْتَعُ فِيهَا دُودُ الْأَرْضِ، وَيَقْتَاتُ مِنْهَا وَعَلَيْهَا، وَهُمْ إِنَّمَا عَلَى سَخَائِمِهَا يُقِيمُونَ، وَعَلَى قَذَارَةٍ مُنْظَرِهَا يَعْكُفُونَ، وَمِنْ شُرُورِهَا يَكْتَسِبُونَ.

مِنْ شِعْرِي:

هَذِهِ الدُّنْيَا تَعَرَّتْ ثُمَّ قَالَتْ:

هَيْتَ لَكَ

كُلُّ مَنْ تُغْرِي بِهِ يَعْشَقُهَا

مِنْ ثُمَّ تَرْمِيهِ لِدَوْرَاتِ الْفَلَكَ.

16 مايو 2023م

عِشُّوا الْحَيَاةَ

فَلْتَقِفُلُوا أَبْوَابَ السَّوَادِ، وَلْتَفْتَحُوا نَوَافِدَ لَحَظَاتِ تَسْبِيحِ الْغَيْمِ عَلَى رَيْبِ الْأَمَلِ، تُمْطِرُ بِالْمُزْنِ عَلَى قُلُوبِكُمْ، انْفُضُوا ثِيَابَكُمْ مِنْ أَدْرَانِ الْحُزْنِ، وَغَالِبُوا النَّفْسَ عَلَى حَمْلِ الْبَهْجَةِ وَالسُّرُورِ، أَوْقِدُوا الشُّمُوعَ الضَّاحِكَةَ فِي شِتَاءِ أَعْمَارِكُمْ، احْتَفِلُوا مَعَ الْعَصَافِيرِ بِأَعْيَادِ الْعِشْقِ، وَانثُرُوا الْأَيَّامَ أَزْهَارًا عَلَى جَدَائِبِ الزَّمَانِ.

أَنْتُمْ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَسْتَمِدُّوا مِنَ الْقَدْرِ قُدْرَةً، وَمِنَ الْجَمَالِ نَظْرَةً، وَمِنَ الْقُلُوبِ بُشْرَى، لَكَ أَيُّهَا الْآتِي مَعَ الْأَفْرَاحِ فَجْرٌ مِنْ سَنَا الْبَسَمَاتِ، وَفِيهِ يَخْضِرُ النَّبَاتُ، وَالرَّوْضُ يَسْعَدُ بِالرِّجَالِ وَبِالنَّبَاتِ.

هَيَّا إِذَا عِشُّوا وَلَا تَلْقُوا بَالًا لِلَّذِي كَرِهَ الْحَيَاةَ.

25 مَآيُو 2021م

لِقَاحُ الْحُبِّ

أَحْسُ وَكَأَنَّ النَّاسَ كَانُوا فِي مَغَارَةٍ خَرَجُوا مِنْهَا لِلتَّوَّ، وَعَادُوا لِلْحَيَاةِ مِنْ جَدِيدٍ، بَعْدَ تَصْنِيعِ لِقَاحِ كُورُونَا.

عَادَ الْكَلَامُ بَعْدَ الصَّمْتِ لِسَنَةٍ تَقْرِيبًا، عَادَ الضَّحِيحُ، عَادَ الشَّغْبُ، عَادَ الْأَمَلُ.

إِنَّهَا رُوحُ الْأَرْضِ تَعُودُ ثَانِيَةً بَعْدَ فِرَاقٍ بَيْنَ الْخَلْقِ وَالْفِطْرَةِ.

لَيْتَهُمْ يُحَاوِلُونَ أَيْضًا فِي تَصْنِيعِ لِقَاحِ الْحُبِّ!

25 مَارِس 2021م

نَفْسُكَ

أَفْرِغْ نَفْسَكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَاْمَلْهَا بِذِكْرِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ.

قُلْ: يَا حَنَّانُ، يَا مَنَّانُ، يَا قَدِيمَ الْإِحْسَانِ، نَسْأَلُكَ بِحَقِّ أَسْمَائِكَ وَصِفَاتِكَ الْعِظَامِ الْكَرَامِ أَنْ تَغْفُوَ وَتَصْفَحَ عَنَّا؛ فَمَا أضعَفْنَا عِنْدَكَ، وَمَا أَهْوَنَّا! نَحْنُ عِبِيدُكَ يَا مَوْلَايَ، خَطَاوُونَ مُسْتَغْفِرُونَ، لَا حَوْلَ لَنَا وَلَا قُوَّةَ. لَكَ أَذَلُّنَا رِقَابَنَا، وَخَجَلْنَا مِنْ كَثْرَةِ ذُنُوبِنَا، نَلْتَجِي إِلَيْكَ بِكَ مِنْ كُلِّ عَمَلٍ لَا يُرْضِيكَ أَنْ تَهْدِيَنَا إِلَى طَاعَتِكَ وَرِضَاكَ، وَنَسْأَلُكَ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ الْجَنَّةَ، لِي وَوَالِدَيَّ وَأَهْلِي وَإِخْوَتِي وَأَخَوَاتِي وَأَبْنَائِي وَأَحْفَادِي وَأَقَارِبِي وَأَصْحَابِي وَرَفَقَائِي وَأَصْدِقَائِي، وَكُلِّ مَنْ أَحَبَّنِي فِيكَ، وَالْمُسْلِمِينَ، يَا رَجَاءَ السَّائِلِينَ وَخَيْرَ الْمُعْطِينَ.

26 مارس 2021م

خَلْقُ اللَّهِ

يَقُولُ سُبْحَانَهُ: {وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [النحل: 8]، صَدَقَ رَبِّي الْعَظِيمُ. فَعِنْدَمَا يَنْظُرُ الشَّخْصُ إِلَى خَلْقِ اللَّهِ - عَلَى الْأَقْلُ فِي أَفْلَامِ الْقَنَوَاتِ التِّلْفِزِيَّةِ - يَرَى أَسْمَاكَ وَحَيَوَانَاتٍ، وَخَلْقًا كَثِيرًا لَمْ يَرَهُ مِنْ قَبْلُ، فَكَيْفَ بَخَلَقِهِ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ وَالْكَوَاكِبِ وَالْمَجَرَّاتِ، الَّذِينَ يَغِيبُ عَنْ عِلْمِنَا عِلْمُهُمْ؟ وَكَيْفَ لَمْ تَضْطِمْ نَجْمَةً بِنَجْمَةٍ أُخْرَى؟ وَكَيْفَ الشَّمْسُ تُشْرِقُ فِي مَوْعِدٍ مُحَدَّدٍ، وَالْقَمَرُ لَهُ مَنَازِلُ، وَلَهُ تَوَقِيتٌ.. وَالْهَلَالُ وَالْغَيْمُ وَالْمَطَرُ.. هَلْ كَانَ ذَلِكَ سَيِّئًا بِهِدِ الدَّقَّةَ لَوْلَا اللَّهُ الْعَظِيمُ مَالِكُ الْمُلْكِ وَحْدَهُ؟

سُبْحَانَكَ! مَا أَعْظَمَكَ! وَمَا أَجَلَّكَ! وَمَا أَقْدَرَكَ! وَمَا أَعَزَّكَ! وَمَا أَقْوَاكَ!

رَأَيْنَاكَ بِقُلُوبِنَا حُبًّا، وَبِعُقُولِنَا تَقْدِيرًا وَقَدْرًا، وَبِنُفُوسِنَا طَاعَةً لَكَ فِيمَا أَمَرْتَ، فَعَلَّمَنَا مَا يَجْعَلُنَا نَرَاكَ فِي خَلْقِكَ لَكِنِّي نَحْمَدُكَ عَلَى الْفَوْزِ بِرِضَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَرَبِّ الضُّعَفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ. اغْفِرْ لَنَا، وَتُبْ عَلَيْنَا، وَارْحَمْنَا، وَتَقَبَّلْنَا بِمَا يُرْضِيكَ، وَمَا أَنْتَ أَهْلُهُ، إِنَّكَ أَنْتَ أَهْلُ الْمَرْحَمَةِ.

26 مارس 2021م

مَنْ يَغْتَبِرُ؟ وَمَنْ يَنْتَصِحُ؟

مَنْ يَغْتَبِرُ؟ وَمَنْ يَنْتَصِحُ؟ وَمَنْ يَعْمَلُ قَبْلَ الْعِبَرَةِ وَالنُّصْحِ؟ هَكَذَا.. وَنَحْنُ كَمَنْ يَمُرُّ عَلَى عِبَرِ الْحَيَاةِ مُرُورَ الْهَارِبِ مِنْ أَحْدَاثِهَا، لَا مَنْ يَأْخُذُ مِنَ الْحَدَثِ عِبْرَةً يَهْتَدِي بِهَا إِلَى صَلَاحِ النَّفْسِ، وَتُشْدَانِ الْارْتِفَاعَ بِالذِّكْرِ الْحَسَنِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، مُكْتَفِينَ بِالْأَسْفِ عَلَى سُوءِ مَا رَأَيْنَا، غَيْرَ عَامِلِينَ بِالْعِبَرَةِ؛ بَلْ رُبَّمَا تَكَرَّرَ الْفِعْلُ نَفْسُهُ، مُسَوِّغِينَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ابْتِغَاءَ الطَّمَعِ، وَمَا يَصَوِّرُهُ لِلْإِنْسَانِ مِنْ خَيْرٍ هُوَ شَرٌّ لِمَنْ يَحْتَسِبُ، حَتَّى تَقَعَ الْوَاقِعَةُ وَيَتَحَسَّرَ الْإِنْسَانُ عَلَى مَا انْخَدَعَ بِهِ.

وَمَا قَوْلُ النَّصِيحِ إِلَّا كَصَائِحٍ فِي فَلَاةٍ، قِيلَ عَنْهُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ} [الأعراف: 79]، فَلَا يَسْمَعُهُ إِلَّا مَنْ تَوَاضَعَتْ نَفْسُهُ عَنِ الْكِبَرِ وَالْعُرُورِ، وَصَلَحَ حَالُهُ بِالْعِظَةِ وَالِاعْتِبَارِ عَنِ الْوُقُوعِ فِي دَوَّامَةِ الْهَلَاكِ.

وَفَازَ فَوْزًا عَظِيمًا مَنْ عَمِلَ الْخَيْرَ لِنَفْسِهِ وَلِإِخْوَانِهِ، وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، وَقَبَلَ الْعِبْرَةَ، وَنُصَحَ النَّصِيحِ.

وَهَكَذَا هُوَ حَالُ الدُّنْيَا، كُلُّ يَتَّبِعُ سَعَادَتَهُ أَوْ شَقَاءَهُ، وَحَالُهُ الْأَسْفُ وَالتَّبَرُّرُ لِمَا يَحْدُثُ بِالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ:

{وَمَا أُبْرِي نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ} [يوسف: 53].

30 سِبْتَمْبَرِ 2022م

إِنَّهَا هِيَ

مَرَرْتُ عَلَى عِطْرِهَا وَهُوَ فِي قَارُورَتِهِ، أَشْتَمُ فِيهِ رَائِحَتَهَا، فَأَحْسَسْتُ بِهَا تَخْرُجُ مِنْ
قَوَافِلِ الذِّكْرِيَّاتِ، وَتَتَجَسَّدُ أَمَامِي طَيْفًا قُدْسِيَّ الصِّفَاتِ، وَكَانَتْهَا مِنْ مَلَائِكَةِ الْجَمَالِ،
تَتَوَشَّحُ الْخُلُقَ وَالْفَضِيلَةَ وَالطَّيِّبَ وَالْعِلْمَ، ثُمَّ مَالَتْ إِلَى الْغُرُوبِ كَالشَّمْسِ، وَقَدْ أَبْقَتْ مِنْ
شُعَائِهَا مَا يَسْمَحُ لِلْقَمَرِ بِالْبُرُوعِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ بَحَارِ السَّيِّدِمْ.
إِنَّهَا الَّتِي رَكِبْتُ إِلَيْ الْعُمَرِ حَالِمَةً بِمُجَاوَرَةِ النُّجُومِ، لَوْ لَمْ يَتَجَرَّأِ الْحُبُّ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ
الْحُبِّ، كَلَانَا يُبْرِرُ مَا يَرْفَعُ عَنْ هَزِيمَتِهِ الْمَقْتُ أَمَامَ نَفْسِهِ..
وَبَعْدَ أَنْ تَنَاقَشَتْ حَبَّاتُ الْعَقْدِ الَّذِي كَانَ يُزَيِّنُ جِيدَهَا، وَقَدْ رَاحَتْ تُلْمَلِمُهُ أَيَْادِي النَّدَمِ،
فَهَلْ يَعُودُ الْعَقْدُ مِنْ جَدِيدٍ؟
الْيَوْمَ اعْتَرَفْتُ بِأَنِّي فَقَدْتُهَا
وَأَعْتَرَفْتُ بِأَنِّي خَفَرْتُ عَهْدَهَا
وَأَعْتَرَفْتُ بِأَنِّي أُحِبُّهَا.
أَجَلْ، إِنَّهَا هِيَ.

16 يُونِيُو 2022م

كَلِمَةُ أُحِبُّكَ

هُوَ قَلْبِي عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْكَ، فَقَطِّ اعْطِنِي مُجَرَّدَ إِحْسَاسٍ بِالْحُبِّ وَالصَّفَاءِ، فَإِنِّي سَاحِبُكَ، فَقَدْ جَانَبْتُ الْغَضَبَ وَالْخِصَامَ وَالْأَسَى فَمَا عُدْتُ أَسْتَطِيعُ تَحْمِلَ اللَّوْمِ، حَتَّى الْعَتَابُ صَارَ يَجْرَحُنِي، فَكَمْ لُمْتُ وَلَمْ يُجِدِ اللَّوْمُ، وَكَمْ عَنَيْتُ فَخَسِرْتُ الْكَثِيرَ، حَتَّى رَأَيْتُكَ وَرَأَيْتَنِي وَرَأَيْتُ الْعَالَمَ يَسْتَبِقُ إِلَى النُّجُوى بَيْنَ الْمُحِبِّينَ، فَلَا تَتَعَجَّلْ قَرَارَكَ حِينَ لَا تَعْلَمُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. حَاولْ أَنْ تَعِيشَ مَعِيَ هُنَا سَكَنًا لِرُوحِي، نَحْنُ أَكْثَرُ مَا نَحْتَاجُهُ الصَّحَّةُ وَالسَّلَوانُ وَالصَّبْرُ، وَالْبَاقِي مِنَ الْحَاجَةِ بَسِيطٌ جَدًّا، يَكْفِيهِ كَلِمَةُ «أُحِبُّكَ».

23 يونيو 2022م

عَلَى الْفَتَاةِ الَّتِي تَتَسَرَّعُ

أَتَمَنَّى عَلَى أَيِّ فَتَاةٍ أَلَّا تَتَسَرَّعَ بِقَبُولِ أَيِّ عَرِيسٍ يَتَقَدَّمُ إِلَيْهَا إِلَّا بَعْدَ اخْتِبَارِهِ، وَأَلَّا تَقْبَلَ بِالْيَسِيرِ مِمَّا يُدْفَعُ لَهَا، بَلْ تُغْلِي مَهْرَهَا وَمُؤَخَّرَ صَدَاقِهَا؛ لِيَعْرِفَ الشَّابُّ أَنَّ قِيَمَتَهَا غَالِيَةٌ. وَإِذَا لَمْ يَأْتِ الَّذِي يَعْرِفُ قِيَمَتَهَا فَلْتَظَلْ فِي حِضْنِ وَالِدَيْهَا، فَهُوَ أَكْرَمُ لَهَا؛ لَا أَنْ تَعِيشَ التَّعَاسَةَ وَتَتَدَبَّ حَظَّهَا.

5 يناير 2013م

مَا الْخَلْقُ سِوَى الذِّكْرِى

مِنْ كَوُكَبٍ مَخْلُوقِ الْمَوْجِبِ وَالسَّالِبِ وَالشَّغْفِ الْمُتَغَلِّغِ فِي أَحْشَاءِ الْكَوْنِ. وَمِنْ صُورٍ تَسْكُنُ أَفْنَدَةَ الدَّهْشَةِ، مِنْ عَشْقٍ رَسَمَتْهُ النَّفْسُ جَمَالًا، مِنْ سِحْرِ اغْوَى، مِنْ مَسْحُوقِ الْمَاءِ الذِّكْرِى النَّهْرِ النَّاصِحِ لِقَوَارِيرِ الْأُنْثَى بِهَيَاجِ اللَّذَّةِ وَالشَّهْوَةِ، مِنْ حِضْنِ شَبَقِي النَّزْوَةِ لِلْحِضْنِ الشَّغْفِي النَّظَرَةِ، مِنْ أَلْفٍ يَقْرَعُ بَابَ النُّونِ وَيَدْخُلُهَا عَنَوَةً، مِنْ مِيلَادِ الرَّغْبَةِ نَبَتْ أَوْرَقٍ طَلَعًا يَكْبُرُ فِي الْأَزْمَانِ وَيُصْبِحُ أَغْصَانًا جَاءَتْ لِلْأَرْضِ لِكَيْ تَحْيَا، تَفْنَى. يَا لَا بَسَ أَكْفَانِ التَّرْحَالِ، وَسَاكِنِ أَجْدَاثِ الْفِطْرَةِ، مَخْلُوقًا مَقْرُوضِ الْخَطَوَاتِ، فَمَا تَعْلَمُ عَنْ سِرِّ الْأَنْوَاتِ، وَلَا سِرِّ الْأَمْوَاتِ، يَا غَيْبًا فِي غَيْبٍ تَتَرَى. اسْمُكَ فِي هَذِي الدُّنْيَا الذِّكْرِى.

11 مايو 2022م

يَا رَبُّ كُنْ لَنَا

يَا رَبُّ، يَا مَنْ يَقُولُ لِلشَّيْءِ: كُنْ، فَيَكُونُ، كُنْ لَنَا، وَلَا تَكُنْ عَلَيْنَا، وَاجْعَلْ خَوْفَنَا مِنْكَ أَمَانًا لِحَيَاتِنَا وَمَعَاشِنَا، وَنُورَ هُدَاكَ فَرَجًا لَنَا مِنْ ظُلُمَاتِ أَنْفُسِنَا. قَنَعْنَا مِنَ الدُّنْيَا بِكَ، وَأَنْشُرْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلِكَ رَحْمَةً نَسْتَظِلُّ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَا تَجْعَلْ حَاجَتَنَا إِلَّا إِلَيْكَ، وَأَيَّدْنَا بِرُوحِكَ مِنْكَ، وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشْدًا؛ فَلَا نُضِلَّ وَلَا نَشْقَى، وَاقْبِضْنَا إِلَيْكَ قَبْضًا يَسِيرًا، وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَحْرُومِينَ، وَارْزُقْنَا الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِكَ، وَوَالِدَيْنَا وَأَمْوَاتَنَا وَالْمُسْلِمِينَ، بِحَقِّ عِزَّتِكَ وَقُدْرَتِكَ، يَا سُبُّوحٌ يَا قُدُّوسٌ، يَا ذَا الْكَرَمِ وَالْمَنِّ، سُبْحَانَكَ فِي عِلَّاكَ، لَكَ الْمَجْدُ، وَلَكَ الشَّانُ، لَا نُحْصِي عَلَيْكَ الشَّانَ، أَنْتَ كَمَا أَتَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ، وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ.

شَبَابُ الْأُمَّةِ

أَنَا مُؤْمِنٌ بِأَنَّ فِي شَبَابِ أُمَّتِنَا الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ خَيْرًا كَثِيرًا، وَعِلْمًا وَفِرًا، وَفِكْرًا مُنِيرًا؛ فَاللَّهُمَّ يَسِّرْنَا وَيَسِّرْهُمْ لَخَيْرِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ. فَالشَّبَابُ - مِنْ فِتْيَانٍ وَفَتَيَاتٍ - هُمُ الثَّرْوَةُ الْحَقِيقِيَّةُ لِلْأَوْطَانِ، وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاهُمْ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَحَفِظَ الْأُمَّةَ وَشَبَابَهَا.

31 مارس 2019م

الشُّهُرَةُ

سُعَارُ الشُّهُرَةِ يَكَادُ أَنْ يَلْفَ الْعَالَمَ الْإِنْسَانِيَّ، فَلَا تَقَعُ عَيْنُكَ إِلَّا عَلَى الصُّورِ وَالْأَخْبَارِ السَّيِّئَةِ فِي كُلِّ حَدَبٍ وَصَوْبٍ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ الْمُتَرَامِي الْأَطْرَافِ، وَكُلُّ يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ لَهُ اسْمٌ وَلَوْ فِي الشَّرِّ، يُهَيِّئُ لَهُ السُّبُلَ نَحْوَ الثَّرَاءِ السَّرِيعِ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبِّي. إِلَى أَيْنَ يَتَجَهُّ الْفِكْرُ الْإِنْسَانِيُّ بِالْإِنْسَانِ بَعْدَ أَنْ أَصْبَحَ كُلُّ شَيْءٍ مُبَاحًا فِي عُرْفِ الْمَصَالِحِ؟

31 مارس 2019م

كُلُّ شَيْءٍ صَارَ مُخِيفًا

صَارَ كُلُّ شَيْءٍ مُخِيفًا لِلنَّفْسِ وَعَلَيْهَا، فَغَدَا هَاجَسُ الْأَمْنِ الْفِكْرِيِّ وَالسِّيَاسِيِّ الْمُؤَلَّمِ يَنْتَابُ الْبَشَرَ خِيفَةً مِنْ وَقَعِ الْأَمْنِ الْغِذَائِيِّ؛ فَالْعَالَمُ يُسْرِعُ الْخُطَى فِي ابْتِكَارِ مَا يَرْفَعُ مِنْ اقْتِصَادِ الدُّوَلِ الْمُنْتَجَةِ لِلْأَغْذِيَةِ الزَّرَاعِيَّةِ، وَهِيَ كَيْ تَعْطِيَ الْأَسْوَاقَ تُدْخِلُ الْمَوَادَّ الْكِيمِيَاءِيَّةَ الضَّارَّةَ بِحَيَاةِ الْخَلْقِ، وَلَمْ يَدْخُلْ فِي حِسَابَاتِ الدُّوَلِ الْمُنْتَجَةِ مَا تَتَعَرَّضُ لَهُ حَيَاةُ الْإِنْسَانِ مِنْ أَمْرَاضٍ وَدَّمَارٍ لِلْخَلْقِ، هَكَذَا تَكُونُ عِبَثِيَّةُ الْعُلُومِ حِينَ يَسْتَعْمِلُهَا الْإِنْسَانُ فِي تَدْمِيرِ الْإِنْسَانِ لِقَاءَ دُولَارَاتٍ مَعْدُودَاتٍ، عَلَى حِسَابِ الْجَهْلِ الْأَدْمِيِّ. حَسْبُنَا اللَّهُ.

31 مارس 2019م

قَرَابِينُ الْأَرْضِ

رُبَّمَا يَأْتِي زَمَانٌ يَقُولُ: إِنَّ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَى كُلِّ أَبٍ وَأُمٍّ اسْتِصْصَالَ بُورَةِ الْإِحْسَاسِ أَوْ شَرِيَانِهِ أَسْوَةً بِعَمَلِيَّاتِ اسْتِصْصَالِ اللَّوْزِ أَوْ الرَّائِدَةِ الدُّودِيَّةِ عِنْدَ أَطْفَالِهِمْ حَدِيثِي الْوَلَادَةِ، لِكَيْ يَعْشُوا الْحَيَاةَ بِلَا أَيِّ شُعُورٍ يُكَدِّرُ حَيَاتَهُمْ؛ لِأَنَّ فَضْلَ فَقْدَانِ الْحِسِّ الشُّعُورِيِّ لَدَى الْإِنْسَانِ يَجْعَلُ مِنْهُ «رُوبُوتًا» بَشَرِيًّا، فَلَا يَغْضَبُ وَلَا يَحْمِلُ هَمًّا، وَلَا يَسْتَشْعِرُ الْمَاءَ، فَيَكُونُ مُجَرَّدَ آلَةٍ آدَمِيَّةٍ جَسْمِيَّةٍ طَبِئِيَّةٍ تُرَابِيَّةٍ، تَتَوَجَّهُ وَلَا تَوَجَّهَ، وَتَعْمَلُ بِتَفْكِيرِ الْحِسِّ وَالْعَقْلِ الْأَدَمِيِّ الْمَفْكَرِ.

وَمِثْلُ تِلْكَ الْعَمَلِيَّاتِ تُسَاعِدُ فِي تَحْمِلِ أَحْدَاثِ الْحَيَاةِ بِدُونِ أَيِّ تَعَبٍ أَوْ عَتَبٍ أَوْ مَلَامَةٍ أَوْ شَكْوَى أَوْ دَعْوَى أَوْ مَرَضٍ. كُلُّ ذَلِكَ يَصِحُّ التَّقُولُ بِهِ فِي زَمَنِ الْإِغْتِرَابِ النَّفْسِيِّ، وَيَجْدُرُ بِإِنْسَانِ الْعَصْرِ - لِكَيْ يَعْشَى بِقَدْرِ مِنَ الرَّاحَةِ - أَنْ يَغْزَلَ نَفْسَهُ عَنْ كُلِّ أَفْكَارِ نَفْسِهِ النَّعِيسَةِ وَالْمُحْزَنَةِ وَالْمُؤَلِّمَةِ، وَأَنْ يُحَوِّلَهَا إِلَى عَكْسِهَا، إِحْلَالًا لِحَقَائِقِ الزُّورِ وَالْكَذِبِ وَالنَّفَاقِ وَالرِّيَاءِ، وَكَيْفَ يَتَأَتَّى ذَلِكَ إِذَا لَمْ يَتِمَّ اسْتِصْصَالُ شَرِيَانِ الشُّعُورِ الْإِحْسَاسِيِّ أَوْ بُورَتِهِ لَدَى الْإِنْسَانِ مُنْذُ الْوَلَادَةِ، لِيَمْضِيَ عَلَى هَوَى الْحَيَاةِ؛ لِأَنَّ الْعُصُورَ الْقَوَادِمَ سَتَكُونُ أَصْعَبَ مِنْ عَيْشِ الْإِنْسَانِ عَلَى كَوْكَبِ الْأَرْضِ. فَمَا رَأَيْكُمْ فِي الْمَرِيخِ أَوْ زُحْلٍ أَوْ الْمَشْتَرِيِّ أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الْكَوَاكِبِ؛ لِكَيْ نَعِيشَ أَمَانًا مُفْتَرَضًا عَلَى كَوْكَبِ الْأَرْضِ؟ مُتَمَنِّيًا أَنْ يَكْتَشِفَ عُلَمَاءُ الْفَضَاءِ بَيْنَ كَوَاكِبِ الْأَجْرَامِ السَّمَاءِيَّةِ الْمُتَنَازِلَةِ فِي عَرْضِ الْكَوْنِ وَطَوْلِهِ؛ عَلَيْهِمْ يَجِدُونَ كَوْكَبَ الرَّاحَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ قَبْلَ الرَّاحَةِ الْأَبَدِيَّةِ الْخَالِدَةِ. لَا تَسْتَغْرِبُوا.. قَدْ يَحْدُثُ مَا لَا تَتَوَقَّعُونَ أَوْ تُفَكِّرُونَ أَوْ تَتَخَيَّلُونَ. إِنَّهَا الْحَيَاةُ تَبْتَكِرُ جِينَهَا وَجِينَ قَرَابِينِهَا.

29 سِبْتَمْبَرِ 2019 م

تَتَوَالَى الْأَحْدَاثُ سِرَاعًا عَلَى أُمَّةِ الْعَرَبِ، وَالنُّذُرُ تُنْبِئُ بِسُوءِ الْعَاقِبَةِ عِنْدَمَا أَتَكَلَّنَا عَلَى أَعْدَائِنَا، وَتَرَكْنَا اللَّهَ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: {كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ} [الْحَشْرُ: 19].

فَلْنَعُدْ إِلَى اللَّهِ مُوقِنِينَ بِأَنَّهُ مَالِكُ الْمُلْكِ نَاصِرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَوْفَ يَرَى مَنْ يَسْتَعِينُ بغيرِ اللَّهِ سُوءَ الْمَصِيرِ.. كُونُوا قَوَامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ، كَمَا أَمَرَ سُبْحَانَهُ.. اتَّقُوا مَحَارِمَ اللَّهِ..

انْشُرُوا الْعَدْلَ.. وَاسْحَقُوا الْبَاطِلَ وَمَنْ يَدْعُو إِلَيْهِ وَيَرْتَكِبُهُ، وَتَسْأَلُ لَهُ نَفْسُهُ سُوءَ عَمَلِهِ؛
فَإِنَّ لِلْبَاطِلِ جَوْلَةً، وَلِلْحَقِّ صَوْلَةً، كَمَا قِيلَ، وَنَقُولُ لِكُلِّ مَخْدُوعٍ بَآنَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ:
خَسِئْتُ، فَإِنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَمَا أَنْتَ إِلَّا أَضْعَفُ مِنْ ذُبَابَةٍ إِذَا أَتَى أَمْرُ اللَّهِ.
فَهَلَّا اتَّعَظْتَ أَيُّهَا الْمَخْدُوعُ بِمَالِكَ وَجَاهِكَ وَسَطَوَتِكَ وَقُوَّةِ تَدْعِيهَا وَهِيَ أَوْهَنُ مِنْ
خَيْطِ الْعَنْكَبُوتِ! هَلَّا أَقْلَعْتَ عَنْ ظُلْمِكَ أَيُّهَا الظَّالِمُ وَتَصَوَّرْتَ كَيْفَ سَيَكُونُ حَالُكَ
عِنْدَمَا تَكُونُ فِي أَضْعَفِ حَالَاتِكَ، حِينَ تَحِيقُ بِكَ النَّوَائِبُ وَتَدُورُ عَلَيْكَ الدَّوَائِرُ وَيَنْفُضُ
عَنْكَ النَّصِيرُ الَّذِي رَكِبْتَ بِهِ مَظَالِمَكَ ضِدَّ الْمُسْكِينِ وَالضَّعِيفِ وَالْفَقِيرِ! عُدْ إِلَى الْحَقِّ
قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ تَعُضُّ فِيهِ أَصَابِعُ النَّدَمِ حِينَ لَا يُجْدِي النَّدَمُ.
ارْجِعْ عَنْ غَيِّكَ، فَالْأَيَّامُ حَبَالِي بِأَحْدَاثٍ يَشِيبُ مِنْ هَوْلِهَا الْوُلْدَانُ، وَقَدْ قِيلَ: إِذَا دَعَتْكَ
قُدْرَتُكَ عَلَى ظُلْمِ النَّاسِ فَتَذَكَّرْ قُدْرَةَ اللَّهِ عَلَيْكَ. اللَّهُمَّ أَشْهَدُ، أَلَا قَدْ بَلَغْتُ.

المَجْدُ

المَجْدُ: هُوَ قِصَّةُ كِفَاحٍ لِشَخْصٍ مَا، تَخْلُقُ مِنْهُ التَّمَيُّزُ وَالتَّفَرُّدُ؛ لِيَقِفَ عَلَى إِحْدَى قِمَمِ
الْمَعَالِي، بِحَيْثُ يُرَى كَأَحَدِ كَوَاكِبِ السَّمَاءِ وَنُجُومِهَا.

المَجْدُ: هُوَ أَنْ تُضِيفَ إِلَى الشَّمْسِ وَبَنَاتِهَا التَّسْعِ شَمْسًا جَدِيدَةً تَكُونُ هِيَ شَمْسَكَ
وَحَدَكَ، يَعْرِفُهَا النَّاطِرُ إِلَيْهَا، فَيَعْرِفُ أَنَّهَا تَحْمِلُ صِفَاتِكَ وَجِنَاتِكَ أَنْتَ فَقَطُ.

المَجْدُ: هُوَ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُسَادُ كَثُرٍ، وَكُلَّمَا زَادَتْ أَعْدَادُهُمْ ارْتَفَعَتْ إِلَى الذَّرَى أَكْثَرُ
فَأَكْثَرُ.

المَجْدُ: أَنْ يَقْتَبَسَ مِنْ أَنْوَارِ فِكْرِكَ سُكَّانُ كُهُوفِ الظَّلَامِ لِيُضِيئُوا مَا حَوْلَهُمْ مِنْ
ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَالْفَضَاءِ.

المَجْدُ: هُوَ صَوْتُ غِنَاءِ السَّمَاءِ لَكَ، وَقَدْ رَكِبْتَ عَلَى أَعْنَاقِ الْحَاقِدِينَ، وَقَدْ مَرَّغْتَ
أُنُوفَهُمْ فِي التُّرَابِ، حِينَ تَرَبَّعْتَ فَوْقَ مَنَابِرِ الْعُلَا.

المَجْدُ: هُوَ خُصُوصِيَّةُ الرِّزْقِ الَّذِي أَسْبَغَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ؛ لِتَكُونَ مِنَ الْآحَادِ الَّذِينَ يُشَارُ
إِلَيْهِمْ بِالْبَنَانِ.

المَجْدُ: هُوَ أَنْ تَكُونَ مُضِيئًا مِنْ كُلِّ جَوَانِبِكَ.

المَجْدُ: الْمَجْدُ يَتَحَقَّقُ بِكَثْرَةِ الْحَمْدِ لِلَّهِ.

31 أُوْتُوبَر 2021م

لَنْ يَنَالُوا مِنْ رَسُولِنَا الْعَظِيمِ

مَعَ الْأَسَفِ الشَّدِيدِ، أَنْ يُشَجَّعَ رَئِيسُ دَوْلَةٍ كُبْرَى عَلَى اِزْدِرَاءِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ بِالنَّبْلِ مِنْ رَمَزِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ - نَبِيِّنَا الْكَرِيمِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، نَرَى أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْعَارُ وَالشَّنَارُ مِنْ شَخْصِيَّةٍ كَبِيرَةٍ، كُنَّا نَتَوَخَّى فِيهَا الْعِلْمَ وَالثَّقَافَةَ وَالْقُدُورَةَ وَالْإِزْتِفَاعَ بِالشُّعُوبِ إِلَى لُغَةِ الْحُبِّ وَالتَّسَامُحِ، لَا الْبُغْضِ وَالتَّعْرِيزِ بِالدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ.

وَأَتَسَاءَلُ: مَا هَذِهِ اللُّغَةُ الْعُنْصُرِيَّةُ الَّتِي لَدَيْهِ فِي عَصْرِ يُفْتَرَضُ فِيهِ أَنَّهُ شَبَّ عَنِ الطُّوقِ، وَأَصْبَحَ عَالِمًا عِلْمِيًّا يَتَقَاطَعُ مَعَ الْعُقُولِ الْبَشَرِيَّةِ فِي الْمَصَالِحِ وَالْوَاجِبَاتِ، كِلَاهُمَا لَا يَخْرُجَانِ عَنْ دَوَائِرِ الْأَخْلَاقِ الْإِنْسَانِيَّةِ.

وَهَلِ الْإِسَاءَةُ إِلَى رَسُولِنَا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ - هِيَ كُلُّ مَا يَشْغُلُ أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ؟ وَفِي الْحَقِيقَةِ: نَعَمْ، إِنَّ الْإِسْلَامَ يَشْغَلُهُمْ؛ لَذَا يَعْمَلُونَ بَيْنَ الْفِتْنَةِ وَالْأُخْرَى عَلَى إِشْعَالِ حَرْبِ الْأَدْيَانِ، وَهُوَ أَمْرٌ لَيْسَ فِي حِسَابَاتِ الْمُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ يُؤْمِنُونَ بِدِينِ اللَّهِ الْحَقِّ، وَيُؤْمِنُونَ بِالرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ الْمُرْسَلِينَ مِنَ اللَّهِ؛ لَذَا لَا يُمْكِنُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُحَارِبَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ، أَوْ يَزْدَرِيَهُمْ؛ لِأَنَّهُ فِي الْفَهْمِ الْإِسْلَامِيِّ يُعَدُّ الْإِسَاءَةُ إِلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ خُرُوجًا عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ الْحَنِيفِ.

أَمَّا التَّعْرِيزُ بِنَبِينَا وَمُحَاوَلَةُ تَشْوِيهِ صُورَتِهِ بِالرُّسُومِ الْكَارِيكاتُورِيَّةِ فَذَلِكَ لَنْ يَضِيرَ صَاحِبَ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ الرَّسُولَ الْكَرِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ صَاحِبِ خُلُقٍ حَقِيرٍ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْأَدْيَانِ وَالشُّعُوبِ.

ذَلِكَ تَغْيِيرٌ مَمْلُوءٌ بِالصَّفَاقَةِ وَالْجَهْلِ وَالْجَاهِلِيَّةِ، حِينَ يَتَّهَمُ الرَّئِيسُ مَا كَرُونُ الْإِسْلَامَ بِأَنَّهُ وَقَعَ فِي أَرْمَةٍ، وَالصَّوَابُ أَنَّ الْإِسْلَامَ وَكُلَّ دِينٍ قَامَ عَلَيْهِ الرُّسُلُ لَمْ يَكُنْ فِي أَرْمَةٍ؛ إِنَّمَا هُوَ وَمَنْ عَلَى شَاكِلَتِهِ مِنَ الْعُنْصُرِيِّينَ هُمُ الْمَأْزُومُونَ نَفْسِيًّا وَشَعْبِيًّا وَسِيَاسِيًّا، حِينَ افْتَقَدُوا شَجَاعَةَ الْأَخْلَاقِ فِي إِسَاءَةِ قَوَاعِدِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ بَيْنَ الشُّعُوبِ، وَقَدْ أَقَامُوا حَضَارَتَهُمْ عَلَى حَسَابِ دِمَاءِ الشُّعُوبِ الْمُسْتَضْعَفَةِ، حِينَ نَهَاوْنَ الْمُسْلِمُونَ عَنْ حُقُوقِهِمْ فِي غَفْلَةِ الْفِكْرِ الْإِسْلَامِيِّ وَالْعَرَبِيِّ.

وَرَعْمَ الْحُزْنِ وَالْأَسَى الَّذِي يَعِيشُهُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ جَرَاءِ الْإِسَاءَةِ إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، فَإِنِّي أَعْتَبُ عَلَى قَوْمِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ اسْتَطَاعَ أَمْثَالُ هَؤُلَاءِ الْجُهْلَاءِ أَنْ يَسْتَثِيرُوهُمْ لِحَدِّ الْإِنْفَعَالِ الَّذِي لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ نُؤْلِيَهُ اهْتِمَامَنَا، مَا دُمْنَا عَرَفْنَا أَنَّ فِي ضَعْفِنَا الْحَالِي قُوَّتَنَا الَّتِي تَتِمَّلُ فِي قُوَّةِ اللَّهِ الْقَوِيِّ الْمَتِينِ، وَنَحْنُ عَلَى عِلْمٍ بِنَصْرِ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ - وَوَعْدِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِنَبِيِّهِ حِينَ قَالَ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ: {إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ} [الحجر: 95]، وَفِي هَذَا الْمَوْقِفِ نَتَذَكَّرُ كَيْفَ أَنْ نَبِينًا تَحَمَّلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالِدَعْوَةَ إِلَيْهِ مَا لَا يَتَحَمَّلُهُ إِنْسَانٌ، وَنَالَ مِنْ قَوْمِهِ - بَلْ وَمِنْ أَقَارِبِهِ - كُلَّ ظَلَمٍ وَإِسَاءَةٍ، وَمَنْ قَرَأَ سِيرَةَ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَعْرِفُ الْكَثِيرَ وَالْكَثِيرَ الْمُسِيءِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ بِقُدْرَتِهِ وَعِزَّتِهِ ثَبَّتَ دِينَهُ وَحَبَّهَ فِي قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَظْهَرَ دِينَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ؛ لَذَا أَقُولُ لِكُلِّ الْمُسْلِمِينَ: إِنَّ اللَّهَ سَيَنْتَقِمُ قَرِيبًا مِنْ كُلِّ ظَالِمٍ لِنَفْسِهِ بِظُلْمِهِ لِدِينِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنَّ إِهْمَالَ هَؤُلَاءِ الْجُهْلَاءِ حَتَّى يَمُوتُوا بِغَيْظِهِمْ لَهُوَ الرَّدُّ السَّلِيمُ حَتَّى لَا يَشْغُلُونَا عَنْ دِينِنَا وَأَنْفُسِنَا.

فَالْحَقُّ عَلَى الْإِسْلَامِ كَبِيرٌ مُنْذُ الْقَدَمِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَأْبَى إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ. وَعِنْدَمَا نَعْرِفُ أَيْضًا أَنَّ الْعَالَمَ الْغَرْبِيَّ يَرَى أَنَّهُ مِنْ خِلَالِ الْحُرِّيَةِ الْمَرْعُومَةِ أَنْ يَنْتَقِدُوا وَيَرْسُمُوا الرُّسُومَ حَتَّى لِأَنْبِيَائِهِمْ، فَلَا يُوجَدُ لَدَيْهِمْ قَانُونٌ يُجَرِّمُ التَّعَدِّيَّ عَلَى انْتِقَادِ الْأَدْيَانِ، وَهُمْ يَأْخُذُونَ مِثْلَ تِلْكَ الْأُمُورِ مِنْ بَابِ الْحُرِّيَةِ الشَّخْصِيَّةِ، قَاتَلَهُمُ اللَّهُ بِمَا يَفْعَلُونَ. وَنَحْنُ فِي انتِظَارِ عُقُوبَةِ اللَّهِ لِكُلِّ مَنْ يَتَعَرَّضُ لِدِينِ الْإِسْلَامِ وَنَبِيِّ الْإِسْلَامِ - عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ -، وَنَقُولُ - كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) [الشعراء: 227].

24 أُوْتُوبَر 2020م

الدُّرُوبُ الْغَيْبِيَّةُ

كَانَتْ مُوجَةً عَاتِيَةً مِنْ حَرْبٍ عَالَمِيَّةٍ ثَالِثَةٍ مُدْمِرَةٍ، أَوْقَعَتْ الْعَالَمَ فِي حَرْبٍ دَامِيَةٍ، كَانَ مِنْ ضَحَايَاهَا أُمَّةٌ مِنَ الْبَشَرِ فَارَقَتْ مَوَاجِعَ الْحَيَاةِ.

وَكَثِيرًا مَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ عَنْ سَبَبِ لِهَذِهِ الْحَرْبِ الَّتِي كَادَتْ أَنْ تَأْكُلَ الْأَخْضَرَ وَالْيَابِسَ، وَتَسْحَقَ الْأَرْضَ وَخَلْقَهَا، وَمَنْ الْمُسَبَّبُ فِي إِذْكَاءِ نَارِهَا حَتَّى تَجَاوَزَ وَقْعُهَا الْمُدْمِرُ الْقُنْبُلَةَ النَّوَوِيَّةَ الَّتِي أُلْقِيَتْ عَلَى مَدِينَةِ هِيرُوشِيْمَا وَالْقُنْبُلَةَ النَّوَوِيَّةَ الَّتِي أُلْقِيَتْ عَلَى نَجَازَاكِ، وَالْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ.

إِنَّهُ فَيَرُوسٌ مَيِّتٌ تَدِبُّ بِهِ الْحَيَاةُ فِينَا وَمِنَّا؛ لِيُسَمَّى (الْكُورُونَا)، وَيَزْدَادَ السُّؤَالُ غُمُوضًا: هَلْ فَعَلًا دَخَلَ الْعَالَمُ فِي أَتُونِ الْحُرُوبِ النَّفْسِيَّةِ وَالْفَيْرُوسِيَّةِ؟ وَهَلْ كُرُونَا هِيَ بَدَايَةُ حُرُوبِ الْفَيْرُوسَاتِ؟ لِيُصْخِرَ الْعَالَمُ أَدَاةَ فَاعِلَةٍ لِدَمَارِ خَلْقِهِ بِخَلْقِهِ، أَمْ أَنَّهُ قَدَرٌ إِلَهِيٌّ مُوَكَّلٌ بِالْأَرْضِ، مُرْسَلٌ مِنَ اللَّهِ تَخْوِيفًا لِلْخَلْقِ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ؟

فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ فَإِنَّا نَحْسِبُ لِلْمَمْلَكَةِ إِدَارَةَ طُرُقِ الْعِلَاجِ وَالتَّحْصِينَ بِمَا يُشْعِرُ الْإِنْسَانَ السُّعُودِيَّ بِأَنَّهُ عَزِيزٌ وَغَالٍ عَلَى قِيَادَتِهِ مَلِكًا وَوَلِيًّا لِلْعَهْدِ - حَفِظَهُمَا اللَّهُ - فِي الْبَدَلِ بِالْغَالِي وَالنَّفِيسِ لِحَيَاةِ الْإِنْسَانِ.

وَهَا نَحْنُ قَدْ انْتَهَتْ كُورُونَا وَزَالَ الْخَوْفُ إِلَى حَدٍّ كَبِيرٍ، إِلَّا مِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ، نَتَسَاءَلُ: كَيْفَ سَيَمْضِي الْعَالَمُ بِحَيَاتِهِ الْجَدِيدَةِ بَعْدَ تِلْكَ الْقُوَّةِ الْخَارِقَةِ الْمَيِّتَةِ الْحَيَّةِ؟ وَهَلْ هُوَ مُتَّجِهٌ إِلَى خَيْرِ الْأَرْضِ أَمْ إِلَى شَرِّهَا؟ اسْأَلُوا الْغَيْبَ لَوْ أَجَابَ عَمَّا يَحْمِلُهُ قَادِمُ الْأَيَّامِ مِنْ صَرَاعَاتِ الْحَيَاةِ مَعَ الْحَيَاةِ.. وَفِي كُلِّ الْأَحْوَالِ نَحْنُ رَهْنُ صَنَائِعِ الثَّوَانِي وَأَحْدَاثِهَا الَّتِي تَمُرُّ دُونَ تَقْدِيرِهَا وَتَقْدِيرِنَا وَإِرَادَتِنَا.

إِنَّهَا جُيُوشُ الْغَيْبِ.

25 أَيْسُونَر 2021م

الْمَثَلُ الْأَعْلَى

هُمْ فِي دَوَاخِلِهِمْ مُثْقَلُونَ مِنْ تَرَكَمَ مَا يَتَحَمَّلُونَ طِيلَةَ سِنِي عُمْرِكَ الْبَهِيجِ، وَهُمْ يَرَوْنَ وَيَسْمَعُونَ وَيَعِيشُونَ فِي دَاخِلِ حَيَاتِهِمْ قِصَّةَ كِفَاحِكَ الَّذِي تَسَامَيْتَ بِهِ مَجْدًا، وَبَنَيْتَ بِهِ قِيَمَةً، وَخَلَدْتَ بِهِ اسْمًا وَقَدَرًا قِوَامُهُ الْخُلُقُ الْعَالِي، وَالصَّدْقُ وَالشَّجَاعَةُ وَالْفَضِيلَةُ وَالْفَضْلُ وَالْعِلْمُ وَالْأَدَبُ وَالْإِيْتَارُ، وَمِنْ طَبِيعَةِ الْجُحُودِ وَالْجَاحِدِينَ أَنَّهُمْ لَا يَعْتَرِفُونَ وَلَنْ يَعْتَرِفُوا لَكَ بِأَنَّكَ كُنْتَ - وَمَا زِلْتَ - مُؤَثِّرًا فِي تَشَكِيلَةِ حَيَاتِهِمْ الْأَخْلَاقِيَّةِ إِلَى حَدٍّ مَا، وَأَنَّكَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى الَّذِي مَنَحْتَهُمُ الْحُبَّ وَالْفِدَاءَ وَالْبَذْلَ وَالْعَطَاءَ، لَكِنَّكَ مَثَلٌ أَعْلَى يُوجِعُهُمْ ذِكْرُهُ وَوُجُودُهُ، وَرُؤْيَاهُ بَيْنَهُمْ، وَإِنْ كَانُوا يَتَمَنُّونَ طَمَسَ حَقَائِقِهِ وَتَغَيَّرَ جَمَالُهُ دُونَ جَدْوَى، يُرِيدُونَ أَنْ عَقْلَكَ وَتَفَكِيرَكَ وَنَزَاهَتَكَ وَحُبَّكَ لِلنَّاسِ وَحُبَّ النَّاسِ لَكَ أَنَّهُ لَهُمْ، بَلْ وَيَتَوَهَّمُونَهُ. إِنَّهُمْ يَعِيشُونَكَ فِي دَوَاخِلِهِمْ، مُتَأَثِّرِينَ بِخَلَائِقِكَ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ نَزْعَ أَنْفُسِهِمْ مِنْكَ؛ إِذْ إِنَّهُمْ فِي قَرَارَةِ نُفُوسِهِمْ يَرَوْنَ (أَنْهُمْ أَنْتَ)، وَ(أَنْكَ هُمْ)، يُحَاوِلُونَ أَنْ يَتَقَمَّصُوا شَخْصِيَّتَكَ فِي الْخَفَاءِ، وَمِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، دُونَ أَنْ تَرَاهُمْ؛ حَتَّى لَا يَنْتَقِصَ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِيَّتِهِمُ الْإِنْسَانِيَّةِ حِينَ يُفْتَضِّحُ تَأْثِيرَكَ عَلَيْهِمْ أَخْلَاقِيًّا. وَلَا ضَيْرَ إِذَا كَانَتْ تِلْكَ خَلَائِقُ النُّفُوسِ، وَكَانَتْ مِنْ سُنَنِ الْعِدَاوَاتِ الْمُورَثَةِ بِالْفِطْرَةِ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ.

أَنْتَ هُنَا يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَبْتَسِمَ ابْتِسَامَةَ الرِّضَا وَالْفُوزِ وَالنَّجَاحِ؛ لِأَنَّكَ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مُؤَثِّرًا بِخَيْرٍ نَفْسِكَ عَلَى طُفُولَةِ أَفْكَارِهِمْ وَتَطَرُّفِهَا، وَشَقَاءِ تَفَكِيرِهِمْ، فَتَبْدُلَ إِلَيْهِمْ أَكْثَرَ مِنْ صَادِقِ حُبِّكَ عَلَيْهِمْ، وَمِنْ الذُّودِ بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ وَالْفِكْرِ الْفَاعِلِ فِي اعْتِنَاقِ الْخَيْرِ وَانْتِظَارِ جَوَائِزِهِ مِنَ اللَّهِ، وَالْإِشَاحَةِ عَنْ ظَلَامِ نُفُوسِهِمْ، فَتَكُونَ وَكَانَكَ كُنْتَ لَهُمْ - وَمَا زِلْتَ - نُورًا وَهَاجًا يُنِيرُ ظَلَامَ نُفُوسِهِمْ عِنْدَمَا تَتَرَكُ بَصَمَاتِ أَخْلَاقِيَّةٍ جَمِيلَةٍ عَلَيْهِمْ، حَتَّمَا سَتَكُونُ هِيَ مَنْ فَرَضْتَ عَلَى نُفُوسِهِمُ التَّأْسِّيَ بِخُلُقِكَ الطَّيِّبِ دُونَ إِزَادَتِهِمْ، وَلَكِنْ بِحَسَابَاتِهِمُ الْوَاهِمَةِ أَنَّهُمْ - كَمَا قُلْنَا - يُبَرِّرُونَ لَأَنْفُسِهِمْ (أَنْهُمْ أَنْتَ)، بِكُلِّ جَمَالِ رُوحِكَ وَأَخْلَاقِكَ وَإِبْدَاعِكَ، وَأَنَّكَ (أَنْتَ هُمْ). رَائِعٌ جَدًّا أَنْ تَكُونَ أَخْلَاقَكَ وَصِفَاتِكَ مَسْكُونَةً بِهِمْ إِرْثًا جَمِيلًا، عَلَى رَغْمِ كُرْهِهِمْ وَحِقْدِهِمْ وَحَسَدِهِمْ لَكَ وَهُمْ دُونَ وَعِي مِنْهُمْ يَسِيرُونَ عَلَى نَهْجِكَ وَخُطَاكَ، حَتَّى وَإِنْ كَانَ اسْمُكَ وَشَكْلُكَ وَوُجُودُكَ مُحْزَنًا وَجَارِحًا لَهُمْ، وَلِجَهْلِهِمْ بِالْحَقِّ وَالْحُبِّ، وَإِنَّ النَّفْسَ الْأَمَّارَةَ بِالْخَيْرِ هِيَ نَفْسُكَ الَّتِي أَعَزَّهَا اللَّهُ بِفَضْلِهِ،

فَلَهُ الْحَمْدُ عَلَى نِعَمِ هُمْ يَعِيشُونَهَا فِي غَيْرِهِمْ عَلَى أَلَمٍ وَشَقَاءٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ؛ لِمَا تَتَمَتَّعُ بِهِ تِلْكَ النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ مِنْ قُدْرَاتٍ وَتَقْدِيرٍ مِنْ أَصْحَابِ الْهَمِّ الْعَالِيَةِ وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ. وَهُوَ مَا أَحَالَ نَفْسِيَّاتٍ مَنْ هُمْ حَوْلَهُ بَعْدَ الْوُدِّ إِلَى النُّظْرَةِ الْوَاحِدَةِ، وَيَسْأَلُونَ الْأَقْدَارَ كَيْفَ أَنَّهُ يَسْتَمْتَعُ بِنِعْمَةِ الصَّفَاءِ وَالنَّقَاءِ وَطِيبِ الذِّكْرِ، فَهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُونَ - كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ - {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [الصف: 8] .

إِنَّهُمْ مُضْحِكُونَ حِينَ يَتَوَهَّمُونَ أَنَّهُمْ صَنَعُوا لَهُمْ قِيَمَةً وَقَدْرًا بَنَوْهُ عَلَى انْقِاضِ الْأَوْهَامِ وَالْخَيَالَاتِ وَالْقَالَ وَالْقِيلِ، وَمُبْكُونَ كَثِيرًا عَلَى حَالٍ يَجْدُرُ بِالْعَارِفِينَ وَالْعُقَلَاءِ النَّظَرُ إِلَيْهِمْ فِيهَا بَعَيْنِ الشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ، حِينَ يَفْتَقِدُونَ الْحِكْمَةَ وَنُورَ الْبَصِيرَةِ، وَيَسِيرُونَ فَلَا يَهْتَدُونَ بِهِدْيِ الْعُقَلَاءِ وَأَهْلِ الْبَيَانِ وَالْعِلْمِ؛ إِنَّمَا جُلُّ اعْتِمَادِهِمْ عَلَى إِثَارَةِ غُبَارِ الْكَلَامِ الضَّارِّ لَهُمْ، وَعَلَى صِحَّتِهِمْ، وَإِنَّهُمْ غَيْرُ مُحَدِّثِينَ جَدِيدًا يَنْفَعُهُمْ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ لَكِنِّي يُظَلِّهِمْ أَوْ يُقِيلُهُمْ مِنْ عَثَرَاتِ أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، وَلَكِنَّ عَذْرَهُمُ الْوَحِيدَ إِذَا كَانَ حَقْدُهُمْ دَاءً مَرَضِيًّا لَا يُرْجَى بُرْؤُهُ فِيمَنْ أَعْيَاهُ الْكِبَرُ وَأَضَلَّهُ الْعُرُورُ، وَصَاحِبُهُ الْجَهْلُ، فَيَكُونُ كَمَنْ عَنَاهُ أَبُو (مُحَمَّدٍ) رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ:

وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى

لَا فُضَّ فُوكَ.. وَلَيْسَ صَحَّ لِسَانُكَ

عَنْدَ اسْتِحْسَانِكَ لِقَصِيدَةِ مِنَ الشُّعْرِ الْفَصِيحِ تَقُولُ: (لَا فُضَّ فُوكَ)، وَلَا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَقُولَ: (صَحَّ لِسَانُكَ)، إِلَّا لِلْكَلامِ النَّبْطِيِّ وَالشُّعْبِيِّ الَّذِي لَا أَعُدُّهُ يَمْتَلِ قِيَمَةَ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْفَصِيحِ، وَإِنْ كُنْتَ قَدْ جَارَيْتَهُ؛ لِكَيْ لَا يُقَالَ: إِنَّهُ السَّهْلُ الْمُمْتَنِعُ. وَلِي فِي ذَلِكَ الشُّعْرِ الْمَرْعُومِ - وَمَا يُزَعَمُ (قَصِيدَةُ النَّثْرِ) - مَقَالَاتٌ مَبْنُوثةٌ عَبْرَ مَقَالَاتٍ كُنْتُ نَشَرْتُهَا فِي كُتُبِي، فَتِلْكَ أَقْوَالٌ وَلَيْسَتْ شِعْرًا تَعَارَفَ عَلَيْهِ الْعَرَبُ، وَالَّذِي تَحَدَّثَ عَنْهُ الْقُرْآنُ فِي «سُورَةِ الشُّعْرَاءِ»، ذَلِكَ هُوَ الشُّعْرُ الْعَرَبِيُّ الْفَصِيحُ، وَإِلَّا هَدَمْنَا لُغَةَ الْقُرْآنِ بِمَا يَزْعُمُونَهُ وَيُلْصِقُونَهُ بِالشُّعْرِ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ الْكَلَامَ الشُّعْبِيَّ وَالنَّبْطِيَّ وَقَصِيدَةَ النَّثْرِ نَأْخُذُهُ عَلَى مَحْمَلِ التَّسْلِيَةِ؛ فَهُوَ كَلَامٌ مُمَوَّسَقٌ مَلْحُونٌ، يُطْرَبُ الدَّهْمَاءُ وَالْبُسَطَاءُ وَمَنْ لَمْ تُخْلَقْ فِيهِ مَوْهَبَةُ الشُّعْرِ الْفَصِيحِ الَّذِي يَقُومُ عَلَى الْوِزْنِ وَالْقَافِيَةِ، إِذْ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ فِي مِدَادِ بُحُورِ الشُّعْرِ بَحْرٌ، وَمَا تَعَرَّضَ لَهُ النُّقَادُ وَالنَّقْدُ فِي كُلِّ تَارِيخِ التَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ وَالْمُتَّفِقُ عَلَيْهِ هُوَ الشُّعْرُ الْفَصِيحُ، وَغَيْرُهُ مِنَ الْكَلَامِ الْمَلْحُونِ الَّذِي يَفْتَقِرُ إِلَى اللُّغَةِ الْفُصْحَى لَيْسَ مِنْ دِيْوَانِ الْعَرَبِ فِي شَيْءٍ. وَمَعَ الْأَسَفِ، تَجَدُّهُ فِي كُلِّ الْمَحَافِلِ فِي عَصْرِ الْإِنْهْيَارِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي كَانَ مِنْ آثَارِهِ هَذَا الضَّعْفُ الْفِكْرِيُّ وَالْعِلْمِيُّ وَالْأَدَبِيُّ، وَرَحِمَ اللَّهُ أُمَّةً سَادَتْ ثُمَّ بَادَتْ.

16 أُوْتُوْبَر 2023 م

مَعْرَكَةُ أَبْطَالِ غَزَّةَ وَخِطَابِ السَّيِّدِ حَسَنِ نَصْرِ اللَّهِ

الْبَعْضُ يَتَرَقَّبُ خُطَابَ السَّيِّدِ حَسَنِ نَصْرِ اللَّهِ، وَالَّذِي أَحْسَبُهُ مِنْ رُؤْيَيْي الْخَاصَّةِ سَيَكُونُ خُطَابًا فَارِعًا - كَالْعَادَةِ - مُجَرَّدَ إِثَارَةِ إِعْلَامِيَّةٍ لَا يَحْمِلُ مَضَامِينَ فَاعِلَةٍ، وَلَنْ يَتَعَدَّى أَنْ يَقُولَ حَسَنُ نَصْرٍ: إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ شَارَكَ فِي تَخْفِيفِ الضَّغْطِ عَنْ أَبْطَالِ غَزَّةَ، وَإِنَّ الْحِزْبَ فَقَدْ خَمْسِينَ مُجَاهِدًا، وَرَمَى بِصَوَارِيخٍ قَتَلَتْ نَفَرًا مِنْ جُنُودِ الْعَدُوِّ الصَّهْيُونِيِّ، وَإِنَّ عَلَى إِسْرَائِيلَ إِيقَافَ الْحَرْبِ وَتَبَادُلَ الْأَسْرَى بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ، وَإِنَّ فِكْرَةَ تَهْجِيرِ الْفِلَسْطِينِيِّينَ مِنْ غَزَّةَ مَرْفُوضَةٌ بِالْكُلِّيَّةِ، وَسَوْفَ يُزْعَدُ وَيُزِيدُ وَيَتَوَعَّدُ كَعَادَتِهِ، فَسَرَى جَفَجَةً وَلَنْ نَرَى طَحْنًا، وَسَوْفَ يُعِيدُ مَقُولَةَ إِيْرَانِ بِأَنَّهُ إِذَا لَمْ تَتَوَقَّفْ إِسْرَائِيلُ عَنْ عُدْوَانِهَا عَلَى غَزَّةَ فَسَيَدْخُلُ حِزْبُ اللَّهِ الْحَرْبَ بِكُلِّ قُوَّاتِهِ، وَإِنَّ جَمِيعَ مَنْطَقَةِ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ سَتَشْتَعِلُ، وَلَنْ يَكُونَ اسْتِغْرَارٌ لِإِسْرَائِيلَ، وَسَيَبْقَى عَلَى غَزَلِهِ الْعَسْكَرِيُّ مَعَ الْكِيَانِ الصَّهْيُونِيِّ كَمَا هِيَ الْحَالُ بِإِرْسَالِ بَضْعِ صَوَارِيخٍ؛ لِأَنَّ حِزْبَ اللَّهِ بِقِيَادَةِ حَسَنِ نَصْرِ اللَّهِ لَوْ دَخَلَ حَرْبًا فَعَلِيَّةً ضِدَّ إِسْرَائِيلَ فَإِنَّهُ يَكُونُ قَدْ أَنْهَى سِلَاحَهُ وَوُجُودَهُ وَوُجُودَ حِزْبِهِ السِّيَاسِيِّ فِي لُبْنَانَ، وَلَا أَعْتَقِدُ أَنَّ حَسَنَ نَصْرِ اللَّهِ مِنَ الْغَبَاءِ بِحَيْثُ يُعَايِرُ بِحَيَاتِهِ السِّيَاسِيَّةِ وَحَيَاةِ لُبْنَانَ وَاللُّبْنَانِيِّينَ، وَإِنْ كُنَّا نَتَمَنَّى أَنْ يَشَارَكَ فِي الْحَرْبِ لِنُصْرَةِ أَبْطَالِ غَزَّةَ الَّذِينَ دَفَعَهُمْ هُوَ وَإِيْرَانُ لِحُوضِ حَرْبِهَا غَيْرِ الْمُتَكَافِئَةِ فِي الْعَدَدِ وَالْعِتَادِ، وَلَوْ أَنَّنا نُشِيدُ بِطُلُولاتِ الْمُجَاهِدِينَ الْفِلَسْطِينِيِّينَ فِي غَزَّةَ، وَنُقَوِّي مِنْ أَرْهَمِ وَرِبَاطِهِمْ، وَنَطْلُبُ لَهُمُ الثَّبَاتَ وَالْقُوَّةَ وَالنُّصْرَ عَلَى عَدُوِّهِمُ الْبَاغِي الْمَتَغَطِّسِ بِقُوَّةِ أَمْرِيكََا وَمُؤَاوَزَتِهَا لَهُ، وَلَنْ نَنْسَى مَا حَيَّنَا شُهَدَاءَ الْحَقِّ، وَسَدَّعُوا اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَهُمْ فِي عِلِّيْنِ، وَفِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى، وَيُنْزِلَهُمْ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ؛ فَوَاللَّهِ إِنَّهُمْ أَبْطَالٌ حَقًّا، زَلْزَلُوا الصَّهَائِنَةَ الْإِسْرَائِيلِيَّةِينَ، وَأَوْجَعُوهُمْ وَأَقْصَوْا مَضَاجِعَهُمْ، وَأَظْهَرُوهُمْ لِلْمَلَأِ كُلِّهِ أَنَّهُمْ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْمُجْرِمِينَ الَّذِينَ لَا يَنْتَمُونَ إِلَى الْإِنْسَانِيَّةِ بِحَالٍ، وَقَدْ أَزَالُوا مَقُولَةَ: «إِسْرَائِيلُ الَّتِي لَا تَقْهَرُ وَلَا تُهْزَمُ»، وَإِنْ أُمْنَتْنَا الْإِسْلَامِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ حَقَّقَتْ بِحَقْنَةٍ مِنْ رِجَالِ غَزَّةَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا يُجَاهِدُونَ وَيَرْمُونَ قَنَابِلَ وَرِصَاصًا بِضِرَاقَةٍ وَقُوَّةِ قُلُوبِهِمْ وَشَجَاعَتِهِمْ وَبَسَالَتِهِمْ وَجِهَادِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَلْ نَحْنُ مَعَهُمْ، وَلَنْ نَهْضِمَهُمْ حَقَّهُمْ فِي الْجِهَادِ، بَلْ أَنَا وَاحِدٌ مِنَ الَّذِينَ يَفْخَرُونَ بِأَبْطَالِ غَزَّةَ، وَقَدْ كَتَبْتُ شِعْرًا، وَمَا زِلْتُ رَافِعًا يَدَيَّ إِلَى اللَّهِ أَنْ يُمِدَّهُمْ بِجُنُودٍ مِنْ عِنْدِهِ لَا قِبَلَ لِلصَّهَائِنَةِ بِهَا، وَيَهْزِمَهُمْ وَيَمْرِقَهُمْ شَرَّ مُمْزِقٍ، وَيُدْمِرَهُمْ

وَأَمْرِيكَ وَأُورُوبَا، وَلَكِنْ إِلَى مَتَى سَيَصْمُدُ أَبْطَالُ غَزَّةَ وَحَدَهُمْ؟ وَكَلَامُنَا لَيْسَ إِحْبَاطًا لَهُمْ، أَوْ لَنَا، بِقَدْرِ مَا هُوَ عَقْلٌ يَتَوَخَّى الْحِكْمَةَ، إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ بِحَرْبٍ يَجْتَمِعُ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ عَلَى قَلْبٍ رَجُلٍ وَاحِدٍ، تَكُونُ فِيهَا الْهَزِيمَةُ الْكُبْرَى لَهُؤُلَاءِ الْأَمْرِيكِيِّينَ وَالْأُورُوبِيِّينَ وَالْيَهُودِ الْخَنَازِيرِ أَبْنَاءِ الْفِرْدَةِ، فَاللَّهُ صَادِقٌ وَعْدُهُ، وَإِنَّهُمْ سَيَهْزَمُونَ وَيُولُونَ الدُّبْرَ، عِنْدَمَا يُتِمَّ اللَّهُ أَمْرَهُ، وَلَكِنَّ الْمَنْطِقَ وَالْعَقْلَ يَقُولَانِ: إِلَى مَتَى سَيَتَحَمَّلُ أَبْطَالُ غَزَّةَ هَذَا الْعُدْوَانَ الَّذِي تُؤَيِّدُهُ أَمْرِيكَ وَالْعَرَبُ، وَيُسَهِّمُونَ بِالسَّلَاحِ وَالْمَالِ فِي تَاجِيجِ نَارِهِ فِي الْمَنْطِقَةِ وَفِي غَزَّةَ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ؛ لِأُمُورٍ يَعْلَمُهَا اللَّهُ؟ فَرُبَّمَا هُمْ يُخْطِطُونَ لِإِخْتِلَالِ الْمَنْطِقَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَهَذَا هَدْفُهُمْ بِالْفِعْلِ مُنْذُ أَنْ خَطَّطَ دَهَاقَتُهُمْ الْأَوَّلُونَ، كَمَا يَزْعُمُونَ أَنَّنَا مِنَ الْأُمَمِ الْمُتَخَلِّفَةِ الَّتِي لَا تَسْتَحِقُّ الْحَيَاةَ، وَلَيْسَ لَنَا سَبِيلٌ إِلَّا لَوْ اتَّحَدَ الْعَرَبُ وَالْمُسْلِمُونَ، وَاسْتَعْمَلُوا حُقُوقَهُمْ فَقَطْ بِمَقَاطَعَةِ أَمْرِيكَ وَأُورُوبَا، وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ؛ فَوَاللَّهِ سَيُعِيدُ الْعَرَبُ وَأَمْرِيكَ حَسَابَاتِهِمْ، وَيَعُودُونَ رَعْمًا عَنْهُمْ عَنْ صِلَفِهِمْ وَمُنَاصَرَةِ إِسْرَائِيلَ، وَسَتَكْفُ أَمْرِيكَ وَأُورُوبَا عَنْ غَرَسِ الْمَكَائِدِ لِإِضْعَافِ الْمُسْلِمِينَ خَوْفًا مِنْ تَأْلِفِهِمْ وَسَطَوَتِهِمْ، وَسَيَرْحَلُونَ صَاغِرِينَ عَنْ أُمَّةِ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَنْشَغِلُونَ بِقَضَايَاهُمْ الْخَاصَّةِ، وَلَكِنْ هِيَئَاتِ وَالسِّيَاسَةُ الْإِعْلَامِيَّةُ التَّرْهِيبِيَّةُ وَالْخُصُومَاتُ وَالْعَدَاوَاتُ الَّتِي تَفْتَعِلُهَا أَمْرِيكَ وَأُورُوبَا - مِنْ بَعْضِنَا ضِدَّ بَعْضٍ، مِنْ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ -، وَهِيَ أَهْمُ سَبَبٍ لِفُرْقَتِهِمْ وَإِضْعَافِهِمْ حَتَّى يَنْقُضُوا عَلَيْنَا فُرَادَى، وَيَنْهَبُوا ثُرُوتَ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَنُصَبِّحَ - نَحْنُ الْعَرَبُ وَالْمُسْلِمِينَ - عِبِيدًا لَهُمْ، لَا نَمْلِكُ مِنْ أَمْرِنَا إِلَّا مَا يَأْمُرُونَنَا بِهِ وَنَحْنُ مُدْعِنُونَ لَهُمْ، طَالِبُونَ حِمَايَتَهُمْ لَنَا بَعْضُنَا مِنْ بَعْضٍ، وَهُمْ يَرْقُصُونَ عَلَى جَنَائِزِ قَتْلَانَا وَدَفَائِنِنَا، كَمَا يَفْعَلُونَ الْيَوْمَ، وَلَا يُحْسِنُونَ بِمَا الْحَقُّوهُ بِأَمْتِنَا مِنْ دَمَارٍ وَإِزْهَاقِ أَرْوَاحِ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ وَالشُّيُوخِ وَالشَّبَابِ، وَقَدْ تَنَصَّلُوا مِنْ كُلِّ الْأَخْلَاقِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْأَعْرَافِ الدَّوْلِيَّةِ؛ فَيَدْمُرُونَ الْمَبَانِيَ عَلَى رُؤُوسِ أَهْلِهَا دُونَ حَيَاءٍ، وَدُونَ إِحْسَاسٍ بِأَدَمِيَّةِ الْإِنْسَانِ، فَيَرَاهُمْ هَمَجًا مُتَوَحِّشِينَ يَتَفَنَّنُونَ فِي قَبْحِهِمْ وَحَيَوَانِيَّتِهِمْ بِقُوَّةِ السَّلَاحِ الَّذِي يَفْتَكُونَ بِهِ بِالْأَمَمِ، وَيُفَنِّونَهُمْ بُغْيَةً أَنْ تَكُونَ الْحَيَاةُ لَهُمْ فَقَطْ؛ لَذَا فَإِنَّ جُنُونَ الْقُوَّةِ الْمُتَعَاظِمَةِ الظَّالِمَةِ لَنْ يَبْقِيَ لِحَسَنِ نَصْرِ اللَّهِ قَوْلًا يَشْفِي غَلِيلَ الْأُمَّةِ، وَأَنَا شَخْصِيًّا لَا أَوَمِّلُ كَثِيرًا فِي خِطَابِ السَّيِّدِ حَسَنِ نَصْرِ اللَّهِ؛ لِأَنَّ الْأُمُورَ مُخْتَلِفَةً، وَالْكَفَاءَاتِ الْعَسْكَرِيَّةَ غَيْرَ مُتَوَازِنَةٍ، إِلَّا بِحَرْبٍ انْتِحَارِيَّةٍ يَدْخُلُهَا الْعَرَبُ وَالْمُسْلِمُونَ جَمِيعًا؛ لِتَتَحَقَّقَ مَقُولَةُ: «إِنَّمَا النَّصْرُ وَإِنَّمَا الشَّهَادَةُ»، وَاللَّهُ بَالِغُ أَمْرِهِ، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ.

فَقَدُ الْأَحِبَّةِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَهُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ، وَاسْتَغْفِرُهُ وَاتُّوبُ إِلَيْهِ، لَهُ الْمُلْكُ مُسْتَوِيًّا عَلَى عَظِيمِ عَرْشِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَلَقَ فَسَوَّى، وَقَدَّرَ فَهَدَى، نَحْمَدُهُ حَمْدَ الرِّضَا عَلَى الْبَلَاءِ وَالْقَضَاءِ، وَعَلَى الْحَيَاةِ وَالرِّزْقِ وَالْمَوْتِ وَعَيْشِ السُّعْدَاءِ.

إِنَّ مَرَضَ الْفَقْدِ لِلْأَبْوَيْنِ هُوَ الْمَرَضُ، وَلَا مَرَضَ غَيْرُهُ؛ فَقَدْ فَقَدْتُ أَبِي، وَاحْتَسَبْتُهُ عِنْدَ اللَّهِ، وَدَفَنْتُ مَعَهُ نِصْفَ أَفْرَاحِي، وَفَقَدْتُ أُمِّي، فَاحْتَسَبْتُهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَدَفَنْتُ مَعَهَا النِّصْفَ الْآخَرَ مِنْ أَفْرَاحِي، وَلَمْ يُوْهِنْ عَزِيمَتِي مَرَضُ بِفَضْلِ اللَّهِ، وَمَا شَاءَ اللَّهُ، فَأَنَا بِخَيْرِ وَصِيحَةٍ مِنَ اللَّهِ الْبَرِّ الرَّحِيمِ، وَلَمْ يُقْعِدْنِي الْمَلَلُ عَنِ الْعَمَلِ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: {وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} [التوبة: 105]، اَتَمَتَّ بِفِكْرِ نَاضِجٍ عَالِي الْأَنْجَازَاتِ، بِفَضْلِ اللَّهِ، وَكَلَّمَا تَقَادَمَتْ بِي السُّنُونُ زُوِدْتُ عِلْمًا وَحِكْمَةً وَحِلْمًا وَذِكَاةً وَقُدْرَةً وَاقْتِدَارًا عَلَى بُلُوغِ الْأَمَالِ، وَمَا زِلْتُ مُتَعَلِّقًا بِرِضَا اللَّهِ، أَدْعُوهُ، وَهُوَ فِي نَفْسِي يُمَثِّلُ الرِّضَا كُلَّهُ، وَالسُّلْوَانَ كُلَّهُ، وَالصَّبْرَ كُلَّهُ، أَحْسُ بِقُوَّتِي مِنَ اللَّهِ تَزْدَادُ مَدًا مَا شَاءَ اللَّهُ، فَلَا أَجْدَ سَبِيلًا إِلَى الضَّعْفِ، وَأَنَا أَشْعُرُ بَأَنَّ اللَّهَ يَقِفُ إِلَى جَوَارِي، يَشُدُّ مِنْ عَزِيمَتِي، وَيُنِيرُ لِي بَنُورَ الْبَصِيرَةِ مِنْ لَدُنْهُ مَا لَا يَتْرُكُ لِي فَرَاغًا يُقْصِنِي عَنِ النَّوَالِ حَتَّى الْحَقَّ بِهِ فِي جَنَاتِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ عَلَى طَاعَتِهِ وَحُبِّهِ وَهَدَاهُ وَتَقْوَاهُ، ثُمَّ تَعُودُ أَفْرَاحُنَا فِي جَنَاتِ النِّعِيمِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ، لَسْتُ مَرِيضًا، وَكَيْفَ يَدْعِي الصَّحِيحُ الْمَرَضَ وَهُوَ مَنْ يَتَمَتَّعُ بِالْعَفْوِ وَالْعَافِيَةِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ جَاحِدًا لِأَنْعَمِ اللَّهِ، نَاكِرًا لِفَضْلِهِ؛ إِنَّمَا فَقَدُ الْأَحِبَّةِ لَهُ تَبَاعُثُهُ، يَخْتَلِفُ مِنْ نَفْسٍ شَفَافَةٍ إِلَى نَفْسٍ نَفَاثَةٍ.

هَذَا أَنَا فِي نِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَمَلٍ وَعَمَلٍ، إِلَّا أَنَّنِي لَمْ أَعُدْ أَمِيلُ إِلَى الْكَلَامِ وَالتَّعْلِيقَاتِ وَهَذَرِ الْقَوْلِ، وَإِنِّي مُحْتَفِظٌ لِمَنْ أَحَبَّنِي فِي اللَّهِ بِحُبِّ فِيهِ الدُّعَاءُ بِأَنْ يُسَبِّحَ عَلَيْنَا جَمِيعًا مِنْ وَاسِعِ فَضْلِهِ وَهَدَاهُ وَرِضَاهُ وَتَقْوَاهُ، إِلَى أَنْ نَلْقَاهُ فِي صُحْبَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ أَفْضَلُ وَأَزْكَى الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، وَعَلَى آلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ الْأَطْهَارِ.

أَحْبَبُكُمْ وَرَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكِنِّي لَنْ أَسْتَطِرِدَ بِكَثْرَةِ الْكَلَامِ إِلَّا فِيمَا يَغْنِينِي
وَشَأْنِي مَعَ اللَّهِ، وَسَأَشْمَلُكُمْ مَعِيَ بِالْدُّعَاءِ.

سَاحِيَّكُمْ وَأَبْتَسِمُ لَكُمْ عَلَى الْبُعْدِ، وَأَرَاكُمْ فِي قَلْبِي كِرَامًا، فَأَعْذُرُونِي وَأَعْذُرْكُمْ فِي
التَّقْصِيرِ غَيْرِ الْمُتَعَمِّدِ، وَادْعُوا لِي، وَأَنَا أَدْعُو فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ، أَشْعُرُ بِكُمْ وَبِحَبِّكُمْ كَمَا
تَحِبُّونِي.

حَفِظْكُمْ اللَّهُ وَوَفَّقْكُمْ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى، وَيُسْعِدْكُمْ وَيُرْضِيَكُمْ بِرِضَاهُ، أَسْأَلُ اللَّهَ لِي
وَلَكُمْ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ وَالسَّتَرَ وَالسَّعَادَةَ وَالْغِنَى وَكُلَّ الْمُنَى وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

7 نُوْفَمْبَرِ 2022م

كثيرٌ عليَّ

كثيرٌ عليَّ حينَ تكونُ أنتَ خَيِّبَةَ الْأَمَلِ الَّذِي رَوَيْتُهُ بِالشَّغَفِّ وَالْحُبِّ، وَأَنْزَلْتُهُ الْقَلْبَ،
وَأَمْهَرْتُهُ بِدَمِي، وَاصْطَنَعْتُ لَهُ مِنْ أَنْوَارِ الشُّمُوسِ ذَلِكَ الْغَدَّ الضَّاحِكَ عَلَى أَفَانِينَ الْحَيَاةِ،
وَأَنَا أَكَابِدُ فَتَحَ مَغَالِقِ الْبَهْجَةِ إِلَيْكَ لِأَرَاكَ السَّائِرَ عَلَى أَشْلَائِي، وَأَنْتَ الْمُمْتَلِئُ بِعَشْقِي حَدَّ
التُّخْمَةِ، وَأَنَا اللَّاهِثُ أَقْفُو أَثْرَكَ فِي مَتَاهَاتِ الْوَقْتِ؛ لِأَكُونَ وَحْدِي السَّاكِنَ فِيكَ، وَأَنْتَ
تُسَلِّمُنِي إِلَى الْفَرَاغِ، إِلَى لَا شَيْءٍ، إِلَى حَيْرَتِي وَحُزْنِي الْغَارِقِ فِي بَحْرِكَ اللَّجْجِيِّ، أَقَاوِمُ
أَمْوَاجَكَ الْعَاتِيَةَ لِأَحْيَا، أَتَسَمُّ بِهَاءِ اللَّحْظَةِ الَّتِي تُؤَنِّسُنِي حِينَ تَمُرُّ عَلَى عُيُونِي طَيْفًا يُدَاعِبُ
انْكِسَارَاتِ عُمْرِي الْبَرِيِّ.. كثيرٌ عليَّ أَنْ أَرَاكَ مُتَجَسِّدًا لِلْآخِرِينَ حَقِيقَةً وَتَكُونَ لِي وَهْمًا
أَرْضِي بِهِ مُرْغَمًا، وَأَعْلَلُ نَفْسِي بِأَنَّكَ الرَّبِيعُ الْقَادِمُ يَمْلَأُ خَرِيفِي بِالْخِصْبِ وَالْحُبِّ.. كثيرٌ
منكَ إِلَّا أَكُونَ أَنَا، وَأَنْ يَكُونَ هُوَ.

9 نُوْفَمْبَرِ 2012م

خَاطِرَةٌ

فِي بَيَادِرِ الطُّيُوفِ وَجَدْتُهَا نَاعِمَةً بِفُيُوضِ الْمَعْرِفَةِ، تَخْتَلِقُ مِنَ الْحُرُوفِ مَعَانِي مِنْ مَوَاطِرِ الْغُيُومِ، وَمِنْ لُحُونِ الْكَلَامِ أَغَانِي تَلْجُ الْقَلْبَ كَمَا (يَلْجُ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ). التَّقِيْتُ مَعَهَا مِنْ خِلَالِ نَافِذَةِ الْبُوحِ الْإِبْدَاعِي فَجَاءَتْ؛ حَيْثُ كَانَتْ تَتَوَارَى خَلْفَ حِجَابِ النَّهَارَاتِ، تَخْتَلِسُ النَّظَرَاتِ مِنْ خَلْفِ جِدَارِ رُجَاجِي شَفَافٍ، تَتَلَمَّسُ أَعْيَادَ الْحُرُوفِ عَلَى رِيَاضِ الزُّهُورِ، تَتَخَيَّرُ مِنَ الْوُرُودِ وَالْأَسِّ وَالْقَرْنِفَلِ وَالْفَلِّ قَطَافَ بَاقَاتِ الْجَمَالِ النَّشْرِ الَّذِي يَعْْبَقُ بِعُطُورِ اللُّغَةِ حِينَ الْبَسْتِهَا ثِيَابًا مِنْ سُندُسٍ يَتَلَوْنَ بِالْبَيَاضِ وَالْخُضْرَةِ وَالزَّرْقَةِ وَالْحُمْرَةِ، وَقَدْ تَوَشَّحَ بِهَا خَاطِرُهَا وَخَوَاطِرُ كَتَبَتِهَا إِبْدَاعًا مُسْتَلْهِمًا مِنْ خِيَالِ خَالِقِ مُبْتَكِرٍ غَيْرِ مُقْلِدٍ، بَلْ هُوَ وَاحِدٌ فِي فِرَادَتِهِ وَتَمَيِّزِهِ، وَقَدْ اخْتَلَفَ إِلَيْهَا بَعْضُ السَّيَّارَةِ الَّذِينَ يَعْجَزُونَ عَنْ بُلُوغِ شَعْرِ نَثَرِهَا، أَوْ نَثْرِ شِعْرِهَا، كَمَا أَسْمِيهِ، وَكَانَهُمْ بِشَعْرِ سَقِيمٍ، إِنَّمَا يُقَارِنُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالنُّجُومِ، وَيَظُنُّونَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَكْتُبُونَهُ هُوَ إِبْدَاعٌ قَلَّ نَظِيرُهُ، وَهُمْ يَلُؤُونَ أَغْنَاكَ الْكَلِمَاتِ وَالْمَعَانِي، وَيَعْرِوْنَ اللُّغَةَ وَيُفَرِّغُونَهَا مِنَ الْمَضَامِينِ الْمَفْهُومَةِ، حَتَّى إِنَّكَ لَا تَعْرِفُ الْقَصْدَ فِي تَرْكِيبِ مَعَانِي الضَّدِّيَّةِ وَتَلْزِيْقِ حُرُوفِ الْكَلِمَاتِ لِيَرَوْهَا مُفْتَنِّعِينَ بِأَنَّهَا مَعْنَى تَجْدِيدِيٍّ يَحْمِلُ سِمَةَ الْإِبْدَاعِ، وَلَا هُمْ فِي الْعَلِيقِ وَلَا اللَّجَامِ، كَمَا قَالَ الْمُتَنَبِّي - رَحِمَهُ اللَّهُ -، وَلَوْ أَنَّهُمْ قَرَأُوا جَيِّدًا وَتَمَعَّنُوا فِي رَصْدِ الْكَلِمَاتِ وَالْمَعَانِي فِي الْقَصِيدَةِ لَأَعَادُوا النَّظَرَ فِي شِعْرِهِمْ، وَمَا ظَنُّوهُ إِبْدَاعًا، وَلَا عَادُوا الْقَرَاءَاتِ فِي شِعْرِ الْفُحُولِ مِنَ الْجَاهِلِيِّ إِلَى الشَّعْرِ الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ شِعْرًا ذَا دَلَالَاتٍ مُنْتَجَةٍ لِلْمَعْنَى، سَوَاءَ الرَّاْمِزُ أَوْ الْوَاضِحُ؛ لَذَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ - وَأَقُولُهَا نَاصِحًا أَمِينًا وَبِكُلِّ الْحُبِّ وَالْإِحْتِرَامِ لَهُمْ وَلِمُكْتَنِبَتِهِمْ - أَنْ يُجْهَدُوا فِي نَظْمِ الْقَصِيدَةِ وَتَحَرِّيِ الْأَنْثَانِ، قَبْلَ نَشْرِهَا، وَأَلَّا يَغْتَرُّوا بِأَعْجَابَاتِ مَنْ لَمْ تُدْرِكْهُ حِرْفَةُ الشَّعْرِ وَالنَّثْرِ وَالْبَلَاغَةِ، إِنْ كَانَتْ هِيَ مَنْ كَتَبَتْ، وَكَانَ ذَلِكَ هُوَ مِنَ الْهَامِهَا فِعْلًا وَغَيْرَ مُنْقُولٍ؛ فَقَدْ وَجَدْتُ فِي بَعْضِ النَّثْرِ مَا يَتَفَوَّقُ عَلَى شِعْرِ شَاعِرٍ مَا، وَهَذِهِ الْخَاطِرَةُ إِنَّمَا كَتَبْتُهَا بَعْدَ أَنْ قَرَأْتُ مَا نَثَرَ مِنْ نَثْرِ يَسْتَحِقُّ الْإِشَادَةَ.

الثَّقَافَةُ الْجَدِيدَةُ لِلتَّغْيِيرِ لَيْسَتْ لِلْكَلِمَةِ

ثَقَافَةُ الْوَاقِعِ الثَّوْرِيُّ الْمُعَاَصِرُ لَا تَقُومُ عَلَى تَأْجِيجِ الْمَشَاعِرِ بِالشُّعْرِ أَوْ الْمَقَالَةِ، بَلْ إِنَّهَا تَسْتَمِدُّ وُجُودَهَا الْإِنْفَعَالِيَّ وَتَحَرُّكَاتِهَا مِنْ خِلَالِ التَّعَبُّةِ الَّتِي تُشْعِلُهَا الدَّعَايَاتُ لِلْقُوَى الْعُظْمَى، حِينَ أَضْحَى الْفِكْرُ الثَّقَافِيُّ الَّذِي كَانَ يُنْظَمُ الدَّوَاعِ الْمُبِيرَةُ لِلْفِعْلِ وَالتَّفَاعُلِ وَالْإِنْفَعَالِ مَعَ الْكَلِمَةِ الْمُوجَّجَةِ لِلثَّوَرَاتِ؛ لَا يُثِيرُ الشُّعُوبَ، وَذَلِكَ لِلْفَوَاصِلِ الَّتِي تَغْنِي بِثَقَافَةِ الْجَهَالَةِ وَالتَّجْهِيلِ وَتَأْجِيجِ الشُّعُورِ بَعْدَ غَرْسِ مَجْمُوعَاتِ الْإِسْتِلَابِ وَالنَّهْبِ وَإِنْهَاكِ الشُّعُوبِ مَادِّيًّا؛ مِنْ خِلَالِ مَا تَقُومُ بِهِ الْعَصَابَاتُ الْقِيََادِيَّةُ فِي الْأَوْطَانِ الْعَرَبِيَّةِ، مِثْلَ الْعِرَاقِ وَلِيبْيَا وَسُورِيَا وَالْيَمَنِ وَلُبْنَانَ وَالْجَزَائِرِ وَإِيرَانَ، ثُمَّ تَوْلِيدِ الْخُصُومِ وَتَظْهِيرِهِمْ فِي الثَّلَّةِ الْعَاصِبَةِ وَالنَّاهِبَةِ لِمُقَدَّرَاتِ شُعُوبِهِمْ عَبْرَ السَّمَاكِ لِلنَّهْبِ؛ لِكَيْ يَسْتَعْمِلُوهُ فِي تَأْجِيجِ الثَّوَرَاتِ بَعْدَ أَحْدَاثِ الْفُجُوءِ بَيْنَ الطَّبَقَةِ الْبُورْجُوزِيَّةِ السَّارِقَةِ لِأَمْوَالِ الْأُمَّةِ، وَالطَّبَقَةِ الْمُسْتَلَبَةِ الَّتِي أَنْهَكَهَا الْوَاقِعُ الْمَعِيشِيُّ تَأْسِيسًا عَلَى كَوَامِنِ الْفَقْرِ؛ لِتَكُونَ أَدَوَاتُ ضَارِبَةٍ تَعْمَلُ لِإِنْشَاءِ دَوَاعِ ثَقَافَةِ الثَّارِ دُونَ أَرْضِيَّةِ ثَقَافِيَّةٍ لِمَعْنَى ثَوْرَةٍ، إِلَّا وَقَعَ الْحَالُ الْمُؤَذَنَةُ لِقَوَافِلِ الْعَدَمِيَّةِ الْمَعِيشِيَّةِ بِنَشْبِ أَظَافِرِهَا فِي بُطُونِ الْجِيَاعِ؛ لِيُؤَدِّيَ إِلَى الْقَنَاعَةِ بِالْمَوْتِ، سِوَاءَ بِالْقَتْلِ الظَّالِمِ مِنْ قَبْلِ الدَّوْلَةِ، أَوْ بِوَسَائِلِ الْفَهْرِ وَالْفَقْرِ وَاسْتِحَالَةِ الْحُصُولِ عَلَى لُقْمَةِ الْعَيْشِ، وَهُوَ مَا يُتَبَّجُ الثَّوَرَاتِ الَّتِي تَبْدَأُ بِالتَّظَاهُرَاتِ الْيَوْمَ فِي الْمَجْمَلِ بِأَبْعَادِهَا؛ لِتَكُونَ ثَقَافَةُ جَدِيدَةً مُنْفَصِلَةً عَنْ عَصْرِ يُحَاكِي مَاضِي الثَّوَرَاتِ الَّذِي كَانَ يَقُومُ عَلَى أَرْضِيَّاتِ ثَقَافِيَّةٍ، وَهِيَ عَلَى قَدَرٍ مِنَ الْوَعْيِ فِي فَهْمِ مَعْنَى الْكَلِمَةِ لِفَنَاتِ مُثَقَّفَةٍ فِي إِشْعَالِ دَوَاعِ الثَّوَرَاتِ، وَالْأُخْرَى هِيَ ثَوَرَاتٌ لَيْسَ لِلْكَلِمَةِ وَقَعٌ وَلَا لِلشُّعْرِ أَوْ الْأَدَبِ تَأْثِيرٌ عَلَى السَّوَادِ الْأَعْظَمِ فِيهَا؛ لِعَدَمِ وُجُودِ الْعُقُولِ الْمُثَقَّفَةِ إِلَّا لِلْقَلَّةِ الَّتِي لَا تُحَدِّثُ التَّأْثِيرَ فِي الْمُتَلَقِّيِ الْمُثَقَّفِ، كَمَا نَرَى الْيَوْمَ. إِنَّ الثَّوَرَاتِ إِنَّمَا تَسْتَمِدُّ ثَقَافَاتِهَا مِنْ حَالَاتِ الْإِحْسَاسِ بِالْحَاجَةِ إِلَى مَا يُقِيمُ الْأَوْدَ وَيَسُدُّ الرَّمَقَ؛ لِذَا فَهَذِهِ الثَّقَافَةُ السَّائِدَةُ الْجَدِيدَةُ هِيَ أَقْوَى مِنْ ثَقَافَةِ الْكَلِمَةِ؛ لِأَنَّهَا تَوْلَدُ غَيْرَ خَائِفَةٍ، وَلَا يَحْبِسُهَا الْجُبْنُ، وَلِأَنَّهَا رَأَتْ أَنَّ مَصِيرَهَا فِي الْحَالَتَيْنِ هُوَ الْمَوْتُ جُوعًا، أَوْ الْمَوْتُ بِالرَّصَاصِ، أَوْ الْقَنَابِلِ فِي حَالَةٍ تَعَرُّضِهَا لِلدَّوْلَةِ الْأَقْوَى؛ لِوُجُودِ السَّلَاحِ فِي يَدِهَا، وَاسْتِطَاعَتِهَا تَحْكِيمَ الْقُوَّةِ وَاعْتِبَارَهَا الْأَمْرَ الْوَاقِعَ لثَقَافَةِ الثَّوَرَاتِ بَعْدَ تَحْضِينَ ثَقَافَةِ الْعُزْرِ وَالْفَقْرِ وَالْهَوَانِ وَفَقْدَانِ الْكَرَامَاتِ، وَهِيَ ثَقَافَةُ تَنْشَأُ ضِدَّ الْحُكْمِ

الْمُتَحَكِّمُ الْأَقْوَى مَالًا وَسِلَاحًا، وَهُوَ أَمْرٌ كَانَ يَجِبُ الْبَحْثُ وَالْمُقَارَنَةُ فِيهِ بَيْنَ ثَقَافَتَيْنِ مُنْفَصِلَتَيْنِ فِي تَأْثِيرِهِمَا عَلَى الْوَاقِعِ الْجَدِيدِ لِلثَّوَرَاتِ الْحَالِيَّةِ، هَذِهِ هِيَ الْحَالَةُ الثَّوْرِيَّةُ الَّتِي لَمْ تُؤْلَها الدُّولُ اهْتِمَامًا، بَلْ كَابَرَتْ وَأَعْرَها قُوَّةُ الْمَالِ وَالسِّلَاحِ، فَلَمْ تُؤْلِ اهْتِمَامًا بِأَنَّ الْجُوعَ وَالْفَقْرَ وَسُوءَ الْأَحْوَالِ هِيَ قَنَابِلُ مَوْقُوْتَةٍ تُفَجِّرُ الْبِلَادَ وَالْقِيَادَاتِ وَالشُّعْبَ مِنْ مَبْدَأٍ (عَلَيَّ وَعَلَى أَعْدَائِي)، كَمَا قِيلَ، وَهَذِهِ هِيَ الثَّقَافَةُ الْجَدِيدَةُ الَّتِي اعْتَمَدَتْهَا الشُّعُوبُ لِكَيْ تَكُونَ هِيَ الْحَاكِمُ الْفَعْلِيُّ لِمَصَائِرِها، وَاصْطِنَاعِ مَسَارِ حَيَاتِها، وَهُوَ أَمْرٌ لَنْ يُثْبِتَ وَجُودَهُ إِلَّا بَعْدَ دَفْعِ أَثْمَانٍ بَاهِظَةٍ مِنَ التَّضَحِّيَّاتِ، كَمَا دَفَعَتْ أَثْمَانَهُ - مِنْ قَبْلُ - أُورُوبَا، حَتَّى أَقَرَّتْ بِأَنَّ الْكَلِمَةَ لِلشُّعُوبِ، وَلَيْسَتْ لِلْسَّاسَةِ، وَأَنَّ السَّاسَةَ مُوظَّفُونَ لَدَى الشُّعُوبِ لِفَتْرَةٍ زَمَنِيَّةٍ، ثُمَّ يَرْحَلُونَ وَيَأْتِي غَيْرُهُمْ مُمَثِّلِينَ لِلشُّعْبِ لِفَتْرَةٍ أُخْرَى، وَهُوَ مَا سَوْفَ يَجْعَلُ الشُّعُوبَ تَعِيشُ بِكَرَامَةٍ، وَتَتَحَكَّمُ فِي مُقَدَّرَاتِها بِمَا يَقُومُ عَلَى الْعَدْلِ وَالْمُسَاوَاةِ بَيْنَ أَبْنَاءِ الْوَطَنِ الْوَاحِدِ، وَمِنْ ثَمَّ يَبْدَأُ التَّقَدُّمُ الْحَضَارِيُّ لِأُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ مَعَ الْفَارِقِ فِيمَا بَيْنَ الثَّوَرَةِ فِي أُورُوبَا الَّتِي قَامَتْ عَلَى ثَقَافَةِ الْكَلِمَةِ، لَوْجُودِ الْأَرْضِيَّةِ الثَّقَافِيَّةِ الْمُسْتَقْبَلَةِ، حِينَ كَانَ الْوَعْيُ الثَّقَافِيُّ يَنْتَشِرُ فِي أُورُوبَا فِي عَصْرِ النَّهْضَةِ؛ وَبَيْنَ ثَقَافَةِ الْعَصْرِ الْحَاضِرِ الَّذِي يَنْشَأُ مِنْ ثَقَافَةِ الْفَقْرِ وَالْقَتْلِ وَالرُّعْبِ وَالْإِذْلَالِ لِلْإِنْسَانِ، وَإِنْ تَلَقَّتِ الثَّقَافَتَانِ فِي الْهَدَفِ فَإِنَّ شَأْنَهُمْ شَأْنُ الْأُمَمِ الَّتِي أَوْجَدَتْ شَخْصِيَّتَهَا وَدَوْلَهَا، وَمَلَكَتْ زَمَانًا أَمْرَهَا بِالتَّضَحِّيَةِ؛ حَيْثُ نَرَاهَا الْيَوْمَ تَعِيشُ عَلَى وِفَاقٍ، وَنَرَى كَيْفَ أَنَهَا أَحَالَتْ الظُّلْمَ الْمَفْرُوضَ إِلَى وَاقِعٍ يَقُومُ عَلَى التَّعَدُّدِيَّةِ فِي الرَّأْيِ وَالْبِنَاءِ، وَحَقِّ الْمُشَارَكَةِ لِلْمَجْمُوعِ، وَمِنْ خِلَالِ الْمَجْمُوعِ، حَتَّى أَصْبَحَتْ هِيَ الدُّولَ الَّتِي احْتَرَمَتِ الْإِنْسَانَ، فَاحْتَرَمَهَا الْإِنْسَانُ، وَشَارَكَ بِكُلِّ الْحُبِّ فِي بِنَاءِ أَوْطَانِهِ، وَسَرَى النِّظَامُ كَافِلًا لِلْجَمِيعِ حُقُوقَهُ، وَلِلْوَطَنِ حُقُوقَهُ، فَكَانَتْ هَذِهِ هِيَ الْأُمَمُ، وَأَضَحَّتْ هَذِهِ هِيَ الْأَوْطَانُ.

20 نُوْفَمْبَرِ 2023 م

دَعَوْهَا فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ

التَّعْرِضُ بِالنَّاسِ مِمَّنْ رَكِبُوا مَرَائِبَ الْجَهْلِ فِي إِشَاعَةِ الْغُصْرِيَّةِ الْبَغِيضَةِ الَّتِي تَتَنَابَرُ بِالْأَلْقَابِ وَالْأَسْمَاءِ؛ لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {بِسْمِ الْإِسْمِ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ} [الحجرات: 11]، وَالَّتِي نَهَى عَنْهَا الْإِسْلَامُ؛ لِقَوْلِ الْحَبِيبِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعَوْهَا فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ»، وَلَا أَظُنُّ أَنَّ فِي عَصْرِنَا الْحَاضِرِ مَنْ يَتَشَدَّقُ بِالْبِدَاوَةِ فِي وَقْتٍ لَمْ يَعُدْ لِلْبِدَاوَةِ فِيهِ وُجُودٌ؛ فَبَدْوِي الْأَمْسِ هُوَ حَضْرِي الْيَوْمِ، وَلَا ضَيْرَ مِنَ الْحِفَاطِ عَلَى الْأَصْلِ وَالنَّسَبِ فِي شَكْلِهِ الْعِرْقِيِّ؛ لِلْحِفَاطِ عَلَى النَّسَبِ وَالْمَوَارِيثِ، أَمَّا التَّفَاخُرُ وَالتَّمَايُزُ وَالتَّحْقِيرُ لِلْغَيْرِ مِمَّنْ خَلَقَ اللَّهُ، فَهَذِهِ صِفَاتٌ مَذْمُومَةٌ، وَلَيْسَتْ لَهَا الْأَهَمِّيَّةُ فِي التَّرَكِيبَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، أَوِ الْوَطَنِيَّةِ لِأَهْلِ الْبَلَدِ الْوَاحِدِ الْمُتَمَتِّينَ، وَلَيْسَ مَجْهُولِي الْهُوِيَّةِ أَوْ الدُّخْلَاءُ بِغَيْرِ حَقٍّ عَلَى الْأَوْطَانِ. يَقُولُ رَسُولُنَا الْعَظِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ: «سَلْمَانُ مِنَّا آلَ الْبَيْتِ» أَوْ كَمَا قَالَ. تَذَكَّرْتُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مِنَ الْكَلَامِ صَدِيقِي... الَّذِي يَنْتَمِي إِلَى أَصُولِ قَبَلِيَّةٍ، وَلَا أَقُولُ: «بَدْوِيَّةٍ»، وَلَا أَنْعَتُهُ بِالْبِدَاوَةِ؛ لِأَنَّ الْبِدَاوَةَ لَا تَعْنِي الْجُدُورَ وَالْأَصُولَ بِقَدَرٍ مَا تَعْنِي التَّخْلُفَ، كَبِدَاوَةِ الْهُنُودِ الْحُمْرِ فِي أَمْرِيكَ، وَهُمْ الْأَصْلُ فِي أَمْرِيكَ، أَقُولُ: تَذَكَّرْتُ ذَلِكَ الصَّدِيقَ الَّذِي ذَهَبَ مُتَمَتِّعًا مِنْ عَدَمِ قَبُولِهِ فِي كُلِّيَّةِ قُوَى الْأَمْنِ إِلَى أَحَدِ الْمَسْئُولِينَ الْكِبَارِ؛ لِقَوْلِهِ لَهُ: يَا طَوِيلَ الْعُمُرِ، أَنَا رُفِضْتُ مِنَ الدُّخُولِ إِلَى كُلِّيَّةِ قُوَى الْأَمْنِ، فِي حِينِ أَنَّ الْهُنُودَ وَالسُّنُودَ وَالْبُخَارِيَّةَ وَالْجَاوَةَ يَقْبَلُونَ فِي هَذِهِ الْكُلِّيَّةِ. فَمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ الْمَسْئُولِ إِلَّا أَنْ صَفَعَهُ بِالْكَفِّ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى سَقَطَ عَلَى أَحْمَصِ قَدَمَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: حَتَّى مَنِ احْتَفَرْتَهُمْ فَإِنَّ لَهُمْ أَصُولًا وَجُدُورًا مَعْرُوفَةً فِيهِمْ وَبَيْنَهُمْ، وَهُمْ الْيَوْمَ سُعُودِيُونَ. فَحَمَلَهُ الْجُنُودُ وَالْقَوَا بِهِ إِلَى الشَّارِعِ. وَهَنَّاكَ مِنْ اسْتِعَانِ بِالْجَهْلِ، فَكَانَ شَيْطَانُهُ الَّذِي أَذَلَّهُ وَأَخْرَجَهُ عَنْ دَوَائِرِ الْعَقْلِ وَالصَّوَابِ لِيَتَّهَمَكَ وَيَسْخَرَ مِنَ الْمُحْسُوبِينَ عَلَى الْوَطَنِ وَالْمُتَمَتِّينَ إِلَيْهِ، إِلَّا أَنَّ مَوْضُوعًا مِثْلَ هَذَا لَسْنَا فِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْعَصْرِ الْمُنْفَتِحِ عَلَى كُلِّ الْإِثْبَاتِ، وَعَلَى جَمِيعِ الثَّقَافَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ، إِذَا كُنَّا نَنْتَمِي إِلَى الْحَضَارَةِ (وَكُلِّ فِي فَمِهِ مَاءً) لِمَنْ ضَلَّ أَوْ أَرَادَ ثُبُورًا، وَلَكِنْ عَلَيْنَا أَنْ نُحَرِّرَ عُقُولَنَا مِنْ ظِلَامِ الْجَهْلِ وَالْإِدْعَاءِ بِالْفُوقِيَّةِ الْعِرْقِيَّةِ، وَاتَّسَاءَلُ: كَمْ آدَمًا وَكَمْ حَوَاءً مُوجُودُونَ لِنُخْتَلَفَ عَلَى بُتُونَتِنَا لَهْمَا، وَأُبُوتِهْمَا لِلْإِنْسَانِ أَجْمَعٍ؟ إِنَّ كَلَامِي لَيْسَ مُوجَّهًا إِلَّا لِمَنْ ضَلَّ أَوْ أَضَلَّ بِهِ جَهْلُهُ،

فَعِمِدَ إِلَى التَّحْقِيرِ لِلْمُسْلِمِ، وَوَاللهَ لَوْلَا أَنَّ الْمَوْضُوعَ يُمَثِّلُ خُطُورَةً فِي طَرَحِهِ وَتَنَاوُلُهُ لَمَا اسْتَنْزَفْتُ عُصَارَةَ قَلَمِي بِالْكِتَابَةِ، وَلَمَّا أَلَمَحْتُ إِلَيْهِ. وَفِي النِّهَايَةِ صَدَقَ الرَّسُولُ الْعَظِيمُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ فِي قَوْلِهِ «كُلُّكُمْ لَأَدَمَ، وَأَدَمُ مِنْ تَرَابٍ».

21 نُوفَمْبَرِ 2013 م

آمال الناس

حِينَ تَكُونُ قَلْبًا تَعِيشُ فِيهِ آمَالُ النَّاسِ يَتَوَجَّبُ عَلَيْكَ أَنْ يَكُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ هُوَ اللُّغَةُ الَّتِي لَا تُفَارِقُ لِسَانَكَ. وَحِينَ تَتَقَصَّدُكَ مَوَانِعُ الْغَفْلَةِ أَوْ تَتَقَلَّبُ عَلَيْكَ فُصُولُ الْأَحْدَاثِ وَتُحَاوِلُ أَنْ تَجْتَدِبَهَا لِإِعَادَةِ صِيَاغَتِهَا وَتَرْتِيبِ مَوَادِّهَا كَحَالَةِ وَجُودِيَّةٍ كَانَتْ افْتِرَاضِيَّةً، ثُمَّ تَجْرِبِيَّةً، حَتَّى تَكُونَ حَقِيقَةً، عِنْدَهَا تَظَلُّ أَيْضًا فِي قَلْقٍ لِلْحِفَاطِ عَلَى الدِّيْمُومَةِ الَّتِي تَكُونُ مُتَاكِّدًا أَنَّكَ قَدْ وَعَيْتَهَا وَوَصَلْتَ إِلَى نَتَائِجِهَا، وَبِرْغَمِ التَّحْقِيقِ وَالتَّحَقُّقِ مِنْ تَجْسِيدِهَا وَاقِعًا فَإِنَّكَ تَضْطَرُّ بِقَدْرِيَّةِ الْوَاقِعِ فِي تَعْجِيزِكَ؛ لِكَيْ تُحَاوِلَ خَلْقَ وَاقِعٍ غَيْرِ مُشَبَّطٍ؛ لِلْحِفَاطِ عَلَى مَادَّتِهِ، وَتَثْبِيتِ مُعْطِيَاتِهِ كَأَنَّكَ تَحْفَظُهُ فِي «فَرِيزَر» الْعَقْلِ؛ لِإِمْكَانِيَّةِ تَحْوِيلِهِ إِلَى سَائِلِ فِكْرِيٍّ قَابِلٍ لِلتَّجَمُّدِ مَرَّةً أُخْرَى، أَوْ إِلَى تَسْيِيلِهِ، ذَلِكَ هُوَ أَحَدُ دَوَافِعِ الْفِعْلِ التَّكْوِينِيِّ لِلشَّفَرَةِ الْمُجَمَّدَةِ فِي دَائِرَةِ اللَّاشْعُورِ، وَقَدْ فَكَّكَتْ شَفَرَةَ إِعَادَةِ التَّطْبِيقِ، مِنْ هُنَا أَنْتَ حَقَّقْتَ الْإِمْكَانَ، لَا الْقُدْرَةَ، وَلَكِنَّكَ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَحْتَفِظَ بِشَفَرَةِ الْفِكْرِ حَتَّى تَطَوَّرَهَا إِلَى الْأُمْتَلِ، عِنْدَهَا تَكُونُ وَصَلْتَ إِلَى دَرَجَةٍ عَالِيَةِ الْإِبْدَاعِ، لَكِنْ تَظَلُّ أَيْضًا تَدُورُ فِي قَلْقٍ التَّجَاوُزِ حَتَّى تَتَّضِحَ لَكَ شَفَرَاتُ عِدَّةٍ، رُبَّمَا بِالصُّدْفَةِ الَّتِي لَمْ تَتَوَقَّعْهَا، وَلَكِنْ أَوَّلُ نَجَاحٍ لِلْفِكْرِ فَتَحَ عِدَّةَ أَبْوَابٍ لِنَتَائِجِ يَكُونُ لَكَ حَقٌّ تَدْوِينُهَا فِي دَوَائِرِ الْبَحْثِ وَالنَّتَائِجِ، وَمِنْ حَقِّكَ تَسْوِيقُهَا كَحَقِّ مُكْتَسَبٍ.

2 دِيسَمْبَرِ 2023 م

مَقَابِرُ الْكُتُبِ

حِينَ رَأَيْتُ صُورَةَ الْكُتُبِ الَّتِي نَشَرَهَا أُسْتَاذُنَا الْكَبِيرُ الْعَالِمُ الْبُرُوفُ حَسَنَ عَبَّاسٍ،
الْمَتُّ كَثِيرًا لِمَا قِيلَ عَنِ الْكُتُبِ: إِنَّهَا رُبَّمَا تُبَاعُ لِكَيْ تُلْفَ بِهَا الْأَشْيَاءُ وَالْأَطْعِمَةُ، بَعْدَ أَنْ
كَانَتْ أَنْوَارًا يَشْعُ مِنْهَا عِلْمُ الْعُقُولِ، رَأَيْتُهَا وَكَانَتْهَا جُثَّتْ لَمْ تَجِدْ مَنْ يُحْسِنُ مَثْوَاهَا، بَعْدَ
أَنْ جَاءَ هَذَا النَّتُّ الْمُعْجَزُ فِي ابْتِكَارِهِ.

أَقْتَرِحُ أَلَّا تُهْمَلَ الْكُتُبُ، بَلْ يَجْدُرُ بِنَا انْشَاءَ مَقَابِرَ عَلَى نَمَطِ قُبُورِ الْفَرَاعِنَةِ تُدْفَنُ فِيهَا
الْكُتُبُ فِي كُلِّ الْبُلْدَانِ؛ لِظَنِّي أَنَّ زَمَنًا سَيَأْتِي لَا يَكُونُ لِهَذَا النَّتِّ وَجُودُ مِنْ جَرَاءِ الْحُرُوبِ
الَّتِي سَوْفَ تَقُومُ مُسْتَقْبَلًا، وَيَدْمَرُ فِيهَا كُلُّ شَيْءٍ، عِنْدَهَا سَتَعُودُ الْكُتُبُ سِيرَتَهَا الْأُولَى
عَائِدَةً لِحَيَاةِ الْعُقُولِ؛ لِلْكَشْفِ عَنِ التَّارِيخِ وَآثَارِ السَّابِقِينَ؛ لِيَبْنُوا الْمَعَارِفَ وَالْعُلُومَ عَلَى
مَا يَسْتَجِدُّ مِنْ مَعَارِفَ وَعُلُومَ جَدِيدَةٍ بَعْدَ حَفْرِ الْأُمَمِ لِمَقَابِرِ الْكُتُبِ لِيَسْتَخْرِجُوا كُنُوزَهَا،
كَمَا فَعَلَ الْمِصْرِيُّونَ فِي عَصْرِنَا بِاسْتِخْرَاجِ الْكُنُوزِ وَالْآثَارِ الْفِرْعَوْنِيَّةِ. فَأَكْرِمُوا مَثْوَى
الْكُتُبِ وَوَارُوهَا الرُّمُوسَ أَيْتُهَا الْأُمَمُ الْعَالِمَةُ، فَيَوْمًا مَا سَوْفَ تَحْتَاجُونَ إِلَيْهَا، وَرَحِمَ اللَّهُ
الْكُتُبَ الَّتِي اسْتَمَدَّ مِنْهَا الْعَالِمُ الْعَاقِلُ وَالْعَالَمُ بِنَاءَ عُقُولِ الْحَيَاةِ.

هُوَ اقْتِرَاحٌ جَادٌ؛ لِأَنَّنا لَوْ لَمْ نَفْعَلْ فَسَيَضِيعُ تَرَاثُ الْأُمَمِ وَتَذَرُوهُ رِيَّاحُ الْغَفْلَةِ وَالنَّسْيَانِ.

3 ديسمير 2021م

تَغْلِيْقٌ عَلَى مُقْتَرَحِ «مَقَابِرِ الْكُتُبِ»

تَقُولُ إِحْدَى الْمَتَابِعَاتِ، وَهِيَ مُهَنْدِسَةٌ قَدِيرَةٌ، لَهَا كُلُّ الْإِحْتِرَامِ: إِنَّ هُنَاكَ مَلَائِينَ الْمَكْتَبَاتِ الرَّقْمِيَّةِ الْمَحْفُوظَةِ لَدَى الدُّوَلِ. وَأَجَبْتُهَا: أَنَا أَعْرِفُ أَنَّ هُنَاكَ (حَوَافِظَ) تَحْتَ الْجِبَالِ، وَأَنَّ هُنَاكَ كَوَابِلَ أَيْضًا مُمْتَدَّةً فِي عَرْضِ الْبَحَارِ وَطُولِهَا، وَلَكِنَّ الْحَرْبَ الَّتِي رُبَّمَا تَكُونُ الْأَخِيرَةَ سَوْفَ تَنْسِفُ وَتُفَجِّرُ كُلَّ مَا عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا، فَهُنَاكَ أَكْثَرُ مِنْ دَوْلَةٍ تَمْتَلِكُ الْقُنْبُلَةَ الذَّرِّيَّةَ، وَلَيْسَتْ أَمْرِيكََا وَرُوسِيَا وَالصِّينَ وَالْهِنْدَ وَأُورُوبَا فَقَطْ.

وَأَنَا مُتَأَكِّدٌ أَنَّ حَرْبًا طَاحِنَةً مُدْمِرَةً لَنْ تَبْقَى وَلَنْ تَذَرَ حِينَ حُدُوثِهَا، إِذَنْ سَيَنْتَهِي هَذَا النَّتْ وَهَذَا الْأَعْجَازُ، وَكُلُّ مَنَا وَالْعَالَمِ أَجْمَعُ الْآنَ اسْتَعْنَى عَنِ الْكِتَابِ إِلَّا مَا نَدَرَ، إِذَنْ كَيْفَ نَسْتَرْجِعُ تَرَاثَ الْأُمَمِ وَفِكْرَ الْعُلَمَاءِ وَالْمُبْدِعِينَ وَصُنَاعَ الْحَضَارَاتِ حِينَ تَخْتَفِي آثَارُهُمْ؟ وَأَنَا أَفْتَرَحْتُ اقْتِرَاحًا رُبَّمَا يَرَاهُ الْبَعْضُ سَخِيفًا، لَكِنْ هَذِهِ هِيَ مَقُومَاتُ الْفِكْرِ الْفَلَسَفِيِّ، يَبْدَأُ بِالْفَرَضِيَّاتِ الَّتِي تَتَحَوَّلُ إِلَى نَظَرِيَّاتٍ، إِلَى أَنْ يَتَحَقَّقَ التَّطَبُّقُ.

وَأَنَا لَا أَتَحَدَّثُ عَنْ أَلْفِ عَامٍ تَمُرُّ - رُبَّمَا هِيَ أَقَلُّ أَوْ أَكْثَرُ - لِكَيْ تُدْمَرَ مَعَالِمُ الْأَرْضِ حَتَّى يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا.. أَخِيرًا أَفْتَتَعْتُ.

3 دَيْسَمْبَرِ 2020م

لَا تُحَاوِلْ

عَبْنَا تُحَاوِلْ تَرْمِيمَ مَا تَهْدَمُ فِي النَّفْسِ بَعْدَ ارْتِطَامَاتٍ أَحَدَثَهَا أَرْدَالُ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، فَلَمْ يَبْقَ فِي (النَّفْسِ الْجَبَلِ) إِلَّا رُكَامٌ سَوْفَ تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ.

فَكَيْفَ تُرِيدُ أَنْ تَحْتَفِلَ بِمِيلَادِ الشَّمْسِ بَعْدَ الْغُرُوبِ؟

لَنْ تَسْمَحَ لَكَ غَلْبَةُ الْغَفْلَةِ وَلَا صُنَاعُ الْجَهْلِ بِبُلُوغِ قَافِلَةِ الْخَالِدِينَ إِلَّا إِذَا جَعَلْتَ مِنَ الرِّيْحِ مَطِيئَتِكَ، وَوَقَفْتَ رَغْمًا عَنْ مَوَانِعِ الزَّمَانِ عَلَى الْمَاءِ وَالْهَوَاءِ. وَتِلْكَ مُهِمَّةٌ فِيهَا مِنْ رُكُوبِ مَخَاطِرِ الْعُمُرِ مَا يَعِيفُ عَنْهُ الْمُتَعَمِّقُونَ فِي أَنْوَارِ الْبَدِيهَةِ وَالْحِسِّ الْمُتَجَاوِزِ فِي عِلْمِ الْأَشْيَاءِ. إِذَنْ لَا تُحَاوِلْ.

4 دَيْسَمْبَرِ 2023م

الْقُدْرَةُ وَالِاسْتِحَالَةُ

أَوَّلًا: تَعْرِيفُ الْقُدْرَةِ:

الْقُدْرَةُ هِيَ كَلِمَةٌ تَعْنِي التَّمَكُّنُ مِنْ تَحْقِيقِ الْفِعْلِ الْمُرَادِ تَحْقِيقُهُ إِذَا تَوَافَرَتْ لَهُ عَنَاصِرُ التَّحْقِيقِ الْمُتَمَثِّلَةِ فِي: الْإِنْسَانِ وَالْأَدَوَاتِ وَالْقُوَّةِ، وَتَفْصِيلُ ذَلِكَ فِيمَا يَأْتِي:

1 - الْإِنْسَانُ: هُوَ الْفَاعِلُ الْمُشْتَرِكُ بَيْنَ الْإِسْتِعْدَادِ الْفِكْرِيِّ فِي الْإِبْدَاعِ الْمُتَنَوِّعِ وَتَنْظِيمِ الْأَهْدَافِ وَالْأَوَلِيَّاتِ وَمُتَوَالِيَّاتِهَا الْعِلْمِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ وَالْفَلَسَفِيَّةِ الْإِفْتِرَاضِيَّةِ وَالْمُنْجَزَةِ بِالتَّجَرُّبِ لِلتَّطْبِيقِ.

2 - الْأَدَوَاتُ: هِيَ الْمُنْجَزُ التَّجَرُّبِيُّ الْمُصَنَّعُ مِنْ ثَرَوَاتِ الْأَرْضِ وَمَعَادِنِهَا وَتُرَابِهَا وَبَرِّهَا وَبَحْرِهَا، كَالْجِبَالِ الْمُحْتَوِيَةِ عَلَى الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْفُوسْفَاتِ وَالْأَلْمِئُومِ وَالْمُنْجَنِيزِ وَالْبُتْرُولِ وَالْعَازِ.

وَمِنْ مُشْتَقَّاتِ الزَّرَاعَةِ وَالْحَيَوَانِ وَالْأَسْمَاكِ اعْتِمَادًا بِالْكُلِّيَّةِ عَلَى الطَّاقَةِ الْبَشَرِيَّةِ الْمُتَمَثِّلَةِ فِي الْعَقْلِ الصَّحِيحِ وَالْيَدِ الْعَامِلَةِ.

3 - الْقُوَّةُ: بِكُلِّ مُشْتَمَلَاتِهَا الظَّرْفِيَّةِ لِلْحَالَاتِ الْإِرَادِيَّةِ تَتَوَزَّعُ بَيْنَ الزَّمَنِيَّةِ وَالْمَكَائِيَّةِ وَالصَّحِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ وَالْعَضَلِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ فِي الْخَيْرِيَّةِ وَالشَّرِيَّةِ وَالصَّنَاعِيَّةِ لِمَوَادِّهَا الضَّرُورِيَّةِ الْمُتَنَوِّعَةِ حَسَبَ مُقْتَضِيَّاتِ الْأَوَلِيَّاتِ وَالِاحْتِيَاجَاتِ وَالْكَمَالِيَّاتِ.

ثَانِيًا: الْإِسْتِحَالَةُ: مَعْنَى تَعْجِيزِيٍّ لِلْقُدْرَةِ.

تَأْتِي عَلَى وَجْهَيْنِ: أ- اسْتِحَالَةُ تَعَامُلِ الْقُدْرَةِ مَعَ الْمَرْئِيِّ:

وَهِيَ مَا يَنْعَدُّ مَعَهَا الْإِنْجَازُ مَعَ الْمَعْرِفَةِ لِلْكُلِّيَّاتِ وَالْجُزْئِيَّاتِ وَدَقَائِقِهَا، اعْتِمَادًا عَلَى الرُّؤْيَةِ كَحَقَائِقَ فِي عَوَالِمِهَا الْكُونِيَّةِ يَجْرِي تَأْثِيرُهَا الْكُونِيُّ عَلَى خَلْقِ الْأَرْضِ دُونَ أَنْ تَتَأَثَّرَ بِخَلْقِ الْأَرْضِ أَوْ أَثَارِهَا، مُؤَثَّرَةٌ فِي كَوْنِ الْأَرْضِ. وَتَأْثِيرَاتُ الْأَرْضِ دُونَ تَأْثِيرَاتِ الْأَرْضِ عَلَيْهَا: كَالْأَقْمَارِ وَالشُّمُوسِ وَالنُّجُومِ وَالْفَرَاقِدِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْمُدْرَكَاتِ السَّمْعِيَّةِ وَالْبَصَرِيَّةِ:

ب- اسْتِحَالَةُ تَعَامُلِ الْقُدْرَةِ مَعَ الْغَيْبِيِّ: وَهِيَ اسْتِحَالَةُ إِدْرَاكِ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ؛ مَا مَا هَيْئَتُهُ؟ وَمَا كُنْهُهُ؟ وَمَا شَكْلُهُ؟ وَهُوَ الْمُتَمَثِّلُ فِي الْحَيَاةِ الْآخَرَى وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

أَعْدَاءُ الْمَوَاهِبِ

مَرَرْتُ بِالْكَثِيرِ مِنْ أَعْدَاءِ الْمَوَاهِبِ يَوْمًا مَا، وَكُلُّ الَّذِي نَشَرْتُهُ أَدْنَاهُ هُوَ أَنَّ الْمَوَاهِبَ الصَّادِقَةَ لَا تَمُوتُ، بَلْ يَمُوتُ أَعْدَاءُ النَّجَاحِ، وَتَمُوتُ أَسْمَاؤُهُمْ، وَيَظَلُّ صَاحِبُ الْمَوْهَبَةِ وَالْعِلْمِ الصَّادِقِ خَالِدًا، وَمَا نَشَرْتُهُ الْآنَ بَعْضُ مِمَّا عَانَيْتُهُ مِنْ سَفَلَةِ الْأَدْبَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يَقْعُدُونَ لِي بِالْمِرْصَادِ، ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّهُمْ يُفْعِدُونَنِي عَنْ مُوَاصَلَةِ إِبْدَاعَاتِي الشُّعْرِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ، وَلَمْ يُدْرِكُوا أَنَّهُمْ نَفَعُونِي بِحَقْدِهِمْ وَحَسَدِهِمْ؛ لِكُنِّي أَكُونُ وَاحِدًا مِنْ شُعَرَاءِ الْأُمَمِ الْمُبْرَزِينَ، وَقَدْ قُلْتُ سَابِقًا: إِنِّي بِفَضْلِ اللَّهِ لَمْ أَهْزَمْ فِي مَعْرَكَةٍ؛ لِأَنِّي عَلَى الْحَقِّ الَّذِي كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ، وَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ الْعِرَاقِيُّ الْكَبِيرُ الصَّافِي النَّجْفِيُّ الَّذِي كَانَ يَمْتَدِّحُهُ الْعُقَادُ -رَحِمَهُمَا اللَّهُ-:

سَأَشْكُرُ نُقَادِي اللَّئَامَ لِأَنَّنِي رَكِبْتُ عَلَيْهِمْ فِي طَرِيقِي إِلَى الْمَجْدِ
وَكَانَ يَقْصِدُ مَارُونَ عَبُودَ الَّذِي أزدَرَى شِعْرَهُ وَوَصَفَهُ بِالضَّعْفِ وَتَرْكِيبِ الْكَلِمَاتِ.
وَمَا قَصَدْتُهُ مِنَ النِّشْرَاتِ أَدْنَاهُ هُوَ حَصِيلَةُ عُمُرِكُنْتُ أَنَا زِلْ فِيهِ أَوْغَادًا لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ
الشُّعْرِ، وَإِنَّمَا هُمْ بَعْضُ حُسَادِ لِلْمَوَاهِبِ، وَكُنْتُ كَمَا قَالَ الصَّافِي النَّجْفِيُّ: أَرْكَبُ عَلَى
ظُهُورِهِمْ لِلْوُصُولِ إِلَى الْمَجْدِ، وَأَحْمَدُ اللَّهَ أَنَّنِي لَمْ أَقْلُ إِفْكًَا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا، بَلْ حَقَّقْتُ
مَجْدِي رَغْمًا عَنْهُمْ، وَهَذِهِ هِيَ الْحَقَائِقُ وَالْمَوْهَبَةُ الْعَاتِيَةُ الَّتِي وَهَبَهَا اللَّهُ لِي، هِيَ مَنْ
تَتَحَدَّثُ عَنْ عِلْمِي وَادَّبِي وَشُعْرِي، وَإِنْ كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّنِي لَوْ وُلِدْتُ فِي أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ
الْعَالِمَةِ لَكَانَ لِي شَأْنٌ آخَرُ، وَشَأْوُ عَالٍ أَكْثَرُ، وَلَكِنِّي وُلِدْتُ فِي أُمَّةِ الْعَرَبِ، وَمَا أَدْرَاكَ
مَا أُمَّةُ الْعَرَبِ الَّتِي تَأْكُلُ أَبْنَاءَهَا الْمَوْهَبِينَ، وَتَقْتُلُ الْإِبْدَاعَ وَالْمُبْدِعِينَ، وَتَرْفَعُ التَّافِهِينَ
الَّذِينَ لَمْ يَعْرِفُوا أَنَّ الشُّعْرَ قُضِيَّةٌ، وَأَنَّ الشَّاعِرَ إِذَا لَمْ يَكُنْ صَاحِبَ قُضِيَّةٍ فَلَيْسَ بِشَاعِرٍ،
وَمِثْلِي كَثِيرٌ مِمَّنْ دُفِنَتْ آثَارُهُمْ وَإِبْدَاعَاتُهُمْ، أَحْيَاءٌ وَأَمْوَاتًا. وَأَعُدُّ نَفْسِي مِنَ الْمَحْظُوظِينَ
الَّذِينَ أَخَذُوا حَقَّهُمْ مِنْ زَمَانِهِمْ وَأَنَا حَيٌّ أَرْزُقُ.

وَأَنَّنِي حِينَ أُعْرِضُ ذِكْرِيَاتِي هَذِهِ لَا أُنْتَظِرُ وَضْعَ إِعْجَابٍ لِي، أَوْ مَا يُسَمَّى بِالْإِنْجِلِيزِيَّةِ:
«لَايِك»، إِنَّمَا هُوَ لِإِفَادَةِ الْحِيلِ مِنْ تِلْكَ الْمَعَارِكِ بِمَا يَجْعَلُهُمْ أَصْبَرَ عَلَى الْمُجَاهَدَةِ،
وَأَقْدَرَ عَلَى الْمُجَالَدَةِ عَلَى حِفْدِ أَعْدَاءِ الْمَوَاهِبِ.

وَأَكْرَرُ أَنِّي لَسْتُ فِي حَاجَةٍ لِمَنْ يَضَعُ «لَايِكَ» إِلَّا مَنْ يَعْرِفُ قَدْرَ الْأَدَبِ وَالشُّعْرِ، فَلَهُ الشُّكْرُ، وَلَا أَنْتَظِرُ مِنْ أَحَدٍ شُكْرِي الْآنَ أَوْ مَدِيحِي، فَأَنَا أَعْرِفُ أَنَّ الْفُطْرَةَ فِي الْإِنْسَانِ الْجُحُودُ وَالتُّكْرَانُ وَالْعَدَاءُ لِكُلِّ مَا يَجْهَلُهُ؛ وَلَوْ كَانَ فِيهِ خَيْرُهُ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ، لَقَدْ نَشَرْتُ تَجَارِيبي الَّتِي عَشَّيْتُهَا وَمَا نَالَنِي مِنْ ظُلْمٍ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الصَّحَافَةِ الْمُرْتَزِقَةِ، وَبَعْضِ الْمُغْرَضِينَ مِنْ أَدْبَاءِ الْعَفْلَةِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، فَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتِي بِأَنْ يَدْمَرَ الصَّحَافَةُ الْوَرَقِيَّةُ، وَأَصْبَحَتِ الْيَوْمَ الْجَرَائِدُ الْوَرَقِيَّةُ يُمَسَّحُ بِهَا الرُّجَاجُ وَالْبَلَاطُ، وَيُلْفُ بِهَا الْخَضِرَاوَاتُ، وَإِنِّي إِلَى الْآنَ لَمْ أَظْهَرْ مَا لَدَيَّ مِمَّا يَحِقُّ لِي نَشْرُهُ وَالْفَخْرُ بِهِ؛ فَلَدَيَّ أَكْثَرُ مِنْ كِتَابٍ لَمْ يُطْبِعْ مِنْ نِقَادٍ لَهُمْ قِيمَتُهُمْ وَقَدَّرَهُمُ الْأَدَبِيُّ وَالشُّعْرِيُّ وَالنَّقْدِيُّ، وَقَدْ أَحْجَمْتُ عَنْ نَشْرِهَا قَبْلًا، وَسَتَظْهَرُ تَبَاعًا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - إِنْ كَانَ فِي الْعُمُرِ بَقِيَّةٌ، أَوْ يَعْمِدُ أَبْنَائِي إِلَى طِبَاعَتِهَا. وَمَنْ يَبْحَثُ فِي النَّتِّ فَسَيَرَى مَا يُثْلِجُ صَدْرَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَأَرْبَابِهِ، لَا جُهَاْلَهُمْ وَحَسَادَهُمُ الَّذِينَ أَضَلَّهُمُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ، وَهُوَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، فَلَهُ الْحَمْدُ، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى آيَاتِهِ الْكَثِيرَةِ الْعَظِيمَةِ. وَمَنْ يَجِدُ فِي نَفْسِهِ حَرَجًا فِي وَضْعِ «لَايِكَ» فَلَا يُحْرِجُ نَفْسَهُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَعُدْ أَحْتَاجُ مِنْ أَحَدٍ إِلَى «لَايِكَ»؛ فَأَنَا أَعْرِفُ نَفْسِي، فَقَدْ كَانَتْ صَوْلَاتِي وَجَوْلَاتِي فِي سِنِّ الشَّبَابِ مَضْرِبَ الْمَثَلِ لِمَنْ قَرَأَ، وَرَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ.

وَأَزِيدُ إِلَى مَنْ جَهَلَ قَدْرِي أَنِّي مَغْرُورٌ لِدَرَجَةِ الْكِبَرِيَاءِ، بِشُعْرِي وَأَدَبِي وَأَعْمَالِي الْخَيْرِيَّةِ الطَّيِّبَةِ فِي وُجُوهِ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ وَالِدِّينِ، وَلَنْ أَتَوَاضَعَ، بَلْ أَتَحَدَّثُ بِالنِّعْمَةِ كَمَا قَالَ اللَّهُ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} [الضحى: 11].

وَلَا يَزِيدُنِي «لَايِكَ» رَفْعَةً؛ فَأَنَا أَعْرِفُ قَدْرِي فِي نَفْسِي، وَأَعْرِفُ قَدْرَ كُلِّ صَاحِبِ مَوْهَبَةٍ، وَأَعْرِفُ كَيْفَ أَنْزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَلَسْتُ مِنَ الَّذِينَ يَسْتَجِدُّونَ الْمَدِيحَ بِالْبَاطِلِ، أَوْ الْمُجَامَلَةَ، وَأَنَا الَّذِي حَذَفَ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسَةِ آلَافِ مُشَارِكٍ فِي الصَّفْحَةِ حِينَ لَمْ أَجِدْ فِيهِمْ مَا يُغْرِي مِنَ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ، بَلْ - حَتَّى - فَهَمُّهُمْ لِلشُّعْرِ أَوْ قِرَاءَتِهِ؛ فَأَنَا أَعُدُّ نَفْسِي أُمَّةً، بِخُلُقِي وَعِلْمِي وَأَدَبِي وَشُعْرِي، وَإِنْ كُنَّا فِي عَصْرِ تَقَوُّدِ الصَّرَاعَاتِ السِّيَاسِيَّةِ، وَمَا صَارَ لِلْأَدَبِ وَالشُّعْرِ ذَلِكَ الْوَهْجَ التَّنْوِيرِي حِينَ هَجَرَ أَصْحَابُ الْمَوَاهِبِ وَالْإِبْدَاعَاتِ فِكْرَهُمْ وَانْزَوَوْا خَلْفَ كُتُبَانِ الْحَيَاةِ يَسْتَمْطِطُونَ أَرْزَاقَهُمْ وَأَقْوَاتَهُمْ فَقَطْ؛ لَكِنِّي يَعِيشُوا هَذِهِ الْحَيَاةَ وَمَا يَعِيشُهُ الْعَالَمُ الْإِنْسَانِيُّ الْيَوْمَ هُوَ أَقْلُ الْقَلِيلِ مِنْ ضُرُوبِ الْجَهْلِ وَالْفَاقَةِ وَالْعَوَزِ، وَالْقَادِمُ سَيَكُونُ أَسْوَأَ مِمَّا يَعْتَقِدُهُ إِنْسَانُ الْحَيَاةِ، مَا دَامَتِ الْقُوَى الْعُظْمَى تَسْعَى إِلَى إِبَادَةِ الْبَشَرِ،

إِلَّا قَلِيلًا، بَتْلَكَ الْخُطَطِ وَالْأَسْلِحَةَ التَّدْمِيرِيَّةَ. فَاحْفَظُوا عَنِّي: إِنَّ الْقَادِمَ لَا يُبَشِّرُ بِخَيْرٍ، إِلَّا إِذَا غَيَّرَ اللَّهُ أَحْوَالَ الْأَرْضِ مِنَ الشَّرِّ إِلَى الْخَيْرِ: {إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ} [الطلاق: 3]، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ.

22 ديسمبَر 2023 م

الْكِبَرُ وَالْغُرُورُ

ذَلِكَ الَّذِي أَنشَأَ مُؤَسَّسَةً تِجَارِيَّةً وَاسْتَوْظَفَ لَهَا ثُلَّةً مِنَ الْعَامِلِينَ الْمُتَخَصِّصِينَ؛ لِمَا تَتَطَلَّبُهُ هَوِيَّةُ الْمُؤَسَّسَةِ. أَعْرَاهُ بَرِيقُ الْمَالِ الَّذِي وَرَثَهُ عَنْ أَبِيهِ، فَظَنَّ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ بِالْمَالِ سَيَشْتَرِي الذِّكَاءَ، وَبِالذِّكَاءِ سَيَكُونُ الْمُفَكِّرُ النَّاجِحُ، كَيْ يَخْلُقَ إِمْبَرَاطُورِيَّةً تِجَارِيَّةً تَتَنَافَسُ كِبَرِيَّاتِ الشَّرَكَاتِ وَالْمُؤَسَّسَاتِ، وَفَكَرَ أَوَّلًا فِي شِرَاءِ ذِمِّ بَعْضِ أَصْحَابِ النُّفُوذِ وَالسُّلْطَةِ عَلَى مُسْتَوِيَّاتٍ عَدَّةٍ، مِنْ ذَوِي الشَّانِ، الَّذِينَ سَيَسُوذُ بِهِمْ وَيُعْلِي مِنْ قَدْرِهِ فِي الْأَوْسَاطِ الْعَالَمِيَّةِ التِّجَارِيَّةِ، وَكَانَ يَدْفَعُ بِسَخَاءٍ. وَأَوَّلَ مَا أَكَّسَ مُؤَسَّسَتَهُ كَانَ أَوَّلَ مَا فَكَّرَ بِهِ أَنْ يُؤَسِّسَ لِشَخْصِيَّتِهِ الْإِعْتِبَارِيَّةِ مَكَانَةً مُهِمَّةً فِي دَاخِلِ مُؤَسَّسَتِهِ عَلَى الْعَامِلِينَ الَّذِينَ تَحْتَ مِظَلَّتِهِ، وَالْجَمِيعُ كَانَ فَرِحًا بِهِ، وَعَامِلًا مُخْلِصًا لَهُ؛ فَهُمْ يُنْفِذُونَ أَوَامِرَهُ وَيُقَدِّمُونَ مِنْ جُهْدِهِمْ وَوَقْفِهِمْ وَفِكْرِهِمْ مَا يَسْتَطِيعُونَ، يُرِيدُونَ إِرْضَاءَهُ بِكُلِّ أَشْكَالِ الرِّضَا، وَهُوَ لَمْ يَكُنْ يُرِيدُ أَنْ يُرْضَوْهُ حُبًّا فِيهِ، بَلْ أَنْ يُرْضَوْهُ خَوْفًا مِنْهُ وَإِكْبَارًا وَتَعْظِيمًا لِفِكْرِهِ الْمُنْقَطِعِ النَّظِيرِ، الْفَائِقِ الْقُدْرَةِ، كَمَا يَتَوَهَّمُ هُوَ؛ فَسَاقَهُ تَفَكُّيرُهُ إِلَى الْعَمَلِ عَلَى إِذْلَالِهِمْ بِالتَّخْوِيفِ وَإِجْرَاءِ الْخُصُومَاتِ الْمَالِيَّةِ عَلَيْهِمْ افْتِعَالًا وَزُورًا مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ، وَتَرْهِيبًا لَهُمْ بِافْتِعَالِ الْمَكَائِدِ بِهِمْ، فَكَانَ يَقْدُمُ فِيهِمْ الدَّعَاوَى الْبَاطِلَةَ وَيَسْجُنُ نَفَرًا مِنْهُمْ، وَيُنْكَلُ بِهِمْ أَبْشَعَ تَنْكِيلٍ، دُونَ رَحْمَةٍ وَدُونَ وَازِعٍ مِنْ ضَمِيرٍ؛ فَقَدْ خَرَجَ بِالْكُلِّيَّةِ عَنْ آدَمِيَّتِهِ، وَعَنْ نَامُوسِ الْفِطْرَةِ وَكَرَامَةِ الْخُلُقِ؛ فَدَفَعَهُ الْغُرُورُ إِلَى أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، مَا دَامَ قَدْ اشْتَرَى ذِمَّ الْكِبَارِ فِي عَالَمِ التَّجَارَةِ، وَدَفَعَهُ الْهَوَى وَالْمَالُ إِلَى أَنْ مَا يَفْعَلُهُ يَقْوَى مِنْ شَخْصِيَّتِهِ، وَيَجْعَلَ لِقَرَارَاتِهِ التَّمْيِيزَ الْأَمْتَلُ فِي نَظَرِ الْعَامِلِينَ وَأَرْبَابِ التَّجَارَةِ فِي عَوَالِمِ الْأَرْضِ، وَبِهَذَا يَرْكُبُ عَلَى الرُّقَابِ، وَيُحَقِّقُ الْإِمْبَرَاطُورِيَّةَ الْأَعْلَى وَالْأَوْحَدَ فِي الْعَالَمِ. كَانَ مُنْدَفِعًا مُؤَمِّنًا إِلَى حَدِّ التَّصَدِيقِ بِأَوْهَامِهِ إِلَى أَنَّهُ مِنْ خِلَالِ فِكْرِهِ سَيَكُونُ هُوَ الرَّقْمَ الْأَوَّلَ عَالَمِيًّا. وَلَمْ يُعْطِ لِفِكْرِهِ التَّحْسُبَ لِلْعَوَاقِبِ،

وَأَنَّهُ بَسَرٌ يُّخْطِئُ وَيُصِيبُ، وَأَنَّ الْحَيَاةَ لَمْ تُخْلَقْ لَهُ وَحْدَهُ، وَأَنَّ الْهَوَى وَالْعُرُورَ وَالْكَبَرَ وَالظُّلْمَ سَتَجَعُلُهُ مَكْرُوهًا لَدَى النَّاسِ، وَأَنَّ فِي الزَّمَانِ عِبْرَةً لِمَنْ طَغَى وَتَجَبَّرَ فَكَانَ مِنَ الْهَالِكِينَ. وَفِي الْقَصَصِ الْقُرْآنِيِّ كَثِيرٌ مِنْ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ غَفَلُوا عَنْ قُدْرَةِ اللَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ يُمְهِلُهُمْ إِلَى حِينٍ، ثُمَّ يَأْخُذُهُمْ بَعْتَةً أَخَذَ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ؛ حَيْثُ كَانَ غُنْفُوانُ النَّفْسِ وَغُرُورُ الصَّحَّةِ وَالْمَالِ وَاضْطِنَاعُ الْقُدْرَةِ الْوَاهِمَةِ سَبَبًا فِي طُغْيَانِهِ؛ فَلَمْ يَتَذَكَّرْ مَا حَلَّ بِقَارُونَ وَمَا أَهْلَكَ فِرْعَوْنَ وَنِيرُونَ وَغَيْرَهُمَا مِنَ الَّذِينَ مَلَكَوا فَغَرَّبَهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَغَرَّبَهُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ. وَعِنْدَمَا اسْتَقَامَ لَهُ الْمَجْدُ التَّجَارِيُّ الْمَوْهُومُ، وَشَعَرَ بِأَنَّهُ قَدْ حَوَى الْمَالَ وَالْجَاهَ وَالْمَكَانَةَ، وَصَارَ يُشَارُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ مَحْفَلٍ مِنَ الْمَحَافِلِ التَّجَارِيَةِ، وَأَصْبَحَ بِالْفِعْلِ رَقْمًا مَهْمًا فِي الْمُعَادَلَاتِ التَّجَارِيَةِ؛ لَمْ يَعُدْ يُفَكِّرُ إِلَّا بِالْمَالِ، فَهُوَ إِلَهُهُ وَجَاهُهُ وَسُلْطَانُهُ الَّذِي بِهِ اتَّخَنَ فِي الظُّلْمِ، وَأَذَلَّ بِهِ الضُّعَفَاءَ وَالْمَسَاكِينَ مِمَّنْ لَيْسَ لَهُمْ حَوْلٌ وَلَا قُوَّةٌ؛ فَبَغَى وَطَغَى وَبَطَشَ، وَكَانَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ، حَتَّى جَاءَتْ لَحْظَةُ الْعِقَابِ الرَّبَّانِيِّ، حِينَمَا ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِمَرَضٍ عُضَالٍ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ؛ فَصَرَفَ مَالَهُ كُلَّهُ عَلَى الْعِلَاجِ دُونَ جَدْوَى، حَتَّى ذَهَبَتْ ثَرْوَتُهُ وَأَصْبَحَ - كَمَا قَالَ الْقُرْآنُ -: {يُقَلِّبُ كَفِّهِ عَلَى مَا أُنْفِقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا} [الكهف: 42]، وَكَانَ يَتَمَنَّى شَرْبَ الْمَاءِ فَلَا يَسْتَطِيعُهُ، وَإِذَا حَاوَلَ الشَّرْبَ فَإِنَّ الْمَاءَ يَنْزِلُ كَأَنَّهُ الْحَمِيمُ الَّذِي يَقْطَعُ أَمْعَاءَهُ، وَكَانَ يَنْظُرُ إِلَى الطَّعَامِ فَيَسْتَهْيه فَلَا يَقْدِرُ عَلَى إِدْخَالِهِ إِلَى جَوْفِهِ، فَكَانَهُ إِذَا أَكَلَ يَأْكُلُ الْجَمْرَ. كَانَ يَتَمَنَّى الْمَوْتَ، فَأَمْسَكَ اللَّهُ الْمَوْتَ عَنْهُ، كَيْ يُذِيقَهُ عَذَابَ الدُّنْيَا أَوَّلًا، وَلَهُ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ مُهِينٌ. هَكَذَا يَكُونُ عَدْلُ اللَّهِ وَقِصَاصُهُ مِنَ الَّذِينَ يَتَغَافَلُونَ وَيَتَنَاسَوْنَ قُدْرَةَ اللَّهِ الْقَوِيِّ الْمُتَيْنِ.

4 أغسطس 2022م

يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا} [الجن: 16]، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ اسْتَقَامَ عَلَى هُدَاكَ وَأَسْقَيْتَهُ عَذْبَ رِضَاكَ وَعَافَيْتَهُ، وَعَفَوْتَ عَنْهُ، وَوَالِدَيْنَا وَكُلَّ أَهْلِنَا وَأَحِبَّائِنَا وَأَصْدِقَائِنَا وَالْمُسْلِمِينَ، يَا رَبَّنَا الْمَجِيدَ، يَا مَالِكَ الْمُلْكِ، خَالِقَنَا وَخَالِقَ كُلِّ شَيْءٍ، لَكَ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَكَ الْحَمْدُ فِي الرَّخَاءِ وَفِي الْبَلَاءِ، وَلَكَ الْحَمْدُ بِقَدْرِ مَا ذُرِّي عَلَى الْكَوْنِ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ.

6 أغسطس 2018م

انْفُضُوا عَنْكُمْ الْأَحْزَانَ وَالْآلَامَ وَالْهُمُومَ، امْسَحُوا دُمُوعَكُمْ، حَاولُوا أَنْ تَنْقَلِبُوا عَلَى الظَّلَامِ فِي نَفُوسِكُمْ، وَتَسْتَبْدِلُوهُ بِفَتْحِ كُوَّةٍ فِي قُلُوبِكُمْ؛ لِيَدْخُلَ مِنْهَا بَصِيصٌ مِنَ الْأَمَلِ. صَارِعُوا الْوَهْنَ وَالضَّعْفَ وَالذُّلَّ وَالْإِنْكَسَارَ. افْتَحُوا أَبْوَابَ الْفَرَحِ وَالسَّعَادَةِ. لَا تَقُولُوا: كَيْفَ؟ فَإِنَّا مِثْلُكُمْ لَا أَعْرِفُ كَيْفَ تَنْقَشُ سَحَابَاتُ الضِّيقِ وَتَنْبَلِجُ أَسَارِيرُ الْبَهْجَةِ وَتُمَحِّي كَلِمَاتُ الشَّقَاءِ مِنْ قَوَامِيسِ اللُّغَاتِ.

15 يونيو 2013م

لَيْسَ مُهِمًّا أَنْ تُحِبَّ أَوْ تَكْرَهُ، الْمُهْمُّ عِنْدَمَا تُحِبُّ أَنْ تَسُرَّ، وَعِنْدَمَا تَكْرَهُ أَلَّا تَضُرَّ.

30 يوليو 2012م

اعْتَبِرْنِي وَهَمًّا.. اعْتَبِرْنِي حُلْمًا.. عُدْنِي رَسْمًا، لَكِنْ لَا تَعُدْنِي لَا شَيْءًا.

1 أغسطس 2012م

تَصْغُرُ الْأَمَانِيُّ فِي النُّفُوسِ بَعْدَ تَحْقِيقِهَا.

15 أغسطس 2012م

لَا تَقْبَلْ عَلَى فِكْرِكَ أَنْ يَكُونَ فِكْرًا لِلْآخِرِينَ، اكْتُبِ إِلَهَامَكَ أَنْتَ، وَلَا يَكُنْ فِكْرَكَ نُظْفَةً غَيْرَ شَرْعِيَّةٍ مِنْ نُظْفِ غَيْرِكَ بِالسَّفَاحِ الْفِكْرِيِّ.

20 أغسطس 2013م

الإِخْلَاصُ صَعْبُ الْمِرَاسِ.

20 أغسطس 2013م

الْأَمَانُ لَيْسَ لَهُ مَكَانٌ.

20 أغسطس 2013م

لَا تَنْشَغِلْ بِأَحَدٍ بِقَدْرِ انْشِغَالِكَ بِنَفْسِكَ.

14 سبتمبر 2013م

حَتَّى الصَّمْتُ يَجْرَحُ أَحْيَانًا.

18 سبتمبر 2018م

فِي الْبُعْدِ يَشْتَاقُ إِلَيْكَ الْقُرْبُ، وَفِي الْقُرْبِ يَمْلُكُ. كُنْ وَسْطًا بَيْنَ الْبُعْدِ وَالْقُرْبِ. لَا تَبْتَعدُ وَلَا تَقْتَرِبْ.

20 سبتمبر 2012م

لَوْ لَا النَّسِيَانُ لَسَادَتِ الْأَحْزَانُ.

1 أكتوبر 2017م

بِقَدْرِ مَا تُحَافِظُ عَلَى أَغْرَاضِ النَّاسِ يَأْتِي مَنْ يُحَافِظُ عَلَى عِرْضِكَ.

2 أكتوبر 2017م

افْعَلْ أَيَّ شَيْءٍ، لَكِنْ إِيَّاكَ أَنْ تُضَرَّ مُسْلِمًا.

5 أكتوبر 2012م

عِنْدَمَا يُحْزِنُكَ أَمْرٌ انْتَظِرْ لِبَعْضِ الْوَقْتِ يَهْنُ عِنْدَكَ.

6 أَيْتُونِبَر 2017م

نَفَرٌ مِنْ مَجْلِسِهِ نُفُورَ الظُّبْيِ، وَالتَّتَفَتَ بِجِيدِهِ التَّفَاتَةَ الْبَرْقِ مِنْ خَلْفِ غَيْمَةٍ بَيضاءَ،
وَعِنْدَمَا دَمَعَتْ عَيْنَاهُ رَأَاهَا وَكَانَهَا قَدْ أَمْطَرَتْ جَوْهَرًا تَسَاقَطَ عَلَى خُدُودِ الْوَرْدِ، وَقَدْ تَصَرَّجَ
بِالْحُمْرَةِ لِيَكْسُو وَجْهَ الشَّمْسِ جَمَالَ النَّهَارِ. وَكَانَ لَانْفَتَاحِهَا حَظٌّ مِنْ حُمْرَةِ الشَّفَقِ.

11 سِبْتَمْبَر 2021م

فِي زَحْمَةِ الْكَلَامِ صِرْتُ أَنْسَى مُوَاصِلَةَ الْكَلَامِ.

15 نُوْفَمْبَر 2014م

الْحَيَاةُ تَسْعُنِي وَتَسْعُكَ وَتَسْعُ الْكَوْنُ، وَلَكِنَّ الْخَلْقَ يَضِيقُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

15 نُوْفَمْبَر 2013م

لِمَاذَا تَنَامُ وَهُنَاكَ نَوْمٌ طَوِيلٌ؟!

15 نُوْفَمْبَر 2013م

لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُحْصِيَ أَمَانِيكَ.

15 نُوْفَمْبَر 2012م

كُلُّ نُورٍ لَا بُدَّ أَنْ يُطْفَأَ، إِلَّا نُورَ اللَّهِ.

15 نُوْفَمْبَر 2012م

نَهْرُ الْأَحْزَانِ لَا يَنْضُبُّ.

16 نُوْفَمْبَر 2013م

هُنَاكَ أَشْيَاءٌ لَا تَتَعَلَّقُ بِالذِّكَاةِ، وَلَا الْعَبَقَرِيَّةِ، وَلَا الْعِلْمِ، إِذَا تَعَلَّقَتْ بِالْحُظُوظِ.

19 نُوْفَمْبَر 2018م

الْيَوْمُ لَكَ، وَغَدٌ لِغَيْرِكَ، وَلَكِنْ مَاذَا تَرَكْتَ فِي يَوْمِكَ لِيَكُونَ ذِكْرِي فِي غَدِكَ.

19 نوفمبر 2018م

الْعَبْ كَمَا تَشَاءُ؛ إِنَّهَا الدَّمَى.

19 نوفمبر 2018م

لِلنَّدَمِ دَرَجَاتٌ، أَقْوَاهَا يُؤَدِّي لِلِانْتِحَارِ.

19 نوفمبر 2012م

لَيْسَ فِي الْبَشَرِ مَنْ يَسْلَمُ مِنْ ظُلْمِ الْبَشَرِ.

20 نوفمبر 2015م

كَأَنِّي أَرَى الْأَرْضَ مَعْمُوسَةً فِي لَيْلٍ حَالِكٍ، كُلُّ يَنْظُرٍ مِنْ نَوَافِدِ الْخَوْفِ، يَتَرَقَّبُ مَا سَتَحْمِلُهُ مُفَاجَأَتٌ غَدٍ جَدِيدٍ.

23 نوفمبر 2013م

الْخَوْفُ شَبَحٌ لَا نَسْتَطِيعُ قَتْلَهُ فِي نُفُوسِنَا.

23 نوفمبر 2013م

فِي الصَّوَابِ وَالْخَطَأِ نَحْنُ نُبَرِّرُ أَفْعَالَنَا بِقَنَاعَاتٍ فِيهَا الصَّحِيحُ وَالْخَطَأُ.

23 نوفمبر 2013م

عِنْدَمَا نَعْشَقُ إِلَى حَدِّ الْهَيَامِ لَا نَرَى عَيْنًا فِيمَنْ نُحِبُّ.

23 نوفمبر 2013م

نُرِيدُ أَنْ نَصِلَ بِالصَّبْرِ إِلَى الصَّمْتِ، وَبِالصَّمْتِ إِلَى الْحِكْمَةِ.

23 نوفمبر 2013م

كُلُّنَا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَعِيدَ صُورَتَهُ الْحَقِيقِيَّةَ بِتَفَاصِيلِهَا فِي ذَهْنِهِ؛ لِذَا نَحْنُ نَرَى أَشْكَالَنَا فِي الصُّورِ وَالْمِرْآةِ.

23 نُوَفَّمَبِر 2013م

عَلَى مَاذَا نَبْكِي؟ عَلَى مَاضٍ دَفَنَّا، أَمْ عَلَى حَاضِرٍ نَحْنُ ضَحَايَاهُ، أَمْ عَلَى مُسْتَقْبَلٍ
بِالظُّلَمِ نَحْيَاهُ؟

27 نُوَفَّمَبِر 2014م

قُلْ لِمَنْ يُسِيءُ إِلَيْكَ: شُكْرًا. وَابْتَغِدْ عَنْهُ.

27 نُوَفَّمَبِر 2014م

الْحُبُّ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُضِيءَ قَلْبًا لَا يُرِيدُ الْخُرُوجَ مِنَ الظَّلَامِ.

28 نُوَفَّمَبِر 2014م

لَيْسَ فِي مَقْدُورِكَ أَنْ تُحَقِّقَ السَّعَادَةَ لِنَفْسِكَ، فَضْلًا عَلَى مَنْ تُحِبُّ.

29 نُوَفَّمَبِر 2013م

لَيْسَ خَلِيقًا بِالرُّجُولَةِ مَنْ يَقْسُو عَلَى الْأُنْثَى.

29 نُوَفَّمَبِر 2014م

الشَّعْرُ هُوَ جَوَاهِرُ الْعُقُولِ، وَهُنَاكَ مَنْ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الْجَوَاهِرِ وَالزُّجَاجِ؛ لِذَا مِنَ الْعَيْبِ
أَنْ تُرَى الْجَوَاهِرُ لِمَنْ لَمْ يَعْرِفْهَا.

29 نُوَفَّمَبِر 2013م

قُوَّةُ الْعَقْلِ أَكْثَرُ مِنْ قُوَّةِ الْجِسْمِ.

29 نُوَفَّمَبِر 2013م

الْمَرْأَةُ مِثْلُ الْأَرْضِ، كُلَّمَا سَقَيْتَهَا حُبًّا اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ، وَأَطْلَعَتْ ثَمَرًا جَنِيًّا.

29 نُوَفَّمَبِر 2013م

الْمَرْأَةُ الذَّكِيَّةُ مَنْ تَحَافِظُ عَلَى رِشَاقَتِهَا، وَتَعْتَنِي بِأُنُوثَتِهَا؛ حَتَّى لَا تَمُوتَ حَيَّةً.

6 ديسمير 2012م

لَا تُعْطِ إِنْسَانًا فَوْقَ قَدْرِهِ فَيَسْتَهِينَ بِقَدْرِكَ.

7 ديسمير 2015م

كَثِيرٌ مِنَ الْأَسْئَلَةِ لَنْ تَجِدَ لَهَا جَوَابًا فِي الْحَيَاةِ.

7 ديسمير 2015م

بِقَدْرِ فَضْلِكَ يَكُونُ ذِكْرُكَ.

10 ديسمير 2014م

اطْمَئِنَّ، لَمْ أَعُدْ أَغْضَبُ مِنْكَ وَلَا أَعْتَبُ عَلَيْكَ؛ لِأَنَّكَ لَمْ تَعُدْ مُهِمًّا لَدَيَّ.

10 ديسمير 2013م

لَا تَجْعَلْ مِنْ نَفْسِكَ خَصْمًا عَنْ غَيْرِكَ.

10 ديسمير 2013م

كَثِيرًا مَا تَخُونُكَ ظُنُونُكَ.

10 ديسمير 2012م

قَبْلَنَا ذَهَبُوا.. دُونَمَا ذَهَبَ.

10 ديسمير 2018م

فِي لَحْظَةِ نَحْبٍ، وَفِي لَحْظَةِ نَكْرَةٍ، وَفِي لَحْظَةِ نَفْرَحٍ، وَفِي لَحْظَةِ نَحْزَنٍ، وَفِي لَحْظَةِ نَقْوَى، وَفِي لَحْظَةِ نَضْعَفُ، ... وَمَا هَذَا الْجُنُونُ الْخَلْقِيُّ؟ وَالْأَعْجَبُ أَنَّنَا نَتَّصِفُ بِالْعَقْلِ وَالْعَقْلَانِيَّةِ.. خَلَقَ مُضْحِكٌ مُبْكٍ.

11 ديسمبَر 2018م

الْخَلْقُ مَزِيْجٌ مُّعَقَّدٌ مِنَ الْأَخْلَاطِ الْمُرَكَّبَةِ تَجْرِي فِي الشَّرَايِينِ، تُحَدِّثُ تِلْكَ التَّقَلُّبَاتِ مِنْ فَرَحٍ وَتَرَحٍّ، وَجُوعٍ وَشَبَعٍ، وَقُوَّةٍ وَضَعْفٍ، وَبُكَاءٍ وَابْتِسَامٍ، وَرِضًا وَغَضَبٍ، وَسَقَمٍ وَشِفَاءٍ؛ لَا تَعْمَلُ بِالْإِرَادَةِ الْكُونِيَّةِ، وَإِنَّمَا بِمَنْ كَوَّنَ الْكُونِيَّةَ؛ إِعْجَازٌ.. إِبْدَاعٌ.. اقْتِدَارٌ.

11 ديسمبَر 2018م

الْقَبِيْحُ فِي عَيْنِكَ لَهُ عَيْنٌ تَرَاهُ جَمِيْلًا.

11 ديسمبَر 2018م

كُلُّ مَخْلُوقٍ لَيْسَ لِيَوْمِهِ عَدٌ.

11 ديسمبَر 2018م

كُلُّ يَتَعَوَّذُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَلَكِنَّهُ يَتَّبِعُ خُطُوَاتِهِ.

11 ديسمبَر 2018م

تَأْمَلْ فِي ضَعْفِكَ بَعْدَ قُوَّتِكَ.

11 ديسمبَر 2018م

كَيْفَ تُرِيدُ أَنْ يُحِبَّكَ النَّاسُ وَأَنْتَ لَا تَهْتَمُّ بِمُعَانَاةِهِمْ؟

12 ديسمبَر 2013م

لَا تَقْتَصِّ لِنَفْسِكَ؛ فَالزَّمْ كَفِيْلًا بِأَنْ يَقْتَصَّ لَكَ.

12 ديسمبَر 2013م

عِتَابُكَ لِلْعَاقِلِ مَهَارَةٌ، وَعِتَابُكَ لِلْجَاهِلِ خَسَارَةٌ.

12 ديسمبَر 2011م

سَتَظَلُّ مَسَاحَاتُ الْحُرِّيَّةِ النَّقْدِيَّةِ أَحَدَ الْعِلَاجَاتِ الْمُنْقِذَةِ مِنْ أَمْرَاضِ الْإِكْتِنَابِ الَّذِي يُصِيبُ أُنْبَاءَ الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ.

15 ديسمبَر 2013م

أَنْتَ إِنْسَانٌ إِذَا أَنْتَ عَقْلٌ وَقَلْبٌ مُدْرِكٌ لِلْمَسْمُوعَاتِ وَالْمَرْتَبَاتِ وَالْمَحْسُوسَاتِ.

15 ديسمبَر 2011م

تَعَالَوْا نَقْتُلِ الْخَوْفَ فِي نَفُوسِنَا.

16 ديسمبَر 2013م

خُلِقَ الْخَلْقُ لِتُرِكَ كُلٌّ مِنْهُمْ بِصَمَةٍ مُخْتَلِفَةٍ عَنِ الْآخِرِ فِي كَوْنِهِ.

16 ديسمبَر 2013م

لَا شَيْءَ حَقِيقِيٍّ، كَأَنَّ جَمِيعَ الَّذِي مَرَّ مِنَ الْعُمُرِ رُؤْيَا مَنَامٍ.

16 ديسمبَر 2013م

مَهْمَا تَحَاوَلْ فَقَدْرُكَ لَنْ يُخْطِئَكَ.

19 ديسمبَر 2012م

الرَّجُلُ لَهُ شَيْطَانَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَا تَقْبَلُ بِشَيْطَانَةٍ أُخْرَى تُشَارِكُهَا فِيهِ. وَالْمَرْأَةُ كُلُّ شَيْطَانِينَ الْأَرْضِ يَسْكُونُوهَا؛ لِذَلِكَ لَا تَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ حَتَّى تُدَمِّرَ نَفْسَهَا بِنَفْسِهَا.

19 ديسمبَر 2011م

أُحِبُّكَ كَالْأَطْفَالِ تُعَابِثِينِي... أُحِبُّكَ كَالنِّسَاءِ تَمْرِينَ عَلَى تَعْبِي فَتَرِيحِينِي... أُحِبُّكَ كَالْقَطْرِ تُحِينِي... أُحِبُّكَ وَرْدَةً مَغْرُوسَةً بِصَدْرِي... أُحِبُّكَ شَيْئًا آخَرَ هُوَ سِرُّ اللَّذَّةِ بَيْنَ اثْنَيْنِ.

20 ديسمبَر 2018م

أَشْيَاؤُنَا الْقَدِيمَةُ كُلُّهَا ذِكْرِيَاتُ أَعْمَارِنَا الَّتِي مَرَّتْ وَتَعَاقَبَتْ عَلَيْهَا الْأَحْدَاثُ. كَأَنَّا نَرَى صُورَنَا فِي أَوْقَاتِ حَدُوثِهَا، نَقُولُ: هَذِهِ كَانَتْ فِي عَامِ كَذَا.

تَذَكَّرْ طُفُولَةَ أَعْمَارِنَا، وَصِبَانَا، وَفُتُوتَنَا، وَكُهُولَتَنَا، وَشَيْخُوخَتَنَا، وَبَعْدَنَا يَتَذَكَّرُهَا
الْأَبْنَاءُ، وَيَقُولُونَ مِثْلَمَا كُنَّا نَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ.. {وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ} [آل عمران:
140].

21 دِيسَمْبَرِ 2021م

حَتَّى تُحَافِظُوا عَلَى رِشَاقَتِكُمْ امْتَنِعُوا عَنِ الْحُلُوِّ، إِلَّا حَلَاوَةَ النِّسَاءِ.

25 دِيسَمْبَرِ 2014م

لَا يَغُرَّنَكَ جَمَالُ الْعُيُونِ؛ فَبَعْضُهَا قَاتِلٌ.

25 دِيسَمْبَرِ 2014م

مُنْتَهَى الْقُوَّةِ أَنْ تَجْعَلَ نَفْسَكَ فِي قَبْضَةِ يَدِكَ.

25 دِيسَمْبَرِ 2014م

السَّيَاحَةُ غِذَاءٌ لِلثَّقَافَةِ.

30 دِيسَمْبَرِ 2013م

فِي كُلِّ بَلَدٍ أَحْسَسْتُ بِأَطْلَالِ التُّرَاثِ الْقَدِيمِ وَكَأَنَّهُ جُزْءٌ مِنْ ذِكْرِيَّاتٍ تَعَايَشْتُ مَعَهَا فِي
الطُّفُولَةِ.

30 دِيسَمْبَرِ 2012م

الطُّفُولَةُ وَالْمَطَرُ أَنْسَى مَعَهُمَا مَنْ أَنَا.

14 يُونِيُو 2021م

جَمَالُ النَّفْسِ يَغْنَى بِالْحُبِّ وَيَقْبَحُ بِالْكَرْهِ.

17 يُونِيُو 2021م

يَتَوَلَّاكَ الْعَظِيمُ فِي كُلِّ أَمْرٍ عَظِيمٍ.

17 يونيو 2021م

مَا زِلْتُ أَفَكِّرُ كَيْفَ يَكُونُ الْفِكْرُ عَظِيمًا فِي اسْتِحْدَاثِ جَدِيدِ الْعِلْمِ.

17 يونيو 2021م

لِلنَّفْسِ مَحَطَّاتٌ عُمَرِيَّةٌ يَنْضَجُ فِيهَا الْفَهْمُ.

17 يونيو 2021م

كُلُّ أَبٍ يُرِيدُ أَنْ يَرَى مَا لَمْ يَتَحَقَّقْ لَهُ مُتَحَقِّقًا فِي أَبْنَائِهِ.

7 يوليو 2021م

رَخِصْنَا وَهَنًا بَعْضَنَا عَلَى بَعْضٍ عِنْدَمَا دَاهَمَ الْعَالَمَ مَرَضٌ كُورُونَا، أَصْبَحْنَا يَخَافُ
بَعْضُنَا بَعْضًا؛ فَلَا تَسْتَطِيعُ زِيَارَةَ مَرِيضٍ عَزِيزٍ أَوْ قَرِيبٍ أَوْ ابْنٍ أَوْ أَبٍ أَوْ أُمٍّ..
عَصُرٌ مُخِيفٌ، يَمُوتُ الْإِنْسَانُ فِيهِ بِلَا وَدَاعٍ الْمُحِبِّينَ، يَتِمُّ دَفْنُهُ دُونَ النَّظَرِ، وَدُونَ
الْقُرْبِ مِنَ الْمَيِّتِ!

عَصُرٌ كَرِيهٌ لَمْ يَعُدْ لِلْإِنْسَانِ فِيهِ قِيَمَةٌ.
عَصُرٌ تُجْبِرُهُ الْحَيَاةُ عَلَى تَقْطِيعِ كُلِّ أَوَاصِرِ الْقُرْبَى.

10 يوليو 2021م

وَاللَّهِ لَنْ يَتْرَكَ اللَّهُ نَفْسًا خَلَقَهَا إِلَّا وَيَجْبُرُ كَسْرَهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

16 أغسطس 2021م

نَشْكُو الزَّمَانَ وَنَحْنُ الزَّمَانُ.

18 أغسطس 2021م

الْعَالَمُ يَدُورُ قَلَقًا وَحَيْرَةً حَوْلَ نَفْسِهِ فِي كُلِّ ثَانِيَةٍ؛ لِذَا لَنْ يَسْتَطِيعَ الْفِكْرُ الْإِنْسَانِيَّ
الْخُرُوجَ مِنْ دَائِرَةِ التَّدْمِيرِ إِلَى قُدْرَةِ التَّدْبِيرِ مَا دَامَتِ الْحَيَاةُ وَأَسْرَارُهَا لُغْزًا لَا يُمَكِّنُ حَلَّهُ،
وَمَا دَامَتِ الذَّاتُ الْخُلُقِيَّةُ لَيْسَتْ مُوَهَّلَةً لِفَكِّ شَفَرَةِ الْحَيَاةِ.

17 سِبْتَمْبَر 2021م

لَا تَقُلْ لِدَاتِكَ: أَنَا أَنَا، حَتَّى لَا تَطْغَى عَلَيْكَ.

27 أَكْتُوبَر 2021م

كَمَا كَانَ لَكَ الْحَقُّ فِي الدُّخُولِ إِلَى عَالَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ، يَكُونُ لَكَ الْحَقُّ فِي مِلْكِيَّاتِهَا الطَّبِيعِيَّةِ. فِطْرَةُ اللَّهِ.

2 نَوْفَمْبَر 2021م

فِي صَلَاحِ نَفْسِكَ يَكُونُ صَلَاحُ نُفُوسِ الْآخَرِينَ.

3 نَوْفَمْبَر 2021م

الرُّوحُ وَالنَّفْسُ هُمَا جَوْهَرٌ، وَلَيْسَتْ مَادَّةً.

4 نَوْفَمْبَر 2021م

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانَا مِمَّا ابْتَلَى بِهِ كَثِيرًا. أَكْثَرُ مَا تَتَغَدَّى بِهِ النُّفُوسُ الْمَرِيضَةُ هُوَ التَّلَذُّذُ بِفَضَائِحِ النَّاسِ وَعَثَرَاتِهِمْ وَنَكَبَاتِهِمْ، وَكَانَتْهُمْ فِي مَنْجَى مِنْ تَصَارِيفِ الْأَقْدَارِ.

4 نَوْفَمْبَر 2021م

إِنَّمَا هِيَ الدُّنْيَا، يَكُونُ شَرُّهَا أَكْثَرُ مِنْ خَيْرِهَا لِمَنْ أَرَادَهَا، وَخَيْرُهَا أَكْثَرُ مِنْ شَرِّهَا لِمَنْ أَرَادَهَا.

1 يَنَايِر 2018م

يَوْمًا اعْتَقَدْنَا أَنَّنَا رُسُلُ السَّلَامِ وَالْحُرِّيَّةِ حِينَ كُنَّا نَقْرَأُ ثَقَافَاتِ الْأُمَمِ، وَجِئْنَا بِأَفْكَارٍ نَتَجَاوَزُ بِهَا ثَقَافَةَ الْأُمِّيَّةِ، فَإِذَا بَنَّا تَفَرَّضَ عَلَيْنَا ثَقَافَةَ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ الْأَدَمِيَّةِ الَّتِي لَا تَعْرِفُ لِلْعَقْلِ مَكَانًا إِلَّا فِي الْفَخْرِ بِالتَّخَلُّفِ الْفِكْرِيِّ.. فَهَلْ سَمِعْتَ عَنْ أَصْنَامٍ تَعْقِلُ؟

3 يناير 2014م

إِذَا خَلَقْتَ أَوْ أَبْدَعْتَ أَوْ اخْتَرَعْتَ شَيْئًا فَتَحَكَّمْ بِهِ، أَمَّا الْخَلْقُ فَعِيَالُ اللَّهِ وَعَبِيدُهُ، خَلَقَهُمْ وَسَوَّاهُمْ بِيَدَيْهِ الْعَظِيمَتَيْنِ، وَقُدَّرَتْهُ، وَحُكِّمَهُمْ إِلَيْهِ وَلَهُ وَبِهِ، فَلَا تَتَحَكَّمْ فِيهِمْ إِلَّا بِإِرَادَةٍ يَرْضَاهَا الْحَقُّ وَيُؤَيِّدُهَا الْعَدْلُ، وَإِلَّا فَلَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ

20 يونيو 2014م

لَا تَحَكَّمْ عَلَى الْأَشْيَاءِ بِالْفَرْضِيَّاتِ؛ بَلْ بِالْحَقَائِقِ.

22 يونيو 2014م

بَعْضُ الْهُمُومِ كَالْأَمْرَاضِ الْمُزْمِنَةِ، يَصْعُبُ عِلَاجُهَا.

22 يونيو 2014م

وَقَدْ يَكُونُ فِي الشَّرِّ الْخَيْرُ، وَقَدْ يَكُونُ فِي الْخَيْرِ الشَّرُّ.

7 يناير 2013م

يَقُولُ قَائِلٌ: أَنْتَ تُسْرِفُ فِي الْفَخْرِ بِنَفْسِكَ! وَأَقُولُ: نَعَمْ، وَلَمْ لَا؟ أَلَيْسَ الْفَخْرُ هُوَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ؟! الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى مَا وَهَبَنِي إِيَّاهُ وَحَبَانِي بِهِ.

14 يناير 2016م

لَا تُسَيِّ فَيْسَاءَ إِلَيْكَ.

16 يناير 2015م

تَعَالَوْا لِنَقْتَبِسَ مِنْ حُبِّ اللَّهِ نُورًا يَكُونُ مِشْعَلًا لِقُلُوبِنَا وَعُقُولِنَا. تَعَالَوْا يُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا فِي اللَّهِ؛ فَذَلِكَ الْحُبُّ الصَّادِقُ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ. تَعَالَوْا نَبْذِ الْبُغْضَ بَيْنَنَا؛ لِأَنَّهُ لَا فَائِدَةَ مِنْهُ إِلَّا الْأِضْرَارُ بِقُلُوبِنَا وَعُقُولِنَا؛ وَلَكِنَّ الْحُبَّ يُزِيلُ هُمُومَكَ بِالصُّحْبَةِ الطَّيِّبَةِ، وَيُؤْنِسُ وَحْدَتَكَ فِي غُرْبَةِ الدُّنْيَا. لِمَاذَا أَكْرَهَكَ؟ وَلِمَاذَا تَكْرَهْنِي؟ نَحْنُ أَحْوَجُ مَا نَكُونُ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ، أَرْجُوكُمْ تَعَالَوْا يُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا فِي اللَّهِ، فَتُشْفَى هُمُومُنَا وَتَرْتَاحَ نُفُوسُنَا وَنَهْنَأَ بِحَيَاتِنَا.

17 يَنَآيِر 2019م

مَا قُلْتُ فِي عُسْرِ «الْحَمْدُ لِلَّهِ» مِثَّةَ مَرَّةٍ؛ إِلَّا فَرَّجَ اللَّهُ هَمِّي وَفَرَّحْتُ.

17 يَنَآيِر 2019م

الْهَلَاكُ فِي أَكْلِ الرِّبَا حَتَّى لَوْ أَفْتَى لَكَ مَنْ أَفْتَى بِبَعْضِ حَلَالِهِ فَهُوَ مِنَ الْحِلِّ.

17 يَنَآيِر 2019م

عِنْدَمَا تَكُونُ مَعَ اللَّهِ لَا تَخَفْ؛ فَأَنْتَ فِي أَمْنِهِ، وَعِنْدَمَا تَعْفُو عَنِ الْمَظَالِمِ فَإِنَّكَ تَجْنِي الْخَيْرَ بِالْقَلِيلِ، فَيَكُونُ فِيهِ الْبَرَكَهَةُ؛ فَتَرَى أَنَّكَ أَعْظَمُ وَأَكْثَرُ مِمَّنْ يَحْوِي الْمِلْيَارَاتِ. وَعِنْدَمَا تَكُونُ يَدُكَ بِأَذَلَةٍ لِإِخْوَانِكَ مِنْ أَصْحَابِ الْحَاجَاتِ الْحَقِيقِيِّينَ، لَا النَّصَابِينَ أَوْ الْمُحْتَالِينَ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيَزِيدُكَ مِنْ فَضْلِهِ، وَيُضَاعِفُ لَكَ الْعَطَاءَ وَالْأَجْرَ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ النَّاسَ فِي اللَّهِ أَحَبَّكَ اللَّهُ.

17 يَنَآيِر 2014م

يَا رَبُّ، بَلِّغْ كُلَّ مَنْ طَلَبَكَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ مَا يَتَمَنَّى بِحَقِّ ذَاتِكَ وَأَسْمَائِكَ وَصِفَاتِكَ، يَا جَوَادُ يَا كَرِيمَ.

17 يَنَآيِر 2014م

اللَّهُمَّ دُلَّنَا إِلَى هَذَاكَ فَلَا نَعْصِيكَ طَرْفَةَ عَيْنٍ.

17 يَنَآيِر 2014م

يَا رَبُّ، أَنْتَ صَاحِبُ الْكَمَالِ، وَنَحْنُ أَصْحَابُ النُّقْصَانِ، وَلَا يَسَاوَى الْكَمَالُ بِالنُّقْصَانِ؛ فَاجْعَلْ كَمَالَكَ سِتْرًا لِنُقْصَانِنَا.

18 يَنَآيِر 2017م

فِي لَحَظَاتِ الْفَرَحِ أَوْ التَّرَحُّنِ يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ: وَمَاذَا بَعْدُ؟

19 يَنَآيِر 2019م

أَنْ تَكُونَ صَدِيقِي، تِلْكَ تَجَرِبَةٌ تَحْتَاجُ إِلَى وَقْتٍ.

19 يناير 2019م

حِينَ تَنْعَدُمُ لُغَةً التَّفَاهُمِ يَجْدُرُ بِكَ الصَّمْتُ وَالرَّحِيلُ.

19 يناير 2019م

لَا تَبْتَحثْ عَنِّي؛ فَإِنَّا نَسَمَةٌ بَارِدَةٌ مَرَّتْ فِي يَوْمٍ حَرٍّ شَدِيدٍ وَلَنْ تَعُودَ.

19 يناير 2019م

لَا تَعُدْ لِمَا قَبَلَ الْجُرْحِ، وَقَابِلِ الْعُذْرَ بِالسَّمَاحِ.

19 يناير 2019م

كُنْ حَافِظًا لِوُدِّ مَنْ فَارَقْتَ، تَكُنْ إِنْسَانًا.

19 يناير 2019م

كَثْرَةُ الْكَلَامِ فِي النِّقَاشِ تَجُرُّ إِلَى الْعَثَرَاتِ.

19 يناير 2019م

مَنْ وَجَدَ طَرِيقًا إِلَى الصَّفْحِ الْجَمِيلِ فَلْيَفْعَلْ، فَسَيَعِيشُ مُرْتَاحَ الْقَلْبِ.

20 يناير 2019م

صَارَ الْعَالَمُ كُلُّهُ أَخْبَارًا وَتَوَقُّعَاتٍ وَانْتِظَارًا، صَارَ الْكُلُّ يَتَخَرَّصُ بِمَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ، وَيَبْنِي عَلَى «قَالُوا»، دُونَ لَمَسِ حَقَائِقِ الْأُمُورِ لَمَسِ الْعِيَانِ وَالْيَدِ، لَكِنَّ اللِّسَانَ فَقَطُّ هُوَ الْمُتَحَدِّثُ بِاسْمِ كُلِّ شَيْءٍ يَقَعُ عَلَى الْأَرْضِ، أَوْ لَا يَحْدُثُ، وَيُفْتَرَى فِيهِ وَعَلَيْهِ. تَسَابَقُ لِلشَّمَاتَةِ لِطُفَاءِ الْأَحْقَادِ فِي الْإِنْسَانِ فِي مُخْتَلِفِ بَقَاعِ الْعَالَمِ. اللَّهُمَّ أَجِرْنَا وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا.

24 يناير 2016م

أَخَافُ عَلَيْكَ، لَا مِنْكَ وَيُقْصِنِي الْأَسَى عَنْكَ.

28 يناير 2021م

صَاحِبُ السُّوءِ فِي تَنَاسِيهِ رَاحَةً
لَنْ تَرَى فِي الْوَضِيعِ إِلَّا الْقَبَاحَةَ.

28 يناير 2014م

جَمَالُ الْقَلْبِ أَكْثَرُ بَهَاءٍ مِنْ جَمَالِ الْوَجْهِ وَالْجَسَدِ.

30 يناير 2018م

أَنْتِ جَنِّيَّةٌ شَعْرِي... تُلْهِمِينِي كُلَّ سِحْرِ

30 يناير 2012م

تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغْضِبَ النَّاسَ بِكَلِمَةٍ، وَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُسَعِّدَهُمْ بِكَلِمَةٍ؛ فَكُنْ أَسْعَدَ النَّاسِ
بِسَعَادَةِ النَّاسِ.

1 فبراير 2019م

مَاذَا نَتَكَلَّمُ؟ وَعَنْ مَاذَا نَتَكَلَّمُ؟ وَلِمَاذَا نَتَكَلَّمُ؟ وَكَيْفَ نَتَكَلَّمُ؟ وَلِمَنْ نَتَكَلَّمُ؟

4 فبراير 2016م

مَنْ يُحِبُّ النَّهَارَ عَمَلِيٍّ، وَمَنْ يُحِبُّ اللَّيْلَ رُومَانِيٍّ.

4 فبراير 2016م

عِنْدَمَا تَرَحَّلْ تَظَلْ أَشْيَاؤُكَ مُوزَعَةً بَيْنَ الذِّكْرِيَّاتِ.

4 فبراير 2016م

السَّعَادَةُ تَكُونُ فِي نَسْيَانِ التَّعَاسَةِ.

4 فبراير 2016م

الْحَيَاةُ تَسِيرُ لِلْأَمَامِ، وَلَا تَعُودُ لِلْوَرَاءِ.

4 فبراير 2016م

الرُّوحُ قُوَّةٌ مُولَدَةٌ لِطَاقَةِ الْأَجْسَامِ وَحَرَكَاتِهَا، دُونَ تَدَخُّلِ فِي صُنْعِ الْأَحْدَاثِ الْخَلْقِيَّةِ.

4 فبراير 2016م

فِي عُمْرِ الثَّالِثَةِ يَبْدَأُ التَّعَرُّفُ عَلَى الْأَشْيَاءِ.

4 فبراير 2016م

يَبْحَثُ الْإِنْسَانُ فِي الْكُشْفِ عَنِ الْمَجْهُولِ لِمَحَاوَلَةِ اسْتِكْشَافِ ذَاتِهِ مِنْ خِلَالِ اسْتِكْشَافِ الْمَاهِيَّاتِ الَّتِي حَوْلَهُ؛ لِيَطْمَئِنَّ عَلَى مَصِيرِهِ.

4 فبراير 2016م

الْمُنْتَجِ لِلْفَرَحِ وَالْحُزَنِ هُوَ الشُّعُورُ.

4 فبراير 2014م

النَّاسُ تَسْتَمْتِعُ بِفَضَائِحِ النَّاسِ لِيُعْزُوا أَنْفُسَهُمْ وَيُقْنِعُوهَا بِأَنَّ هُنَاكَ مَنْ يَفُوقُهُمْ فَضَائِحَ، وَيُسَوِّغُونَ لِأَنْفُسِهِمُ الْأَفْعَالَ الْفَاضِحَةَ مَا دَامَ وَجِدَ مَنْ هُوَ أَكْثَرُ وَأَعْظَمُ فَضِيحَةً مِنْهُمْ.

5 فبراير 2019م

كُلُّنَا يُحَاوِلُ كُلَّ ثَانِيَةٍ أَنْ يَبْدُوَ أَفْضَلَ فِي كُلِّ عَيْنٍ تَنْتَقِدُ.

5 فبراير 2019م

السُّنُونُ لَنْ تَبْقَى فِيكَ بَعْدَ الرَّحِيلِ، وَتَبْقَى أَنْتَ فِي السِّنِينَ.

6 فبراير 2015م

اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ بِمَا تَنْوِي وَتَكِيدُ وَتَمْكُرُ، وَلَوْ رَجَعْتَ خَالِصًا لِلَّهِ بِالتَّفَكُّرِ لَعَرَفْتَ أَنَّ فِعْلًا تَفْعَلُهُ فِي إِذَاءِ إِنْسَانٍ إِنَّمَا هُوَ الظُّلْمُ الَّذِي يَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْ مُرْتَكِبِهِ بِشَرِّ الْإِنْتِقَامِ، وَيُعَوِّضُ الصَّابِرَ عَلَى بَلِيَّتِهِ، {وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ} [الشعراء: 227].

6 فبراير 2014م

لَا يُوْجَدُ مَنْ لَا يَشْكُو مِنَ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ.

6 فبراير 2014م

كَثِيرًا مَا نَفَعُ ضَحَايَا تَفْسِيرَاتِنَا لِنَوَايَا الْآخِرِينَ؛ فَنُفَسِّرُ الْخَيْرَ بِالشَّرِّ وَالشَّرَّ بِالْخَيْرِ.

8 فبراير 2019م

تَرْهَدُ النُّفُوسُ عِنْدَمَا تَصْغُرُ الدُّنْيَا فِي عُيُونِهَا.

9 فبراير 2016م

جَمِيلٌ أَنْ تَتَحَدَّى نَفْسَكَ لِتَسْتَخْرِجَ شَيْئًا يُمَيِّزُكَ، وَيُحَسِبُ لَكَ فِي عَالَمِ الْمُبْدِعِينَ.

9 فبراير 2016م

الْإِحْسَاسُ بِقِيَمَةِ الْحَيَاةِ يَكْمُنُ فِي مَعْرِفَةِ مَاذَا يَنْقُصُنَا.

9 فبراير 2012م

أَنَا لَا أَكْتُبُ عَنْكَ؛ لِأَنِّي نَسِيتُ مَنْ أَنْتِ.

9 فبراير 2012م

أَحْيَانًا يَمُوتُ الْإِنْسَانُ حَيًّا.

9 فبراير 2012م

أَنَا لَا أُنَدِمُ عَلَيْكَ؛ وَلَكِنْ عَلَى الْوَقْتِ الَّذِي أَضَعُّهُ مَعَ غَبَائِكَ.

9 فبراير 2012م

عِنْدَمَا تَسْتَرِدُّ قَلْبَكَ مِنْ ظَلَامِ الْوَهْمِ تَرَى جَمَالَ الْحَقَائِقِ جَنَّةً تَعِيشُ فِيهَا سَعَادَةُ النَّفْسِ،
وَتَرَى احْتِرَاقَ الْوَهْمِ دُخَانًا يَتَلَاشَى أَمَامَ نَظَرِيكَ، فَلَا تَمْلِكُ إِلَّا أَنْ تَبْتَسِمَ ابْتِسَامَةَ الرِّضَا،
وَتَعْرِفَ الْفَرْقَ بَيْنَ الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ.

11 فبراير 2019م

عندما تراود الحياة عن نفسها وتمتّع؛ فذلك يعني أنك لم تأت على رغباتها، ولم تُثر فيها غرائز الشهوة التي يُثيرها غيرك فيها؛ حاول أن تتزین للحياة كي تُعجب بك.

12 فبراير 2012م

ستنعم بالخط الجميل، فلا تغلق أبواب الأمل.

13 فبراير 2019م

حينما يقوى التراب على التراب.

21 فبراير 2012م

أكثر شيء نخافه هو الموت، والموت حاصل لا محالة، فكن شجاعاً على قول الحق في الدنيا، يشفع لك عند الله، ولا تمت وأنت جبان، وفي الآخرة مهان.

21 فبراير 2012م

لا تجعل الخوف يشيك عن قول الحق فتكون من المنافقين.

21 فبراير 2012م

الظلم إذا عمّ فانتظر هلاك البلاد والعباد.

25 فبراير 2019م

من ذاق مرارة الظلم لن يظلم.

27 فبراير 2014م

الصفحات التي لا تمحي هي المكتوبة بالدماء.

27 فبراير 2013م

المرأة دواء مسكن لآلام الرجل.

27 فبراير 2012م

أُمَّة نَائِمَةٌ سَتُوقِظُهَا الْأَحْدَاثُ الْأَلِيْمَةُ.

27 فبراير 2012م

لَا تَحْتَقِرْ إِنْسَانًا؛ فَرُبَّمَا يَأْتِي يَوْمٌ يَكُونُ مُتَفَضِّلًا عَلَيْكَ.

27 فبراير 2012م

وَيُحِبُّ لِمَنْ عَبْدَ الْمَالِ وَنَسِيَ رَبَّ الْمَالِ.

27 فبراير 2012م

سَلُّوْا فِضَّةً ذَهَبٌ ... رِزْقُ أَمْرِيكَ فَهَبْ

27 فبراير 2012م

فَرَقٌ بَيْنَ الْمُبْدِعِ وَالْمُبْتَدِعِ.

27 فبراير 2012م

الْإِبْدَاعُ خَلْقٌ وَابْتِكَارٌ.

1 مارس 2013م

لَا عَنَّاكَ الْعَنَا عَنَّاكَ السَّلَامُ يَا حَبِيبِي وَلَا غَشَاكَ الظَّلَامُ

7 مارس 2019م

كَسَرُوا الزَّمَانَ فَلَمْ يَعْذِ يَقْوَى عَلَى الْمَسِيرِ.

7 مارس 2019م

وَعَزَّتْكَ يَا رَبِّي، إِنِّي لَمْ أَغْصِكَ وَأَنَا جَاهِلٌ مَنْ أَنْتَ، وَلَكِنْ مَا أَغْرَى بِي هُوَ جَهْلِي مَنْ أَنَا.

7 مارس 2019م

يَا رَبُّ، أَنْتَ تَعْلَمُ سِرِّي وَجَهْرِي، وَتَعْلَمُ أَنِّي أَحْبَبْتُكَ وَأَحَبُّ مَنْ يُحِبُّكَ؛ فَأَحْبِبْنِي وَحَبِّبْ مَنْ يُحِبُّكَ فِيَّ.

9 مارس 2019م

أَتَمَنَّى إِثْنَاءَ جَامِعَاتِ بِاسْمِ الْأَخْلَاقِ الْمُحَمَّدِيَّةِ تَعِيدُ تَدْرِيسَ آدَبِ السُّلُوكِ النَّبَوِيِّ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ. لَوْ تَخَرَّجْنَا فِي جَامِعَةِ الْأَخْلَاقِ الْمُحَمَّدِيَّةِ وَاتَّقْنَا مَوَادَّهَا بِجَدَارَةٍ فَذَلِكَ يَعْني أَنَّنَا نَلْنَا أَكْبَرَ شَهَادَةٍ عَالَمِيَّةٍ. تَعَلَّمُوا أَخْلَاقَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسِيرُوا عَلَيْهَا تُفْلِحُوا.

9 مارس 2019م

فَكَّرَ عِنْدَ ظُلْمِكَ لِإِنْسَانٍ أَنَّكَ وَقَعَ فِي الظُّلْمِ نَفْسِهِ الَّذِي ظَلَمْتَ، وَقَسَّ عَلَى نَفْسِكَ كَيْفَ يَكُونُ أَلَمُ الظُّلْمِ عَلَيْكَ، ثُمَّ فَكَّرَ فِي عُقُوبَةِ الظُّلْمِ عَلَى نَفْسِكَ وَأَبْنَائِكَ وَمَالِكَ.

9 مارس 2019م

إِنَّ اللَّهَ رَقِيبٌ حَسِيبٌ؛ فَلَا تَتَوَاكَلْ عَلَى نَفْسٍ أَمَّارَةٍ بِالسُّوءِ فَتَهْلِكَ.

9 مارس 2019م

عِنْدَمَا تَشْتَدُّ الْأَزْمَاتُ عَلَى الْإِنْسَانِ يَتَدَخَّلُ لُطْفُ اللَّهِ فَيُفَرِّجُ اللَّهُ الْكُرُوبَ بِإِذْنِهِ.

10 مارس 2012م

تَعَلَّمِ الْإِحْتِدَارَ قَبْلَ الْإِعْتِدَارِ.

10 مارس 2012م

أَسْقِيهِ عَسَلًا وَيَسْقِنِي مُرًّا.

11 مارس 2019م

جَمِيلٌ أَنْ تَكُونَ أَنْتَ قَطْرَةً مِنْ قَطَرَاتِ الْعِطْرِ.

11 مارس 2019م

الْقُلُوبُ الَّتِي تَسْكُنُنَا فَارِغَةً، تَبْحَثُ عَمَّنْ يَمْلُؤُهَا صِدْقًا وَإِيمَانًا.

11 مارس 2019م

الْمَعَايِيرُ الْعَصْرِيَّةُ لِلصَّدَاقَاتِ تَقُومُ عَلَى الْكَمِّ، لَا الْكِيفِ.

11 مارس 2019م

الْأَيَّامُ فِي لَحَظَاتٍ تَجْمَعُ لَكَ الْمَاضِي فِي مُقَابَلَةِ صَدِيقٍ قَدِيمٍ

11 مارس 2019م

الشَّطَايَا الْحَارِقَةُ هِيَ تِلْكَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي نُلْقِيهَا دُونَ أَنْ نَعِيَ مَدْلُولَاتِهَا الْكَثِيرَةَ، وَتَأْثِيرَاتِهَا عَلَى النُّفُوسِ، فَهَلَّا اقْتَصَدْنَا فِي الْكَلَامِ؟ فَكُلُّ كَلِمَةٍ لَهَا كَلِمَةٌ مُقَابِلَةٌ، وَشَرَارَةٌ الصَّرَاعِ تَبْدَأُ مِنْ كَلِمَةٍ، وَكَمْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ: (كَمْ كَلِمَةٍ قَالَتْ لِصَاحِبِهَا: دَغْنِي).

11 مارس 2019م

الْقِيَمُ الْمَوْزُونَةُ الْآنَ تُحْتَضَرُ، حَلَّ بَدِيلًا عَنْهَا الْفُرْقَةُ وَالشَّحْنَاءُ وَالْكِبَرُ وَالصَّلَفُ وَالْغُرُورُ وَالْإِضْرَارُ بِكُلِّ النَّاسِ. مَاذَا دَهَا الْبَشَرَ إِلَّا يَعُودُوا إِلَى الرِّسَالَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ فِي التَّعَايُشِ الْأَرْضِيِّ؟ بَعْضُ النَّاسِ يُرِيدُ أَنْ يَسْرِقَ الْكُرَةَ الْأَرْضِيَّةَ وَيُخْفِيَهَا فِي جَيْبِهِ لِتَكُونَ لَهُ وَحْدَهُ.

13 مارس 2021م

لَا تَزُولُ النِّعْمَةُ عَمَّنْ يَلْهَجُ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ.

20 مارس 2012م

لِمَاذَا تَحْمِلُنِي عَلَى كُرْهِكَ؟

20 مارس 2020م

الرِّوَاكُ عَنْ بُعْدِ.

22 مارس 2013م

حَيْثُمَا تَكُنِ الرَّاحَةُ النَّفْسِيَّةُ تَكُنِ الصَّحَّةُ.

22 مارس 2013م

أَرْجُوكَ أَلَّا تَمْتَنِعَ عَنْ شُرْبِ الْمَاءِ بكَثْرَةٍ؛ فَهُوَ حَيَاةٌ لِكُلِّ أَعْضَاءِ الْإِنْسَانِ.

24 مارس 2013م

نُحِبُّ كُلَّ شَيْءٍ... نَمَلُ كُلِّ شَيْءٍ.

24 مارس 2013م

الْحُزْنُ أَكْبَرُ مُهْذَبٍ لِلنَّفْسِ.

24 مارس 2013م

الْأَفْعَالُ نُطْفُ النَّوَايَا.

24 مارس 2013م

بِقَدْرِ قُوَّتِكَ يَكُونُ ضَعْفُكَ.

24 مارس 2013م

الْخَيَالُ طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْنِ.

24 مارس 2013م

أَصْلُ الْأَشْيَاءِ اللَّاشْيَاءُ.

24 مارس 2013م

شُهُودُ الْجَرَائِمِ جُنَاتُهَا.

26 سبتمبر 2014م

أَوَّلُ مُرَوِّجٍ لِلْجَرِيْمَةِ هُوَ تِلْكَ الْأَفْلَامُ الْأَمْرِيكِيَّةُ الَّتِي تُخَصِّصُ لِلْأَطْفَالِ، وَهِيَ تَتْرُكُ
آثَارَهَا السَّيِّئَةَ عَلَى أَفْكَارِ الْأَطْفَالِ وَتَضْرِبُهُمْ، وَتَبْعَثُ عَلَى رُكُوبِهِمُ الْمُغَامَرَاتِ الْخَطِرَةَ؛
لِتُصْبِحَ فِي النِّهَايَةِ عَمَلًا وَسُلُوكًا وَانْتِمَاءً يَنْشَأُ عَلَيْهِ الْأَطْفَالُ بِالْاِكْتِسَابِ.

25 مارس 2019م

وَاللَّهُ مَا أَنْقَصَ قَدْرَكَ رَفَعَ أَقْدَارِ الْآخَرِينَ؛ بَلْ إِلَى السَّمَاءِ رَفَعَكَ.

25 مارس 2019م

أَنْتَ بِخُرُوجِكَ عَنِ الْمَالُوفِ تُصْبِحُ مَشْهُورًا، فَاخْتَرْ شَهْرَتَكَ.

25 مارس 2019م

لَأَنِّي «لَا شَيْءَ» بِدُونِكَ أَتَذَكَّرُكَ فِي كُلِّ نَبْضَةٍ مِنْ نَبْضَاتِ قَلْبِي، إِنَّكَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
أَنْتَ، سُبْحَانَكَ، رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ.

26 مارس 2013م

إِذَا لَمْ تَرِ بَعِيْنِكَ فَانْظُرْ بِعَقْلِكَ وَقَلْبِكَ.

27 مارس 2014م

يَا رَبُّ، أَسْأَلُكَ الْمَغْفِرَةَ، وَأَسْأَلُكَ رِضَاكَ وَالْجَنَّةَ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَنْصُرَنِي عَلَى نَفْسِي، فَلَا
أَعْصِيكَ طَرْفَةَ عَيْنٍ.

27 مارس 2014م

الْأَقْسَى عَلَى النَّفْسِ الصَّرَاعُ مَعَ النَّفْسِ.

29 مارس 2012م

أَتَمَنَّى وَكَثِيرٌ مِنَ الْأَمَانِيِّ فُضُولٍ.

31 مارس 2019م

أَشْعِلْ مِنْ أَوَارِ الشَّكِّ أَنْوَارًا لِتُرِيكَ مَا التَّبَسَّ عَلَيْكَ فِي حَوَالِكَ الظَّلَامِ؛ فَلَوْلَا الشَّكُّ لَمَا اسْتَبَانَتْ حَقَائِقُ الْأَشْيَاءِ.

31 مارس 2019م

لَا تَبَخَّسُوا حَقَّ الشَّبَابِ؛ بَلْ أَعِينُوهُمْ وَشَجِّعُوهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ غَرَسُوا آبَاءَ أُمَّلُوا أَنَّهُمُ الْجَنَى الَّذِي أَثْمَرَ وَاسْتَوَى عَلَى سَوْقِهِ.

27 مارس 2021م

الْعُظَمَاءُ - وَمِنْهُمْ الْعَالِمُ وَالْمُبْدِعُ وَالْمُفَكِّرُ وَالْأَدِيبُ وَالْفَيْلَسُوفُ وَالشَّاعِرُ الْمَطْبُوعُ - لَمْ تَكُنْ حَيَاتُهُمْ تَرْفًا؛ بَلْ كَلَفٌ.

27 مارس 2021م

عِنْدَمَا يُوَلَدُ أَيُّ جِيلٍ جَدِيدٍ فَهُوَ يُرِيدُ تَغْيِيرَ قِيمِ الْمَاضِي، وَيُحَاوِلُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهَا بَعْضَ التَّعْدِيلَاتِ، أَوْ قُلْ: ثِقَافَةَ عَصْرِهِ الْمُسْتَوْرَدَةَ لِتَتَلَاءَمَ مَعَ رَغْبَاتِهِ وَمُيُولِهِ.

27 مارس 2021م

نَقُولُ لِي: مَنْ يَعْرِفُكَ فَسَيُذَمِّنُكَ. وَلَيْتَهَا قَالَتْ: فَسَيُحِبُّكَ.

27 مارس 2021م

لَا تَكُنْ كَأَيِّ شَيْءٍ؛ كُنْ أَنْتَ الشَّيْءَ.

27 مارس 2021م

لَا تَقُلْ: ظَلَمُونِي؛ بَلْ قُلْ لَهُمْ: شُكْرًا، لَقَدْ أَرَيْتُمُونِي ذَلَّتْكُمْ وَخَزَيْكُمْ وَعَارَكُمْ، فَكُنْتُ أَنَا الْمُنتَصِرُ حِينَ أَظْهَرْتُكُمْ عَلَى حَقِيقَتِكُمْ أَمَامَ أَهْلِ الْحَقِّ.

27 مارس 2021م

لَيْسَ لِلْأَسْمَاءِ قِيَمَةٌ إِلَّا بِالْإِنْجَازِ.

27 مارس 2021م

عِنْدَمَا تَضَعُ قُوَّةَ الْإِرَادَةِ فِي الْإِنْسَانِ يُهْزَمَ.

27 مارس 2021م

عَقْلٌ وَاحِدٌ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَبْنِيَ رَوَائِعَ الْحَيَاةِ.

27 مارس 2021م

حَتَّى وَإِنْ تَحَكَّمْتَ فِي عَقْلِكَ فَذَلِكَ لَا يَغْنِي أَنَّكَ لَنْ تَجْنَحَ إِلَى الْخَطَا مَرَّاتٍ، فَلَيْسَ هُنَاكَ عَقْلٌ كَامِلٌ إِلَّا دَاءً.

27 مارس 2021م

أَعْلَى دَرَجَاتِ الْغَضَبِ هِيَ مَا تَقْتُلُ الْقِيَمَ وَالْأَخْلَاقَ.

27 مارس 2021م

الصَّمْتُ هُوَ وَقَايَةُ مَنْ الْكَلَامِ، وَلَيْسَ عِلَاجًا لِلْكَلامِ.

27 مارس 2021م

الصَّدَمَاتُ الَّتِي تُوجِعُ هِيَ قِيَمَةٌ تَجْعَلُ مِنَ التَّجَرِبَةِ مَعْرِفَةً لَشُكُولِ الْحَيَاةِ.

27 مارس 2021م

لَا تُغْرِقْ نَفْسَكَ فِي وُحُولِ الْأَوْهَامِ، فَصَعْبٌ عَلَيْكَ انْتِشَالُهَا.

27 مارس 2021م

حَرْبُ الْأَفْكَارِ فِيهَا الْهَزِيمَةُ وَالنَّصْرُ.

27 مارس 2021م

مَا يَجْرَحُ الْحَقَّ هُوَ الْإِحْسَاسُ بِالْهَزِيمَةِ أَمَامَ الْبَاطِلِ.

27 مارس 2021م

لَا قِيَمَةَ لِلْإِنْسَانِ لَمْ يَتْرُكْ شَيْئًا لَهُ قِيَمَةٌ.

27 مارس 2021م

كُلُّ شَيْءٍ لَهُ صَوْتٌ إِلَّا الْمَوْتَ.

22 سبتمبر 2018م

الْوَطَنُ يَتَجَسَّدُ فِي مَكَّةَ، بَعْدَهُ تَأْتِي الْأُوطَانُ.

22 سبتمبر 2018م

إِنْ لَمْ تَكُنْ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةُ فَلَا وَطَنَ لِلْمُسْلِمِينَ.

22 سبتمبر 2018م

مَهْمَا نَقُلْ عَنِ الْوَطَنِ فَهُوَ أَعْظَمُ مِمَّا نَقُولُ، وَخُصُوصًا إِذَا انْطَوَى الْوَطَنُ فِي مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ وَالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ.

22 سبتمبر 2017م

مَنْ زَمَنٍ وَأَنَا أُسَافِرُ إِلَيْكَ، حَتَّى تَعَبْتَ رَوَاحِلِي، وَعِنْدَمَا وَصَلْتُ إِلَيْكَ قُلْتَ لِي بِأَنَّكَ لَسْتَ أَنْتَ، بَرَعَمَ أَنْكَ أَنْتَ.

3 أبريل 2021م

لَا تَتَعَجَّلْ فِي التَّفْرِيطِ بِأَيِّ إِنْسَانٍ، فَلَا تَدْرِي رُبَّمَا يَكُونُ سَبَبًا فِي سَعَادَتِكَ يَوْمًا مَا.

3 أبريل 2019م

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى صَبْرٍ أَنْتَ مُوَلِيهِ، وَعَلَى قَضَاءٍ أَنْتَ قَاضِيهِ، وَعَلَى نَصْرِ أَنْتَ رَاعِيهِ.

5 أبريل 2020م

عِنْدَمَا تَكُونُ النِّوَايَا خَالِصَةً لِلَّهِ وَلَمْ تَسْعَ بِضُرٍّ أَحَدٍ، وَتَكُونُ أَنْتَ الصَّابِرَ عَلَى مُلِمَّاتِ الزَّمَانِ؛ فَأَنْتَ فِي سَعَادَةٍ دَائِمَةٍ مَهْمَا ضَاقَتْ عَلَيْكَ الْأُمُورُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سَيَكُونُ مَعَكَ، وَلَنْ يَضِيقَكَ أَوْ يَخْذُلَكَ، فَاتَّخِذْ إِلَيْهِ سَبِيلًا.

5 أبريل 2020م

كُنْتُ أَظُنُّكَ عَوْنًا عَلَى الْحَقِّ، وَرَأَيْتُكَ تَخَافُ مِنْ قَوْلَةِ الْحَقِّ، وَتِلْكَ التَّقِيَّةُ بِطَوْلَةِ
الْبَاطِلِ، فَكُنْ - كَمَا أَرَدْتُ - خَصِيمًا لِرَبِّكَ.

5 أبريل 2019م

يَا مَنْ لَكَ كُلُّ مَا لَنَا وَأَنْتَ مَنْ وَهَبْتَنَا، لَكَ الْحَمْدُ فِي سِرِّنَا وَجَهْرِنَا.

5 أبريل 2019م

الرَّابِيعُ مَنْ صَدَقَ مَعَ اللَّهِ.

5 أبريل 2013م

لَيْسَتْ خَطِيئَةً أَنْ أُحِبَّكَ؛ الْخَطِيئَةُ إِلَّا أُحِبَّكَ.

5 أبريل 2013م

مَا زِلْتُ أُحَاوِلُ أَنْ أُلِمِّمَ بَعْضِي إِلَى بَعْضِي؛ فَقَدْ بَعَثَنِي السَّفَرُ إِلَيْكَ.

5 أبريل 2013م

سَأَلْتُ عَنْهُ كَثِيرًا، فَقَالُوا: إِنَّهُ مُسَافِرٌ إِلَى مَدَائِنِ الصَّمْتِ.

5 أبريل 2013م

غَابَ فِكْرُهُتُ بَعْدَهُ الْغِيَابِ.

7 أبريل 2020م

الْعَالَمُ بَعْدَ كُورُونَا سَتَتَشَكَّلُ هُوِيَّتُهُ الْاِقْتِصَادِيَّةُ مِنْ جَدِيدٍ، وَرُؤْيَايَ الْخَاصَّةُ أَنَّ الصِّينَ
سَتَكُونُ الدَّوْلَةُ الْأُولَى اِقْتِصَادِيًّا، ثُمَّ سَتَكُونُ السُّعُودِيَّةُ الثَّانِيَّةُ، ثُمَّ الْيَابَانُ الثَّالِثَةُ، ثُمَّ الْهِنْدُ
الرَّابِعَةُ، ثُمَّ أَمْرِيكَ الْخَامِسَةُ، ثُمَّ رُوسِيَا السَّادِسَةُ، ثُمَّ أَلْمَانِيَا السَّابِعَةُ، ثُمَّ إِنْدُونِيسِيَا الثَّامِنَةُ.

الْعَالَمِ اقْتِصَادِيًّا سَيَتَغَيَّرُ، وَسَتَظْهَرُ دُولٌ لَمْ تَكُنْ فِي حِسَابَاتِ الْمُقَنَّنِينَ اقْتِصَادَاتِ الْعَالَمِ.

كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ} [آل عمران: 140]، وَسُبْحَانَ مَنْ يُعَيِّرُ وَلَا يَتَغَيَّرُ.

6 أبريل 2012م

فَكَّرْ فِي نَتِيجَةِ الْفِعْلِ قَبْلَ الْفِعْلِ.

6 أبريل 2012م

لَا تَحْكُمَ عَلَى أَيِّ إِنْسَانٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُدَانَ.

16 أبريل 2015م

يَتَحَوَّلُ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ مُحِبٍّ إِلَى كَارِهِ لَكَ؛ وَالسَّبَبُ الْأَنَا، وَحُبُّ الذَّاتِ.

9 أكتوبر 2012م

كَمَاءٍ زَمَزَمَ قَدْ سَارَتْ بِهِ السَّيْرُ، طَعَامُ طُعْمٍ وَيَشْفِي مَنْ بِهِ ضَرَرٌ.

21 أكتوبر 2021م

مَاذَا لَوْ انْتَهَبْتَ حُظُوظَكَ فِي أَنْ تَكُونَ مِنْ فَرَائِدِ زَهْرٍ تَزْرَعُهُ الْأَيَّامُ فِي مُدَوَّنَاتِ الْحَيَاةِ اسْمًا وَرُوحًا وَقَدْرًا خَالِدًا عَلَى أَدِيمِ الزَّمَانِ، لَكِنَّكَ اخْتَرْتَ انْتِظَارَ الْمَطَرِ.

15 نوفمبر 2013م

أَنْتَ عَلِمْتَ قَلْبِي السَّفَرَ إِلَيْكَ، فَمَتَى تَعُودُ لِيَعُودَ؟

23 مايو 2022م

كُنَّا وَكَانَ الطَّيِّبُونَ فَكَيْفَ مَرُّوا؟

عَالَمٌ نَطُسُ: مُدَقِّقٌ فِي الْأُمُورِ، بَعِيدُ النَّظَرِ.

النُّكْسُ: الضَّعِيفُ الرِّذْلُ الَّذِي يُقْصَرُ عَنْ غَايَةِ النَّجْدَةِ وَالْكَرَمِ.

25 مايو 2021م

كثِيرًا نَحْنُ نَحْتَاجُ إِلَى هُدًى يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ نُفُوسِنَا فِي خَلْقَةٍ خَاصَّةٍ لَا يَقْتَحِمُهَا
ضَجِيجُ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَلَا تَسْتَرِقُ هَمْسَاتِهَا آذَانُ السَّامِعِينَ، وَلَا تُسَجِّلُ عَدَسَاتُ عُيُونِهَا
نَظَرَاتِ النَّاطِرِينَ.
كُلُّ الْمُفَكِّرِينَ يَحْتَاجُونَ إِلَى جُرْعَاتٍ مِنْ هَذَا الْعِلَاجِ (الدَّوَاءِ) بِالْهُدُوءِ وَالْعُزْلَةِ
وَصُحْبَةِ النَّفْسِ لِإِنْتِاجِ فِكْرٍ عَظِيمٍ.

12 يونيو 2015م

الْمَصِيرُ يُخِيفُ الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ.

12 يونيو 2015م

الْقَلْقُ النَّفْسِيُّ غَيْرُ الْمَرَضِيِّ أَحَدُ دَوَافِعِ الْإِبْدَاعِ.

12 يونيو 2015م

حَتَّى عَلَى الْحُبِّ لَنْ تَخْلُقَ مِنَ الْحَسَدِ.

15 يونيو 2012م

يَا مَنْ يَرَى مَا لَا نَرَاهُ، وَمَا لَنَا رَبٌّ سِوَاهُ، كُنْ عَوْنَنَا يَا سَيِّدِي، يَا مُسْتَجِيبًا لِمَنْ دَعَا.

15 يونيو 2012م

يَا مَنْ إِلَيْكَ الْمَأْتِ أِكْفِنَا شَرَّ الْعَذَابِ.

16 يونيو 2013م

عِنْدَمَا تَكُونُ عَلَى نَهْرِ السَّيْنِ أَمْلًا رَتْنِيكَ بِالْأَوْكُسْجِينِ.

20 يونيو 2014م

أَحَبُّ النَّاسِ، لَا مِنْ أَجْلِهِمْ؛ وَلَكِنْ مِنْ أَجْلِ مَنْ جَعَلَهُمْ إِخْوَةً لَكَ فِي النَّسَبِ وَالدِّينِ.

20 يونيو 2014م

عَيْنُ الظُّلَمِ أَنْ تَتَمَنَّى الشَّرَّ لِعَيْرِكَ.

22 يونيو 2012م

فَرَّجْ عَنِ الْمَكْرُوبِ، فَرَّجْ يَا رَبُّ نَارَكَ، لَا تُوجِّحْ.

4 يوليو 2015م

النَّصَابُ يَتَمَنَّعُ بِذَكَاءٍ مُتَفَوِّقٍ بِدَرَجَاتٍ كَبِيرَةٍ، فَاحْذَرِ الْوُقُوعَ فِي شِبَاكِهِ، وَاسْتَعْمِلْ مَقُولَةَ الشَّافِعِيِّ: (إِنَّ سُوءَ الظَّنِّ مِنْ حُسْنِ الْفِطْنِ).

7 يوليو 2013م

بَاعَ الْأَمَانَةَ وَالشَّرْفَ وَعَتَا عُتُوَّ الْمُقْتَرِفِ.

8 يوليو 2020م

الشَّاعِرُ الْجَاهِلِيُّ الْحَارِثُ بْنُ حِلْزَةَ الْيَشْكُرِيُّ فِي مَدْحِ بَيْتِ ابْنِ شَرَّاحِيلَ:
وَبَيْتُ شَرَّاحِيلَ فِي وَائِلٍ مَكَانَ الثُّرَيَّا مِنَ الْأَنْجَمِ

10 يوليو 2021م

إِذَا قُلْتَ: يَا رَبُّ، فَاطْلُبْنِي وَبُنَيْتُ شَكْوَاكَ وَرَجَاكَ فِيهِ بِمَا تُرِيدُ، وَلَا تَتْرُكِ الدُّعَاءَ مَبْتُورًا.

25 يوليو 2018م

أَمَّا غَرِيقَةُ أَبْصَرَتْهَا فِي مَوَانِي الصَّصَمِ صَرَغَى رِيَّاحِ الْغُصْنِ، وَقَوَافِلُ مِنْ قِطَافِ الْوَرْدِ
فِي انْتِظَارِ إِشْرَاقَةِ لَأْمَلٍ ضَاحِكٍ لَعْدٍ جَدِيدٍ. أَوْيَاذُنُ الرَّجُوعِ لِلرَّوَاءِ كَيْ تَعُودَ فَرَحَةُ الضَّمِيرِ.

25 يوليو 2018م

مَا كُنْتُ أَبْحَثُ عَنْ نَفْسِي وَلَا وَلَدِي لَكِنْ بَحَثْتُ عَنِ الْإِنْسَانِ وَهُوَ نَدِي.

28 يوليو 2018م

بَعْضُ مِنَ النَّاسِ بِبَسَاطَتِهِمْ وَعَفْوِيَّتِهِمْ يَسْكُنُونَ الْقُلُوبَ بِلاَ اسْتِئْذَانٍ.

28 يوليو 2018م

بَعْدَ أَنْ عُدْتُ مِنْ سَفَرِي فِي الْعُقُولِ وَجَدْتُ أَنَّ الْمَعْقُولَ صَارَ فِي غِيَاهِبِ الْأَفْوَ.

1 أغسطس 2018م

أَعْتَبَرُ نَفْسِي فَاشِلًا حِينَ تَعَجَّزُ قُدْرَاتِي عَنْ اصْطِنَاعِ شَيْءٍ يُخَفِّفُ مِنْ آلامِ الْإِنْسَانِ.

2 أغسطس 2018م

عَصْرٌ قَبِيحٌ يُبَدِّلُ ثَقَافَةَ أُمَّةِ الْعَرَبِ إِلَى ثَقَافَةِ الْإِنْحِلَالِ وَالْخُرُوجِ عَلَى الْقِيَمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ.

14 أغسطس 2018م

أَوَّلُ وَطَنِ لِلْمُسْلِمِ مَكَّةُ الْمُكَرَّمَةُ.

17 أغسطس 2018م

كَأَنِّي بِمَنْ دَعَا اللَّهَ يَعْرِفُ الْإِجَابَةَ حِينَ يَسْتَشْعِرُ الْقَبُولَ بِفَرَحَةِ الْقَلْبِ وَسَعَادَةِ النَّفْسِ.
وَاللَّهُ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ لِمَنْ دَعَاهُ.

17 أغسطس 2018م

إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، لَا تَبْتَئِسْ، وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ بِالْيُسْرِ مَرَّتَيْنِ، وَعَدَ اللَّهُ وَعْدَ الْقَادِرِ الَّذِي
يُنْجِزُ وَعْدَهُ سُبْحَانَهُ.

18 أغسطس 2020م

حَتَّى لَوْ سَأَلَمْتُ الْحَيَاةَ فَهِيَ لَنْ تُسَالِمَكَ.

3\ سبتمبر 2022م

كُلُّكُمْ تَحْمِلُونَ اسْمِي، وَمَا أَقُولُهُ سَيَكُونُ مُثِيرًا لِدَهْشَتِكُمْ:

جَمِيعُ الْأَسْمَاءِ - مِثْلَ آدَمَ، أَحْمَدَ، مُحَمَّدَ، يُونُسَ، مُوسَى، يَعْقُوبَ، قَاسِمَ، إِبْرَاهِيمَ، إِسْحَاقَ، إِسْمَاعِيلَ، عُمَرَ، عَلِيَّ، حَسَنَ، أَمِينَ، أَسَامَةَ، جَمِيلَ، وَدِيعَ، أَبِي بَكْرَ، مُرَادَ، فَاضِلَ، كَرِيمَ، طُرَادَ، وَسِيمَ، أَنَسَ، أَشْرَفَ، مَاجِدَ.. إلخ، حَتَّى النِّسَاءِ، مَعَ إِضَافَةِ تَاءِ التَّانِيثِ - كُلُّ الْأَسْمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْأَمْرِيكِيَّةِ وَالْهِنْدِيَّةِ وَالْأُورُوبِيَّةِ وَالْأَسْيَوِيَّةِ وَالْإِفْرِيْقِيَّةِ، إِلَى آخِرِهِ.. كُلُّ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ اسْمِي دُونَ أَنْ يَشْعُرُوا بِأَنَّهُمْ يَحْمِلُونَ اسْمِي.

وَأَتَحَدَّكُمْ أَنْ تُتَكَرَّروا أَنْكُمْ تَحْمِلُونَ اسْمِي، أَتَحَدَّكُمْ وَبِقُوَّةٍ وَإِصْرَارٍ: فَكُلُّكُمْ وَكُلُّ الْبَشَرِ يَحْمِلُ اسْمِي مُعْتَرِّيًا وَمُفَاحِرًا بِهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ لَا، وَأَتَحَدَّكُمْ، وَأَرَاهُنَّ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا يُكَابِرُ إِلَّا جَاحِدٌ أَوْ جَاهِلٌ أَوْ مُلْحِدٌ، وَمَتَّكِدٌ أَنْكُمْ - جَمِيعَ الْبَشَرِ - كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ سَيَقُولُ: نَعَمْ، وَأكِيدُ وَحَقًّا نَحْمِلُ اسْمَكَ: فَكُلُّكُمْ اسْمُكُمْ: عَبْدُ اللَّهِ.

4 سبتمبر 2018م

عِنْدَمَا لَا تَفْهَمُ مَغْزَى الْكَلَامِ أَوَّلَى لَكَ الصَّمْتُ.

4 سبتمبر 2018م

صَارَ الشَّيْطَانُ فِي هَذَا الْعَصْرِ يَسْتَعِيدُ مِنَ الْإِنْسَانِ.

4 سبتمبر 2018م

كُنْ ظَالِمًا إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ عَظِيمًا فِي هَذَا الْعَصْرِ.

4 سبتمبر 2018م

صِرْتُ أَعْتَذِرُ لِنَفْسِي بَدَلًا مِنْ اعْتِدَارِ الْمُسِيءِ إِلَيْهَا.

16 سبتمبر 2018م

مَا بَالُ النَّاسِ فِي شِقَاقٍ، أَرَاهُمْ وَقَدْ أَلْفُوا الْكَذِبَ وَالنِّفَاقَ وَسُوءَ الْأَخْلَاقِ. هَلْ هَذِهِ هِيَ ثَقَافَةُ الْعَصْرِ الْجَدِيدِ؟

18 سبتمبر 2018م

كُلُّ لَهْ إِرَادَةٌ يُعْجِزُهَا الْفِعْلُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ.

18 سبتمبر 2018م

كُلَّمَا تَعَنَيْتَ لِلدُّنْيَا تَرَكَتْكَ، وَكُلَّمَا تَرَكَتَهَا جَاءَتْكَ.

18 سبتمبر 2018م

كُنَّا فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ، وَالْيَوْمَ كُلُّ وَاحِدٍ فِي طَرِيقٍ.

20 سبتمبر 2022م

يَا إِلَهِي اللَّطِيفُ كُنْ بَأُمِّي لَطِيفًا، قَوْ مِنْ ضَعْفِهَا يَا رَحِيمًا رَوْوْفًا.

18 نَوْفَمْبِر 2022م

مُسَالَمَةُ الْحَيَاةِ، وَخُلُقُهَا يَجْمَلُ وَيَكْمُلُ فِي النَّظَرِ إِلَيْهَا بِابْتِسَامَةٍ وَكَأَنَّكَ رَاضٍ عَنْهَا كُلَّ الرِّضَا، فَفِي كُلِّ أَحْوَالِهَا لَنْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تُغَيِّرَ فِي إِرَادَتِهَا شَيْئًا؛ فَاتْرُكْهَا تَفْعَلْ مَا قَدَرَتْهُ الْمَشِيئَةُ الْإِلَهِيَّةُ. سَالِمٌ أَحْوَالِهَا وَخُلُقُهَا وَلَا تَنْسَ أَنْ تَبْتَسِمَ.

9 أغسطس 2018م

جُرُوحٌ عَلَى قُلُوبِ الطَّيِّبِ.

9 ديسمبِر 2020م

لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ طَيِّبًا، وَلَا كَانَ طَيِّبِي، وَلَمَّا كَانَ قَاتِلِي مَنْ ظَنَنْتُ حَبِيبِي.

11 ديسمبِر 2020م

كُلُّ لَهْ اسْمَانِ:

اسْمٌ كَمَا الْأَسْمَاءِ

وَالْآخَرُ الْإِنْسَانُ.

11 ديسمبر 2018م

أَنْتَ لَنْ تَكُونَ ثَابِتًا عَلَى أَمْرٍ مَا دَامَتِ الْكُرَةُ الْأَرْضِيَّةُ مُتَحَرِّكَةً. أَنْتَ مِثْلُهَا تَتَحَرَّكُ فِي اتِّجَاهَاتٍ مُضَادَّةٍ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ.

11 ديسمبر 2018م

قَبْلَ أَنْ تَسْخَرَ مِنْ غَيْرِكَ انْظُرْ إِلَى نَفْسِكَ وَمَا فِيهَا مِنَ الْعُيُوبِ؛ نَحْنُ جِيفٌ آدَمِيَّةٌ فِي أَشْكَالٍ مُنْمَقَةٍ. لَوْلَا الْجُلُودُ الَّتِي تَتَلَبَّسُنَا لَوَلَّى الْخَلْقُ مِنَ الْخَلْقِ فِرَارًا، وَلَمَلْنَا مِنْهُمْ رُعْبًا.

21 أبريل 2021م

بَعْضُ يُسِيءُ
إِلَى إِحْسَانٍ مَنْ أَحْسَنَ
تَبَا لِمَنْ بِالسُّوءِ
قَدْ جَازَى وَمَا أَحْسَنَ.

25 مايو 2021م

هُنَاكَ أَسْئَلَةٌ تَمُوتُ مَعَ أَصْحَابِهَا، وَجَوَابُهَا مَعَهُمْ، وَهِيَ سِرُّ الْأَسْرَارِ بَيْنَ النَّفْسِ وَالذَّاتِ.

25 مايو 2021م

الْغِنَى أَكْثَرُ حَاجَةً لِلْفَقِيرِ، وَلَكِنَّهُ لَا يَعْتَرِفُ.

28 مايو 2021م

اسْتَدْنَا سِنِينَ أَعْمَارِنَا مِنَ الزَّمَنِ، وَسَوْفَ نُعِيدُهَا لِلزَّمَنِ.

28 مايو 2021م

عِنْدَ الرَّغْبَةِ كُلُّ مَمْنُوعٍ مُبَاحٌ.

28 مايو 2021م

الْحُلْمُ هُوَ أَنْعِكَاسُ الْأَحْدَاثِ فِي مِرَاةِ الذَّاكِرَةِ.

14 يونيو 2021م

لَا يُمْكِنُ لِمُضْغَةٍ مِنَ الْحُلْمِ أَنْ تَكُونَ فِي قَسَاوَةِ الْحَدِيدِ وَالصَّخْرِ.

4 سبتمبر 2023م

بَعْضُ الْعُطْفِ وَالشَّفَقَةِ امْتِهَانٌ لِكِرَامَةِ النَّفْسِ.

4 سبتمبر 2023م

لَوْ افْتَقَدَ الْإِنْسَانُ الْإِحْسَاسَ الْعَاقِلَ لَهَانَتْ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا عَلَيْهِ، وَلَمْ يَكُنْ يَغْنِيهِ شَيْءٌ فِيهَا.

4 سبتمبر 2023م

كَثِيرًا مَا يَكُونُ الْأَقْرَبُ مِنْكَ الْأَبْعَدَ، وَالْأَبْعَدُ عَنْكَ الْأَقْرَبَ.

4 سبتمبر 2023م

الْخَوْفُ مِنَ الْمَوْتِ اسْتِشْعَارٌ حَقِيقِيٌّ فِي نُفُوسِ الْخَلْقِ أَجْمَعَ، وَالْخَوْفُ مِنَ الْحَيَاةِ وَأَنْتَ تَمْلِكُ مَقُومَاتِ الْعَمَلِ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ عَجْزٌ وَجُبْنٌ، فَالْأَوَّلُ قَدْرٌ، وَالثَّانِي خَوْفٌ مِنْ تَبِعَةِ تَحْقِيقِ الْأَثَرِ.

4 سبتمبر 2023م

النَّظَرُ بِالْعَيْنِ رُؤْيَةٌ، وَالنَّظَرُ بِالْقَلْبِ احْتِكَامٌ لِلْقُدْرَةِ بِالْعَمَلِ وَالتَّنْفِيزِ.

4 سبتمبر 2023م

أَحْيَانًا لَا يَكُونُ قَوْلُ الْحَقِّ وَالِدَفَاعِ عَنْهُ نَاصِرًا لِصَاحِبِهِ أَمَامَ مَنَعَةِ الظَّالِمِ وَاقْتِدَارِهِ، وَلَكِنْ عَدَمُ جَهْرِكَ بِالْحَقِّ يُؤَيِّدُ بَاطِلَ الظَّالِمِ؛ لِيَكُونَ حَقًّا مُكْتَسَبًا لَهُ، لِأَنَّكَ بِصَمْتِكَ وَعَدَمِ دِفَاعِكَ عَنْ حَقِّكَ أَسْقَطْتَ حَقَّكَ، وَإِنْ كُنْتَ فِي نَفْسِكَ كَارِهًا.

4 سبتمبر 2023م

ضَعْفُ الضُّعَفَاءِ قُوَّةُ الْأَقْوِيَاءِ.

4 سبتمبر 2023م

الْحُظُوظُ: أَنْفَالُ الْأَقْدَارِ.

5 سبتمبر 2022م

حِينَ تُجِيزُ كَسْرَ أَمَانِ النُّفُوسِ فَأَنْتِ تُجِيزُ كَسْرَ الْأَمَانِ فِيكَ.

8 سبتمبر 2021م

لَا تُكَلِّفْ نَفْسَكَ أَنْ تَكُونَ أَسَدًا، لِأَنَّكَ أَنْتِ أَنْتِ، وَهُوَ هُوَ.

8 سبتمبر 2021م

لَا تَصْنَعْ مِنْ ضَعْفِ الْآخِرِينَ قُوَّةً لَكَ؛ فَالضَّعْفُ يَوْمًا سَيَقْوَى، وَالْقُوَّةُ يَوْمًا سَتَضْعُفُ.

17 سبتمبر 2021م

أَيُّ هَنَاءٍ عَيْشٍ حِينَ يَكُونُ الْحَذَرُ مِنَ الْأَمَانِ أَكْثَرَ مِنْ حَذَرِ الْعُدَّانِ.

14 يونيو 2021م

فِي الْغَالِبِ الْأَعْمُ تَجْتَمِعُ أَمَانِيَّتَانِ فِي الصَّحَّةِ وَالْغِنَى وَالصَّبْرِ.

14 يونيو 2021م

النَّاسُ لَيْسُوا سَيِّئِينَ عَلَى الْإِطْلَاقِ؛ بَلْ تَجَرُّهُمْ الْأَحْدَاثُ جَرًّا إِلَى ارْتِكَابِ الْفِعْلِ الْأَلِيمِ.

14 يونيو 2021م

مِنْ حُطَامِ الْقَهْرِ يُضْطَعُ الشَّرُّ.

17 يونيو 2021م

يَتَوَلَّى الْعَظِيمُ فِي كُلِّ أَمْرٍ عَظِيمٍ.

17 يونيو 2021م

خَوْفٌ بَعْضَنَا عَلَى بَعْضٍ أَمَانٌ لَنَا مِنَ الْخَوْفِ.

17 يونيو 2021م

لَمْ يَكُنْ مِنَ الَّذِينَ وُلِدُوا وَفِي فَمِهِمْ مِلْعَقَةٌ مِنَ الذَّهَبِ، كَمَا يُقَالُ، وَلَكِنْ مِنَ الَّذِينَ حَفَرُوا فِي مَنَاجِمِ الذَّهَبِ.

17 يونيو 2021م

أَصْحَى كُلُّ إِنْسَانٍ فِي الدَّهْرِ قَنُوعًا، كَأَنَّهُ يَلْمُسُ سَلَامَةَ الْحَيَاةِ فِي سَلَامَتِهِ.

17 يونيو 2021م

كَثِيرٌ مِنْ تَجَارِبِ الْإِنْسَانِ وَتَعَاقِبِ أَحْدَاثِ الزَّمَانِ هِيَ عُلُومٌ تُدْرَسُ وَتُدْرَسُ.

17 يونيو 2021م

مَا زِلْتُ أَفَكِّرُ كَيْفَ يَكُونُ الْفِكْرُ عَظِيمًا فِي اسْتِحْدَاثِ جَدِيدِ الْعِلْمِ.

17 يونيو 2021م

لِلنَّفْسِ مَحَطَّاتٌ عُمَرِيَّةٌ يَنْضَجُ فِيهَا الْفَهْمُ.

17 يونيو 2021م

الْإِنْسَانُ لِلْإِنْسَانِ إِحْسَاسٌ بِظِلِّ أَمَانٍ.

2 يوليو 2021م

لَنْ تَسْتَطِيعَ الثَّبَاتُ عَلَى إِرْضَاءِ نَفْسِكَ لِأَنَّهَا سَرِيعَةُ التَّقَلُّبِ.

2 يوليو 2021م

الْإِنْسَانُ حَبِيسُ النَّفْسِ، وَالنَّفْسُ حَبِيسَةُ الْحُزْنِ، وَالْحُزْنُ خُدُوشٌ فِي شَرَائِنِ الْقَلْبِ تُحَدِّثُ انْقِبَاضَ الشُّعُورِ وَمُكُونَهُ فِي دَائِرَةِ الْأَلَمِ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَالْهَمِّ وَالنَّدَمِ.

6 يوليو 2021م

إِذَا أَحَبَّكَ اللَّهُ جَعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ، وَبَارَكَ فِيكَ، وَلَكَ، وَعَلَيْكَ، وَمِنْكَ.

6 يوليو 2021م

الرِّزْقُ نَهْرٌ يَجْرِي مِنَ السَّمَاءِ، يَنْعَمُ بِهِ كُلُّ مَخْلُوقٍ، فَلَا يَنْضُبُّ، وَتُفَكُّ شَفْرَتُهُ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ.

9 يوليو 2021م

أَنْتَ لَا تَدْرِي مَنْ بِسَبِيهِ تُرْزَقُ، فَلَا تُعَادِ، الْقَطِيعَةُ مَوَدَّةٌ مَقْتُولَةٌ.
لَا تُوقِدْ نَارًا تَعْجِزُ عَنْ إِطْفَائِهَا.
الشَّدَائِدُ مَهْمَا كَانَتْ قَسَاوَتْهَا يُدْبِيهَا الصَّبْرُ.
لَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ حَسَرَاتٍ عَلَى أَخْطَاءٍ مَرَّتْ، وَلَكِنْ تَعْلَمْ مِنْهَا أَلَّا تُخْطِئَ.
بَاعِدْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَا يَضُرُّكَ، وَقَارِبْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَا يَسُرُّكَ.

12 يوليو 2019م

يُقْبَلُ وَجْهُ الْأُمِّ فِي صَمْتِ الرَّدَى يُودِّعُ رُوحَ الشَّمْسِ وَهِيَ أُفُولُ

19 يوليو 2020م

صَغِيرُ الْقَدْرِ غَضَبَانُ، لِأَنَّهُ مَا صَارَ كَبِيرَ قَدْرِهِ، وَكَبِيرُ الْقَدْرِ غَضَبَانُ لِأَنَّهُ مَا صَارَ أَكْبَرَ مِنْ قَدْرِهِ.

6 أغسطس 2018م

لَوْ لَمْ تُوَجِدِ الْأَلْوَانَ لَمَا أَغْرَى الزَّمَانُ.

6 أغسطس 2018م

هُنَاكَ كَلِمَاتٌ تَعَارَفَ الْجَمِيعُ عَلَى أَنَّهَا تَخْدِشُ الْحَيَاءَ، بَرغم أَنَّهَا فِطْرَةٌ تَتَلَبَّسُنَا، نَنْطِقُهَا عَلَى اسْتِحْيَاءٍ سِرًّا بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَنْفُسِنَا.

6 أغسطس 2018م

أَيُّهَا الْعَالَمُ الْمَسْكُونُ بِالصَّبْرِ، يَوْمَ الْخَلَاصِ قَرِيبٌ.

29 سبتمبر 2017م

لِلْمَوَاعِيدِ رَهْبَةٌ الْمَفَاجَاتِ السَّارَّةِ وَالْمُؤَلِّمَةِ.

29 سبتمبر 2017م

كَصَحْكَتِهَا الْبَارِدَةِ الَّتِي لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْفَرَحِ وَضِدِّهِ، كَأَنَّهَا تَرَى الْحُبَّ أَصْدَقَهُ الْكَذِبُ..
لَعَلَّهَا لَمْ تَخْرُجْ مِنْ خِدرِ مُعَانَتِهَا الصَّادِمَةِ.

1 أكتوبر 2017م

تَغَيَّرْنَا الْأَحْدَاثُ لِتَغَيَّرِ أَسَالِينَا وَسَلُوكِيَاتِنَا، سَوَاءٌ لِلْأَحْسَنِ أَوْ لِلْأَسْوَأِ.

1 أكتوبر 2017م

الْإِنْسَانُ شَخْصِيَّةٌ مُرَكَّبَةٌ فِي عِدَّةِ شَخْصِيَّاتٍ، يَتَقَلَّبُ بَيْنَ اللَّحْظَةِ وَالْآخَرَى بَيْنَ الْكَدْرِ
وَالْفَرَحِ.. وَبَيْنَ الْإِمْتِعَاضِ وَالرِّضَا، تَرْكِيبَةٌ عَجِيبَةٌ مُعَقَّدَةٌ.

1 أكتوبر 2017م

لِلْحُلُمِ بَقِيَّةٌ لَمْ تُكْتَمَلْ.. أَفْسَدَتْهَا لَحْظَةُ الْيَقَظَةِ.

1 أكتوبر 2017م

الشِّتَاءُ الْمُمَطَّرُ وَأَنْتِ تَنْظُرُهُ مِنْ خَلْفِ زُجَاجِ شَفَافٍ. هَزِيمُ الرِّعْدِ وَأَنْتِ تَسْمَعُهُ. لَمْعُ
الْبَرْقِ وَأَنْتِ تَرَى تَحْطُفَهُ. قَوْسُ قَرَحٍ وَأَنْتِ تَرَى الْوَانَ الطَّيْفَ فِيهِ. هَذِهِ الْمَنَاطِرُ مُتَعَةً
لِلنَّفْسِ لَا يَفُوقُهَا إِلَّا لَذَّةُ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ، سُبْحَانَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ الْعَظِيمَ الْكَرِيمَ..
مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.

1 أكتوبر 2017م

صَحِيحٌ مُمَكِّنٌ أَنْ تَتَأَلَّمَ لِفَقْدَانِ شَخْصٍ كَانَ يُمَثِّلُ لَكَ الْحَيَاةَ، وَلَكِنَّ لِلْأَقْدَارِ أَفْعَالَهَا.

1 أكتوبر 2017م

هُنَاكَ أَنَا لَا يُمَكِّنُ نِسْيَانُهُمْ، سَيَبْقَوْنَ فِي الْقَلْبِ دَمًا يَجْرِي فِي الشَّرْيَانِ، إِنَّهُمْ الْأَرْوَاحُ الْجَمِيلَةُ الَّتِي تَرَكْتَ طَعْمًا لِحَيَاتِنَا مَذَاقَهُ النَّبْلِ.

1 أكتوبر 2017م

عِنْدَمَا تَنْظُرُ إِلَى سَعَادَتِكَ فَانْظُرْ أَيْضًا إِلَى سَعَادَةِ الْآخَرِينَ؛ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ.

1 أكتوبر 2017م

قَدِّمْ نَفْسَكَ، وَلَكِنْ لَا تَفْرُضْهَا عَلَى مَنْ لَا يُرِيدُكَ، فَالْقُلُوبُ بِيَدِ اللَّهِ، وَالْحُبُّ مِنَ اللَّهِ. وَفِي كُلِّ الْأَحْوَالِ ادْعُ لِمَنْ لَا يُرِيدُكَ بِالتَّوْفِيقِ وَالسَّعَادَةِ تَكُنْ أَسْعَدَ النَّاسِ.

1 أكتوبر 2017م

حَتَّى وَإِنْ تَبَاعَدَتِ الْخُطَى وَاخْتَلَفَتِ الرُّؤْيُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَنْ عَرَفْتَ؛ يَجِبُ إِلَّا تَبَخَّسَهُ حَقَّهُ مِنَ النَّبْلِ وَالْعَفَافِ وَالطَّهْرِ. حِينَئِذٍ تَكُونُ شَهْمًا أَبْيَا كَرِيمًا فِي نَفْسِكَ وَعِنْدَ النَّاسِ.

4 أكتوبر 2021م

لَا يَسْغَلُكَ الْغَضَبُ عَنِ الْأَرْبِ.

5 أكتوبر 2018م

شَيْءٌ مُشِيرٌ يَدْعُو لِلْأَلَمِ فِي النُّفُوسِ حِينَ تَرَى النَّاسَ يُتَابِعُ بَعْضُهُمْ فُضَائِحَ بَعْضٍ، وَكَأَنَّهُمْ عَثَرُوا عَلَى غَنِيمَةٍ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ. وَمِنْ هُنَا تَبْدَأُ رَذِيلَةُ الشَّمَانَةِ أَوْ التَّهْكُمِ أَوْ التَّشْفِيِّ بِمَا يَبْتَلِي اللَّهُ النَّاسَ بِهِ، وَهَذَا هُوَ الضَّعْفُ وَالْحَقَارَةُ فِي النُّفُوسِ الْمَرِيضَةِ الَّتِي تَظُنُّ أَنَّهَا بِمَنْأَى عَنِ ابْتِلَاءِ اللَّهِ. وَالْبَلَاءُ الَّذِي يُنْزِلُهُ اللَّهُ بِعِبَادِهِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ لَتَعْظِيمِ الْأَجْرِ لِلْمُبْتَلَى، أَوْ لِلْعِظَةِ، لَا لِلتَّنَدُّرِ وَالشَّمَانَةِ، وَنَفْثِ سُمُومِ الْحَقْدِ وَالْبَغْضَاءِ. وَالْعَاقِلُ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ - كَمَا قِيلَ -: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانَا مِمَّا ابْتَلَى بِهِ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ.

5 أكتوبر 2018م

كُنْ لَطِيفًا وَابْتَعدْ عَن كَلِمَةٍ تَجْرَحُ بِهَا غَيْرَكَ فَيَكُونُ رَدَّةً فَعْلَهَا جُرْحًا لَكَ، أَنْتَ سَبَبُهُ.
وَحِينَ لَا تُحَسِّنَ الْكَلَامَ اصْصُمْتُ.

5 أكتوبر 2018م

تَعَالَوْا نَجْعَلِ الصَّفْحَ وَالسَّمَاحَ دَيْدَنَا. نَحْنُ لَسْنَا مَلَائِكَةً حِينَ نُخْطِئُ. وَأكِيدُ أَنَّ كُلَّ
إِنْسَانٍ لَهُ ظُرُوفُهُ الَّتِي تُوَدِّي بِهِ إِلَى الْخَطِيئَةِ، وَمِنْهَا النَّفْسُ وَقُدْرَةُ احْتِمَالَاتِهَا؛ فَالنَّفْسُ
أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ. تَعَالَوْا نَتَسَامَحْ وَنَصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ؛ لِنَنَالَ الثَّوَابَ الْعَظِيمَ الْجَزِيلَ؛
فَالْمَسَافَاتُ لِلْأَعْمَارِ قَصِيرَةٌ، وَأَنَا مُسَامِحٌ فَسَامِحُونِي.

6 أكتوبر 2017م

هُنَاكَ خَلَقَ اسْتِثْنَائِي يُضِيءُ مِنْ كُلِّ جَوَانِبِهِ حِينَ تَنْظُرُهُ تَقَعُ مَعْشِيًا عَلَيْكَ، حَتَّى إِذَا مَا
أَفْقَتَ عَلَى صُورَتِهِ ثَانِيَةً تَلَبَّسَكَ عَشَقًا وَهِيَامًا، وَأَعَادَكَ خَلْقًا سَمَويًا يَفْتِنُ مَدَائِنَ الْأَرْضِ،
فَتَقُولُ: رَبَّنَا، مَا هَذَا بَشَرًا؛ بَلْ مَلَكٌ كَرِيمٌ.

27 سبتمبر 2017م

لَا تَطْلُبْ مِنِّي تَاجِيلَ أَشْوَاقِي إِلَيْكَ.

27 سبتمبر 2017م

لَسْتُ أَوَّلَ الْمُحِبِّينَ لَكَ، وَلَا آخِرُهُمْ؛ وَلَكِنِّي أَصْدَقُهُمْ.

27 سبتمبر 2017م

الِاخْتِفَاءَ بِمَشَاعِرِ الْمُحِبِّ يُشْعِلُ مَوَاطِنَ الْوَلَهِ، وَيَجْعَلُ الْقُلُوبَ تَتَاكَلَفُ، وَيُثِيرُ الْفَرَحَ.

28 سبتمبر 2017م

عِنْدَمَا تَغْيِينُ أَفْتَشُ عَنْكَ فِي كَلِمَاتِكَ فَأَحِسُّ بِأَنَّكَ مَعِي، وَكَأَنَّكَ مَا غَبْتَ.

27 أكتوبر 2021م

فِي كُلِّ وَقْتٍ يَغْلِبُ تَقْدِيرُهُ عَلَى تَقْدِيرِكَ، فَكُنْ لَهُ كَمَا أَرَادَكَ، يَكُنْ فِي عَوْنِكَ وَتَدْبِيرِكَ.

27 أكتوبر 2021م

عِنْدَمَا تَعُدُّمْ فِيكَ الْقُدْرَةُ عَلَى الْفِعْلِ فَأَنْتَ مَعْدُورٌ بِفِعْلِ الظُّرُوفِ الْمَانِعَةِ لِلتَّحْقِيقِ.

27 أكتوبر 2021م

أَنْتَ لَا تُدْرِكُ أَنَّ نَبْضَاتِ قَلْبِكَ هِيَ لُغَةٌ لَا يَعْرِفُ إِلَّا اللَّهُ بِلِسَانِهَا، وَهِيَ دَائِمًا فِي مُنَاجَاةٍ لَا تَنْقَطِعُ مَعَ اللَّهِ. وَهَذِهِ وَغَيْرُهَا مِنْ أَسْرَارِ الْقُدْرَةِ لِلْقَادِرِ سُبْحَانَهُ، أَلَمْ يَقُلْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ الْكَرِيمِ -: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} [الإسراء: 44]؟

27 أكتوبر 2021م

التَّأَمُّلُ فِي كُنْهِ الْأَشْيَاءِ وَالْمَاهِيَّاتِ رِيَاضَةٌ مُتَفَوِّقَةٌ لِلْعَقْلِ لِإِنْتِاجِ الْمَعْرِفَةِ.

21 أكتوبر 2021م

أَنْتَ مَنْ يُطْفِئُ أَنْوَارَ الْحَظِّ حِينَ تُطْفِئُ شُمُوعَ الْحُبِّ.

4 نوفمبر 2021م

كُلُّ الْمُسْلِمِينَ هُمْ أَهْلُ مَكَّةَ، كَيْفَ لَا وَهِيَ قِبْلَتُهُمْ وَمَحَجُّهُمْ وَعُمْرَتُهُمْ.. وَهِيَ مَهْوَى الْقُلُوبِ وَدَعْوَةُ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَكْفِيكَ أَنْ تَكُونَ مُسْلِمًا صَادِقًا لِتَكُونَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ.

4 نوفمبر 2021م

عِنْدَمَا تَكُونُ صَحَائِفُ قَلْبِكَ وَيَدْنِكَ وَعَقْلُكَ بَيَضَاءَ لَا تَخْشَ أَحَدًا، وَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانَا مِمَّا ابْتَلَى بِهِ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ.

6 نوفمبر 2012م

الْفِكْرُ الْخَلْقُ نَهْرٌ تَعْتَرِفُ مِنْهُ الْعُقُولُ.

6 نوفمبر 2012م

تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصْنَعَ الْكَلِمَاتِ، وَلَكِنْ هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَسْتَخْرِجَ رَحِيقَ الْكَلِمَاتِ؟!

6 نوفمبر 2012م

الْقِمَمُ لَا يَتَسَلَّقُهَا إِلَّا أَصْحَابُ الْهِمَمِ الْعَالِيَةِ.

6 نوفمبر 2012م

إِعْجَابُ الْبُسْطَاءِ لَا يَرْفَعُ النَّجَبَاءَ.

6 نوفمبر 2012م

الْقِمَمُ لَا تَقْبَلُ إِلَّا الْمُبْدِعِينَ.

6 نوفمبر 2012م

الْوُصُولُ إِلَى أَمَلٍ بَعِيْنِهِ لَا يَعْنِي الْوُصُولَ إِلَى كُلِّ آمَالِ النَّفْسِ.

6 نوفمبر 2012م

أَنَا أَمْنُحُكَ تَصْرِيحًا لِلْمُرُورِ إِلَى مَرَايِي الْعَبَارَاتِ، وَعَلَيْكَ أَنْتَ مَشَقَّةُ السَّفَرِ.

6 نوفمبر 2012م

لَيْسَ مِنْ طَبِيعَةِ الْقَمَرِ أَنْ يَقْتَفِي آثَارَ النُّجُومِ.

6 نوفمبر 2012م

كَلِمَاتٌ أَنْثَوِيَّةٌ تُثِيرُ شَهْوَةَ الرُّجُولَةِ.

6 نوفمبر 2012م

غَيْمَةٌ أَنْتِ عَلَى وَجْهِ الشَّمْسِ أَجْمَلُ مَا فِيهَا تَرَاتِيلُ الْمَطَرِ.

19 نوفمبر 2018م

فِي الْبَدْءِ كُنْتُ أَنْتِ السَّائِكَةُ فِي أَحْدَاقِ صَبَاحَاتِي الْعَذَارَى، عِنْدَمَا كُنْتُ أَوْشِيكَ بِفِرَائِدِ
شِعْرِي، وَأَعِيشُ عَلَى دُبَالَةِ شُمُوعِكَ وَأَشْتَمُكَ عِطْرًا اصْطَنَعْتَهُ مِنْ زُهُورِ الْقَمَرِ كَيْ لَا يَكُونَ
لِغَيْرِكَ؛ لِأَنِّي لَا أَحِبُّ إِلَّا أَنْ تَكُونِي وَاحِدَةً لَا شَبِيهَ لَكَ.

19 نوفمبر 2018م

نَصْحُونِي بِالسَّفَرِ إِلَيْهَا، وَعِنْدَمَا أَرَدْتُ السَّفَرَ إِلَيْهَا وَجَدْتُ أَنَّ قَلْبًا آخَرَ سَافَرَ إِلَيْهَا
وَسَكَنَ، قُلْتُ: بَارَكَ اللَّهُ لَهُمَا وَعَلَيْهِمَا. كَانَ شُعُورًا قَابِلًا لِلتَّجْدِيدِ إِلَى مَوَاطِنَ أُخْرَى.

19 نوفمبر 2018م

لِلْأَمْوَاتِ أَغْرَاسٌ يُقِيمُ مَاتِمَهَا الْأَوْدَاءُ.

19 نوفمبر 2018م

الْحُبُّ حَدَثٌ سَمَويٌّ؛ لِأَنَّ الْحُبَّ يَقُومُ عَلَى دَيْمُومَةِ تَقْدِيسِ الْأَحَاسِيسِ، وَالْعِشْقُ
حَدَثٌ أَرْضِيٌّ قَابِلٌ لِلتَّغْيِيرِ.

9 نوفمبر 2018م

الْقَنَاعَاتُ قَدْ تَتَغَيَّرُ بِدَلَائِلِ أَكْثَرِ إِقْنَاعًا.

19 نوفمبر 2018م

جَاذِبِيَّةُ الْأَشْيَاءِ هِيَ مَا يَحْمِلُكَ عَلَى الرِّضَا.

19 نوفمبر 2018م

الْعَبُّ كَمَا تَشَاءُ، إِنَّهَا الدُّمَى.

19 نوفمبر 2018م

الصَّبْرُ حِكْمَةٌ عَلَى الْمُفْتَقِدِينَ بَوْصَلَةَ الْعُقُولِ.

19 نوفمبر 2018م

لِلنَّدَمِ دَرَجَاتٌ، أَقْوَاهَا يُودِّي لِلِائْتِحَارِ.

19 نوفمبر 2018م

كُلُّهُمْ يَقُولُونَ غَيْرَ مَا يُضْمِرُونَ.

19 نوفمبر 2018م

لِلْغَدَاةِ أَحْدَاثٌ أُخْرَى فِيهَا السَّعِيدُ، وَفِيهَا الْحَزِينُ، وَيَبْقَى الْأَمَلُ هُوَ الرَّهَانُ عَلَى
اسْتِمْرَارِ الْحَيَاةِ.

22 نوفمبر 2018م

مِنْ أَعْجَبِ عَجَائِبِ الزَّمَانِ أَنْ يَطْلُبَ الْمَوْتُ مِنَ الْمَيِّتِ أَنْ يُصَفَّقَ لَهُ.

24 نوفمبر 2018م

وَاللَّهُ أَحْسَنُ بَكَ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِجُرْحِ الْكَرَامِ، فَقَطِّ قَلِيلٌ مِنَ الصَّبْرِ وَتَأْتِيكَ الْبَشَائِرُ حَتَّى
تَتَعَجَّبَ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ، فَلَا تَنْسَ الْحَمْدَ وَالشُّكْرَ لَهُ.

24 نوفمبر 2018م

شَيْءٌ مِنَ الْهَدْيَانِ فِي وَقْتِ الْمَلَلِ.

25 نوفمبر 2023م

أَنْتَ تَمْتَلِكُ سَنَوَاتِ عُمْرِكَ فِي الدَّهْرِ، وَمَا تَحْتَوِي عَلَيْهِ، وَتَنْتَهِي مِلَكِيَّتَكَ بِالرَّحِيلِ.

25 نوفمبر 2023م

جَمِيعُنَا ذَوَاتُ مُتَقَلِّبَةٍ كَالطَّبِيعَةِ.

25 نوفمبر 2023م

الْحَيَاةُ مُتَحَرِّكَةٌ، لَيْسَ لَهَا ثَبَاتٌ، وَالثَّبَاتُ لِلْأَمْوَاتِ.

25 نوفمبر 2023م

فِطْرَةُ الْخَلْقِ الْخَوْفُ، لَا الْأَمَانُ.

25 نوفمبر 2023م

الْعَدَاوَاتُ أَصْلُ التَّكْوِينِ الْخَلْقِيِّ.

25 نوفمبر 2023م

الْمِثَالِيَّةُ لَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا فِي الْمَلَائِكَةِ فَقَطْ.

25 نوفمبر 2023م

الْجَبْرُوتُ فِي الْإِنْسَانِ أَعْظَمُ مِنْ جَبْرُوتِ كُلِّ الْخَلَائِقِ.

25 نوفمبر 2023م

الرَّحْمَةُ مِنْ صِفَاتِ الْخَالِقِ وَحْدَهُ، لَيْسَتْ فِي الْمَخْلُوقِ، بَلْ يَتَصَنَّعُهَا، وَلَكِنَّ الْمَخْلُوقَ خَلِيقَتُهُ الظُّلْمُ وَالْحَقْدُ.

25 نوفمبر 2023م

مُحَالٌّ أَنْ يَأْتِلِفَ قَلْبَانِ عَلَى سَجِيَّةٍ وَاحِدَةٍ.

25 نوفمبر 2023م

الْإِنْسَانُ رَهِينٌ لِلْعَادَاتِ وَالتَّقَالِيدِ وَالْقُوَّةِ الْقَاهِرَةِ الْمُتَحَكِّمَةِ.

25 نوفمبر 2023م

الْقِرَاءَاتُ زِيَادَةٌ فِي الْمَعْرِفَةِ، وَلَيْسَ فِي الْوَعْيِ.

25 نوفمبر 2023م

الْفِعْلُ أَمْرٌ لِقَرَارٍ يَقَرُّ فِي الْقَلْبِ، تَأْتِمِرُ بِهِ النَّفْسُ عَلَى أَمْرِ مَا.

25 نوفمبر 2023م

لِلْحِكْمَةِ أَحْكَامٌ تَعْجِزُ عَنْ بُلُوغِ الْكَمَالِ.

الْبَعْضُ يَزُجُّ بِنَفْسِهِ فِيمَا لَا يَعْلَمُ، فَيَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَعْلَمُ، وَلَوْ احْتَرَمَ نَفْسَهُ لَمَا عَلَّقَ بِمَا لَا يَعْلَمُ، وَخُصُوصًا مَعَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ، لَمْ أَشَأْ أَنْ أَجَادِلْهُ؛ لِأَنَّ مُجَادَلَةَ الْعَارِفِينَ لِغَيْرِ الْعَارِفِينَ مِنْ أَكْبَرِ أَخْطَاءِ الْعَالِمِ، وَلَكِنَّهُ لَوْ سَأَلَ وَطَلَبَ الْإِيضَاحَ لَأَسْتَفَادَ، وَلَكِنَّهُ ظَنَّ نَفْسَهُ فَوْقَ الْأَدَبَاءِ، وَهَذَا يُقَالُ عَلَيْهِ: الْعَيْيُّ الَّذِي يَهْرِفُ بِمَا لَا يَعْرِفُ.

المحتويات

57	الأصالة والحدائث	5	خريف الفكر
62	من شعري: قصيدة «فضاء العقول»، ديوان «وحشة الروح»	7	إهداء
63	رفقا بالقوارير	9	اللغة
67	من شعري: قصيدة «رحل الغرام»، ديوان «فتاديل الريح» (الأعمال الشعرية ج 2)	13	من شعري: قصيدة «أنفاس الناي»، ديوان «المرايا»
68	جدلية النفس والحياة	15	المجدد
71	من شعري	18	من شعري: قصيدة «عصر التيه»، ديوان «فتاديل الريح» (الأعمال الشعرية ج 2)
72	التقارب العرقي التركي	22	التحليل الافتراضي للعقل العربي
74	من شعري: قصيدة «أردوغان»، ديوان «صباح»	25	من شعري
76	بين عقلي وقلبي	26	الفكر
79	من شعري	30	من شعري: قصيدة «السيفان»، ديوان «المرايا»
80	الأزهاب: الأسباب والعلاج	31	الأشباع روح الإفتتاح
84	من شعري	34	من شعري: قصيدة «المال»، ديوان «المرايا»
85	الإبتلاء والصبر	35	الفلاسفة والشعراء والحكماء
87	من شعري: قصيدة «يا صاح»، ديوان «فتاديل الريح» (الأعمال الشعرية ج 1)	39	من شعري: قصيدة «نشيد الأنشاد»، ديوان «فتاديل الريح» (الأعمال الشعرية ج 1)
88	شموس لن تنطفئ	40	العمل بالتخصص ترشيد وإنصاف
93	من شعري: قصيدة «خيل الكهولة»، ديوان «المرايا»	43	من شعري: قصيدة «المتاجر في قتل الأوطان»، ديوان «أبجدية قلب»
94	المرأة حجاب أم عفة؟	46	كنت كالورود والطيور والفراسات أقصر عمرا
98	من شعري: قصيدة «نسيب السؤال»، ديوان «المرايا»	49	من شعري: قصيدة «صباح»، ديوان «صباح»
99	على أهل مكة السلام	51	الفنوت الإغلامية والكتاب
		55	من شعري: قصيدة «لنا»، ديوان «أبجدية قلب»

136	الْإِجْتِمَاعُ عَلَى الْمَصَالِحِ	105	شذرات
137	سَلَامٌ عَلَى الْخَرَائِرِ	107	إِهْدَاءُ
138	الْكِتَابُ	109	كِتَابُ الزَّمَانِ
139	لَا لِسِلَاحِ الدَّمَارِ	111	الْأَصَالَةُ
140	أَحْقَادُ الشُّبَابِ	113	الْعَدَاوَاتُ
141	طَرِيقُ السَّعَادَةِ	115	الْمَسْئُولِيَّةُ الشَّرْعِيَّةُ
142	الصِّدْقُ مَعَ النَّفْسِ	119	جِيلُ الصِّيَاغِ
143	عَشَاءُ الْخَمِيسِ	120	حُطَّابُ اللَّيْلِ
144	مَضَارِبُ الْحَيْنِ	121	الْمُسْتَقْبَلُ الْمُخِيفُ
146	حُسَيْنُ عَرَبٍ.. حُسَيْنُ سَرْحَانَ	121	سُوسُ الْهَلَكَ
151	مُحَاكَاةٌ لِمَيِّ زِيَادَةَ	121	أَنَا الدُّنْيَا
152	هَزَأَ الْقُرْشِيُّ (رَحِمَهُ اللَّهُ)	122	مَنْ نَحْنُ؟
155	كَذِبَ عَلَى النَّفْسِ	122	«النَّتُ» بَيْنَ السَّلْبِ وَالْإِيجَابِ
156	جُهِدْ أَوْزَتْ الْمُجْدَدِ	123	الْمُسْتَطِيعُ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ
158	يَا أُمَّةً صَحِكَتْ..	124	يَنَابِيعُ أَنْثَوِيَّةٍ
158	اِثْنِي نَفْسَ نَبِيٍّ	124	الْحُزْنُ الْعَظِيمُ
159	الْمَوْلَدُ النَّبَوِيُّ	125	غُرْبَةُ الْهُوِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
160	ادِّعَاءُ الْأَنْسَابِ	126	تَعْدِيلُ عَطَلَةِ الْأُسْبُوعِ
161	تَمَرُّدٌ	127	مُغْرَضُونَ
162	الصُّورُ الْمُحَرَّمَةُ	128	اسْتِنْرَافٌ
162	أَحْمَدُ اللَّهِ.. لَمْ أُهْزَمْ	129	حُبُّ الْوَطَنِ
163	عَظَمَةُ الْمُتَنَبِّي	130	الْعَدْلُ أَسَاسُ الْمَلِكِ
163	وَطَنُ النُّجُومِ	131	الْعَبَثُ بِاللُّغَةِ
163	الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ	132	خَوْفٌ مِنَ الْآتِي
164	مَنْ يُطْفِئُ الشَّمْسَ	132	نَحْنُ الْبَلَاءُ
164	تَرْوِيضُ الْمَلَلِ	133	وَسْطِيَّةُ الْإِسْلَامِ

165	الْجَهْلُ عَمَى الْفِكْرِ وَالْقَلْبِ	192	شَقَاوَةُ الشَّيْخِ الطِّفْلِ
165	أَسْئَلُهُ مُرَبِّكَةً	192	عِلْمُ الْيَقِينِ
166	مَوْسُوعَاتُ مُسْتَحْدَثَةٍ	193	لَا تُقَلِّدْ
167	الْبَحْطِيَّةُ الْفِطْرَةُ	193	مَا يَدْهِسُ الْخَلْقَ
169	لِلظَّالِمِ عِقَابَانِ	195	عُصَاةُ الْوُجُودِ
170	الذَّاكِرَةُ الْمُثْقَلَةُ	196	نُفُوسٌ مَهْزُومَةٌ
170	الْإِبْدَاعُ فِيكَ	198	دَاءُ عُضَالٍ
171	مُلَاخَظَةٌ تَقْرِضُ نَفْسَهَا	198	الْإِقْتِنَاعُ
171	سَرِيقَةُ الْأَفْكَارِ	199	مَمَالِكُ الشُّعْرَاءِ لَا تَزُولُ
172	شَوَاطِئُ الشَّمْسِ	205	ابْتَسِمَ
173	الْبَائِبُ الْمُعْجِزُ	206	الْفَسَادُ مُؤَذِّنٌ بِالْخَرَابِ
174	مَكْنِي الْمُعْظَمَةِ	209	تَجَاهَلُوهُمْ
175	الْمَوْجُودُ لَا الْمَعْدُومُ	209	عَابِدُ خَزَنَدَارِ
176	حَذَارٍ مِنَ الْإِسْتِبْدَادِ	210	إِلَّا الْوَطَنَ
176	حِينَ الْقِيَامَةِ	213	الْعِمَالَةُ الْمُنْزِلِيَّةُ بَيْنَ الْمَسَاكِلِ وَالْحُلُولِ
177	لَا يَغْفِلُونَ	216	حَضْرَةُ «النَّبِّ»
177	اسْتِزَافُ التَّرَوَاتِ	217	سِرُّ الْأَسْرَارِ
178	أَطْلَالُ الذِّكْرِيَّاتِ	218	كَفَى الْمَرْءَ ثَبَلًا
179	الْأَبْدِيَّةُ وَالْخُلُودُ	219	الْحِكْمَةُ - لَا الْحَزْمُ - وَحَدَهَا أَسَاسُ الْمُلْكِ
180	مَنْ نَحْنُ؟	220	التَّقَارُبُ السُّعُودِيُّ الرُّوسِيُّ
181	نُهَيْيْ مِصْرَ بَعُودَةٍ مِصْرَ	223	قَوْلٌ مَعْرُوفٌ
184	أَطْفَالُنَا مَسَاعِلُ الْمُسْتَقْبَلِ	224	عُرْلَةُ الْمُفَكِّرِ
186	حَزِينُ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ	225	هَلِ الْقَنَوَاتُ الْفَضَائِيَّةُ تُشَارِكُ فِي صُنْعِ الْخُرُوبِ وَالْإِزْهَابِ؟
188	الْيَمَنُ: الْحَرْبُ وَالْوَقُوعَاتُ	228	أَيُّ إِصْلَاحٍ!
190	حَتَّى لَا تَغْمَى الْبَصَائِرُ	229	هِيَ الْحَيَاءُ
191	لَا نَامَتْ أَغْيُنُ الْجُبْنَاءِ		

260	الْمَذَاهِبُ	230	الْقَادِمُ أَسْوَأُ
260	لَا تُرَخِّصُوا	233	الْحُرِّيَّةُ لَيْسَتْ مُطْلَقَةً
261	لَا تَقُولُوا.. وَقُولُوا	234	الْهَجْرَةُ إِلَى الْأَشْيَاءِ مَجْمُوعَةٌ فَصَصِيَّةٌ لِلْإِسْتَاذَةِ
261	عُقُولٌ لَا تَقْرَأُ		سِهَامُ الْعَبُودِي
261	اصْدَعُوا بِالْحَقِّ	236	سُورِيَا
262	الْفَسَادُ	237	حَضَرَمَوْتُ
263	ضَعُفٌ فِي ضَعْفٍ	238	نَفْسٌ بَلَا ضَعْفِيَّةَ
264	وَفَاةُ الْأُمَّةِ	239	إِشْكَالِيَّاتُ الْمَذَهَبِيَّةِ الشَّيْعِيَّةِ الصَّمَوِيَّةِ
265	مَوْتُ الْعَرَبِ السَّرِيرِيِّ	244	الرُّؤْيَا وَالتَّشْكِيلُ فِي نَظَرِيَّةِ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ
266	كَيْفَ يَطِيبُ لَنَا؟		الْكَبِيرِ
267	سَيِّمُفُونِيَّةُ الْغَنَمِ لِلْمُوسِقَارِ الْعَالِمِيِّ الْكِنْدِيِّ	246	الْقَاعِدَةُ وَالِدَوَاعِشُ
268	قُبْلَةُ مَوْقُوتَةٍ	247	بُرْكَانُ الْأُسْرَةِ
269	كَرَمَنِي الْعَصْرِ	248	هُوَ الْغُرُورُ
269	مُعَانَاةُ الْفَنَانِ	249	عُزْلَةُ الْعَاقِلِ
269	عَوْرَاتُ	251	الصَّدَاقَاتُ
270	رِفْقًا أَيُّهَا الزَّمَنُ	252	الْحَمْدُ لِلَّهِ
270	أَخَافُ مِنْكَ عَلَيَّكَ	253	فِي ضِيَاةِ الْأُسْتَاذِ الْقَدِيرِ نَاصِرِ الدِّينِ الْأَسَدِ
271	الْبَسْمَةُ الشَّحِيحَةُ فِي مِصْرَ	254	بُرْكَانُ يَنْتَظِرُ الْوَقْتَ
272	إِلَهِي	255	أَعْمَارُنَا وَالْأَمَلُ
273	صَدَى الْعَصْرِ	256	الْعَمَائِمُ تَبْجَانُ الْمُلُوكِ
275	إِهْدَاءُ	256	مَا بَالُنَا؟!
277	الْخُصُوصِيَّةُ	257	إِدْعَاءُ
279	الْفِكْرُ السِّيَاسِيُّ بَيْنَ الْإِسْتِقْطَابِ وَبَيْنَ السُّنُوعِ	257	نَهَبٌ مَنُهَوِّبٌ
282	تَجْرِبَةٌ	257	عَلَيْكُمْ بِالزُّومِ
287	تَغْيِيرُ الْمَفَاهِيمِ	258	حُمْلَانٌ وَدِيعَةٌ
289	لَا بُكَاءَ عَلَى مَوْتِ الظَّالِمِينَ	258	أَصْحَابُ الْكَهْفِ
		259	وَيَحْكُ أَيُّهَا الْقَلْبُ

323	الكَلَامُ وَالصَّمْتُ	291	حَدِيثُ النَّفْسِ
324	الشُّغْلُ بِالنَّفْسِ	292	التَّهْدِيدَاتُ الْمُفْتَعَلَةُ بِضَرْبِ الْمُنْشَأَاتِ الْبِتْرُولِيَّةِ فِي بَقِيَّةِ وَطَرِيقِ الْحُسَمِ
325	سِيَّاسَةُ أَمْرِيكََا اللَّعِبِ بِالشَّرْقِ الْأَوْسَطِ	294	صَدَقَ الرَّسُولُ
327	لَا تَسْأَلْ عَمَّا خَطَّهُ الْقَدَرُ	295	الِاسْتِثْمَارُ الْأَمِنُ وَالرِّبْحِيُّ فِي أَرَامِكُو
329	الْوَصِيَّةُ	296	الْهِيَاةُ
331	رَأْيِي الْخَاصُّ فِي التَّرَاحِ بَيْنَ رُوسِيَا وَأُكْرَانِيَا	296	الْعَنَاءُ
333	النَّفْسُ	298	كَيْفِيَّةُ الْمَعَاشِ الْحَيَاتِي
334	الْوَهْمُ الْخَادِعُ	301	كُلُّ مُبَيَّنٍّ لِمَا خُلِقَ لَهُ
335	مُجَابَنَةُ الْحَقِّ	303	الْفَيْسُ يَسْأَلُ
336	مَتَى يَكْتَشِفُ الْعِلْمُ خَلِيَّةَ الشَّرِّ لِيَقْتَلِعَهَا؟	304	أَنَا مَنْ يَهِينُ نَفْسَهُ إِذَا اغْتَرَّتْ
337	بَايْدِنِ وَالسِّيَّاسَةُ التَّقْلِيدِيَّةُ	305	الْأَمَالُ الْعَاجِزَةُ
338	مُعَانَاةُ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ ^٨	306	الشَّعْرُ قَصِيَّةٌ وَقُدْرَةٌ
339	الطَّبِيبَةُ	307	أَمَانُ اللَّهِ
340	عَدَاوَةُ الْأَذْيَانِ	308	أَهْلِيَّةُ الشَّعْرِ
341	السَّيِّئُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ	309	قَتْلُ الْمُسْلِمِينَ فِي كَشْمِيرَ
342	أَمْرُهَا إِلَى اللَّهِ	310	الْعَقْلُ الْعَرَبِيُّ
346	حُدُودُ الْعَقْلِ	312	الْبِسْمَةُ
347	اسْتِفْتَاءُ شَبَابِ أَمْرِيكََا	313	الْعِلَاجُ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ
348	صَبَاحُ الْأَمَلِ	314	مِنْ بَعْدِ أَبِينَا آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَبَعْدَ وَالِدَيْكَ: تَخَيَّرْ أَهْلَكَ
349	بُكَاءُ وَصَمْتُ	315	مَعْرِفَةُ النَّفْسِ
350	الْكُورُونَا أَيْضًا قَدَرُ	315	نَارُ الرَّحْمَةِ
351	تَعَادُلِيَّةُ التَّكْوِينِ	316	طَبِيعَةُ التَّكْوِينِ
353	جَمَالُ الْأَوْطَانِ	317	لَيْلَى وَقَيْسٌ فِي الْعَصْرِ
354	عَصْرُ الْقَطِيعَةِ وَالْفِرَارُ مِنَ الْحُبِّ	319	الْفَقْرُ السِّلَاحُ الْقَادِمُ الْمَدْمَرُ
356	مَنْهَجُ الْفِكْرِ الْمَعَاصِرِ	322	إِسَاءَاتُ الْأَقَارِبِ
358	لُغَةُ الْكِتَابَةِ		

393	قَبْلَ الرَّجُلِ	360	وَبَاءُ جُنُونِ الْبَشَرِ
394	تَأَخَّرُ الْفِكْرُ الْعَرَبِيَّ	361	لَحْظَةُ الْغَضَبِ
395	التَّحَوُّلُ بَيْنَ الْفَنِّ الْأَخْلَاقِي الْإِنْسَانِي وَالْفَنِّ التَّدْمِيرِيِّ الْعَسْكَرِيِّ فِي الْفِكْرِ الْعَصْرِيِّ الْوَاقِعِيِّ	362	فَكَّرُوا فِي الْحَيَاةِ
397	الْبَدْءُ وَالْبَدَاوَةُ	363	إِنَّمَا الْمُسْلِمُونَ إِخْوَةٌ
398	مُلْحَقٌ لِمَقَالِي السَّابِقِ عَنِ الْبَدَاوَةِ	365	السَّهْمَةُ الشَّعْرِيَّةُ
401	السُّودَانُ لَيْسَ الْبِدَايَةُ وَلَا النِّهَايَةُ	366	أَهْلِيَّةُ الْجُنُونِ
403	جُمْهُورِيَّةُ سَبَا الْعَرَبِيَّةِ	367	تَنْوِيْلُهُ
405	فَلَسَفَةٌ	368	الخُرُوجُ مِنْ أَرْزَامِ النَّفْسِ
407	الْأَجْيَالُ وَفَوَارِقُ الْأَهْدَافِ	369	الْخَطَأُ مَبْعَثُ الصَّوَابِ
408	عَاشِقُ الْخَيْلِ ابْنِي الْفَارِسِ صَالِح	371	مُحَاكَمَةُ الْفِطْرَةِ
409	الْأَمْنُ وَالْمَرْحَلَةُ	373	عُلَمَاءُ التَّخْرِيجِ مِنَ الدِّينِ
411	حَالَةُ الْإِنْسَانِ الْمُعَاصِرِ	376	فِتْنَةُ الصَّبْرِ
413	التَّفَاوُلُ بِالْخَيْرِ	377	الْقَرِينُ
414	مَعْرِفَتِي بِاللَّهِ	378	السَّجَلُ الْكَوْنِيُّ
415	مَمْلَكَةُ الْحُبِّ الْإِنْسَانِي	379	الْقِيَمُ الْهَادِمَةُ
416	الصِّلَةُ بَيْنَ الْكُوَارِثِ وَالْمَصَائِبِ وَبَيْنَ النَّوْمِ وَالنَّسْيَانِ	380	عُشَاقُ الْحَيَاةِ
417	الْإِشْعَاعُ الْإِعْلَامِيُّ الْمُدْمِرُ لِلْفِكْرِ الْإِنْسَانِيِّ الْخَلَاقِ	381	الرِّهَانُ الصَّعْبُ الْقَبِيلَةُ
420	الْعَقْلُ وَالْقَلْبُ	382	الْمَدِينَةُ
421	بَيْنَ عَصْرَيْنِ - حِوَارُ شِعْرِي	383	الْمُفْتَقِدُ مِنْ قِيَمِ الْقَبِيلَةِ وَالْمَدِينَةِ
424	فَلَسَفَةُ ثَقَافَةِ الْمَعْرِفَةِ	385	الثَّقَافَةُ الْجَدِيدَةُ
425	قِصَّةُ قَصِيرَةٍ مِنْ وَاقِعِ الْحَيَاةِ	386	عُرْلَةُ الْفَنَانِ وَالْمُفَكِّرِ
429	الْقَلْبُ هُوَ الْمَصْدَرُ	387	حُكْمُ الْمَشِيئَةِ
430	الْآدَابُ الْحَيَوَانِيَّةُ الْإِنْسَانِيَّةُ	388	النُّكْتَةُ الْمِصْرِيَّةُ وَالنُّكْتَةُ السُّعُودِيَّةُ
431	تَبَدَّلَتْ	390	الْفَلَسَفَةُ وَالْحِكْمَةُ
		391	السِّيَاسَةُ الْجَدِيدَةُ
		392	الشَّمَانَةُ

449	لَنْ يَنَالُوا مِنْ رَّسُولِنَا الْعَظِيمِ	432	مُحَاكِمَةُ النَّفْسِ
451	الْخُرُوبُ الْعَيْيَةُ	433	دُعَاءُ إِلَى اللَّهِ
452	الْمَثَلُ الْأَعْلَى	434	مُنَاجَاةُ عَبْدٍ لِلرَّبِّ
454	لَا فُضَّ فُوكَ.. وَلَيْسَ صَحَّ لِسَانُكَ	435	طَلَبُ الْعَبْدِ لِلرَّبِّ
455	مَعْرَكَةُ أَبْطَالِ غَزَّةَ وَخِطَابُ السَّيِّدِ حَسَنَ نَصْرِ اللَّهِ	435	التَّصَحُّرُ الْعَاطِفِيُّ
457	فَقَدْ الْأَحْيَةُ	436	سُؤَالُ وَجَوَابٍ
458	كَثِيرٌ عَلَيَّ	436	أَحْمَدُ اللَّهِ
459	خَاطِرَةٌ	437	إِلَى أُمِّي
460	الثَّقَافَةُ الْجَدِيدَةُ لِلتَّغْيِيرِ لَيْسَتْ لِلْكَلِمَةِ	437	الصَّبْرُ رِزْقٌ
462	دَعْوَاهَا فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ	438	بِسَبَبِ كُورُونَا
463	آمَالُ النَّاسِ	438	وَصْفُ الدُّنْيَا اسْتِغْرَاءً
464	مَقَابِرُ الْكُتُبِ	439	عِيشُوا الْحَيَاةَ
465	تَغْلِيْقٌ عَلَى مُقْتَرَحِ «مَقَابِرِ الْكُتُبِ»	439	لِقَاحِ الْحُبِّ
465	لَا تُحَاوِلْ	440	نَفْسُكَ
466	الْقُدْرَةُ وَالِاسْتِحَالَةُ	440	خَلَقَ اللَّهُ
467	أَعْدَاءُ الْمَوَاهِبِ	441	مَنْ يَغْتَبِرُ؟ وَمَنْ يَنْتَصِحُ؟
469	الْكِبَرُ وَالْعُرُورُ	442	إِنَّهَا هِيَ
		443	كَلِمَةُ أَحِبَّكَ
		443	عَلَى الْفَتَاةِ أَلَّا تَسْرَعَ
		444	مَا الْخَلْقُ سِوَى الذِّكْرِ
		444	يَا رَبُّ كُنْ لَنَا
		445	شَبَابُ الْأُمَّةِ
		445	الشُّهُرَةُ
		445	كُلُّ شَيْءٍ صَارَ مُخِيفًا
		446	قَرَابِينَ الْأَرْضِ
		448	الْمَجْدُ

السيرة الذاتية للشيخ
عبد الله محمد باقر

الجنسية: سعودي.

مكان الميلاد: مكة المكرمة.

تاريخ الميلاد: 1370 / 7 / 1 هـ الموافق 1951 / 4 / 8 م.

المهنة: رجل أعمال، ومستشار قانوني.

المنصب الحالي:

- رئيس مجلس إدارة مجموعة الباشراحيل الانمائية.
- رئيس مجلس إدارة مستشفى الشيخ محمد صالح باشراحيل.
- المشرف العام على فروسية مكة المكرمة.
- عضو مجلس إدارة مشروع الزواج الخيري بمكة المكرمة.
- عضو مجلس إدارة نادي مكة الثقافي الأدبي.
- عضو اتحاد الأدباء المصريين اليونانيين.
- عضو رابطة الأدب الحديث بالقاهرة.
- عضو بالجمعية السعودية للأطفال المعاقين.
- عضو جمعية رعاية الأيتام بمكة المكرمة.
- عضو مؤسسة الملك عبدالعزيز ورجاله لرعاية الموهوبين.
- عضو المجلس التأسيسي بشركة جدة القابضة.
- عضو جمعية البر بمكة.
- عضو شرف الهيئة العليا للحياة الفطرية.
- عضو مؤسس بالجمعية العمومية للتعليم الاسلامي برابطة العالم الإسلامي.
- عضو شرف نادي الوحدة الرياضي بمكة المكرمة.
- صاحب جائزة الشيخ محمد صالح باشراحيل (يرحمه الله) للثقافة والإبداع.

- وجائزة الشاعر عبد الله محمد صالح باسراحيل للثقافة والإبداع للشباب بجامعة المنيا.
- وجائزة مركز الإسكندرية للإبداع باسم (الشاعر الدكتور عبد الله باسراحيل للأدباء الشبان).
- العضوية الشرفية للجمعية العلمية السعودية للأدب العربي.

المؤهل العلمي:

- درس الحقوق بجامعة القاهرة، ومنح شهادة الدكتوراه الفخرية من جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بجمهورية السودان.

التخصص:

- رجل أعمال ساهم في تقديم بعض المشاريع الوطنية والتجارية مع والده واخوته.
- شاعر وأديب.
- الانتاج الأدبي: صدر له ستة وعشرون ديواناً شعرياً، وستة كتب نثرية هي:
- الأول: ديوان (معذبتى) سنة 1978م - 1398هـ في القاهرة.
- الثاني: ديوان (الهوى قدرى) سنة 1980م - 1400هـ في تونس.
- الثالث: ديوان (النبع الظامئ) سنة 1986م - 1406هـ في جدة.
- الرابع: ديوان (الخوف) سنة 1988م - 1408هـ في جدة.
- الخامس: ديوان (قناديل الريح) سنة 2002م - 1423هـ في بيروت.
- السادس: ديوان (قلائد الشمس) قصيدة مترجمة إلى الإنكليزية والفرنسية موجهة إلى مثقفي أمريكا رداً على بيانهم إلى المثقفين العرب. 2002، بيروت.
- السابع: ديوان (أقمار مكة) سنة 2002م - 1423هـ في بيروت.
- الثامن: ديوان (سيوف الصحراء) سنة 2002م - 1423هـ في بيروت.
- التاسع: ديوان (بوح النسائم) سنة 2002م - 1423هـ في بيروت.
- العاشر: ديوان (كهوف الوهم) سنة 2003م - 1423هـ في بيروت.
- الحادي عشر: ديوان (وحشة الروح) سنة 2003م - 1424هـ في بيروت.

- الثاني عشر: ديوان (أبجدية قلب) سنة 2003 م - 1424 هـ في بيروت.
- الثالث عشر: ديوان (مدن الغفلة) سنة 2003 م - 1424 هـ في بيروت.
- الرابع عشر: ديوان (المصباح) سنة 2004 م - 1424 هـ في بيروت.
- الخامس عشر: ديوان (بماذا تتنبأ يا صديقي) سنة 2004 م في بيروت.
- السادس عشر: ديوان (بيت القصيد) سنة 2004 م - 1425 هـ في بيروت.
- السابع عشر: ديوان (الجراح تتجه شرقاً) سنة 2005 م - 1425 هـ في بيروت.
- الثامن عشر: ديوان (المرايا) سنة 2005 م - 1426 هـ في بيروت.
- التاسع عشر: ديوان (أنفاس الورق) سنة 2005 م - 1426 هـ في بيروت.
- العشرون: ديوان (البرق الحجازي) سنة 2008 م - 1429 هـ في بيروت.
- الحادي والعشرون: ديوان (عمرٌ بلا زمن) سنة 2009 م - 1430 هـ في بيروت.
- الثاني والعشرون: ديوان (صباح) سنة 2010 م - 1431 هـ في بيروت.
- الثالث والعشرون: ديوان (عصر الشعوب) سنة 2013 م - 1434 هـ في بيروت.
- الرابع والعشرون: ديوان (لمع وومض) خواطر فلسفية 2013 م - 1434 هـ في بيروت.
- الخامس والعشرون: ديوان (شموس مظلمة) سنة 2015 م - 1436 هـ في بيروت.
- السادس والعشرون: ديوان شعر ونثر (الآلئ) سنة 2017 م - 1438 هـ، بيروت.
- السابع والعشرون : ديوان (قرايين الوداع) سنة 1445 هـ - 2024 م القاهرة.
- الثامن والعشرون: ديوان (الغوادي) سنة 1445 هـ - 2024 م القاهرة

كما صدر له مجموعة كتب بيانها كالتالي:

- كتاب (أصداء الصمت)، مقالات نقدية، 2000 م - 1421 هـ، بيروت.
- مؤلف (توقعات)، مجموعة حكم فلسفية، 2002 م، بيروت.
- كتاب (صدى الصمت الصدى الثاني)، 2005 م - 1426 هـ، بيروت.
- كتاب (أحاديث الأحداث)، مقالات نقدية وفلسفية، 2008 م - 1429 هـ، بيروت.
- كتاب (خريف الفكر)، مقالات نقدية وفلسفية، 2013 - 1434 هـ، بيروت.
- كتاب (شذرات)، نصوص في الفكر والثقافة والاجتماع سنة 2017 م، 1438 هـ، بيروت.
- كتاب (صدى العصر) سياحة فكرية ، سنة 1445 هـ - 2024 م القاهرة.

المترجم:

- وكذلك ترجم وطبع باللغة الانجليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية 2005 بيروت.
- وكذلك صدر ديوان (قناديل الريح) باللغة الإنكليزية في بيروت.
- أيضا ديوان (قناديل الريح) باللغة الفرنسية في بيروت.
- وترجم ديوان (المصباح) إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والإيطالية عام 2007م - 1428 هـ بالمغرب.
- وطبع له مختارات من قصائده باللغة الفرنسية.
- وله مخطوطان من الشعر ومقالات أدبية.

صدرت بعض الدراسات في شعره منها ما يلي:

- (الجملة المثبتة في وطنيات الشاعر عبدالله محمد باسراحيل) للدكتور زين الخويسكي.
- (دراسات في الأدب السعودي)، للباحثين الدكتور عباس عجلان، والدكتور عبدالله سرور.
- (شعراء من مكة المكرمة دراسات في الأدب)، د. محمد مصطفى هدارة.
- (دراسات وآراء في ديوان النبع الظامئ)، تقديم الدكتور محمد مصطفى هدارة، صدر عن الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالإسكندرية.
- ترجم بعض من شعره الى اليونانية.
- (جدلية الواقع والمتخيل) قراءة في ديوان قناديل الريح للدكتور محمد بن مريسي الحارثي.
- (شعر عبد الله باسراحيل الدلالات الفنية والإنسانية) للدكتورة غريد الشيخ.
- (الذات الإبداعية المنكسرة والانبعاث) دراسة في شعر عبد الله باسراحيل للدكتور إدريس بلملح.
- (الفروسية الشعرية عند عبد الله باسراحيل) للدكتور عبد الله بنصر العلوي.
- (في مغاصات لآلئ باسراحيل) عبد الرحمن طيب بعكر الحضرمي.
- (الالتزام الإنساني في شعر عبدالله باسراحيل) الدكتورة إيمان بقاعي.
- (مختارات من شعر عبدالله باسراحيل) اختارها الأستاذ عبد الله جبر.

- (المعنى والمضمون في شعر عبد الله باسراحيل) للأستاذ الناقد/ عهد فاضل.
- (من الخيال إلى ما بعد الخيال عند عبدالله باسراحيل) للدكتور إدريس بلمليح.
- (زمن النقد الأدبي) آراء نقدية في شعر عبدالله باسراحيل لكبار الادباء والكتاب.
- (صورة الحبيب بين المقدس والديوي في شعر عبد الله باسراحيل) مجموعة دراسات لكل من د/ عبد السلام المسدي أ/ جورج جرداق و أ/ عهد فاضل ود/ محمد نجيب التلاوي ومجموعة كبيرة من دكاترة جامعة المنيا حيث قدمت في ندوة علمية خصصت له.
- (الثناء في شعر باسراحيل) دراسة أدبية للشاعر/ محي الدين صالح.
- دراسة باللغة الانجليزية بعنوان (Images of Women in Abdullah s Poetry) للدكتورة/ فاطمة صديقي.
- دراسة باللغة الفرنسية بعنوان (SUJET ET EVEIL DE LAME CRISE DU) للدكتور/ خالد حادجي.
- (قصائد مختارة) من دواوين الشاعر عبد الله باسراحيل اختارها وقدم لها عهد فاضل.
- (الأوزان والقوافي في ديوان عبدالله باسراحيل «المرايا») للأستاذة سهام مزياني تحت اشراف الدكتورة لويزة بولبرس.
- (واحات الضوء مواقع الإنسان في ديوان «قناديل الريح» للشاعر عبدالله باسراحيل) للدكتور إبراهيم المزديلي.
- (الشعر السعودي المعاصر تجليات العروبة في شعر عبدالله باسراحيل) للدكتور مصطفى عبدالغني
- (الرؤية والتشكيل في ديوان قلائد الشمس.. إلى مثقفي أمريكا للشاعر عبدالله باسراحيل) للأستاذ الدكتور محمود اسماعيل عمار.
- (عبد الله باسراحيل - صناعة وردة الشعر من عطر مكة) دراسة جمالية للناقد الأستاذ نعيم مهلهل.
- (قراءة في شعر د. عبدالله محمد صالح باسراحيل) للأديب الأستاذ علي خضران القرني.

- (العروبة والإسلام في شعر عبدالله باسراحيل) رسالة الماجستير للباحث أنس عبدو الحموي وحصل على الماجستير بها بدرجة الامتياز في كلية الآداب بجامعة طنطا بجمهورية مصر العربية.
- (القيم الأخلاقية في شعر باسراحيل) رسالة دكتوراة للباحث/ أسامة حسن عباس، بجامعة الإسكندرية بجمهورية مصر العربية.
- (تجليات الهوية في شعر عبدالله باسراحيل.. دراسة في المضمون الفكري وآليات النص)، رسالة دكتوراه للباحث/ أشرف الشحات السيد الصيري، وحصل بها على درجة الدكتوراه بتقدير مرتبة الشرف الأولى، مع التوصية بنشر الرسالة على نفقة الجامعة، وتبادلها مع الجامعات الأجنبية، في جامعة المنصورة بجمهورية مصر العربية.
- (بناء الجملة الخبرية في ديوان شمس مظلمة لعبدالله باسراحيل.. دراسة نحوية دلالية). رسالة ماجستير للباحث العراقي/ غائب حميد عبدالعزاوي، بجامعة المنصورة، بجمهورية مصر العربية.
- (التناص في شعر عبدالله باسراحيل) رسالة دكتوراه للباحث: أنس عبدو الحموي، وحصل بها على درجة الدكتوراه، بتقدير مرتبة الشرف، في كلية الآداب بجامعة طنطا، بجمهورية مصر العربية.
- (الأنا والآخر)، دراسة بحثية للباحثة/ أمينة القرشي، بجامعة الطائف، بالمملكة العربية السعودية.
- (المناص التأليفي في شعر عبدالله باسراحيل) رسالة دكتوراة- دكتورة ريهام فتحي عبد البديع عطية، وحصلت بها على درجة الدكتوراه بتقدير مرتبة الشرف الأولى، كلية الآداب بجامعة المنصورة بجمهورية مصر العربية. 2023م.
- (البعد الإنساني والحضاري في شعر عبد الله باسراحيل) رسالة ماجستير- للباحثة / هاجر ازويشي، جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس كلية الآداب والعلوم الإنسانية المغرب. 2023م.
- (النزعة الدرامية في شعر عبدالله باسراحيل) رسالة دكتوراة للباحثة / يسرا إبراهيم إسماعيل بركات، كلية الآداب جامعة الإسكندرية.

- (تحولات الصورة بين القصيدة العمودية وقصيدة التفعيلة في شعر عبدالله باسراحيل) رسالة ماجستير للباحث/ فيصل بن حسين الشريف، كلية اللغة العربية جامعة أم القرى.
- (ملاحم التجربة الشعرية والإنسانية عند الشاعر عبدالله باسراحيل). مجموعة باحثين: د: أسماء مساعد إبراهيم العمري؛ د. سلطان مريع أبو دبل. جمهورية مصر العربية 2024م.
- (الدكتور عبدالله باسراحيل في ديوانه قرابين الوداع.. إضاءات جمالية في الشعر السعودي) أ. د. نعيم عبد مهلهل. العراق 2024م.

الأوسمة والتكريمات والشهادات التقديرية:

- حصل على وسام الأرز برتبة فارس من فخامة الرئيس اميل لحود رئيس دولة لبنان 2004م.
- تم تكريمه في حفل كبير باليونان حضره نخبة كبيرة من الدبلوماسيين العرب والمثقفين والادباء والسفير السعودي عبد الله الملحق.
- تم تكريمه في جامعة المنيا عام 2003م بحفل حضره رئيس الجامعة الدكتور/ عبد المنعم البسيوني ومعالي محافظ المنيا اللواء/ حسن حميدة كما اقيمت ندوة علمية في شعره بنفس الجامعة
- ومنح درع الجامعة لتمييزه الابداعي ودرع محافظة المنيا.
- تم تكريمه في مركز الإسكندرية للإبداع في حفل قيل فيه ما كتبه عنه اهم الكتاب والنقاد العرب.
- حصل على كأس مركز الإسكندرية للإبداع للعام 2004م - 1425هـ.
- شهادة تقدير من مكتبة الإسكندرية لمشاركته ببعض دواوينه الشعرية وكتبه النثرية.
- تم تكريمه بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.
- حاصل على دروع تكريمية في معظم الأنشطة الإنسانية والوطنية بالمملكة وغيرها.
- تلقى عدداً كبيراً من الخطابات التقديرية من ملوك ورؤساء بعض الدول العربية بالإشادة بشعره العربي الأصيل.

- كما قدم له الرئيس عبد العزيز بوتفليقة خطاباً بمثابة دراسة عن شعر الشاعر عبد الله باشراحيل لما صدر له من سابق وآخر دواوينه واعتبرها الشاعر مقدمة لديوانه وحشة الروح.
- كما تلقى عدداً كبيراً من خطابات التقدير من الرؤساء الأوروبيين والأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان وبعض السفراء للدول الأوروبية والأمريكية وعلى سبيل المثال خطاب السفير الأمريكي برده على ديوان (قلائد الشمس) للشاعر عبد الله باشراحيل واعتبره نموذجاً لحوار الحضارات.
- أشاد الرئيس جاك شيراك رئيس دولة فرنسا الأسبق بديوان (قلائد الشمس) للشاعر عبد الله باشراحيل، وأثنى عليه.
- كذلك خطاب إشادة بديوانه (قلائد الشمس) المترجم من الأمير شارلز ولي عهد بريطانيا.
- تم تكريمه بمهرجان المتنبي الشعري العالمي السادس في سويسرا المقام في الفترة من 13-20 مايو 2006م، تحت رعاية المركز الثقافي العربي السويسري
- تم تكريمه في مهرجان الشعر العالمي بمدينتي - بدولة كولومبيا عام 2007م ، وهو الوحيد الذي قابله الرئيس الكولمبي «ألفارو أوريبي فاليز» من بين أربعمئة وثمانين شاعراً عالمياً بعد قراءة قصيدة (قلائد الشمس).
- تم تكريمه بمهرجان الرواد والمبدعين العرب بدمشق دولة سوريا عام 2008م، تحت رعاية الرئيس السوري بحضور معالي وزير الثقافة السوري الدكتور رياض نعسان آغا نيابة عن الرئيس وتسلمه الدرع التكريمي وشهادة تقدير.
- حصل على وسام (العلم والآداب والفنون الذهبي) من فخامة الرئيس عمر حسن أحمد البشير رئيس جمهورية السودان في عام 2011/9/2م.
- منح شهادة الدكتوراه الفخرية في الأدب العربي من جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بجمهورية السودان في 2011/10/1م.
- قلد وسام التميز للكشاف وربطة العنق الكشفية من جمعية الكشافة السعودية بمكة المكرمة 2011م.

- حصل على الوسام الذهبي لجامعة سيدي محمد بن عبدالله بفاس بالمغرب العربي ودرع الجامعة التقديري من معالي رئيس الجامعة الأستاذ الدكتور السرخيني فارس، وذلك لعطاءه المتميز في شعره العربي الاصيل وأنه أحد الشخصيات العربية الفعالة التي انفتحت وعيها على قضايا امته وانفتحت شاعريته على مساءلة الواقع الحضاري في تحدياته وتحولاته في 2011/12/20م.
- في حفل تكريمي كبير بقاعة كلية الطب والصيدلة بفاس حضره عدد من الدبلوماسيين العرب وأساتذة وعمداء الكليات بالجامعة وجمع من طلبة وطالبات الجامعة وعدد من النقاد والشعراء والمثقفين المغاربة.
- قلد وسام كلية الآداب بجامعة طنطا بجمهورية مصر العربية بقاعة قسم اللغة العربية من عميد الكلية الأستاذ الدكتور خالد الفخراي تكريما له على عطائه المتميز لما قدمه من دواوين شعرية هي من روائع وعيون الشعر العربي الفصيح بما تحمله من معاني ومضامين وصور تعنى وتعبّر عن هموم الأمة العربية والإسلامية ومدافعا عنها بقصائده القوية والقومية في كل المحافل الدولية لما تتعرض له أمته العربية والإسلامية من زرع المشاكل والمكائد لعدم توحيد الصف العربي وهذه الدواوين والنصوص العربية الأصلية كانت بمثابة الارض الخصبة لينهل منها الدارسون والباحثون في الشعر العربي الأصيل في 2016 / 10 / 31م.
- تم تكريمه تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز حفظه الله من وزير الثقافة والاعلام الدكتور عادل الطريفي بالرياض خلال حفل افتتاح مؤتمر الأدباء السعوديين الخامس ومنحه درع الشكر والتقدير لعطاءه وتميزه في الشعر العربي الاصيل في 27 صفر 1438هـ الموافق 27 نوفمبر 2016م.
- كرمه أهالي مكة المكرمة ونادي مكة الثقافي الأدبي في حفل كبير يوم ١٩ جمادي الاولى لعام ١٤٣٨هـ الموافق ١٦ فبراير ٢٠١٧م بمزرعة الأصدقاء بمكة وذلك بمناسبة حصوله على جائزة الدولة التقديرية لتميزه في الشعر العربي الأصيل. وتم عرض فيلم وثائقي عن الشاعر وأعماله وانجازاته خلال برنامج حفل التكريم أعده وأخرجه وكالة «ماب نيوز» الإعلامية.

مشاركات في مهرجانات الشعر الدولية:

- شارك بأمسيات شعرية عديدة بمهرجان المتنبي الشعري العالمي السادس في كل من زيورخ وبيرن وبازل وجنيف ولوكانو بسويسرا.
- شارك بعدة أمسيات مهرجان الشعر العالمي بمدينتي - بدولة كولومبيا عام 2007م.
- حظي بشرف مقابلة الرئيس الكولومبي « ألفارو أوريبي فاليز » عقب انتهاء مشاركته بالمهرجان - وتحدث حول أهمية التعاون العربي الكولومبي المشترك في العديد من المجالات، وأثنى الرئيس على ديوان (قلائد الشمس) الموجهة إلى مثقفي أمريكا _ في ختام المقابلة أهداه بإشراف ديوانه « المصباح » المترجم للإنجليزية والفرنسية وقصيدته « قلائد الشمس » في ترجمتها للإسبانية والإنجليزية والفرنسية.
- شارك في مهرجان « جرش » للشعر بالأردن عام 2007م.

الاهتمامات الأخرى والأنشطة:

- له صالون أدبي بمكة المكرمة سماه باسم (منتدى الشيخ محمد صالح بإشراف (يرحمه الله) الثقافي).
- يقيم الندوات العلمية والأدبية والأمسيات، يهتم بإصدار الكتب لأهم الكتاب والنقاد والكتب العلمية والدراسات الإسلامية والثقافية.
- أنشأ جائزة عربية من أجل الأدباء والمثقفين العرب أطلقها باسم والده
- (جائزة الشيخ محمد صالح بإشراف (يرحمه الله) للإبداع الثقافي.
- أنشأ جائزة بجامعة المنيا باسم (الشاعر عبد الله محمد صالح بإشراف للثقافة والإبداع للشباب).
- أنشأ مسابقة بمركز الإسكندرية للإبداع تحت رعاية وزارة الثقافة باسم (جائزة الشاعر الدكتور عبد الله بإشراف للأدباء الشبان).

العنوان البريدي: المملكة العربية السعودية -

مكة المكرمة ص ب 1576 رمز بريدي 21955

المكتب الخاص هاتف: مكتب: + 966125275425

أو + 966125275428 فاكس: 00966125275434

جوال: 0555512222

البريد الإلكتروني dr_bashrahil@hotmail.com



مع خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود





خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز في حفل تكريم أهالي مكة له (حفظه الله)، يقدم له الشاعر الدكتور عبد الله باسرا حيل قصيدة ترحيبية مناسبة توليه الحكم في المملكة العربية السعودية





الأمير نايف يمنح الدكتور عبد الله باسرا حيل درعاً تقديرياً في جامعة أم القرى







...والوزير اللبناني غازي العريضي
يقلد الشاعر باسرا حيل وسام الأرز
برتبة فارس



يهدي كتابه لرئيس الجمهورية اللبنانية
السابق العماد إميل لحود بعد نيله وسام
الأرز من فخامته



الرئيس الكولومبي ألفارو أوريبي فاليز يستقبل
الدكتور باسرا حيل مكرماً في مهرجان الشعر العالمي
في مدين (كولومبيا)











...ويمنحه شهادة تقدير



الرئيس السوداني عمر البشير يخلد
الشاعر باسرا حيل وسام العلم والآداب
والفنون الذهبي



...ويمنحه شهادة تقدير



رئيس «جامعة سيدي محمد» في المغرب
الدكتور السراغيني فارس يخلد باسرا حيل
وسام الجامعة الذهبي



